

مختارات الفكر المسيحي/ ١١

٥---



من
السير
العتيقه

مقالات
الطران
مجلس
القس موسى



١٩٧١-١٩٩٤



بيبليا للنشر / الموصل ٢٠١٢

اعداد وتقديم
الاب بيولنج مفاض

مختارات الفكر المسيحي



سلسلة توثق ما نشر في مجال الفكر المسيحي، بين الأعوام ١٩٧١-١٩٩٤، سواء طبع
ابوابها الناشر، أو طبع إحداهما الخاص، أو لكتاب تركوا بصماتهم فيها...
صدر منها، أولاً، كتاب وثق تاريخ الكهنسج الشرفج (١٩٧٣)، ومن ثم كتابان وثقا
باين ثابتين، قبل أن تعمد دار ببلييا للنشر، عام ٢٠٠٦ لإع مواطاع المشروع، بدءاً من الرقم
٣، وهما من إعداد وتقديم الأب بيوس عفاص.

١٩٧٢	٢١٦ص، الموصل	١٩٧٢	١٩٧٢	١٩٧٢	١٩٧٢
١٦٨	١٦٨ص، بغداد	١٩٨٥	١٩٨٥	١٩٨٥	١٩٨٥
١٠٠	١٠٠ص، بغداد	٢٠٠٤	٢٠٠٤	٢٠٠٤	٢٠٠٤
٢٢٨	٢٢٨ص، الموصل	٢٠٠٦	٢٠٠٦	٢٠٠٦	٢٠٠٦
٥٠٠	٥٠٠ص، الموصل	٢٠٠٧	٢٠٠٧	٢٠٠٧	٢٠٠٧
١٧٨	١٧٨ص، الموصل	٢٠٠٧	٢٠٠٧	٢٠٠٧	٢٠٠٧
٢٩٤	٢٩٤ص، الموصل	٢٠٠٨	٢٠٠٨	٢٠٠٨	٢٠٠٨
٢٠٨	٢٠٨ص، الموصل	٢٠٠٩	٢٠٠٩	٢٠٠٩	٢٠٠٩
٥٠٨	٥٠٨ص، الموصل	٢٠١٠	٢٠١٠	٢٠١٠	٢٠١٠
٢٩٢	٢٩٢ص، الموصل	٢٠١١	٢٠١١	٢٠١١	٢٠١١
٤٨٠	٤٨٠ص، الموصل	٢٠١١	٢٠١١	٢٠١١	٢٠١١
٤٤٠	٤٤٠ص، الموصل	٢٠١٢	٢٠١٢	٢٠١٢	٢٠١٢
٤٥٢	٤٥٢ص، الموصل	٢٠١٢	٢٠١٢	٢٠١٢	٢٠١٢

(سعر خاص للأجزاء الأربعة (٧-١٠): ١٠٠٠ د. عوضاً عن ١٢٠٠٠)

تتوفر نسخ من اعداد المجلة للأعوام ١٩٧١-١٩٩٤

٣٥٠,٠٠٠

المجموعة الكاملة ١٩٧١-١٩٩٤ (٢٤ عاماً/محدودة):

١٠٠,٠٠٠

المجموعة الكاملة عدا ١٩٧٥-١٩٧٧ (٢١ عاماً):

٥٠,٠٠٠

مجموعة اعداد ١٩٨١-١٩٩٤ (١٤ عاماً):

٧٠,٠٠٠

مجموعة الأعداد الخاصة للأعوام ١٩٧٨-١٩٩٤ (١٦ عدداً/٢٥٢ص)

(ويمكن الحصول مجاناً على اعداد متفرقة)

تطلبه من مكتبة ببلييا/ كنيسة مار توما-الموصل (العراق)



دار
ببلييا
للنشر
مجموعات

منشورات دار بيبليا للنشر

ملفات الكتاب المقدس

مجلة بيبلية مصورة بقلم اختصاصيين فرنسيين، عمده م. د. ك.، منذ عام ٢٠٠٠، إلى تعريبها ونشرها بوتيرة ٤ ملفات في السنة. ظهر منها ٤٨ ملفا في العهدين القدي والجديد، ومع عام ٢٠١٢، بدأت عامها الثالث عشر، وهو عام اليوبيل الفضي لمركز الدراسات الكتابية (١٩٨٧ - ٢٠١٢).

تتوفر منها مجموعات للسنوات الماضية وبأسعار مخفضة:

مجموعة ٦ أعوام (٢٠٠٦ - ٢٠١١)	الملفات ٢٣ - ٤٦	٥٢٣٠٠٠ د.
مجموعة ٥ أعوام (٢٠٠٦ - ٢٠١٠)	الملفات ٢٣ - ٤٢	٥١٨٠٠٠ د.
مجموعة ٣ أعوام (٢٠٠٩ - ٢٠١١)	الملفات ٣٥ - ٤٦	٥١٢٠٠٠ د.
مجموعة عامين (٢٠١٠ - ٢٠١١)	الملفات ٣٩ - ٤٦	٥١٠٠٠٠ د.

سلسلة "ابحاث كتابية"

كتب بيبلية رصينة تمكن القراء من الدخول إلى عالم الكتاب المقدس، وفق منهج علمي وراعي رصين. انطلقت عام ١٩٩٩ بمعدل كتاب أو كتابين في السنة، ظهر منها ١٣ كتابا بقلم كبار البيبليين؛ ولعل أبرزها "الدخول إلى الكتاب المقدس" بأربعة أجزاء (٥٨٠٠٠ د.) مع سعر خاص للجزئين من "قراءة في العهد الجديد" : ٣٠٠٠٠ د. فقط)

سلسلة تفاسير

تظهر منذ عام ٢٠٠٨، ضمن "سلسلة ابحاث كتابية"، سلسلة جديدة بعنوان "تفاسير" تغطي بعشرة أجزاء العهد الجديد برمته. ظهر منها ٧ أجزاء (انجيل متى، انجيل يوحنا، رسائل بولس بثلاثة أجزاء، الرسائل الاخيرة، انجيل مرقس). وتظهر الاجزاء الثلاثة الباقية على مدى العامين ٢٠١٢-٢٠١٣: انجيل لوقا، اعمال الرسل، الرؤيا. تتوفر الكتب بسعر النسخة ٣٠٠٠ د. (سعر خاص لثلاثة رسائل بولس ٥٧٠٠٠ د. عوضا عن ٥٩٠٠٠ د.)

دوريات وكتب مستنسخة

منذ عام ٢٠٠٠، عمده م. د. ك. خدمة لقرائه، إلى تكثير عدد من الدوريات والسلاسل والكتب الرصينة في اللاهوت والكتاب المقدس والروحانيات والتاريخ والقضايا الاجتماعية والتربوية... فالي جانب "جريدة بيبليا" (٥٤ عددا) و "مجلة بيبليا" و سلسلة "دراسات في الكتاب المقدس"، هناك أكثر من ١٣٠ كتابا في شتى المجالات وبأسعار مدعومة.

تطلب كافة المنشورات من مكتبة بيبليا/ كنيسة مار توما الموطل (العراق)



وسرعان ما لاحت اضواء البوبيل الكهنولي الذهبي ليجعل منعطفاً في مسيرة ذنك اللذين ربطتهما صلات وثيقة منذ الدراسة في معهد مار بوحنا الحبيب، وتواصلت عبر حياة مشتركة في جماعة كهنة يسوع الملك فداة الرسامة الكهنوتية، واملئت عبر نشاط إلاممي مشترك في 'الفكر المسيحي' -وقد وضعا سوية لبناها الأولى وسارا بها، بدا بيد، طلبة ثلاثين عاماً من مسيرتها الصحافية...

[...] هدية بزفهما صاحبيا البوبيل إلى قراء قدامى واكبوا مشوارها وما زالوا يذكرون باعزاز سنوانها السمان التي طبعت تاريخ كنيسة العراق، كما إلى قراء جدد سيقفون معجيين بخط المجلة ومواقفها الجريئة وطروحائها النبوية...

(من كلمة الناشر)

إلى جانب ٩ أعداد له في "السلسلة"، وإجابات نشر بعضها في كتاب "أسئلة واجوبة"، فضلاً عن افتتاحياته (١٩٧٣ - ١٩٧٦) المنشورة في الكتاب، ومساهماته الـ ١٩٤ -وقد نشر معظمها في جزئين؛ تأتي المقالات، باستثناء المقابلات واللقاءات التي سيضمها كتاب خاص:

يأتي في المقدمة ٣١ ملفاً نشر ٩ منها في "ملفات الفكر المسيحي"؛ والملفات التي تنشر هنا، بعضها دراسي وبعضها إعلامي.

وتحتل مكانة هامة المقالات التي تضمنتها الأعداد الخاصة، وهي ٢١٢، نشر منها سبع في "المختار" وخمس في هذا الكتاب.

أما سائر المقالات المنشورة هنا، فتتوزع بين الاستفتاء والطاولة والتحقيق وشؤون راهنة والمنبر الحر والشهادة والريپورتاج وتقديم كتاب... وهكذا يكون الكتاب الذي بين يديك، أيها القارئ، قد أثبت ٨٧ مقالة لم يسبق لها أن نشرت!

كتاب هو هدية دار بيبليا إلى المطران جرجس القس موسى بمناسبة يوبيله الكهنوتي الذهبي (١٩٦٢ - ٢٠١٢).



ولد في قره قوش في ٢٥/١٠/١٩٣٨. كاهن يسوع الملك في أخوة الحياة المشتركة ومسؤول عام لعدة فترات، وأحد مؤسسي مجلة الفكر المسيحي، وقد شغل فيها منصب رئيس تحرير (١٩٧٢ - ١٩٧٦) ونائب رئيس التحرير في ما بعد. تنقل في الخدمة بين الموصل ولبنان، وواصل الدراسة في جامعة لوفان (بلجيكا) ونال درجة ماجستير في علم الاجتماع (١٩٧٧ - ١٩٧٩).

ارشد في الستينات والسبعينات الأخوية الريمية والشبيبة الطالبة المسيحية. وهو أحد مؤسسي كاريتاس الموصل عام ١٩٩٢، وشارك قاضياً في الحكمة الكنسية لسنوات.

شغل منبر العهد القديم في مركز الدراسات الكتابية، وعلى يده تخرج طلبة تسع دورات متتالية. شارك في إصدارات دار بيبليا للنشر عبر ترجمة عدد من ملفات الكتاب المقدس وكتب في سلسلة أبحاث كتابية. له كتب مؤلفة وأخرى كثيرة معربة.

انتخب راعياً لابرشية الموصل السريانية، خلفاً للمطران عمانوئيل بتي، ورسم اسقفاً في ٩/١٢/١٩٩٩ يوم وفاة سلفه. وخلال اسقفيته حقق الكثير من الإنجازات الثقافية والراعية والعمرانية... شارك في مؤتمرات عدة، اقليمية وعالمية، في كثير من المجالات الراحوية والسكوتية، والإعلامية بشكل خاص. لا سيما خلال سني اسقفيته على الموصل وظروفها الصعبة. كانت له مواقف إعلامية جريئة ومؤثرة على الصعيد الوطني والدولي... تعين عام ٢٠١٠ معاوناً بطريركياً وانتقل إلى مقر إقامته في لبنان.

تطلب كافة المنشورات من مكتبة بيبليا / كنيسة مار توما، ومن مكتبات الكنائس



شركة العبوان للطباعة والنشر
بضاد - الصرافة

سعر النسخة: ٥٠٠٠ د.

(معرض خاص للكتاب معاً: ٩٠٠٠ د.)

من

البيدر

الصنيق

١٩٩٤-١٩٧١

سلسلة 'مفكرات الفكر المسيحي' / ١١

من اليبدر العتيقة

مقالات
المطران جرجس القس موسى
في

مجلة الفكر المسيحي

١٩٧١-١٩٩٤

(تزفها إليه دار ببيليا للنشر بمناسبة يوبيله الكهنوتي الذهبي)

اعداد

الأب بهوس عفاص

دار

ببيليا للنشر

الموصل-العراق

٢٠١٢

كانت مهمة نشر مقالات "فارسي" الفكر المسيحي بعد رحيل الفارس الثالث الاب نعمان اوريدة- في كتابين توأمين من سلسلة "مختارات الفكر المسيحي" معدة إلى ما بعد الرحيل، وكان هناك شبه تعهد متبادل خفي في ان تقع هذه المهمة على كاهل من كتب له عمر اطول -والاعمار بيد الله! وسرعان ما لاحت اضواء البيوبيل الكهنوتي الذهبي (١٠ حزيران ١٩٦٢ - ١٠ حزيران ٢٠١٢) ليسجل منعطفا في مسيرة فينك اللذين ربطتهما صلوات وثيقة منذ الدراسة في معهد مار يوحنا الحبيب، وتواصلت عبر حياة مشتركة في جماعة كهنة يسوع الملك غداة الرسامة الكهنوتية، وامتدت عبر نشاط إعلامي مشترك في "الفكر المسيحي"، وقد وضعنا سوياً لبناتنا الأولى وسارنا بها، بدأً ببدء، طيلة ثلاثين عاماً من مسيرتنا الصحافية (١٩٦٤ - ١٩٩٤).

وسرعان ما ابتسمت فكرة ان يكون الكتابان هدية البيوبيل الذهبي تزفها دار بييليا إلى صاحبي البيوبيل، فيمكسان ويوثقان ما دبحه قلمهما في "الفكر المسيحي" على مدى الثلاثين عاماً الأولى... وهدية يزفها صاحبا البيوبيل إلى قراء قدامى واكبروا مشوارها وما زالوا يذكرون باعتزاز سنواتها السمان التي طبعت تاريخ كنيسة العراق، كما إلى قراء جدد سيقفون معجبين بخط المجلة ومواقفها الجريئة وطروحاتها "النبوية"...

ووجدنا انفسنا للحال ازاء كم كبير من المقالات، فيها التحليل الجاد والدراسة المكثفة والريبوراج والتحقيق والمقابلة والطاولة والاستفتاء... عبر ابواب عدة، من الافتتاحية إلى الملف، مروراً بشؤون راهنة والمنبر الحر والجواب على سؤال، ناهيك عن الانباء... إلا ان جمعها لم يكن بالأمر العسير، سيما وقد كان لدينا كشافان لكل عشر سنوات (١٩٧١ - ١٩٨٠؛ ١٩٨١ - ١٩٩٠)، فضلاً عن كشاف مصغر للسنوات الاربع الاخيرة (١٩٩١ - ١٩٩٤) قبل تسليمها إلى الآباء الدومينيكيين في مطلع عام ١٩٩٥. وازاء هذا العدد الكبير من الاسهامات، سرعان ما قرّ الرأي على إرجاء نشر المقابلات واللقاءات في كتاب مستقل يوثقها برمتها، وبينها مقابلات دسمة مع شخصيات ذات وزن...

وكان لزاماً علينا، أولاً، ان نصدر الكتابين بمجرد شامل لعناوين المقالات المدلية باسمهما -حتى إذا كان التوقيع بالحروف الاولى او باسم مستعار- بدءاً بأعداد "سلسلة" الفكر المسيحي (١٩٦٤ - ١٩٧٠)، ومن ثم مساهماتهما في باب "اسئلة واجوبة" -وقد اشرنا بعلامة (*) إلى كل سؤال سبق ان نشر في الكتاب (دار بييليا - الموصل ٢٠٠٦)؛ كما اثبتنا عناوين الفتايات رئيس التحرير، سنة تلو السنة، وقد ضمّنا الكتاب بالعنوان

ذاته في سلسلة "مختارات" (دار بييليا - الموصل ٢٠٠٧) - وكان للاب جرجس القس موسى منها اربع سنوات (٢ ١٩٧٢ - ١ ك ١٩٧٦). وفيما كان له، منذ العدد الأول، "همسات" تحت اسم "ابو فادي" اثبتنا عناوينها كلها، وقد سبق ان نشر القسم الاول منها في كتاب مستقل عام ١٩٨٥، ولحق به قسم ثان ظهر في سلسلة "المختارات" (دار بييليا للنشر - الموصل ٢٠٠٧) - وكان للاب بيوس عفاص زاوية "افكار" احتلت عام ١٩٧٣ مكان الهمسات.

وادرجتنا اخيراً فهرساً بما خلفه قلم الراندين، سنة بعد سنة، لحق به من ثم توثيق لكافة المقالات التي لم يسبق ان ضمها كتاب، باسقاط ما نشر لهما من مقالات في كتاب "المختار من الاعداد الخاصة" (دار بييليا للنشر - الموصل ٢٠١٠)، اشرنا إليها بعلامة (*)، إلى جانب ما نشر لهما في كتاب جديد ظهر مؤخراً بعنوان ملفات الفكر المسيحي اقتصرنا فيه على الملفات الدراسية دون الاعلامية، واشرنا إليها بعلامة (**). (دار بييليا - الموصل ٢٠١١). وهكذا، باستثناء المقالات التي وثقتها سلسلة "مختارات الفكر المسيحي"، وبعد ارجاء المقابلات لكتاب يظهر لاحقاً بإذن الله، نكون بازاء قرابة ٩٠ مقالة لكل منهما ضمهما كتابان دسما نرفهما إليهما بمناسبة يوبيلهما الذهبي، ونضعهما معاً، وفي آن واحد، في متناول القراء!

وكان لا بد لنا من خيار في عملية التوثيق: ان نثبت المقالات تبعاً، دون تغيير او رتوش، حفاظاً على مبدأ التوثيق، وإن كنا على يقين من ان هناك بعض العثرات، وان هناك مقالات اعلامية تحمل ارقاماً واحصائيات لم تعد صحيحة، ولكنها تعكس ما كانت عليه في حينه، وفي ذلك تكمن قيمتها؛ إلا اننا احجمنا مع ذلك عن توثيق الاحصائيات عن كنيسة العراق، بطوائفها وابرشيائها، وقد عكسها عدنان خاصان عام ١٩٧٧ و ١٩٨٦، كما لم نثبت التحقيق بشأن الكنائس الشرقية الملحق بالعدد الخاص "في الحركة المسكونية" عام ١٩٩٠.

من هذا المنطلق أينا ان نحدث المقدمات التي كانت قد تصدرت المقالات، واحجمنا عن كتابة مقدمات جديدة حين كانت قد خلت منها، وذلك بدافع الابقاء على الطابع الذي اتسمت به المساهمات في السبعينات وحتى اوائل التسعينات، وما تخلل تلك السنوات من احداث على الصعيدين الوطني والعالمي، وعلى مستوى كنيسة العراق وكنائس العالم - ولكم سنقرأ في ذلك الماضي، مشرقاً كان ام مظلماً، شهادت وعبراً...

وفيما ترفع دار بييليا إلى رائدي "الفكر المسيحي" المطران جرجس القس موسى والاب بيوس عفاص اسمي آيات التهئة بيوبيلهم الكهنوتي الذهبي، نرف إليها بالمناسبة مقالاً قماً على مدى ٣٠ عاماً، مع كل الاجلال والتقييم لاسهامهما الشري في حركة الفكر والبناء، على صفحات الفكر المسيحي، ابان مرحلة دقيقة من تاريخ كنيسة العراق تركا فيه بصمات لا تمحى!

ماذا أقول...!

ماذا أقول في مستهل هذا البيدر العتيق ؟

ستون عاما.. بدأت ونحن في ضحى العقد الثاني من العمر.. واسمانا قد تلاقيا وامتزجا معا، كصديقين ورفيقي درب، الأب بيوس عفاص وأنا. يافعان في فجر الاختيار الأكبر.. في رحاب فناء قسم الصفار في معهد ماريوحنا الحبيب الكهنوتي في الموصل.. وفي ساحات اللعب أيام العطل في ضواحي نينوى، وشواطئ الفوسر، وشعاب جبال كردستان، وفي ظلال قرانا الحبيبة.. يتسامران.. يقصان حكاياتهما الصغيرة.. يتكاتبان.. يستيقظان الى متطلبات الدعوة يوما فيوما، ويتبادلان الكتب للقراءة.. بالفرنسية أثناء الدراسة، وبالعربية صيفا، لتقوية اللغتين. ومن ثم في قسم الفلسفة واللاهوت. وتستمر الصداقة ثابتة هادئة.. كرحلة مشتركة نحو غاية واحدة.. فيقارنان طموحاتهما، ويقيمان مسيرتهما، ويرسمان مخططاتهما للمستقبل سوية.. فكانت أول رحلة حج الى القدس سنة ١٩٦١، وهما بعد تلميذان.. وكانت جماعة كهنة يسوع الملك سنة ١٩٦٢.. وكانت الفكر المسيحي سنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤. ثم كانت.. وكانت.. الى يومنا هذا.. وكلانا معا في الطريق ذاته سائران !

خمسون عاما منذ الرسامة الكهنوتية في ١٠ حزيران ١٩٦٢ في الموصل، على يد سلفي المثلث الرحمات المطران قورلس عمانوئيل بني، تلتها الفكر المسيحي بعد عام والقلمان يتشابكان ويكتبان.. ولا زال العبريسيل.. ولربما لن يكف الا مع آخر قطرة منهما ومن صاحبيهما !

بين الأمل والقلم والفكر، هذا الثالوث الصامت، تواطؤ أزلي وحوار سري في شدة الإبداع وتفعيل المعلومة ونقل الحقيقة وربط النظري اللامنظور

بالعملي الملموس ورسم معالم المنظور بلون الكلمات. فتصير الكلمة جسدا وتحل في العين والذهن وتحرك القرار والإرادة، ومنهما تأتي الحياة. المكتوب يبقى، يقول المثل اللاتيني. الكلام يأخذه الهواء، والخطاب تديره الريح، أما الكلمة المكتوبة فهي أمضى من كل سيف، وقد تكون سيفاً ذا حدين.. من هنا أن القلم رسالة، والرسالة مسؤولية، والمسؤولية معاناة ومخاض. فمن كتب حرفاً ساهم في بناء العالم.. وفتح باب المعرفة.. وأطل على الديمومة والخلود!

ثلاثون عاما من الكتابة في "الفكر المسيحي" (١٩٦٤ - ١٩٩٤)، عرضا وتحليلا ودراسة وتحقيقا وبحثا وهمسا... شاءت دار بيبيليا للنشر، أن تخلدها بنشر نتاجي في "الفكر المسيحي" خلال هذه الثلاثين سنة، وذلك بمناسبة يوبيلي الكهنوتي الذهبي. ثلاثون عاما عملنا سوياً: هو، رئيساً للتحريير على مدى الفترة ذاتها، ما عدا أربع سنوات دراسته في بلجيكا، فتسلمت أنا ذاتي رئاسة التحرير (١٩٧٢-٢٠١٦)، وبقيت طوال السنوات الباقية نائبا لرئيس التحرير... وكواليس كنيسة مار توما وحدها تعرف مدى تعاوننا الوثيق وشراكتنا في الدقائق والكبائر، ونقاشاتنا الثنائية في مكتبه أو مكتبي، وسهرنا الليالي حتى بشائر الفجر أحيانا، وروحانا المكوكية إلى بغداد للطبع، وجولاتنا الحزونية للتوزيع، واجتماعاتنا الدورية مع هيئة التحرير للإعداد والمناقشة، وصولاتنا مع المطابع والوكلاء... مع ثالث الأثافي زميلنا المرحوم الأب نعمان اوريدة، مدير الإدارة!!... يا لدرتلك الأيام السمان العجاف وما تحمله بين طياتها من ذكريات حلوة ومررة ووجوه محبة أو كاشرة!!

لن أتكلم عن ظروف العمل الصحفي الذي زاولناه في أجواء المجمع المسكوني الفاتيكانى الثاني، ولن أتطرق الى حركة التغييرات الاجتماعية والسياسية والكنسية التي عملنا فيها، ولن أقول شيئا عن اختياراتنا في انتقاء الخط الفكري للمجلة في عهدها الثلاثة: السلسلة في كراريسها الشهرية المتخصصة والمبرمجة (١٩٦٤ - ١٩٧٠)، المجلة الفكرية الدراسية (١٩٧١ - ١٩٧٦)، والمجلة الإعلامية المسيحية الملتزمة (١٩٧٧ - ١٩٩٤)، ولا أصدي للسجلات التي كدنا نحترق في بعضها بسبب صورة أو خبر أو فكرة جريئة. ألم يقولوا أن الصحافة مهنة المتاعب؟! ولكنهم قالوا أيضا: إنها السلطة الرابعة!

- ونحن لم نكن طلاباً أية من الثلاث الباقيات! ولن أحجم عن ذكر اللقاءات المثمرة الرائعة المفعمة بالصدقة والتقدير مع الكتاب قبل التوقيع على النص النهائي لمقالاتهم. وليس لي أن أثير هنا عبق الذكرى العطرة لهذه اللقاءات السابقة مع المرحوم الأب عبد السلام حلوة، ومع أخي أطال الله بعمره الأب لوسيان جميل، الذي كان محكاً وشاحداً لتحريك الفكر. كما إنني أستطيع عذراً إن ذكرت تواضع كتاب آخرين أمثال الطويل العمر الأب يوسف عتيشا، أو زميلنا وحبيبنا الأب يوحنا عيسى الذي قال يوماً: إن الفكر المسيحي مدرسة، أو ظرافة فناننا ماهر حربي وحصافة ملاحظاته... ولن أتطأ في ذكر الأسماء، والا للزمني مجلد مستقل عن وجوه محررينا الأحياء والأموات... ففي ذلك دين واجب ومتمعة! - ولعل كتاب "كتاب رحلوا" (مختارات/ داربيبيلا - الموصل ٢٠١١) جزء من الوفاء.

أول كتاب صدر من "مستلآت" الفكر المسيحي كان "تاريخ الكنيسة الشرقية" (١٩٧٣) لعميد كتابنا الأحياء ذي النتاج الأغزرو الأشمل حتى الساعة، الأب ألبير أبونا. وكان الكتاب الثاني لي: "همسات أبوفادي" الجزء الأول (١٩٨٥)، الذي افتتح، من حيث لا يعلم، سلسلة "مختارات الفكر المسيحي" كما أشارت كلمة الناشر للجزء الثاني من "همسات أبوفادي" (٢٠٠٧)؛ ويعمل كل من الجزئين ٧٧ همسة، ويزين كلا من الجزئين رسم ظريف معبر لفنان ماهر حربي. ثم تلتها مجلدات أخرى من أبواب أخرى للفكر المسيحي. والكتاب العالي الذي يضم زهاء ٩٠ مقالا وبحثاً مما نشرته لي "الفكر المسيحي" في الثلاثين سنة الأولى من عمرها، شاء أخي وزميلي ورفيقي الدرب الأمين، الأب بيوس عفاص، بصفتة مدير داربيبيلا للنشر، أن يرفقه الي هدية بمناسبة اليوبيل الكهنوتي الذهبي، ويقدمه للقراء وللأصدقاء ولشركائنا في الرسالة والعطاء، من كهنة وعلمانيين، قدامى وجدد، موردا ومرجعا وأداة عمل! ومثلما فعل لي، فعله لكاتب آخر، اسمه زهير عفاص أو بيوس عفاص، وللمناسبة ذاتها!!

ما كتب البارحة يبقى، بالرغم من السنوات القمرية التي دارت عليه، حيويًا، وفيه من الجرأة والطموح والنسغ ما قد يغذي جيلاً لم يعرف الرواد ولا ماذا كانت تعني الستينات والسبعينات والثمانينات من تاريخ وواقع كنيستنا وشعبنا... ولكن هذا الجيل لا يقل اليوم عن ذلك، لا في طموحاته ولا في معانياته ولا في الأخاديد الأليمة التي تهدد كيانه ومستقبله.

"الفكر المسيحي" تستمر مع إخواننا الدومنيكان العراقيين منذ ١٩٩٥
- وفيهم الكاتب المخضرم والمفكر والخبير والمربي - حين سلمناهم إياها، بفرح
وشراكة الزارع مع الحاصد، حقلا واعدة وأمانة وقناة إعلام لها أتباعها، ومنبرا
أثبت وجوده. وإذا ما أدت رسالتها في مياه شبه هادئة في السنوات التسع الأولى
بعد التسليم، فهي، منذ ٢٠٠٣، تبخر في أمواج لاطمة ورؤية ما دون المعدل،
وبوصلة الاتجاه لازمة ليبقى الميناء نصب العيون. والميناء هنا كنيستنا وشعبنا ..
وكنيستنا وشعبنا بأمس الحاجة اليوم الى قراءة علامات الأزمنة، وللقراءة حاجة
الى النور والاستنارة، حاجة القبطان الى الفئران سيماء وأن الساحة الإعلامية
المسيحية العراقية صارت تعج بمختلف الصحف والدوريات، من غث وسمين ..

اشكر دار "بيبليا" للنشر واشكر مديرها وركنها الهمام على هذه المبادرة
اليوبيلية، وأتمنى له أن يبقى حركة وعطاء وحماسا وتفاؤلا في الخمسين
والسبعين والثمانين وحتى ما شاء الله أن يمد به من أيام .. معلما وكاتبا ومربيا
ومنشطا وشاهدا روحيا لأخوته.

وانها لمناسبة أن أوجه شكري الخاص الى "أبوقادي" الآخر على العمل
الجبار الذي قام به، ليس فقط بتنفيذ مقالات هذا الكتاب، بل بتوثيق كل
مقالاتي الأخرى ونصوص محاضراتي وكلماتي في المناسبات وخطباتي ومواعظي
على مدى خمسين عاما من الكهنوت، ووضعها في مجلدات وعلى اقراص. باركه
الرب وغمره هو وأولاده وأحفاده بنعمه.

+ باسيليو من جبرجمن القمص موسى

دير الشرفة في ١٨ ايلول ٢٠١١

الذكرى التاسعة والأربعون

لتأسيس جماعة كهنة يسوع الملك

(١) في سلسلة الفكر المسيحي (١٩٦٤ - ١٩٧٠)

ليكونوا واحدا / ٢ - ١٩٦٤، لوثر وحركة الاصلاح / ٦ - ١٩٦٤، صراع مع النعمة / ١٢ - ١٩٦٥، رسالة العلمانيين / ١٨ - ١٩٦٥، اما العملة فقيلون / ٢٥ - ١٩٦٦، كيف تقرا الكتاب المقدس / ٣٢ - ١٩٦٧، عقيدة وحياة / ٤٢ - ١٩٦٨، المسيحي والوطن / ٥٥ - ١٩٧٠، الاشتراك في القداس / ٦٠ - ١٩٧٠.

(٢) في باب "سؤال وجواب"

(* تشير الى ان الاجابة نشرت في كتاب "أسئلة واجوبة"، دار بيبليا للنشر - المرصل ٢٠٠٦).

الدين والجنس / كانون الثاني ١٩٧٣، نشأة المؤتمر القرباني / نيسان ١٩٧٣، الفتاة ومصاحبة الشباب / ايلول ١٩٧٣، الاعتراف لدى الكاثوليك فقط؟ / كانون الاول ١٩٧٤، لماذا يوجد طلاق عند الاثوريين؟ / كانون الاول ١٩٧٤، الحرب في لبنان طائفية؟ / شباط ١٩٧٦، *معنى الصوم؟ / ايلول ١٩٧٦، *الحكم بالاعدام / تشرين الثاني ١٩٨١، موقع التناول في القداس / كانون الاول ١٩٨٤، *مظاهرات العذراء / حزيران ١٩٨٦، معجزات القديسين / كانون الثاني ١٩٨٧، معاني الكلمات / تشرين الثاني ١٩٨٧.

(٣) افئذجات

ابان غياب الاب بيوس عفاص للدراسة في بلجيكا، كتب الاب جرجس القس موسى الافتتاحيات من تشرين الثاني ١٩٧٢ وحتى كانون الاول ١٩٧٦، وقد جمعت الافتتاحيات على مدى ٢٤ عاما في كتاب ضخم ظهر في سلسلة "مختارات الفكر المسيحي" / رقم ٤ - دار بيبليا للنشر، المرصل ٢٠٠٧ (تحتل افتتاحياته في الكتاب ص ٣٣ - ٧٦).

١٩٧٢: ماذا ننتظر بعد / تشرين الثاني،... اذ لم يكن لهما موضع / كانون الاول.
١٩٧٣: مع اطلالة العام الجديد / كانون الثاني، استراحة المحارب / شباط، الحادي عشر منه / آذار، الحياة الجديدة / نيسان، لماذا؟ / ايار، مغتربون في ديارنا؟ / حزيران، سنة مقدسة للمصالحة / ايلول، أم البيت! / تشرين ١، عيد سعيد وفطر مبارك / تشرين ٢١، رسالة مفتوحة... / كانون ١.
١٩٧٤: الشمعة الماشرة / كانون الثاني، افرام وحنين / شباط، السلام + الثقة = البناء / آذار، يا اورشليم، يا اورشليم / نيسان، مع علية البسكت! / ايار، آفاق... / حزيران، ميزان واحد / ايلول، لماذا هذا العدد (عدد خاص: المسيحي في مجتمعه) / تشرين الاول - تشرين الثاني، تقويم المحبة ومؤشرات المستقبل / كانون الاول.

١٩٧٥: ١٩٧٥ سنة المرأة / كانون الثاني، الصوم والتحنيط والافراص النومة / شباط، كفانا انقسام... / آذار، اللبانة المسيحية في خطر (!) / نيسان، يوم الدعوات / ايار، رسالة مفتوحة الى حجاج السنة المقدسة / حزيران، المساواة، التقدم، السلام... / ايلول، لماذا لا نقرأ...؟ / تشرين الاول، نحو سنة الالفين في دروب الانجيل / تشرين الثاني، بحثا عن الاصاله / كانون الاول.

١٩٧٦: سلاح السلام غصن زيتون فقط! / كانون الثاني، الوقوف على التل ام النزول الى العمعة؟ / شباط، هذا ما نتمناه! / آذار، اعياد الربيع في ام الربيعين / نيسان، الحياة بمنطق عقيدتنا / ايار، اطلب العلم ولو في الليل! / حزيران، كان انسان... بين حي وميت! / ايلول، الجيل الجديد (عدد خاص: فضايا الجيل الجديد) / تشرين ١ - تشرين ٢، السبت ويسوع الانسان / كانون الاول.

(٤) في باب "همسات"

(* تشير الى ان الهمسة منشورة في كتاب "همسات ابو فادي" بجزئيه)

١٩٧١: *عزيري القاري/كانون الثاني، *اختي الفتاة المسيحية [شيء يزحميني / شبايط، *هل تقدر على عدنان القيسي/ اذار، *مرة اخرى/ نيسان، *حبيبيتي... أمي/ ايار، *احب الكنيسة أمي/ حزيران، *شمالنا الجميل / ايلول، على ابواب المدارس/ تشرين الاول، *برج بابل/ تشرين الثاني، *غدا رمضان [عظيم ايمانك ايها السائق] / كانون الاول.

١٩٧٢: *عزيري مار بطرس/كانون الثاني، *كتبت الي راء/شبايط، *يا لدهشتي لما رايت/ اذار، *صغرتي ندوي/ نيسان، اخي، انسان المستقبل(ماهر حربي)/ ايار، *جارتى الساعة/ حزيران، *مساكين هؤلاء الطلاب/ ايلول، *رحم الله من مات/ تشرين الاول، *ناري (الشاعر البنغلاديشي جاسم الدين)/ تشرين الثاني، *حب بلادي وحب كنيستي/ كانون الاول.

١٩٧٣: (همسات ابو فادي منحت فسحة عام ١٩٧٣ لزاوية "أفكار" بقلم الاب بيوس عفاص).

١٩٧٤: *لبليك لبليك / كانون الثاني، *اشارات لا نجهلها / شبايط، *تحت الشجرة العتيقة / اذار. مات الملك ! عاش الملك ! ايار، *باع ... باع / حزيران، *مجانبة العطاء(ي . ح / ايلول)، من طالبة جامعية / تشرين الثاني، ماذا من شبابنا (الاب يوسف حيي) / كانون الاول.

١٩٧٥: *الى ام حاذق مع التحيات / كانون ٢، *من مذكرات دجاجتي / نيسان، *هوانا لك / تشرين ٢.

١٩٧٦: *طفلة من بغداد وشيخ من كردستان/ نيسان، *مونتريال وهموم المرأة في ريفنا/ ايلول، *كان يا ما كان / تشرين الثاني، *وهذه العقيدة / كانون الاول.

١٩٧٧: *الى شرطي المرور مع التمنيات/كانون الثاني، *من بيتنا الى المحافظة/شبايط، *تحت موسى الحلاق/ اذار، *بطافة اليها/ نيسان، *الشموع دوما تستشهد/ ايار، *طبقة المسافرين/ حزيران، *قالت لي.../ تشرين الاول، *مفاجآت صحي مستور/ تشرين الثاني، *ليس بالخبز وحده / كانون الاول.

١٩٧٨: *الروح النعس/كانون الثاني، رسالة خاصة الى مطراني/شبايط، *لمن تفرغ الاجراس؟ / اذار، *من وحي الربيع/نيسان، اذا طرق المسيح بابك غدا (راؤول فولرو)/ ايار، *على الرجال ان ينصتوا / حزيران، *استغاثة حمار/ ايلول، *رسالة الى يوحنا بولس الاول / تشرين الاول، *حكاية قديمة / تشرين الثاني، *بطافة عيد / كانون الاول.

١٩٧٩: *شيء من حكمة الصين/ك٢، احب الاطفال (ميشال كواست)/شبايط، الرجل وحده (ميشال كواست)/ اذار، *وانت ايها الصبي/نيسان، *ما أظلمك يا تاريخ/ ايار، رسالة الى يوحنا بولس الثاني/حزيران، *من دفتر عتيق/ ت٢، كل شيء... (ميشال كواست)/ ت٢، * صلاة قبل الولادة (الشاعر الارلندي لويس ماكنيس)/ ك٢.

١٩٨٠: *عودة مغترب/ ك٢، *من يجيبني؟/شبايط، *دون كيخوت والاعرابي/ اذار، *تلكس مستعجل/نيسان، *الى بريجيت باردو.. مع التقدير! / ايار، *لا اتهم / حزيران، ذلك السكر (ميشال كواست)/ ايلول، *نداء الابطال/ ت٢، *اخي..عد الينا منتصرا! / ت٢.

١٩٨١: *غدا بابوي / ك٢ - شبايط، *بدوي لا يجيد الشعر/ اذار، *حكيم من مشارف المدينة/نيسان، *رسالة من قيافا الى يسوع / ايار، حوار الطرشان/ حزيران - تموز، *من مقاتل الى حبيبتيه/ آب - ايلول، *شؤون وشجون/ ت٢، *بارك الله بالكاردينال/ ت٢، المقامة الموسلية/ ك٢.

١٩٨٢: *بوصيتي الاخيرة/ك٢، *اول ليلة في الجنة/شبايط، *كنت مهذارا يا رب/ اذار، *مزمور للحياة (شاعر مجهول)/نيسان، *صور من الحياة/ ايار، *يحكى ان... /حزيران - تموز، *الى الشهيد/ آب - ايلول، *برجك ايه...؟ / ك٢.

١٩٨٣: *امنيات العام الجديد/ ك٢، *لنلا يسمعكم الجيران/شبايط - اذار، الناسك والوحش (جبران خليل جبران)/نيسان، *والعهدة على الراوي/ ايار، *بهلوانيات على الهامش/حزيران - تموز، *درشة غير مسؤولة [في سنجار] / آب - ايلول، مشاهدات من موسكو/ ك٢.

ملاحظة : الهمسة الاخيرة من عام ١٩٨٣، كانت اول همسة ادرجت في الجزء الثاني من الهمسات ، وقد ظهر في سلسلة "مختارات الفكر المسيحي" رقم ٥ - دار بيبليا للنشر، الموصل ٢٠٠٧.



١٩٨٤: *أخي عبد السلام/ك٢، *لو كنت.../شباط، *عصافير الجنة/آذار، *أبجاءات نيسانية / نيسان - ايار، *ابن بطوطة وأسفاره/حزيران - تموز، *كلام الله الى عبده سمعان/آب - ايلول، لقاء مريم المجدلية بيسوع (جبران خليل جبران) / كانون الاول.

١٩٨٥: كيسنجر، اسحب كلامك رجاء/ك٢، *للعرض فقط!/شباط - اذار، *محروسة يا عروسة/نيسان، *الهمان الفقراء/ايار، *كيف تبني تماسك بيدك/حزيران - تموز، *ابن بطوطة وأسفاره/٢/آب - ايلول، قصيدة حب الى سيف عراقي (سعاد الصباح)/ كانون الاول.

١٩٨٦: *نحن بخير والحمد لله/ك٢، *حوار صحفي مع عبقرى ناشيء/شباط، *أولف... النخلة/آذار - نيسان، افرعوا يفتح لكم (جونسن كنانا بارانام)/ايار، *عادل، صباغ الاحذية/حزيران - تموز، *ورطة غريبة/آب - ايلول، *اشباح المدينة/ك١.

١٩٨٧: *رد اعتبار اليهم/ك٢، *رسالة الى ما وراء البحار/شباط، *اصناف الفريسيين/آذار - نيسان، رسائل الى دون كيشوت (يوسف الخال)/ايار، *من نبي متقاعد الى يسوع/حزيران - تموز، *مبايعة /آب - ايلول، *حكايات موصلية / ت٢، *بدر الدين لؤلؤ /ك١.

١٩٨٨: *رسالة من مقبرة/ك٢، *من سفر الامثال/شباط - اذار، *السعادة بين يدك/نيسان، امتحان في الايمان والحب/ايار، من وحي الفاو والسلامة واخواتهما/حزيران - تموز، احبي (الاب نعمان اوريدة)/آب - ايلول، *في رواق سليمان/ك١.

١٩٨٩: *برجك ايه.../٢/ك٢، *اضحك للدنيا بتضحكك/شباط - اذار، *في القدس يموت البابا/نيسان، *ان لم تمودوا كالأطفال/ايار، *عمري ستة عشر عاما/حزيران - تموز، *رسالة سرية الى رجال العرب/آب - ايلول، *محطات مسافر/ك١.

١٩٩٠: *افتحوا الشبابيك/ك٢ - شباط، *هموم وثنية في فصل الربيع/آذار، *الطبيب والسكر والذباية/نيسان، *اناث متفرقة/ايار، *بقرة الشيخ/حزيران - تموز، *من هاله الى ابوها العائد/آب - ايلول، *عند العرافة/ك١.

١٩٩١: *حالة النعمة/ك٢، احلام الفقراء/ايار - تموز، *عن الحمير والحملان/آب - ت٢، *ابونا شينا / ت٢ - ك١.

١٩٩٢: *ولو حفنة من التبن/ك٢ - شباط، *بطرس ويوحنا امام مجلس الامن/آذار - نيسان، من طرائف المطالعات/ايار - تموز، الصديق/ت٢ - ك١.

١٩٩٣: *مسرح الساعة العاشرة/ك٢ - اذار، *فلسفة التعاون/نيسان - حزيران، *الى خرافتي المزيذة/تموز - ايلول، *من غير العقول/ت٢ - ك١.

١٩٩٤: *حوار ساخن على باب الجنة/ك٢ - آذار، *حكاية شهر شباط/نيسان - حزيران، *التقاليد/تموز - ت٢، *فرعون والضربات العشر/ت٢ - ك١.

(مع العدد الاول بعد تسليم "الفكر المسيحي" الى الآباء اللومنيكيين عام ١٩٩٥ واصل ابو فادي همساته حتى ميلاد ١٢٠٠).

١٩٩٥: *اضحك مع "الفكر المسيحي" /ك١ - شباط، *هموم مخنوقة/آذار - ايار، *عمر الخيام يأبى ان يكون شاعرا/حزيران - ايلول، *في قاعة القديسة بربارة/ت١ - ك١.

١٩٩٦: *يعجبني... ولا يعجبني!/ك١ - اذار، *البقرة الضاحكة/تموز - ايلول.

١٩٩٧: *هذه العقدة من يحلها؟/ك١ - شباط، *يوم من المكوث/آذار - ايار، *ملاحظات من الطرق/ت١ - ك١.

١٩٩٨: *بريد السماء/آذار - نيسان، *حدث سنة الالفيين/ايار - تموز، سيدتي/ت٢ - ك١.

١٩٩٩: ٢٠٠١/ك١ - شباط، *الشيخ ابو فادي/ت٢ - ك١.

٢٠٠٠: في مضيف الشيخ/ك١ - شباط، *روديسيا وجيفارا وكروبسكايا/آذار - نيسان، *الصعاليك/ايار - تموز، *رسالة من تلفات الدنيا/آب - ت٢، *أودعناكم... في امان الله /ت٢ - ك١.

الى ابو فادي مع التحيات - فادية - ميلاد سنة ٢٠٠٠

(٥) المقالات

تشير علامة (*) الى ان المقال منشور في "المختار من الاعداد الخاصة" (مختارات الفكر المسيحي/٨، دار بييليا للنشر - الموصل ٢٠١٠)؛ اما علامة (**) فتشير الى ان الملف منشور في كتاب "ملفات الفكر المسيحي" (مختارات الفكر المسيحي/١٠، دار بييليا للنشر - الموصل ٢٠١١) - علما بان من بينها ٢٠ ملفا، بعضها اعلامي وبعضها دراسي. وتشير علامة (+) الى ان المقالات تنشر في هذا الكتاب، باستثناء المقابلات واللقاءات التي سيضمها كتاب خاص يظهر لاحقا.

١٩٧١

- ٢١ + وجهة نظر الشباب في الايمان / استفتاء/ ملف/ك٢
- ٢٥ + وجهة نظر الشباب في المسيح والانجيل/ استفتاء/ ملف/شباط
- ٢٩ + كنيسة ارلندا / ملف / نيسان
- ٣٤ + ماذا ينتظرون من الكنيسة١ / استفتاء/ ملف/ ايلول
- ٣٩ + ماذا ينتظرون من الكاهن٢ / استفتاء/ ملف/ت١
- ٤٥ + رسالة الاخ شارل يسوع الى جيلنا / ك١

١٩٧٢

- ٤٩ + هل حقا سيتحد المسيحيون؟ /شباط
- ٥٤ + دعوهم يتكلمون ولا تمنعوهم! /ايار
- **المسيحيون وفلسطين١/ ملف/ت٢ (ملفات الفكر المسيحي/٥٠)

١٩٧٣

- مع الاب رينيه فوايوم/ مقابلة/ك٢
- **معهد مار يوحنا الحبيب/ ملف/نيسان (ملفات الفكر المسيحي/ص٧٢)
- **المسيحيون وفلسطين٢/ ملف/ حزيران (ملفات الفكر المسيحي/ص٥٦)
- ٥٧ + كاهني هكذا اراه.. وهكذا اريده/ ملف/ت٢

١٩٧٤

- ٦٣ + رأيت الله وتحدثت اليه/ك٢
- مع الاب جورج شحاته فنواتي/ مقابلة/نيسان
- ٦٧ + هاتان اليدان/ايار
- ٧٠ + المسيحية والثورة في اميركا اللاتينية/ ملف/ حزيران
- مع اسرة مسيحية حول الصلاة/ مقابلة/ت١-ت٢

١٩٧٥

- ٧٥ + يا ليتك اتيت بالمسيح معك! /شباط
- ٨٠ + مجلس العلمانيين، ما هو؟ /ايار
- **التنقيف المسيحي في العراق، الى اين١٩ / ملف/ حزيران (ملفات ف.م./ص١٣٥)



-	التثقيف المسيحي في العراق، الى اين؟ ٢٩ / ملف / تا (ملفات ف.م.ص/٤٢)	
٨٣	+ مؤتمر العلمانيين في روما / ك	
-	مع الاب جاك لوف / مقابلة/ ك	
		١٩٧٦
-	مع قداسة البابا شنودة الثالث/مقابلة/ ك٢	
-	مع الدكتور موريس اسعد/ مقابلة / ايار	
		١٩٧٧
٨٧	+ كنيسة ايطاليا، هل تتكسر القيود؟ /ش.ر/ ك٢	
٩١	+ نحو لبنان جديد- جبهة المسيحيين التقدميين/ش.ر/ شباط	
٩٤	+ في سبيل رفع الانتاجية في كنيسة العراق/ منبر حر/ ايار	
٩٨	+ رسالة مفتوحة الى اخواني/ منبر حر/ حزيران	
-	+ هل سيكون لنا كهنة بعد اليوم؟/عدد خاص/ ايلول (المختار/ص٢٧)	
		١٩٧٨
١٠١	+ امنيات وحدوية ام تخطيط نحو الوحدة!!/منبر حر/ك٢	
١٠٥	+ بين الحرية والتشريع / منبر حر/ نيسان	
		١٩٨٠
١٠٩	+ افريقيا: كنيسة تبحث عن ذاتها/ ملف / ك٢	
-	+ يسوع والحرية / ملف/ شباط (ملفات الفكر المسيحي/ص٢٣)	
١١٦	+ لقاء على العاصي... / شباط	
١٢٠	+ كنيسة هولندا: وحدة الصف ام العودة الى بيت الطاعة؟/ش.ر/ اذار	
١٢٥	+ الكاثوليك في الاتحاد السوفيتي/ش.ر/ نيسان	
١٣٠	+ روميرو، الاسقف الشهيد /ش.ر/ ايار	
١٣٥	+ الشباب والتثقيف المسيحي/ ملف/ حزيران	
١٤٣	+ البابا في فرنسا: تعال وانظر! /ش.ر/ ايلول	
١٤٦	+ البابا في البرازيل: رحلة التحديات! /ش.ر/ ايلول	
-	مع مار اغناطيوس زكا الاول عيواص/ مقابلة/ تا	
١٤٩	+ كنيسة الفيلبين: على طريق الثورة / ملف / ت٢	
-	+ انسانية يسوع او يسوع الانسان/ عدد خاص/ ك٢ (المختار/ص١٣)	
		١٩٨١
١٥٥	+ وجهة نظر في السينودس/ ش.ر / ك٢- شباط	
١٥٧	+ اودولفو بيريز اسكيفل - نوبل للسلام/ ش.ر/ اذار	
١٦١	+ على تلال فلورنسا / شهادة/ نيسان	



- ١٦٥ + الجماعة المسيحية والمدينة / ايار
- ١٧٠ + ابعده من روما والقسطنطينية / ش.ر.ت ٢
- ١٧٦ + ملائكة الرحمة / طاولة/ ت٢
- ١٨٠ + كنيسة العراق بين الواقع والطموح / لك١
- ١٩٨٢
- ١٨٩ + الحركة المسكونية بين الطموح والممكنات/ مناقشة/ شباط
- ١٩٤ + رحلة البابا الى افريقيا / ش.ر. نيسان
- ١٩٩ + دير الشيخ متي / تحقيق / ايار
- *قراءة في كتاب اعمال الرسل/ تا١ - ت٢ (المختار/ص١٧٧)
- ٢٠٤ + الوحدة في التعددية: رأي الارثوذكس في قواعد الحوار المسكوني/ش.ر./حزيران-تموز
- ١٩٨٣
- **والنسيم صار تيارا. ٢٠ عاما بعد المجمع/ملف/ك٢- شباط (ملفات ف.م./ص٢٦٧)
- ٢٠٧ + جولة في مراكز التثقيف المسيحي/ اذار
- ٢١١ + القداس حدث ووظيفة / ملف / نيسان
- مع الاب فانسان دكونونكل/مقابلة/آب- ايلول
- *الاسرة خلية الكنيسة/عدد خاص/ تا١- ت٢ (المختار/ص٢٢٧)
- ٢١٩ + دير مار بهنام واخته سارة /تحقيق/ لك١
- ١٩٨٤
- ٢٢٣ + المسيحية في المغرب العربي/ملف/اذار
- ١٩٨٥
- ٢٣١ + لاهوت التحرير في قفص الاتهام/ش.ر. / ك٢
- ٢٣٥ + ديسموند توتو، نوبل للسلام / شباط - اذار
- ٢٣٨ + هنزويلا او البندقية الصغيرة/ملف/نيسان
- **السبت ام الانسان؟ /ملف/ايار (ملفات الفكر المسيحي/ص٢٣٦)
- ٢٤٤ + الحركات الشبابية المسيحية في الكنيسة/عدد خاص/ تا١- ت٢
- ٢٥٠ + الشباب في خدمة التثقيف المسيحي/عدد خاص/ تا١- ت٢
- ٢٥٦ + ماذا قال المجمع قبل ٢٠ عاما/ش.ر. / لك١
- ١٩٨٦
- ٢٦٣ + انجيل برنابا، بحث في تكوينه واصله/كتاب/شباط
- مع الدكتور موريس اسعد/مجلس كنائس الشرق الاوسط/مقابلة/ايار
- ٢٦٧ + كوبا: النسيم يهب على الكنيسة /ملف/حزيران
- *المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني بعد ٢٠ عاما/عدد خاص/ تا١- ت٢ (المختار/ص٢٤٦)

١٩٨٧

- ٢٧٧ + اطول رحلة بابوية (الشرق الاقصى) /ش.ر/ ك٢
 ٢٨١ + كنيسة اليابان: الاولوية للتبشير /ملف/ شباط
 ٢٨٩ + سينودس العلمانيين ام للعلمانيين؟ /ش.ر/ حزيران- تموز
 - مع الكردينال روجيه اتشيفاراي/ مقابلة/ آب- ايلول
 ٢٩٢ + الاسس الكتابية للاهوت التحرير/ ملف/ ت٢
 ٢٩٩ + الدورات اللاهوتية، مدرسة وكنيسة /تحقيق/ ك١

١٩٨٨

- مع المونسنيور جيرار دوكور/ مقابلة/ ك٢
 ٣٠٣ + حج الى تلة الرجاء / شهادة / شباط - اذار
 ٣٠٨ + بوروندي، كنيسة التلال / ملف/ نيسان
 ٣١٥ + المرحلة الاخيرة من قصة لفيفر /ش.ر/ حزيران- تموز

١٩٨٩

- ٣١٩ + المنظمات الدولية الكاثوليكية / ملف/ ك٢
 ٣٢٧ + كيف تنظم الصوم الكبير عبر التاريخ/ شباط- اذار
 ٣٣٠ + وطن خليك بالانسان (رسالة راعوية - لبنان) /ش.ر/ ايار
 - مع البطريك روفائيل الاول بيداويد / مقابلة/ حزيران- تموز
 ٣٣٤ + الفكر المسيحي في بوبيلها الفضلي (احتفالات بغداد) / آب- ايلول
 - *مسيرة الفكر المسيحي خلال ٢٥ عاما /عدد خاص/ ت١ - ت٢ (المختار /ص٢٨)
 - مع الاب جوزيف مونس/ مقابلة/ ك١

١٩٩٠

- مع الاب خليل فوجحصارلي /لقاء/ ايار
 ٣٣٩ + ناميبيا: معركة الاستقلال / ملف/ حزيران- تموز
 ٣٤٧ + المرسوم المجعي "في الحركة المسكونية" /عدد خاص/ ت١- ت٢
 ٣٥٣ + مع الاسرى العائدين /تحقيق/ ش.ر/ ك١
 - مع المطران عبده خليفة /لقاء/ ك١

١٩٩١

- ٣٥٧ + اذا اردت السلام احترم ضمير كل انسان/ش.ر/ ك٢- نيسان
 ٣٦٣ + الحركة المسكونية/ مساهمات القراء / ك٢- نيسان
 ٣٦٧ + الكنيسة ومبادرات الاغاثة /طاولة/ش.ر/ ايار- تموز

- ٣٧٢ + جولة في لبنان / آب - تا
مع البطريرك ميشيل صباح / مقابلة / آب - تا
- ٣٧٧ + البابا عند الهنود الحمر / ش. ر / ت٢ - ك١
- ١٩٩٢
- ٣٧٩ + جماعة المحبة والفرح / تحقيق / ك٢ - شباط
+ البابا يلتقي بالاسلام الزنجي / ش. ر. آذار - نيسان
- ٣٨٤ + اللقاء الثاني لبطاركة الشرق / ش. ر. آذار - نيسان
- ٣٨٧ + راهبات القديسة كاترينة / تحقيق / ايار - تموز
- ٣٩٠ + الذكرى المئوية الخامسة لاميركا اللاتينية / ملف / ايار - تموز
- ٣٩٥ + القداس شهادة ايمان وحياة / طاولة / آب - تا
- ٤٠١ + البيئة الثقافية لمسيحي الشرق / كتاب / ملف / ت٢ - ك١
- ٤٠٦
- ١٩٩٣
- مع المطران انطوان اودو / مقابلة / نيسان - حزيران
- ٤١٣ + الاناجيل الازائية في مؤتمر الرابطة الكتابية / ش. ر. نيسان - حزيران
- ٤١٦ + كاني ماسي / بين الماضي والحاضر / نيسان - حزيران
- ٤١٨ + بهاء الحقيقة (رسالة بابوية عامة) / ش. ر. ت٢ - ك١
- ١٩٩٤
- ٤٢٣ + البابا تحت الرقابة / كتاب / نيسان - حزيران
- ٤٢٧ + بطاركة الشرق في العراق: زيارة تضامن / ش. ر. نيسان - حزيران
- ٤٣١ + الفكر المسيحي، مدرسة فكرية في كنيسة العراق / عدد خاص / تموز - تا (المختار / ٤٣٧)
- *عالم الرهبان والراهبات / ملف / ت٢ - ك١ (ملفات الفكر المسيحي / ص ٤٦٢)
-

- + وجهة نظر الشباب في الإيمان / استفتاء/ ملف/ك ٢
- + وجهة نظر الشباب في المسيح والإنجيل/ استفتاء/ ملف/ شباط
- + كنيسة إنلدا / ملف / نيسان
- + ماذا ينظرون من الكنيسة (١) / استفتاء/ ملف/ ايلول
- + ماذا ينظرون من الكاهن (٢) / استفتاء/ ملف/ ت ١
- + رسالة الاخ شارل يسوع الى بني جيلنا / ك ١



وجهة نظر الشباب عن الإيمان

ظاهرة الخنافس والهيبي التي انطلقت من انكلترا، ثورة الطلاب التي دوت رصاصتها الأولى في باريس، والبوب آخر التقلبات الأميركية، وغيرها مما يقذف به المجتمع الغربي اليينا من فضلات استهلاكه المحلي؛ كلها أبطالها شباب. شباب متعب، ضائع، يبحث عن قيم جديدة وأسس جديدة لمجتمع لا يعرف هو نفسه شكله النهائي.

إن رذاذا قويا من هذا الإعصار أخذ يعمل بين شبابنا العراقي لا سيما فالمثقف، استيقظ بعد تملل، يتساءل عما يجري في أعمقه. وهذه التساؤلات لا تقتصر على النواحي المجتمعية حسب، بل تتعداها إلى النواحي الدينية والإيمانية نفسها.

نكران؟ تخلي؟ أزمة إيمانية؟ أم ثورة على كل قديم؟

قد يكون ثمة شيء من كل ذلك: هناك المتطرفون والناقمون وهواة كل بضاعة جديدة؛ هناك "المتحررون" واللاباليون، وهناك قلوب لازالت بعافية تمفو إلى القمم. فإوادر هذه "الثورة" الداخلية التي تتفاعل في إيمان الشباب المسيحي العراقي المعاصر قد لا تهدف إلى أكثر من التحديد وإعادة الدماء الشابة إلى إيمان يعتمد على ألفي سنة من التقليد المتوارث. والتحقيق التالي، ما هو إلا انعكاس لهذا الموقف، فقد أتت الإجابات على أسئلتنا صريحة وشخصية مما يدعم أصلاتها ويكشف لنا عن المكانة التي يشغلها الإيمان في اهتمام بناة غدنا المسيحي في هذه البلاد. وسنوافيكم في العدد المقبل بتحقيق مماثل عن وجهة نظر الشباب في المسيح والإنجيل.

الإيمان التزام

إن الإيمان المسيحي ليس مجرد رصيد ورثناه عن آباءنا، وما لنا إلا أن نعرف منه من دون عناء. ليس هو ضمانا يدعو إلى الركون، بل هو بناء يرتفع، انه مجازفة؛ ولا بد أن نختاره، في فترة من فترات الحياة عن وعي وحرية، أن نختاره ثمجا حياتنا والتزاما.

- "الدين المسيحي ليس فلسفة، أو نقابة، أو حزبا انتمينا إليه. الدين المسيحي يلزمننا كل يوم، بل كل لحظة، لا بصفتنا بشراً حسب بل بصفتنا تلاميذ المسيح. الدين المسيحي ليس أخلاقية نطبقها بحذافيرها، انه حب: حب الله وحب البشر. زعمنا بحب المرء لا يكفي بالقول". (طالبة ١٩ سنة)

... بعد جهاد

– هل مرتت بأزمة إيمانية...؟

- "نعم مرتت في أزمة إيمانية قبل سنوات حيث كنت لا اعتقد بوجود الله، وكنت أقول إن هذا العالم يعبد شيئا غير موجود". (طالبة هندسة - ٢٠ سنة)
- "نعم لأني كنت سطحي التفكير ومعلوماتي عن الدين المسيحي سطحية غير مؤيدة بأشياء واقعية". (طالبة طب - ٢٢ سنة).
- مرتت بأزمة إيمانية وشككت في إيماني المسيحي؛ اما فكرة التخلي عنه، فكانت بعيدة نوعا ما، إلا أنني فكرت بتقليل التزاماتي الدينية. والسبب في ذلك كان شعوري أن الدين يطالبنا بأشياء خيالية لا يمكننا القيام بها وفكرت بان هذه المطالب يجب أن تتطور، لكونها صيغت في عصر غير عصرنا". (طالبة علوم - ٢٤ سنة)

... وحيرة

ان معظم الذين أحابوا إلى أسئلتنا مروا في رجات إيمانية متفاوتة يصطدم بها صفاء إيمان الشباب المسيحي "كالبينة الضيقة" و"الفلسفات الإلحادية" و"المادة" و"الجنس" و"الفكرة العلمية التي تعتمد الملاحظة والحس" و"الجهل" و"الإباحية المستوردة وتقليد المدينة الغربية بفوضى" و"الاختلاط الغير الواعي" و"الكبت". وهناك تيار جديد وهو أن كل الديانات تتساوى. انه ضرب من "لا أدرية" المتني، وذلك وبال ليس على المسيحية حسب، بل على مبدأ الدين عامة، لأنه ينسفه من أساسه، وقد أشارت بعض الأجوبة إلى نواح أخرى "كقلة الثقافة الدينية" و"الضعف والخوف الذي يربع الشباب المسيحي من جراء التفرقة والتجزئة بين الطوائف".

إن هذه العوامل قد تقود إلى الشك أو القطعية ما لم نعالجها ونفتح حوارا صريحا وبناء أساسه الاحترام والحب مع شبيبتنا التي لا زالت، في سوادها الأعظم، تحب المسيح ولا تبغي إلا معرفة المزيد عنه. انما لا تستوجب إدانتنا، فهي ليست متمردة ولا يجدر بنا أن نتجاهلها ونتجاهل آراءها وتطلعاتها، وإلا لتجاهلتنا هي ورمتنا في متحف الآثار والفولكلور، وان أنصفت لأهملتنا نعظ في الهياكل الفارغة.



تأصل في الممبح

إن نحن تفهمنا شبيبتنا وعضدناها في كفاها اليومى: ستكون هذه التأثيرات وتلك الأزمات بمثابة محك لإيمانها وتأصلها بالمسيح:

"أمر أحيانا بأزمات إيمانية، ولكن سرعان ما ارجع إلى إيماني المسيحي، والحمد لله لم أفكر يوما في التخلي عن الإيمان، لأنني جبلت بحب المسيح ولا يمكنني أن أتخلي عن اعز واخلص صديق لقلبي". (طالبة - ١٨ سنة)

ونبذ لكل تزييف

إن جل ما يريده شبابنا هو أن ينجلي إيمانه عن كل تزييف ويتجسد في واقع الحياة والعمل.

• "من التأثيرات التي تشوب شبابنا في نظري نوع من التمرد على القدم الذي اخذ بصفاء إيمانهم فعبروا عنه بغياهم عن الممارسة الدينية، لأنهم يحسون أن الممارسة الدينية هي نوع من التقليد، أو هكذا يصفونها. إننا نريد أن نمارس إيماننا في هذا القرن بنوع من التجديد، وهذا ليس تمردا على الإيمان نفسه". (طالب زراعة - ٢١ سنة)

• "أنا لا أظن أن شبيبة عصرنا اقل إيمانا ممن سبقها، إن ما يهمننا نحن هو الأصالة، فنحن نرفض مجتمعا يعيش على التقاليد مجرد أنها عريقة، ونرفض من الديانة كل تزييف لا زال عالقا بها". (مساعد محاسب - ٢٤ سنة)

الحياة الأخرى: التقاء بالممبح

تفاوتت الآراء عن "الحياة الأخرى" فهذا يتخوف منها، وذلك لا يفهم طبيعتها، وتلك بالرغم من شكوكها المتقطع مقتنعة من وجودها ويهملها أمرها. وغيرهم لا يهتم كيف تكون، حسبهم أن يمارسوا إيمانهم "من اجل المسيح".

الصلاة: حديث أصدقاء

لا تحتل الصلاة مساحة كبرى لدى جزء من الشباب أو تبقى سحينة الأطر التقليدية والصيغ المتوارثة. إلا أنها حديث أصدقاء، يتعدى مقياس الاستجداء والاسترحام، لدى غيرهم:

• "كلا، لا أصلي، لان فلسفتي هي التطبيق وليس لفظ الكلمات" (طالب آداب - ٢١ سنة).

• "كنت اعتقد بان الصلاة مجرد طلب معونة الله، ولكن بعد دراسة عن الصلاة عرفت معنى الصلاة ولماذا نصلي: لأننا نحب الله فنريد أن نكلمه بكلمات بسيطة" (طالب طب - ١٩ سنة).

• "وقد أصبحت الصلاة غذائي. أما الفترة التي اتوق إليها للتعبير عما في قلبي لأعز من أحب" (طالب علوم - ٢٥ سنة).

الشهادة للإيمان: بالحياة قبل الكلام

أما عن الشهادة للإيمان ونشره في المجتمع، فهناك أقلية تعتبره "قضية شخصية"، وفتة تصطدم بمقدار اللابالية، فتتهقر أو تنطوي على إيمانها.

- "في الحقيقة اعتبر الإيمان قضية شخصية ثماني أنا وحدي فقط في مجتمع لا يبالي بالمثل الذي يتخذه الفرد في سلوكه وكلامه" (طالب آداب - ١٩ سنة).
- "من واجبي فقط أن أدافع عن الإيمان لا أن انشره، لان نشر الإيمان يتطلب شجاعة" (طالب علوم - ١٨ سنة).
- أما الأكثرية، فتعني وجوب نشره وتتفق الآراء كلها على أن "السلوك المسيحي الصحيح هو ابلغ شهادة للإيمان". وغيرهم يضيفون إلى شهادة الحياة نشاطا رسوليا يعتمد على إعلان الكلمة.
- "اشعر أن علي واجبا ألقاه المسيح على عاتقي: أن ابشر بكلمته، لا يهمني أن كان ذلك بالكلام أم بالمثل أم الأعمال. المهم أن أكون جسرا يصل بين رسالته وبين المجتمع الذي أعيش فيه، لأنني أضع نصب عيني قوله: "كما أن الأب أرسلني كذلك أنا أرسلكم" (طالبة آداب - ١٨ سنة).
- "من الضروري أن أودي شهادة عن إيماني وانشره في المحيط، لأنه بعد التشبع من الإيمان علي أن أعطيه لأصدقائي بكلامي وتصرفي وخدمتي، فاجعلهم يكتشفون المسيح من خلال حياتي" (طالب هندسة - ٢٠ سنة).

الخلاصة

إننا لم نأت، لضيق المجال، على جميع الأجوبة التي عبر فيها الشباب بحرية عن إيمانهم ورفضهم. إن معظم شبابنا لا زالوا يؤمنون، وان اعترت درهم بعض الشكوك والتأثيرات. أهم يرون في المسيحية عقيدة تستحق أن يحياها المرء وينعش بها نظام المجتمع.

هؤلاء الشباب يبحثون عن أصول جديدة لمسيحية الغد، فكل الشهادات التي أتتنا تفصح عن إرادة لازمة في خدمة المسيح، إرادة تأتي أن ترقد المسيحية في العراق، أو أن تبقى تطفو بين الموت والحياة. أنهم لا يبغون الهدم بل البناء ولا يفكرون بالهجر بل بالبقاء، ولكن أحياء يسمعون. اجل قد يكون الإيمان لدى الشبيبة عامة اقل اتساعا أفقيا، غير انه أكثر عمقا عموديا. أنهم يعانون عطشا حقيقيا إلى حياة مسيحية ابلغ اقتناعا وأكثر عطاء.

فلا ريب أن إنجيل يسوع لن يخيب آمالهم، ولا كنيسة المسيح التي يفدونها بدمائهم.

وجهة نظر الشباب في المسيح والإنجيل

رأينا في العدد السابق أن ما يبحث عنه الشباب المسيحي في خضم التيارات الفكرية المعاصرة، هو فك الإشكال الظاهري القائم بين الإيمان والحياة؛ فالإيمان رسالة للحياة، لحياة كل الناس، لا احتكار لثاني، والإنجيل "رسالة بريديّة"، كما يشبهه الكردينال سواننس عميد أساقفة بلجيكا، يجب إيصالها إلى أصحابها.

ستبقى "الرسالة" راقدة في صندوق البريد ما لم تتأصل عقيدتنا في شخص المسيح وفي دينامية إنجيله.

إن التحقيق التالي يدخلنا في ضمائر شبابنا لنرى من هو المسيح بالنسبة لهم، وهل للإنجيل موضع في حياتهم الصاخبة.



من ترى المسيح في نظر الناس؟

السؤال هو للمسيح نفسه، وقد ألقاه على تلاميذه في ضواحي قيصرية فيلبس: لبعض هو يوحنا المعمدان؛ ولغيرهم ايليا؛ هؤلاء ارميا ولأولئك واحد من الأنبياء الأولين...

لاشك أن للمسيح في عصرنا مزاحمين أكثر مما كان له في عهد السوالي الروماني بيلاطس البنطي، وراء الناس في تضارب أيضا. كثيرون في أيامنا تستهويهم شخصيات أخرى يصفونها بالواقعية أكثر من مثل ماو وشي غيفارا وكاسترو وماركس. والمسيح، بين هؤلاء - إن لم يكن دونهم - ما هو إلا فيلسوف حالم ومؤسس ديانة كبرى لا أكثر.

مصلح اجتماعي

هناك عدد متزايد ممن يرون في المسيح مصلحا اجتماعيا عظيما فهم مشاكل البشرية، وأحب الإنسان في صلب كفاحه اليومي. هذا هو رأي رينيه اندريو رئيس تحرير صحيفة "الإنسانية" (Humanité) الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الفرنسي: "يسوع المسيح هو بالنسبة إلي إنسان ناضل من أجل الإنسان بين الناس، لا أكثر ولا أقل - وهذا كثير في عيني - إنني أرى فيه رمزا للإنسان المستقيم الذي يناضل ويضحى بذاته ليحلب سعادة أكبر إلى أرض البشر".

إن هذا الجانب من شخصية المسيح كبير الأهمية بالنسبة إلى شباب اليوم لاتصاله مباشرة بكفاح الإنسان اليومي:

● إن يسوع بالنسبة إلي هو نبي ومصلح اجتماعي فقط " (طالب علوم - ١٩ سنة).

- ... واثار أيضا، فقد ثار على النظم والتقاليد الفاسدة التي كانت سائدة في مجتمعه" (طالب آداب - ١٩ سنة).
- المسيح: شخص يحمل أفكارا تقدمية وقد عاش طوال حياته بسيطا ومهتما في حل مشاكل العالم ونشر مبادئ السلم واخبة الشاملة، ومات من اجل هذه الفكرة" (طالب علوم - ٢٤ سنة).

المسيح: حب الله المتجمد

إن الدين المسيحي مؤسس على شخص المسيح، لا لكونه مصلحا اجتماعيا فذا أو نبيا عظيما أو "عالما نفسيا دقيقا" (طالب آداب - ٢١ سنة)، إنما لكونه كلمة الله المتجسد من اجل حياة العالم وسعادة الإنسان، كل الإنسان، روحا وجسدا، عقلا وقلبا، وهذه هي ميزة الإيمان المسيحي: "الابن يعطي الحياة الأبدية... وهي أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي الوحيد، والذي أرسلته يسوع المسيح" (يو ١٧: ١ - ٣). وقد رددت الأجوبة صدى هذه الحقيقة الأساسية، مع تردد أحيانا:

- "المسيح؟ - مصلح اجتماعي عندما تتناهى الشكوك، والاه عندما أعود إلى صواي، واثار عندما أثور على المجتمع، ولكنني لا اعتبره نبيا لأنني لا اعترف بالأنبياء" (طالب علوم - ٢٣ سنة).
- وغالبا بالحرارة نفسها التي أعلن بطرس في قيصرية: "أنت المسيح، أنت ابن الله الحي!":
- "المسيح شخص وهب نفسه من اجل حياة العالم، لأنه أحب البشر، وأنا مقتنع من انه إله" (طالب علوم - ٢٤ سنة).
- "بين يسوع في كلامه وأعماله انه ليس نبيا يسأل فيعطى... بل هو اله يفعل بقدرته ما يشاء، فالذي هو القيامة والحق والحياة لا يمكن أن يكون إلا الله بالذات" (طالبة آداب - ١٨ سنة).

شخص حي

ليس المسيح أسطورة، ولا هو إنسان عاش قبل ألفي عام، ولا صلة له بيومنا، انه شخص حي يواصل حياته في المؤمنين به وملتقى به كل يوم "في ابتسامه الصديق" و "الطف أستاذ الكيمياء" و "المرأة التي أقدم لها محلي في الباص" و "الفتاة التي أحاول إعادتها إلى طريق الصواب" و "في كل عابر سبيل أتبادل وإياه كلمة لطيفة".

صديق جدير بالحب

هذا الشخص الحي، مع كونه جديرا بالحب، والتقدير، تتعذر إقامة علاقة شخصية معه لدى البعض، لعدم خضوعه للرؤية والحواس؛ أما لغيرهم فهو قريب، وبإمكان أي إنسان أن يقيم معه علاقات صداقة روحية شخصية "عن طريق الصلاة والتأمل والإنجيل":

- "إنني أحب يسوع وكأنه احد أقربائي، بل اعتبره الصديق الأمين، والأب الحنون. اعتقد أن علاقة الخبة التي تربطني بالمسيح هي علاقة شخصية، فإني عندما أقرأ كلماته اشعر وكأنني أقرأ رسالة من صديق مخلص" (طالبة آداب ١٩ سنة).
- "المسيح صديق حاضر في حياتي، وان لم أفكر به دوما. عندما تسود الدنيا في عيني، عندما افرح، عندما يزعجني احد، اخبره بالأمر. إني أقص له حياتي، واكلمه عن عملي فيصبح مُباري كله صلاة. وكما يحدث بين الأصدقاء، فإني "ازعل" معه أحيانا، ولكن الفرق بينه وبين غيره من الأصدقاء هو انه لا يزعج مني رغم كوني على خطأ" (طالب اقتصاد - ١٧ سنة).

وهكذا تعكس معظم الأوجوه أن المسيح أكثر من مصلح فشل في إقامة "المدينة الفاضلة" التي تمانها الفارابي من بعده. انه ابن الله المتانس الذي مات وانبعث حيا، واتى ليحرر الإنسان فيجعله أكثر إنسانية، ذلك الذي لا بد أن يلاقيه كل مسيحي لقاء شخصيا، يوما ما.

إنجيل ربنا يموع المسيح

الديانة المسيحية جزء من الإنجيل.

إن الطقوس الدينية والأنظمة الكنسية والسلطة... كلها بوسعنا أن نجد لها، أقل أو أكثر، في ديانة أخرى، في كتاب آخر. أما أن يكون الإنجيل كتابا يحوي بين دفتيه حياة شخص جسده حضور الله بين البشر، شخص يدعو الإنسان، كما لم يدعه أي داعية لا من قبله ولا من بعده، إلى الخلود، إلى الحياة الإلهية، إلى حياة البنوة والصدقة مع الله... هذا ما ينفرد به الإنجيل. فماذا يقول عنه شبابنا؟

هل تطالع الإنجيل؟

كان يوم يعتبر حدثا وجود نسخة من الإنجيل، أو الكتاب المقدس كاملا، في البيت. أما الآن، فشبيبتنا والعائلات المسيحية تتداول الإنجيل أكثر فأكثر، وتجتمع، هنا وهناك، للتأمل به وشرحه. وقد نشطت حركة نشر كتاب الإنجيل في بلدنا منذ عشر سنين، فقد بيع منه في مكتبة الآباء الدومنيكان بالموصل وحدها بين عامي ١٩٦٠ - ١٩٧٠ (٤٣٣٠ نسخة)، يضاف إليها أعداد مضاعفة نشرت عن طريق مكاتب الإحوة البروتستنت. ونحن نتطلع إلى اليوم الذي يصبح الإنجيل كتاب كل أسرة مسيحية، كتاب كل شاب وشابة. إن معظم الذين وجهنا إليهم أسفلتنا طالعوا الإنجيل، فترك فيهم أثرا عميقا:

- "إن مطالعتي للإنجيل تركت في أثرا عميقا، فقد أصبح لي كالنور يضيء حياتي وارى فيه مرجعي الأكبر في احزائي ومشاكلي وأفراحي" (طالب زراعة - ٢٠ سنة).
- "أطالع الإنجيل منذ أربع سنوات. فقد غير حياتي وأفكاري تغييرا جذريا، وأصبحت احكم على كل شيء على ضوءه" (طالب هندسة - ٢٠ سنة).
- "انه المعلم الأول لي في حياتي" (طالب طب - ٢١ سنة).

كتاب شرائع كغيره

هناك قلة لا تجد في الإنجيل أكثر من كتاب ديني كغيره، يختار كل واحد من "شرائعه" ما يلائم مبادئه الأخلاقية أو الاقتصادية أو السياسية أو الفلسفية.

انهم نفى وهم لان الإنجيل ليس بحثا أخلاقيا، وان حمل أسمى الأخلاقيات، ولا هو دليل سياسي، وان رسم أروع المبادئ في العلاقات الإنسانية.

مثالية الإنجيل والحياة المعاصرة

فمن نظر إلى الإنجيل من خلال هذا المنظار الضيق لا يسعه أن يرى فيه أكثر من كتاب قد يحوي مبادئ سامية ولكنها خيالية يستحيل تطبيقها. لذا تضاربت الأوجوه على السؤال التالي.

- هل ترى ممكناً التوفيق بين مثالية الإنجيل ومتطلبات الحياة العصرية؟ هناك نفي قاطع.
- "كلا ومليون كلا... لا يمكن التوفيق بين مثالية الإنجيل ومتطلبات الحياة العصرية كالرقص ومودة العصر والسينما والنوادي والاختلاط" (طالبة آداب ٢١ سنة).
- "أنا شخصياً اعتبر مبادئ الإنجيل خيالية، وليست لها أية علاقة بواقع الإنسان الحالي ومبادئ المدينة والتقدم، لذا لا يمكنني الاستفادة منه" (طالب هندسة ٢١ سنة).

إلا أن هناك من يرى -معظم الأجيال- إمكانية التوفيق، إذا ما فهم الإنجيل على حقيقته وطبقت مبادئه بحكمة وتبصر وتقدير لظروف الزمان والمكان، لأن الإنجيل الذي عاصر عشرين قرناً من الحضارات المختلفة وساهم في تكوينها، لا يعقل أن يكون عاصرنا مثواه الأخير. فالظواهر الاجتماعية العصرية لا تتناقض وإياه إن لم تذلل كرامة الإنسان، وستبقى مبادئه تنفخ الروح في التقنية وتلهم الثورات الحقيقية وتقلس الحب الذي يسمو على الجنس:

- "نعم التوفيق ممكن، وأعلن ذلك بكل جرأة وشجاعة مقرونتين باقتناع كلي: يمكنني أن أعيش الإنجيل دون التنكر مطلقاً لمتطلبات الحياة العصرية - وهذا ما فعله الآن بالرغم من مجابهة الآخرين لفكري- إني أريد العمل على نشر هذه الفكرة وتحطيم الآراء التي ترفض للإنجيل حق الدخول في الحياة الاجتماعية أو تنكر عليه قوة روح الحياة العصرية" (طالبة علوم - ٢٥ سنة).
- "ممكن... ولكن بتفهم ووعي، وأنا شخصياً أكسبني تطبيقي لمبادئ الإنجيل شخصية أقوى وعقلية أوسع" (طالب طب - ٢٢ سنة).

دهتور حياتي اليومية

الإنجيل موجه إلى كل مسيحي شخصياً:

- "انه دستور حياتي، يتكلم معي مباشرة، ويناقشني مشاكلتي" (طالب آداب - ٢١ سنة).
- "إن الإنجيل موجه كهربائية بالنسبة إلي، وبواسطته أوزع جميع الالكترونات على كل فرد في المحيط" (طالب علوم - ٢١ سنة).

وكتاب البشرية

- "في رأيي ان الإنجيل كتاب الكتب، فيه من المبادئ ما يجعل البشرية تعيش في أفضل حال، لو سارت على نورها" (طالب هندسة - ٢٢ سنة).
- "الإنجيل ليس كتاباً شخصياً أو سورياً. انه كتاب للجميع، ويمتاز عن سائر الكتب بأن الإنسان يشعر لدى قراءته براحة نفسية وطمانينة لا يجدهما في اي كتاب غيره" (طالب زراعة - ٢٠ سنة).

...وانت؟ ما صدق المسيح وإنجيله في حياتك اليومية...؟ هل من صلة بينك وبينه؟ هل التقيت به في طريق حياتك وانضمت إليه، أم هل قلبت شفيتك وسار كل في اتجاه معاكس؟ هل قرأت إنجيله، أم رأيت أن كتاب "كفاحي" لهتلر أو مذكرات شي غيفارا أكثر فائدة من معرفة اخبار ناصري اعدم صلباً منذ ألفي سنة كما اعدم ملايين قبله، ونسيهم التاريخ؟ ما هي الصورة التي تصوغها في شرك ليسوع الذي يدعى المسيح، هذا الذي نبشر به منذ عشرين قرناً ونحن نعتقد انه لازال "الورقة الراجعة" الوحيدة لي ولك، وللبشرية ولكل إنسان؟

اجب...

ملف/شباط ١٩٧١

كنيسة أيرلندا

يتناول "ملف العدد" في هذا الشهر ريبورتاجا عن حياة الكنيسة في أيرلندا وجوانبها الثقافية والاجتماعية والدينية في إطارها التاريخي المعاصر. ونأمل أن نواني القراء بين الحين والآخر بتحقيقات مماثلة عن الكنيسة في مختلف البلدان.

نشر الرسام الكاريكاتوري كومهار ليدول أربع خرائط كاريكاتورية لأيرلندا تمثلها الأولى في أعين أهلها "جزيرة العلماء والقديسين" وقد علتها القبة الجامعية وهالة الأولياء، وتعكس الثانية نظرة الانكليز إليها فتراها قطعة واحدة مع أرض بريطانيا العظمى لا يفصلها عنها حتى ولا خط وهمي. بينما استعص عنها في الخارطة الثالثة برمزا، وقوامه وردة النفلة المثلثة الأوراق تسح بجانب انكلترا. هكذا يتخيلها الأميركيون. أما للاوريون فلا وجود لها في قاموسهم، لذا حذفوها من الخارطة الرابعة!

فإلى قبضة من السنين كانت الشمس تشرق وتغرب على أرض أيرلندا دون أن يحدث ما يسترعي انتباه العالم الخارجي، وفجأة تحركت "جزيرة الزمرد" كما يسميها أصحابها، بعد صمت طويل وحملت البنا موجات الأثير والصحف أصداء المعارك التي أفادت العداء التاريخي المكبوت بين الكاثوليك والبروتستنت، فأخذنا نتساءل ما معنى الحرب الدينية التائهة في قرن التقارب المسكوني العالمي؟ إن الحرب الحقيقية ليست بين الكاثوليك والبروتستنت بل بين الأيرلنديين والانكليز، بين حقوق أقلية مظلومة وامتيازات أكثرية مستبدة، فالمسألة اقتصادية سياسية وليست دينية إلا بمقدار ما يستغل الدين للتغطية عنها.

ولكن لا نستبق، ف قضية أيرلندا الشمالية ليست الا جزءا من قضايا أيرلندا، ولا يمكنها فهمها إلا في إطار اطلاعنا على حياة الكنيسة في هذه البلاد، عبر تاريخها الحافل بالجهاد. وهذا التاريخ نفسه سيكون لنا خير معين لمعرفة وجه المسيحية الأيرلندية المعاصرة وتطلعات جيلها الجديد.

المعجزة الأيرلندية

ترقى المسيحية في أيرلندا إلى القرن الخامس حين انطلق القديس باتريك من مقاطعة بريطانيا الفرنسية حاملا مشعل الإنجيل إليها وأصبح رئيس أساقفة لمدينة أرماغ. ومن هناك انتشرت المسيحية في سائر أرجاء الجزيرة ودخل القديس باتريك عالم الأسطورة في تاريخ أيرلندا بحيث أصبح اسمه مرادفا لاسمها. وطبع كنيستها منذ نشأتها بطابع روحانيته الرهبانية والتبشيرية معا، فالتبشير لدى الأيرلندي دم يجري في عروقه. إن همه الأكبر في كل بقعة جديدة حل فيها، حرا أم منفيا أم مهاجرا، هي أن ينشر الإيمان الذي ورثه عن القديس باتريك.

"المعجزة الايرلندية" هي معجزة المرسلين الذين انتشروا في اسكندنافية وكل أوروبا بأساقفتهم المبشرين ورهبانهم وأديرتهم يثبتون مبشريهم القدامى ويفتحون للمسيح ممالك جديدة. "وهكذا كانت ايرلندا فلسطين جديدة، كما يقول المؤرخ الفرنسي دانيال روبس، تبعت الرسل إلى بقاع أوروبا والدنيا". واليوم أيضا لازال ١٢/١ من مجموع المرسلين ايرلنديين.

لقد ولد الايرلندي على ظهر سفينة، فحبه للأسفار والهجرة (١٧٠٠٠ مهاجر سنويا) لا يضاهيه سوى حبه للتبشير، لذا فهو يحتفظ في قلبه ويورث أبناءه أينما حل هذين الحبين: حب جزيرته وحب كثرته التي حملها معه إلى بوسطن وشيكاغو في القرن الماضي حيث ازدهرت الجالية الايرلندية وكانت في أساس الكتلثة الأميركية، وفي استراليا حيث كان معظم الكاثوليك، إلى وقت قريب، ايرلندي المنشأ، وفي انكلترا حيث كان أساقفة انكلترا كلهم ايرلنديين إلى عام ١٩٣٠.

• وجه المسيحية الايرلندية التقليدية

إن المسيحية الايرلندية صاغتها أجيال متعاقبة من الجهاد الوطني والمجاهدة الدينية والفقر الاجتماعي، فصقلتها على الاعتزاز القومي والحذر والتقوى الاجتماعية العاطفية، حتى غلب عليها طابع الانطواء والحفاضة، مع ما في ذلك من قيم سلبية وإيجابية. فالايرلندي حار الطباع، غضوب، ولكنه لطيف ومضياف معا. انه فوق كل شيء شديد التمسك بتقاليد أسرته وكنيسته، ولا وجود "للحياء البشري" في حساباته، فهو لا ينجل من رسم إشارة الصليب كلما مر أمام كنيسة، وليس من النادر أن يركع الراقصون للصلاة وسط "البيست" بعد دورة أو دورتين في حفلات التعارف التي تنظمها الخورنة. إن هذه الازدواجية من خصائص الايرلندي، فالسكر يجاور الصلاة وجماعات الشباب أهلي الذين يتراصون على مقاعد ضيقة حول فتيات لعبوات بالميني جوب، في النوادي الليلية مساء السبت، هم أنفسهم الذين تضيق بهم الكنائس أيام الآحاد والأعياد حيث يكثر المعترفون والمتناولون، وحضور المؤمنين في قدايس الأيام العادية مألوف. وتقدر نسبة الممارسة الدينية ب ٩٠% (٨٣% لدى الجامعيين)، أما المواعظ فقليلة. وتكثر صور القديسين والإيقونات في المنازل والكنائس. وأوسع العبادات انتشارا عبادة الوردية وقد روجتها الأخوية المريمية التي أبصرت النور في دبلن عام ١٩٢١، وتكاد تكون المنظمة الرسولية العلمانية الوحيدة في ايرلندا، كل هذا يوحي بتأثير الكنيسة العميق على المجتمع الايرلندي؛ ولا غرو في ذلك، فالكنيسة تمسك زمام التعليم بمختلف مراحلها، وإلى وقت قريب كان مفتاح الصحافة والنشر ملكا لها أو يتحرك بوحياها.

• رياح ما بعد المجمع

إلا أن الأمور أخذت تتحرك الآن بعد هبوب رياح المجمع الذي لم تصل ايرلندا عنه إبان انعقاده إلا أصداء بعيدة، وقد تكون خيرة كنائس أوروبا إحدى غنائم هذا التحرك البطيء.

غير أن هذا التحرك، وإن متأخراً، هو محور مجابهة بين جيلين، جيل المحافظين المتمثل في رئيس أساقفة دبلن ماك كويد (٧٦ سنة) وقسم كبير من الرعيل المولود حوالي ١٩٠٠، الذي يرى في كل جديد تخلياً وفي كل نشدان للرفاهية وجهاً من أوجه الوثنية... وجيل التقدميين أو المحددين، ويتمثلون بالعناصر الشابة من الكليروس والعلمانيين. فهناك فريق من الكهنة الشباب المطلعين على الفكر الحديث يقودون الحركة التجديدية، منذ ١٩٦٦، مندفعين بغيرة إرسالية ظاهرة "لعصرنة" سبل إبلاغ الكلمة والانفتاح إلى حاجات إنسان اليوم وتطلعاته وكسر طوق التزمّت بعد أن زالت موجباته التاريخية.

وينظم إلى هذه النخبة عدد متزايد من العلمانيين الواعين الذين يرغبون المساهمة في حياة الأمة والكنيسة بالتزام أكثر تفهماً للواقع وبروح نقدية بناءة، تحذوهم في ذلك إرادة واضحة في التحرر من السيطرة الكليريكية التقليدية؛ والشبيبة الجامعية في الطليعة من هذا التيار الذي تشتتله انعكاسات التحول الاقتصادي والأخلاقي الذي يتجه نحو مجتمع اشتراكي علماني، ونلقى أصداء هذا التيار في صحيفتين هما "العلمانية المستقلة" المنفتحة للحوار والتجدد ويشترك في تحريرها كاثوليك وبروتستنت؛ و"العقيدة والحياة" ويصدرها الآباء الدومنيكيون، وتعكس وجهة النظر اللاهوتية الحديثة في توفيق وتجسيد العقيدة في الحياة العصرية والقضايا الاجتماعية.

ومجلس الأساقفة الذي أخذ يتطعم بدماء شابة سائر في تنظيم ذاته، بحسب أسس ودينامية جديدة مستوحاة من تعاليم المجمع والواقع الإيرلندي ليواجه موجة التحدي والتساؤل المستيقظة والتباعد عن الكنيسة، وليعالج تقلص الدعوات، وإن لم توح نسبتهم العالية بعد بالقلق.

المسألة الإيرلندية

دخلت إيرلندا في فلك التاج البريطاني منذ القرن الثاني عشر. إلا أن الضربة الكبرى أمتها باحتلال هنري الثامن (١٥٣٦) وإعلانه ذاته ملكاً على إيرلندا ورئيساً أعلى لكنيستها، ومحاولته إرغام أهلها على هجر الكتلثة واعتناق البروتستنتية، فجاهه مقاومة عنيفة كانت نتيجتها الحركة التحررية الأولى بعد ثلاثين عاماً. وتكررت الانتفاضات وتتالي القمع والقوانين المحقفة. وفي فترة ضعف، منح شارل الأول حرية العبادة للكاثوليك (١٦٤٦)، إلا أن كرومويل انقض عليهم من جديد (١٦٤٩) ودمر كنائسهم ولاحق الكهنة وسحق كل مقاومة بشراسة هولاء كوية. وتجلّى الحقد الشعبي الدفين ضد قوات الاحتلال، لا سيما حين انتزعت الأراضي من أصحابها ووزعت على ملاكين انكليز ووضعت قوانين جديدة لحرمان الكاثوليك من حقوقهم السياسية والوظائف العامة.

كانت النتيجة مريعة: وطن جريح وشعب نازف، إلا أن المسألة الإيرلندية لم تنته. وتابع الإيرلنديون جهادهم بالرغم من "قانون الاتحاد" (١٨٠١) الذي حل البرلمان الإيرلندي نهائياً واجلس نواباً موالين جدداً بجانب النواب الانكليز في وستمنستر. غير أن العناد الانكليزي ما عثم أن استسلم أمام العناد الإيرلندي، فقد انتزع أوكونيل قانون الحرية

الدينية والتمثيل البرلماني للكاتوليك (١٨٢٩)، وأرغمت ثورة ١٩١٩ الشعبية انكلترا على الاعتراف بايرلندا "دولة حرة" سنة ١٩٢١ بزعامة دي فاليرا.

أما الكنيسة الكاثوليكية، فقد اشتركت اشتراكا وثيقا في مختلف مراحل هذا الصراع الديني القومي المرير، وكانت للشعب بمثابة الأم المدبرة، عبر الأجيال، لذا احتفظت إلى اليوم بتأثير قوي على الايرلنديين.

• مشكلة ايرلندا الشمالية مشكلة استعمارية

إن جل ما خلفه التحدي الاستعماري الانكليزي للضمير الايرلندي هو اقتطاع الجزء الشمالي الشرقي من ايرلندا وإعلانه دولة ثانية في ركاب انكلترا، ومعظمه بيد المزارعين والملاكين البروتستنت الانكليز الأصل الذين يسكنون مقاليد الحكم والاقتصاد والوظائف والتمثيل النيابي، بينما تعاني الأقلية الكاثوليكية (٣٥ بالمئة) من الفقر والبطالة، محرومة من الحقوق المدنية والسياسية. ونظام الانتخابات هو من أكثر النظم فسادا: ففي لندندري مثلا ينتخب ٢٩١٠٢ كاثوليكيا ثمانية مستشارين، بينما ينتخب ١٠٢٧٤ بروتستنتيا اثني عشر مستشارا، لا لسبب إلا لحماية مصالح الأسياد!

في خضم هذا الصراع الاقتصادي السياسي لم يكن بد من الاصطدام، فتعالت الاحتجاجات وتوالت التحديات والقمع وانطلقت مسيرات الحقوق المدنية، وبرز عناصرها النائية الكاثوليكية الشابة برناديت دفلين (٢٤ سنة). ولم تسلم هذه المجاهات من العنف أحيانا؛ إلا أن هذا العنف لم يلد السلام بل وسع شقة الخلاف بين الجماعتين ودعم مواقف المتطرفين ونال شجب المعتدلين من كاثوليك وبروتستنت، في الداخل والخارج. ويجدر بالإشارة إلا أن معظم زعماء "حركة الحقوق المدنية" ومناصريهم من الجانبين يريدون إخراج القضية من استغلال المذهبيين وقيادة النضال من اجل إحقاق العدل واللاعنصرية، فهذا هو إطار المشكلة الطبيعي والإنساني. **فأين الحل؟**

الخاتمة

قد يكون في ظهور رجل سلام قوي تستقطب زعامته الفريقين فيقودهم إلى الإخوة وشمول الجميع في ظل القانون على قدم المساواة. وقد يتجسد هذا الأمل في الحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي الجديد الذي شكله ستة نواب كاثوليك شماليون وآخر بروتستنتي، ويهدف إلى توعية جميع العمال الكاثوليك والبروتستنت إزاء مستغلبهم المشتركين وإقامة ايرلندا مستقلة موحدة حديثة لا طائفية، تواكب العالم المتقدم وتضمن الحرية والمساواة لجميع مواطنيها.

إن وجهة النظر هذه تلقى تجاوبا متزايدا في شقي ايرلندا. والتحول الذي يطرأ على شعب القديس باتريك ما هو إلا دليل على هذا الوعي الجديد. لقد تحركت كنيسة ايرلندا بعد جمود طويل نحو أجواء العالم الحديث ومثل مركبة أبوللو، حسب تشبيه الكردينال كونواي عميد أساقفة كل ايرلندا، لا احد يمكنه التكهن بخط سيرها؛ إلا أن شيئا واحدا يبقى أكيدا وهو أنها لن تعود كما كانت. إن هذه اليقظة علامة صحة ورجاء.

إن الصراع في أيرلندا الشمالية بين الكاثوليك والبروتستنت كما رأينا ليس صراعاً دينياً، إنما هو صراع تسوقه الأقلية المحرومة لنيل حقوقها المدنية وحصتها من خيرات الوطن التي تستغلها أكثرية متصلة بعقلية القرون الوسطى .

والشهادة التالية لنيل ماك كافرقي، إحدى صديقات برناديت ديفلين ومن زعماء حركة الحقوق المدنية دليل على ذلك:

"أنا كاثوليكية وجدتي بروتستنتية وجددي لأبي كان شرطياً، إلا أنني ناضلت ضد الشرطة وطالبت بسقوط حكومة أيرلندا الشمالية ولا أريد الانتماء إلى الجمهورية الأيرلندية الجنوبية".

ثم تعدد زعيمة الحقوق المدنية المفارقات التاريخية التي شطرت سكان أيرلندا الشمالية إلى شطرين: البروتستنتي الذي يستأثر بالبلاد اقتصادياً وسياسياً. والكاثوليكي الذي يحسب مواطناً من الدرجة الثانية أو بالأحرى غريباً وشبه دخيل. وتشير إلى المتاعب التي حالت دون إيجاد عمل لها وهي خريجة جامعية وتتنقن عدة لغات لا لشيء إلا لكونها كاثوليكية! ثم تستطرد:

أيرلندا في أرقام		
شمالية	جنوبية	
مليون ونصف	ثلاثة ملايين	السكان
مليون	٣٠٠٠٠٠	البروتستنت
٥٠٠٠٠٠	٢٧٠٠٠٠٠	الكاثوليك
٤	٢٢	إبرشيات
٥٩٠	٢٧٠٠	كهنة
٦٧٠	٧٥٣٢	رهبان
١٤٧١	١١٥٨٦	راهبات
٧٠٤	٢٦٥١	مدارس

"إن المشكلة هي مشكلة عنصرية أكثر مما هي مشكلة دينية. فالبروتستنت بريطانيون والكاثوليك أيرلنديون. فأولئك يخافون من أن يعلن جميع الكاثوليك اتحادهم مع جمهورية أيرلندا - وهذا لا يشكل سبباً في أن يعتبروهم عبيداً! إلا أنه كان يجدر بكاثوليك الشمال أيضاً أن يطالبوا باحترام حقوق بروتستنت الجنوب.

"أنا أقبل بأن تحكم الأكثرية، ولكنني أطالب بأن تتمتع الأقلية أيضاً بجميع حقوقها المدنية. وقد رفضت الحكومة ذلك. لقد فقد الكاثوليك ثقتهم بحكومة الشمال، ولم يعد للبروتستنت ثقة لا بحكومة الجنوب ولا بالحكومة البريطانية التي أصفت إلى مطالب حركة الحقوق المدنية. فالفتتان تتراشقان وليس بينهما الآن سوى الجنود. هذه هي المعضلة التي لا حل لها في الوقت الحاضر".

ماذا ينتظرون من الكنيسة؟

هذا الملف الاستطلاعي هو أول حوار مفتوح نقيمه مع قرائنا حول ما ينتظرونه من كنيستهم وما هي آراؤهم واقتراحاتهم لإنعاشها. وقد عكست الأجوبة التي آتتنا آراء بيئات مختلفة من مختلف الأعمار ومن كلا الجنسين ومن معظم محافظات القطر واتسمت كلها بالصراحة التامة والجرأة... اللاذعة أحيانا. لا ضير في ذلك فقد جاءت كلها نتيجة خبرات شخصية وتحليلا لواقع يمتزج فيه الحلو والمر، وسأقتها كلها رغبة صادقة في المساهمة معنا في جعل الإصبع على الداء نشداننا للعافية. وهكذا نضع جميعا، كل لبنته في التجديد والبناء.

لدى سماعك كلمة "كنيسة" بماذا تفكر؟

تناولت الأجوبة مفهومي الكنيسة المعنوي والمادي. فهي "مؤسسة الله الهادفة إلى إيصال بشارة الخلاص إلى كل إنسان". وهي "جماعة المؤمنين بالمسيح وجسده السري: المسيح رأس ونحن أعضاء"، "لذا فكل مسيحي هو الكنيسة بالاتحاد مع المسيح". ويتوق معلم إلى أن تكون الكنيسة "كجمهورية فاضلة وواسعة لبلوغ الكمال في مجتمع متآلف". "إنها كالبنيان، أعمدته الرؤساء ولبناته المؤمنين".

أما انتصار (معلمة)، فكلمة "كنيسة" توحى إليها "بان هناك صوما وصلوة وقوانين أخرى يجب تطبيقها". بينما يذهب طالب جامعي "معمد ولكن غير مؤمن" إلى "أنها توحى إليه بان هناك مسؤولين متعصبين لتفسيراتهم لمفاهيم الإيمان، دكتاتوريين". وعن المفهوم المادي تعتبرها س (طالبة ثانوية) "بيتا تلتقي فيه بمن هو أحب شخص إليها، المسيح، وتتكلم معه حديث الأخت لأخيها".

الكنيسة بيت الله وموضع العبادة والصلاة ومفاهيم يدود عنها الجميع... لذا ارتفع الاحتجاج ضد من يستخدمها لمآرب غريبة كمراقبة الفتيات أو "لعرض الأزياء والتسريحات والمبتكرات الجديدة واعتبارها محلا عاما وكأئما الناس يؤموها لتبديل الهواء والترويح عن النفس" (مهندس. معلم. طالب جامعي).

الكنيسة وقضايا العالم

هناك من ينكر على الكنيسة أن يكون لها أي شان في غير الدين ويذهب البعض الآخر إلى تأييدها في أمور ومناوئتها في أخرى كقضايا الاستعمار والعلاقات الدولية وكل ما تمت إليه السياسة بصلة. إلا أن ٩٠ بالمائة من قرائنا الذين أجابوا إلى أسئلتنا متفقون على

أن للكنيسة كلمة تقولها في جميع قضايا الإنسان لأنها "أم الشعوب ومرشدة المجتمع وضمير البشرية الحي"، ولأن المسيحية، كما يصفها يوحنا ٢٣، "تصل الأرض بالسماء إذ أنها تأخذ الإنسان في واقعه الراهن من حيث هو روح ومادة، عقل وإرادة، وتدعوه إلى السمو بفكره من ظروف حياته الأرضية المتبدلة إلى قمم الحياة الخالدة في اكتمال لا نهائي من السعادة والسلام".

"الكنيسة من العالم وفي العالم فلا يصح أن تحيا منعزلة، غائبة عن الأحداث. وبما يحتم عليها أن تقول كلمتها بوحى الإنجيل وبما يمليه موقف المسيح. إن المسيح عاش مع الناس وصد في وجه الطغاة وقال كلمة الحق دوما، ولم ينعزل عنهم للصلاة فقط. وتدخل الكنيسة في قضايا الإنسان ليس معناه أنها تنتمي إلى معسكر ما أو تنتمي حزبا معينا (مدرس ٢٥ سنة - السليمانية). ذلك لان الكنيسة تعالج هذه الأمور لا كخبيرة في السياسة بل كخبيرة في الإنسان (بولس السادس).

وهكذا تعكس معظم الآراء أن الكنيسة ليست مجرد أداة للتوجيهات الدينية فقط. اجل إن رسالتها روحية بالدرجة الأولى، ولكن بما إنها تعانق الإنسان بأكمله فيجب أن تتحسس كل ما يخصه "فتسعى للسلام وتشجب الحرب والعدوان وتساهم في حل كافة قضايا الدول" (عادل - كركوك). ولكن هناك من يشترط "أن تكون الكلمة متزنة وصائبة" (طالب طب ٢٦ سنة)، "وان لا تتماذى في ذلك لئلا تقع في نفس المصاعب التي وقعت فيها ردحا من الزمن" (صباح - موظف حكومي ٢٧ سنة - الموصل).

أنظمة الكنيسة ومتطلبات العصر:

إن اصلب المناوئين لتدخل الكنيسة في شؤون الإنسان يرفعون صوتهم في مسألة الطلاق الذي يرونه حلا عادلا في حالة الزنى أو المروق عن الدين المسيحي، ولا سيما في تنظيم النسل الذي يعتبرونه قضية شخصية جدا "لا دخل للكنيسة فيها" وإجراء لا بد من اللجوء إليه في بعض المجالات الصحية والاقتصادية، فضلا عن كونه "علاجاً لازدياد السكان الهائل الذي يهدد البشرية بالجوع والتخلف".

● "نعم إن للكنيسة في نظري كلمتها في قضايا العالم كالسلام والحرب والتخلف، ولا في تحديد النسل" (خضر - فلاح ٣٣ سنة قره قوش)

ومن القوانين أو النظم الأخرى التي يصطدمون بها الاعتراف الفردي والاختلافات الطائفية، فيطالبون ببذل أقصى الجهود لإحلال الوحدة المسيحية وتوحيد الأعياد والاصوام بين كافة الطوائف وعدم الاقدام منفردين على اية بادرة يمكن القيام بها بمجتمعين، ولا يفهمون عدم زواج الكهنة، إضافة إلى التشكي من قلة قداسة بعضهم ومن نظام أجور الخدمات الكنسية. أما مشكلة اللغة الطقسية:

● "... زيارة الكنيسة كل احد دون مشاركة فعلية بالقداس والصلوات وتكرار العملية دون فهم مما جعلني أتردد: هل علي الاستمرار على هذا الروتين أم لا" (مهندس ٢٦ سنة).

وخاصة الهوة الموجودة أحيانا بين السلطة الكنسية والشعب المسيحي:

- "إن ملازمة قوانين الكنيسة لمطالبات العصر متعلقة بعدم عزلها عن الأشخاص الذين وضعت وتوضع من اجلهم . إن العديد من نظم الكنيسة غدا في مستوى اقل من التفاعل مع عقلياتنا مما يحملنا على التخلي عنها لا سيما إذا فرضها علينا أناس صلتهم بنا ضعيفة ويجب علينا تلقيها دون نقاش ولا اقتناع" (معلم ٢٦ سنة) .
- "ستلام قوانين الكنيسة مع متطلبات العصر إذا حاولت أن تتكيف وتفض عنها غبار الجمود واللامبالاة" (معلمة ٢٥ سنة- زاخو) .

كنيسة العراق

إن الجمود واللامبالاة والانطوائية نعوت غلب توجيهها، ممزوجة ببعض نغمات التفاؤل أحيانا، إلى الكنيسة في العراق بوجه خاص. فرجالها بالنسبة إلى الكثيرين "يعيشون في أبراج عاجية" يجهلون قضايا الفرد المسيحي، لذا فإنهم يقترحون على رؤسائها إتباع سياسة "الباب المفتوح" لاستقبال الأبناء ومعالجة مشاكلهم والاشتراك في حياة البلد ونهضته وقضاياه، فلا يحسبون من بعد وكأهم، هم وشعبهم، غرباء عن وطن ابائهم وأجدادهم:

- "بعد الجمع المسكوني طربنا، بل تباينا بوعي الكنيسة وانفتاحيتها، إلا أننا لحد الآن لم نر شيئا تحقق في مجتمعنا العراقي، أو يكاد ما تحقق لا يتعدى الواحد بالمائة" (موظف ٢٤ سنة).
- "الكنيسة في العراق لم تحقق إلا جزءا بسيطا من رسالتها الإنسانية. اما بالنسبة للحقول الوطنية فإن كنيستنا منعزلة انعزالا تاما وكأنا خلقت للدين فقط وحصرت كل همها في ذهاب الشعب إلى القداس وحفظ الاصوام" (هلال- طالب ٢٠ سنة).

ويتشكى الكثيرون من تخلف الكنيسة في الحقل الاجتماعي وقلة ما عملت للنازحين من الشمال اثر الأحوال الشاذة؛ ويحمل البعض الآخر على تكاليف المدارس الأهلية الباهضة. ومن جهة أخرى يطالبون بمزيد من "الديمقراطية في إدارة الكنيسة وعلاقات رؤسائها بكنيستها وعلمايينها" (معلم ٣٣ سنة تكليف).

- "عندما تتخذ السلطة قرارا، لا تجهد نفسها لمعرفة رأي العلمانيين، وكأنا الرسالة المسيحية تخص الكهنة وحدهم... إن الانفتاح بين السلطة والعلمانيين هو حجر الزاوية في إنعاش كنيستنا العراقية، وإلا فالفشل يلازمنا" (سام- مدرس ٢٥ سنة- البصرة).

هذا هو عين الحق. فللعلمانيين دور خاص وهام في حياة الكنيسة، وترجع أحوالهم صدى انتظارهم من السلطة الكنسية وإسهامهم فيها، ويسترعون اهتمامها الجدي المدروس بالتعليم المسيحي للفتيان وبالثقافة المسيحية للكبار، ويتطلعون في اقتراحهم إلى إنشاء معهد أو مركز للدراسات اللاهوتية والكتابية وتاريخ الكنيسة، لاسيما الشرقية، ويمكن أن يكون هذا المعهد المقترح مهذا لإعداد أساتذة أخصائين للتعليم المسيحي في المدارس الأهلية والرسمية. وفي المنطق ذاته يتمنون تشجعا أكبر للحركات الرسولية. من هنا نرى أن الكنيسة بحاجة إلى تخطيط شامل ومدروس لحاجتها "تقوم به السلطة الكنسية والكهنة، مستنديين إلى

آراء العلمانيين" (مدرس - السليمانية) والخروج بها من البعثة والركود الذي رزحت تحته. "ينتظر منها الآن وبدون تأخير أن تتحرك بسرعة قبل فوات الأوان" (نبيل - طالب جامعي ٢١ سنة). ينتظر منها أن تفتتح وتفكر وتراجع حياتها فتعمل كشقيقتها الكنائس الأخرى على ضوء ما خطه الجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، وخيرة هذه الكنائس بوسعها أن تقينا عشرات كثيرة.

ولكن إذا كان البعض ينسبون قلة اشتراك العلمانيين في حياة الكنيسة إلى عدم تجاوب السلطة معهم، فالتحليل الموضوعي جعل القراءة يكشفون أسبابا أعمق كامنة في "قلة الثقافة الدينية" و"سطحية التربية المسيحية في الأسرة" و"هاون الكهنة" و"انشغال العلمانيين في أمورهم الخاصة" و"ركود المجتمع الذي لا يقدر ولا يتفهم بعد رسالة العلمانيين بالكفاية"، والأهل فالشباب أو الشابة له أهله الذين يقفون أحيانا - وللأسف الشديد - موقفا سلبيا من اشتراك بنهم في خدمة الكنيسة وتكميل رسالتهم العلمانية والمساهمة في النشاطات الدينية المختلفة" (هنا ١٩ سنة - الموصل).

آمال اليقظة والقيامة

من دون الأخذ بمبدأ النقد الذاتي وقبول الاعتراف بنسبية ما اعتبرناه إلى الآن مطلقا وأفضل، ومن ثم البناء من جديد، لا يمكن لكنيستنا أن تحيا حياة طبيعية. ستبقى تعطي التعليمات العامة والمبادئ الجميلة دون أن تعالج مشاكل الناس الواقعية وتنعش حياة الفرد المسيحي أو تخلق البوادر العملية لجعل الإنجيل حياة المسيحيين وفرض وجودها في المجتمع العراقي لخدمته والمساهمة في تطويره.

لا ننكر أن شيئا ما اخذ يتبدل في كنيسة العراق. وقد عكست جميع الأجوبة هذا الشعور مقرونا بارتياح وتنفس الصعداء:

- "في الآونة الأخيرة بدأت الكنيسة في العراق تقوم ببعض الأعمال كمحاولة لتحقيق رسالتها بصورة جيدة، واعتقد أنها بداية حسنة ونرجو أن تشرك الشعب المسيحي بسماع آرائه وتحقيق مطالبه" (س.س - موظفة ٢٩ سنة).
- "ولكن الآن بدأت تظهر بوادر تبشر بخير مما يجعلني مسرورا بكل ما تقوم به من نشاط اجتماعي وثقافي وديني، واني انتظر من الكنيسة أن تكون بمستوى الاحداث والتطورات... حريئة... قوية تدخل المجتمع" (صباح - موظف حكومي ٢٧ سنة - الموصل).

ويبني قرأنا استنتاجاتهم على بوادر الحيوية والوعي التي يلمسوها منذ مدة في الندوات التي تقام هنا وهناك والاهتمام بالكتاب المقدس والسهرات الإنجيلية والوعي المسيحي الذي تخلقه في أعضائها الأخويات الرسولية التي تجيب إلى حاجات الشبيبة المعاصرة وتتحرك بعض العناصر الكهنوتية الشابة نحو التخطيط والعمل وبدء اشتراك العلمانيين في الرسالة وطلائع حركة النشر والصحافة التي لا زالت في أولى خطواتها الحذرة. ويتهلل احدهم "للاعتدأ أخيرا على الشبيبة كعنصر أكثر ضمانا للإنعاش" (مدرس ٢٦ سنة - الموصل).

ولكن هذا التحرك لا يشمل سوى جزء صغير من الأفراد والطاقات والقطاعات. لا زلنا في بدء الطريق، وقد تكون الطريق طويلة وشائكة، فالضوء الأحمر الذي ينذر هنا وهناك، في كنيستنا، إنما يسبق اخضر المرور والأمل، وبراعم الزهور الأولى، وإن لم تكن الربيع، فهي إيدان بالربيع، شريطة أن لا تذبذب من شحة المطر والشمس.

الخلاصة:

إن ضيق المجال يشفع فينا لعدم تمكننا من الاستعاضة في سرد كل الشهادات والآراء والملاحظات التي أبداها قراؤنا. إن رزمة الرسائل ذات الألوان والأحجام المختلفة التي حملها إلينا البريد منذ شباط الماضي أطلعتنا على اكتشافات كثيرة مما يحملها في طيات قلبه أو في أحاديثه شعبنا المسيحي تجاه كنيسته. ولقد أسهب الكثيرون في إجاباتهم وحملوها اقتراحات إيجابية وآراء جريئة لم يصلقوا حدتها دوماً، كما لمسنا في بعض ما ورد، وحسناً فعلوا، لأنها أتت طبيعية وشخصية.

وما سافنا إلى نشر هذا الملف الأول من نوعه في تاريخ كنيستنا هو حينما العميق لكنيستنا ورجبتنا الصادقة في إنعاشها والمساهمة في مدها بحوية الفاتيكانية الثاني وخدمة للحقيقة التي تأتي السير في الظلال والتبويه. إننا لسنا، ولا أظن قراءنا الذين أوردنا آراءهم، من دعاة الانتقاد للانتقاد والتشهير بالعيوب للتحدي! بلى، إنجيل المسيح يتحدثنا في أخطائنا وتفاعسنا وسبائنا من خلال هذه الآراء والأفكار التي نعتبرها، نحن، بمثابة تحليل طبي لامراضنا أو صورة شعاعية تعكس ما وراء واجهة كنيستنا. قد لا تكون كلها صائبة، ومنها ما يحتاج فعلاً إلى نقاش وتمحيص، إلا أنها تحمل أيضاً كثيراً من العناصر الإيجابية والأمانى والاقتراحات التي تستحق أكثر من أن نمر عليها مر الكرام.

إني أظن، إن كانت كنيستنا في العراق، برؤسائها ومرؤوسيتها، بحاجة ماسة إلى اعتراف عام وإلى مراجعة حياة شاملة دقيقة صادقة من دون تأخير، فهي بحاجة أيضاً لا تقل إلحاحاً إلى "خطة خمسية" أو "عشرية"، إلى برنامج عمل يصمم سيرها ويدفع بها إلى الأمام في هذه المرحلة "ما بعد مجمعية" التي تتمخض فيها الكنيسة الجامعة نحو آفاق جديدة، والتي نفحنتنا، نحن أيضاً، ببعض الوعي والرغبة في السير. لقد دخلنا في مدار الأمل! أجل إن آمالاً كباراً تعقد على الوعي الذي نرى بشائره لدى العناصر الشابة من كهنة وعلمانيين، وما ربيعه المنتظر إلا في تلاحم هؤلاء فيما بينهم ومع السلطة كجسد واحد متكامل عامل. يكفينا من المنتشر ومعالجة حياة كنيستنا بدوامه الأوامر والنواهي والتوجيهات من طرف واحد.

ولكن ليعلم المتحمسون إن سر النجاح الحقيقي وسنة التطور ذاتها لا يعتمدان البتة والتحطيم؛ ومن جهة أخرى لا يعتبرن الكبار هدماً وتخريباً استئصال بناء متصدع حين يهدف إلى وضع أساس امتن وصرح أجمل. فعلينا بالعمل الهادي في الأعماق، وإلا لكانت كارثة للكنيسة، لا تجديدا لحياتها.

يقول مثل صيني: "سفرة ألف ميل تبدأ بخطوة واحدة"، فلنخطها سوية بشجاعة وثقة وتصميم وتفاءل.

ماذا ينتظرون من الكاهن / ٢

بينما يتمدد مجلس الأساقفة في روما لدراسة احوال الكهنة، نقدم الجزء الثاني من ملفنا ماذا ينتظرون من الكنيسة؟، وهو في نظرية العلمانيين إلى الكاهن وما ينتظرونه منه. وقد حمل أكثر من جواب صدى الارتياح لهذه المبادرة التي أطلقتها الفكر المسيحي في استطلاع آراء قرائها عن حياة كنيستهم ومستقبلها، فاعتبرها البعض فرصة فريدة للتعبير عن رأيهم، ووصفها آخر بخطوة مباركة تستحق كل اهتمام ومتابعة، وأملنا وطيد أن تشع هذه الحركة الصغيرة، فتشمل العراق كله... أي أن يجري مسح عام للآراء في كافة مجالات الإيمان والحياة، والاستفادة علمياً من هذه الأبحاث لرفع المستوى ومعرفة الشاطئ الذي نرسو فيه حتى نتبصر في أمور حياتنا ونتدارك أخطائنا* (معلم ٢٦ سنة).

هذا ما نصبو إليه فعلاً من وراء هذه الاستطلاعات: أن تكون منبراً حراً وانطلاقة خيرة لدراسة شاملة لاحتياجات مجتمعنا المسيحي وتطلعات شبيبته الناشئة. نريدها أساساً لحوار بناء، ليس بين المجلة والقراء حسب، بل بين المؤمنين وكهنتهم، بين الرؤوسين والرؤساء، والحوار ليس معناه مجرد تبادل الأحاديث؛ إنه انفتاح متبادل وبحث مشترك يفضيان إلى تخطيط مدروس، وإعادة النظر فيما حسبناه إلى الآن كاملاً وغير قابل للتعميل، ومن ثم إلى البناء والتجديد.

ما هي. إذن. نظرتهم إلى الكاهن؟

عكست معظم الأجوبة صورة الكاهن المثالي. فهو قبل كل شيء "رجل الله" و"رسول المسيح على الأرض"، "نذر نفسه للخدمة"، وهو "الشمعة التي تحترق لتنير من حولها"، إذ انه "الشخص الذي ضحى بنفسه تضحية لا يمكن أن يضاهيه فيها حتى الجندي في ساحة القتال". "انه مرشد ديني واجتماعي" و "ربان السفينة في الأحوال والطبيب الروحي للعائلة"، "رجل المحبة، رجل الإنسانية، رجل الإخلاص".

وينطلق آخرون من خبرتهم الشخصية إلى أن الكاهن "هو الأخ بمحبته، والأب بتضحيته، والصديق بتعزيتته، وهو المرشد والدليل، هو المعين الذي استقي منه كل ما يساعدي في السير نحو المسيح" (معلمة ٢٥ سنة).

• "الكاهن في نظري يمثل المسيح على الأرض، ولما كان المسيح صديقاً وفيّاً لي، فالكاهن أيضاً هو الصديق الوفي الذي ألتجأ إليه في ساعات الضيق". (هلال - طالب ٢٠ سنة - بغداد). ويقول طالب آخر: "إني احترم الكاهن كثيراً، لاسيما الكاهن الشجاع والمتواضع" (طالب ١٩ سنة - قره قوش).

مأخذهم عليه

بقدر ما تبرز مكانة الشخص في المجتمع، بقدر ذلك يكون الحكم عليه صارماً ويطالب بأكثر: "من أعطى كثيراً، قال الرب، يطالب بأكثر". وهكذا الكاهن الذي هو بمثابة المرشد والمرجع والمعلم والأب الدؤوب - أليس الجميع يدعونه "أبونا"؟ فالمؤمنون يأخذون عليه أن لا يكون كذلك كاملاً، ويلومونه إن هو تناسى قدسية دعوته، أو تقاعس في أداء رسالته، أو ابرز سلطته الروحية كحجة لأحكامه القطعية:

● "أقولها بصراحة لا يوجد لدينا آباء قديسون مثل الذين رايناهم في السابق. إن أرادت الكنيسة إصلاح نفسها، فعليها بإصلاح رجالها أولاً ليقتردي بهم العلمانيون" (طبيب متقاعد ٥٠ سنة بغداد)

● ويتساءل احدهم (البصرة): "لماذا لا ينجح الكاهن في عمله الرسولي؟ فيجيب هو نفسه:

- ◀ لأنه خال من الحياة الروحية
- ◀ لأنه يسترشد في مسلكه بمبادئ بشرية
- ◀ لأنه يطلب راحته ويأنف من التقشف
- ◀ لأنه يرتبط بعلاقات تبعث إلى الخفة والطيش
- ◀ لأنه متفتخ بروح التمرد والادعاء النفسي وقليل الاتفاق مع أقرانه
- ◀ لأنه لم يصلح نقائصه الخاصة.

ثم يخلص إلى القول بان خبرته تعلمه إن من بين كل عشرة كهنة، ستة منهم لا يكادون يحافظون على الحرارة الأولى بعد عام من تخرجهم، واثنان فقط بعد عشرة أعوام. ويضيف مهندس (٢٦ سنة - بغداد): إن "كهنة المسيح في العراق قليلو الثقة بأنفسهم" وفي شبه "برج عاجي" يعزلم عن معاناة الشعب.

وهكذا، وبعد تحليل موضوعي لأجوبة الاستطلاع، استناداً إلى ما يدور في معظم مجالس الناس، نرى أن المآخذ الكبرى على الكاهن ثلاثة: قلة اتصاله بالمؤمنين، قلة سعيه في نشر التعليم المسيحي، والمادة التي يبدو أنها من اهتماماته المفضلة:

- "إنني لا أستطيع أن أتصور الكاهن إلا كحايي ضريبة الدخل أو مصلحة الكهرباء."
- "إن معظم العائلات الفقيرة محرومة من زيارة الكاهن، وإن بعض الموتى الفقراء لا يسير في جنازتهم سوى كاهن أو كاهنين، بينما نرى جنازة الغني محاطة بمجماعات كبيرة من القسس" (موفق - مهندس - كركوك)
- "...المواعظ ضحلة والتعليم المسيحي شبه معدوم" (طبيب متقاعد - بغداد)

● "الكاهن لا يرى إلا في الأعياد!" لازمة يرددها ٩٥ بالمئة من الناس. ببرودة، وأحياناً من دون تحقيق. يمثل هذه البرودة ينبري الكثيرون إلى تشريح الكاهن في عيوبه

وأخطائه الصحيحة أو المزعومة. إلا أن كثيرين أيضا ابدوا تفهمهم للكاهن، لأن الكاهن إنسان كسائر الناس، له ضعفه وحدوده، ولم يعطه الكهنوت ملء الحكمة والفضيلة. انه خاضع، وأكثر من غيره، لسنة الكفاح من اجل إصلاح ذاته وتقديسها.

كيف يريدهونه ؟

إن الصورة التي رسمها القراء للكاهن المثالي في مستهل هذا الاستطلاع تبقى ناقصة إن لم تضاف إليها ما ينظر المؤمنون أن يتحلى به كاهنهم. فعلى سؤالنا: ماذا تنتظر من الكاهن لك شخصيا وللشعب المسيحي؟، أجابوا:

على صعيد حياته الشخصية:

■ يريدون أن يكون الكاهن مثقفا ثقافة عالية "ليتمكن من أداء رسالته التعليمية والقيادية، ومتواضعا ليخدم الشعب ويمتزج به، وإذا شخصية قوية تمكنه من أن يوقف المتجاوز ويث أخلاقية الإنجيل" (طبيب ٦٠ سنة).

■ "يجب أن يكون الكاهن بطلا مسيحيا يعظ بجرأة، وإلا فلا حاجة إليه، لأنه سيكون، آنذاك، مثلي ومثل غيري" (طالب جامعي ٢١ سنة).

■ "انتظر من الكاهن أن يكون كاهنا بكل ما في هذه الكلمة من معان... ولست من المؤيدين لان يكون من ألعنيمي الابتسامة، ولكن عليه أن يكون لبقا وفطنا ليوثق بين رسالته السامية وحياته الشخصية، ويأخذ بعين الاعتبار نظرات بعض الناس إليه" (طالبة ثانوية ١٩ سنة). "ليكن متفتحا ومرنا (معلمة ٢٥ سنة).

■ "الكهنة المتفتحون، الفرحون بحياتهم والسعداء في خدمة شعبهم، الذين لا تأسروهم المادة، هؤلاء أحبهم كثيرا، واعتبرهم كأصدقاء ومرشدين" (عدنان - السادس العلمي).

لقد قيل بان جناحي الكاهن هما العلم والفضيلة، وستبقى الفضيلة دوما الأساس الأيمن لحياته، ولعل في شهادة هذه الفتاة الجامعية ابلغ تعبير لما ينبغي أن يكون الكاهن فوق كل شيء:

"أعود بالذاكرة إلى اليوم الذي كنت استعد فيه لمقابلة كاهن للمرة الأولى، وكان عمري آنذاك ٢٣ سنة: المرة الأولى التي كنت ساجدي وجها لوجه مع كاهن، ولوحدنا؛ المرة الأولى التي سيتاح لي تفحصه وسماعه والتحدث إليه. كنت أفكر باني "سوف أرى" شخصا يحيا من الله ومع الله. هذا كان الكاهن بالنسبة إلي: رجل يحيا من الله. وكنت اردد لذاتي انه ينبغي أن يظهر ذلك بصورة ملموسة، وإلا فكل ما يقال عنه هراء. اعلموا، أيها الكهنة، إننا على هذا نحكم عليكم، على هذه الشهادة شبه الملموسة التي تعطونها عن الله: ينبغي أن يبرز إيمان الكاهن في الخارج، عليه أن "يعرف" الله بحياته ويدعنا نتحقق من انه يعيش منه حقا".

وعلى صعيد الرسالة :

إن كان الكاهن رجل الله، فهو خادم الإنجيل أيضا قد تطوع بملء حرته لنشر رسالة الفداء بين الناس، لذا عليه أن يشعر بمسؤوليته الكبيرة تجاه المسيح وتجاه شعبه، فلا يبدو وكأنه عاطل وظيفي" (طالب جامعي ٢٢ سنة) ، أو موظف يتقاضى أجرة خدماته. الجميع يطالبونه بان "يخرج برسالته خارج جدران الكنيسة" فيكون "أكثر توغلا في الشعب"، و"في خدمة الجميع"، لأنه بحكم أبوته الروحية، يجب أن يعانق الجميع، لذا فهم يعلقون أهمية كبرى على اتصاله الشخصي بالمؤمنين، لا سيما في الزيارات الراحوية التي ينتظرونها أكثر من مرة أو مرتين في المواسم.

- " أرجو ان يشعر الكاهن بان كل بيت يذهب لزيارته هو بيته، وان المؤمنين جميعا هم ذوهه" (عدنان - طالب ١٨ سنة - بغداد).
- "... وفي اعتقادي إن زيارة الكاهن للعائلات يجب أن تتعدى السطحي من الأحاديث إلى تعليم حق وحياتي" (معلم ٢٦ سنة - الموصل).
- "أريده أن يفتح إلى العلماني أكثر ولا يعتبر نفسه ارفع، بهذا الافتتاح سيكشف واقع المجتمع الذي يختلف تماما عن مجتمع "الاكليزيكية" والكتب التي يقرأها" (متي - طالب زراعة ١٩ سنة).

من هذا الواقع نفسه يجب أن تنطلق مواعظه، فترشد السامعين إلى فهم معاني الإنجيل وكيفية تطبيقه في الحياة اليومية ومتطلبات العصر. هذا ولا ننكر أن كثيرين يتشكون من شحة المواعظ، ويتمنون لو عقب موعظة قصيرة عملية تلاوة الإنجيل في كل قداس وعلى مدار السنة، كما درجت عليه بعض الأبرشيات.

ولكن الموعظة لا تتعدى أن تكون وسيلة ناقصة في ذاتها، لأنها "مونولوج" يتكلم فيه الواحد ولا سبيل للآخر أن يستفسر أو يعترض. لذا فهي بحاجة إلى أن تدعمها طرق تعليمية أخرى، تتفق وعقليات الفئات والبيئات المختلفة، كالمسهرات الإنجيلية التي تقام في الأسر المسيحية، حيث يدرس ويشرح الإنجيل، ويكون منطلقا لإنعاش روح الإيمان والتضامن والتعارف بين أفراد العائلة والأسر المسيحية الأخرى؛ انها طريقة مثلى لنشر الكتاب المقدس الذي هو منهل العقيدة المسيحية (نوري- مترجم ٥٧ سنة - بغداد).

وتشكى البعض من تقاعس الكاهن في التعليم المسيحي، أو اخذوا عليه عقم الطريقة، وشدد غيرهم على ضرورة وضع برامج حديثة وموحدة في جميع أنحاء العراق، والسعي لإيصال الثقافة المسيحية إلى جميع الطلبة المسيحيين، وفي مختلف المراحل الدراسية.

وطالبت الأجيال أيضا، ومعظمها آتية من الشباب، أن يصرف الكاهن "قسما كبيرا من وقته لتنشئة الشباب تنشئة مسيحية صحيحة" (لؤي - طالب ٢٠ سنة - بغداد). ويبادر في سبيل ذلك، إلى إقامة ندوات وتوسيع نطاق الأخويات والمنظمات الدينية "ودعمها وتشجيعها" حيث وجدت، أكثر فأكثر" (سامي- مدرس ٢٥ سنة السليمانية):

• "إنشاء أخويات ونواد تكون بمثابة ملتقى للشباب المسيحي، يتلقون فيها ثقافة دينية صحيحة... واعتقد أن الكنيسة في العراق متأخرة بسبب عدم تفهم الشباب المسيحي عقيدتهم، وبعدهم عن السلطة الكنسية التي تتمثل في الكهنة والأساقفة" (ريتا- طالبة ١٧ سنة- البصرة).

في هذه الإجابة صدى لأمنية عزيزة طالما سمعناها من الشباب في أن يجتمعوا برؤسائهم الروحيين للتعارف أولاً، وللتداول في شؤون الكنيسة والديانة. إن مثل هذا التعاون دعا إليه المجمع، وقد اتخذ بعض الأساقفة مثل هذه المبادرة.

هذا هو النموذج الكهنوتي الذي يريده المؤمنون، ولكن...

هل أن الطريقة الحالية لحياة الكاهن

تلائم عصرنا وتراعي كرامته؟

من الآراء ما يؤيد الطريقة الراهنة لحياة الكاهن ولا يرى فيها ما يقلق، أما الأكثرية فترى أن التجديد والتعديل ضرورة، وإلا لما استهوت أحداً بعد، ولبقي الكاهن على هامش. تناولت الملاحظات ناحيتين رئيسيتين هما اندماجه في المجتمع ونظام حياته المادية.

فمن ناحية الاندماج، يريدون أن يكون الكاهن أقرب إلى الناس ويفهم واقع الحياة. وإذا تمسك الكبار بمظهر الكاهن الخارجي ورسالته، فهم يريدون له حرية أوسع واندماجاً أكبر معهم، ولا يرضون "بتطويقه ضمن اطر بالية ونواهٍ عقيمة، وكأنه كائن ليس كالبشر، حتى ليبدو وكأنه اثر قديم". فلا لباسه ولا لحيته همهم، بل حياته ورسالته. وقد تطرق البعض الى فكرة "عمل مهني" بجانب الكهنوت:

• "يجب تطوير حياة الكاهن في إطار عصري يتمتع فيه الكاهن، ضمن التزاماته الروحية، بكافة حقوقه الإنسانية، لئلا يبقى شخصاً معقداً. فليفسح له مجال أوسع للمشاركة الفعلية في حياة المجتمع. وبما إن الكهنوت رسالة، فاقترح أن يزاول الكاهن مهنة حرة، مع الكهنوت، كأن يكون طبيباً أو عاملاً: بذلك سيشعر بقيمة العمل، ويوسع نطاق رسالته، ولا يبقى حبيس المادة" (طالب طب - ٢٩ سنة).

وتتناول ستون بالمتة من الأجوبة موضوع الزواج للكاهن مؤيدين، واقترحوا ترك الحرية له أن يعتنق الكهنوت بتولا أو متزوجاً "أسوة بالطوائف المسيحية غير الكاثوليكية" (موظف - الموصل)، "لأن الحياة العائلية عنصر جوهري ومكمل للإنسان" (محاسب - بغداد)، "ويوفر له طرقاً أفضل للرعاية الأبوية وتفهم القضايا العائلية" (موظفة).

ونوهت أجوبة أخرى إلى تعيين سن لتقاعد الكهنة، ومن جهة أخرى إلى اشتراك أكبر مع الأسقف في إدارة الكنيسة.

أما الاستياء الكبير، فيأتي من الأسلوب الحالي لتأمين معيشة الكاهن، هذا الأسلوب الذي لا يراعي كرامته مطلقاً، حسب قولهم، أو يعرضه لسهام الانتقاد وخطر التهافت على

المادة، أو يظهره بمظهر المستعطي؛ كما تحاملت بعض الأجوبة على بعض الكهنة "الأغنياء"، وطالبت الجميع بان يعيشوا بموجب روح الفقر والبساطة "ويلتزموا حياة التقشف، نوعاً ما، ليشعروا بشعور الفقراء ومر الحياة" (طالبة آداب ١٨ سنة). وقد وردت اقتراحات بشأن تنظيم معيشة الكهنة، خلاصتها:

- ❖ تخصيص راتب شهري معقول لكل كاهن، يتغذى من اشتراكات المؤمنين والرسوم والهبات والوقف.
- ❖ إنشاء لجنة من العلمانيين الكهنة، تحت إشراف الأسقف، تعرض مبلغاً معيناً على كل عائلة، مساهمة منها في رواتب الكهنة، عوض "العيدانية".
- ❖ كل الرسوم والهبات الأخرى تلقى في الصندوق المشترك.
- ❖ إنشاء صندوق ضمان وتقاعد للكهنة، على صعيد الأبرشية أو الطائفة أو البلد (بين مختلف الطوائف المسيحية).

وطرحت أجوبة عديدة "الحياة المشتركة بين الكهنة" كأسلم طريقة لضمان روحانيتهم، وتنظيم رسالتهم، والتخلص من عزلتهم، وزيادة التعاون فيما بينهم. وحيث لا يتوفر ذلك، فالأفضل أن يسكن الكاهن في الكنيسة بصورة لائقة ليتفرغ لرسالته.

الخلاصة :

هذه الآراء صدرت عن اشخاص يحبون كهنتهم وينظرون إليهم نظرة تقدير وانتظار. لولا ذلك لما تكلموا. وانتقادهم نفسها ليست إلا دليلاً لانتباههم إلى كهنتهم. قد يبني البعض أحكامه على معلومات خاطئة، أو يصوغون اقتراحاتهم في قضية ما دون الإلمام بكل جوانبها. اجل، إن جميع الآراء التي أوردناها في هذا الاستطلاع ليست مزهية وبعضها يحتاج إلى نقاش. إلا أنها كلها أصوات خليقة بان تسمع، وآراء جديرة بان تدرس: وهي في الوقت نفسه نداء إلى الجميع كي يعوا أن كنيسة العراق لا ترسو على أكثاف الأساقفة والكهنة فقط: إنما أمانة أيضا بعنق النصف مليون مسيحي الذين تضمهم.

فأملنا، إذن، ألا يقرأ القراء هذا الاستطلاع ببرودة لا أبالية، ويعيدوا المجلة إلى زاويتها على الطاولة أو في المكتبة. فيا حبذا لو حرك القراء والأصدقاء إلى إبداء آرائهم فيه وإرسالها إلينا، فينشا بيننا حوار مفتوح، منه تنطلق بوادر العمل والتجديد.

رسالة الأخ شارل يسوع إلى بنى جيلنا

كتب الأب فوايوم، مؤسس أخوة يسوع الصغار، تكاد الدهشة تأخذنا عندما نتحقق إلى أي بعد قادنا هذا الرجل الذي لم يعلمنا روحانية جديدة، ولا ترك لنا أي مشروع خاص لتنفيذ، ما خلا السجود للقربان المقدس واخذ الإنجيل بماخذ الجد في حياتنا اليومية . وفي الواقع هما هذان الصمت في الكلام والمضي إلى أقصى حد في العمل اللذان يجيبان، بنوع خاص، إلى ما ينتظره العديد من الناس الذين ملوا من الخطابات، وياتوا حيارى أمام غزارة المشاريع التي تعرض عليهم.

لقد باغت الموت شارل دي فوكو يوم كان في زخم عطائه الصامت لعرب الصحراء الجزائرية الكبرى وطوارقها، ولكن الموت نفسه بوغت إذ وجد هذا الرجل اعزل ووحيدا في آفاق طموحه الواسعة وسع الدنيا، ومغمورا غمر ذرة صحراوية في بحار الرمال. فقد كان مجهولا من مواطنيه، وقبضة أصدقائه المبعثرين، هنا وهناك، ما كانوا ليروا فيه أكثر من أمير تائب صلب الشكيمة، عندما يقدم على أمر يقدم عليه بأقصى ما يملك من قوة وعناد. وكان من الممكن أن يتلغ النسيان اسم الأخ شارل، كما فعل بكثيرين من قبله، إلا أنه ترك لنا، بالرغم من فقره، شيئين ثمينين وهما: عبر الحياة وأكاداسا من الأوراق.

في تلك الحياة وهذه الأوراق -التي تعكس صداها ولا تفهم من دونها- قيم قديمة بقدم الإنجيل، ولكنها عيشت بإطار جديد، وتفاعلت مع تطلعات الإنسان الجديد الذي مل من الفوارق الاجتماعية والعنصرية في مسيرته نحو الشمول. لذا لم تعتم هذه الحياة وتلك الأوراق أن اجتذبت تلاميذ رأوا في الأخ الصغير الشامل رائدا فهم حقا من هو الله وما هو الله بالنسبة إلى الإنسان. وتلامذة الأخ شارل ليسوا، اليوم، الإخوة والأخوات الذين ينتمون إلى الرهبانيات المتحدرة من اسمه حسب. إن الأخ الصغير شارل رائد لعدد متزايد من المسيحيين والمسيحيات من كل البيئات والبلدان والثقافات.

السر في ذلك؟

هي هذه القيم الإنجيلية الأصيلة التي جسدها شارل في حياة عطاء وبذل، في حياة مشاركة وتقدير "لكل ما هو حق وصالح وجميل لدى البشر". بكلمة واحدة يكمن السر في ان شارل دي فوكو عرف أن يجسد اسمى قيم الروح في قلب الجماهير.

• الصدارة المطلقة لله في صخب الحياة

في هذا العصر الذي يتحول فيه الإنسان إلى ذاته، فتوهمه انطلاقات طاقاته المتوثبة انه لم يعد يحتاج إلى سواه، يأتي الأب دي فوكو بهدوئه ليذكره بجمتية العودة إلى الله. هو نفسه تاه بعيدا عنه لوقت غير يسير، وارتشف من لذائد الحياة بنهم، إلا انه لم يجد الطمأنينة إلا فيه، حتى بات يتساءل بحرقه، بعد اهتدائه، ترى كيف استطاع العيش بعيدا عن الله طول هذا الزمن؟ فصرح لنسيبه هنري دي كاستلري معترفا: "ما أن آمنت بوجود الله، حتى أدركت اني لا استطيع أن أحيا لسواه". إلا أن شكيمة شارل تأتي منح الصدارة لله في حياته حسب، بل يود أن يوقف له كل اتساع قلبه وجوانب حياته، وقفا مؤبدا دون قيد أو شرط.

هذا العزم ساقه إلى هجر أصحابه وذويه وحتى وطنه، والبحث عن أمضى الطرق فاعلية للتشبه بالمسيح. انه ضرب من الغرام والحب المطلق لله، لشخص المسيح: "عندما يحب المرء شخصا ما ينظر إليه دون انقطاع، ولا عيون له إلا له... الأفكار، الأقوال، الأعمال كلها تعود إليه: هذا هو الحب". لقد خير الأخ شارل كل هذا في الساعات الطويلة التي كان يقضيها في الليل والنهار أمام القربان المقدس. فقد كانت صلاته همسة حنان، صرخة حب، نغمة مديح وتمجيد وسجود وخضوع. لقد كان يعتبر نفسه "خفير صلاة" باسم شعبه؛ إلا انه مت ما دعاه صوت، سرعان ما كان يترك خلوته ليخدم أخواه.

اجل، إن عبقرية الأخ شارل كانت في انه حقق هذه الحياة التأملية العميقة وسط الجماهير وعلى الطرقات -مثله في ذلك مثل المسيح، التأملي الكبير، وسط جماهير فلسطين التي أحبها وغمرته برحمتها- وعلى هذا النهج يتابع السير الإخوة والأخوات المنتمون إلى الأسرة الرهبانية الفوكولدية الكبرى. اجل، وسط الجموع المشتتة وتجاه الجمهرة الكبيرة من الايديولوجيات المتضاربة التي تتوجه إلى الإنسان لحل مشاكله وفهمه، كان ينبغي أن يكون هناك من يتوجه أولا إلى الله، ومنه يعود إلى الإنسان.

• حياة الناصرة ورسالة الحضور والصدقة

إن التمثل بحياة يسوع في الناصرة يشكل النقطة الرئيسية في حدس الأخ شارل. وهذا التمثل كان يعني لديه مطابقة حياته مطابقة تامة على حياة المسيح كما يعرضها الإنجيل، لا سيما في إطار الناصرة -وحتى الكهنوت اقتبله تمثلا بالمسيح. لذا فقد مارس الفقر والتجرد في ابعدها متطلبهما، وتخلّى عن ثروته ورتبته العسكرية وألقابه العلمية... وباتت فلسفته:

"الهي لا ادري كيف تتمكن بعض النفوس أن تراك فقيرا بينما تبقى هي غنية يارادها، أما أنا فلست أدرك الحب من دون عوز ملح إلى المطابقة، إلى التشبه، لا سيما إلى مقاسمة جميع الإتعاب والصعوبات وجميع شدائد الحياة".

إن هذا العوز الملح إلى المطابقة قاد الأخ شارل إلى نشدان المذلة والموضع الأخير في عالم لا ينشد سوى المتعة، ولا يرى في الصليب سوى شك وعثرة. شك للمؤمنين الذين يتوهمون أن الإيمان رفاهية واستكان، وعثرة للذين يجهلون أن عظام الأمور إنما في الجهاد يتبع.

بين حياة الناصرة والصحراء صلات متينة، ولا ندري، في الحقيقة، ما الذي قاد الواحدة إلى الأخرى أمي الصحراء إلى حياة الناصرة، أم هي حياة الناصرة إلى الصحراء!

"ففي الصحراء تخلي ذاتنا ونبعد عنها كل ما هو غريب عن الله لنفسح المجال كله لله وحده. النفس بحاجة إلى هذا الصمت وهذا الهدوء لينصب الله خيمته ويصور فيها خطوط الحياة الروحية".

ولكن الصحراء أو الناصرة ليست للأخ شارل قريبا من الحياة أو تخليا عن إعلان المسيح: كلا. ففيها يستمر رسولا ومبشرا؛ ولكن شعر منذ البداية بأنه ليس مدعوا لان يكرز بالإنجيل بالكلام والنشاطات الخارجية، سيفعل ذلك بالحياة. "سيهتف بالإنجيل بحياته" كما يهتف به غيره بصوته؛ وسيهتف به بحضوره وصدقاته، بابتسامته واستعداده الدائم. بهذا الخلد ذاته رأى الأخ شارل يسوع صفات رسل اليوم، وخط للرسل العلمانيين برنامجا لشهادتهم على نمط برسكلة واكيلا يتلخص في "الاحتكاك البناء، واللفظ المشعاع، والعاطفة المستعدة للبدل، والمثال الصالح": "ينبغي أن يكونوا كرازة حية بمثال حياتهم ينبغي أن يزي الناظر إليهم ما هي الحياة المسيحية، ما هي الديانة المسيحية، ما هو الإنجيل، ما هو يسوع". لا، ليست الناصرة قريبا، بل إنما قاداته إلى اكتشاف قيمة العمل اليدوي وعالم الفقراء والكادحين والبسطاء الذين نالوا دوما أوسع ما في قلب الأخ الصغير شارل. من هذا الاكتشاف نمت فكرته في إنشاء رهبانية عصرية فقيرة تعيش من عرق الجبين، عاملة كالمسيح في الناصرة، حيث الرهبان سواسية، دون تمييز بين الكاهن وغير الكاهن، مهما كانت ثقافتهم ودراساتهم الأصلية. ولأجل تحقيق ذلك يبقى ابن جيله، فدعا إلى التخلي عن الزي الخاص وحتى عن الفروض القانونية الخورسية الطويلة واستبدالها بالتأملات الفردية والقداس الإلهي والسجود واستخدام اللغة المحكية للصلاة والليتورجيا. وهكذا أعاد الأخ الصغير شارل طموح الكمال الإنجيلي إلى صفوف الكادحين، إلى أرضفة العمل وإلى كل ميادين جهاد الإنسان: المصنع، المكتب، المنزل، المدرسة... الالتزامات الزمنية جميعها.

• الأخوة الخاطلة

كل ميادين جهاد الناس ميدان للمحبة العاملة في المسيح، وحدود المحبة أن لا حدود لها، حسب قول القديسة ترازيا الطفل يسوع، فهي من طبعها شاملة كشمول الإنجيل الذي يرتفع فوق كل طبقة اجتماعية وكل تمييز عنصري وكل فارق قومي. لقد اعتنق الأخ شارل هذا الشمول بجنان خاص، سيما وأنه احتك مباشرة، قبل اهتدائه وبعده، بأقوام مختلفة في الثقافة والدين والعرق، في الجزائر ومراكش وفلسطين وتركيا والهوجار، وعقد صداقات متينة مع عرب وطوارق، من بسطاء القوم وكبارهم، لا سيما في الفترة الأخيرة من حياته

في الصحراء الجزائرية، وكانت "أخوته" دار ضيافة، بل منزلا للجميع. لم يكن لقب "الاخ الصغير الشامل" أحلى الأسماء إليه: "أريد أن يعتاد السكان من مسيحيين ومسلمين ويهود ووثنيين أن لا يروا في إلا أخوا شاملا لهم جميعا. لقد اخذوا فعلا يدعون البيت "إخوة" وكم يطيب لي ذلك!".

لقد جسد الأخ شارل في حياته هذه المحبة المتواضعة التي تحترم الغير" كما يقول الأب فوايوم، هذه المحبة التي يجب أن يعتاد البشر على ممارستها فيما بينهم، وذلك ليس كأفراد فقط، بل عليها أن تعانق جميع القيم الإنسانية والروحية التي توالى واتسعت على مر العصور في الحضارات والثقافات التي انبثقت من الجماعات البشرية المختلفة^(١). لذا، فلا بد من أن يتجسد هذا الشمول في شعب معين وبقعة معينة، ومن ثم ينطلق ويتسع. هكذا فعل الأخ شارل يسوع حين خص العالم الإسلامي بإيثاره وشهادته.

هذه هي القيم التي عاشها الأخ شارل وقدمها تركة روحية إلى بني جيلنا. فرسالته هي انه بشرٌ بان العيش بمحبة بين البشر ممكن ولازم، وبرهن بذلك بقوة حياته ولطفه وصمته، وذكر كل مترفع أن للآخر، مهما كان فقيرا أو صغيرا، عزة وكرامة هما له أعظم ثروة. لقد جسد محبة يسوع الفادي في عالم التحول الذي نعاصره، وشهد لقيم الروح والتجرد والبساطة وبطلان المادة في عالم يتهالك أبنائه بمجشع على البذخ والميوعة والتخلي، وأصر على أن يؤدي هذه الشهادة في قلب الجماهير لا في حصون الأديرة: هنا يكمن سر التجاوب المتزايد الذي تلقاه روحانية الأخ الصغير الشامل شارل يسوع في عالم اليوم.

إن هذا التجاوب ما هو إلا انعكاس لرغبة العالم المعاصر، لا سيما الشبيبة، في اخذ الإنجيل ببساطته وبكل متطلباته وحده أقواله لتجسيده في لحم الحياة وسداها، والكف عن اعتباره كتاب تخصص أو دليل تأملات أفلاطونية. إن المسيحية التي خرجت من قلب المسيح، والتي يعكس لنا الإنجيل وجهها الناصع، هي حياة؛ حياة تتجسد كل يوم، وفي كل يوم، حياة يعيشها إنسان لا يختلف عن سائر البشر، حياة يعيشها كاملة بالتزامها، وسط طموح البشر وإخفاقاتهم، في الحزن والفرح، في نضال البشر ومعاناتهم، في الحب والعمل الدائب والبناء، في السعة والعوز. المسيحية التي خرجت من قلب المسيح، والتي عاشها الأخ شارل، هي حياة إنسان ملتزم يتفاعل مع زمانه ومكانه وبيئته وشعبه ومع توثبات هذا الشعب وحتى مع ضعفه. بكلمة واحدة هي تجسد عقيدة في تضاعيف حياة.

(١) في تصدير كتاب "شارل دي فوكو رسول الاخوة الشاملة" (للاب جرجس القس موسى)، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٨.



+ هل حقا سيلحد المسيحيون؟ / شباط
 + دعوهج ينكلمون ولا لمنعوهج! / ايار
 **المسيحيون وفلسطين/ملف/٢ (ملفات الفكر المسيحي/ص ٥٠)



هل حقا سينتد المسيحيون؟

إسأل من شئت من المسيحيين، كبيراً أم صغيراً، شاباً أم هرماً، فتاة أم امرأة طاعنة، عما إذا كانوا يرغبون في اتحاد المسيحيين، يجيبوك كلهم بصوت واحد، تلك هي أمنيتنا الكبرى، حلم جميل، متى وهل سيتحقق؟ لقد مضى زمن طويل منذ أن كنا واحداً، فالانفصال الأول تم سنة ٤٣١ (نسطوريوس) وتلاه الانفصال الثاني الأكبر سنة ٤٥١ الذي نتج عنه استقلال تدريجي كامل لكنائس سوريا وفلسطين ومصر وأرمينيا، وتكرس الانشقاق الكبير بين الشرق الأرثوذكسي اليوناني (القسطنطينية) والغرب اللاتيني (روما) عام ١٠٥٤، وعقبه الانشقاق الغربي بظهور البروتستنتية عام ١٥٢١، وتباعدت الكنائس عن بعضها البعض شيئاً فشيئاً في عاصفة من الأحقاد والبغضاء تحولت فيما بعد إلى جهل متبادل، فاكتفاء ذاتي ورثناه نحن بعد أجيال من الركود والعزلة، وبتنا، من جراء ذلك، لا نرى في الوحدة أكثر من حلم هيبات أن يتحقق!



اسباب التجزئة... عقبات الوحدة

أنا لست لاهوتياً، ومعظم المسيحيين مثلي لا يفهمون شيئاً من "الجدالات البيزنطية" التي جعلت من المسيحية الشرقية لوحة موزائية غير متجانسة. ولكن لو حللنا أسباب التجزئة على ضوء الأمانة التاريخية وعدم الانحياز لرأيها متأية كلها من عوامل بشرية وقضايا شخصية وألفاظ فلسفية سيء فهمها، بالرغم من الوشاح العقائدي الذي تقنعت به. فالاختلافات في الشرق بين الطوائف المسيحية المختلفة ليست اختلافات لاهوتية

بل تعبيرية ومسلكية وتباين في وجهات النظر^(١)، أضف إليها رواسب الماضي الناجمة عن الفرقة وتطور كل كنيسة في اتجاهها الخاص. إنجيلنا واحد واسرارنا واحدة. من منا لا يؤمن يقينا بان المسيح واحد في ذاته، إله كامل وإنسان كامل. من منا لا يؤمن بان العذراء هي أم المسيح الذي هو إلهنا وفادينا. مفهومنا عن الكنيسة واحد، وحتى الأولوية البابوية التي تشكل، في نظري، العقبة الكبرى، يمكن أن تقبل بها جميع الأطراف لو أخذت بمعناها الكتابي الذي اقره التقليد الكنسي منذ فجر المسيحية، ولو تخلى البابا عن "الهالة الإمبراطورية والعرش القيصري" اللذين ورثهما عن ظروف مجتمعية وسياسية معينة، مكفيا بما يخوله إياه كرسي بطرس، اجل أن التاريخ يفسر أشياء كثيرة وهو خير طبيب. فإذا استثنينا العامل اللاهوتي الذي بولغ في اهميته وأعطى، بالرغم منه، دور حصان طروادة في كل المشاحنات التي شقت الكنيسة، نرى أن أسباب التجزئة تعود إلى ثلاثة:

١ - الاختلافات الثقافية والحضارية والنفسية والترعة القومية

٢ - الحرص على المصالح المادية والتمسك بالسلطة

٣ - المطامع السياسية التي استعبدت الكنيسة في الشرق وجزأها بسياسة " فرق تسد"، وشلت حركتها في الغرب بامتزاج السلطتين المدنية والدينية.

الألم نذير العافية

عدت إلى الاستطلاع الذي أجريناه في العام المنصرم في "ماذا ينتظرون من الكنيسة؟"، وعلى سؤالنا في معضلة الوحدة المسيحية صفتني الأجوبة، لا بصراحتها حسب، بل بنبرة الأسى والألم والثورة الصامتة التي تتفاعل في وجدان جميع المسيحيين على اختلاف أعمارهم وطوائفهم وثقافتهم وأمزجتهم. "صيحة ألم" ترتفع من كل صوب إزاء واقع الانقسام الزري: "اتالم ألما شديدا" (طالبة - ١٩ سنة)، "اشعر بالحزن" (حداد- ٦٤ سنة)، "ألما مهزلة" (طالب طب- ٢٦ سنة)، "ذلك اشد ما يحز في نفسي" (موظف- ٢٧ سنة)، "جدا، جدا، جدا اتالم من التعدد والانقسامات"، (موظفة - ٢٩ سنة)، "مشكلة عويصة كلما فكرت بها استولى علي الحزن"، (موظف - ٤٦ سنة).

هذا غيظ من فيض، ولسنا في معرض استدرار للعواطف، فلقد أصبحنا أضحوكة وموضع تندر بالانقسامات، وأمست المسيحية وكأنها مجموعة من الطوائف والمذاهب والملل عبثت بها الأقدار وأنستها الأجيال أن واقعها هذا لا منطقي، وان المسيح منه براء، اللامنطق ليس في أن تضم الكنيسة في حضنها شعوبا من بيئات وثقافات مختلفة، فذلك غنى وبرهان على شموليتها؛ اللامنطق ليس في أن تعتر كل فئة بتراتها وطقسها وتتغنى بتاريخها وتمسك بتقاليدها وامتيازاتها، فتلك غريزه طبيعية وإرادة في الأصالة؛ إنما اللامنطق هو أن نعرف إيجابيات هذا التباين ونبقى مع ذلك نتخبط في سلبياته معتبرينه هو الجوهر وكل ما سواه ثانويا، واللامنطق الأكبر هو أن انقساماتنا تكويننا، ونبقى مع ذلك نحوم حول المشكلة ونعيش في نوع من الاكتفاء الذاتي والتحصن بين جدران طائفيتنا واعتبار أنفسنا، في سذاجة مضحكة، وكأننا نحن وحدنا على حق وما على الآخرين إلا اللحاق بنا.



كيف نخرج من الأزمة

إن أول دواء للتخلص من هذه الدوامة هو أن نفتح الأبواب والنوافذ ونخرج إلى لقاء إخوتنا ونشرع أبواب الحوار بين الرؤساء والمفكرين والإفراد على حد سواء، حوار يركز على المحبة والاحترام المتبادل ونبذ كل الأحكام المسبقة والأفكار الخاطئة التي توارثناها ومجاهمة اختلافاتنا بموضوعية وتفهم. إن الوحدة لن تأتينا بتنمية العقبات، بل بمجاهمتها لفضح أسسها الواهية، وهذا يدفعنا إلى الاعتراف المتبادل بالأخطاء والمواقف السلبية السابقة. لقد كان للكبرياء والتعنت قسط وافر في كارثة الانفصال، ولن تعود الوحدة بين الإخوة إلا بفعل تواضع عميق وإعادة نظر شاملة في الأحكام والأفكار والقوانين والعلاقات وافترض حسن النية لدى الآخرين: هذا هو طريق المحبة المسيحية الحقبة التي لا تعترف بمنطق "تبعناكم... فاتبعونا" فالوحدة ليست مساومة، ولا تأخذ بمبدأ "نحن الأكثرية فانظمو ألينا"، لأنها ليست ابتلاء، بل عودة إخوة متباعدين إلى بعضهم البعض وإلى المسيح الواحد في الشركة الواحدة. فمتى ما حططنا جدار الأنانية لن يبقى، ثمّة، ما يعيق درب التفاهم والاتحام. إن هذا الحوار الذي ندعو إليه قد بدا فعلا في إرجاء الكنيسة الجامعة، بفضل الزيارات المتبادلة بين رؤساء الكنائس، وأقرب من خطا نحوه، على الصعيد المبدي، هو البطريرك يعقوب الثالث بزيارته الرسمية لبابا روما، فارتعشت الآمال من جديد. إن دور السلطة من الانقسامات كان كبيرا - ذلك واقع، لا خيال - فإن كان الغرب المسيحي قد اخذ، إبان الانشقاق البروتستنتي، بمبدأ "الشعوب على دين ملوكها"، فقد كان شرقنا، من قبل، قد سار على مبدأ "الشعوب على مذاهب بطاركتها"، لذا يحمل المؤمنون رؤساءهم الكنسيين القسط الأوفر من المسؤولية في إعادة الوحدة - ذلك ما لمسناه في أجوبة الاستطلاع الأنف الذكر، وما نلمسه في كل أحاديث الناس. أنهم يستحثونهم إلى الإسراع في الالتزام وعدم التقاعس لثلاث تلاشي العزائم وتموت الآمال. وقد صرح عمانوئيل: "لو كان الأمر بيد العلمانيين، لتحققت الوحدة من زمن بعيد" بينما نادى آخر "بثورة جماهيرية إن لم ينتبه الرؤساء الكبار لا قمهم سوى الكراسي" فتنتهي هذه التمثيلية، وإن لم يكن ثمّة نتيجة فليقم المسيحيون من مختلف الطوائف بالمطالبة بالوحدة بأصوات عالية ويوقدوا الضمائر النائمة" (موظف - ٦ سنة).

مبادرات عملية... واقتراحات

لقد سمعنا الخطب الكثيرة في الوحدة وكثرت التصريحات الرسمية والبيانات المشتركة في السنين الأخيرة، وحلم الناس أحيانا، من شدة الحنين، أنهم سيستيقظون في اليوم التالي على كنيسة واحدة! إننا لا ننكر عامل الزمن، بل لا بد منه لتهيئة العقول والنفوس، فالوحدة ليست مجرد صك يوقع، بل اقتناع يكسب تدريجيا، وحياة وتعايش، ونعمة تنال بالصوم والصلاة، فلا يجوز أن نساق وراء السطحية والعاطفية، فقد يكون التسرع وبالاً على القضية. غير إن الحوار المفتوح قد وصل إلى منعطف سيبقى فيه مجرد حوار وتبادل رأي، وبالتالي لن يبلغ هدفه في الوحدة الحياتية الكيانية التامة، ما لم يوفر مناخ التقارب

الحقيقي وتعززه مبادرات عملية ملموسة. إننا لا ننكر إن تبديلا محسوسا في المواقف قد حدث، وإن بعض المبادرات الرسمية المبدئية قد اتخذت، إلا إننا نتطلع إلى المزيد منها، وإن يكون لنا نحن أيضا نصيب، هنا، منها، لذا فإننا نورد فيما يلي أهم العناصر الايجابية والاقتراحات العملية الكفيلة بان تعجل خطانا نحو الوحدة المسيحية الشاملة، حسبما جاءت في أجوبة استطلاعنا الأخير:

- القيام بجملات توعية مسيحية شاملة في هذه القضية عن طريق المواعظ والمحاضرات والندوات والصحافة المسيحية وتربية الناشئة تربية وحدوية تترع الانعزالية والطائفية من أذهانهم.
- خلق لقاءات دورية مسكونية بين رؤساء الطوائف المختلفة شخصيا أو بواسطة كهنة وعلمانيين منتدبين، لدراسة إمكانيات التقارب والتنسيق والتوحيد في جو حوار ديمقراطي اخوي واع. وقد اقترح البعض انتخاب هيئات ولجان دائمية لهذا الغرض في كل مدينة.
- استحداث الوحدة بالصلاة المشتركة والفردية واغتنام أسبوع الصلاة من اجل وحدة المسيحيين للصلاة واللقاءات الأخوية في جميع الكنائس بالتناوب.
- التنازل عن وجهات النظر الخاصة واجتناب التمسك بالتقاليد والترسبات المتحجرة التي لم تعد تلاؤم عصرنا، ونبذ كل ما يمكنه إن يكون عامل تفرقة.
- إعادة النظر في قانون الزواج وإزالة كافة الشكليات والتعقيدات التي ترافقه.
- التعاون وتنسيق العمل إلى أقصى حد في مجالات النشاطات الاجتماعية والخيرية والمدارس والأوقاف وتعميم المنهاج الموحد للتعليم المسيحي على كافة المدارس.
- الإكثار من الجمعيات والأخويات والندوات المشتركة بين جميع الطوائف والسماح لكل المسيحيين بارتياح جميع الكنائس والاشترك في الأسرار والاورخارستيا.
- توحيد الكلمة والعمل المشترك في المناسبات الوطنية والالتزامات القومية.
- العمل الجاد للتقارب والتوحيد بين الطوائف ذات الشطرين (أرثوذكسي وكاثوليكي) للعودة أخيرا إلى الوحدة الكاملة والبطيريك الواحد.
- عقد مجمع مسكوني خاص بقضية الوحدة المسيحية = أو اقله اجتماع بين البابا وبطاركة العالم (الكاثوليك والأرثوذكس) لهذا الغرض واتخاذ جوهر الدين المسيحي واعتماد الإنجيل والمجامع الأولى أساسا للحوار.
- المشاركة الفعلية للعلمانيين في الحركة المسكونية والاعتماد على الشبيبة كعنصر أساسي لنجاحها ومدتها بالزخم والحيوية. ولعل أهم اقتراح مباشر وأقربه إلى قلوب جميع المسيحيين، لاسيما في العراق، هو توحيد عيد القيامة، وذلك لاتصاله المباشر بحياة الناس العملية -أفلا يكفيننا ما نرشق به من هزء وسخرية.

إننا ندعم هذا الاقتراح الشعبي ونهيب برؤساء كنائسنا، لاسيما في شرقنا العربي، أن يبدلوا كل جهودهم للتوصل إلى صيغة "توحيدية" يقبل بها الجميع، كأن يكون العيد مثلا في الأحد الأول أو الثاني من نيسان من كل عام. ستكون تلك أجمل واعز أمنية يحققها رؤساؤنا للشعب المسيحي، والاقتراح الأخير المتصل به هو توحيد سائر الاصوام والأعياد. هذه هي السبل والمقترحات العملية الرئيسية التي نراها كفيلة بإعادة الوحدة إلى كنائس الله. إننا نرفعها بصورة خاصة إلى شعبنا المسيحي وإلى رؤساء كنائسنا في العراق وندعمها بكل إخلاصنا وإلحاحنا كي نتجاوز الأمنيات إلى التخطيط والعمل الجاد. أوليست كلها نابعة من رغبة المسيح في أن "نكون واحدا كما هو الأب واحد... حتى يؤمن العالم"؟ إننا لوائقون من أن أمنية المسيح ستتحقق بقدر ما تكون المحبة رائدنا "فحيث التعاون والمحبة هناك الله، وحيث روح الله هناك الوحدة التامة" (معلمة - ٢١ سنة). فلنسر، إذا، كلنا نحو هذا الهدف اخذين بهذا المبدأ الذهبي وهو: "لا نعمل منفردين ما نستطيع عمله سوية".

(١) ليس الامر كذلك بالنسبة الى الاخوة البروتستنت، فهناك اختلافات جوهرية حول مفاهيم الكنيسة والاسرار والعقيدة والتقليد.

دعوههم يتكلمون ولا تمنعوههم!

في أسرة مسيحية تقليدية ترعى القيم الإيمانية والأخلاقية أيما رعاية، كنا نتجاذب أطراف الحديث حول مائدة عائلية تزخر بالمحبة أكثر مما بالأطعمة. تكلمنا عن إغراءات المدنية المعاصرة والتهافت الغريزي إلى الرفاهية والترويح عن النفس، مع كل ما في ذلك من إيجابيات وسلبيات. فقد انتقل مجتمعنا النامي، من حضارة الكوامين الطينية والخزفية ذات النار المستوردة برمادها على الأكف من بيت الجيران إلى حضارة البترول والغاز والكهرباء، ومن ظهور الجمال في أسفارنا إلى متن الطائرات النفاثة... ثم تشعب الحديث إلى النواحي الفكرية والأخلاقية، فتطرقتنا إلى موضوع الاختلاط في الكليات ومشاكل الطلبة الإيمانية ونظرتهم إلى القضايا الدينية.

تحدثت الأم عن أجواء حدائتها المشبعة بالتقوى يوم كانت الأطر الدينية والطقوس الكنسية تنظم الفصول الأربعة وترشدها إلى اختيار لون ثوبها. وتذكر الأب يوم كان يرافق والده إلى القديس قبل التوجه إلى الحقل ولا هم لهما سوى ترويض التربة لتدر أكثر وأفضل... وتحدثت البنات -وهن اثنتان في الكلية وأخرى أنهت دراستها- عن تقهقر الإيمان وتقلص الشعور الديني لدى الشباب. وصرحت الصغرى: "إن معظم الطلاب لا يؤمنون، وليس لله من موضع يذكر في اهتمامهم، بل كثيرون ينكرون وجوده".

تعوذت الأم واستعانت باسم الصليب وجزمت بان نهاية العالم قد أقبلت!

وابتسمت الأخت الكبرى وقالت بحذر كمن يتحسس أرضا لينة بقدميه قبل السير "حقا، أبونا، في الدين أمور عويصة يصعب فهمها... أنا نفسي أخذت أتساءل عن أشياء كثيرة... صلاتي لم تعد بجرارتها وصفاتها كالسابق... بعض من اللا أبالية اخذ يتسرب إلى حياتي الإيمانية...". في ابتسامتها وتردها قرأت عاملين يتفاعلان فيها في أن واحد: رغبة في أن تطمئن ذويها من أنها لازالت مؤمنة، ومعاناة حقيقية في حياتها الإيمانية.

لم يرق الجواب لامها، لأنها كانت تظن أن أبنائها سيكونون، بفضل تربيتها، في مأمّن من كل تساؤل، ولن تؤثر فيهم أفكار زملائهم. الإيمان والقيم الأخلاقية الموروثة أمور لا تناقش: هذا ما رددته عليهم دوما. ولكن ما لا يناقش أيضا أن هذه التساؤلات والمعانيات أمور أكثر من مألوفة في صفوف شبابنا المعاصر.

اجل انه لواقع دماغ إن شببتنا اليوم عرضة لتيارات جديدة متفاوتة الحدة لم يكن لإبائنا علم أو خبر بها. أهم أمام مفترق طرق فكري ووجداني بين عالم جديد تتمخض به عقولهم وطموحاتهم، وعالم تقليدي يحضر ولا يريد أن يموت. وهذا العالم التقليدي، عالم الكبار، لا فقط لم يعد يشبع بحثهم، بل يتنكر لهم عوضا عن أن يقودهم إلى النور، وهو يصممهم بالخفة والطيش والإلحاد إذا ما عبروا عن ذواتهم. فاذا أطلال الشاب زلوفه أو شعره تباكوا على الأخلاق، وإذا لبست الفتاة "الشارلستون" ضربوا كفا بكف ونسوا إنهم هم أيضا سايروا في شبابهم موضة زمامهم. وهل هذه الظواهر سوى متنفس طبيعي في مجتمع

يضيق بهم! وإذا استفهموا عن أصول إيمانهم أو أعادوا النظر في بعض حقائقه فهذا لا يعني أنهم ملحدون أو على قاب قوسين منه. في المسيحية، أكثر مما في أي دين آخر، ترقى العقيدة إلى مفاهيم ميتافيزيقية فوق مستوى إدراك الإنسان لأنها تمي حياة الله الحميمة - الثالوث، التجسد، الفداء... ويعانق الدين المسيحي بالتزاماته ومتطلباته حياة المرء بكل جوانبها، بحيث ينبغي أن ينير الإنجيل نظرة المسيحي في كل أحكامه وميادين حياته الفكرية والسلوكية. أما أخلاقية الدين المسيحي وأنظمة الكنيسة فترسو على تقليد توارثناه منذ إلفي سنة، فترك عليه كل جيل بصمات وأضاف إليه ثوبا، ضاعف تارة رونقه وطورا موه حقيقته.

منطقة الخلاف الكبرى التي تفصل عالم الشباب عن عالم الكبار هي إعادة النظر في جوهر هذه الأمور ومدى اتصالها بالحياة. الشباب يبحثون عن أصول ما يؤمنون به وينشدون التحرر من كل عقدة أو كبت أو تمويه يفرض باسم الدين أو باسم أية عقيدة أخلاقية كانت: هذا كل ما في الأمر.

تقول الدكتورة دوريس اودلم في كتابها "رحلة عبر المراهقة": "كل أفكارنا وآرائنا توضع موضع التساؤل وعلينا أن نبرر لهم افتراضاتنا وقناعاتنا بأننا على حق. والمراهقون - والشباب كلهم - ليسوا مهيبين لان يتجاوزوا عن أي إخلال بالشرف في الفكر أو الكلام أو الأعمال وهم لا يتسامحون بعدم الإخلاص أو الآراء المبينة على التعصب أو في القبول الأعمى لأراء الأجيال السابقة أو في أية معرفة ندعيها لا تكون مبنية على حقائق قابلة للبرهان"،

إن هذا القول ينطبق بحذافيره على التربية الدينية أيضا. فمن طبيعة الشاب أن يسأل ويستفسر ويحلل ويزن بميزان الفائدة التي يجنيها هو ومجتمعه من عقائديته ومما ورثه من قيم عن أسلافه. من هنا أيضا رفضه أن تبقى المسيحية سحينة الكنائس والمجتمعات التقليدية المخلقة فلا تتفاعل في الحياة العامة، الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية لبلاده. فان إصرارنا على إسكاته حين يناقش نظريات الكنيسة - وكلامي موجه هنا إلى الأهل والمربين والاكليزيكيين على حد سواء- أو حين يتساءل الشاب عن طبيعة المفاهيم الدينية التي تنظم علاقاته والمعطيات الغامضة التي شب عليها وقد نسبت إلى قوة سماوية، بينما هي في الواقع ظواهر طبيعية، أن أصررنا على إسكاته آنذاك فمن البديهي انه سيسمنا بالرجعية ويعتبر الدين وشؤونه تخديرا أو تلفيقا. وبذلك سنوصل الباب بينه وبين الحقيقة، سنقيم جدارا من الصمت بيننا وبينه. فالخطر، إذن، ليس في أن يسأل الشباب بل في أن لا يسألوا فيفقدون حتى حب الاستطلاع والفضول العلمي الذي إنما هو علامة يقظة وحياة.

إننا نحسب أن هؤلاء الشباب مثلنا تماما: لهم ذات النضوج الفكري "والاستقرار" الديني وردات الفعل نفسها التي لنا إزاء الأحداث والمعتقدات، لذا يأخذنا العجب من تساؤلهم ولا نفهم كيف يمكنهم أن يشكروا بمعطيات سار عليها آباؤهم وأجدادهم بيقين وثقة عمياء أحيالا طويلة، فيقسو عليهم حكمتنا. إن الآباء والأمهات - كثيرا من رجال الدين التقليديين - ينسون أنهم هم وأولادهم ينتمون إلى جيلين متفاوتين بالعقلية تفاوتنا كبيرا ولا يعطون أهمية تذكر لواقع كونهم لم يمروا قط في مراحل الدراسة العالية في وضعها الراهن مع ما فيها من تطلعات ونضال للحياة، بالإضافة إلى التزعة العلمية التحليلية التي تسير هذه الدراسة معتمدة الملاحظة والحس. تعلمنا نحن ولم نناقش، ويتعلمون هم ويناقشون كل شيء، فلماذا، ترى لا يناقشون أمور الدين والقيم الأدبية الأخرى؟... ناهيك عن الظروف الجديدة التي يخلقها الاختلاط الذي يتسع يوما فيوما بين الجنسين وبين مختلف الأديان

والقوميات وتيارات المدنية الحاضرة في التحرر وبناء المجتمع الموحد والآراء الفلسفية والاجتماعية والسياسية المختلفة التي تتنازعهم.

إذا كانت هذه المجموعة من العوامل تعطي الخيار لشباب اليوم، فهي لا تسهل لهم عملية الاختيار، سيما وأنها تجاههم في مرحلة يفتقرون فيها إلى الاستقرار الفكري والعاطفي وينتقلون فيها، ذهابا وإيابا، من الشك إلى اليقين، فكيف بالكبار يريدونهم مثلهم من دون مشاكل، وهل لحكمهم على جيل الشباب بهذه العقلية الراكدة أن يكون صائبا أو موضوعيا. فان قال بعض هؤلاء بأنهم لم يعودوا يؤمنون، فهم، إن نحن حللنا تساؤلناهم وآراءهم، ليسوا بعيدين عن الإيمان بالدرجة التي يتصورونها، إنما أصبحوا في مستوى علمي وتقني أعلى من مستواهم الديني. وان صاروا بالغين في مداركهم الإنسانية، فهم لا زالوا، في معظم الأحوال، على معلومات الدراسة الابتدائية في شؤون الديانة. أجل، إن شبابنا يشكون من داءين رئيسيين هما: قلة الثقة بالكبار وقلة الثقافة المسيحية، وان معالجة هذا الفقر لا تتم بمجرد الإرادة الطيبة، إنما تستوجب حشد الطاقات والتعاون الوثيق بين الكهنة والأهل والشباب أنفسهم لا قامة جسر الحوار:

إن الخطوة العملية الأولى هي أن نبذل جهدا حقيقيا لفهم مشاكلهم وتساؤلناهم على ضوء المرحلة السيكولوجية والإدراكية التي يمرون بها ونشعرهم بأننا نجهم ونبته إليهم. إنهم، في جهم للمسيح واعتزازهم به، لا يبغون سوى معرفة المزيد عنه، وهم ينتظرون منا لا أن ندينهم، بل أن نستمع إليهم بصبر ونكون موضع ثقتهم وفتح معهم حوارا يتسم بالاحترام، ينفذون من خلاله إلى معرفة أدق لعقيدتهم.

والخطوة الثانية هي أن نتسلح بالشجاعة ونعود إلى تثقيف ذواتنا ثقافة إنسانية متكافئة ونحدد معارفنا المسيحية ونشذب نظرياتنا التربوية من الاستعلاء وفرض الرأي ومن السطحية والمغالطة. من دون هاتين الخطوتين لا نستطيع تأدية أية خدمة جادة للشباب في بحثهم. أما الخطوة العملية الثالثة فهي أن نستخدم لنشر الثقافة المسيحية وبعث الوعي الديني بكل وسائل الإعلام والإبلاغ الحديثة. واحص بالذكر هنا ما هو بين أيدينا منها للمضي في تطويره، وتجديده وتوسيع انتشاره، واعني به صحافتنا الناشئة والمكتبات المسيحية والندوات الدينية والحركات الروحية والرسولية والدورات اللاهوتية والنادي الثقافية المسيحية والسهرات الإنجيلية... ليس في نيتي الآن أن استفيض في شرح موضوعي لهذه المبادرات، وإنما أود أن اجذب انتباه ذوي إخواننا الشباب إلى أنها ركائز فريدة لدعم إيمان أولادهم، فالندوات الدينية المختلفة، مثلا، والحلقات الدراسية حول الإنجيل تقدم للشبيبة إطارا مسيحيا صافيا لإثراء شخصيتهم وتحفظ لهم التوازن النفسي والروحي الذي يحتاجون إليه وترسخ عقيدتهم وتحملهم على إشعاعها.

وهكذا، بتآزرنا وتفهمنا ومحبتنا وصرنا الجميل، كهنة وأولياء، سنتيح الفرصة لأعزائنا الشباب كي يطلعوا على مقومات إيمانهم وموجبات أخلاقيتهم المسيحية، فيتسنى لهم، من ثم، أن يعيشوا هذه الأخلاقية وذلك الإيمان في الواقع اليومي الملموس عن اقتناع واطمئنان وفرح، وليس عن عمادة وجهل. إن الجهل لم يخدم الحقيقة يوما.



مع الاب رينيه فوايوج/مقابلة/ك٢

**معهد مار يوحنا الحبيب/ملف/نيسان (ملفات الفكر المسيحي/ص٧٢)

**المسيحيون وفلسطين/٢/ملف/حزيران (ملفات الفكر المسيحي/ص٥٦)

+ كاهني هكذا اراه.. وهكذا اريده/ملف/ت٢



كاهنين هكذا اراه.. وهكذا اريده

الكنيسة، او المسيحية، يجب اكتشاف دورها الكامل في العالم. انها ليست مجرد سفينة تقل ركابها الى ميناء الابدية (١) واعدة اياهم "بخيرات مقبلة". ان هذه الناحية، واقصد الخيرات المقبلة، قد لاتلقى في الحضارة المعاصرة كل الحماس الذي كانت تلقاه في السابق وذلك لاسباب عديدة: منها قوة العلم والتقنية التي صرعت كثيرا من مخاوف الانسان واتكاليته على "الخيرات المقبلة"، وجاذبية الحياة المرفهة، واكتشاف كثير من القيم الايجابية الموجودة في الخليقة. اظن ان هذه النقطة الاخيرة ذات اهمية كبرى بالنسبة الى رسالة المسيحية الكاملة في العالم. فعليها -وذلك من صلب طبيعتها الداعية الى "تجديد كل شيء في المسيح" - عليها ان تبحث عن هذه القيم الايجابية في الكون وتكتشف المسيح الكامن فيها، تكتشف غايتها، تكتشف العناصر "الروحية" الكامنة في "الحياة المادية" وترفعها الى الله، بل تنظر الى القيم المادية والانسانية والعلمية والسياسية كجزء مكمل لعمل الله وداخلة في مخططه...

وهكذا فنحن نشحب استخدام المسيحية كمجرد اطار لنظام سائد "ازلي" او اعتبارها عنصرا مكملا في اخلاقية المجتمع وحضارته ليس الا: انها اسمى من ذلك -انها دعوة الى تألية الانسان واكتشاف قداسة المادة والاشترك في حياة الله.

هذه هي المسيحية الحية التي ارادها ومنتظرها المسيح والتي ينتظرها العالم، المسيحية التي ينتظر ان يشر بها الكاهن وبيحياها، لا هو فقط، بل كل مسيحي. لاشك ان رسالة

الكاهن متصلة، اكثر فاكثر، اتصالا حيويا مع العالم: والكاهن يجب ان يكون بحكم رسالته الدينية والانسانية، مفتحا الى مضامين حياة الانسان كلها، ويفهم حالاته في العمل والجهاد، مما يلزمه ان يكون مندجا في المجتمع الذي يخدمه، لا هامشيا عليه.

لا يجوز ان يبقى الكاهن "رجل المبادئ" و "الارشادات" و "التوجيهات" و "الفتاوى" وهو يحكم من عل. يجب ان يتزل الى الميدان، والا لغاب في النسيان تدريجيا، او عُذَّ على حساب ممتهي الاخلاقيات التي لا تكلف صاحبها كثيرا.

الكاهن يتحمل القسط الاكبر من رسالة الكنيسة. أو لم يوصه معلمه قُبيلَ ارتقائه: "اذهب وبشر وعلم جميع الامم وعمدهم...؟"

ولكن قبل ان يتجه الكاهن الى "جميع الامم" هو مرسل "ليبشر ويعلم" شعبا معيناً، وان هو "بشر وعلم وعمد" هذا الشعب، هنا، بكل الاندفاع والحرارة اللذين وضعهما المسيح في قلبه يوم رسامته يكون قد بنى الكنيسة واشترك في بناء العالم.

في هذا الملف لانبغي اجراء دراسة مستفيضة عن رسالة الكاهن، انما نكتفي بدرج مقتطفات مما كتبه البنا بعض القراء في استطلاع سابق عما ينتظره المؤمنون من الكاهن (الفكر المسيحي - العدد ٨ - تشرين الاول ١٩٧١). اننا نامل ان تعكس هذه النصوص العفوية الصورة التي يرسمها المؤمنون له وما يدونه من ملاحظات او امنيات حول هذا الرجل الذي يمتزج اكثر من اي شخص اخر بحياتهم.

*

● "الكاهن هو ذلك الشخص القوي الارادة المضحي براحته والذي يترك ملذات الدنيا الزائلة لكي يجعلنا مطمئنين الى ان الدين المسيحي سوف يظل شامخا قويا ما دام هناك كهنة يعملون على اسماعنا تعاليم المسيح وحثنا على الحفاظ على مبادئه والتخلق باخلاقه والافتداء باعماله. وانتظر من الكاهن ان يحاول تجنب كل ما يسيء الى سمعته ويكون قدوة حسنة لنا ويعلمنا الفضيلة وهو متّصف بها. وان يحاول بعض الكهنة التزول من ابراجهم العاجية والدخول في قلب ابنا رعتهم ومساعدة كل محتاج الى ثقافة روحية" (ص.ح.ك. - موظف ٢٩ سنة).

- هذا الاندماج بالشعب كتب بصدده كثيرون والجميع يرون فيه شرطا اساسيا لتجسيد رسالة الكاهن تجسيدا واقعيا - يريدونه بطلا يعيش بينهم، ومثالا يسيرون على خطاه، يحيا بوعظه، ويعظ بحياته:

● غ.ك. - معلم ٤٦ سنة:

"الكاهن هو كشعاع ونراس في عالم يخيم عليه الظلام وكالطبيب النطاسي الذي يبحث بمبضعه الداء من جذوره. انتظر منه، لا بل الخ عليه توسيع حقله في الوعظ والتعليم المسيحي والتوجيه الادبي والاجتماعي وان يخرج برسائله من تحت جدران الكنيسة الى

قلب المجتمع ليتحسس مشاكله ويعمل بجد لحلها بموجب الروح المسيحية والعدل الاجتماعي اللذين يؤكدان على الكرامة الانسانية والحرية وتوفير الحاجات الضرورية للانسان. وارجو ان يكون هو خير مطبق وقدوة لما يدعو اليه وان تكون الفطنة والجرأة والاخلاص والتواضع رائده في كل خطوة وعند معالجته لكل عاهة او مرض انساني واجتماعي وان يصمد امام نقد ومعاكسة ومقاومة الحاسدين والطامعين والحاقدين والمتصيدين في المياه العكرة والمتنفذين بواسطة اموالهم او جاههم او خداعهم؛ فسرعان ما يقل عددهم كلما زاد من صموده واخلاصه ويزداد عدد مؤيديه ومسانديه من جميع الطبقات، وان يضع امام بصيرته دوما ان السيد المسيح نفسه قاومه كثيرون ولكن صموده وتضحيته الممرا هذه الكنيسة".

• ع.ز.ي.- معلم ٢٣ سنة:

"يجب ان يكون شعبة تتقد وتضيء لكي تنير الطريق امام الشعب المسيحي وذلك بافساح المجال لفتح كثير من الاخويات والتشجيع الى الانتماء اليها، ثم التكاثر من اللقاءات في المناسبات، ثم مواضع المواعظ ان تكون حياتية مرنة لا تقليدية معروفة".

• ا.ا.- طالب جامعي ٢٣ سنة:

"يجب ان يكون الكاهن بطلا مسيحيا يعظ بجرأة ويفضح بجرأة، والا فلا داعي لوجوده لانه في هذه الحالة يكون كمنثلي وكغيري".

• ب.ب.- طبيب ٦٢ سنة:

"الكاهن شخصية ذات صفة روحانية مقدسة دائمية ويجب ان يكون مثقفا بدرجة عالية تمكنه من اداء رسالته التعليمية والقيادية ومتواضعا ليقدم الشعب ويمتدح معه...". ولكن بدون تزمت:

• ج.ج.- موظف ٢٤ سنة:

"الميزة التي يتميز بها الكاهن عن العلماني هي التصريح المفوض به لممارسة الاسرار، روحيا، اما ظاهريا فهي الملابس فقط. فله ما لنا وعليه ما علينا، ومقابل ذلك، اي مقابل هذا التفويض الروحي لا يجوز ان يعتبر نفسه كحاكم او كمرجع رئيسي ونهائي في كل القضايا بالرغم من انه يجب ان يتدخل ويعمل لياقي بما هو جديد، لا ما ثقلت اذان الشعب من سماعه...". انه "ابونا" فليكن كذلك واكثر: اخ ومرشد وصديق وثقة:

• د.د.- مدرس ٢٨ سنة:

"الكثير من الكهنة يقوم في حقل الشعب المسيحي بخدمات ونشاط مبارك ملحوظ، لا بل مضمّن في بعض الاحيان. ان ما انتظره من الكاهن هو ان يكون الصديق والمرشد وموضع الثقة، وببساطة طبيبا روحيا اذا قصدته".

"واما ما اعلق عليه جل اهتمامي هو ان يلتزم الكاهن برعيته بالتعرف على هذه الرعية والامها وامالها واخطائها -الاحطاء الجماعية وقصر النظر في المشاكل الحياتية، وبالاخص تفهم مشاكل الشباب وتطلعاهم. واني اتوقع من الكاهن الصادق مع نفسه اذا ما توجهت اليه التهم وسهام الانتقاد ان يقول: انا الغريق فما خوفي من البلل"، ويستمر ماضيا في سبيله محظما كل الاصنام مقتلعا جبال الاحطاء التي سلم بها العرف والتقاليد والمجتمع مبدداً الجهل والظلام والتاخر"

● ا.س.ج- معلمة ٢٣ سنة:

"ان نظرتي الخاصة الى الكاهن هي: انه ممثل السيد المسيح بيننا، وانظر اليه كاب حنون واخ عطوف وانتظر منه التوجيه الصحيح نحو حياة افضل".

● ه.هـ.- طالب جامعي ٢٣ سنة:

" نظرتي الى الكاهن هي انه صديق حميم لي وهو على اتصال مستمر بالمسيح يرفع صلواته من اجلي ومن اجل كل الشعب".

متفانيا امام رعيته في زيارته ومواعظه وتعليمه ومندمجا معها في حياته الاجتماعية وعلاقاته. دون تفريق بين غني وفقير:

● س.- موظفة ٣١ سنة:

"ان يكون الرجل المثالي الحقيقي، ولو انه لا يوجد شخص عدم الخطا، ولكن يجب ان يحاول المستحيل لمراعاة الاكثرية. وانه مع الاسف الشديد جدا هناك كثير من الكهنة يراعون بالزيارات العائلات الغنية وفوق المتوسطة ويهملون العائلات الفقيرة".

● ن.هـ.ك.- كاتب ٢٧ سنة:

"الكاهن رجل المحبة، رجل الانسانية... انتظر ان يعمل بكل مجهود لاجل كل الشعب المبارك وعلى الاخص في حقل مواعظه... وان توافق هذه المواعظ ماجريات الحياة، غير متقيد بقيود اجدادنا. واني امل ان تبدأ بشرح الانجيل المقدس لانه ينير الدرب للصحار والكبار على السواء. ولي اقتراح: لماذا لا يعلّم الكهنة الشباب المسيحي لغته الكلدانية... كما ان الزيارات الراعوية هي ذات فائدة جليلة الى قلوب المسيحيين".

● ه.م.ك.- طالب ٢٢ سنة:

"لما كان المسيح صديقا وفييا لي فالكاهن ايضا هو الصديق الوفي الذي الجا اليه وانتظر منه لي شخصا وللشعب المسيحي عامة ان يكون اكثر شعورا بالمسؤولية واكثر

تعاوننا مع رعيته لان الكاهن هو الراعي، والراعي مسؤول عن رعيته، ينظر اليها نظرة حب ووفاء، وان يكون اكثر تجاوبا لتفهم حاجاتها، وان يصرف القسم الاكبر من وقته لاعداد الشباب الاعداد الديني الصحيح".

- "ان يصرف الوقت الاكبر من وقته لاعداد الشباب، ويفتح اكثر على العلمانيين":
لازمة وأمنية عزيزة عند الجميع.

• م.ح. - طالب جامعي ٢١ سنة:

نظرتي الى الكاهن قاسية، بما انه كاهن الجماعة فليكن قطعة قطعة، هو في الكل والكل فيه. اريده لا يستريح ولا ينام، ان يعمل ان يفتح على العلماني...

• ع.و.ب-طالب ٢٠ سنة:

"تختلف نظرتي من كاهن الى اخر. هناك الكهنة الذين يتبعون الطور القديم. وهناك الكهنة العصريون، وهؤلاء هم الكهنة الشباب المنتحون والفرحون في تقديم خدماتهم للشعب ولا يتبعون المادة، هؤلاء احبهم كثيرا جدا واعتبرهم كاصدقاء ومرشدين"

"يعجبني ان اكون صريحا مع الكاهن في كافة القضايا التي نبحثها... اطلب منه تقديم المواعظ وتعليم الاولاد (ايام الصيف مثلا) التعاليم المسيحية..."

• و.و.-معلمة ٢٧ سنة:

"الذي انتظر منه هو ان يكون انسانا متفتحا ومرنا يقوم باعطاء المواعظ، يعمل في حقل التعليم المسيحي للناشئة ويتفاهم مع الشباب حول مشاكلهم وذلك عن طريق الاخويات والندوات ويقوم بزيارات للرعية التي بعهدته".

- لكي يكون الكاهن قريبا من امانى الشباب ويواكب مسيرة الانسان في طموحاته المادية والروحية ويعلم الانجيل بلغة جلية ويفذي حياته باستمرار لابد ان يكون على ثقافة عالية، فالجهل والسطحية للكاهن افة لا اخطر منها:

• ع.ع.-مترجم ٥٩ سنة:

"انتظر من الكاهن ان يكون كذلك السامري الصالح في مجال الحياة الروحية وان يكون مثقفا تثقيفا دينيا عصريا وان يحاول ان يزيل ماعلق باذهان الشباب من امور خاطئة بالنسبة الى جوهر الدين وان ينشر الكتاب المقدس بين العوائل المسيحية".

• ا.ح.:

"الكاهن هو ممثل السيد المسيح، اريده ان يكون بمستوى من يمثله ومثقفا يزيدني ثقافة بمواعظه، كما اريده ان يقلل من زيارته للثرياء فقط حيث الماكولات الدسمة، ويياشر على الفور بزيارة كل البائسين وتقديم كل المساعدات الممكنة لهم. واقترح ان يرسل كل كاهن للتخصص في الحقول السيكولوجية اضافة الى دراساته الاخرى ثم يعود ويعالج كل القضايا بمواعظه وكانه استاذ جامعة، لان ثلاثة ارباع البشرية اليوم تعاني من الامراض النفسية، والكهنة هم اقرب الناس واحقهم في معالجة هذه الامراض".

ويختم الصديق ا.ح.: "بقاء الكنيسة في بقاء الحياة الكهنوتية والرهبانية لذا يجب ان يكرس بعض الشباب والشابات حياتهم فيها".

قد تكون بعض هذه الملاحظات قاسية احيانا! بذلك انما اراد اصحابها ان يترجموا شعورهم كما هو، لا لقللة ثقتهم وامالهم بكهنتهم، بل بالعكس، لانهم كبروا الثقة بهم وبينون عليهم اعز امالهم في بنين المسيحية وانعاش الايمان وتجديده: "ترجوا منه الكثير جدا. عيوننا كلها شاخصة اليه" (ه.ع-موظف ٣٧ سنة). جمال الكنيسة بجمال حياة كهنتها، فان كانوا راسخين ستبقى راسخة شامخة، وتكاتفهم الوثيق مع اخواتهم واخواتهم العلمانيين ستؤدي الكنيسة رسالتها بامانة ووضوح في العالم.

- + رأيت الله ونحدثك إليه/ك
- مع الأب جورج شحانه قنواحي/مقابلة/نيسان
- + هانان اليهان/أيار
- + المسيحية والثورة في أميركا اللاتينية/ملف/حزيران
- مع أسرة مسيحية حول الصلاة/مقابلة/ت١-٢٠

رأيت الله وتحدثت إليه

إن كان الله حقاً مركز كل شيء والضروري الأكبر لكل إنسان، كما قال أبي، وكما قال أساتذتي، وكما قال موسى وأشعيا وسقراط وعيسى واوغسطينوس ومحمد والغزالي والاكوييني وباسكال وحبشي وسائق التاكسي، وكما يقول كل مؤمن، من إبراهيم الخليل وإلى هذه القروية التي تراقب لهيب النار في كانونها الطيني، وهي تعد الخبز الحار اليومي لزوجها القادم من حقله المعطاء... إن كان الله هذا شأنه، فلماذا يا ترى يسكت، لماذا لا يتكلم عن ذاته، لماذا يدع الإنسان - لاسيما إنسان هذا العصر الذي أمسى "خالقاً" بدوره - لماذا يدعه يتخبط في بحثه أو جهله؟ لماذا يتركه يتعد في أفكار وفلسفات غريبة تنمو وترعرع دون أن تحسب له إي حساب؟ لماذا لا يكشف عن أوراقه لكل إنسان يشك في وجوده؟... ولماذا يسكت عن كل ما يجري - الحروب، الأحقاد، الظلم، الخبث، النفاق - وكان لا حول له فيها ولا قوة! لماذا يترك الأمور على عواهنها؟ لماذا خلق الإنسان في هذا الشطط، لماذا خلقه ضعيفاً إلى هذا الحد وكذا متبجحاً بما ليس لديه؟!...

وتعتريني الغصة من جديد، فأتأوه من أعماقي حاملاً البشرية كلها في قلبي: أجل إن كان الله هو خير الإنسان الاسمي، فلماذا، ترى تكون معرفته صعبة إلى هذا الحد؟

هذه الأسئلة ومثلها شغلت بالي طويلاً كما تشغل بال عدد متزايد من الناس. انما "مشكلة" الله والإنسان والشر، والتي لم يعطنا الرب لها حلولاً نهائية، ولعلنا انتظرنا منه

حلولا جاهزة تغنيا عناء البحث. ونبقى على ضمأنا نسأله: من أنت، أين أنت، لماذا لا تتكلم. لقد سمعنا بك، إلا أننا لم نستمع إليك؟!

فترسل إليه وفادتنا:

أأنت هو أم ننتظر آخر؟

ويتكلم الله "بكلمته" المتجسدة فينا حياة وحباً ورحمة وعطاء: "بهذا ظهرت محبة الله فيما بيننا: بان الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لنحيا به. على هذا تقوم المحبة: لا إنا نحن أحبنا الله، بل هو نفسه أحبنا وأرسل ابنه كفارة عن خطايانا... انه هو قد أحبنا الأول" (يوحنا ٤: ٩-١٠، ١٩)

وهكذا يأتينا جوابه ملائماً لطبيعته الذاتية، جواب أب محب، رقيق القلب. فمن محبته ورحمته ورفقه تعرفونه "الله محبة": هذه علامته الفارقة، وهذه هي أيضاً علامة ابنه المميزة - "يسوع محبة" - هذا الابن الحبيب الذي أرسله حياة وخلصاً للعالم. اجل إن إلهنا إله الحياة، وليس إله الموت؛ انه يريد الحياة لكل إنسان، ويريدها كاملة، متدفقة. فقد أجاب لوفد المعمدان السائل عن هويته: "انطلقوا، وأعلموا يوحنا بما تسمعون وترون. العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى ينهضون، والمساكين يبشرون". هذه هي هويته الشخصية. ففي قلب المسيح أعطى لنا، إذن، أن نعرف الله، في دقائق قلب ابن مريم، المشرف على الموت حباً بالإنسان، تحسس يوحنا "إنسانية" الله، إن صح هذا التعبير. بالمسيح أصبح الله قريباً منا، "ضيافاً"، واحداً منا، الكلمة صار جسداً وسكن في ما بيننا.

ان هذا يجلب إلى قلبي الطمأنينة ويقرب الله إلي بعض الشيء!

لقد أكل مع العشارين وقبل دعوة الفريسيين وحادث اليهود وقابل الوثنيين وصادق الخطاة بل شرب الخمر معهم واطهر عطفاً خاصاً لكل الفقراء والمنبوذيين وضحايا المجتمع، فكان تفضيله لهم رداً على موقف هذا المجتمع الظالم المتحيز منهم. لقد كان قلبه مع لعازر الملقى كقطعة أثاث متهترئة على مزبلة الغني. زكا العشار المرابي المعتاد على الرشوة نال حظوة لديه واستضافه لأنه قرأ ما في قلبه من طيبة. لقد ترك امرأة زانية تبلبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعرها المسترسل على مرأى ومسمع من سمعان الفريسي ونزلائه، فيا للفضيحة! إلا انه هو وحده كان عارفاً بما يجول في خاطر المضيف والحاطفة: "يا سمعان عندي شيء أقوله لك... أترى هذه المرأة؟ أنا دخلت بيتك ولم تقدم ماءً لرجلي، أما هي فقد غسلت رجلي بالدموع. أنت لم تقبلني، أما هي... أنت لم تدهن رأسي بزيت، وأما هي... لذا فان خطاياها، خطاياها الكثيرة، مغفورة لها، بما أنها أحببت كثيراً...". وحواره مع السامرية! قد يكون هو الوحيد الذي سمعته صاحبة الستة رجال يكلمها بهذه اللهجة الرزينة المفعمة لطفاً!

هذا هو يسوع اللطيف الذي تستوقفه زهرة خفرة في حقول اليهودية، ويرق لأطفال أتت بهم أمهاتهم إليه، ويكي لما سيحل ببلاده من ذل وهزيمة، يسوع الإنسان الذي تدمع عيناه لموت أصدقائه، يسوع الفادي الذي، مع أنفاسه الأخيرة، يعانق بنظرته الدافئة المحرم الذي يسترحمه، فيخصه بتلك اللحظات الباقية وكأنه هو الوحيد فوق حلحلة الكون. آخر أصدقاء يسوع هو لص وقاتل... فيا لاحترام الله للإنسان! ويا لرقته وثقته به!

تجسد المسيح مرة في التاريخ، في فلسطين، وقضى ما قضى من السنين بين الناس، بمحادثهم تارة، وبماورهم طورا، ويصنع لهم الخير دوما، ثم تواری... ولكن، هل حقا تواری، هل حقا لم يعد المسيح يتكلم، هل حقا "اقفل" عهد التجسد وعاد الله من جديد إلى سمائه البعيدة وصمته الرهيب؟ ان ما يجعل من المسيحية ديننا مزعجا وأثرا من آثار التخلف التائهة في عصرنا هو هذه النظرة الخاطئة التي تجعل منه "مذهب الذكريات"! فلا يكاد المؤمن ينتهي من الاحتفال بذكرى حتى تمر أخرى: ذكرى ميلاد سيده، ذكرى تسليمه، ذكرى موته، ذكرى بعثه... وهكذا نرى أنفسنا ننظر دوما إلى الوراء، وكأن لا شيء جديدا يحدث أو يستحق أن يسترعي انتباهنا اليوم. كل حدث حاسم جرى قبل الفمى سنة، وليس لنا، نحن، إلا أن ننام مطمئنين على الذكريات!

ان هذه النظرة القاصرة موت. فالحقيقة التي تجعل من المسيحية واقعا يققع العينين هي أن المسيح المنبعث من القبر هو "معاصر" للأجيال المتعاقبة. انه يتكلم وينادي، اليوم وغدا، كما فعل البارحة وفي أيام اوغسطس وقيافا. المسيح لا يزال يعيش بيننا في شخص الفقير والمعدم، وسيبقى يتكلم بلسان من أرغمهم الاستبداد والبؤس على الصمت. الله يتجسد اليوم في التاريخ وفي الاحداث التي تنسجه، يتجسد في حياة المسيحيين وفي الشهادة التي يعطونها عنه وسط الناس. من يراهم ينبغي أن يرى الله، في التزامهم وأخلاقهم وطبيعتهم وسموهم وسلوكيتهم ينبغي أن يعكس وجه الله. الله يتجسد في ابتسامه الطفل وفي ضحكة هذا الشيخ الهرم الذي يبدو بعينيه الكليلتين وعصاه التي تسبقه وكأن الزمن قد غفل عنه، في آمال الشبية التي لا حدود لها، الشبية الثائرة على الظلم وعلى فلسفة الربح والمصلحة وتحلم بمجتمع الإخاء والمساواة، وفي كل ضمير مستقيم. لم "يقفل" عهد التجسد ولم "يعد" الله إلى "عزلته": "انه يخاطبنا من وراء العوسجة" كما فعل يوما مع موسى، ويتراءى لنا في النسمة الرقيقة، كما طاب له مع إيليا، إننا على موعد معه في المغيب الساحر والشلال الهادر، وحضوره الخفي بإد محسوس في تفتح الزهرة ورقة الفراشة وزقزقة العصفورة وعنفوان هذه الصبية الخحول.

الهي أراه في أخي، الهي أتحدث إليه عندما أحاطب الكادح المهمل والطفل المشوه، الهي احسن إليه عندما انصر المظلوم واسمع صوته في كل قضية عادلة، الهي اعبدته عندما أقول الحق وافعله، الهي ييش لي عندما اعترف بالجمال والحب، الهي يراه من يرى "الإنسان" في كل إنسان، الهي يسير في الشارع ويجلس في باص المصلحة ويشغل في المعمل ويجوب مدارج الجامعات ويرافق اللاجئ المبعد ويشارك السجين زناتته والفقير كسرتة: "كنت جائعا... كنت عريانا... كنت سحينا... كنت مريضا... فافتقدتموني...". الهي يتجسد في أخي:

ان هذا الحضور يكتنفنا من كل جانب، وصوته يلفح آذاننا من كل صوب، ولكن هل لنا عيون تبصر وأذان تسمع؟. "في وسطكم يقوم من لستم تعرفونه". فالعقدة ليست في "الحضور"، إنما هي في "اكتشاف" هذا الحضور أو "التقاط" صوته - كما أن الجو مليء بالصور والأصوات، ولا يلزم إلا جهاز راديو أو تلفزيون لالتقاطها، شريطة أن يكون الجهاز سليما. فالقضية كلها، إذن، هي قضية إرهاف الأذن، والانتباه لمعرفة قراءة العلامات؛ إلا أن الأذن لا تكون مرهفة والرؤية لا تكون واضحة إلا إذا كان القلب سليما... في الصمت وصفاء الإيمان والمحبة... انما حاسة سادسة تحولنا اكتشاف الله والتحدث إلى اللا منظور.

وهنا اذكر حوار ثيوفيل الإنطاكي: "أو تقول: ارني إلهك؟ - ارني من أنت، وسأريك الهي، ثبت لي بان عيني نفسك تريان وقلبك يسمع... إننا نرى الله عندما نحسن رؤيته ونفتح أعين الروح. كل الناس لهم عيون، إلا أن البعض منهم مصابون بالرمد فلا يبصرون ضوء النهار. وإذا كان العميان لا يبصرون، فهل معنى ذلك أن الشمس لا تشرق؟ الداء فيهم وفي عيونهم".

أتاني يوما صديق لي عزيز تربطني به صلوات روحية متينة منذ عهد دراسته الجامعية، وقد علا البشر والتأثر وجهه الوسيم، وبادرني قائلا:

لقد رأيت الله!...

ما القصة؟

لقد رأيت الله عند أخوات يسوع الصغيرات!

وظننت انه آت من رياضة روحية أو من سجود "ناجح" قام به في معبد الاخوة فقلت له مبتسما:

وكيف ذلك؟

فاخذ يسرد علي بنبرته المتوجة وصوته الخافض قصة إحدى نسيياته وكانت من أخوات يسوع الصغيرات، عادت إلى الوطن، بعد دراستها الرهبانية، ومعها داء عضال. وبعد مدة غير طويلة استفحل الداء حتى لم تعد تقوى على الحركة، فنقلت إلى إخوة قريبة من ذويها، لان أيامها أمست معدودة، بالرغم من مظهرها الهادئ ووجهها الباش. ثم استطرده صديقي: - ترى... أنت تعلم الظروف القاسية التي ألمت بي... ان مرضها سندي. شابة في مقتبل العمر... مريضة لا تقوى على الحركة... شديدة الحساسية... وهدوءها وهذه العناية المثالية: لقد افردن لها حجرة خاصة وسريرا بني خصيصا لها... استقدمن للعناية بها أختين صغيرتين أحدهما طبية والأخرى ممرضة يتناوبن الحفارة ليل نهار... وكثيرا ما تحيي أحدهن أو كلاهما الليل كله معها، رهن اقل إشارة منها، وذلك منذ خمسة أشهر، وقد يطول مرضها أو يقصر... أتعلم... زيارتي اليومية... هذه المحبة... هذه التضحية الصامتة... ابتسامة الأخت الطبية... نعم، لقد رأيت الله!

من له إذنان سامعتان فليسمع، ومن له قلب حي فليتنظر!...

هاتان اليان

عتال أفغاني فقير يسير بخطى وثيدة مقوس الظهر وهو ينوء تحت كيس ثقيل ربطه بحبل إلى كتفيه كي يسهل حمله، رسم ظله في شمس الظهيرة المحرقة شبه صليب أتخيله يتحرك حيثما تحرك العامل الكادح.

هذه الصورة التي وضعها الأب سيرج دي بوركي الدومنيكي "التأفغن" على غلاف كتابه "كاهن لغير المسيحيين" تنطق ببلاغة محرقة عما يمثله عالم الكادحين اليوم. وإنما تتجسد أمامي الآن بالذات في شخص هؤلاء العمال الذين أراهم من نافذتي المطللة على منخفض "الصبنا" الواسع الذي تحيط به الجبال من كل جانب. فيه ينابيع الخير والعطاء. انهم على موعد مع الشمس الشارقة منذ بضعة أيام ينقلون أكياس التراب الأحمر على ظهورهم المنحنية ويفرشونها على طبقة خفيفة من الإسفلت الساخن فوق أسطحه مجموعة من الفنادق الشعبية. لقد أخذت تنمو هذه المنشآت السياحية بسرعة، كبنائيات الأساطير، هنا وهناك، وبإشكال وألوان مختلفة، فتحول هذه القرية الصغيرة الآمنة^(١)، التي ما كانت تتعدى الثلاثين بيتا قبل سنوات، إلى مصيف مزدحم تتشابك فيه اللهجات والقوميات والأزياء.

الطبيعة خرساء، وان كانت رائعة الجمال، إلى أن تعطىها النطق "كلمة" الإنسان، والجبال جامدة وان شمخت إلى السماء، إلى أن تحركها سواعد الإنسان، وسيبقى الصخر صخرا والشربين مجرد نبتة والجلول ماء كسولا ما لم يخلق منه الإنسان أغنية وشعرا وإبداعا.

قبل أيام كنت في زيارة صديق فنان شاب من الهواة، وبعد التحية والسؤال أراني بعض أعماله على الخشب. وما أراني قطعة خشب تكاد تكون متحجرة وجدها بين مهملات المنزل وقال لي: سأجعل منها إيقونة. فابتسمت ضانا انه يمزح. واتاني بعد أيام مهتلا واخرج من حقيته الجلدية إيقونة رائعة بارزة تمثل وجها وقورا المسيح بيزنطي القسما.

- بكم يوما صنعت ذلك؟

- بثلاثة أيام

ثلاثة أيام قضاها صديقي متفرصا في ظل توتة عتيقة يضرب ازميله برفق على الخشبة الصلبة ليحقق المثال الذي "حبل به" في ذهنه أولا، فله الحق في أن يفرح بعمل جميل أنجبه. لقد كان بوسعه أن يرافق زملاءه في رحلتهم الترفيهية ذلك اليوم، أو يتسكع هنا وهناك كما يصنع غيره، ممن هم في عمره، بلا هدف، طيلة أيام العطلة الصيفية، غير أن الحياة ما كانت لتدب في الجماد، وما كان للإيقونة أن تبصر النور لولا جهده ومثابرته

وإرادته، ولما تحولت الطاقة الكامنة فيها إلى حياة ووحى. لقد روحت أنامله القابضة على الأزميل بعزم هذه المادة الجامدة، وكفت أن تكون قطعة نكرة، قطعة أثاث كانت النار ارحم قدر عليها، ولعلها لم تنج إلى اليوم إلا بأعجوبة.

هذه الإرادة وهذا الجهد كفيلا بان ينقلا الجبال ويجعلا من الصحراء جنة عدن، فتنبس الحياة حيث مرت إصبع إنسان، وتتكلم الطبيعة وتبتسم الحقول وتومي الشلالات والسدود وكل ما امتزج به عرق الجبين البشري لتقول كلها بصوت واحد: إصبعان خلقا العالم: إصبع الله وإصبع الإنسان، ولن تبلغ الخليفة كماها إلا بتعاون الاثنين.

لقد قال الكتاب: "وتصبحون آلهة". إني أظن أن معنى العبارة يتعدى هذا التفسير اللاهوتي التقليدي الذي بموجبه تعني أن الإنسان مدعو لان يشارك في حياة الله بالنعمة والمجد السماوي، وانه، بالمسيح المتانس، قد "تأله". لماذا لا نعود بها إلى معناها البدائي حيث يعد الله شعبه بان يصبحوا كمثل تلك "الآلهة" المسلطة، بحسب الميثولوجيا الوثنية القديمة، على عناصر الطبيعة ومكامن الحياة. لنجرد القول من أي سحنة وثنية، فيكون معناها أن الإنسان مدعو ليشترك الله الواحد الأحد سلطته وسيطرته على الكون: "فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرا وأنثى خلقهم... وقال لهم: إملاوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطيير السماء..." (تكويين ١: ٢٧ - ٢٨).

اجل لقد زرع الله بذور الحياة في الكون ووضع فيه طاقات لا حد ولا حصرها، إلا أن هذه الطاقات قد تبقى راكدة إلى ما شاء الله إذا لم تحركها إصبع الإنسان، والأرض لا تعطي ثمرها إذا لم تفلحها يد الإنسان.

لقد جذبت انتباهي دوما حقول القمح الشاسعة التي تغطي سهول بلادي تنبعث فيها الحركة من تشرين إلى تموز، فتبدو ربيعا وكأها سحادة اصبهانية خضراء مزركشة بألف لون ولون، ثم تأخذ سيماء الذهب صيفا، حين ترأرأ فيها الحاصدات ليل نهار، أو تنهادى فيها أغنيات الحصادين ثملة، وأقول: هذا الجمال والخير ثمرة كم من الجهد والسهر والأمل!... وثمره كم من الجهد والتعب والقلق هذه البناءات التي تحجب وجه الشمس عن سكان المدن العصرية! ترى كم من العرق والدم "ينقّد" الكادح المسكين كل يوم ممنا لهذه الكسرة التي يتقاسمها مع زوجته وأطفاله!

ليس في نبيي أن ادخل في مناظرة دياكتيكية جدلية دفاعا عن العامل -ذلك ليس في هدي المباشر الآن- فما أريده هو إلقاء نظرة بسيطة، نظرة مؤمن "مفتون" يكشف عن "خطي" سيده في هذه الطبيعة التي تدر الحياة والعطاء، وإبراز شان الإنسان الذي يشارك معه في إحصائها وتطويرها بمجوده المتواصل وعمله الدائب. فالأخاديد التي يحفرها العمل على وجه العامل هي سيماء الله الخالق على محياه، ويده المخشوشنة هي أشبه بيد الإله الممتد نحو ادم، الإنسان الأول الذي خرج لتوّه إلى الوجود، في لوحة ميكيل أنجلو الرائعة. أما تذكرني بأيدي عاملين كادحين من الأولين، احدهما نجار وابن نجار من قرية

فلسطينية تدعى الناصرة، واسم النجار يسوع - بنجار تغلغل بعمله أعمق فأعمق في تضاعيف النفس البشرية: والآخر حائك، صانع خيم من بلدة تركية، طرسوس، اسمه بولس، حرص دوماً أن يكسب قوته وقوت ذويه "بتعب كتفيه وعرق جبينه": "إني لم اشتة من احد فضة أو ذهباً أو ثوباً، وانتم أنفسكم تعلمون أن هاتين اليدين كانتا تخدمان حاجاتي وحاجات الذين كانوا معي" (أعمال ٢٠: ٢٣). افليسَ ذو مغزى أن يكون السيد قد اختار حالة العمال لنفسه، وان يكون قد دعا أعوانه الأولين من بين الصيادين والكادحين واستوحى معظم أمثاله من بيئة العمل والحقل والصيد؟

إن الأكرتية الساحقة من سكان العالم هم عمال وكسبة يكدحون للقمة العيش، فكم هي باهظة الثمن!

ولكن مهما كان مجهود العامل كبيراً، فهو ليس بشيء إذا لم تُصنَّ كرامته، فالعامل الذي يتقاضى أجرة أوطأ من الجهد المبذول أو الكفاءة التي يبديها، مثلاً، يشعر وكأنه باع شيئاً من ذاته، قطعة من حياته، كمية من دمايه ولم يقبض شيئاً. إن كرامة الإنسان في العامل - كما في كل إنسان - هي فوق كل أجرة، فهو ليس آلة صماء ولا عبداً مشترى. ولكن هناك من لا يزال يفكر غير ذلك، لذا لا زال الظلم "يجبل به" و "يتكاثر" في العالم، ويعجب أولئك الذين "انجبهوه" كيف إن الحق قد متعشش بعد في قلوب الناس!

ساقطني إجازة قصيرة إلى بلدي، وبالرغم من مضي عدة سنوات على الحادثة، فقد ظلت عالقة في ذهني!

كنت عائداً من زيارة فصادفت سيارة شحن ضخمة (بوزينك) جامئة في وسط الشارع محملة بأكياس السكر، وقد لاحظت بوادر مشاحرة تدور، فسالت:

- ما القصة؟

- اختلاف بين السائق صاحب الشاحنة وبين العمال.

فقد كان الأول يصير على أن لا يحرك سيارته بوصة واحدة من الشارع المعبد إلى الطريق الترابي بحجة انه غير صالح للسير - وتحققت أن ذلك كان مجرد ادعاء ومبالغة في الحرص، لان شاحنات كثيرة سلكت من قبل في ذلك الطريق ذهاباً وإياباً - وبعد جدال طويل ما كان من العمال المسكين إلا أن يرضخ وينوء تحت حملة الثقيل مسافة ٣٠٠ متر في الطريق الصاعدة إلى مخزن التاجر المستورد، وقد ارتقى "جلجلته" أكثر من عشرين مرة، بعدد الأكياس المتباعدة وبثمن بخس جداً!

الشاحنة الموقرة - لسوء حظ العامل - لم تصمم لتسير على غير الطرق المعبدة!!!

(١) سوسنك، حيث كتب هذا الموضوع في صيف ١٩٧٢

ايار ١٩٧٤

المسيحية والثورة في أميركا اللاتينية

في العشرين سنة الماضية لعب المسيحيون دورا هاما إلى جانب الماركسيين في الحياة السياسية والاجتماعية في أميركا اللاتينية. ووجد العديد من المسيحيين طريقهم إلى النضال السياسي في الأحزاب الديمقراطية المسيحية. ثم تحول الكثيرون منهم إلى الحركات الثورية، وكثيرون من هؤلاء انخرطوا في فصائل المقاومة المسلحة.

هذه المسيرة يعكسها الملف التالي الذي نتبع فيه الدراسة الوافية التي نشرها الأب كومبلن في مجلة "الاخبار الكاثوليكية" (١ تا ١٩٧٣). وقد علم هذا الأب في البرازيل وطرد منها في آذار ١٩٧٢. وهو الآن أستاذ في كلية اللاهوت في لوفان (بلجيكا)، وكان إلى يوم قريب يدرس في جامعة تالكا في شيلي.

• من الديمقراطية المسيحية إلى المسيحية الثورية

في عام ١٩٥٥ انعقد في مدينة "ريو دي جانيرو" عاصمة البرازيل السابقة أول مجمع أساقفة لاتيني -أميركي، وقد واجه معضلتين رئيسيتين وهما تردي الأوضاع الاجتماعية وقلة الكهنة. وقد كان مجمع "ريو" بمثابة الضوء الأحمر وبدء حركة إصلاحية واسعة؛ فكثرت المبادرات لإعداد مخطط للعمل والانجازات الاجتماعية بصورة تدريجية. ومن هنا نشأت حركات "الديمقراطية المسيحية" أو "الاجتماعية المسيحية". وهذه التسميات لا تشير فقط إلى الأحزاب السياسية التي تحمل هذا الاسم، بل تشير أيضا إلى مجموعة المؤسسات المسيحية مثل الجامعات الكاثوليكية والمراكز الدراسية الاجتماعية والنقابات المسيحية... وغيرها.

وانطلقت الحركة "الاجتماعية المسيحية" من إدراك عميق لواقع المجتمع اللاتيني -الأميركي الذي يزرع تحت العديد من المظالم الاجتماعية. غير أن هذه الحركة لم تطرح على بساط البحث، آنذاك، المذهب الرأسمالي ككل، بل ابرزت "مساوته" وأكدت في برامجها على ضرورة إجراء "إصلاحات" عميقة، ولكن دون المساس بالبنى القائمة. إلا ان بين الحركة "الاجتماعية - المسيحية" وايدولوجية التطور التي تأصلت شيئا فشيئا في الخمسينات فرص التقاء كثيرة. أما على الصعيد الايدولوجي، فقد أعلنت الحركة الديمقراطية - المسيحية عن مشروعها في بناء مجتمع "شخصاني" و "جماعي" فيه برزت والتقت أفكار الفيلسوفين الفرنسيين جاك ماريان وعمل نوثيل مونييه.

وانطلاقا من هذه المبادئ تطورت الديمقراطية -المسيحية بصورة سريعة وظهرت التشكيلات الأولى بعد الحرب العالمية الثانية. فالتنظيم الشيلي ظهر كحزب مستقل في انتخابات ١٩٥٨، وكذلك الديمقراطية المسيحية البرازيلية. إلا أنها انتكست على أثر

الانقلاب العسكري لعام ١٩٦٤، في الوقت الذي كان ادوارد فراي يتهيأ للفوز بمنصب الرئاسة في شيلي مفتتحاً بذلك، وللمرة الأولى، عهد الديمقراطية المسيحية في الحكم (والمحاولة الثانية والأخيرة هي لرافائيل كلديرا في فزويلا عام ١٩٧٠). وفي ١٩٥٦ ظهرت الأحزاب الديمقراطية المسيحية في بيرو وكواتيمالا، ثم في ١٩٦٠ في سلفادور وباراكواي وبناما، وفي عام ١٩٦١ في جمهورية الدومنيكان، وجاء التأييد الكنسي الرسمي لهذا الخط من الالتزام الزمني في المجمع الأسقفي المنعقد في مارديل بلاتا عام ١٩٦٦.

تلك كانت القمة وبداية الأفول معا. فمنذ ١٩٥٩ أعلنت الجمعية العامة لاتحاد النقابات المسيحية اللاتينية - الأميركية في كيتو عن ضرورة برنامج، لا فقط إصلاحي بل ثوري أيضا. وفي الوقت نفسه أخذت الأوساط الطلابية المسيحية تعلن شجبها لخط الإصلاح وتؤيد الخط الثوري. وفي سنة ١٩٦٣ أنشأت الشبيبة الجامعية البرازيلية حركة شعبية أبرزت في مقدمة برنامجها التعاون مع الماركسيين.

واخذ الخط الثوري يتضح أكثر فأكثر وأصبح موضوع "الديمقراطيات - المسيحية" موضع نقاش. ففي سنة ١٩٦٧ شجبت مجموعة من أساقفة العالم الثالث (ومعظمهم كان من أميركا اللاتينية) النظام الرأسمالي وأيدت النظام الاشتراكي ودعت إلى تغيرات جذرية تفوق محاولات "الديمقراطية المسيحية". وفي عام ١٩٦٨ انعقدت في "ميدلين" الدورة العامة الثانية لمجمع أساقفة أميركا اللاتينية وأقرت ايدولوجية جديدة "للتحرر"، وبذلك شجعت الحركة الثورية في البلاد. وقد مدت هذا الخط بالزخم أوساط الكهنة الشباب والمنظمات العلمانية. ففي عام ١٩٧٢ انعقد في سانتياكو الشيلية اجتماع دولي ضم كهنة وعلمانيين أعلنوا فيه تأييدهم للاشتراكية.

• المسيحيون إزاء الحركة الثورية

إن سبب تطور بعض البلدان وسيطرة العالم الرأسمالي هو نفس سبب التخلف في العالم الثالث تحت نير الاستعمار. فقضية التطور هي بالحقيقة قضية تحرر وإزاحة السيطرة الامبريالية. فجميع بني البلدان المستعمرة قد أفسدها الاستعمار: البنى الثقافية والاقتصادية والسياسية كلها، وذلك جلي في أميركا اللاتينية، ولذلك بات من الضروري تحريرها الكامل، إذ لم يكن الاستقلال الذي حصلت عليه في القرن العشرين سوى رمزيا.

وهكذا فالثورة في أميركا اللاتينية هي ثورة ضد الرأسمالية العالمية بالدرجة الأولى وضد الطبقة التي تكون في الداخل حلقة وصل مع الرأسمالية العالمية وتثبت سيادتها، وهذه هي المؤشرات التي أصبحت أساسا لايدولوجية المسيحيين الثوريين أو للاشتراكية المسيحية. ونستطيع تلخيصها كما يلي:

◀ التزمت أميركا اللاتينية بالتطور التاريخي لتحرير المقهورين. وموقع المسيحيين في النضال يجب أن يكون إلى جانب الشعب المظلوم من اجل التحرير الكامل. فتحرير المسيح للجنس البشري يجد هنا تحقيقه الواقعي في تحرير الشعب اللاتيني - الأميركي، والحببة المسيحية تجد حقلها واسعا للعمل. وهكذا يكون التحرير هو التطور الأساس لبناء الاشتراكية التي هي الطريق الوحيد لبناء مجتمع حر وعادل. والتضامن مع الشعب يفترض اشتراكا فعليا بنضاله.

◀ والنضال الايديولوجي يرافق النضال السياسي والاقتصادي وهدفه تشهير السيطرة الثقافية الامبريالية وصددها بحزم. أما النضال الايديولوجي المسيحي فيقوم بصد تسرب

الايدولوجية الامبريالية في الكنيسة. وقد يكون لهذا النضال وجه عنيف ، ولكنه حري بنا أن نحكم على هذا العنف على ضوء العنف السائد "كنظام" تعسفي منذ قرون.

◀ وبما أن هذا النضال تقوده أحزاب مستقلة لا صلة لها بالكنيسة، وبما أن شرعيته تُلزم المسيحيين، تحتم عليهم التعاون مع الأحزاب الكبرى المختلفة بحسب اختلاف البلدان.

ولكن ثمة صعوبة رئيسة يصطدم بها المسيحيون الثوريون وهي أن نظرية التبعية تحركها فكرتان: الفكرة الماركسية والفكرة اللا ماركسية. فالماركسية تضع في مقدمة التحرر صراع الطبقات وتجعل من الطبقة العاملة المحرك الأساسي للثورة، بحيث يعتبر الصراع الطبقي أساسا للشرح العلمي للواقع، مما حدا بالمسيحيين الذين كانوا إزاء حركات شعبية ذات انتماءات ماركسية إلى إدخال هذه الفكرة في ايدولوجيتهم، كما حدث في شيلي حيث كانت الحركة الشعبية موجهة من تيارين ماركسيين، هما الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي.

أما الفكرة اللاماركسية فتقول بان الشعب كله هو أساس النضال التحرري وليس الطبقة العاملة وحدها، ويستثنى من عبارة "الشعب" الأقليات المعادية لمصالح الأمة والتي تمثل الاستعمار. هذا ويتهم دعاة الفكرة اللاماركسية بان الأحزاب الشيوعية مارست سياسة مرتبطة بمصالح الاتحاد السوفييتي على حساب الثورة القومية.

والى جانب التيار الماركسي التقليدي. هناك التيار اليساري الذي طبق في كوبا وتأييده بشدة العناصر الديناميكية من الشباب. وعلى المجتمع الذي يريد إقامته هؤلاء اليساريون (منهم حركات التحرير المسلحة) أن يقطع كل الجسور مع ذهنية العالم الرأسمالي. وهذا المجتمع الجديد يبنى على "إنسان جديد" وعلى العمل الطوعي والمساواة التامة ووضع المؤسسات بيد العمال والمنظمات، وعلى العدالة الشعبية والسلطة الشعبية. أي أن المنظمات الشعبية ستبقى ترأب الدولة والأحزاب. وبحسب هذه النظرية تنطلق الحركة الثورية من الطبقات المضطهدة، وتوجهها منوط بقيادة الثورة، لا بحزب معين. فالثوريون الحقيقيون هم الذين يصنعون الثورة بغض النظر عن فلسفتهم وديانتهم وحزبهم أية كانت منزلتهم الاجتماعية.

إن الحركة اليسارية استطاعت أن تنتصر وتثبت إقدامها في كوبا، ولكن بثمن نظام حياتي صارم. ولا شك بان لهذا النظام قيمة نبوية من حيث معارضته الجذرية لكل شكل من أشكال الحياة الغربية (الماركسية أو غير الماركسية) التي تعطي الحصة الفضلى للرفاهية والتوسع الاقتصادي.

ولكن في الواقع أين كان موقف الكاثوليك؟ يمكن القول بأنهم أعطوا، بصورة عامة، موافقة حارة ومن دون حدود لحركات الاشتراكية الشعبية (الأرجنتيين وبيرو). أما الكاثوليك اليساريون فقد اختلفوا بصورة أكبر إزاء الماركسية، فمنهم من كونوا حركات تكتفي بالمشاركة مع الأحزاب الماركسية على صعيد الحياة العملية اليومية، وهذا كان شأن اليسار المسيحي في شيلي، ومنهم من أعلنوا أنفسهم ماركسيين ومسيحيين في ان واحد حيث ميزوا بين الماركسية كطريقة للتحليل الاجتماعي والماركسية ك رأي فلسفي.

ولكن مع هذا، فقليلون هم الكاثوليك الذين يدون تأيدهم الكامل للأحزاب الشيوعية التقليدية؛ أهم يميلون بالأحرى إلى اليسارية، ويساريتهم نابعة من وعيهم النضالي المتزايد أكثر مما عن الفلسفة الماركسية اللينينية.

ومن ناحية أخرى فان اليسارية بجذريتها وتزهديتها وصرامتها الأدبية تتحارب جيدا واخلاقية الثقافة المسيحية التي نشأ عليها اغلبهم . فالجاهدون في الأحزاب اليسارية هم من كان يمكن، في أوقات أخرى، أن يعتنقوا الحياة الرهبانية أو الكهنوتية، إي أن دخولهم الثورة مماثل لدخولهم الرهبنة.

• الحركة الثورية المسيحية

بقي لنا أن نعرف ما هو نظام هذا التيار المسيحي الثوري. ظهر هذا التيار في بادئ الأمر داخل المنظمات الموجودة سابقا مثل اتحاد النقابات المسيحية اللاتينية - الأمريكية وحركات العمل الكاثوليكي والمنظمات الطلابية. إلا أن المؤسسة التي تعطي اجلى صورة للحركة الثورية المسيحية هي تكتلات الكهنة العاملين في حفل الالتزام السياسي. وإحدى أقدم واقوى هذه الحركات هي "حركة كهنة العالم الثالث" في الأرجنتين (١٩٦٨)، وقد حققت إلى الآن حوالي عشرة مؤتمرات شعبية قومية، وهي فعالة جدا وتضم من ٣٠٠ - ٤٠٠ كاهن (أرجنتينيون أو أجانب يعملون في الأرجنتين). ومن ركائز ايدولوجيتها الالتزام السياسي والكفاح من اجل التحرير والثورة واشتراكية شعبية أرجنتينية بحتة.

وفي نفس السنة ١٩٦٨ ظهرت حركة المكتب القومي للإعلام الاجتماعي في بيرو وتضم زهاء مئة كاهن، وفي ١٩٦٩ ظهرت في كولومبيا حركة كولكوندا، كما وظهرت تجمعات وقتية أخرى في الاكوادور وفنزويلا. وفي عام ١٩٦٨ ظهرت حركة الكنيسة الفتية في سانتياكو وفالباريزو في شيلي، وظهرت حركات أخرى عام ١٩٧١ باسم ٨٠ لدعم حكومة الوحدة الشعبية للرئيس اللندي. ومنها انبثقت الحركة المسيحية للاشتركية في شيلي وتضم مسيحيين من فئات مختلفة وحركة الكنيسة والمجتمع في أميركا اللاتينية، وكانت منذ ١٩٦٢ قد اتخذت طابعا سياسيا وخطا ثوريا واضحا

ولكن المنظمات المسيحية الثورية ما عتمت إن اصطدمت مع السلطات المدنية القائمة: فمنذ ١٩٦٧ و ١٩٦٨ مارست بعض السلطات العسكرية ضغطا قويا، بل اضطهادا ميطنا. ففي البرازيل سجن أكثر من ٥٠٠ كاهن أو حوكموا وعذبوا وطردوا من البلاد، وأصيب كذلك، لا بل أكثر، ألوف من المجتهدين العلمانيين، وعلت أصوات الأساقفة بالاحتجاج (باراغواي، أورغواي، أميركا الوسطى، بوليفيا...).

ومن عمق هذا الاضطهاد ارتفع صوت رئيس أساقفة اولندا وريسييف، المطران هلدن كامارا، لفضح سياسة استغلال الدين المسيحي كتغطية لتبرير سياسة خرق حقوق الإنسان في سبيل الحفاظ على نظام السيطرة لصالح الأقلية.

ومن الكهنة الذين استشهدوا وقد أصبحوا رمزا للنضال الكاهن الكولومبي هكتور غاليفوس الذي قتل في بنما والكاهن البرازيلي هنريك نيتو. إلا أن الرمز الأكثر إثارة وجاذبية هو الكاهن الكولومبي كاميلو توريس الذي قتل بعد التحاقه بالفصائل المسلحة وقد كان موته تحديا للنظام القائم ودعوة للعمل. ومنذئذ انضم عدد كبير من المسيحيين إلى الفصائل المسلحة (الأنصار) خصوصا في بوليفيا، والبعض منهم حاز على شعبية كبيرة مثل

"نسطور باز" احد رموز العهد الاكليريكي القدامى من بوليفيا، المتوفى بسبب مرض أصابه بعد مسيرة مفروضة، و "فراي بيتو" الشاب الدومنيكي البراويلي المحكوم عليه بأربع سنوات سجن مع اثنين من رفاقه. وآخر من استشهد من هؤلاء الكهنة "المسلحين" هو الكولومبي الأب دومنكو لاين في آذار الماضي.

نداء من اليسار المسيحي الخليلي الى مسيحيي العالم اجمع

للتضامن معهم في العمل للحد من جرائم العسكريين الحاكمين ومحاكمهم الصورية وابتعاد الاف المعتقلين، وبينهم كهنة ورهبان. واخوة لنا في الايمان:

انطلاقاً من هذا الواقع نوجه نداءنا هذا الى كل انسان مخلص في العالم وبالاخص الى هؤلاء الذين يؤمنون معنا بان الرسالة الانجيلية تكلمهم النضال من اجل العدالة. من اهماق المناجم. من اهماق المكاتب والمزارع. من اهالي الجبال ومن سواحل البحر. من كل مكان حيث يناضل شعبنا ويستمد. نعلن صرغتنا هذه الى الشعب المسيحي اجمع والى الكنائس والى رعائتها والى كل مؤمن فيها.. المسيحي لا يمكن ان يكون مسيحياً وفاشستياً في الوقت نفسه. تضامنوا مع رفاقنا واخوتنا المعتقلين. ساعدونا في خلق حركة تضامن عالمية لايقف الجرائم. اذا التزمتم الصمت فانتم مؤيدون ومتعاونون مع كل ما يحدث ومشاركون في مسؤولية هذه الجرائم. لنناضل من اجل الابقاء على حياة المعتقلين التي تشكل جزءاً من حياة كل انسان في العالم.

-اليسار المسيحي في شيلي- ١٢ آذار ١٩٧٤

إن الحركات التي ذكرناها أعلاه لا توجه رسمياً أعضائها إلى التزام معين؛ فهي تجمعات افراد مختلفين، بعضهم يمارس نشاطاً سياسياً معيناً ومعظمهم لا يتجاوز الدعم. وعلى المستوى السياسي تعبر المنظمات المسيحية عن موقفها بدعم كل الأحزاب والمنظمات التي تناضل من اجل الحرية والاشتراكية، كما وتؤيد الحكومات التي تدون في مناهجها إقامة ثورة اشتراكية (الأرجنتين ، و"الوحدة الشعبية" مع الليندي في شيلي). أما في البلدان التي تمارس الضغط العسكري فهي لا تحفي مناوئتها.

قلة هم الكهنة الذين يمارسون نشاطاً نضالياً في الأحزاب السياسية. غير أن العلمانيين كثيرون، ونجدهم بصورة خاصة في الأحزاب اليسارية الكاثوليكية في شيلي وفي الشيبية البيرونية (الأرجنتين) وفي اوركواي وفي محاولات الاتحاد اليسارية في فتزويلا وفي صفوف الأحزاب الديمقراطية المسيحية التي تبنت ايديولوجية أكثر ثورية، وهي تشكل القوة الرئيسية لمجاهة الحكومات الديكتاتورية اليمينية (كواتيمالا ، والسفادور).

وهناك مسيحيون كثيرون في صفوف المقاومة المسلحة في مختلف دول أميركا اللاتينية.

إن كل ثورة في مجتمع ما أو في الكنيسة، انطلقت دوماً من أقلية فاعلة تعي مسؤولياتها وتثق بأهدافها. لذا ستبنى المسيحية الجديدة والملتزمة بقدر ما ترسخ أقدام هذه الأقلية و "وتخمر" الجماهير المسيحية كلها تدريجياً بحميرة التحرر الإنساني الكامل والولادة الجديدة في المسيح.



- + يا لينك أنيت بالمسيح معك! / شباط
 + مجلس العلمانيين، ما هو؟ / ايار
 **الثقيف المسيحي في العراق، الى اين؟ ١ / ملف / حزيران (ملفات
 الفكر المسيحي / ص ١٣٥)
 **الثقيف المسيحي في العراق، الى اين؟ ٢ / ملف / ت ١ (ملفات
 الفكر المسيحي / ص ١٤٣)
 + مؤتمر العلمانيين في روما / ك
 + مع الاب جاك لوف / مقابلة / ك



يا ليتك أنيت بالمسيح معك!

كان ذلك في صيف عام ١٩٦٨

كنا قد عقدنا النية، أنا وصديق لي من أصدقاء الطفولة الأوائل، أن نحمل فرح القيامة إلى مجموعة من العمال المسيحيين في قرية (الحويجة) تبعد حوالي ستين كيلومترا. عن مدينة الذهب الأسود.

لم يكن صديقي يملك سيارة، إلا انه يحسن القيادة، فاستعار "فولفو" احد الاصدقاء. وانضمت إلينا في "البعثة الفصحية" زوجته الشابة الضحوك، وسرنا في محاذة خطوط الأنابيب المطمورة في حقول الحنطة والتي تضخ ثرواتنا النفطية إلى أحواض المتوسط ومنها إلى العالم. وكان الطريق يتموج بنا فترنح سيارتنا ذات اليمين وذات الشمال:

- حقا انها المجازفة أن نسلم أرواحنا بيديك!
- امتعض "سائقنا" الأشقر إلا انه كظم غيظه ولم ينتبه إلى حفرة باغته، فتلقينا هزة عنيفة عانقت فيها أنوفنا جدران السيارة.
- هذا جزء الافتراء!

وتغللنا في طريق ترابي بين صفين من الأشجار الظليلة.

مقالات

أخيرا لاحت البيوت الطينية الواطئة وقد توسطت فناء كل منها شجرة توت عتيقة. واجتازنا شارع البلدة الرئيسي ذا الاتجاهين، وقد يكون أجمل ما فيها بخط نخيله الوارف، بالرغم من فوضى الدراجات والعربات والحمير والسابلة والأطفال الذين جعلوا منه ساحة لألعابهم.

- أين بيت فلان يا ولد؟

فانطلقت عشرة أصوات متزاحمة صاحبة:

- أنا اعرفه، أنا اعرفه... سأركب معكم لأدلكم...

وركب احد العشرة، وقد بدا أنجب من الآخرين، وصار ينظر إلى زملائه بخيلاء. لقد نجح في استقطاب اهتمامنا به وانفرد بمتعة مرافقتنا.

سر من هنا... إلى اليمين... انتبه إلى الحفرة... انه البيت الذي ترى بابه - باب تنك مفتوحا.

- ما اسمك؟

- اسمي؟... اسمي محمود... حمادي... حمد، كما شئت. إني أجيب على من يناديني بأبي

اسم من هذه الأسماء... وصلنا.

وقفز على الأرض قبل أن يتوقف المحرك وطرق الباب:

- جالكم قس... جالكم قس

وخرج أصحابنا بسرعة وبوغتوا بقدر ما فرحوا بوجودنا إمامهم في ظهيرة العيد، وتقدم كبيرهم، وهو أربيعي اسمر عريض الكتفين، وصافحنا بحرارة:

- أهلا وسهلا بك يا أبونا... شرفتنا... أهلا، أهلا... ثم رق صوته وهدق بي:

- يا ليتك أتيت بالمسيح معك!

قالها بعفوية أطربتني وأثرت في.

- فعلا، لقد أتيت بالمسيح معي. جئت لأقدس لكم. ألا يجدر أن تحتفلوا انتم أيضا بعيد القيامة. بما إنكم لا تستطيعون المجيء إلى المسيح، فالمسيح يأتي إليكم. ألا تريدون؟

- وكيف لا نريد؟ ألف أهلا وسهلا بك وبالمسيح!

البيت؟ سقفه عارضات خشبية خشنة تنوء تحت البردي وطبقات التراب الكثيفة.

- أخبروا سائر المسيحيين من موظفين وعمال، وقولوا لهم بان القداس سيكون في الساعة الثانية عشرة.

بيوتهم متقاربة، لا شيء يميزها عن سائر المنازل سوى صور القديسين والصلبان التي تزين جدرانها من الداخل ومظهر النظافة البادي بوضوح. لقد أتوا هنا لكسب معيشتهم؟

ولكنهم لم ينسوا أن يصطحبوا معهم ما يذكرهم بقربتهم وبأنهم للمسيح أينما حلوا. يزاولون الحياكة وصناعة البسط الصوفية ومنهم بعض الباعة المتجولين الذين تحتوي خرجهم كل شيء، من السكر والشاي والمرايا والعطور إلى إبرة الخياطة وصيدلية متنقلة.

وضعنا عارضة خشبية فوق اكياس الحنطة المكدسة في وسط الغرفة، بينما استمر الحديث عن اعمالهم، وبسطنا عليها شرشفا ناصعا طرزته بيدها بنت مضيفنا السمراء.

ولكي يكون فرش المذبح مستوحى كله من البيئة المحلية، ومن إنتاج محلي، خلعت "شالها" اللوشى بالحرير والنقوش البدائية المختلفة ووضعت فوق الكل ليحمل الكاس والصينية.

ثم انزل احدهم من الحائط صليبا صديقا -هدية صديق من حج إلى القدس- وتجمع المؤمنون في "الكنيسة".

- إلى ان يأتي الباقون سادخل الغرفة المجاورة "للاعتراقات".

وقاطعتي احدهم مع غمزه عين معبرة وأضاف باتجاه رفاقه:

- وتحرضوا بعضكم البعض على الاقتراب من المائدة، لا سيما الذين لهم عدة سنوات ولم...

وقطع عبارته مشيرا الى كهل يدخن سيكارة لفها قبل قليل.

وجعلت من كيس آخر للحنطة منبرا للتوبة، غير ان الكهل اكتفى بان دعاني بعد

قليل لنبدا القداس.

وبدانا القداس في جو خاشع وحملت الخبز والخمر على يدي في التقدمة وتمت في قلبي: "يارب، اقدم لك مع هذه البرشانة -وقد كانت قطعة خبز من الذي "عجنوه وخبزوه" هم بايديهم- اقدم لك اخوتي هؤلاء الذين زرعتهم هنا ليحملوا اسمك باباء وامانة. اقدمهم لك مع امانيتهم والامهم وعرق جباههم. ضع البركة في اعمالهم. وفقهم. وهب ان يضيء نورهم قدام الناس فيعكسوا صورتك دون تشويه. اجعل ذلك البائع المتجول ان يملك معه في كل ضيعة يقصدها. واحرسه من مخاطر الطريق واعده سالما الى زوجته واطفاله".

واذ لم يكن لنا "شمعدانات" حمل طفلان الشمعتين بايديهما طيلة القداس.

وقرا سائقنا وشماسنا الاشقر الرسالة: "... وانه قد مات عن الجميع لكي لا يحيا الاحياء لانفسهم في ما بعد، بل للذي مات وقام لاجلهم... والكل من الله، الذي صالحنا مع نفسه بالمسيح، واثمننا على خدمة المصالحة... واودعنا كلمة المصالحة. فنحن اذن سفراء المسيح، كأنما الله يعظ بنا..." (٢ قور ٥: ١١)

"سفراء المسيح... كأنما الله يعظ بنا"

لا زالت هذه العبارة ترن في اذني، منها استوحيت "موعظتي" بعد الانجيل، موعظة قصيرة اردت ان اضع فيها بكلمات قليلة كل ما كان يوحى لي به وجود اولئك العمال هنا بعيدا عن فويهم. لقد ذكروني باكيلا وبريسكالا كيف حملا معهما كلمة الخلاص حيثما حلا:

"لقمة العيش هي التي ساقتكم الى هنا بالدرجة الاولى، هذا ما لا اشك فيه. ولكنني اضرب صفحا عن التوضيحات التي ساقتكم الى هذا الاعتراب الطوعي. انما اعلموا هذا: انتم هنا شهود للمسيح، انتم سفراء المسيح، تحملونه معكم اينما حلتم. كل منكم في هذا المحيط -وانتقل فكري الى كل هؤلاء الاخوة المنتشرين في جميع انحاء القطر، بحكم وظائفهم او سعيا وراء رزقهم- كاهن يعلم ورسول يبشر ورائد يزرع كلمة الخلاص والفرح. بقدر ما تندمجون بجزائركم وتخلصون مع زبائنكم وتذكون اشعاع الايمان الانجيلي حواليكم بحب واعتزاز، بقدر ذلك تتيحون لهم اكتشاف الله ومعرفة المسيح. اسماؤكم، لغتكم، سيماء اوجهكم، كلها تنطق بالمسيح، فلا يمكنكم ان تناسوا دوركم: انتم نور وملح وخميرة. من جهة اخرى يريد المسيح ان تقرأوا اسمه في كل وجه تلتقون به، في كل انسان تصغون اليه، تستقبلونه، تقاسمونه خبزكم، تتبادلون معه الراي. الله يعظ بكم... انه ينتظر منكم ان تكونوا مئائر المحبة، كما كانت الجماعة المسيحية الاولى:

"انظروا كم اهتم يحبون بعضهم البعض" -وقد تطرقت الى هذه النقطة بايعاز، لان اختلافات كانت تعكر صفاء العلاقات بعض الشيء- لا تدعوا اختلاف الراي يفرق في ما بينكم ويلوث شهادتكم المسيحية. لا تنسوا بانكم هنا باسم المسيح، والمحبة هي ابغ الشهادات..."، ولاحظت بعض النظرات تحدجني. لقد فهموا ما ارمي اليه.

وكنت اشعر وكانني احد اولئك الرسل الاولين يقود صلاة جماعة من تلك الجماعات المسيحية الاولى في منزل احدهم. وكم كان فرحي عظيما عندما تقدم الحاضرون من الاوهارستيا... الا ذلك الكهل!

وعندما اظفا الطفلان شمعتيهما فكرت وانا اقبل اطراف "المذبح": علينا الان نحن ان نضيء.

وبعد "عشاء الرب" تقاسمنا غداء الاخوة، غداء المحبة .

لقد قدموا لنا اطيب وانظف والذ ما عندهم من طعام، ولكن بساطتهم وعفويتهم وايمانهم واريحيتهم كانت اعظم ما قدموا. ففهمت ان الضيافة ليست بما يقدم، بل كيف يقدم. وفهمت ان الضيافة جزء لا يتجزأ من وصية المحبة. وفهمت ذلك اليوم قيمة اخرى من قيم الضيافة والمشاركة المسيحية: لقد برزت امامي، وكأها احرف فوسفورية خفية، هاتان الكلمتان اللتان يراها الزائر في مدخل "اخوات" اخوة واخوات يسوع الصغار: "اهلا وسهلا". لقد برزتا امامي هنا -انا الذي اعتدت عليهما- في جدة الانجيل الدائمة ازاء انغلاقية الفرد المعاصر في عالمه الاناني الصغير وانشغاله في ذاته، في مشاكله الخاصة، في طعامه هو، في نجاحه بكل وسيلة، في رفايته قبل كل احد، في اصالة ثقافته وحدها، في قدسية قوميته ولغته، في عدالة قضيته هو. هو وحده المنعم عليه، وصعاليك غيره!

- ما العالم؟

يجيبك انسان الحضارة المعاصرة المتسلح بالتقنية والعلم (!)



العالم؟ انا... و ثم الاخرون...

الانسان ليس جزيرة، كما يقول المثل الانكليزي: No man's island. انه جزء من كل، ولا يحقق ذاته الا مع غيره. فكم بالاحرى لا يجوز للمسيحي ان يتكور على ذاته فيقدر ما يفتح على اخيه في محيط عمله، الفكري او المهني او الوطني او العائلي، ويقدر ما يجسد في ذاته هذا العالم الواسع الذي يدخل اليه عبر الجريدة او الراديو او الشاشة، بقدر ذلك سيحقق انسانيته ويتجسد المسيح بواسطته في اخوته.

في طفولتي -واذكر ذلك بوضوح- كنت ارافق والدتي واخي الكبير كل ربيع الى البادية للعناية باغنامنا التي كانت بعهدة راعينا المسلم "عمي صالح". كنا طيلة شهرين، نسكن مع اسرته في خيمة واحدة ومنتقل سوية على ظهور الجمال، جماله، من "دوار" الى "دوار"، حيث يوجد ماء وكلا، وكنا نتقاسم الطعام الواحد، مرة من زادهم ومرة من زادنا. لقد كنا اسرة واحدة، لم يكن احد من القبيلة ينظر الينا كغرباء. كنا اسرة من اسر القبيلة نشاركهم الحل والترحال، وننضم، انا واخي، الى مجلس الشيخ لشرب القهوة وتبادل الاخبار وسماع ملاحم القبيلة.

ولا زلت اذكر كيف كانت امي تجلس في ذيل الخيمة تصلي سبحتها الخشنة ووعاء الحليب الخشبي امامها بانتظار عودة القطعان عصرا من المراعي.

عندما اعود اليوم الى تلك الايام ارى حضورنا كان عطاء وانصبابا متبادلين وانفتاحا يتيح للمسيح ان "يرشح" من اقوالنا ومن حياتنا. لقد كان للانجيل نكهة خاصة وبسيطة...

مجلس العلمانيين.. ما هو؟

لأول مرة في تاريخ الجامعات المسكونية تدارس المجمع الفاتيكاني الثاني، وبصورة رسمية، دور العلمانيين في حياة الكنيسة وفي الشهادة والتبشير، وقد خصهم بفصل عقائدي في الدستور عن الكنيسة، وبالقسم الأكبر من الدستور الراعوي عن الكنيسة في عالم اليوم، وبقرار مجمعي كامل خاص بهم.

ذلك دليل واضح على الاهتمام المتزايد الذي تبذله الكنيسة في استنفار كافة طاقات بنيتها لحمل الانجيل الى صلب الحياة، وانعكاس للوعي المتزايد الذي يدفع ابناء الكنيسة العلمانيين الى المساهمة فعليا في حياة شعب الله واحتلال دورهم الطبيعي في الرسالة المسيحية. وهذا التيار يعمل في صفوف المؤمنين وفي صفوف الاكليروس معا لتحطيم الحواجز التي كانت تقسم شعب الله الى فريقين متباعدين، بل الى معسكرين متجاهلين: الرؤساء والمرؤوسين، الرعاة الذين يخططون والقطيع الذي يتبع.

والوحدة المسيحية ليست فقط ان تتحد الكنائس والفرق المسيحية في وحدة كنسية عضوية، وانما هي ايضا ان تتوحد الطاقات وتقتلع التفرقات العنصرية والجنسية والعرقية والطبقية داخل الكنيسة الواحدة، فتسمى العضوية فيها التزاما والسلطة خدمة ومشاركة حقا، كما دعا المجمع الفاتيكاني الثاني.

وفي سبيل تحقيق هذه الوحدة وانعاش المسؤولية الملتزمة، وفي سبيل اشراك العلمانيين مباشرة في هذا المشروع، انشأ قداسة البابا بولس السادس "مجلس العلمانيين" في ك ٢ ١٩٦٧، وقد الحق هذا المجلس في آب من السنة نفسها بالدوائر الرومانية الفاتيكانية التابعة للإدارة المركزية للكنيسة الجامعة.

وفيما يلي نقدم نبذة عن هذه المجالس، مساهمة منا في خدمة الرسالة العلمانية:

مجلس العلمانيين، اذن، هيئة كنسية عليا مركزها روما تتكون من ١٥ عضوا و ٣ مستشارين كلهم علمانيون ينتمون الى ١٦ بلدا، يضاف اليهم خمسة مستشارين من الاساقفة من افريقيا واسيا واوربا وامريكا اللاتينية. ويرأس المجلس الكردينال موريس روا رئيس اساقفة كيوبك بكندا؛ اما سكرتير المجلس فهو المونسنيور اولنبروك البلجيكي، وهناك نائبان علمانيان للسكرتير، رجل وامراة، ويتمثل الشرق الاوسط في هيئة السكرتارية في شخص الانسة ايميه عازوري اللبنانية.

اما اهدافه فهي، كما اعلنتها براءة انشائه، "يعمل في خدمة وتطوير الرسالة العلمانية" ويسعى بصورة خاصة الى:

١ - تطوير هذه الرسالة على الصعيد العالمي، وتنسيق المبادرات المحلية لوضعها في تيار رسالة الكنيسة الجامعة، ويتم ذلك عن طريق:

- الاتصال بالهيئات الرسمية الوطنية
- والعمل على ان يصبح المجلس ملتقى واداة حوار داخل الكنيسة، بين السلطة والعلمانيين، وفي ما بين صيغ النشاطات العلمانية المختلفة.
- واقامة مؤتمرات عالمية حول الرسالة العلمانية.

٢ - مساعدة السلطة الكنسية والعلمانيين بمشوراته في ما يخص النشاطات الرسولية.

٣ - تعميق الدراسات حول الاسس العقائدية لدور العلمانيين في الكنيسة.

٤ - توفير واستقبال المعلومات حول رسالة العلمانيين، واقامة مركز وثائقي يخدم التوجيه العام ويقدم للكنيسة مادة ثمينة للتنشئة الرسولية.

بكلمة، نحدد مجلس العلمانيين بانه:

- علامة للمسؤولية المشتركة بين جميع المؤمنين ضمن الكنيسة.
- قناة اتصال وحوار
- اداة خدمة للكرسي الرسولي والسلطة الكنسية والعلمانيين والمنظمات العلمانية..

❖ نشاطات

يعقد المجلس جلسة عامة مرة في السنة. ويمكن ضم اهتماماته في النقاط التالية على سبيل المثال:

(١) **الاتصال والتعاون:** للمجلس صلات وثيقة مع سائر الدوائر الكنسية المركزية، وهو على اتصال ايضا بالمجالس الاسقفية والهيئات العلمانية الرسولية المحلية. وقد تم له اللقاء الاول مع ممثلي العلمانيين بمناسبة المؤتمر العالمي الثالث لرسالة العلمانيين المنعقد في روما في ت١ ١٩٦٧. ويسعى المجلس الى توسيع افاقه المسكونية عن طريق تعاونه مع سكرتارية اتحاد المسيحيين ومجلس الكنائس العالمي.

(٢) **دراسات وابحاث عقائدية:** يعنى المجلس بالحوار داخل الكنيسة وقد عقد مؤتمر حول هذا الموضوع شارك فيه المجلس، في اذار ١٩٧١.

ومن اهتماماته الاخرى الكبرى اقامة التلاحم والتعاون بين الاكليروس والعلمانيين وقد قدم وثيقة دراسية بهذا الشأن الى مجمع الاساقفة في سنة ١٩٧١، وشارك، وان بصورة محدودة، في مجمع الاساقفة الاخير (ايلول-ت١ ١٩٧٤) وحضره خمسة من اعضائه العلمانيين - امرأتان وثلاثة رجال^(١).

ويوجه المجلس اهتمامه ايضا بايمان الشبيبة وعلاقتها بالدين والكنيسة. وقد اقام "مهارات دراسية" في ت ١ ١٩٧٢ حول موضوع "المسيحي في الجامعة في السبعينات".

٣) حياة الاسرة: يتضمن المجلس قطاعا " لشؤون حياة الاسرة". وفي اعقاب صدور الرسالة البابوية "في الحياة البشرية" تشكلت فيه لجنة لاستقصاء المعلومات والدراسات حول هذه الوثيقة لتشجيع مساهمة العلمانيين في المسؤولية الراعوية تجاه الاسرة.

٤) نشاطات السنة المقدسة ١٩٧٥: تدور مشاريع المجلس في السنة المقدسة ١٩٧٥ حول قطبين: الاول اقامة اتصالات فردية وخاصة مع مسؤولي الرسالة العلمانية بمناسبة وجودهم في حج السنة المقدسة. والثاني اعداد اللقاء العالمي لمسؤولي الرسالة العلمانية الذي سينعقد في روما في ت ١ المقبل وستكون اهداف هذا اللقاء:

- ١- توفير وقت للصلاة والتفكير والاصغاء والتقاسم بين مسؤولي الرسالة العلمانية.
- ٢- استعراض حجم مساهمة العلمانيين في رسالة الكنيسة بعد عشر سنوات من المجمع الفاتيكاني في الاطار الاجتماعي والثقافي للسبعينات.

٣- دفع الرسالة العلمانية الى مرحلة جديدة من العطاء والزخم والمشاركة.

اما النقطتان الرئيسيتان اللتان ستدور حولهما الدراسات، فهما:

- دور العلمانيين في رسالة الكنيسة ضمن العالم المعاصر
- مشاركة العلمانيين في حياة الجماعة الكنسية

هذا وهناك مبادرات رسولية اخرى قام بها مجلس العلمانيين هنا وهناك، هدفها كلها توثيق ثقة الكنيسة بجميع ابنائها وتكثيف الجهود الرسولية والمبادرات العلمانية في حياة الكنيسة الجامعة والكنائس المحلية.



مؤتمر العلمانيين في روما

٧ - ١٥ تشرين الأول ١٩٧٥

في ضاحية من ضواحي روما الهادئة بشارع اوريليا في فندق (Domus Mariae) الذي يكاد يضيع وسط غابة من الأشجار الباسقة، عقد المؤتمر الرابع لرسالة العلمانيين بدعوة من "مجلس العلمانيين". وقد شاء المنظمون إطلاق اسم "مؤتمر استشاري عالمي لمجلس العلمانيين" على هذا التجمع الذي ضم ٢٦٥ شخصا من ٦٧ بلدا ينتمون إلى القارات الخمس ومنهم كاتب ممثلا العراق. قد جاءت صفة "استشاري" متممّة لان "مجلس العلمانيين" صاحب المبادرة حدد أهداف هذا المؤتمر الذي عقد بمناسبة الذكرى العاشرة لاختتام الجمع الفاتيكانى الثاني وصدور مرسوم "رسالة العلمانيين"، كما جاء في نشرة وزعت في الافتتاح :

١ - إتاحة الفرصة للاستماع بصورة أوسع إلى الوضع الحالي لمشاركة العلمانيين في رسالة الكنيسة في العالم المعاصر.

٢ - خلق منبر فريد للحوار والمجاهة حيث يمكن أن يعيش المعنيون اختلاف الأوضاع والخبرات في وحدة الإيمان، وان يكون هذا الاختلاف زحما يضاف الى غنى المشتركين المتبادل.

٣ - تقييم الحقبة الزمنية منذ الجمع ومدى تطبيق مقرراته الكبرى.

٤ - تقديم مقترحات وتوصيات للسنيين المقبلة إلى مجلس العلمانيين، وهو بدوره يدرس إمكانية وضعها موضع التنفيذ ويوصلها إلى الكرسي الرسولي والى مجالس الأساقفة والى منظمات العلمانيين - الإقليمية والدولية.

ولكي تتحقق هذه الأهداف وتكون الاستشارة "عالمية" ومعيرة عن أوضاع شعب الله في كافة جنبيات العالم وطموحاته، فقد دعا مجلس العلمانيين إليها بالإضافة إلى أعضائه ومستشاريه وأعضاء سكرتاريته الذين ينتمون إلى أكثر من ٢٥ بلدا، دعا عددا من الأشخاص ينتمون إلى مختلف الحالات الاجتماعية والثقافية ويعيشون التزامهم في كنائسهم وشعوبهم تحت ظل أنظمة سياسية اجتماعية واقتصادية مختلفة، رجالا ونساء شبابا وبالغين، وعددا من ممثلي مختلف أنماط الالتزام المسيحي الفردي والجماعي كالحركات والجمعيات الرسولية والخيرية العالمية. وكان ثمة مدعوو شرف من هيئات الكرسي الرسولي ومراقبون من الهيئات المسكونية غير الكاثوليكية. وبما أن المؤتمر "علماني" فمن الطبيعي أن يكون فيه الاكليروس (الكهنة) قلة. فقد اشترك فيه ١٦ أسقفا و ٢٤ كاهنا إلى جانب ١٧ راهبة و ١٩٧ علمانيا (١١٥ رجلا و ٨٢ امرأة). أما من كنائس الشرق الأوسط فقد اشترك في

المؤتمر ١٦ شخصا. افتتح المؤتمر الكردينال موريس روا رئيس أساقفة كيوبك بكندا ورئيس مجلس العلمانيين بكلمة بليغة بالفرنسية ترافقها الترجمة الآنية الى لغتي المؤتمر الآخرين وهما الانكليزية والاسبانية. وانطلاقا من الموضوع العام المطروح وهو:

١) انتظارات عالم اليوم

٢) الكنيسة - الشركة

أشار الكردينال في النقطة الأولى إلى "الإنسان الذي يبحث عن هويته الشخصية.. عن العدل وعن الله"، وقال بان المسيحي مدعو بطبيعة إيمانه أن يساهم مساهمة فعالة في هذا "البحث". أما في النقطة الثانية فأشار إلى "الأزمة" الذاتية التي تجتاح الكنيسة "وقد جاءت من بعيد" على حد قوله: "بعد زمن من ضبط هذه الأزمة بنظام حديدي، وإخفائها بعد ذلك تحت نشوة الجمع، ظهرت بغتة كفجوة عميقة". وفي نقطة ثالثة تكلم الكردينال عن أن المؤتمر، كما أسلفنا، "استشارة" تتيح لنا أن نقول "ما رأينا، ما شعرنا به، ما لمسناه، وعشناه في صلب شعوبنا المختلفة". أخيرا ركز رئيس المجلس على عالم الشبيبة والطفولة التي ستكون غدا، في سنة ٢٠٠٠، كنيسة المسيح: "خسران الشبيبة هو خسران المحرك الذي ألزم الإنسانية دوما على أن تكون خلقة".

بعد ذلك أخذت أعمال المؤتمر مجراها وكانت على النحو التالي:

اجتماعات عامة يترأسها كل مرة فريق يمثل عدة بلدان تخصص لتقدم المواضيع العامة ولناقشتها؛ أعمال مجموعات العمل الفرعية. ولما كان المدعوون يشتركون بصفة شخصية ولا يمثلون وجهة نظر رسمية ما، كان حق التكلم وحرية إبداء الرأي مفتوحين أمام الجميع. ومما زاد في ديمقراطية الجو أن الجميع كانوا باللباس المدني -حتى الراهبات- ما خلا قلة من الأساقفة والكهنة كانوا "بالكليرجمان" كما كانت فرص الطعام والشاي تشهد على جو الاخوة والانفتاح والفرح. وكانت بعض الاجتماعات العامة تخصص لتأملات في الكتاب المقدس أو الصلاة الجماعية - واجتماع مجموعات العمل لدرس المواضيع الفرعية. وتتكون كل مجموعة من حوالي عشرة أشخاص توزعوا بحسب المواضيع المطروحة. وإذا اطلعنا على عناوين هذه المواضيع لتكونت لنا فكرة واضحة حول معالجات المؤتمر:

قسمت الأبحاث إلى قسمين كبيرين :

القسم الأول: انتظارات عالم اليوم وتوزعت مجموعات العمل فيه إلى :

- ١ - مجموعة وسائل الاتصال والبحث عن الهوية الإنسانية؛ ٢- مجموعة المجتمع المصنع والثقافات التقليدية؛ ٣ - مجموعة الرجل والمرأة في الأسرة وفي المجتمع؛ ٤- مجموعة سوء التنمية والترفقة العنصرية في البلاد الفقيرة اقتصاديا؛ ٥- مجموعة سوء التنمية والترفقة العنصرية في البلاد الغنية اقتصاديا؛ ٦- مجموعة المظاهر الشعبية للدين والإيمان؛ ٧- مجموعة الإلحاد في تعابيره العنصرية؛ ٨- مجموعة القيم الإنجيلية والفقير والعدل والسلام...

القمر الثاني : الكنيسة - الشركة : تعددية الخدم - وحدة الرسالة

- ١ - مجموعة التبشير في الأوساط الكاثوليكية تقليدياً؛ ٢- مجموعة التبشير في الأوساط التي فقدت إيمانها المسيحي؛ ٣- مجموعة الشهادة للإيمان في المحيطات ذات الثقافة غير المسيحية
- ٤- مجموعة أسس الحوار والمسؤولية المشتركة؛ ٥- مجموعة الأسرة في الجماعة الكنسية؛
- ٦ - مجموعة الحركات العلمانية والتجدد الجمعي؛ ٧- مجموعة شهادة المحبة وخدمة الجماعة الكنسية؛ ٨- مجموعة تنشئة المسيحيين على الالتزام السياسي؛ ٩- مجموعة التعددية في الاختيار ووحدة الجماعة المسيحية.

وفي ما يلي بعض أهم الأفكار والآراء التي وردت في المناقشات:

● وسائل الاتصال والبحث عن الهوية الإنسانية: تركزت الدراسة حول الدور القيادي الذي تلعبه وسائل الاتصال في كشف وتوجيه الرأي العام - تركيز على حرية التعبير والتدريب على الروح النقدية في ما نقرأ أو نسمع أو نرى وعلى ضرورة مساهمة المسيحيين في وسائل الاتصال والإعلام الرسمية في بلادهم إلى جانب ضرورة خلق وتشجيع وسائل اتصال مسيحية خاصة تمد جذورها في ثقافتنا المحلية وتعالج القضايا الواقعية.

● البحث عن العدالة: تركزت المناقشات حول العدالة والتحرر، وقد أعرب أسقف من أميركا اللاتينية انه قد حان وقت دخول موضوع "الالتزام السياسي" في دراسات الأساقفة على الصعيد الرسمي، وان ذلك مطلوب منذ الآن من مجلس العلمانيين ومن لجان "العدل والسلام" التابعة للكرسي الرسولي.

● الإنسان يبحث عن الله: وشمل هذا النقاش موضوع الإلحاد المعاصر. وجاء ان الشبهة تترك الكنيسة لأنها لا ترى في هذه المؤسسة فائدة عملية، ولكنها مع ذلك شديدة الانفتاح تجاه شخص المسيح. ولكن إذا كان الإنسان ينفي الله، فهو ينفيه في الصورة المشوهة التي يقدم فيها، ينفيه بقدر نفيه للظلم والفرقة. يجب على الكنيسة إذن أن لا تكتفي بسماع صوت المظلومين والفقراء، بل ان تلتزم إلى جانبهم.

● الكنيسة شركة ومشاركة: طالما اظهر اللاهوت التقليدي الكنيسة من الزاوية الفارقة الطبيعية وبمجردة إلى حد كبير عن الواقع الحياتي المعاش، والخلاص نفسه كان أمراً فردياً وأهم الجانب الجماعي في الفداء، مما جعل المسيحيين وكأنهم هامشيون على الحياة الطبيعية. أما اليوم فالكنيسة كشعب تعي أكثر فأكثر "تجسدها" الواقعي في ارض معينة وشعوب ملموسة، ومن قيم هذه الشعوب وثقافتها يجب أن تنطلق الرسالة المسيحية. كما أخذت تعي أبعاد جماعيتها بصورة أوضح وتكمل الكنيسة رسالتها في العالم إذا فهتمت ومارست تعددية الخدم في وحدة الرسالة، ورسالة العلمانيين لا تعني "أن يعرض عن نقص الكهنة بالعلمانيين، بل أن تعود إلى العلمانيين مهام كان الكهنة قد أخذوها منهم منذ أجيال".

• أسس الحوار والمسؤولية المشتركة: يجب العبور من الحوار إلى العمل الفعلي المشترك، هنا تكمن الإيجابية في إقامة حوار ما بين الكهنة والعلمانيين. حول هذه النقطة دار نقاش عزز بأمثلة واقعية عن العمل المشترك في الكنيسة المحلية. وقد اقترح احد المتكلمين سنة يوبيلية يسكت فيها الأساقفة ويستمعون إلى آراء العلمانيين لمدة سنة واحدة! هذا وقد أثرت قضايا أخرى نأمل أن نعود إليها. أما أهم التوصيات -وهي توجيهات إلى مجلس العلمانيين- فهي:

- ◀ تشجيع ودعم المنظمات العلمانية التي تعمل في الرسالة الإنجيلية.
- ◀ التركيز على دور الأسرة الفريد في التربية المسيحية الأولية والإعداد للزواج.
- ◀ التركيز على البعد المسكوني في الرسالة والتعاون مع مجلس الكنائس العالمي.
- ◀ الاهتمام الجدي في إعطاء المرأة دورها الطبيعي في الرسالة وفي حياة الكنيسة وإشراكها -والرجل أيضا- في الإدارة والمسؤوليات الكنسية.
- ◀ أن يكون التبشير في حالة حوار دائم مع العالم والحضارات والقيم الخاصة.
- ◀ اهتمام خاص بعالم العمال والشباب.
- ◀ إعطاء مكانة خاصة لوسائل الإعلام والاتصال في خدمة الرسالة.
- ◀ المشاركة العملية في الكفاح من اجل العدالة والبحث عن القيم الإنسانية في الأنظمة والفلسفات الاشتراكية.

لها المرة الأولى التي اشترك فيها في مؤتمر عالمي بهذا الشمول جعلني فحاة استمع مباشرة إلى خبرات عن الرسالة في كنائس بعيدة مثل أميركا اللاتينية والشرق الأقصى وشبه القارة الهندية وإفريقيا وأميركا الشمالية وأوروبا. وقد اكتشفت بصورة خاصة حيوية كنيسة إفريقيا التي يحركها الخلق والبحث عن الأصالة، ولن استغرب إذا ما تزعمت يوما حركة التبشير الإنجيلي والرسالة في الكنيسة الجامعة. كما اكتشفت نماذج حية من نضال كنيسة أميركا اللاتينية من اجل الحرية والعدالة الاجتماعية وإزالة الطبقية والقمع... وكنت اشعر بنفسي وسط كل ذلك ضائعا وخجولا: كلهم يتحركون في كنائسهم، يتجددون ويتكروون، يبحثون عن أساليب غير مطروقة بعد، وامضى لإبلاغ الناس كلمة الله وتجسيد الإنجيل في صلب الحياة، يلتزمون ويناضلون بشجاعة... كلهم يتكلمون عن خيراتهم... أما أنا، فعن ماذا أتكلم؟ انظر، أكاد لا أرى سوى الصمت والخوف والحذر، ولكن هل أبقى صامتا، أم اعبر عما في نفسي: ألا نعمل؟ ترى متى نعمل؟

- + كنيسة إيطاليا، هل لتكسر القيود؟ /ش.ر/ ك٢
- + نحو لبنان جديد- جبهة المسيحيين التقدميين/ش.ر/ شباط
- + في سبيل رفع الإناجية في كنيسة العراق/ ايار
- + رسالة مفتوحة إلى اخواني/منبر حر/ حزيران
- *هل سيكون لنا كهنة بعد اليوم؟/عمد خاص/ ايلول (المختار/ص ٦٧)

(*) لم يكن عام ١٩٧٦ قد تضمن سوى مقابلتين سيضمهما كتاب خاص.

كنيسة إيطاليا - هل تتكسر القيود؟

تواجه كنيسة إيطاليا اعصارا من الداخل هو بمثابة احتجاج على الجمود الذي طاب لها العيش في طيلة قرون. وما مؤتمر ١٩٧٦ الماضي إلا دعوة لها للسير فيه طريق التجدد قبل ان يفوت الاوان. فهل ستعرف الكنيسة الإيطالية كيف تكسر القيود؟ ال هذا السؤال يجيب الاب جرجس القس موسى.

في جو مشحون بالامل والترقب المشوب بالتحوف، جلس "اقطاب" الكنيسة الإيطالية، اخيرا، في مؤتمر عام، هو الاول من نوعه، ولانه كذلك فيعتبر "حدثا" ذا اهمية استثنائية و "منعظا" تاريخيا في حياة كنيسة إيطاليا . بعد سنتين، اذن، من الاعداد الحثيث والتجاذب والمجاهات، وحتى "اللابالية البرونزية"، كما وصفها الاب سورج نائب رئيس اللجنة التحضيرية، اجتمع من ٣٠ ت١ - ٢٤٤ ت٢ ١٩٧٦، ١٥٠٠ مندوب (٩٠٠ علماني و ٣٠٠ كاهن وراهب وراهبة و ٢٠٠ اسقف) من جميع ابرشيات إيطاليا حول موضوع "التبشير بالانجيل والرقي الانساني".

الابا نفسه لم يخف بعض الحذر تجاه مؤتمر "كنسي" كهذا يضم علمانيين اكثر بكثير مما يضم من الاكليروس، وان الجناح التقدمي المدعوم بالمحدد من الكهنة واساتذة الجامعات والشباب من الحركات الرسولية الرسمية والمستقلة كان في الواجهة: "اننا نتساءل حول الجو الفكري الذي يمكن لمثل هذا الحدث ان يوقظه ويصوغه، ونسال: "اي اسلوب

جديد يعرضه علينا لنعيش مسيحيتنا لا سيما في الحياة الاجتماعية". تصبح "خطرة ومضرة"، مثل "النقد الذاتي" الذي استحال، حسب تعبيره، في الازمنة الاخيرة "رفضاً اعتيادياً"، لا لنقد الذات، بل لنقد الاخرين. ولوّح بكلمات غير مباشرة الى ان "السلطة" تبقى صاحبة الكلمة والفصل. ولكنه، مع ذلك، دعا جميع المشتركين، تقليديين كانوا ام تقدميين، الى الوحدة والنظر الى خير الكنيسة الاسمى. واعاد الكرة في الاسبوع التالي، ولكن بتفاؤل اكثر، ودعا المؤتمرين الى اكتشاف العلاقة الدينامية بين "النشاط الديني والزمني، بين اعلان الانجيل والتقدم المدني، بين الايمان والعمل المادي، بين الكنيسة والعالم المعاصر".

وقد ضمن الكردينال بوما رئيس مجمع الاساقفة ابعاد المؤتمر هذه في كلمته الافتتاحية حيث قال: "سيبلغ هذا المؤتمر هدفه اذا نجح في اضاءة الدرب امام ابرشياتنا لاكتشاف هوية المسيحي والكنيسة وايجاد سبل المساهمة المطلوبة في حركة الرقي الانساني" مستفيدة من كل تجربة ايجابية حتى خارج "جدران بيتها".

لقد كان هذا واضحا لدى معدّي المؤتمر، سيما وان كنيسة ايطاليا كانت بحاجة الى مثل هذا الحمام التطهيري لتخلع عنها ما عرف عنها من التقليدية المشوبة بالجمود والانطواء. فقد صرح الاب سورج في مؤتمر صحفي في ١٩ ك ١٩٧٥: "تريد الكنيسة في ايطاليا ان تصغي الى جميع الاصوات وجميع المشاكل التي يتميز بها بلدنا، الى الثقافة والفئات الاجتماعية المختلفة -سواء كانت من وحي مسيحي او من وحي منطلقات ايدولوجية اخرى- وذلك لكي تكتشف ما هو صالح لدى الجميع، فتفهم بصورة افضل المقولات المتشابهة التي تتحدث عن التطور الانساني. عن طريق هذه الاتصالات، تكون الكنيسة متفتحة اكثر لسماع الاسئلة التي تلقى عليها، فتميز بصورة ادق ما يلزم ان تعمله للخدمة الانجيلية".

ترى، ما هي هذه "الاصوات والمشاكل" التي تتميز بها ايطاليا، وبالتالي كنيسة ايطاليا لتستوجب مثل هذا التحرك وبهذا الشمول؟

ان التناقضات التي يتميز بها المجتمع الايطالي (كنيسة مركزية ذات فكر واساليب راغوية تقليدية، ووجود البابا على راس هذه الكنيسة -اسما ان لم يكن فعلا- مع كونه رئيسا اعلى للكنيسة الجامعة ورئيسا لدولة الفاتيكان، الاحتواء السياسي الطويل الذي مارسه الحزب الديمقراطي المسيحي تجاه الكاثوليك الايطاليين، ووجود اقوى حزب شيوعي غربي)، مثل هذه التناقضات تضع كنيسة ايطاليا امام تحديات جدية تتطلب استراتيجية جديدة، و نوجزها كالآتي:

- اول اشارة تدعو الى القلق ظهرت في الستينات (١٩٦٣)، والمجمع الفاتيكاني الثاني في زخم اعماله، حين عالج مجلس الاساقفة الايطاليين ازمة الممارسة الدينية لدى كاثوليك ايطاليا، ومن خلال ذلك اكتشفوا عمق الازمة الدينية وابتعاد جماهير الطلبة والعمال عن الكنيسة.

● ظهور جماعات "رافضة" من الشباب للأساليب القديمة في الإدارة الكنسية والتثقيف المسيحي والالتزام الحياتي، دعيت أحيانا "بالمشقيين"! ولم يخل محرّكو هذه الجماعات من كهنة ورهبان.

● ظهور جماعة "المسيحيين من أجل الاشتراكية" (١٩٧٢). وتتكون من أعضاء سابقين في المنظمات الرسولية الكنسية ومن "جماعات القاعدة" والجماعات "رافضة".

● هزة أخرى لا تقل خطورة أصابت هيئة الكنيسة، والسلطة الكنسية خاصة، سنة ١٩٧٤ حين صوت ٦٠% من الإيطاليين إلى جانب قانون إباحة الطلاق، بعد أن كان قد نال الاكثية البرلمانية، وذلك بالرغم من توجيهات الاساقفة والبابا نفسه، لا بل صوت إلى جانب هذا القانون كاثوليك كثيرون وحتى كهنة - وكان قد سبقه قانون يقر الزواج المدني.

● انتخابات ٢٠ حزيران ١٩٧٦ التي كادت تقلب موازين السياسة الإيطالية راسا على عقب، حيث احرز الحزب الشيوعي تقدما واوشك على استلام السلطة، وعمدة روما الجديد نفسه، وان لم ينتم إلى الحزب الشيوعي، فهو ماركسي بارز وقد رشح نفسه على القائمة الشيوعية.

● فشل الحزب الديمقراطي المسيحي في معالجة تدهور الاقتصاد الإيطالي وتعرضه لبعض الفضائح السياسية والاقتصادية من جراء احتكار السلطة منذ ٣٠ عاما وجوده.

● فقدان كثير من الكاثوليك الإيطاليين ثقتهم بالديمقراطي المسيحي واتجاههم سياسيا نحو اليسار، حتى أنهم صوتوا إلى جانب الحزب الشيوعي، بل رشح بعضهم في انتخابات ٧٦ على قوائم ماركسية، لا كمتتمين، بل باسم "الطرح الماركسي"، وذلك بالرغم من كل جهود الاساقفة.

من كل ذلك نستدل ان إيطاليا لم تعد ذلك القطر "الكاثوليكي" الذي يسر حتما وراء الاساقفة في كل شيء، وان الاختيارات السياسية لدى المسيحيين لا يمكن التأثير عليها أو توجيهها من فوق، لذلك جاءت الحاجة ماسة إلى تبشير من جديد وبأساليب جديدة، ولكن ضمن حركة التطور الانساني: فكان مؤتمر تشرين في "التبشير بالانجيل والرقي والانسانية".

قد تكون لبعض كوادر السلطة الاسقفية مرامي "احتوائية" لعقد هذا المؤتمر، وذلك بوضع اليد ثانية على الكاثوليك وايقاف تشنتهم واطلاق صيغ جديدة للحضور المسيحي في المجتمع الإيطالي (مما يتفق ضمنا مع امانى الحزب الديمقراطي المسيحي الإيطالي في رصف صفوفه). غير ان القاعدة وكوادر فكرية قيادية كثيرة، من الكهنة والعلمانيين، انطلقوا من ضرورة تجديد الكنيسة داخليا، في جميع مرافقها التعليمية والادارية والفكرية، وتطوير سبل مساهمتها في بناء المجتمع، لا كقوة ثانية إلى جانب القوة السياسية، أو كتابع بديل لها، بل انطلاقا من مفهوم "الخدمة" و دينامية "المقاسمة" اللذين يمليهما الانجيل نفسه واللذين طالما دعا اليهما المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني.

مهما يكن من امر فان كثافة المشاركين ونسبة العلمانيين (٦٠%)، ووزن المحاضرين الفكري والثقافي، وجدية المواضيع المطروحة^(١)، والاهتمام الرسمي الذي خطي به المؤتمر من قبل البابا الذي القى كلمة في القديس الذي تراسه دعا فيها الى المشاركة الفعلية في اعمال المؤتمر والالتزام باهدافه: كل ذلك يدعو الى الارتياح وبنىء بان الحواجز قد تكسرت. فاذا كان بعض الاساقفة والكرادلة قد قطبوا جباههم، فالان وقد انتهى الامر، لا يخفي معظم الذين ساهموا في اعماله ارتياحهم الى النتائج وتفاؤلهم بان الحياة لا زالت تدب في كنيسة ايطاليا.

لم تصدر عن المؤتمر اية وثيقة للنشر، ولكن كان ثمة تقريران ختاميان احدهما للاب سورج نائب رئيس المؤتمر، والثاني للمونسنيور مافيرنا سكرتير مجلس الاساقفة الايطاليين. وقد لخص الاول اعمال المؤتمر وقال بانه كان فرصة لكنيسة ايطاليا لتجد نفسها في حالة "بحث" و "خدمة" و "نمو". وأشار الى ان المجتمع الايطالي على عتبة إسقاط النمط اللبرالي - البرجوازي الذي، بانانيته، لم يتحسس رغبة الانسان المعاصر نحو الاشتراكية". واعترف الاب سورج "ببطء حركة التجدد الجمعي ولا نظاميتها، ولاسيما تاخرها الكبير بالنسبة الى حركة الزمن والتطور في البلاد". ولكنه اضاف بان الكنيسة، مع ذلك، تكمل سيرها و "تقبل بارتياح كل ما هو جيد في العالم، من حيثما جاء" وتعلن اختيارها الاجتماعي الى جانب الفقراء. ولكن ذلك يتضمن، كشرط اساسي، حسب قوله، "فصل" الكنيسة عن اي تعايش "مصلحي" او "احتوائي" مع اية سلطة سياسية او اقتصادية او ثقافية، وهكذا جاء الى توضيح حرية الانتماء الحزبي شريطة ان "لا يتعارض مع الضمير المسيحي ضمن الجماعة الالمانية" والخير العام. وختتم الاب سورج تقريره باقتراح "هيئة دائمة للاستشارة والتعاون، مهمتها ان تكون ملتقى للجماعة المسيحية للحوار والبحث والمبادرة لخدمة الوحدة الانجيلية والرقي الانساني وكسر الحواجز بين الكنيسة الادارية والكنيسة الحقيقية".

اما سكرتير مجلس الاساقفة، فتوقف لدى ضرورة تغيير البنى الرعائية الكنسية وتجدد الليتورجيا واساليب التثقيف المسيحي والاهتمام "بالهامشين" والاسرة والمرأة. وأشار الى ان التبشير بالانجيل لا يمكن من غير الرقي الانساني، وان الرقي الانساني عمل جماعي، وحق وواجب على المسيحيين كافراد وجماعة كنسية. اخيرا ذكر المونسنيور مافيرنا مجلس الاساقفة بانه "هيئة انشئت لخدمة شعب الله، فعليه ان يجيا باحتكاك مع هذا الشعب ويبحث ويخلق اقية اتصال واعلام معه".

(١) الاسس الحالية للكنيسة الايطالية هل تسمح بالاجابة الى المتطلبات للتبشير بالانجيل والرقي الانساني؟ - الحضور المسيحي في عالم العمال- المشاركة الجديدة في حياة البلاد- تطور مفهوم الاسرة- قضية المرأة- الالتزام السياسي لدى الكاثوليك- الالتقاء مع ثقافات العصر لا سيما مع الماركسية حسبما تظهر في المجتمع الايطالي اليوم- الليتورجية والروحانية والرقي الانساني- الجماعة المسيحية: اداة فاعلة للرقي الانساني- متطلبات التبشير في البيئات المختلفة...



نحو لبنان جديد - جبهة المسيحيين التقدميين

أخذ الأمل يراود اللبنانيين في إعادة بناء لبنان بعد حرب دامت قرابة عامين خرج منها يحمل تبعه تركيبته السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتخلفة. من أجل لبنان جديد تساهم "جبهة المسيحيين التقدميين" في الدعوة إلى "لبنان علماني ديمقراطي عربي". فما هي هذه الجبهة؟ وما هي أهدافها؟ إلى هذا السؤال يجيب صاحب المقال.

وطن لم يتفق أبناؤه كما اتفقوا على تمزيقه واقتسامه فيما بينهم -وكأنهم الجند يتقاسمون ثوب المسيح على الجلجلة!- على مرأى ومسمع من عالم لا مبال، بل تستر البعض وراء الفوضى العامة ليأخذوا نصيبهم من الغنائم أو ليبرروا غزوهم السافر. وهكذا لعبوا -تعمدا أم انسياقا- لعبة الامبريالية ومصالح الدول الكبرى لتفتت التضامن العربي وطبخ الحلول "الواقعية" للقضية الفلسطينية، حتى إذا كان ثمن ذلك إزالة قطر عربي، بأرضه وشعبه، من خارطة العالم، المهم أن تبقى إسرائيل، وان تبقى شوكة التحدي والترويض إزاء النفط العربي!!! من أجل الوصول إلى هذه الغاية ضربت تلك القوى الخارجية، بتواطؤ عملائها في الداخل، ضربت في بعضها جميع التناقضات اللبنانية (والعربية) السياسية والاقتصادية والفكرية والدينية والطائفية، فكانت الحرب اللبنانية مزيجا من كل ذلك، إلا أن الجانب السياسي - الاجتماعي كان محكها المباشر، ولم تكن الطائفية (أو الدين) إلا قناعا يستتر وراءه الزعماء التقليديون من الجانبين ليدفعوا بالناس إلى الحرب "حفاظا على لبنان". ولكن في الواقع حفاظا على مصالحهم الاحتكارية واستثارتهم السياسي والإقطاعي والعشائري! أما المقاومة الفلسطينية، فقد كانت حصان طروادة للبعض وكبش الفداء للبعض الآخر وزجت زجا في هذه الحرب القذرة التي استنفدت طاقتها وأفقرتها.

- حرب أهلية شرسة دامت ثمانية عشر شهرا ولما تنتهي ذيولها!
- ماذا سيكون لبنان الغد الذي تسلمه الرئيس الياس سركيس حطاما واشلاء؟
- هل سيعيد البناء إلى ما كان ويأخذ بالصيغة اللبنانية الأسطورية التقليدية "لا غالب ولا مغلوب"، أم يتخطى الرؤوس القديمة التي تزعمت الفتنة ويقيم الدولة الحديثة من الأناض؟
- هل ستفكك البلاد إلى دويلات طائفية ويترك الجنوب "قاعدة فلسطينية"؟
- هل سنشهد احتواء سوريا لمقدرات لبنان الغد؟

أسئلة ستجيب عليها الأشهر القادمة، إلا أن جوابا واحدا تفرزه الأحداث بوضوح وقوة، وهو أن لبنان الغد لن يمكن أن يكون لبنان ما قبل الحرب!

من أجل أن يولد لبنان جديد، حر وسيد ومتطور، لبنان يحتضن الأديان والطوائف والأحزاب لا بمنطق الطائفية والتحيز والأكثرية والأقلية، بل بمنطق المواطنة والعطاء، لبنان

ديمقراطي يضمن دستور له لكل ذي كفاءة أن يخدم وطنه وفق كفاءته، ولا يجعل من المناصب والمسؤولية "إقطاعيات سياسية" أو "وقفا" على هذه أو تلك من الطوائف -مما يلحق الغبن حتما بالأقليات وبالقوى الوطنية والسياسية الجديدة، لبنان عربي يؤمن مقتنعا انه جزء لا يتجزأ من العالم العربي، وان تاريخه ومستقبله مرتبطان ارتباطا مصيريا به وبقضاياها؛ لبنان يؤمن مسيحيوه أن مسلميه ليسوا اقل لبنانية منهم، ويؤمن مسلموه أن مسيحييه ليسوا اقل عروبة منهم.

قبل أن يحمل المتخاصمون البنادق لحسم الموقف، كل لصالحه، كانت هذه الأفكار قد وجدت حقلها خصبا لها في أوساط الشباب المسيحي، افرادا ومجموعات صغيرة، وأخذت تنمرد على الاستغلال الطبقي والفقر وعلى التركيبة السياسية القائمة على المساومات والزعامات المستغلة. وقد برز في هذه الدعوة رجال كنيسة لم تنقصهم الجرأة.

من هذه القوى المسيحية اللبنانية الجديدة نقدم لقرائنا جبهة المسيحيين التقدميين التي تشكلت إبان الأحداث الدامية، في تموز الماضي.

لقد تردد كثيرا إبان الحرب اللبنانية ولدى بعض المخيرين الصحفيين الأجانب وبعض الساسة العرب في لبنان وخارجه، أن الحرب اللبنانية حرب أهلية طائفية تتطاحن فيها الملل للانفراد بالحكم والمقدرات، أو صوروها حربا دينية يتصارع فيها المسلمون والمسيحيون، وذهبوا في معادلات سطحية ساذجة: أن كل مسيحي يميني رجعي، وان كل مسلم يساري تقدمي! وقد روجت لهذه النظرة المغرضة إذاعات غربية فضلا عن إسرائيل. وللتراثة نقول بان العراق، قيادة وإعلاما، رأى في القضية منذ البداية أبعادها القومية ونوابضها التصفية للقضية الفلسطينية، بالإضافة إلى كونها وليدة صراع طبقي اجتماعي اقتصادي يرسو على تركيبة سياسية متخلفة آن الأوان لان تتغير.

للمساهمة الفعلية في بناء لبنان الجديد تضامنت ٢٧ منظمة وتجمعا محليا من المسيحيين الوطنيين من "جماعة الضغط" والحركات الرسولية والمنظمات الطلابية والعمالية المسيحية و فرق التقارب المسكوني الوجدوي وبعض الشخصيات المسيحية المستقلة وكونت "جبهة المسيحيين التقدميين".

لقد اتخذنا اسم المسيحيين التقدميين، يقول طارق متري الناطق باسم الجبهة -في مقابلة نشرتها صحيفتا "الشهادة المسيحية" الأسبوعية (أيلول ١٩٧٦) و "فرنسا والبلدان العربية" الشهرية (ت ١ ١٩٧٦) الفرنسيتان- لكي تظهر رفض الكثيرين من المسيحيين أن يحسبوا إلى جانب الاحزاب اليمينية.. طموحنا هو أن نشجع بروز دور المسيحيين الذين مكثوا في هذه الجبهة (بيروت الغربية) ويريدون التعايش مع المسلمين، رافضين بذلك التقسيم الذي لوح به الجميل أو شمعون. يجب أن يمارس هؤلاء المسيحيون دورهم في الجبهة الوطنية التي تشمل قوى اليسار وان يمدوها بالبعد النقدي".

تشكلت "جبهة المسيحيين التقدميين" في بيروت الغربية التي كانت تسيطر عليها قوات الحركة التقدمية الوطنية والفلسطينيون، إلا أن أعضائها وأنصارها كانوا يتواجدون في الجبهة الشرقية أيضا: "إننا نترقب الوقت الذي يتاح لهؤلاء المسيحيين المتواجدين في المناطق

التي تسيطر عليها قوى اليمين أن يتخلصوا من السياسيين والأحزاب "الانعزاليين" ويلتحقوا بصفوفنا في نضالنا من أجل توحيد البلاد". ويستطرد مترى قائلا: "لا شك أن قاعدتنا السياسية قادرة، في حساباتنا أن تضم إليها عددا كبيرا من المسيحيين، بالرغم من الظروف الحالية (الحرب) لا تتيح مثل هذا التوسع، لأن هؤلاء المسيحيين واقعون تحت الخوف، من جهة، ومن جهة أخرى لا زالوا تحت وطأة تقدير عاطفي للوضع، مما يقطع الطريق أمام كل حوار على الصعيد العقلاني".

وأكد الناطق باسم "الجبهة" أن هذا "التقدير العاطفي" لم يقتصر على سكان "المعسكر الشرقي"، بل وجد أيضا في "المعسكر الغربي اليساري"، وقد ترجم بعدم الانضباط أحيانا فكان "الجبهة المسيحيين التقدميين" - بالتعاون مع اليسار والمقاومة الفلسطينية - دور التهدة والتعقل. ويقول مترى متحدثا عن البعد النقدي الذي تقدمه "جبهته" للييسار والمقاومة، كهي تصان المبادئ والمنطلقات في صفاء ثورتها وأصالة طبيعتها: "إن إحدى مهماتنا الرئيسية هي أن لا تتأثر سياسة المقاومة الفلسطينية واليسار بالجو الطائفي. فعلى وطنيته، وليس على دينه، يحكم على مواطن ما.. إننا نقدم بديلا سياسيا دون أن نصهر في اليسار، فإذا كنا، من منطلق مبدئي، متضامنين مع الأهداف الأساسية للأحزاب التقدمية والمقاومة الفلسطينية، فنحن لا نتوان في نقد بعض مواقفها السياسية أو المسلكية".

"المقاومة الفلسطينية" و"الأحزاب التقدمية" اسمان طالما ترددتا في أقوال طارق مترى بكثير من التعاطف، ذلك لأنه هو نفسه وكثيرون من رفاقه يعملون بتضامن - لاسيما بعد حرب تشرين - لدعم القضية الفلسطينية على الصعيدين العربي والعالمي، لاسيما في الأوساط المسيحية والفكرية، وقد كان لهم الدور الكبير في تنظيم "الندوة العالمية للمسيحيين من أجل فلسطين" في بيروت في أيار ١٩٧٠. كما أن نظرة "الجبهة" إلى لبنان الغد قريبة جدا من طرح الأحزاب التقدمية؛ فإلى سؤال حول موقف الجبهة من المقاومة ومن الإصلاحات يجب طارق مترى: "إننا متضامنون مع المقاومة الفلسطينية، في هذا الإطار الخاص، إطار مشروع توحيد الوطن والدفاع عن المقاومة الفلسطينية والنضال من أجل التغييرات الاجتماعية والإصلاحات... إننا نستهدف علمنة كاملة للنظام اللبناني، مما لا تحمله برامج جميع تنظيمات اليسار، لاسيما بعض الجماعات التقليدية". ثم رفع شعار "الجبهة" وهو "لبنان علماني ديمقراطي عربي". لا شك إن لبنان هذا لن يخلق بين عشية وضحاها، وإن مسيرة التغيير ستكون طويلة وشاقة ومؤلمة، فهناك الأحقاد والحذر وفقدان الثقة والمشردون والمشوهون والثار... فدماء خمسين ألف قتيل لن تجف سريعا..! ولكن على جميع اللبنانيين، وفي مقدمتهم كنيسة لبنان، أن يبذلوا جهودا استثنائية ولمدة طويلة لتجاوز المحنة..

هكذا فالقضية اللبنانية لا يمكن "تفريغها" إلى أزمة معاشية بين المسيحيين والمسلمين، وإلى سوء تفاهم بين اليمين اللبناني والفلسطينيين. فأية معالجة للقضية، إذا أرادت أن يكتب لها النجاح والديمومة، يجب أن تكون معالجة جذرية، اعني أن تصل إلى إسقاط فعلي للطائفية من الحياة السياسية اللبنانية، وتبني مجتمعا ديمقراطيا يضمن تكافؤ الفرص للجميع، أفرادا وجماعات، في المساواة والعدل والحرية، مجتمعا يمد جذوره في العالم العربي الذي هو في الواقع جزء لا يتجزأ منه، جغرافيا وتاريخيا.

في سبيل رفع الإنتاجية في كنيسة العراق

آن لكنيستنا في العراق أن تناقش "ورقة العمل" التي هي بمثابة "مراجعة حياة" و"نقد ذاتي" لتكتشف مواطن الضعف والقوة فيها فتخطط من أجل رفع مستوى إنتاجيتها على كافة الأصعدة.

يدعو الأب جرجس القس موسى في هذا "المني" جميع الذين يهمهم مستقبل المسيحية في هذا القطر إلى العمل من أجل كنيسة متجددة تعرف كيف تتفحص "علامات الأزمنة"

الإنتاج! كلمة طالما أخذها الناس من جانبها الكمي فقط، بينما نلظر إليها نحن من منطلق العطاء والجهد المبذول والشعور بالمسؤولية. من هذا المنظار بالذات سنتكلم عن الإنتاجية في كنيسة العراق، وان بدت الكلمة غريبة عن القاموس الكنسي:

ما هي الطاقات الموجودة في كنيسة العراق؟

يقدر المسيحيون في العراق بحوالي ٧٠٠ الف نسمة ويشكلون ٥% من نسبة السكان. إلا أن وزن وجودهم وتأثيرهم في الحياة العراقية يتجاوز نسبتهم العددية، وذلك لعوامل ثقافية واجتماعية وتاريخية جعلت من المواطن المسيحي يتحرك من أرضية صلبة وهي أن العراق مهد أجداده ومسرح حاضره ومستقبله، سواء بسواء مع أخيه المسلم - بل يشهد التاريخ ان المسيحية سبقت الإسلام في قطرنا وتكاثفت معه في بناء تراثنا المشترك. يضاف إلى ذلك روح الإخاء والمساواة والآفاق التي فتحتها قيادة العراق الجديد، ناهيك عن المساواة التي يقرها الدستور في الحقوق والواجبات لجميع العراقيين، من أي دين أو قومية كانوا. هذه العوامل تشكل قاعدة أصيلة لكل تحرك سليم يهدف إلى تحرير المواطن المسيحي من روح التبعية والخذر والهامشية، وتتيح الفرصة أمام الكنيسة لتنشيط الحياة المسيحية وإنتاجيتها، في إطار الالتزام الإنجيلي والقومي.

إلى جانب ذلك تبرز الطاقة البشرية: ففي العراق اليوم بطريك واحد وواحد وعشرون أسقفا وزهاء مئتي كاهن، يضاف إليهم عدد من الرهبان الكهنة، وأكثر من ٣٠٠ راهبة. هذا العدد، إذا قيس بعدد المسيحيين في العراق، يشكل طاقة لا يستهان بها، بل نحسد عليها بالنسبة إلى بعض بلدان العالم الثالث، لاسيما وان ثلثي الراهبات والكهنة - ونخص بالذكر الاكليروس الكاثوليكي - يتراوح متوسط أعمارهم بين ٣٥ و ٤٠ سنة، اعني أنهم في أوج عطائهم. وجدير بالإشارة أيضا إن الكنيسة الكاثوليكية تحتفظ لنفسها بحوالي ٧٥% من القوى (بطريك + ١٣ أسقفا + ١٥٠٠ كاهنا). وتزيد النسبة إذا عرفنا أن جميع الراهبات كاثوليكيات.

إلى الطاقة البشرية نضيف الطاقات المادية. فكنايس العراق، بصورة عامة، كنايس جيدة وبعضها ممتازة - عمرانا وأوقافا وعددا. وللطوائف الرئيسية الثلاث، الكلدانية

والسريانية، الكاثوليكية والأرثوذكسية، واللاتين أيضا، بعض الأوقاف العامرة أو الأديرة التي بوسعها أن تشكل دعما ماديا لمشاريع حيوية كثيرة، بالإضافة إلى السخاء المتوفر دوما لدى المؤمنين كلما ظهرت حاجة أو مشروع كنسي أو خيرى.

أما من الناحية الدينية فهناك بقضة حقيقية لدى الشباب المسيحي ورغبة في معرفة المزيد حول إيمانه وتوق أكبر في المساهمة في حياة كنيسة وتحميد وجودها في الواقع المتطور للقطر. وان افتقرت كنيسة العراق إلى قاعدة علمانية مثقفة تثقيفا مسيحيا أعمق وأوسع، فالخروج يجب أن يقال بأنها تملك نخبة من الشباب الطيبين، ذوي الاستعداد الحسن.

عنصر هام آخر هو قرار منح الحقوق الثقافية للناطقين بالسريانية. هذا القرار أفاق المسيحيين في العراق إلى أن بينهم قاسما مشتركا آخر إلى جانب الإيمان - كان منسيا أو مهملا- يمكن الانطلاق منه لتوحيد كلمتهم هو: اللغة الطقسية الواحدة والتي لا زالت بلهجاتها المحكية تجمع ثلثي مسيحيي القطر، والتراث المشترك. يضاف إلى ذلك الحنين الذي يحرك جميع المسيحيين لتحقيق وحدتهم والخروج من التقوقع الطائفي.

كما نشير إلى مبادرة أخرى إتاحتها القيادة السياسية، وتشكل فرصة تاريخية لم تستغل بصورة صحيحة، اعني بما مبادرة إقرار منهاج رسمي موحد للتعليم المسيحي في المدارس المشمولة بالقانون.

ومن الأوجه الإيجابية الأخرى نذكر، في حقل النشر والإعلام المسيحي، مجلة الفكر المسيحي ونشرة الكنيسة ومجلة بين النهرين...

ومن علامات الصحة في كنيسةنا التيقظ وحتى تحسس الألم والبعد النقدي لدى الجيل الجديد تجاه أوجه التقصير والركود في واقعنا المسيحي. وكذلك الثقة التي لا يزال يتمتع بها الأساقفة والكهنة والكنيسة بصورة عامة.

ماذا يمثل منها؟

لم اشر في هذا العرض السريع إلا الى بعض النقاط المضيفة الرئيسة، ولا أنكر ان بعض فرص ووسائل العمل غير متوفرة أو لم تعد في أيدي الكنيسة. ولكن سؤالي هو: مع الإمكانيات المتوفرة والطاقات الموجودة في كنيسة العراق -وهي، برأيي، ليست ضعيفة- لماذا تكون الإنتاجية منخفضة إلى هذا الحد؟ وهل حقا استفدنا كل الوسائل التي مجوزتنا أو التي لا زالت مفتوحة امامنا؟ هل نستغل ٢٥% ولا أقول ٥٠ أو ٧٥%، من طاقاتنا؟ وسؤال آخر يحرق شفتي: وسائل العمل غير المتوفرة لكنيسة العراق أو المبادرات التي أخذت منها، من المسؤول عنها؟ ويوم كانت في حوزتنا، ماذا كان موقف القيمين على كنيسةنا منها؟

هذا يقودني إلى وضع الإصبع على الجرح في بعض قضايا تمس جوهر وجودنا المسيحي ولا تزال، مع ذلك، تتخبط في هامشية تفكير القيمين على كنيسةنا:

معضلة التثقيف المسيحي، التي هي مسألة ديمومة الإيمان المسيحي في قطرنا. ماذا نالت، على الصعيد العملي، من اهتمامنا ودراستنا، ومحاولاتنا؟ قلنا: ضعف إيمان الناس فليأتوا إلى الكنيسة! وجاءوا إلى الكنيسة! وفي الكنيسة ماذا أعطيناهم؟ أي تعليم؟ أية مواعظ؟ أية مشاركة؟ حاول البعض بث الوعي الديني والالتزام المسيحي لدى الشبيبة، في أخويات أو ندوات أو حلقات دراسية أو في الأسر أو عن طريق النشر. تجاهلنا الأمر إن لم نشجبه! ولما جاءت بعض الصعوبات غسلنا أيدينا كيبيلاطس!

التعليم المسيحي نفسه للطلبة هو ما دون المطلوب بكثير. هل تحرك القيمون على كنيستنا بمشاريع واضحة ومقترحات موحدة وإصرار مدروس؟ أم كان الإصرار فقط لاسترجاع بضعة أشبار من بناء أو الحصول على دريهمات عن إيجار؟

قضية اندماج الكنيسة في الواقع المتطور لقطرنا. السنا بعد، على الصعيد الكنسي الرسمي، في شبه عزلة عما يجري حولنا، وندير بيتنا بعقلية "الأقليات" التي لا زالت تتوهم أنها تحافظ على كيانها بصمتها؟

معضلة إعداد كهنة الغد. أو ما كان الحال الذي آلت إليه المعاهد الاكليريكية يستحق ولو اجتماعا واحدا من السادة أساقفتنا الإجلال؟

قضية النشر والرأي العام. قابليات كثيرة، والكهنة المثقفون وذوو الشهادات والكفاءات ليسوا بقلة. بل لم تر كنيسة العراق في تاريخها مثل هذا العدد من الكهنة الشباب والمثقفين. ولكن ثمة سوء توزيع. والأصوات الجريئة تختنق. كل ما هو خارج عن الوضع القائم والتفكير التقليدي يحكم عليه بالإعدام. مع التنفيذ إن أمكن.

مشاركة العلمانيين في حياة الكنيسة العراقية شبه معدومة. وفي معظم الأحيان لا تعترف السلطة الكنسية للعلمانيين بأكثر من أن يساهم بعضهم في مجالس أوقافها وترميم أبنيتها.

ومعضلة الأساقفة. ليسمح لي أن اسميها معضلة! هل حقا يشعرون بكامل مسؤولياتهم؟ "يرعون أغنامهم" دون انتباه حقيقي أو دراسة لاحتياجات المؤمنين، اليوم. شعور بمن هم هنا لتصريف الأمور فقط، كالوزارات المستقلة، من دون مبادرات أو ابتكار.. صوئهم غائب. لا نسمعهم يتكلمون اللهم إلا في بعض المواعظ التقليدية في الأعياد الكبرى. لا يكتبون، لا ينشرون. السينودسات؟ ماذا يجري فيها؟ لا احد يعلم، ولم يصدر قط بيان بسطرين عما "نوقش" فيها! اجتماعات الأساقفة؟ خيبة أمل متكررة...!

كيف المسيل إلى رفع الإنتاجية؟

كل هذه العوامل تخلق قلة التحام، فيعمل كل واحد في زاويته دون تنسيق أو برمجة، فيأتي العمل ناقصا، لان الانفرادية في العمل، بل الارتهال، آفة أخرى من آفات كنيستنا.

في ما يلي أورد بعض رؤوس نقاط لاستغلال أفضل لطاقات كنيستنا، ومن ثم لرفع إنتاجيتها:

* التحام أكبر بين الأساقفة والكهنة، ونبذ العقلية الإدارية الفوقية، حيث يكون الأسقف "رب عمل" والكاهن مجرد "يد عاملة"، فالرسالة واحدة والمسؤولية مشتركة.

* التخصص بحيث لا "يتبعثر" الكاهن الواحد في كل أوجه الرسالة والعمل الخوري.
 * مساهمة العلمانيين والراهبات أكثر فأكثر في حياة الكنيسة، الدينية والثقافية والليتورجية والإدارية، وإعطاء الثقة لطاقت الشباب، فهي احتاطي كنيسة الغد.
 * انفتاح ودعم فعلي لحركة التطور والبناء التي يشهدها قطننا، لا تقربا، بل انطلاقا من قناعة التزامنا كمواطنين.

* استخدام النشر والإعلام وكل وسائل الاتصال الحديثة للتوعية الدينية وفتح آفاق المسيحي على متطلبات الإنجيل في عالم اليوم، وفك الحصار عن الفكر التقدمي والرأي الحر.
 * الاستفادة بصورة أوسع من الاحتفالات الدينية ومواسم الزيارات للمعابد والأديرة لإعطاء تثقيف مسيحي أعمق، وإشراك الشعب فعليا في الليتورجيا، لاسيما القديس.

ولكن كل ما شخصناه في هذا المنبر، وكل ما نعرفه من معاشتنا اليومية يبقى ثرثرة جوفاء إذا لم يعقبه الفعل. يكفينا من التشتت ومعالجة الأمور بأسيرين الأوامر والنواهي والتوجيهات من طرف واحد. فالمسألة تتطلب عملا جماعيا مكثفا، والتغيير لا يحدث إذا لم تملك كنيسة العراق أدوات التنفيذ. ومنها، برأيي، ثلاثة رئيسية:

١- قيام مجلس أساقفة دائم وجاد على صعيد القطر يكون المرجع الأعلى للتوجيه والإدارة والمسؤولية المشتركة، يستعين في نشاطاته ودراساته -وبعضيته أيضا، لم لا؟- بذوي الاختصاص والكفاءة من كهنة وراهبات وعلمانيين. ويا ليت يضم هذا المجلس الأساقفة الأرثوذكس أيضا، وإلا فضروري دوما أن يتواجدوا في كل اجتماع أو مناقشة أو قرار يهم المسيحيين ككل.

٢- تشكيل لجان للقطاعات الرسولية المختلفة: التثقيف المسيحي، الكتاب المقدس، الإعلام والنشر، الوحدة المسيحية الخ... وتعضد هذه اللجان لجان محلية أخرى لشؤون الرسالة، للتنسيق والمتابعة والمبادرات المحلية.

٣- تشكيل هيئة أو سكرتارية وطنية، من أساقفة وكهنة وعلمانيين، ومن جميع الطوائف المسيحية، لشؤون علاقات الكنيسة والدولة، على غرار اللجنة المشتركة التي تشكلت مؤخرا في الموصل.

٤- إذا تحركنا بحسب هذه المؤشرات وحملت الهيئات المقترحة مسؤولياتها بكفاءة، ودعمت بالثقة والضوابط اللازمة، فقل أن اقترب منا ملكوت الله!

رسالة مفتوحة الى اخوتي

اذا كان من حق الانسان ان يختار محل سكنه، فان من واجبه ايضا ان يشعر بان الوشائج التي تشده الى تربة الوطن هي اقوى من ان تززعها دغدغات اولئك الذين يحملونه على ان يرى في التراب البعيد دواء لكل مشاكله ومعاناته...

هذه الرسالة هي نداء اخوي الى المواطنين كي لا ينساقوا وراء الرغبة في الاستقالة عن مسؤولياتهم في هذا القطر، في ظروف هو احوج ما يكون الى تكاتف طاقاتهم في بنائه وتقديمه.



الى مواطني الذين هاجروا.. والذين يفكرون بالهجرة الى خارج القطر.. سلام وتحية..

آه! كم تمنيت ان لا اكتب هذه الرسالة مطلقا! ولكن تلاحق الانباء حول هجرة البعض، في شبه عدوى تصيب قريبا بعد قريب، هذه المغامرة التي تركبوها على غير ضرورة، واحيانا على غير هدى.. تخيفني وتقض مضجع كل من يحبكم ويجب مستقبل امتكم وبلادكم!

لقد هالتي لغة الارقام يوما عن هجرة الادمغة من البلاد العربية ومدى تأثير ذلك سلبيا على المسيرة الحضارية لشعبنا وعلى الاقتصاد القومي..

صحيح ان للمرء الحق في اختيار موضع سكنه ونظام حياته، ولكن هجر الوطن مسألة خطيرة تستوجب تفكيرا ابعده ووقفه جادة ومسؤولة قبل الاقدام عليها.

لماذا يهجر الواحد وطنه؟

هناك عاملان رئيسيان يبرران الهجرة هما:

١- فقدان الحرية و ٢- تردي الحالة المعيشية.

في الحالة الاولى يفضل المرء التغرب الطوعي عن وطنه عندما تتعرض حريته وكرامته للضغوط المختلفة او الاضطهاد السافر، ويمكن ان تظهر في اشكال متعددة كالتفرقة العنصرية او الدينية او لجم حرية الفكر والتعبير او الاستئثار بالسلطة، واحتكارها لفئة دون اخرى، لا بمقياس المواطنة والاخلاص والشعور بالمسؤولية، بل بمقاييس القوة والنفوذ

العشائري او الشخصي. وتشد الخناق على المرء هذه الضغوط عندما توصله الى ان يعتبر ذاته هامشيا في مجتمعه او مواطنا من الدرجة الثانية.. فتخلق فيه المرارة.. ومن ثم رغبة الهروب!
 اما في الحالة الثانية، فيتعرض المرء لهجرة وطنه عند تردي الوضع الاقتصادي في بلده او تفشي البطالة وشحة الاشغال بحيث تتراجع حالته المعيشية في جو من الفاقة والفقر وعدم الاستقرار..

هل ترى، نتعرض في العراق لمثل هذين العاملين او لاحدهما؟

بالنسبة للعامل الاول، لسنا نتزلف لاحد اذا ما قلنا بان السلطة الثورية قطعت على نفسها عهدا ببناء وترسيخ الوحدة الوطنية على اساس المساواة والتقدم. فالثورة تحتضن كل العراقيين، من منطلق اخلاصهم وعملهم وتسعى الى تقديم فرص متكافئة للجميع، مهما كانت انتماءاتهم الفكرية او الدينية او القومية، وترعى كافة القابليات والكفاءات، واحتضان العائدين منهم، وتشجيع العلماء والدارسين، وتكريم المبدعين والرواد..
 والتشريعات الديمقراطية في التعليم والعناية الصحية وسائر مرافق الحياة. كل هذه المبادرات لم تفرق بين عراقي وعراقي.. وقد اعادت الثقة الى وبالاقليات العرقية او الدينية او اللغوية عبر الحقوق الثقافية التي تمارسها وعبر الكثيرين من ابنائها الذين يتبوأون مراكز مختلفة في الدولة.

لسنا هنا في باب كيل المديح للثورة. انما نوجز قولنا بان مجالات الحياة والتقدم مفتوحة امام جميع المواطنين والدستور يضمنها، والفروقات في طريقها الى الزوال التام..

اما بالنسبة الى العامل الثاني، فالعراق اليوم ورشة عمل من اقصاه الى اقصاه، ونحن امام دولة تبني ووطن يرتفع، ومؤسساته الرسمية والخاصة تستوعب كل القادرين على العمل، والبطالة معدومة، ودخل الفرد العراقي يرتفع بصورة تلفت الانظار، تنعكس في قدرته الشرائية العالية وفي اقتصاد قومي ذي عافية وطموحات.

ولكن مع ذلك هناك هجرة! لماذا؟

انا لا ادعي باننا في العراق في افضل العوالم، وبان كل شيء كامل: "هناك امور كثيرة تحتاج الى عامل الزمن والمثابرة والتصميم كي تتحقق مرحلة بعد مرحلة. اننا لا زلنا نعاني من تخلف اجتماعي وفكري وحتى اداري مزمن، ولا زال التفاوت الثقافي بين فئات شعبنا يشكل عقبة كبرى في تذوق طعم الحرية والمسؤولية الشخصية، وتقييم الاخرين، وتطوير الذات لاستيعاب حركة الحياة والتجدد الحضاري.

تلك مخططات الثورة وطموحاتها.. طموحات كل فرد عراقي. فاذا كانت لا تزال مسافة ما بين الطموحات والتحقيق، فذلك لان تركة الماضي ثقيلة، ولاننا لا زلنا في بداية الطريق.. من سار على درب وصل!

ولكن هناك من يريد حرق الزمن والوصول سريعا.. فيتطلع الى خارج الحدود، وكأنه يتطلع الى الجنة! لا ننسَ اننا بلد نام، واننا مصابون بكل اورام البلدان النامية، واطحرتها الشعور بمركب النقص تجاه البلدان المتقدمة، لا سيما الغربية. في الغرب مغريات كبيرة وحقيقية. واهم هذه المغريات عاملان رئيسيان يدغدغان تفكير الكثيرين، هما الحرية الشخصية والربح الكبير، وهما في اساس اندفاع البعض الى الهجرة. ولكن كم يبذل هؤلاء من الارهاق والقلق لجمع الربح على حساب صحتهم وعلاقاتهم العائلية والانسانية! وكم يشوب تلك الحرية المنشودة من ملابسات عندما تخنقهم العزلة وتخدرهم، بشكل او باخر، وسائل الضغط الاجتماعي والدعائي والفكري والاستهلاكي! من ذلك ابغي ان اقول بان "المهاجرين" اذا تخلصوا من بعض سلبيات بلدهم الام، فالمهجر يقدم لهم سلبيات اخرى لا قبل لهم بها!

لذا، لو تعمقنا لراينا قسما وافرا من الانانية والهروب من المسؤولية في هذا الاندفاع، سيما وان معظم الراحلين هم من ذوي الدخل المحترم، في بلدهم الام، والوضع الاجتماعي والتحصيل العلمي الجيد، بل المتقدم على غيرهم!.

فندائي اليكم، يا بني قومي ومديني وقريني (وكنسيي) في ارجاء العراق الحبيب.. اتم يا من ساورتكم فكرة الهجرة يوما.. انظروا ابعد واوسع من معانياتكم الانية واحملوا مسؤوليتكم في بناء بلدكم واعداد الارض الطيبة لجيل ابنائكم.. كما يليق بالرواد الاصيلين. اجل ان جيلنا نحن جيل رواد، والرواد يضحون دوما اكثر مما يستمتعون. متعتهم في تصميمهم على الخروج من تخلفهم بالاباء والصمود، لا في الهروب.. اليس الهروب جينا؟!

ثم ان العراق ترابكم المقدس ولستم فيه غرباء او نزلاء، فبذهابكم الى غير رجعة تفقرون وطنكم ومهد طفولتكم وتنسفون نضال اجدادكم لتغنوا الاغنياء وتبنوا المجاهدم. بقدر ايماننا بالله وثقتنا بقدراتنا الذاتية سنحقق التحولات المرجوة وتطور هذه الارض.. فبحق ما فيها وما عليها من عطاء، وبحق وشائج الحب التي تربطنا بكم.. اتركوا جانبا النظرة المصلحية الضيقة وضعوا ايديكم بايدينا لنحترث معا هذه الارض ونعد سوية غداها الافضل..

ولكم مني كل الاخلاص

+ إامينائك وحدوية ام نخطيط نحو الوحدة!! منبر حر/ك ٢
+ بين الحرية والنشريع/ منبر حر/نيسان

امينائك وحدوية ام نخطيط نحو الوحدة...!!

أصبح الحديث عن الوحدة المسيحية نغمة طالما فقلت عنذوبتها
لكثرة ما تغنينا بها! ففي كل عام -وبالتحديد في اسبوع الصلاة لاجل
وحدة المسيحيين (١٨-٢٥ك٢)- يشدد الخطباء في الكنائس على الم الانقسام
وعلى اهمية الوحدة وضرورتها.. وقلما خرجت هذه الامنيات الى حيز
الواقع، او ترجمت بتخطيط جاد من اجل تحقيقها!
هذا المقال هو في الاصل كلمة القيت بمناسبة اسبوع الوحدة في ٢٥ ك ٢
في كنيسة الطاهرة للسريان الارثوذكس بالموصل، نشبتها هنا علها
تلقى صدى في نفوس من يهمهم ان تصبح هذه الامنية العزيزة واقعاً ملموساً.

إننا لا نفضح سراً إذا ما قلنا بأننا أصبحنا أضحوكة وموضع تندر بانقساماتنا
-لاسيما في مناسبات الأعياد-، حتى الكنيسة الواحدة مقسومة إلى فريقين أو أكثر: هذا
واقع مر ولا منطقي. اللامنطق ليس أن تضم الكنيسة شعوبا وطقوسا ولغات وثقافات
مختلفة، فهذا غنى ودليل على شموليتها؛ اللامنطق ليس في أن تعتر كل جماعة بتراتها
وطقوسها وتاريخها، فتلك غريزة طبيعية وحرص على الأصالة. إنما اللامنطق والشكوك هو
أن نكون على مسيح واحد ورجاء واحد وإنجيل واحد وأسرار واحدة ونبقى مع ذلك
منقسمين على ذواتنا ونحوم حول مشكلة انقسامنا وكأننا العبرانيون ندور حول اسوار أريحا
لتسقط من ذاتها بفعل نفخنا، وهكذا نعيش دوامة الأزمة سنة بعد سنة .

طالما قيل إن اللاهوتيين والفلاسفة والساسة والرؤساء الكبار هم الذين صنعوا الانقسام، وإن الإيمان بيننا واحد، وإن ما سيعيد الوحدة هو المحبة! رؤساء الكنائس أنفسهم، وحتى المثلث الرحمة البابا يوحنا الثالث والعشرون، بكل طيبة قلبه، قالوه بصورة أو بأخرى.. ومع ذلك لا زلنا منفصلين، إذ بعد التصريحات نعود إلى انفراديتنا واكتفائنا الذاتي الذي ولدته أجيال من الانفصال والتربية المتوارثة وحتى الحذر.. وبقى نسير في طريق مسدود.

بماذا يحكم المسيحي الاعتيادي على مثل هذه التصريحات "الوحدوية" والأمنيات البروتوكولية التي لا تترجم إلى واقع ملموس. هذا المسيحي الذي يصدق مربيه الروحيين وقادته لا يفهم شيئاً من كلام الفلسفة وفلسفة الأولويات والكراسي، ويهمه فقط أن يكون المسيح الرب واحداً للكل وإنجيله قاعدة حياة للجميع، بماذا يحكم هذا المسيحي الاعتيادي على رؤسائه في مثل هذه الأحوال؟ يحكم عليهم بأنهم: إما لا يريدون الوحدة الفعلية حقاً لئلا يخسروا امتيازاتهم أو يعكروا صفو طمأنينتهم، فأمرهم ماشية جيداً هكذا! وإما أن لهم مرامي احتوائية للوحدة، اعني أنهم يرفضونها إلا إذا كانوا هم من مصممي الحركة وبجسب وجهات نظرهم الخاصة التي قد لا تخلو من التحجر والتعصب! قد يكون الحكم قاسياً، واستميج المعذرة من السادة رؤسائنا. ولكن بماذا نصف تعثر الحركة المسكونية، حتى على الصعيد العالمي، وتراوحها في محلها في الفترة الأخيرة؟ بما نصف الخوف من الاقتراب أكثر من بعضنا وترجمة المبادئ المعلنة إلى وقائع الشعب المسيحي هنا في شرقنا؟

إننا أصبحنا نعرف بماذا يجب المسؤولون الكنسيون، لاسيما في المراتب الكبرى، عندما يجابهون بمثل هذه المواقف: "أها ليست قضية رفض، يقولون، بقدر ما هي فطنة، فطنة لئلا نخطو خطوات عرجاء بتهورنا واندفاعنا العاطفي فئسيء إلى قضية الوحدة بالذات!". نحن نؤمن بالفطنة، ونريد أن تكون خطوات الوحدة والتقارب ثابتة، ولكن الفطنة تصبح عقيمة والتشبث بما نوعاً من التهرب والقبول بالأمر الواقع عندما لا ترافقها أية حركة أو محاولة أو دراسة أو تهيئة نفسية. أجل، من لا يتحرك لا يتعرض للسقوط، ولكنه يتعرض للجمود، والحياة ليست للجامدين. الوحدة المسيحية، كأى مشروع كبير، تتطلب الشجاعة ولا تنفي المجازفة. أها تتطلب قبل كل شيء إرادة الخروج من الانفرادية والأطر المألوفة للقاء الآخر وللعمل سوية كل ما يمكن عمله سوية. سبل تحقيق الوحدة كثيرة ومتعددة وعلى أكثر من صعيد، ولكنني أركز هنا على نقطتين هامتين، يمكن، في تقديري، أن تكون لهما أبعاد إيجابية جدا على الصعيد المحلي، أو جزهما بعبارتين مركزيتين:

(١) لا تعملوا منفردين ما استطعتم عمله سوية.

(٢) إخراج قضية الوحدة من انتظار مبادرات السلطة الكنسية إلى إرادة الشعب المسيحي.

قد يبدو الشعاران متناقضين، ويحملان بعض الاستفزاز.



• لا تعملوا منفردين ما اهتمتكم عمله هوية:

هذا القول ليس لي، فقد قاله أسقف من المع أساقفة الكنيسة الأولى هو القديس اغناطيوس الانطاكي. ففي رسالة إلى مسيحيي مغنيزية عن الوحدة كتب: "عبثا تحاولون امتداح عمل أتيتموه منفردين، فليس صالحا إلا ما تصنعونه مشتركين".

الوحدة ليست مجرد وثيقة يوقعها الرؤساء، بل اقتناعا يكتسب تدريجيا، وحيوة تعاش كل يوم؛ غير إن الحوار الذي فتح بيننا وصل منعطفا سيبقى فيه مجرد مجاملات ما لم تعززه مبادرات عملية على الصعيد الواقعي.

إننا لا ننكر أن تبديلا محسوسا في المواقف قد حدث، وبعض المبادرات قد اتخذت فعلا كالمشاركة في الصلاة في بعض المناسبات، وتسهيل الزيجات المختلطة، ومناهج التعليم المسيحي الموحدة، وفي بعض الأماكن كالموصل التقويم الموحد، والندوات الدينية المشتركة، ولجنة التثقيف المسيحي. ولكننا نتطلع إلى المزيد. فكم من أمور نستطيع ان نقوم بها مجتمعين ولا زلنا نعالجها منفردين، كل طائفة على حدة، أو كل أسقف حسب اجتهاده الشخصي، فتاتي ناقصة!

في ما يلي أورد بعض الأفكار والاقتراحات أرضية للعمل الوحدوي المشترك على المدى القريب، وعلى صعيد أبرشيات القطر العراقي، وبالتالي لكنائسنا البطريركية:

- القيام بمجموعات توعية عن طريق المواعظ والمحاضرات والندوات والصحافة المسيحية وتربية الناشئة تربية مسيحية ترعرع الانفرادية والطائفية الضيقة من أذهانهم.
- استحداث الوحدة بالصلاة المشتركة في الكنائس المختلفة، ليس فقط بمناسبة أسبوع الصلاة السنوي. وكذلك بالمشاركة الطبيعية في الاوخراسيا التي تجمعنا إلى المسيح الواحد. ويمكن أن تكون قدايس الشباب الشهرية التي تقام في الموصل نموذجا لذلك.
- إزالة كافة الشكليات أو التعقيدات التي ترافق الزيجات المختلطة.
- التعاون وتنسيق العمل إلى أقصى حد في مجالات النشاطات الاجتماعية.
- توحيد الجمعيات الخيرية والأوقاف.
- تشكيل لجنة مشتركة لشؤون المدارس وتطوير مناهج التثقيف المسيحي الموحد ومتابعتها بحسب ما يلائم روح العصر وحاجة الناشئة والبالغين.
- تشكيل هيئة عليا، من أساقفة وكهنة وعلمانيين من جميع الطوائف لدراسة مبادرات التقارب والتنسيق والتوحيد في جو ديمقراطي اخوي، وتكون مسؤولة أيضا عن توحيد الكلمة في المناسبات الوطنية والالتزامات القومية، وتمثل المسيحيين لدى السلطات المدنية.

- مشاركة الأساقفة الأرثوذكس في اجتماعات الأساقفة الكاثوليك الدورية.

• ولعل أهم اقتراح وأقربه إلى قلوب جميع المسيحيين هو العمل الحثيث لتوحيد عيد القيامة، اقله على صعيد العراق.

أما النقطة الأخرى:

إخراج قضية الوحدة من انتظار مبادرات السلطة الكنسية إلى إرادة الشعب المسيحي وقصدنا منها هو الآتي:

إلى الآن كنا نقول بان تحقيق الوحدة هو بيد السلطة الكنسية، فان قالت، توحدنا وإلا... وهكذا وضعنا المفتاح بين أيديها وحدها ووقفنا ننتظر. لاشك إن للسلطة الكنسية دور القيادة، ولكن القائد الحكيم والناجح هو من يحسن سماع أماني شعبه ولا ينفرد في طريقة حكمه، والشعب الواعي الناضج هو الشعب الذي يدعم قائده بمبادراته واقتراحاته وحتى بإصراره. بوسع الشعب المسيحي، من أية طائفة كان، ومن دون أن يتنكر لعقيده وتقليد كنيسته الخاصة، أن يبادر إلى تنوير رؤسائه بسبل تحقيق خطوات عملية معينة نحو الوحدة، فيكون عنصر ضغط ومبادرة في آن واحد. إن نحن، كشعب مسيحي، أردنا تحقيق خطوة وحدوية لا تمس العقيدة، وألحنا على ذلك قولاً وفعلاً، أفلا يستجيب الأساقفة؟ أفلا يوصلوا أصواتنا إلى البطارقة ويدعموها ويعملوا على تنفيذها؟

لقد آن الأوان لان يمارس الشعب المسيحي دوره -أو على الأقل أن يمارس دوراً أكبر- في تحقيق الوحدة المسيحية، وعدم الانتظار بجمود أن تأتي كل المبادرات من السلطة. إن بقينا على ذلك فسوف نصل متأخرين على كل شيء. ولربما بعد فوات الأوان! طالما سمعنا بان الوحدة تبني بالحب، فهل ننتظر إشارة من الرؤساء كي نحب بعضنا بعضاً ونوحد جهودنا في كل ما لا يخضع لسلطتهم المباشرة؟

إننا لا ندعو إلى التمرد، بل الى تحمل المسؤوليات مع رؤسائنا الأجلاء. فهم بحاجة إلى دعمنا وتأييدنا، ونحن معهم وهم معنا نكوّن كنيسة المسيح. لا يجوز لنا أن نلقي على الرؤساء تبعه الانقسام كلها وعبء إعادة الوحدة. الوحدة عمل جماعي. فكم من مبادرة محلية تقع ضمن صلاحية الأساقفة وضمن الضوء الأخضر الذي أعطته السلطة البطريركية أو البابوية أو المجمع لا تحتاج لكي تتجسد في الواقع، سوى إلى تفهم الشعب المسيحي أو مطالبته وإصراره!



بين الحرية والتشريع

بين الحرية والتقليد، بين ديانة الحرف وديانة الروح، بين جمود التشريعات وبين انطلاقة الايمان في البحث عن حرية ابناء الله.. صراعات لازالت قائمة في الكنيسة، وقد تهدد وجودها ان هي قبلت ان تبقي مؤسسة يطفى عليها روح التشريعات على حساب شريعة المحبة.
في هذا المنبر يدعو الاب جرجيس القس موسى الى تجاوز كل ما يكبل الكنيسة من قيود تفقدها حريتها وديناميتها.

عهد طويله أدلت الإنسان وجرده حتى من إنسانيته، فاستعبده الطبيعة، واستعبده الالهة، ولعبت به الأقدار واستغله المستبدون الذين يعج بهم التاريخ، وقهرته الأديان القديمة بقساوتها وتحويلاتها ومطالبها، فحاء المسيح وفجر ثورة تحررية شاملة وجذرية تقتلع النظام القديم وتبني على أنقاضه نظاما جديدا في علاقات الناس مع الله، وفي علاقاتهم فيما بينهم، وفي نظرهم إلى الكون. بكلمة أخرى، جاء المسيح ليحرر الإنسان، كإنسان، وهذا التحرير يهدف إلى:

١- إعادة الإنسان إلى الله، وإعادة الله إلى الإنسان.

٢- إعادة كرامة الإنسان وقيمه الذاتية إليه.

٣- إعادة الدين إلى صفاته.

٤- فتح الإنسان الديني إلى الحياة والكون.

الدعوة إذن هي الى التخلص من كل أشكال العبودية والقهر والخوف، حتى إذا فرضت باسم الله أو الدين، وذلك لصالح الإنسان، لان الله خلق الإنسان ليسعده، لا ليقمعه. هذه الدعوة بالذات تفتح الصراع

بين الحرية والتقليد

بين المسيحيين والفريسيين

بين شريعة الحياة وشريعة الكتاب

بين الحب والميزان

بين المسؤولية الذاتية والوصاية

صراع الحرية والتقليد ما هي الحرية؟

- يمكننا أن نعرف الحرية بأنها قدرة الكائن العاقل (الإنسان) على الاختيار في السلوك والتفكير بحسب قناعاته الذاتية. إذن، الحرية معناها التصرف بمسؤولية، والمسؤولية وليدة البلوغ واستقلالية الشخص. فإذا دعونا إلى أن يمارس الإنسان حريته فمعنى ذلك اننا:

نحترم شخصيته، ونثق بقدرته على التمييز، ونعتبره شخصا بالغاً، إذن مسؤولاً عن اختياراته وتقرير مصيره، حتى إذا تعرض للخطأ.

ولكن حرية الفرد تقف عند حدود حرية الآخر، وإلا أصبحت فوضى.

والتقليد ما هو؟

- التقليد هو مجموعة الأسس والعادات والممارسات التي خلفها الآباء نتيجة حيرتهم الشخصية أو ما ورثوه هم أيضاً من أجدادهم.

وفي المفهوم الضيق يكون التقليد هذه القواعد الموروثة والتي نسير عليها أو فرضت علينا بحكم العادة والخوف من تبديلها أو تطويرها، وكأنها هي الأساس الوحيد الذي يمكن أن نيقننا. ولكن لا ننس أن التقليد هو أيضاً سلوكية قامت على حركة الحياة، وأضيف بعضها إلى البعض عبر الزمان والمكان. فإذا اتسم التقليد بالجمود، وجاءت "قدسيتها" من كونه "تقليداً موروثاً" لا غير، دون الاهتمام الموضوعي بمضمونه ومراميه، انتفت فائدته وأصبح استلاباً وانتقاصاً، وبالتالي فاسداً وعرضة لأن يستعبد الإنسان ويكبل حرته، فيجب، والحالة هذه التخلص منه.

• من هنا، جاء الصراع بين المسيح والفريسيين بين شريعة الروح الذي يحيي وشريعة الحرف الذي يقتل

ليس الفريسيون أعداء المسيح، كما يتوهم البعض، فإذا ناوء المسيح الفريسيين على طول الخط، فلان هؤلاء القوم، وهم رعاة الشريعة ومفسرو التوراة المتعصبون لقداسة الله والداعون إلى الممارسة الدينية بأمانة وحرص، قد حنطوا الديانة وجمدوها في قوالب مادية صلبة، ففعلوا من قشور تقاليدهم واجتهاداتهم الضيقة ديانة جديدة، ديانة الحرف والكلمة التي تقتل، وأهملوا الروح الذي يحيي. فآل بهم منطقهم المراني إلى تصفية البعوضة وابتلاع الجمل.. لقد صوروا الله عاتياً، مستبداً، بينما هو أب رحيم. يتنجسون من العشارين والوثنيين. بينما يسوع يشرب الخمر مع العشارين ويصادق البرص والخطاة وكل من نبذهم المجتمع، متحرراً من كل عقدة تجاه أي إنسان، يتصرف بحرية وصفاء واحترام تجاه السامري والمرأة والفقير والغني والوثني.. الفريسيون حللوا وحرموا، بينما يسوع يقول: كل شيء طاهر لذوي النيات الطاهرة. الفريسيون يقولون: موسى قال كذا، أما تلميذ يسوع فليس هو من يكفني بالقول: يا رب، يا رب، ويستكن إلى بورجوازية دينية لا تكلفه شيئاً، بل هو من التزم واستمع وانفتح وكان جريئاً على أن يتحاور مع ذاته ومع العالم.. للفريسيين، السبب أعظم من الإنسان، بينما يسوع يريد تحرير الضمير المستعبد ويتمرد على استعباد الشريعة للإنسان، لان السبب والشريعة والدين نفسه، كلها في خدمة الإنسان، لتحرره لا لتجمده: "الساجدون الحقيقيون، بالروح والحق يسجدون". هكذا انتشل المسيح الدين نفسه من برائن الشريعة والفريسية التي خنقت حرية الفرد ومبادرات الجماعة في ممارسات خارجية جامدة ابتعدت كثيراً عن الهدف الذي وضعت من اجله.



ولكن هل انتهت الفريسية تماما؟
الفريسية تتخذ، أو اتخذت فعلا، أقنعة جديدة:

- ١ - في ما يخص الممارسات الدينية والمواقف الجامدة من كل تطوير أو تجدد في الحياة المسيحية. يستند الإيمان على حقائق وعقائد ثابتة، إلا أن التعبير عنها يمكن ان يتخذ أشكالا مختلفة باختلاف العقليات والحضارات والمكان والزمان. والتعبير، مهما كان ضروريا فهو نسبي، ومن ثم مرحلي يمكن تجاوزه إلى صيغ جديدة.
- ٢ - في ما يخص العقلية التي ألهمت الشرائع والقوانين التي تسير سلوكية المسيحيين أو التي تعتمد عليها السلطة الكنسية في كثير من الأحيان.

• دور الشريعة في الحياة المسيحية

الشريعة لماذا، إذن؟ ما هو دورها في الحياة المسيحية؟

الشريعة ضرورية لتنظيم حياة المجتمع، والكنيسة، كأى مجتمع انساني، تحتاج إلى تعبير تشريعي لتنظيم حياتها وطقوسها وعلاقات بنيتها ببعضهم ومع غيرهم، ولكن هذا التشريع يبقى للخدمة، لا للسيطرة. انه بمثابة إشارات ضوئية للتنبيه، أو صيغ مقترحة لمساعدة المؤمن قبل أن تصبح فرضا، أو نداء يجب تجاوزه إلى ما يرمي إليه، لا إلى الحرف الذي يحدده، ويجعله لا أكثر من نص جامد أو مادة قانونية جل ما تستطيعه ان تعاقب من يخالفها. فكل شريعة تتوقف قدرتها عند تطبيقها الحرفي تعتبر فاشلة.

كل شريعة تقمع حرية الإنسان يجب أن تقتلع. كل شريعة ترفض أو تستعبد التطور والتحدد والتغيير، تعتبر غير إنسانية، لان الإنسان كائن حر، يتطور. فإذا كانت الشريعة أداة تنظيم، فالخطر كل الخطر يكمن في أن يجمد التنظيم، وتبتلع الروح الخلاقة، باسم النظام والمطابقة وحصر الحياة كلها في قوالب مرسومة مسبقا. هكذا يكون الأمر عندما يصبح الدين مجموعة معتقدات يجب أن يؤمن بها الإنسان، أو مجموعة وصايا يجب أن يتبعها، أو نواحي يجب أن يتجنبها، وإلا خسرت الجنة وورث العقاب.. وتسيطر هذه المفاهيم على حياة الناس فيصبح الدين، عوض أن يكون سبيلا إلى إسعاد الناس، أداة لقمعه وتغيص حياته.

عن ذلك نتيجتان:

- اما أن يبقى الإنسان مستلب الشخصية تحت هذا النير، في قلق مستمر من مصيره وفي موقف المتهم والمجرم والخائف.. سيف الله مجرد عليه دوما والويل له إن لم يسترضه بالف وسيلة ووسيلة.
- واما أن يهجر الإنسان مثل هذا الدين الضيق، بل مثل هذا الإله القاسي. وفي كلتا الحالتين تشويه لروح الدين، وطبيعة الله، وخسارة للمسيحية، وظلم الإنسان المدعو إلى السعادة والفرح والحرية.

الكنيسة هي وريثة حياة يموع ورمالته. ويموع يقول:

"إن حرركم الابن كنتم في الحقيقة أحرارا"
"لم أت لأدين العالم، بل لأخلص العالم"
"جئت لتكون لهم الحياة، ولتكون لهم أفضل"

هذه هي أيضا رسالة الكنيسة، والخطر يهددها إن هي أمست مجرد مؤسسة أو مؤسسة بين مؤسسات أخرى تطغى عليها روح التشريعات والمفاهيم الإدارية الفوقية. بكلمة أخرى أقسى ما يهدد الكنيسة هو الانغلاق على الذات الذي تفرزه العقلية الثيوقراطية والبيروقراطية التي تسيطر على كثير من إداراتها ومؤسساتها المسيحية، ديانة نداء لا ديانة سلطة، والديانات السلطوية في طريقها إلى الزوال. في المسيحية السلطة ليست عنصرا جوهريا، ولكنه ضروري، لذا كل مرة جعلت الأولوية للسلطة في الكنيسة على حساب الروح اختلت توازنها. والتاريخ شاهد على ذلك. السلطة والطاعة يجب أن تكونا في خدمة مسيحية مؤسسة على النداء الحر والعطاء الحر. شريعة الكنيسة الكبرى هي نفسها شريعة المسيح الجديدة: شريعة الحب. ونحن نعلم أن رباطات وصية الحب هي أقوى من كل رباط آخر. فالحياة في ظل الشريعة والتمسك بحرفيتها أسهل من شريعة الحب التي تجعلنا في حالة اكتشاف مستمر للتصرف الصحيح، الحر، الواعي، المسؤول.. مما حدا بالقدس اوغسطينوس أن يقول: أحب وافعل ما تشاء، أي انه جعل المسؤولية في قلب الإنسان ونيته، كما جعل المسيح قاعدة الشريعة في أعماق النفس والضمير.

من هنا نصل الى:

• دور الضمير ومعنى حرية ابناء الله التي دعانا إليها المسيح

الضمير هو قاعدة قناعتنا الذاتية الأساسية، وبالتالي أداة إحساسنا بشخصيتنا واستقلاليتنا، ولا يمكن لهذه القناعة أن تكون سوية إذا فرضتها ضغوط خارجية أو فوقية أو قمعية.. بكلام آخر نفقد شخصيتنا واستقلاليتنا إذا حرمانا من الحرية، وبفقدان الحرية يفقد الإنسان العمود الفقري لإنسانيته.

فالدعوة إلى اعتماد الضمير والحرية منطلقا لسلوكيتنا وقناعتنا، معناه إننا:

- نرفض الوصاية على ضمير الإنسان.
- ونعترف ببلوغه سن الرشد ونضوجه.
- ونعيد إليه شرف مسؤوليته الذاتية مع كل ما قد يشوب هذا الموقف من تلمس وبحث، وحق من احتمال الخطأ.
- وحرية ابناء الله - بحسب الإنجيل - نفهمها على أنها.

- دعوة إلى المسؤولية الشخصية.
- دعوة إلى المسؤولية الجماعية.
- الأخذ بشرعية المناقشة والحوار.
- الاعتراف بالروح النبوية في الكنيسة.
- قبول التعددية في الفكر والمبادرات والوسائل.
- فعل إيمان بالروح القدس العامل فينا.
- وممارسة الرجاء المسيحي وثقة بالمستقبل.



- + إفريقيا: كنيسة نبحث عن ذاتها/ملف/ ٢ك
- **يسوع والحرية /ملف/ شباط (ملفات الفكر المسيحي/ص ٢٣٦)
- + لقاء على العاصي... / شباط
- + كنيسة هولندا: وحدة الصفح إجماع المودة إلى بينك
- الطاعة؟/ش.ر/ اذار
- + الكاثوليك في الزمان السوفييتي/ش.ر/ نيسان
- + روميرو، الأسقف الشهيد /ش.ر/ ايار
- + الشباب والثقيف المسيحي/ملف/ حزيران
- + البابا في فرنسا: نعال وانظر! /ش.ر/ ايلول
- + البابا في البرازيل: رحلة النعميات! /ش.ر/ ايلول
- مع مار اغناطيوس زكا الاول عيواص/مقابلة/ت ١
- + كنيسة الفيالين: على طريق الثورة /ملف/ ت ٢
- * إنسانية يسوع أو يسوع الإنسان/عمد خاص/ك ١ (المختار من الأعداد الخاصة/ص ١٢٦)

Ⓜ قد خلا عام ١٩٧٩ من مقالات ابن الدراسة



إفريقيا.. كنيسة تبحث عن ذاتها

لقد انتهى عهد الرضاة والطفولة والتبعية. وكنيسة إفريقيا تتمخض، كما تتمخض القارة السوداء بأسرها سياسيا واجتماعيا وحضاريا، لاكتشاف جذورها الذاتية وتوظيف كافة طاقتها وطموحاتها لبناء كنيسة إفريقية ناضجة تساهم مباشرة في إثراء الكنيسة الجامعة من جهة، وفي تحقيق مجتمع إفريقي متضامن لبناء سيادته وصيانة حضارته وأصالته. الأب جرجس القس موسى يعكس بعض أوجه الصورة الجديدة للمسيحية الإفريقية ودور العلمانيين في صياغة هذا النموذج.



أول احتكاك مباشر لي مع كنيسة إفريقيا كان سنة ١٩٧٥، وكان ذلك في نطاق مؤتمر عالمي حضرته في روما حول رسالة العلمانيين نظمه مجلس العلمانيين واشترك فيه ممثلون عن القارات الخمس. في ذلك اللقاء اكتشفت كنيسة إفريقية ترويهما دماء شابة معطاء وحلي بالأمال الكبار تتحرك واعية نحو الأصالة والمسؤولية. ومما كان قد جذب اهتمامي بصورة خاصة، أنا القادم من كنيسة قمتها تكاد تحتوي قاعدتها وتختنقها، دور العلمانيين البارز في الكرازة الانجيلية والتخطيط لا فرقة الكنيسة. ومثل هذا المشروع

يدعمه، لا بل يدعو إليه ويعمل من اجله أساقفة افريقيا، يدا بيد مع العلمانيين، وقد اعطى المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني زحما كبيرا وحاسما لا عودة عليه لتيار الافارقة والعلمنة هذا. فقد صرح الكاردينال يوسف مالولا رئيس أساقفة كينشاسا (زائير) منذ ١٩٧٣: "البارحة نصرَ المبشرون الأجانب إفريقيا، واليوم مسيحيو افريقيا مدعون إلى افارقة المسيحية".

وافارقة المسيحية هذه مشروع يطمح إلى العودة إلى التراث الافريقي الزاخر بالقيم الجماعية والديمقراطية وتطعيمها بروح الانجيل وروح الخدمة ومشاركة شعب الله بأسره في بناء قاعدة شعبية واعية مسؤولة. كيف تتم هذه المشاركة فعليا؟ إلى هذا السؤال يجيب الكاردينال مالولا، وهو من ابرز وجوه المسيحية الافريقية: "سينبغي علينا ان نقصف الخورنيات الموجودة لتتطير وتلد جماعات صغيرة باحجام انسانية مقبولة.

بين الاصلالة الافريقية والاصالة المسيحية

في بوجورا (تزانيا)، في معبد ريفي هو أشبه بزريبة منه بكنيسة، يرافق أعضاء الجوقة الالحان المرتلة بلغة الكيسوكوما بحفيف مروحات طويلة مصنوعة من الريش الناعم يهددهونها ذات اليمين وذات الشمال.

في غابة ساكابي في بوبو ديولاسو (فولتا العليا) تتقدم فتيات رشقات بلباسهن القومي حاملات تقادم المؤمنين إلى المذبح وهن يؤدين رقصة طقسية على انغام التام تام الافريقي وهو يشبه طبلنا المشرقي، إلا ان جوانبه معدنية. في إحدى خورنيات كينشاسا (زائير) توشح الكاهن بزي زعيم افريقي تقليدي ووقف بين صفين من حملة الرماح لإقامة القداس بحسب الطقس الزائيري المستحدث.

قد نكتفي بابتسامة عابرة أمام مثل هذه المشاهد أو نستلطفها بسطحية كما يستلطف السائح كل ما يراه في دربه؛ وقد نكشخ مستغربين، بل قد نستهنج كيف يتفق الرقص والقداس والرمح والصلاة. أما إذا قيل لنا بان ثمة في ابيجان (ساحل العاج) خورنية أو خورنيات تؤدي ليتورجيتها باللاتينية أو ترتل بالانكليزية كما في كاتدرائية نيروبي (كينيا) أو بالفرنسية لما فكرنا بالاستنكار، مع ان هذه اللغات مستوردة ومفروضة على افريقيا، بينما تلك عادات افريقية عريقة!

ولكن، إذا ظننا ان الافارقة تتوقف على هذه المظاهر لوقعنا في الفولكلور كما صرح احد التلامذة الاكليريكيين من كومي بفولتا العليا لجوزيف ليمان الذي نستلهم هنا مقاله "الكنيسة الافريقية في حالة حبل". اجل، انه من الضروري للافارقة: ان تتخلى كنيسة إفريقيا عن الليتورجيات المستوردة وتوفق في طقوسها الدينية بين الإيمان وتراث الشعوب التي تنتمي إليها. كما انه من الضروري أيضا ان يستلم إدارة الأبرشيات أساقفة افريقيون ويحمل الشعلة كهنة أفارقة يحلون محل المبشرين الأوروبيين، فهم ادرى بحاجات قارتهم ويفهمون لغة شعوبهم. غير ان هذه التحديدات تبقى مجرد واجهة لو لم يحركها تيار قوي قد شق طريقه في الواقع الافريقي منذ بداية السبعينات هو تيار "الأصالة".

ويتحلى هذا التيار في كافة المجالات السياسية والثقافية والدينية. وككل تيار "قومي" و"حضاري" من هذا النوع قد تشوبه، على إيجابياته، جوانب سلبية فيتوقف لدى الشكليات، مثلما حدث في زائير موبوتو أو في التشاد في عهد طومبلاي حيث تحولت "الأصالة الإفريقية" إلى شبه عقيدة قومية شنت الحرب ضد كل ما اعتبر أجنبيا أو مستوردا

كالأسماء المسيحية مثلا أو النمط الثقافي الذي كانت تعطيه الكنائس والمدارس المسيحية. وقد ذهبت بعض الانظمة السياسية في القارة إلى طرد المرسلين والحد من نشاط الكنيسة والتضييق حتى على الكليروس المحلي الأسود وتقليص تعامله مع المؤمنين كما في انغولا وزائير وبوروندي مؤخرا.

ففي أيار الماضي اصدر الرئيس باغازا الذي يحكم البلاد حكما شبه فردي، منذ انقلاب تشرين الثاني ١٩٧٦، قرارا بعدم السماح بالاجتماعات المسيحية سوى في أيام الآحاد وضمن الخورنات وملحقاتها.

إذا كانت مثل هذه القرارات تدعو إلى الاستغراب وتبدو وكأنها محاولة للسيطرة على الكنيسة أو احتوائها، فهي في الواقع معضلة ذات وجهين، سياسي وثقافي، تعاني منها كل دول العالم الثالث. فالجانب السياسي من المعضلة يضعنا أمام ازدواجية في السلطة، اعني بها سلطة الكنيسة وسلطة الدولة. هذه الأخيرة تأتي ان يزامها احد في الهيمنة، بالرغم مما تعلنه الكنيسة، من انها للخدمة لا للسيطرة. أما من حيث الجانب الثقافي فتعلن الكنيسة حقها في تثقيف بنيتها التثقيف الديني الملائم وبالسبل التي تراها ضرورية وفعالة؛ بينما تصر الدولة على ان لا تتعارض هذه الثقافة مع النمط الثقافي الرسمي، وهذا يؤدي حتما وفي واقع الممارسة، إما إلى تجنيد التوجيه الكنسي لتأييد الحكم القائم، وإما إلى تحييده، والتحييد تجמיד في أفضل الاحتمالات. اما البديل الثالث وهو التثقيف المسؤول والملتزم الذي يبقى أمينا لروح الانجيل ويستلهم الإيمان المسيحي في الالتزام السياسي والاعتماد على تراث الأمة والوطن -دون ان يكون "ملحقا ذليلا" للنظام السياسي القائم، ولا ان يتجاهل القضايا القومية والوطنية ويتغرب في نماذج ثقافية مستوردة أو دخيلة- مثل هذا البديل يتطلب توازنا فكريا واعيا وشجاعة لنبد الغريب والدخيل دون الدخول في القوقعة، واستعدادا لتقبل التطور والحوار من دون الانسياق وراء كل ما هو وراء الحدود سيما وان افريقيا برمتها تعاني من الازدواجية الثقافية والتبعية الحضارية.

إذا كان المرسلون الأجانب قد وقعوا في مثل هذا الخطأ، فالاكليروس المحلي نفسه لم يسلم دوما من التنكر وتجاهل الإرث الثقافي والحضاري للقارة، ذلك "لاننا لم نكن مهيين، على حد قول المطران سانون أسقف بوبو ديولاسو الانف الذكر، ولا تلقينا التربية اللازمة لتحقيق هذا اللقاء بين تراثنا الثقافي والإيمان الجديد، بل بالعكس، كنا نضع المسيحية -أقول المسيحية وليس الإيمان- على طرف نقيض مع التقاليد الإفريقية".

اننا إزاء ثورة ثقافية تعم ارجاء إفريقيا. وروح الجمع الفاتيكاني الثاني هبت هناك بقوة لاكتشاف القيم التقليدية الإفريقية وتنصيرها. فالعبرة ليست في العودة إلى كل قدم بل في اكتشاف روح هذا القدم وديناميته، فقد أكد احد الطلبة في كلية طب ابيجان: "المهم هو تغيير الذهنية". فان يكون المرء مسيحيا معناه ان يحيا الانجيل في خضم الحياة اليومية: ومعنى ذلك بالنسبة لنا نحن الافريقيين ان يحياه بحسب النمط الافريقي".

هكذا يعمل كثير من الكهنة والعلمانيين على اقتباس حركات ورموز افريقية في الليتورجيا والاحتفال بالإسرار لاسيما العماد والزواج وتنصير بعض الأعياد الإفريقية

وربطها بالأعياد المسيحية التقليدية وإضفاء روحانية الانجيل على القيم التقليدية في التضامن والأسرة والعلاقة بالأرض والكون والحياة والموت والروح... هذه الثورة الثقافية تشبه تلك التي حققتها المسيحية في فجر نشأتها تجاه اليهودية ولاسيما تجاه النمط الحضاري الوثني الإغريقي.

ولكن، ككل ولادة فكرية وحضارية جديدة، لهذه الحركة مناصرون ومناوئون وانجازات ايجابية أكيدة ومخاطر. فهناك الجيل القديم الذي يخشى الخلط العشوائي بين الاستعدادات والعقيدة وبين الاجتهادات الجادة في تجسيد الانجيل والبدع الشاذة المستوحاة من المسيحية أو من غيرها من الأديان والتي تزدهر هنا وهناك لاسيما على الساحل الأطلنطي وفي كينيا. ففي ساحل العاج هناك بدع الماريست والمسيحيون السماويون واتباع النور السماوي واتباع النبي ماري لالو وبدعة ماهيكاري الياباني وغيرها.. ومن دواعي نجاح هذه البدع تعاطفها مع اهتمامات الأفارقة تجاه المرض والموت والسحر وعالم الرموز الذي تزخر به الحياة الافريقية. غير ان هذا النجاح بحذ ذاته يعتبر محكما لأسلوب الكنيسة في التبشير: "لذا كان من واجبننا نحن اللاهوتيين الأفارقة، حسب قول المطران سانون، ان نعيد قراءة نموذج ثقافتنا التقليدية على ضوء الانجيل ونستوحيه لدعوة الناس إلى عيش إيمانهم المسيحي بأسلوب لا يبدو فيه إيماننا منسلخا عن واقعهم".

من أروع أدوات العمل لهذا التحول المسيحي نذكر الجماعات المسيحية المستوحاة من روح الجماعات المسيحية الأولى ومن التقليد الجماعي الافريقي الأصيل، هذه الجماعات التي ندعوها "جماعات القاعدة" هي التي تعمل اليوم في افريقيا لإيجاد نمط ملائم للعيش الانجيلي ضمن الكنيسة والمجتمع.

"جماعات القاعدة" المهيبة

حدثني الأب فرانسوا، وهو راهب بندكتي بلجيكي كان قد قضى أكثر من ١٥ عاما مرسلا في زائير، عن انطباعاته عن هذا البلد اثر زيارة له في الصيف الفائت بعد تغيب دام خمس سنوات. ومما جذب نظره وراى فيه إحدى علامات اليقظة والحياة لدى كنيسة زائير ظهور جماعات القاعدة بكثرة ونمو دور العلمانيين في الكرازة الانجيلية وحمل مسؤولية الجماعة المسيحية في الحورنات وفي المجمعات الريفية. لا غرابة في ذلك، فزائير كانت السبابة في إقامة هذا النمط من المسؤولية الجماعية في كنيسة إفريقيا. فمنذ ١٩٧٠، أعلنت أبرشية كينشاسا "ضرورة تطوير جماعات القاعدة حيث وجدت وتكوينها حيث لم توجد بعد وتسليم مسؤولياتها للعلمانيين".

أما أساقفة افريقيا الشرقية المجتمعين في زيروبي عام ١٩٧٦، فقد أعلنوا هم أيضا بان "تكوين جماعات مسيحية صغيرة تكوينا مبرحما يجب ان يأخذ الأسبقية في التخطيط الراعوي للسنين القادمة". مثل هذه القناعة تبنتها معظم مجالس الأساقفة الأفارقة: فقد ناقش أساقفة تنزانيا (في ١٩٧٧) وكينيا والسودان (في ١٩٧٨) الموضوع ونشروا فيه رسائل راعوية، وكذلك الأمر في زامبيا (١٩٧٣) وكامبيرون (١٩٧٤) وفولتا العليا (١٩٧٧) والكونغو وانغولا وموزمبيق. أما مجلس أساقفة بوروندي التي تستغرق دورته الحالية اربع سنوات فقد

جعل من موضوع جماعات القاعدة مركز اهتمامه؛ ويشمل المخطط الرسولي لكنيسة السنغال من ١٩٧٨-١٩٨٢ "انشاء جماعات مسيحية بمقاييس انسانية تكون بمثابة علامة وخميرة للتطوير الشامل".

"جماعات القاعدة" كما يوحي به الاسم هي وحدات مسيحية ملتزمة وواعية على شكل مجموعات عمل أو صلاة أو تفكير تستوحي الانجيل والإيمان المسيحي في حياتها وممارساتها. وإذ تنطلق من القاعدة الشعبية تهدف إلى تطوير المفهوم المسيحي الجماعي الشعبي وتطعيم الحياة المسيحية الاعتيادية بالالتزام الانجيلي وتطوير المجتمع المدني نحو الأفضل ونحو المشاركة الجماهيرية في صياغة القرارات واشكال الممارسة الدينية والاجتماعية والزامية. ليس ثمة "نموذجا" موحدا لوظيفة جماعات القاعدة، فهذه التسمية تحمل في طيها أشكالا متباينة في الممارسة المسيحية، مثل إعداد الليتورجيا والتثقيف المسيحي للاحداث والبالغين وزيارة المرضى ومساعدة الفقراء والمعوزين.. وهناك قرى عديدة تتصل ببعضها بعلائق التضامن والتقاسم الروحي والعلمي يمكن اطلاق تسمية "الجماعة المسيحية القاعدية" عليها، بينما يتعذر إطلاق هذه التسمية على أجزاء خورنية قطعت إداريا إلى وحدات مستقلة لا ترابط بين أعضائها. كما ان هناك في المدينة وفي الريف، جماعات من العلمانيين الحريصين على تحمل مسؤولياتهم في الكنيسة قد انتظموا في "جماعات قاعدة" كما تشير الشهادة التالية للوران غيلان (٦٥ سنة) وهو مدير مدرسة في واغادوغو ورئيس الجماعة المسيحية في فولتا العليا. "في السادسة مساء يقرع الناقوس كل خمس في الحي الذي اسكنه وتجتمع الجماعات السبع في أماكن مختلفة من المدينة، وتضم كل منها بين ١٥ و ٢٠ أسرة. بعد فاصل من القراءات الكتابية والصلاة، تناقش في شؤون الخورنة أو الجماعة أو الحي، ويأخذ كل واحد مسؤولية خاصة ولا يبقى احد من دون عمل". وتستوحي هذه الجماعات في تنظيمها وطرائق عملها البنى الاجتماعية السائدة، ويتراوح عدد أعضاء الجماعة الواحدة بين عشرة أشخاص ومئة شخص أو حتى ١٥٠ أما المواضيع الدراسية فهي مستوحاة من الواقع المعاش وحاجات البيعة.

هناك اعتراض حول ما إذا لم يكن هذا الأسلوب مدخلا مرقعا للعودة إلى القبيلة في الكنيسة مع ما في ذلك من سلبيات، والمعلوم ان القبيلة والتزعة العرقية والعشائرية هي آفة المجتمع الافريقي بما تمليه من أثره وعنصرية وصراعات من اجل السلطة. غير ان المطران سانون يرى عكس ذلك، إذ يجد في جماعات القاعدة دعوة إلى الانفتاح والمشاركة في المسؤولية ونبد الانانية القبلية فيقول: "بوسع كل منكم ان يعيش بحسب تقاليد، ولكن عندما تجتمعون ضمن الجماعة المسيحية، فذلك لانكم للمسيح" ويستطرد: "اننا نأخذ ما نحويه النماذج من ثراء انساني لإغنايه بالانجيل وإضفاء نمط افريقي على كنيستنا".

هناك اعتراض آخر يتعلق بالدور المتزايد الذي يحتله العلمانيون في حياة الكنيسة وتحوف بعض الكهنة وحتى الأساقفة من ان "يجردهم" العلمانيون تدريجيا من سلطاتهم وتصبح الكنيسة "كنيسة معلمة" مثل هذا التخوف يدعمه ما جاء في دراسة للفريق الافريقي في مؤتمر العلمانيين الانف الذكر بروما عام ١٩٧٥: "لا ينبغي ان نعتد فقط على

الكهنة والرهبان ومعلمي التعليم المسيحي ومنتظر ان يأتوا للبحث عنا. علينا ان نخرج مع الآخرين ونتخذ مبادراتنا في الالتزام. يجب ان نرضى بان نعطي حياتنا، وقتنا، طاقاتنا، فنلتزم بالأعمال الرسولية وحتى الشؤون المادية كي نحرر الكهنة منها لكي يكرسوا انفسهم أكثر لإعلان كلمة الله.

لاشك ان مساهمة العلمانيين في إدارة الجماعات المسيحية وتكوين جماعات القاعدة ستختلف واقعا جديدا في ممارسة السلطة في الكنيسة وفي علاقة القاعدة مع القمة، سيما وان الأساقفة في افريقيا، كما في بلداننا المشرقية، كانوا إلى وقت قريب يمارسون سلطاتهم في شبه تفرد ثيوقراطي دونه تفرد الرئاسات العشائرية التقليدية، حيث ان هؤلاء يمكن إزاحتهم إذا فقدوا ثقة مرؤوسيهم، بينما الأساقفة يحكمون (بفتح الياء وكسر الكاف) ولا يحكمون (بضم الياء وفتح الكاف).

ولكن قضية مشاركة العلمانيين في حياة الكنيسة الافريقية ليست مجرد مشاركة في السلطة الإدارية، بل هي قبل كل شيء مسؤولية رسولية. لذا ظهر إشكال راعوي آخر وهو مسألة رسامة كهنة متزوجين ممن تتوسم فيهم الصفات الروحية والرسولية والإدارية. والإشكال يأتي من ان الكنيسة الافريقية تنتمي إلى الطقس اللاتيني وتأمّر بقوانين الكنيسة اللاتينية التي تستبعد أية إمكانية لرسامة رجال متزوجين لا سيما في عهد يوحنا بولس الثاني. وبما ان الحاجة ماسة في افريقيا لمثل هذا الإجراء، سيما وان عدد الكهنة الأفارقة قليل ولا يمكن الاعتماد على الكهنة والمرسلين الأجانب إلى ما لا نهاية، فقد طرح الأساقفة القضية على بساط البحث منذ الستينات كما فعل المونسنيور ياكو رئيس أساقفة ابيجان في سينودس ١٩٦٩. بينما تساءل الأسقف نامبولا (موزمبيق) في ١٩٧٦ عما إذا لم يكن "قد حان الوقت للتفكير جديا برسامة مسيحيين متزوجين ترشحهم الجماعة المسيحية". في كينشاسا بادر الكردينال مالولا منذ سنوات إلى تسليم مسؤوليات كنسية في الخورنيات إلى عدة أرباب عائلات وجعل منهم شبه "قسس علمانيين" إذا صح القول. كما ان هناك دراسات أجريت في زائير حول إمكانية منح صلاحيات كهنوتية مؤقتة لبعض العلمانيين لترؤس الاحتفالات وحتى لإقامة القداس. ولكن يبدو ان هذا الاتجاه قد غض النظر عنه.

من هنا انطلق المجددون أيضا في ترسيخ دور المرأة في حياة الكنيسة وتوطيد تحررها الانساني والاجتماعي.

دور الكنيمة في التحرر الاجتماعي والميامي

ان احدى مزايا جماعات القاعدة المسيحية هي ان تندمج بحياة الحي والقرية والأمة وتفتح إلى قضايا الناس فساندهم مهما كانت عقيدتهم، كما جاء في إعلان منظمة المجامع الأسقفية لافريقيا الشرقية في دورتها المنعقدة في بلانتير (ملاوي) في أيلول ١٩٧٨: "اننا لا نجعل اهتمامنا بالكاثوليك وحدهم. اننا نريد ان يعرف جميع المسيحيين وغير المسيحيين بان



مصريهم يهمننا. اننا نرغب مقاسمة حياتنا الجماعية معهم". وهكذا تفتح صفحة جديدة من العلاقات بين الكنيسة والدولة، وتصبح جماعات القاعدة خميرة تحرر وتعاون وانفتاح وحوار.

إلى اليوم كانت السلطات السياسية تتعامل مع السلطة الكنسية وكأها هي وحدها الكنيسة. ومما كان يسهل هذا التعامل كون الوزراء والأساقفة في معظم الأحيان من خريجي المدارس أو الجامعات نفسها أو كانوا أصدقاء الطفولة، مما يوحي بتلاحم مصلحي ومصيري بين الكنيسة والدولة في بعض الأقطار. غير ان ظهور جماعات القاعدة في حوض الكنيسة، يعيد كنيسة افريقيا إلى الشعب وتبدو هذه الأخيرة كلسان حال الوضعاء والفقرء ولا تعود تعكس مصالح طبقة حاكمة معينة. وبقدر ما تلتصق هذه الجماعات بمعانيات الناس وطموحات الشعب وتأخذ على عاتقها مهمة توعية الريف والمدينة معا، بقدر ذلك تصبح خميرة تحرر اجتماعي واقتصادي وسياسي.

ان المسيحيين الافريقيين يريدون اليوم المساهمة في بناء افريقيا عصرية وأصيلة وبطالبون بان يكونوا "في قلب الاختيارات الكبرى لبلادهم ويلعبوا فيها دور الخميرة الانجيلية من اجل الحرية الحققة". بكلمة واحدة، مثل هذه الكنيسة تطمح في ان تصبح "ضمير المجتمع"، ولكن هذا الطموح هو للخدمة لا للتسلط. فقد جاء في محضر الفريق الافريقي في مؤتمر العلمانيين الانف الذكر: "ان افريقيا بحاجة إلى تحرر يأتي عن طريق التربية وانماء الموارد البشرية والطبيعية. واننا لا نصبح أولاد الله ولا نحصل على هويتنا الحقيقية إلا عبر جهودنا في التطوير والأصالة".

ولكن مثل هذه الكنيسة التي تتحرك وتحيا، قد تمسي خطرا على بعض الانظمة التي تفضلها هيكلها حجرياً وجامداً أو مؤسسة تأتمر بأمرها أو في الأقل تبقى على الحياد هامشية. لذا لجأت بعض هذه الانظمة إلى ضرب الكنيسة واحتواء نشاطاتها كما حدث في جنوب افريقيا حيث أجبرت السلطات العنصرية مسؤول كنيسة سويتو في نيسان الماضي على غلقها بوجه السود الأفارقة لاغراض غير دينية صرف. كما أوقفت السلطات الإثيوبية في حزيران حوالي ٢٠٠ شخص من كوادر كنيسة ماكيننا يسوس الانجياية لعدم رضوخهم لاستفزازات السلطة. أما في بوروندي فقد طردت السلطات من البلاد ٦٣ مرسلا كحل للخلاف الناشب بين النظام والكنيسة حول جماعات القاعدة كما أسلفنا.

ولكن هذه الجماعات الانجيلية الصغيرة لا زالت في خطواتها الأولى وتجربة السنين القادمة ستكشف لنا عن قابليتها لتطوير المفهوم الدينامي للحياة المسيحية بصفقتها التزاما جدليا وواعيا بالإيمان وبالواقع المعاش. وغني عن القول ان مثل هذا الالتزام الجدلي سيوجب على معتقيه إعادة نظر جادة في الأطر والبني الاجتماعية والدينية والكنسية السائدة. وستحتاج هذه الجماعات باستمرار إلى تعميق الثقافة الدينية لفهم الأسس الفكرية الرسولية واللاهوتية لهذه القراءة الجديدة للالتزام المسيحي، لثلاثته في الشكليات وتبقى عاقلة على السطح.

المصادر:

- I.C.I., No. 540- 14 juillet 1979: L'Eglise africaine en gestation
- Conseil des laïcs: Consultation mondiale
- Etudes, No. Avril 1979: Biculturalisme en Haute Volta.

لقاء على العاصي...

شهادة حية واحدة، ابلغ من مئة مقال ومحاضرة! هذا ما يريد
عكسه صاحب التوقيع عن كاهن متزوج شاب لا تزيده ثقافته العالية
وحياته العائلية إلا بساطة ورسوخا في التزامه الكهنوتي والرسولي.

في عينها شيء من حضرة الاندلس، وضحكتها الصافية تصدح كزققة البلابل في
همائل غرناطة موطنها الام. من قمم السييرا نيفادا المطلة بإباء على عنفوان قصر الحمراء
الشامخ جاءت، وفي عروقها حنين وحب، لتعانق مياه العاصي الكسولة. ولتعنتق دورا في
الحياة، لا تربيتها الأساسية أعدتها له ولا هي خططت له.. انما الروح قادها إلى صحراء
حمص لتكون "حورية" كما يقول إخواننا السوريون، أي زوجة كاهن. كاهن لا فقط
"يزاول مهنته" بانتظام وسلام، بل يحيا رسالته باعتزاز واندفاع وحب.. انما لا يحياها وحده،
بل مع زوجته التي أصبحت شريكة حياته وشريكة رسالته معا.. وهذا ما حداي إلى إلقاء
شهادتي تجاه هذا "الثنائي الكهنوتي"، شهادة أقدمها نموذجا لنمط آت، آجلا أم عاجلا،
للالتمام الكهنوتي في كنيستنا، من دون عقد ولا استصغار.

والكاهن الذي سأحدث عنه كاهن سوري شاب في العقد الثالث من عمره، من
أبرشية حمص للسريان الكاثوليك، أكمل دراسته الفلسفية واللاهوتية في اكليزيكية دير
الشرفة وفي جامعة الروح القدس بلبنان وحاز على شهادة الدكتوراه في الأدب الفرنسي من
باريس حيث تعرف على زوجته الاسبانية. نال الرسامة الكهنوتية بعد زواجه في روما ثم
عاد إلى وطنه مصمما مع قرينته ان يشتركا معا في أداء "رسالتهما الكهنوتية" سوية في
النطاق الأبرشي ومع صغار الناس. وهو بالإضافة إلى ذلك محاضر في الجامعة السورية
بدمشق. وإذا كان لي من اعتذار، فلصديقي على هذه الصفحة من حياتهما الخاصة.

على طاولة صغيرة أمام سمكة مشوية ومقبلات فيها "الحمص بطحيني" و"التبولي"
في احد مطاعم "ديك الجن" على ضفاف العاصي في مشارف مدينة حمص، جلسنا نتجاذب
الأحاديث والذكريات وتبادل الخيرات وحتى العتاب:

- اني أهنئكما يا ميشيل ويا فينا على حيكما.. وعلى هذه الرسالة المشتركة الرائعة التي
سمعت أصداعها والتي تؤديانها سوية ومهدوء... وما عتابي إلا لاقطاع اخباركما عني..

مسح صديقي نظارته بمنديل الكلينكس الذي كان على الطاولة وشكالي باقتضاب
من قلة وقته وكثرة انشغالاته... فهو بالإضافة إلى اهتماماته الرسولية في مدينة حمص وفي
قرية تومين المجاورة، يقضي يومين في الاسبوع في دمشق في الجامعة.

لقد خبرت ذلك بنفسي. فإذا كان صديقي قد دعاني إلى المطعم، ذلك المساء، فلان "الخورية" كانت قد رافقتة وشاركته في السهرة الانجيلية التي حضرها أنا ذاتي معهما في حي شعبي، ولم تستطع إعداد العشاء في المنزل.

هذه السهرة يقوم بها "أبونا ميشيل" مساء كل سبت، وتتضمن تأملا في الانجيل وتراتيل وقداسا "عائليا" ويشارك فيها ما بين عشرين وثلاثين شخصا ونفر من الراهبات:

ارتدى "أبونا ميشيل" ثوبا عسليا طويلا ووضع البطرشيل الكنسي على كتفيه وجلس أمام مائدة صغيرة تحمل كأسا وخبزا بين شمعتين يندفع ليهما هادئا ثم يثور لغير سبب. وزع احد الصغار كتب التراتيل وتعانقت أصوات خشنة بأخرى ناعمة وطفولية لتتشد "تعال بيننا، أقم عندنا". رفع "أبونا" الخبز بيد والكأس بأخرى وتلا صلاة التقدمة ثم أشار إلى نص من الانجيل "روح الرب علي، مسحني لأبشر المساكين..". قرأت النص امرأة شابة تحتضن طفلها الذي غفا في حضنها.. ثم انطلق التأمل حذرا.. وتنشط شيئا فشيئا، وكان الجميع -تقريبا- يدلون بأرائهم أو يبدون ملاحظاتهم وقد لا يكونون دوما على اتفاق مع علماء الكتاب المقدس، ولا هؤلاء يتفقون مع جميع تفسيراتهم. وقد يصبح التأمل أحيانا شبه درس يجيب فيه "أبونا ميشيل" على أسئلة واعتراضات سمعها هذا أو تلك في أثناء العمل أو في السوق أو في الكلية.

بعد التأمل عادت "الجماعة" إلى أجواء القداس بخشوع وصمت. وتالت الصلوات والتراتيل حتى جاء وقت الطلبات. وكم سرني ان استمع تلك الطلبات الصادرة من شفاه بسيطة تجهل البديع والبيان ولكنها صورة لثراء القلب والإيمان. وكنت أراي منشدا إليها لا سيما عندما كانت تصدر عن الصغار وقد كتبوها على ورقة لثلا ينسوها أو يتلثموا بها.. وتقدم الجميع باسطين اكفهم أو أفواههم لاقتبال خبز الحياة. وساد سكوت لبضع دقائق خلطني فيها في جو المسيحية الأولى حيث كان يجتمع الرسل في البيوت مع حفنة من تلامذة يسوع لكسر الخبز والتبشير بالكلمة. هكذا نمت الكنيسة الأولى قبل ان تتفجر خلايا وجماعات حية تحمل معها الفرح والحب.

ولما ذكرت الصمت والخشوع للذين كانا يجيمان على المشتركين، ابتمت "الخورية" وصرحت بانها بذلت كثيرا من الجهد والصبر لإشاعتها. ففي البداية كانت الأحاديث الهامسة تتناوب مع صراخ الأطفال وحتى مع الضحكات الخافرة أحيانا. وبأسلوب تربوي هادئ عرفت "الخورية" -وهي تجيد العربية الحمصية بطلاقة- ان تفرض روح الجهد، وصار هذا القداس ملتقى منتظرا يلقي فيه النجار والمعلم والموظف والطالبة والميكانيكي وربة البيت ثقل اتعاهم ويتساوى الأب والابن والجدة والحفيد في سماع الكلمة.

واذكر ان "أبونا ميشيل" لا يكتفي بهذا الإرشاد العام فقط، فلطالما حضر قبل السهرة أو بقي بعدها في فض بعض المشاكل العائلية، وقد تساعد زوجته مع النساء حيث تفهم منطقتهم وأحاسيسهن كامرأة. وليس هذا فقط، فقد هيأها دمايتها ورقة كلمتها، بالإضافة إلى ثقافتها الدينية والطبية والاجتماعية، لتكون مرشدة صحية وأسرية. فكم من

النساء يتوجهن إليها في أمورهن الخاصة فترشدنهن إلى السبل السوية في الوقاية الصحية ونظافة الأولاد ومعاملة الأزواج ورعاية الذوق في الملبس والمسكن واستعمال العقاقير -وفينا حاصلة على خبرة واسعة ودبلومات في التمريض من اسبانيا وباريس.

وتشعب الحديث إلى الذكريات، فعدت بـ "أبونا ميشيل" إلى منتصف الستينات يوم كان تلميذا يتدفق حياة وحيوية، منذ ذلك الحين كان ميشيل يضيّق بالأطر التقليدية ولا تكفيه الدروب المطروقة، فكان يدفع بجدران الاكليريكية إلى أوسع ليهتم بتدريس صغار المنطقة التعليم المسيحي، وانضم إلى فريق الشباب في حريصا في السهرات الانجيلية التي كنا نحياها في الأسر.

من هناك وبالروح عينه انتقل ميشيل إلى باريس بزماله دراسية. ولشحة هذه الزمالة اضطر الطالب إلى العمل في أوقات فراغه في إحدى المستشفيات، وهناك التقى برفيقة حياته. وتكررت اللقاءات وتعمقت الصداقة على صعيد الزمالة المهنية وعلى صعيد النشاطات الانجيلية، واكتشف الواحد غنى الآخر وارتاح إليه، حتى صارت فينا ميشيل يوما ببساطة الرائي:

- "انت لن تكون سعيدا إلا كاهنا"

وبدأ التخطيط ليكون الشاب البيروودي والفتاة الاندلسية جنبا إلى جنب في كهنوت واحد وفي رسالة مشتركة يؤديانها في الشرق وضمن الكنيسة التي ينتمي إليها الكاهن العتيق بالذات.

- "ولكن الأمر لم يكن بهذه السهولة". قالتها "الخورية" بحسرة معبرة. ثم استطرد "أبونا ميشيل": "كاهن متزوج"، ولا يرتدي الزي الكهنوتي التقليدي! أمر لم "يبتلعه" بطريك الطائفة إلا على مريض وبعد إصرارنا -وكان قد تكللنا في روما على يد المطران معتمد الطائفة هناك- وبفضل تقبل ودعم أسقف الأبرشية الحمصية.

في اليوم التالي -وكان يوم احد- منذ الصباح الباكر رافقت صديقي إلى قرية تومين خورنيتها التي تبعد عن مركز المحافظة، حيث يسكننا، بحوالي ٣٠ كم؛ وتومين قرية صغيرة وادعة مستلقية على كتف تلة خضراء تطل على بحيرة اصطناعية في قعر واد عميق، ويشقها شارع يتيم تفرع منه طرقات وأزقة متعرجة أحالها مطر الليلة الماضية إلى "مطينة" لازجة.

قرع "أبونا" الناقوس وكان الصغار أول الوافدين: راقبتهم كيف يمدون أيديهم بحياء واحترام ليحيوا "الخورية" في رواق الكنيسة وقد صارت صديقتهم المنتظرة. تناولت "الخورية" جبلا وأمسكت بأحد أطرافه وأمسكت طفلة بالطرف الآخر وبدأت تلاعب الأطفال إلى ان حان وقت القداس. اشتركتنا أنا والأب ميشيل بالاوخارستيا، بينما اهتمت "الخورية" بالنظام. وبعد القداس بقي "الثنائي الكهنوتي" في الكنيسة مع الأولاد والبنات الصغار لشرح مبادئ التعليم المسيحي وتهذيب أصواتهم على التراتيل الدينية. بعدها خرجا

لزيارات المرضى والعائلات. ومثل هذه اللقاءات التي يقومان بها سوية تعزز ثقة المؤمنين بالكنيسة وتجعل الناس ينظرون إليهما كرسولين للإنجيل وليس كمجرد كاهن وزوجته.

أيام الجمع، منذ التاسعة صباحاً، تسري حركة غير عادية في فناء كنيسة حمص الذي يغدو عيادة شعبية للمعاقين والمشلولين والمشوهين من الأطفال والأحداث من كل الملل والأديان، هذا محمولا على ذراعي أمه، وذاك تحمله عكازاه، وتلك جاء والدها بملف فحوصاتها وهو يدفعها أمامه في عربتها، ويصبح "أبونا" المرشد والطبيب والصديق. ذلك لان الأب ميشيل وقرينته يديران مركزاً للعناية بالمعوقين تابعاً لجمعية الإخاء السوري، ويسدون لهم العلاج الطبيعى المناسب في المختبرات التابعة للمركز أو يرسلوهم إلى الأطباء أو المستشفيات والمختبرات المختصة داخل القطر أو خارجه للمعالجة مجاناً أو على حساب جمعية الإخاء. وتقوم مطرانية السريان الكاثوليك في حمص حالياً ببناء مستشفى ومختبر للمركز المذكور.

لقد رأيت بأم عيني حشد المراجعين. وبعضهم قادم من بعيد، جاء ينشد العافية والعون لدى هذا الكاهن الذي قرر ان يكون السامري الصالح، هو وزوجته، على مثال سيدهما، يصبان زيت التعزية وخرم العافية على مآسي إخوة يسوع المتألمين من كل دين وطائفة.

ومساء ذلك اليوم كان موعدنا مع "الخوري والخورية" في دارهما بمناسبة عيد مار ميخائيل شفيح الأب ميشيل، وقد رافقت سيادة راعي الأبرشية وكهنته في تلك الأمسية العائلية. استقبلتنا "الخورية" على المدخل بفستان غامق فضفاض. بينما ارتدى الأب ميشيل للمناسبة بدلة داكنة ورباطا احمر بلون شعره ولحيته الكثة، وجلجل صوته مهللاً ضاحكاً، وهذه عادته في الترحيب، مما يبعث فيك الارتياح والألفة. وأمام المشروب الاندلسي الخلو الذي قدمته "الخورية"، مع الكرزات الشرقية التي لا يخلو منها بيت حمصي، تفرغ الحديث إلى جولة "البعثة الرسولية"، التي قام بها الأب ميشيل وقرينته بجمعية بعض الكهنة في مدن وقرى الجزيرة وحلب قبل أيام لزيارة مراكز "الإخاء" و"فرق السيدة" - "فرق السيدة" مجموعات مكونة من أسرتين أو ثلاث تجتمع للصلاة والتأمل في الإنجيل سوية بجمعية كاهن.

لقد كانت الأحاديث تتنقل بين الجد والهزل، وكان سيادة مطران الأبرشية بدمائه ولطائف حديثه يبدو بين كهنته كزميل وأخ لهم. أما فينا، فكانت ككل امرأة، دقيقة الملاحظة إلى كل ما قد ينقص أو يشح وتشارك في الأحاديث وتعطي رأيها في المواضيع المطروحة، سواء كانت اجتماعية أم دينية أم كنسية بكل اتزان ووضوح رؤى، وشعرت بأنها ليست مجرد زوجة كاهن يتكئ عليها في إنسانيته، بل أنها قد تبنت رسالته تماماً، بل كلاهما يزاولان الكهنوت نفسه معاً ويحملان بشرى الإنجيل سوية. وأكثر من ذلك، تحققت أنها أضحت جزءاً من كنيستها وعونا رسولياً وإنسانياً ليس لزوجها حسب، بل لسائر كهنة الأبرشية. الم يصرح احدهم: "لقد علمتنا ان نحطم عقدنا تجاه المرأة!"

وحدة الصف أم العودة إلى بيت الطاعة؟

سينودس كنيسة هولندا

بعد اخذ ورد وتراشق بتهمة "الانشقاق" بين أساقفة هولندا "المحافظين" و "التقدميين"، وفي شبه مقاطعة وعودة عنها بين "الكوريا الرومانية" وكنيسة هولندا - هذا "الولد العفريت للكتلكة" كما دعيت، وبعد زهاء ١٥ سنة من التجربة النبوية الرائدة والجريئة التي عاشتها هذه الكنيسة.. أوصل البابا يوحنا بولس الثاني إلى جمع أطراف الخلاف كلهم -أساقفة هولندا "التقدميين" و"المحافظين" ورؤساء الدوائر الرومانية المعنية- في "سينودس خاص"، هو الأول من نوعه، برئاسته (من ١٤ كانون الثاني ١٩٨٠ إلى ٢١ منه) لإعادة الوحدة الداخلية والشركة التامة مع "روح" الكنيسة الجامعة.

ما هي خلفيات الأزمة، كيف عالجها السينودس، وبأية حصيلة خرج؟ الأب جرجس القس موسى يضعنا في هذه الأجواء.



الهولنديون اناس عمليون وديمقراطيون حتى النخاع، لا قهمهم الفلسفات المثالية بقدر ما قهمهم واقعية الحياة والتعبير عنها قولاً وفعلاً. ولعل ما قالته عنهم الصحفية الفرنسية مارلين توينغا يصفهم جيداً: "الهولنديون إذا كف قانون ما ان يكون قابلاً للتطبيق، فهم لا يريدون الالتفاف عليه، انما ينبغي تغييره". وقد أيدت ذلك طالبة في اللاهوت من جامعة نيميغ -وفي هولندا اليوم ١١٠٠ شاب وشابة من العلمانيين يدرسون اللاهوت في كليات اللاهوت الخمس- حيث صرحت: "الإيمان الذي يعرض كلامه من الحقائق تستلها من مكتبك وتجلبها معك إلى القداس، أو كلوحة تقوية تعلقها في الصالون وتقف أمامها خاشعا في الملمات، مثل هذا الإيمان لا يستهوننا، ولكننا نتحمس لشيء آخر: "كوننا مسيحيين وكيف يغير ذلك حياتنا" و"ماذا تقول للعالم الكيسة التي تنتمي إلى يسوع المسيح"

أزمة نمو..

لأسباب تاريخية -وليس اقلها بقاء الكتلكة الهولندية أقلية دينية (٦٠٨،٩٠٦، ٥ أ ي ١٩٤٠% من مجموع السكان البالغ عددهم ١٤ مليون) محشورة في الجنوب (أكثر من ٨٥%) على حدود شمال بلجيكي كاثوليكي أبا عن جد، وحفيدة عن جدة- عاشت كنيسة هولندا منطوية على ذاتها طويلاً، حتى غدت الهوية الثقافية والهوية الكاثوليكية رديفين كما في إيرلندا. ولكن الأحوال تبدلت اليوم لعوامل رئيسية ثلاثة:

أولاً: حركة التصنيع الهائلة والسريعة التي غيرت وجه الجنوب "الكاثوليكي" في الخمس عشرة سنة الأخيرة مع ما يرافق ذلك من اجتياح ذهنية الاستهلاك والرفاهة والربح ليجتمع كان بالأمس ريفياً قانعا موزيا مؤطرا في تقاليده وعلاقاته الخارجية، ومع ما يتبع ذلك من استقلالية في التفكير والتعامل مع الواقع، في مجتمع معلمين وفي ذهنية علمية نقدية.

ثانيا: الاندفاع التي خلقها الفاتيكان الثاني والأبواب الموصدة التي فتحتها للمناقشة ومراجعة الحياة وإعادة تركيب البنية الكنسية والبحث عن مسيحية بديلة واعية متحركة عوضا عن مسيحية قطعان الغنم.
ثالثا: تعرض الكنيسة الهولندية، من حيث تدري أو لا تدري، لرياح الليبرالية الفكرية البروتستنتية السائدة..

كل هذه العوامل مجتمعة ومضافة إلى حركة التمازج والتقاسم التي تضاعف من مفعولها وسائل الإعلام والاتصال والمواصلات السريعة اليوم، على الصعيد الداخلي والخارجي، استحدثت خطى كاثوليك هولندا إلى الخروج مما اسميه "كنيسة الخنادق" إلى كنيسة تحب الحياة مع الناس ومن أجل الناس. فالكاثوليك الهولنديون -كسائر المسيحيين في هذا البلد- يشتركون اشتراكا مكثفا في الحياة الاجتماعية وفي النضال من أجل العدالة وفي قضية الوحدة المسيحية. الهولنديون يحبون الذهاب إلى نهاية الخط في تساؤلاتهم، لهم طريقهم الخاص في ممارسة وفهم السلطة، طريق لا زال غير مألوف بعد في الكنيسة. بين الأساقفة والكهنة والعلمانيين ينمو نمط جديد من التعامل والتعاون وتخطيط الحواجز النفسية والإدارية والمناقشة الحرة.. مثل هذه المواقف تقلب كل المفاهيم الموروثة وقد تولد إشكالات.. قبل ان تصبح إرثا يغرف منه الجميع بسلام وهناء.. بل قد ولدت فعلا خلاقات في صفوف الرعية والرعاة بحيث انقسم الأساقفة انفسهم إلى مجموعتين: مجموعة "المحافظين" ويمثلهم أسقف روتردام (٨٠٠٠٠٠ كاثوليكي يمثلون ٢٦% من سكان المنطقة) المطران سيمونيس، والمطران جيسين أسقف رورموند (مليون كاثوليكي يمثلون ٩٥% من سكان المنطقة) ومجموعة "التقدميين" المتكونة من الأساقفة الخمسة الباقين وعلى رأسهم الكاردينال فيليبيراند أسقف اوترخت وعميد مجلس الأساقفة.

سينودس وحدة أو توحيد؟

لا شك ان انقسام الأساقفة إلى جبهتين، مع ما أثار ذلك من معضلات راعوية ولاهوتية، هو السبب الرئيس في انعقاد سينودس أساقفة هولندا الأخير من ١٤ كانون الثاني الماضي وحتى ٣١ منه. والجدير بالذكر انها المرة الأولى التي يتم فيها مثل هذا الحدث، ليس على صعيد كنيسة محلية لاتينية فحسب، بل أيضا لأنها المرة الأولى التي يدعو فيها البابا نفسه إلى عقد مثل هذا السينودس ويرأسه هو شخصيا. وقد حدد يوحنا بولس الثاني أهدافه في رسالة وجهها في ٦ كانون الثاني بصفته "أسقف روما" إلى "الكنيسة التي في هولندا" بقوله بانه "لممارسة العمل الراعوي في كنيسة هولندا في الظروف الراهنة لكي تظهر الكنيسة "شركة" بصورة أفضل".

هل كانت، إذن، كنيسة هولندا متفككة إلى هذا الحد، وجاء السينودس كآخر الدواء كياً يتلاقى انقسامها النهائي؟ لقد قالها البعض، وبات منهم يترقب العواقب كيونان النبي أمام نينوى! ولقد حاول الأساقفة "المحافظون" -وحتى الكاردينال فيليبيراند نفسه منذ ١٩٧٨- الاحتكام إلى البابا، وحاول هذا الأخير تقريب وجهات النظر، باستدعاء كل أسقف على حدة؛ ولما لمس صلابة الموقف لدى الجانبين، قرر، في نيسان ١٩٧٩، استدعاء كل الأساقفة الهولنديين في سينودس خاص لتدارس الأوضاع برئاسته والعودة بهم إلى وحدة

الصف. ولكي تكون المصالحة لا رجعة عليها وتم الشركة في إطار الكنيسة الجامعة، اشترك البابا في هذا السينودس، بالإضافة إلى أعضائه الأصليين السبعة اعني بهم أساقفة هولندا انفسهم، السكرتير العام لسينودس أساقفة الكنيسة الكاثوليكية، وعميد أساقفة بلجيكا الجديد، والكرادلة رؤساء الجماع الرومانية ذات العلاقة بالقضايا المطروحة، مع ممثلين اثنين عن الرهبانيات الهولندية. ويجدر بالإشارة إلى ان البابا يوحنا بولس الثاني قلما تغيب عن جلسات السينودس.

مفاتيح القضية

لو القينا نظرة دقيقة على خلفيات الأزمة الهولندية وتطوراتها وكيفية معالجتها من خلال أعمال هذا السينودس على مدى ١٥ يوما من المناقشات المستفيضة حتى التكرار، لرأيناها تتمحور حول ثلاثة مفاتيح هي:

- ١ - ممارسة السلطة الأسقفية
- ٢ - الكهنة والكهنة المتزوجون
- ٣- "تسرب" روح العلمنة والعلمانيين إلى "شؤون" الكنيسة

• الملحة الامتضية

"ان المعضلة الأساسية هي بكل تأكيد معضلة ممارسة السلطة". هذا ما أكدته عدة أساقفة في السينودس، مشيرين إلى توجيهات المجمع المسكوني التي أرادوا وضعها موضع التنفيذ عن طريق المسؤولية الجماعية لدى الأساقفة انفسهم ومع احترام وتشجيع دور العلمانيين ومؤهلاتهم الخاصة في الإطار الثقافي والاجتماعي الهولندي الخاص. ذلك لان على الأسقف ان يكون صوتا لمن يفقدون شجاعتهم اليوم ويمد "الجسور" من دون كلل مظهرها استعداد الكنيسة الدائم للخدمة والحوار.

هذا الروح "أعاد" الأساقفة وكهنتهم إلى صفوف المؤمنين، فقد آثروا "التجربة" على "التقليد" و "الضمير الشخصي" على "السلطة". لقد أطلق في الكنيسة الهولندية، أكثر من سواها، عنصرة جديدة من المبادرات الجريئة والرائدة في حقل التربية المسيحية، والدراسات اللاهوتية، وتغلغل العلمانيين في الوظائف التي كانت سابقا وقفا على الكهنة، وقبول كهنة متزوجين في الخدمة، وتراجع مفهوم الكنيسة "كمؤسسة هيراركية" هرمية..

هذه وغيرها أطلقت حفيظة المحافظين، بل جأهتها روما بالقلق والحذر وبفرض أسقفين محافظين لإعادة التوازن. ولقد لوحظ واضحا، منذ اخذ يوحنا بولس الثاني زمام الأمور بيده، ان على السينودس ان يعيد ترتيب البيت بما يعيد للسلطة الأسقفية هيبتها وقيادتها ويعين لكل واحد موقعه الوظيفي. ففي الرسالة التي وجهها بمناسبة انعقاد السينودس تبني البابا عبارة قالها الكاردينال الفرينك، رئيس أساقفة اوترخت السابق، في نيسان ١٩٦٩: "على الأساقفة ان يُسمعوا صوتهم، ليس فقط كما يفعل مؤمن من وسط الجمهور، بل ليكون كصوت رجل انيطت به رسالة وهو يسير في الرأس".

في وحي هذه الرسالة التي كانت بمثابة توجيه خفي لمناقشات السينودس صبت كل قراراته. فقد جاء في الوثيقة الختامية التي كتبت بالهولندية والفرنسية: ان "الأساقفة يعلنون إيمانهم بالنظام الميراركي الهرمي للكنيسة، وبان لا الأساقفة ولا الكهنة هم مندوبو المؤمنين، وانما هم عمال يسوع المسيح في خدمة الجماعة الكنسية". كما أكدت الوثيقة بان "الأسقف يجب ان يبقى ذلك الذي يسير على رأس القطيع، وبان الأساقفة هم المسؤولون الحقيقيون عن قرارات مجلس الأساقفة" - وفي ذلك تنويه لا يخفى إلى وجوب بتر تأثير الكهنة والعلمانيين في إدارة الكنيسة.

• الكهنة والكهنة المتزوجون

في هولندا اليوم ٣٦٨٤ كاهنا في الخدمة الفعلية، غير ان عددهم في نقصان لسببين رئيسيين: قلة الدعوات وعدد الكهنة الذين يتركون الخدمة، ومرد ذلك بالدرجة الأولى إلى "مشكلة" عزوبية الكاهن و "مشكلة" قناعاته الذاتية في طبيعة دعوته. فقد هبط عدد الكهنة الراعويين مئة كاهن في عام واحد. ان يهبط عدد الكهنة في هولندا، وان يقل حماس الشباب في اعتناق الحياة الكهنوتية ليس حدثا هولنديا خاصا، وانما أسلوب معالجة الأزمة هو الذي يشكل "حدثا هولنديا".

أولى هذه المعالجات استدعاء رهبان (في هولندا ١٥٨٧ راهبا) لخدمة الكنائس الشاغرة (٢٦% من الخورنيات في ١٩٧٦، ٣٢% في ١٩٧٩). إلى هؤلاء ينظم "العاملون والعاملات الرعاويون" (٢٧٦، منهم ٢٩ امرأة)، وهم رجال ونساء متزوجون منتدبون رسميا من قبل الأساقفة - ومنهم برواتب - بعد دراسة لاهوتية جادة (حوالي ٦ سنوات) بمهام راعوية وتعليمية وليتورجية واستشارية واسعة. ويجدر بالإشارة إلى ان عددا من الكهنة المتزوجين الذين هجرنا الحالة الكهنوتية العازبة، رأوا في هذه الصيغة - بالاتفاق مع أساقفتهم وبسماح منهم - بديلا طبيعيا يتيح لهم الاستمرار في الخدمة. هذا وهناك عدد آخر من هؤلاء "الكهنة المتزوجين" لا زالوا يمارسون التدريس في المدارس والجامعات الكاثوليكية رسميا.

وجاء السينودس.. ولعل الفقرة الخاصة بالكهنة في الوثيقة الختامية هي من أكثر نصوص الوثيقة جذرية وحزما. فقد أعلن أعضاء السينودس رسوخ إيمانهم "بالتمييز الجوهرى بين الكهنوت الخدمي أو السري والكهنوت العام المشترك لدى المعمدين، وكذلك "بديمومة الكهنوت الخدمي". ولقد أكدوا "إرادتهم في إتباع مقررات الباباوات الخاصة بالتمسك بقانون العزوبة بأمانة" - هم الذين كانوا قد طالبوا روما، بإلحاح وتكرار، عكس ذلك - أما الكهنة المزوجون الذين يمارسون وظائفهم ضمن المؤسسات الكنسية، فقد سلم أمر "تصحيح وضعهم" إلى الأساقفة - ومعنى هذه العبارة في القاموس الكنسي إيقافهم عن العمل.

• العلمانيون و "هؤن" الكنيسة

قد تكون مشاركة العلمانيين في حياة الكنيسة ورسم معالمها في هولندا أوسع واقوى مما هي عليه في اي بلد آخر. وقد اعترف السينودس بفضل "الاف العلمانيين الذين

يشاركون بانتظام وبطرق مختلفة ومن دون مقابل في شتى النشاطات الراعية وفي الليتورجيا، والعمل الاجتماعي، والتثقيف الديني للصغار والبالغين، وفي تبادل الخبرات والإعانات، وفي دعم مبادرات العدالة والسلام". ولكن هذه الظاهرة الصحية اعترها "المحافظون" "تسربا" خطيرا على "شؤون الكنيسة". فقد خصت الوثيقة بقلقها الجماعات التي أسستها "بالجماعات الناقدة التي تمارس ضغطا زائدا على حياة الكنيسة" وحذرت منها.

ولكن الجماعات الأكثر "تسربا" (!) إلى شؤون الكنيسة هم من دون شك "العاملون والعاملات الرعايون" الذين، لاتساع التزامهم الرعائية، كانوا يجهون الحدود الفاصلة بين الكهنوت والحالة العلمانية، وهذا بالذات ما اتكأت عليه روما لرفض اقتراح تقدمت به الأساقفة، في وقت سابق، لمنح هؤلاء "العاملين" صيغة "قانونية تنظيمية". وقد جددت الوثيقة السينودسية هذا الرفض "لتلافي الوقوع في "اكليروس" مزدوج يؤخذ بمثابة بديل الكهنوت أو الشماسية".

الخلاصة: فتش من الفارس!

عندما احتكم المنسيور جيسين إلى البابا لمعالجة الأزمة الهولندية كان يعرف انه يراهن على الحصان الرابع. فمقررات السينودس جاءت بالفعل مؤيدة لمواقف زعيم المحافظين. ان الايجابية الكبرى لهذا المؤتمر هي انه انقذ الوحدة الأسقفية وجنّب كنيسة هولندا الانشقاق، ولكن بأي ثمن؟ -ثمن خنق روح النبوة وتفتيت دينامية التجربة الهولندية! "لقد كان حملا ثقيلنا علينا، صرح الكاردينال فيليبيراند رئيس مجلس الاساقفة الهولنديين بعيد انتهاء أعمال السينودس، وأملنا ان كهنتنا ومؤمنينا سيساهمون معنا في حمله". ولكن هل حقا سيسمع هؤلاء لهم بنفس الحماس السابق، وقد كانوا "العائين الكبار" عن هذا "السينودس الخاص" الذي "كان ينبغي ان يكون سيندوسا عاما" كما صرح احد الطلبة؟!

اجل، على جيسين ان يدفع ثمن الوحدة -هو الذي كان قد اقم زملاءه "بالانشقاق" - وذلك "بعودته إلى التعاون مع الأساقفة الآخرين في حقل المشاريع الحرة الإرسالية، ومشروع الصوم، والأسبوع الإرسالي الهولندي"، ولكن ما هذا التنازل بالنسبة إلى ما فرض على رفاقه وعلى الجماعة الهولندية كلها التي انتزعت منها ديناميتها الخاصة. إذا زيد عدد الأبرشيات والأساقفة -كما تقرر من حيث المبدأ- فهل سيكون التوازن أفضل؟

اننا لسنا نبالغ إذا ما قلنا بان مقررات سينودس أساقفة هولندا أعادتنا إلى أجواء ما قبل المجمع. فقد جاء، للأساقفة المحافظين سينودسا لرد الاعتبار، وأزاه الأساقفة التقدميون سينودسا يكرس روحانية المجمع، فإذا به يصبح سينودس إعادتهم إلى بيت الطاعة؛ أما للبابا وللكوريا الرومانية، فقد كان سينودس احتواء وتطبيع!

الكنيسة في الاتحاد السوفيتي

مقدمة بقلم كاتب

قبل ألف عام دخلت المسيحية إلى روسيا على يد مبشرين بيزنطيين تابعين لبطريركية القسطنطينية "الأرثوذكسية" عن طريق أوكرانيا. وأوكرانيا منذ ١٥٩٦، وتحت الاحتلال البولوني تحولت، في سوادها الأعظم، عن الأرثوذكسية واتحدت بروما لتشكّل الكنيسة الكاثوليكية الروسية الشرقية المسماة بـ "الاتحادية" منذ ذلك الحين وهذه الكنيسة موضع نزاع بين موسكو وروما. وما هي أوضاعها اليوم؟ وما أوضاع الجناح اللاتيني لهذه الكنيسة الكاثوليكية المتواجدة في الجمهوريات السوفيتية البلطيقية، والتي قلما تتناولها الأخبار؟

الأب جرجيس القس موسى، الذي قضى أعياد الميلاد ورأس السنة في موسكو وليننغراد، يحاول كشف النقاب عن ذلك.

نحن في موسكو الرائدة تحت الثلوج المتجمدة. درجة الحرارة ٢٥ تحت الصفر -وستهب بنا حتى ٣٥- نبحث عن عنوان الكنيسة الكاثوليكية الوحيدة لحضور قداس الميلاد في منتصف الليل. ولما عجزنا عن ذلك استحصل لنا دليلنا الرسمي الملحد الذي لم يضع رجله في كنيسة قط (وقد قالها من غير تهج ولا أسف، بل كمن يقول بكرة معاهدة: انا لم ادخل المطعم الفلاني، أو لم أزر المتحف الفلاني لانه خارج اهتماماتي)، استحصل لنا اسم كنيسة أرثوذكسية مفتوحة للعبادة على بعد اربع او خمس محطات مترو من فندقنا. وذهبت انا وصديق فرنسي وزوجته البلجيكية نبحث ونسال.. هذا يجيبنا: لا ادري؟ وتلك تقول: لست من المنطقة، وفريق من الشباب يصرح نصف مازح نصف جاد، أو هكذا قلت: نحن هنا ملحدون، لا يوجد عندنا كنائس.. واحترنا بأمرهم وأمرنا إلى ان عثرنا على فتاة ترتدي صليبا صغيرا على صدرها أبدت استعدادها لمساعدتنا، فاستشرنا سيما وأما كانت تتكلم الانكليزية. وفيما كنا نرتقي سلم المترو أشارت إلى السلة التي بيدها -وكانت تحوي خبزا وبعض حلويات- وقالت: انا كاثوليكية وغدا عيد الميلاد، وانا ذاهبة إلى عند صليقة بروتستنتية لاحفل معها بعشاء الميلاد.

أمور كثيرة عن الدين وممارساته تجهلها لاريسا الكاثوليكية، كما صرحت فيما بعد، فهي من جيل ستالين وما بعده، ولكن ان تعلن إيمانها وانتماعها الديني بهذه التلقائية والبساطة، اشهد بانني لم أكن أتوقع ذلك في وسط موسكو، سيما وأما مسجلة في الحزب لتأمين عمل لها، كما قالت هي نفسها. فإدراكها بالقول: هل انت أوكرانية؟ أجابت: نعم، وقد عملت تتولّي الأول في كييف ولي خالة راهبة في بولونيا!

الكاثوليك في الاتحاد السوفيتي لا زالوا إذن أحياء يرزقون؟! اين هم؟ ما عددهم؟ ما هي صلتهم بروما؟ أي قسط من الحرية الدينية والإدارية يملكون؟ هل هم على انقراض كما أراد لهم البعض أم لا زالوا يعيشون التحدي ويستشهدون؟

هذا ما سنحاول كشف النقاب عنه في هذا المقال^(١) علما بان مصادرنا الإعلامية لا زالت فقيرة وتقتصر على بعض المعلومات التي تتسرب عبر الحدود مع بولونيا ومن بعض الزائرين القلائل الذين يحظون بسمة دخول إلى منطقة "التواجد" الكاثوليكي.

شيء من التاريخ

لم يشكل الكاثوليك في امبراطورية القيصرية نسبة عديدة مهمة أبداً، فقد كانوا مجرد جالية أجنبية معثرة، لولا ان ضم القيصرية إلى إمبراطوريتهم، وعلى دفعات متكررة، أقطارا جديدة تسكنها شعوب كاثوليكية جزئيا (كجورجيا وأقطار البلطيق) أو كليا (كبولونيا). ولكن منذ القرن السادس عشر والسابع عشر، وعلى اثر انهيار سلطة موسكو السياسية المركزية، استولت المملكة المتحدة المتكونة من ليتوانيا وبولونيا على مناطق شاسعة في القطاع الغربي من الإمبراطورية الروسية (أوكرانيا وروسيا البيضاء). وفي ١٦١٢ كاد يجلس على عرش القيصرية في موسكو أمير بولوني كاثوليكي. وبتوسع حدود القطرين الكاثوليكين تحولت أبرشيات أرثوذكسية عديدة عن بطريركية موسكو واتحدت بروما مع المحافظة على طقوسها ولغتها السلافية بحسب مقررات مجمع فلورنسا (١٤٣٩): هكذا نشأت الكنيسة الكاثوليكية الروسية الشرقية. ولكن لا البطريركية الأرثوذكسية ولا السلطة المدنية الموسكوفية استوعبتا هذا البتر المضاعف. فعندما عادت هذه المناطق إلى التاج القيصري في القرن التاسع عشر اجبر الكاثوليك الروس الشرقيون على العودة بالقوة إلى حضن الكنيسة الأرثوذكسية، ولم تعط لهم حرية الاختيار إلا سنة ١٩٠٥، ولكن شريطة ان يعتنقوا المتكثفون الطقس اللاتيني.

بعد انهيار الإمبراطورية الروسية اثر الحرب العالمية الأولى، حصلت بعض الأقطار التي كان القيصرية قد ألحقها بهم على استقلالها السياسي التام، وتخلصت من القمع الديني كبولونيا وليتوانيا (حيث الكاثوليك يشكلون الأكثرية الساحقة)، وليتوانيا (حيث الأكثرية لوثرية والكاثوليك يعدون ربع السكان) واستونيا (٢٠% كاثوليك). ولكن الحرب العالمية الثانية أعادت توزيع الأوراق ثانية وألحقت كلا من ليتوانيا وليتوانيا واستونيا بالاتحاد السوفييتي، وشهدت هذه الجمهوريات التابعة عهدا من القمع والاضطهاد وملاحقة المؤمنين، وسيما في عهد ستالين وخروشوف.

إذا كانت الكنيسة الكاثوليكية قد عانت أكثر من سواها من عداء النظام السوفييتي وأصبحت بحكم المشلولة فعلا، فذلك لأنها قاومت الشيوعية بصلافة خاصة ومن غير مهادنة على الصعيدين الديني والفكري، ولان هذه المقاومة الايديولوجية كانت ترافقها -ولا تزال- في كل من ليتوانيا واستونيا وليتوانيا ولا سيما في أوكرانيا- حيث يشكل الكاثوليك الأكثرية- مقاومة سياسية، وان سلبية، ومطالب قومية في الاستقلال الكامل ضد ما تعتبره احتلالا سوفييتيا لا أكثر ولا اقل. وبالرغم من كل الضغوط النفسية والعسكرية والاضطهادات المسافرة والمبطنة، وبالرغم من انقراض السلطة الأسقفية الكاثوليكية شبه التام -وذلك بسبب الموت أو السجون أو النفي أو المنع من مزاوله المهام الكنسية- لا زالت هناك جماعة كاثوليكية تعيش إيمانها في الدياميس وتكافح صامته من اجل البقاء.

هل متعود إلى الهواء الطلق؟

في أيار وتموز الماضيين قام جاك فورنييه بزيارتين للجمهوريات البلطيقية واتصل بالجماعات الكاثوليكية هناك وصلى في كنائسهم، ويفيد بان ثمة ١٠٤٠ خورنية كاثوليكية

مسموح بها ومسجلة في مكتب الشؤون الدينية في الاتحاد السوفيتي. عدد الكهنة مماثل ولكن توزيعهم وتجهيزهم غير متكافئ، ومعدل أعمارهم يتمحور حول ٥٢ سنة. ففي ليتوانيا مثلا يلزم ١٥ رسامة سنويا للحفاظ على نسبة الكهنة كما هي، بينما ليس هناك حاليا سوى ٩. أما المعمدون، فيقدرون بحوالي ٦ ملايين، إلا أننا نجهد عدد الكاثوليك الشرقيين والأوكرانيين المتحدين بروما (في ١٩٤٤ كانوا يقدرون بأربعة ملايين) وأولئك الذين الحقوا قسرا بالكنيسة الأرثوذكسية. كذلك الأمر في المناطق التي اقتطعها الاتحاد السوفيتي من بولونيا وتشيكوسلوفاكيا حيث كان يعيش ٣ ملايين ونصف كاثوليك، من شرقيين ولاتين. أما في جيورجيا - وكان عدد الكاثوليك ضئيلا دوما - ليس هناك اليوم سوى كنيسة واحدة مفتوحة في تفلين. وللكاثوليك أيضا كنيسة مفتوحة في موسكو وأخرى في ليننغراد وثالثة في اوديسا ورابعة في جمهورية كيرغيزستان.

لقد امتدح البابا يوحنا بولس الثاني أمانة هؤلاء الكاثوليك وصمودهم إبان زيارته لبولونيا في العام الماضي وأفاق لديهم آمالا للعودة بالكنيسة إلى الهواء الطلق، لاسيما في ليتوانيا التي تتصل جذورها التاريخية ببولونيا المجاورة. والكل يعرف ان الحدود بين البلدين تتيح تسرب الأشخاص والمعلومات، فهناك من استطاعوا العبور خفية لسماع البابا، وهناك كتب دينية باللغة البولونية تحتاز الحدود.

الحياة الروحية والدينية

بالرغم من كل المعوقات، تشهد الجماعات الكاثوليكية حيوية إيمانية جديدة هي جزء من الانبعاث الديني الذي يحرك الكنيسة الروسية برمتها. فالكنائس مليئة بالمصلين -ونسبة الشباب ليست بقليلة- باكرا جدا في أيام الأسبوع، كما كان الأمر في قرانا قبل بضع سنين، ولا زال في بعضها، أما أيام الآحاد فتتالي القدايس طوال النهار. ولما كانت التشريعات الرسمية تمنع إعطاء التثقيف الديني بصورة علنية وخارجا عن الاحتفالات الكنسية، فقد أصبحت الليتورجيا والوعظ القناتين الرئيسيتين للتثقيف المسيحي. التناول الأول الاحتفالي مثلا يجري بصورة طبيعية خلال القدايس الاعتيادي حيث ينسل الأولاد من بين صفوف المصلين ويتقدمون باحتفال وشموعهم في أيديهم.

أما الوعظ، فغالبا ما يعطى قبل القدايس مباشرة بمثابة مدخل لليتورجيا الكلمة، ويخصص له الوقت الكافي ليصبح تعليما حقيقيا وشبه مرمج يمكن التحدث به في الأسرة. فقد صرح احد الكهنة قائلا: "انا نغني الوضوح والبساطة وجوهر الإيمان بحيث يستسيغ ذلك المؤمنون الذين ليس لديهم فرصة أخرى لتعميق ثقافتهم المسيحية". أما الليتورجيا فهي قريبة من روح الفاتيكان الثاني لاسيما في ليتوانيا حيث كانت ترجمتها من أولى الترجمات التي أقرت رسميا -وكانت أعمال الجمع الفاتيكان الثاني قد نشرت باللغة الليتوانية منذ ١٩٦٨. أما التطوير الليتورجي فهو يسير بهدوء وتعقل مما يساعد على تقبله من دون رجاء.

في ليتوانيا لم تترجم النصوص الليتورجية بعد، والمؤمنون المنحدرون من أصل بولوني وحدهم يصلون بلغتهم الأم، وذلك لان كتبهم الطقسية تأتيهم من بولونيا، أو غيرها من روما.

الدعوات

في الاتحاد السوفييتي اليوم معهدان كهنوتيان وعدد الطلبة تحدده الدولة بحسب تقديرها "للحاجة الوظيفية" ومزاجها هي: الأول في كوناس (ليتوانيا) للطلبة الليتوانيين فقط وقد قدم للكهنوت ١١ طالبا في ١٩٧٨ و ٦ في ١٩٧٩؛ وفي خمس سنوات تخرج منه ٤٥ كاهنا اخذوا مواقعهم في خورنات الجمهورية البالغ عددها ٦٢٠ خورنة. أما المعهد الثاني فهو في ريغا (ليتوانيا) وفيه ٢٤ طالبا، نصفهم من الليتوانيين والنصف الآخر من روسيا البيضاء واوكرانيا، ومعدل الرسامات فيه بين ٣ و ٤ سنويا. أما المناهج الدراسية فهي في حط الفاتيكان الثاني.

هكذا يبدو ان نسبة الدعوات الكهنوتية جيدة، بل تدعو إلى التفاؤل. أما الرهبانيات فهي ممنوعة - وكان هذا المنع ساريا في ليتوانيا حتى في فترة الانفراج بين ١٩٢٠ و ١٩٤٠- غير ان ذلك لا يعني عدم وجود رهبان وراهبات. فالدومنيكان والفرنسيسكان المتواجدون يعملون في نطاق الكليروس الأبرشي، وكذلك الراهبات اللواتي يساعدن الكهنة بصورة فردية في خدمة الكنيسة والليتورجيا.

بين روما.. وموسكو

للعودة بالكنيسة الكاثوليكية في الاتحاد السوفييتي إلى الهواء الطلق هناك، بالإضافة إلى عنصر الخلاف الايديولوجي، قضية التقسيمات الأبرشية التي لا زال بعضها متصلا إداريا ببولونيا. ومسألة إعادة النظر بهذه التقسيمات الإدارية من قبل الفاتيكان يتصل اتصالا مباشرا بموضوع اعتراف هذا الأخير بالحدود الدولية الحالية للاتحاد السوفييتي. لو فعل الفاتيكان ذلك لخطا خطوة جديدة في سبيل التفاهم. ولكن الشق الثاني من القضية - وهو الأهم والأدق - هو إعادة بنية الكنيسة وكوادرها الإدارية والتعليمية سيما وان معظم الأبرشيات من دون أساقفة، والموجودون منهم - ويعدون على أصابع اليد الواحدة - إما طاعنون في السن وعرضة لشتى الضغوط، وإما منفيون خارج البلاد.

لكن العقدة الشائكة ستبقى من دون شك مسألة الكاثوليك "الاتحاديين" ويقصد بهم هؤلاء الكاثوليك الروس الشرقيون المنحدرون من أصل أرثوذكسي منذ القرن السادس عشر والذين اعتبرتهم بطريركية موسكو - والقياصرة والدولة السوفييتية نفسها - قطيعا ناشرا.

في ١٩ آذار من العام المنصرم بعث البابا يوحنا بولس الثاني برسالة إلى الكردينال جوزيف سليلي رئيس أساقفة لفوف الأكبر العائش في المنفى^(٢) وذلك بمناسبة الاحتفال

بالذكرى الألفية لاعتماد القديس فلاديمير وسكان كييف عاصمة أوكرانيا. ويجدر بالإشارة إلى ان هذا العماد الذي يحتفل به "الاتحاديون" في أوكرانيا "الكاثوليكية" يصادف بدء دخول المسيحية إلى روسيا (على يد مبشرين بيزنطيين "أرثوذكس"). في هذه الرسالة امتدح البابا بحرارة الكنيسة الكاثوليكية الأوكرانية "الاتحادية" لأمانتها لروما بالرغم من المضايقات

المستمرة. وباسم التقارب المسكوني طالب البابا بالحرية الدينية و باحترام هذه الكنيسة. باسم هذا التقارب نفسه، ولعلا يستفز بطريركية موسكو، لم يوافق بولس السادس ان يشكل الأساقفة الأوكرانيون في المنفى سينودسا، ورفض ان يتخذ الكردينال سلبلي لقب (بطريرك أوكرانيا). كما ان حضور مراقبين عن بطريركية موسكو في المجمع الفاتيكاني الثاني وما تلا ذلك من مواقف وحدوية وانفتاحية على العالم قارب بين موسكو وروما.

منذ ذلك الحين تتالت الاتصالات الثنائية وعبر المؤتمرات الدولية بين الكنيستين الأرثوذكسية الروسية والكاثوليكية الرومانية؛ وتبادلنا الرسائل والاعترافات والوفود في الاحتفالات الكنسية وتنصيب البطارقة والباباوات، وتشكلت لجان لاهوتية مشتركة لدراسة الخلافات وسبيل التقارب والتعاون.

ولكن هذا التقارب، على ايجابية، تشوبه غيمة على وجوه هؤلاء "الكاثوليك الاتحاديين" العائشين في المنفى أو الذين لا زالوا داخل الاتحاد السوفيتي يتحملون في نفوسهم -ولربما في أجسادهم أيضا- نتائج بقائهم أمناء لروما ولطموحهم في الاستقلال الديني والسياسي معا وهم يرون وكان هذا التقارب يمرر فوق رؤوسهم. ومخاوف موسكو من "سلطة" روما، هي الأخرى، هل زالت حقا؟ وروما لا تريد، على ما يبدو، الفصل بين قضية الكاثوليك اللاتين والكاثوليك الشرقيين.

حيث لم ينجح تماما بولس السادس بدبلوماسيته الصامتة، هل ترى، سينجح يوحنا بولس الثاني، بأسلوبه المباشر، في إخراج هذه الكنيسة من الدياميس فلا تعود، من بعد، قطيعا ناشزا يشار إليه بالريبة والحذر؟!

المصادر:

I.C.I., No. 538,543

Pro mundi vita, No. 58

(١) انظر مقال نجيب قافور في عدد ٢ ١٩٧٩ عن الكنيسة الروسية الارثوذكسية...

(٢) منذ ١٩٦٣ يعيش الكردينال سلبلي في روما، وكان يوحنا ٢٣ قد نال من خروشوف اطلاق سراحه بعد ٢٢ سنة من الاعتقال والتعذيب لقاء تعهد من روما بعدم عودته الى اوكرانيا. وكانت السلطات السوفيتية قد اعتقلته مع الاساقفة "الاتحاديين" السبعة الاخرين في ١١ نيسان ١٩٤٥، وتمت ضغط الحكومة تشكلت لجنة من الكهنة للعودة بالكنيسة "الاتحادية" الى حضن الكنيسة الارثوذكسية، فقبل القرار ٩٠٠ كاهن ورفضه ٧٤٠ ومنذ ذلك الحين يعيش الكاثوليك الاتحاديون بصورة غير قانونية. وكان عددهم عام ١٩٤٤ يربو على ٤ ملايين.

ش.ر/نيسان ١٩٨٠

روميرو، الأسقف الشهيد

"جميع" المذبذبين والذين ذهبوا ضحية الاغتيال هم مسحاء جدد ماتوا من جراء الخطيئة. ويقدر ما تخدم الكنيسة المقهورين، بقدر ذلك تفهم ما معنى الخطيئة".

قالها رئيس أساقفة السلفادور الراحل اوسكار روميرو قبل مصرعه بشهر، إذ ان النظام القمعي وأركانها من أغنياء وعسكريين ملوا من سماعه يندد ويشجب ويفضح ويحذر من سياستهم الدموية ضد الفقراء والفلاحين الغتصبة حقوقهم وكرامتهم والمستباحة حياتهم صبح مساء، فقتلوه وهو يقيم القداس للمرضى في المستشفى يوم ٢٤ من آذار المنصرم.

الخطيئة ان أماتت المسيح، فموته كان للفداء والتحرير، وكذلك الأسقف روميرو ذهب في شهادته حتى "الصليب" لفداء شعبه وتحرير الفقراء، وليسقي دمه جذور ربيع لا بد ان يأتي!

الأب جرجيس القس موسى يلقي الضوء على نضال الأسقف الشهيد، ونضال المطران روميرو ما هو إلا صفحة من "درب الآلام والجلجلة" التي يعيشها السلفادور، انقلابا بعد انقلاب، منذ زهاء نصف قرن، ولا سيما منذ مجيء الجنرال روميرو (لا صلة له بالأسقف).

لقد تجرأوا وعملوها! فقد اغتيل المطران روميرو مساء الاثنين ٢٤ آذار المنصرم بينما كان يقيم القداس في معبد مستشفى "العناية الإلهية" في العاصمة سان سلفادور أمام حوالي عشرين راهبة كن حاضرات في قداسه الأخير.

من هم هؤلاء الذين تجرأوا؟

انهم أقصى اليمين والطغمة الحاكمة التي تتمثل بطبقة الأغنياء والعسكريين الذين يساندونهم منذ سنوات - بالرغم من تغير أقتعة الحكم بالانقلابات المتتالية- والذين أحالوا السلفادور حقلا للتحلف المدقع والقمع والإرهاب إرضاء لمصالحهم ومصالح أسيادهم من وراء الحدود. هؤلاء ما كانوا ليحتملوا مدة أطول صوت نبي طالما أعلن فساد نظامهم وعزل الشعب عنهم وردد من دون كلل: "ان القوة المسؤولة أساسا عن جميع ماسينا هي الاولغارشية (حكم طبقة الأغنياء) المتطرفة اليمينية التي لا تقبل التنازل عن أي جزء من امتيازاتها، والتي تحالفت مع العسكريين الذين يدافعون عن مصالح الأغنياء".

مثل هذه المواقف اعتبرها الحكام تحديا، وأعلن الناطق باسم القوات المسلحة بان الأسقف "ارتكب جريمة" بدعوة العسكريين السلفادوريين إلى "العصيان". فلا جرم ان تأتيه التهديدات بالموت. ولما كان قد اختار، من دون عودة، جانب الشعب وضحايا القمع، فقد وضع نصب عينيه ان الطبقة الحاكمة قد لا تتورع عن وضع تهديدها موضع التنفيذ. وهذا ما حدث حينما هجم عليه، وهو متشج بجلته الكهنوتية، أربعة مجهولين وافرغوا في جسده رصاص غدوهم. وهكذا قدم دمه شهادة قصوى لالتزامه جانب المقهورين، لا طمعا

بزعامه، بل باسم الانجيل والدفاع عن حق الانسان في الحياة والكرامة لا غير، ولكن هل يَخْتَق صوت الانبياء؟

من هو روميرو وكيف أصبح زعيما شعبيا وخطرا على امن الدولة، هو الأسقف المسلم؟!

ولد اوسكار ارنولفو روميرو في سيوداد باريو بالقرب من مدينة سان ميكيل في ١٥ آب ١٩١٧، وأكمل دروسه الكهنوتية في المعهد الغريغوري في روما حيث رسم كاهنا عام ١٩٤٢. ولدى عودته إلى بلاده تعين كاهن رعية ثم اختير أول سكرتير عام لمجلس الأساقفة السلفادوريين. وتميز الأب روميرو بغيرته وسعة آفاقه وتعاطفه مع الطبقات الشعبية، فاختير أسقفا مساعدا لأبرشية سان سلفادور، ثم مطرانا لأبرشية سانتيا غودي ماريا عام ١٩٧٤. وفي عام ١٩٧٧ عاد أسقفا أصيلا لأبرشية سان سلفادور العاصمة بعد استقالة مطرانها لدى بلوغه الخامسة والسبعين. وهنا برزت صفاته الراعوية ولم يخف تباعده، بل مناوئته، للأوساط الحاكمة وأساليبها القمعية. وبدا ذلك منذ الأسابيع الأولى لتوليته إدارة أبرشية سان سلفادور حين رفض الدار الفخمة وسيارة الكاديلاك اللتين أهدتهما له الطبقة الغنية الحاكمة. كما رفض حضور حفلة تسليم السلطة إلى الجنرال -رئيس الجمهورية- احتجاجا على تسلمه الحكم عن طريق انتخابات مشكوك في نزاهتها. وبعد شهر واحد من ذلك اغتيل احد كهنته، وتبعه خمسة آخرون صرعهم غدر المنظمات اليمينية المتطرفة لانهم وقفوا مع أسقفهم علانية إلى جانب الشعب الفقير.

وكانت الأزمة تتصاعد يوما بعد يوم بين الطرفين في جو من الإرهاب والقمع والخوف، وتوالى الاغتيالات والقتل في صفوف الكهنة والفلاحين وأعضاء المنظمات المسيحية الملتزمة والنقابات، من رجال ونساء، حتى وصلت إلى مأساة آذار الماضي حيث أعطى روميرو شهادة دمه على درجات المذبح.

بهاية النهاية

لقد أرجعت وسائل الإعلام العالمية والصحافة العراقية بالذات صدى مقتل الأسقف روميرو واعتبرته بداية النهاية المحتومة للطغمة الحاكمة. فروميرو الأسقف كان رمز النضال الشعبي ضد الإرهاب والدكتاتورية، ومقتله أصبح، في أعين ملايين الفلاحين وفقراء الناس، بطلا قوميا يحرك اسمه وحده مشاعر الأمة كلها، وفي الوقت نفسه يقض مضاجع الحكام.

ولكن التشيع نفسه تحول إلى مأساة جديدة عندما فوجئ الحضور بفتة بزخات من الرصاص ألقت الرعب في القلوب. من ذا الذي أثار الفتنة؟ لا احد يدري بالضبط، إلا ان كاهنا التحا إلى داخل الكنيسة صرح بان الشرطة "كانت تطلق النار على الناس المحتشدين أمام الكاتدرائية". وقالت مصادر أخرى ان المتطرفين اليمينيين هم في أصل المأساة، بينما ألقت السلطات الحكومية التبعة على المتطرفين اليساريين، وذكرت مصادر الصليب الأحمر ان معركة نشبت بين مسلحين مقنعين وقوى يسارية خلال التشيع. شيء واحد يبقى أكيدا هو ان الضحايا كانوا من الأبرياء والأمنين، وقد ارتفع عدد القتلى إلى حوالي عشرين وأصيب أكثر من مئة آخرين.

أما الحكومة، فقد انزلت قوات الجيش إلى النقاط الحساسة من المدينة لمجابهة ثورة الشارع، بينما أعلنت المنظمات اليسارية والقوى الوطنية الأخرى حربا مكشوفة لإسقاط النظام، وأعلنت المدارس الإضراب احتجاجا على اغتيال الأسقف روميرو، كما أعلن الحداد القومي لمدة ثلاثة أيام. من جانب آخر، قدم وزيران من الحزب الديمقراطي المسيحي استقالتهما عشية تشييع المونسنيور روميرو هما وزير الاقتصاد والتربية، وكذلك وزير الزراعة المستقل.

هذا ولا زال الوضع الأمني متدهورا، ولا يمر يوم من دون حوادث عنف وتفجير واعتقال واغتيالات. وبينما واجه الاغتيال سخطا داخليا واستنكارا عالميا، ألقت الولايات المتحدة بثقلها في الساحة الملتهبة بمضاعفة إعاناتها للطغمة الحاكمة خشية انقلاب "يميني متطرف أو يساري متطرف"، وذلك حفاظا على مصالحها المتمثلة بدعم العسكريين الحاليين. والجدير بالإشارة ان الأسقف روميرو كان قد بعث برسالة إلى الرئيس كارتر، قبيل مصرعه بأسبوع واحد، طالب فيها بالكف عن مساندة الزمرة الحاكمة في السلفادور وقال فيها بان "الشعب السلفادوري مسؤول وقادر بالكفاية على تسيير مستقبل السلفادور وحل أزمتة بنفسه"، وجاء فيها أيضا: "ان مساعدة حكومتكم، عوض ان تساهم في نشر عدالة وسلام اكبر في السلفادور، فهي تضاعف، من دون أي شك، الظلم والقمع ضد الشعب. امنعوا هذه المساعدة العسكرية عن الحكومة السلفادورية. اضمنوا لنا ان حكومتكم لن تتدخل، لا بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بالضغط العسكرية أو الاقتصادية أو الدبلوماسية لتؤثر على مصير الشعب السلفادوري".

جلجلة الملفادور

لقد عايش الأسقف روميرو جلجلة السلفادور بكل مرارتها. ففي آخر رسالة له (جريدة لاكروا ٢٢ آذار ١٩٨٠) تحدث عن الاستشهاد الذي تعيشه بلاده وأبرشيته بالذات. وذكرت نشرة صادرة عن الأبرشية قائمة بأسماء القتلى الذين اغتالهم الحرس القومي ومنظمة "اوردن" السرية اليمينية المتطرفة في منطقة اكوبلارس. وأشارت النشرة إلى ان ٧٢ شخصا قتلوا ما بين ٢٤ ك ١ و ٢٠ شباط ١٩٨٠، كما أشارت الوثيقة إلى ٧٠ ضحية أخرى مع ذكر أسماء البعض وأوقات وأماكن إلقاء القبض عليهم وحتى أسماء الشرطة الذين قاموا بالعملية. وما هذا إلا غيض من فيض.

هذه الجلجلة يعيشها السلفادور بصورة خاصة وبأوجه مختلفة منذ العشرين من شباط ١٩٧٧، حين ارتقى سدة الرئاسة الجنرال كارلوس روميرو -لا قرابة بين الأسقف والرئيس وان حملا الاسم نفسه- على أثر انتخابات مدسوسة. ولقد افتتح الرئيس الجديد عهده بمذبحة في شوارع العاصمة سخر الجيش بتنفيذها ضد انصار خصمه المرشح الخاسر للرئاسة، ذهب ضحيتها أكثر من ٢٠٠ قتيل في يوم واحد. وما كان ذلك إلا تأكيدا لما عرف به الرئيس الجديد من "حزم"، لاسيما منذ مذبحة الطلاب التي نفذها في تموز ١٩٧٥.

على أثر هذه المذبحة النكراء اصدر أساقفة البلاد بيانا شديدا للهمجة - منعت الصحافة المحلية من نشره - يشجب النظام وتعدياته الصارخة ضد حقوق الانسان. وقد جاء فيه ان "لا سلام في السلفادور قبل ان يبادر بصورة جدية إلى توزيع الثروات والأرض بحسب مبادئ العدالة، وإتاحة الفرصة أمام الشعب ليشارك في الحياة العامة وينظم ذاته، قبل ان يعترف لسكان الريف والمدينة بحقوقهم المدنية وبصفتهم أولاد الله".

بعد أسبوع واحد من هذا البيان صرع الأب روتيليو غراندي اليسوعي على أيدي عناصر من الجيش مع مرافقيه حيث كانوا في طريقهم لإقامة القداس في مسقط رأسه. وغداة الحادث، شجب المطران روميرو الاغتيا ل وحر م منفذي الجريمة "الفعليين والمخططين لها" وطالب رئيس الدولة باجراء تحقيق دقيق، وأعقب ذلك بيان وقعه هو والأسقف مساعده وكهنة أبرشيته وراهباها ولقيف من العلمانيين شجبوا فيه "التهجمات الرخيصة الموجهة ضد المنظمات العاملة من اجل تطوير أوضاع الفلاحين الكامل، وضد التعذيب الذي كان الكهنة ضحيته". وكان جواب الطغمة الحاكمة ان اغتالت يسوعيا آخر (نيسان ١٩٧٧) يعمل مع الفلاحين ويدافع عن حقوقهم، وهددت الآخرين منظمة يمينية متطرفة تطلق على نفسها اسم "اليد البيضاء" بالطرد أو التصفية الجسدية.

الفلاحون.. وروميرو

لقد كانت الكنيسة - ولا زالت - الملحاً الأواحد للفلاحين الذين جافتهم الطبيعة وسحقهم استغلال الملاكين الكبار وظلم النظام المتواطئ معهم لاسيما بعد فشل مشروع الإصلاح الزراعي المعلن رسميا عام ١٩٧٦ وتعطيل مفعوله تماما بمناورات الملاكين وإرهاب العسكر. ولقهم مأساة الفلاحين السلفادوريين، لا بد من عودة خاطفة إلى التاريخ القريب.

قبل الأزمة الاقتصادية الكبرى التي اجتاحت البلاد في نهاية العشرينات وفي الثلاثينات، كانت غالبية سكان السلفادور من الهنود، ومعظمهم فلاحون يشتغلون في مزارع البن بأحور يومية. وعلى اثر هبوط الأسعار العالمية، صرف الملاكون الكبار الفلاحين اليوميين، وبذلك قطعوا عنهم كل مورد لرزقهم. فكانت ثورة الفلاحين الكبرى في ١٩٣٢ التي سحقتها الحكومة بالدم والنار: ففي غضون ٤٨ ساعة سقط ثلاثون ألف قتيل من بين الهنود، ومنعت السلطات الباقي من تلقين لغتهم الخاصة لأولادهم والظهور بملابسهم القومية وذلك لاستئصال جذورهم التاريخية وإذلالهم. فعاشوا شبه عبيد في خدمة الأسياد المنحدرين من أصل اسباني أو الهجين، ولا من يدافع عن حقوقهم وتراثهم سوى المنظمات والنقابات المسيحية مما جعل الكنيسة ورجاها الفريق الأكثر حظا بالقمع السياسي - لاسيما في السبعينات حيث طفح الكيل - (٢٥%) من الاكليروس كان عرضة، في الستين الأخيرتين، للاغتيالات والتعذيب والتوقيف والنفي).

وفي بداية ١٩٧٨ ضاعف رئيس أساقفة السلفادور روميرو من تحذيراته للسلطات الحكومية والعسكرية من نعمة الشعب بعد ثلاث مذابح جديدة ذهب ضحيتها ٤٣ فلاحا في لاس فويلتاس وفي العاصمة. وقد جاء تحذيره بعد شهر واحد من حصوله على درجة

دكتورة شرف من جامعة جورجيتاون في واشنطن تقديرا لإعماله ومواقفه إلى جانب الفلاحين. وليس هذا فقط، فطالما أبدى روميرو شكوكه من "سير العدالة" في بلاده، مما أثار حملة عشواء ضده في الصحافة الرسمية، واتهم بأنه "ماركسي مقتنع" وبأنه "يهذي حينما ينادي في كل مناسبة بصراع الطبقات".

ظل المطران روميرو، بالرغم من كل التهديدات، المدافع الصلب عن الفلاحين وحقوقهم. ولقد شبه الشعب الجريح بالمسيح المصلوب، كما فعل في خطاب ألقاه في جامعة لوفان ببلجيكا في شباط ١٩٧٩. بمناسبة منحه درجة دكتوراة من الجامعة المذكورة (وكان خطابه بعنوان "البعد السياسي للإيمان من خلال اختيار جانب الفقراء"): "لقد توجه الاضطهاد نحو الشعب الفقير الذي هو اليوم جسد المسيح في التاريخ. الفقراء هم الشعب المصلوب كيسوع"... وأخيرا صلب روميرو نفسه على صليب يسوع وصلب شعبه!

في السلفادور الدامي الذي تخضه طموحات شعب مقهور وظامئ إلى الحد الأدنى من العدالة والكرامة، تحكمه طبقة من الملاكين الجشعين والعسكريين الدمويين الراضين لكل إصلاح اقتصادي واجتماعي، والمتواطئين معا للحفاظ على امتيازاتهم الإقطاعية بكل الوسائل الإرهابية. في هذا السلفادور كان المونسنيور اوسكار ارنولفو روميرو قد اكتسب بهدوئه وصفاء نظرتة وحكمه وصلابة مواقفه، نوعا من هالة الانبياء، وكان الصوت الداوي الذي لم يرهبه قول الحق بوجه الأقوياء ومصارحتهم بفعالهم النكراء. لقد كان من رعييل مارتن لوثر كينك وهلدنر كامارا، وتعدت شخصيته حدود اميركا اللاتينية إلى العالم الثالث كله، بل إلى الكرة الأرضية بأسرها حيث أصبح الناطق باسم ملايين الناس الذين لا صوت لهم. فلقد كانت مواعظه الأسبوعية وأحاديثه عبر محطة الإذاعة التابعة لأبرشيته تعكس صورة بلده الممزق، فيطالب السلطات بالعدالة وبحقوق الشعب، ويرشد، ويشجب، ويصدر أحكامه بحق النظام والتنظيمات الشعبية، ويرفع أمام الرشاشات والحواجر المسلحة منطق العدل والعقل.. كما يفعل الانبياء إلى يوم أسكنته رصاص الذين لم يعودوا يحملون هذا الصوت المزعج!

ولكن كنيسة يقتل فيها الأساقفة، علامة على ان هذه الكنيسة لم تمت كما قال المونسنيور دانيال بيزيريل أسقف باريس المساعد.

المصادر:

(١) جريدة الجمهورية البغدادية: ٣١ آذار، ١ نيسان، ١٤ نيسان ١٩٨٠

- La Croix, 22,26,27 ars 1980, 7 Avril 1980
- T.C., 31 Mars 1980, 7 Avril 1980
- I.C.I., No. 536, 539

ش.ر./يار ١٩٨٠

الكتاب والتثقيف المسيحي

طالما تناولت الفكر المسيحي موضوع التثقيف المسيحي لتطوير أساليبه وتعميم توجهه إلى كل الأعمار والشرائح الاجتماعية وبعث روح الجدية والالتزام في طبيعته، ليأتي جادا ومرتبطا بالحياة. والاستفتاء الذي ننشر نتائجه يكشف وجهة نظر شباب، كلهم في سن الدراسة، تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين، إلى قضية ثقافتهم الدينية. ومسؤولية التثقيف المسيحي هذه - وبالتالي نوعية مسيحية الغد في قطننا - مسؤولية ذاتية إلى جانب كونها مسؤولية الأسرة والكنيسة والدولة معا، كما كشفت الأجوبة التي وردتنا ضمن عينة من ٤٠ مشاركا، ٥١٪ منهم من الذكور و٤٩٪ من الإناث، يتوزعون على مراحل الدراسة المتوسطة (٧٪)، والثانوية (٧٥٪)، والجامعية (١٨٪).

لقد كانت الأسئلة على نوعين: مغلقة، أجيب عليها بكلمة نعم أو لا، كثيرا أو قليلا... والهدف منها رصد الجهد الشخصي الذي يبذله المشارك في رعاية وتعميق ثقافته المسيحية والكشف عن مواردها، وأسئلة مفتوحة تهدف إلى استمزاز رأي المشارك في الجهات المسؤولة عن تأمين التثقيف المسيحي وحجم هذه المسؤولية.

الأب جرجس موسى القس موسى يعكس في هذا "الملف" إجابات المشاركين في هذا الاستفتاء.

- أ - هل لديك نسخة من الإنجيل؟ (٩٦٪ نعم) و (٢٪ لا)
 ب - هل قرأت الإنجيل بكامله؟ (٢٠٪ نعم) و (٨٠٪ لا)
 ج - هل تجتمع أسرتك لقراءة الإنجيل (يوميا / -) (أسبوعيا ١٪) (أحيانا ٤١٪) (أبدا ٥٨٪)

من الجدولين الأولين نستنتج ان اقتناء نسخة من الإنجيل يعد بحذ ذاته شيئا مهما، وذلك يفترض اعتزازا بهذا السفر الجليل الذي يعد، وبحق، المرجع الطبيعي الأول للتثقيف المسيحي، غير ان انخفاض نسبة الذين قراوه بكامله قد يكون مجرد دليل إلى جانب من ينظرون إلى الإنجيل كمرجع يعودون إليه للاطلاع على تعاليم يسوع، أو متى اقتضت الحاجة بعد مجادلة أو لإعداد مناقشة. بيد ان هذه الظاهرة - مع ما فيها من إيجابية - تدعو إلى التساؤل بعض الشيء. ولكن نسبة ٤١٪ (في جدول ج) من الأسر التي تلتقي بين حين وآخر - كاملة أو جزئيا - لقراءة نص من الإنجيل تدعو إلى التفاؤل، وان كنا نجهد وتيرة ذلك وطبيعة مثل هذه القراءات المشتركة.

د - من أين تستمد ثقافتك المسيحية؟

(دروس الدين ٤٠٪) (الإنجيل ٣٦٪) (المواعظ ١٣٪) (المطالعة ١١٪)

هـ - ما هو عنوان أفضل كتاب ديني تملكه (عدا الانجيل)؟

عشرة كتب دينية يمتلكها أكثر من مشارك واحد في الاستفتاء

- | | |
|-------------------|---------------------|
| حياة المسيح (١٢) | - الدين والحياة (٢) |
| سيرة القديسين (٤) | - طريق الفرح (٢) |
| قلب يسوع (٣) | - طريق الحياة (٢) |
| الشهر المرعي (٣) | - مع الرب (٢) |
| بذل الذات (٢) | - كثر العبادة (٢) |

ملاحظة: (٥١% يملكون كتابا دينيا) - (٤٩% لا يملكون أي كتاب)

و - ما هو عنوان آخر كتاب ديني قرأته؟

آخر ستة كتب دينية قرأها أكثر من واحد من المشاركين

- | | |
|------------------|-------------------------|
| الانجيل (٧) | - الصلاة في الحياة (٢) |
| دومنيك سافيو (٣) | - حياة مريم أم يسوع (٢) |
| في حضور الله (٢) | - حياة المسيح (٢) |

ملاحظة: (٤٤% قرأوا كتابا دينيا في المدة الأخيرة) و(٥٦% لم يقرأوا أي كتاب ديني في المدة الأخيرة عدا مجلة الفكر المسيحي).

ز - هل تغذي المواعظ ثقافتك المسيحية؟

(كثيرا ٥٧%)، (نادرا ٣٧%)، (أبدا ١%)، (من دون جواب ٧%).

يرينا جدول (د) ان دروس الدين تأتي في المرتبة الأولى كمصدر للثقافة المسيحية. اننا لا نستغرب ذلك حين نعلم ان ٥٨% من المشاركين في الاستفتاء هم من الذين يتلقون دراستهم المتوسطة أو الثانوية في مدارس تتضمن مناهجها مادة الدين المسيحي. وان أخذنا بعين الاعتبار هذا الإيضاح، تكون نسبة ٤٠% نسبة ضعيفة، وللسبب ذاته يمكننا إذ ذاك تقييم نسبة ٣٦% من الذين يستمدون ثقافتهم المسيحية من الانجيل تقييما أفضل مما يوحي به الرقم المعلن. وإذا ربطنا بين ذلك والأمنيات التي أبداهها المشاركون في ان يكون التعليم الديني والمواعظ أكثر استلهاما للانجيل وبمناهج شرح وتطبيق له، لرأينا ان الانجيل يكتسب الأهمية الأولى والأساسية لعملية التثقيف المسيحي، وعليه يجب التركيز في تطوير أساليب التربية المسيحية. وحين قمنا بنسبة الذين يستمدون ثقافتهم من الموعظة إلى ١٣% فقط (بفارق ٢٣% وهو فارق كبير) فالعبرة ليست بعدم جدوى هذا الجانب من التعليم -والشاهد النسبة المحترمة من المستفيدين منه بحسب جدول (ز) - بقدر ما هي في فقر المادة المقدمة.

أما المطالعة، فهنا ما يدعو إلى القلق، ليس بالدرجة الأولى لضآلة من يقرأون -فتلك معضلة يعاني منها مجتمعنا كله- بل لضحالة ما يقرأ الذين يقرأون! فمن بين ٨٠ كتابا ذكر

المشاركون انهم يمتلكونها، هناك ٤٠% منها كتب تقوية ضحلة تتضمن كتب شهر قلب يسوع والشهر المريمي وعددا من النشرات الهزيلة الآتية عن طريق المراسلة مجانا. وإذا أضفنا إليها حصة كتب الصلوات والترانيم البالغة ٦% أصبحت النسبة ما يقارب النصف، وهذا لوحده دليل على سوء التغذية الدينية الملفت للنظر. وإذا جاءت الكتب الدينية "المعاصرة" بعدها مباشرة، فهي، مع ذلك، لا تشكل سوى الثلث (٣٢%). بينما يتوزع ما تبقى على سير المسيح ومرم (٧،٥%) وسير القديسين (٧،٥%) والقصص الدينية والتاريخية (٥%)، ولا يحتل الحوار المسيحي - الإسلامي سوى ٢%. و "سوء التغذية" الذي اشرنا إليه يبدو أكثر في الجدولين (هـ) و (و) حيث الغياب التام (ما خلا عنوانين أو ثلاثة من الكتب الروحية إلى جانب الانجيل) للعنصر الثقيفي الجاد. أو يكون ذلك لغياب مثل هذه الكتاب في السوق - ونحن نفتقر حقا إلى مراكز لتوزيع الكتاب المسيحي بصورة عقلانية وثابتة - أم لعللة مزمنة تقعدنا عن المطالعة الجادة - لاسيما إذا كانت المادة دينية - أم لنقص في التوجيه إلى مثل هذه المنشورات التي قد تثير أسئلة جديدة وتعيد النظر في قناعات موروثها! قد يكون الجواب في كل هذه العناصر مجتمعة.

أما الأسئلة المفتوحة فيمكن تقسيمها إلى أربعة أبواب بحسب الأجوبة التي جاءت تؤكد ان مسؤولية الثقيف المسيحي تتوزع بين الأسرة (لاسيما في الصغر)، والشخص المعني نفسه، والكنيسة، والدولة (عبر مدارسها وسياستها التربوية).

مسئولية الأسرة

- هل يتحمل الأهل مسؤولية ثقيفك الديني؟ وعلى م تقوم هذه المسؤولية في نظرك؟

لم يفهم هذا السؤال بصورة صحيحة. فقد أخذ معظم الذين أجابوا عليه بمعنى: هل للأهل مسؤولية في ثقيفك الديني من حيث المبدأ؟ ومن منطلق هذا الفهم جاءت الأكثرية الساحقة من الأجوبة على الشق الأول: نعم طبعاً.

أما الذين فهموا السؤال ببعده الحقيقي (٢٥% من المشاركين فقط)، أي هل، في الواقع، يتحمل اهلك عملية ثقيفك الديني فعلاً؟ فكانت غالبية الأجوبة بين "كلا" و "قلماً!" مما يوحي لنا بأهمية المسؤولية الشخصية في مراحل البلوغ، إلى جانب خطورة دور الأهل في مرحلتَي الطفولة والحداثة.

أما على الشق الثاني من هذا السؤال: "على م تقوم مسؤولية الأهل في نظرك؟" فلقد جاء "التوجيه والإرشاد" في المرتبة الأولى (٦٥%) من الإجابات. ولقد وصف بعضهم ان هذا التوجيه والإرشاد يجب ان يشمل "شرح ما لا افهمه من نصوص الانجيل والإجابة على جميع الاستفسارات والأسئلة المهمة" (ب.م. ب-بغداد)، و"ان يعلموا أبناءهم ان يحبوا بعضهم بعضاً ويحبوا الناس" (زينة-بغداد). وطالبت سميرة (بغداد) "بتوفير مكتبة عائلية صغيرة تحتوي على الكتب الدينية المهمة". بينما أشار نجاح (نينوى) إلى ان هذه المسؤولية "تنتقل من متابعة الأبوين لأولادهم.. وتترجم في قيادتهما لذاقهما..".

في المرتبة الثانية يأتي مثل الوالدين - فهو جزء مكمل للتوجيه والإرشاد- "إذ عليهم ان يجسدوا ما أقره واسمعه من صفات المسيحي الحقيقي، "ويا ليت كل الأهل يكونون قدوة لنا في اكتشاف نور الله" (حاتم - تلكيف). "أهم المثل الأعلى لنا" (صباح - اربيل). أليست مسؤوليتهم تقوم على "أساس التعليم بالكلام والتعليم بالمثل" (سناء - بغداد).

في المرتبة الثالثة جاء دور الأهل في حث أولادهم وتشجيعهم على المشاركة في الطقوس الدينية أو اصطحابهم إليها كجزء من واجباتهم التربوية. ثم تلى ذلك أهمية إفساح المجال لارتداد مراكز التثقيف المسيحي من ندوات ونشاطات دينية مختلفة. ولاحظنا من سياق الأجوبة ان الأهل يفسحون مجالاً أوسع لأولادهم من الذكور للاستفادة من قنوات التثقيف المسيحي خارج البيت والمدرسة. وغني عن القول كم ان ذلك يؤثر على نضوج الفتاة وثقتها بنفسها. أليس إذن "تثقيف الأسرة هو النواة الأساسية لتثقيف الأبناء" (أزهار - قره قوش).

المسؤولية الشخصية

• هل ترى ضرورة ان تبذل جهداً شخصياً لتوسيع ثقافتك المسيحية؟ وما هي الدوافع التي تحملك على ذلك؟

إلى الشق الأول من هذا السؤال، جاءت جميع الأسئلة ايجابية، وأكدت ان الجهود الشخصية ليست فقط ضرورية لتوسيع الثقافة المسيحية، بل هي الشرط الأساسي لكل نضوج في الإيمان. يقول موفق (كر كوك): "كل مسيحي يجب ان يتحمل مسؤوليته ويتقن نفسه بنفسه". ويؤكد آخرون على ان من لا يطور ثقافته بجهوده الشخصية، تراوح في محله: "إذا لم اعتمد على جهودي الشخصية، فمستوى ثقافتي المسيحية لن يرتفع عن الصفر كثيراً" (حاتم - تلكيف). ورأى آخرون الجهود الشخصية تصبح ضرورة ملحة "عندما ينعدم مثل هذا الجهد لدى الأهل، أو عندما تجاهبه الكنيسة صعوبات أو ضوابط تمنعها من إيصال الثقافة المسيحية لكل شخص بالرغم من جهودها" (ناثر - بغداد).

وإذا اقم البعض تقاعس الأهل إزاء الجهود الكنسية المبذولة، فغيرهم يعيدون الكرة باتجاه الفريق المهاجم ويشيرون إلى السلبيات التي تحفزهم على بذل جهود شخصية استثنائية منها: "١ - قلة كفاءة الكهنة ٢ - إهمال الكنيسة التعليم المسيحي ٣ - اقتصار الشرح على الآراء الكلاسيكية وترك الآراء الجديدة" (عماد - بغداد). على كل حال تبقى عملية التثقيف الذاتي -لكي ترسخ صاحبها في قناعاته الإيمانية وتتجسد في سلوكيته والتزاماته- عملية استمرارية واستعدادا للبدائيات أبدا: "... ولكنني في بعض الأحيان اشعر وكأنني بعيدة عن الدين فأحاول البدء من جديد، لئلا أضيع" (وجدان - بغداد).

ولكن لماذا ينبغي توسيع الثقافة المسيحية؟

(زيادة المعلومات والاطلاع ٥٠%) و(تطوير الحياة المسيحية والقناعات ٣٢%)
و(لاكتشاف حياة المسيح ١١%) و (للمناقشة والإجابة ٧%)

من هذا الجدول نرى ان الدافع الأول -وذلك أمر طبيعي في كل عملية تثقيفية- هو الاطلاع وزيادة المعلومات و"معرفة كل شيء عن ديني الذي افتخر به دائما" (ف.م.ي- عينكاوة)، وذلك "للوصول إلى المفهوم الصحيح" (رقاد - بغداد) و"اكتشاف ما كنت اجهله في السابق عن المواقف التي رسمها لنا المسيح لنسير عليها. فانا اشعر بضرورة ان أغير ذاتي... (رم-بغداد). ويتساءل عادل (الشيخان): "أليس الجهل في مسيحيي نقصا في مسيحيي؟" ... وهناك أيضا "الرغبة الملحة الدائمة لاكتشاف ما يجري في العالم المسيحي" (نادية- بغداد)، والرغبة في "فهم جوهر المسيحية لأستطيع نقل صورة حية صادقة عن أصول ديانتني" (هئلة - الموصل)، "لاسيما ونحن نعيش في بلد عربي" (غانم - بغداد).

السبب الثاني لتوسيع الثقافة المسيحية لدى المشاركين في الاستفتاء هو ان مثل هذا التعميق يصبح هو الأساس لتطوير الحياة المسيحية والقناعات الدينية الشخصية (٣٣% من الإجابات). أليس ان "الدين هو العمود الفقري الذي نبي عليه حياتنا" (سالي - بغداد). ان رؤية واضحة لأسس الإيمان ومنطلقاته هي "غذاء حقيقي للروح.. ونبع ثقة بالنفس" (مها - بغداد).

وقد رأى البعض الآخر (١١% من الإجابات) ان التوسع في الثقافة المسيحية تحركه عندهم رغبة في "اكتشاف حياة المسيح للاقتداء به" (لينا - بغداد)، وفهم انجيله بحيث "تكون قريين من الانجيل، ونقرب الانجيل الينا" (بيداء- بغداد). تلك عودة إلى الينايبع نستقي منها "قوة الإيمان لنفوسنا" (هند - بغداد) وقدرة تحملنا على الالتزام بحيث "تكون مسيحيين حقيقيين ومواطنين صالحين يقتدي بنا غيرنا" (صباح - قره قوش).

اجل، ان في "جلد" كل شاب مسيحي مقتنع من إيمانه رسول ينتظر فرصته ليشع وينشر الانجيل: "انا ابذل جهدا شخصيا لتوسيع ثقافتي المسيحية لانني أرى ان كنيسة اليوم، لظروف خاصة، تبدو قاصرة بعض الشيء عن أداء دورها التثقيفي كالسابق. ولعل ما يدفعي هو لتثبيت وجودي كمسيحي مؤمن يريد للكنيسة ان تتجدد كل يوم، كما انني أريد المساهمة، ولو بقسط يسير، في هذا التجدد" (لويس قره قوش).

وهناك فئة رابعة (٧%) تحفزها على تعميق ثقافتها المسيحية بمواجهة "المواقف الحرجة" (زفارت - كركوك) في المناقشات والإجابة على الأسئلة المطروحة.

مهولة الكنيسة

لاشك ان الكنيسة -من حيث هي مؤسسة وظيفتها الأساسية نشر التعليم المسيحي والشهادة الحية لمبادئ الانجيل- تتحمل القسط الأوفر من مهمة التثقيف المسيحي. وان كان من الطبيعي ان تساهم الأسرة -لاسيما في الطفولة- في هذه المهمة، فلا يجوز بأي شكل من الأشكال ان "تتقاعد" الكنيسة عما يشكل "قاعدة" وجودها ورسالتها التبشيرية. ولها ان تستخدم جميع وسائل التعليم المتاحة -وفي نظرنا كل باب لم يغلق فهو باب مفتوح- ولا تتردد من ان تطرق أبوابا جديدة وتستعين بتقنيات النشر والاتصال الحديثة.

• ما رأيك لو تستخدم الكنيسة وسائل جديدة للتثقيف المسيحي؟ (نصوص الانجيل على الكاسيت، أفلام دينية، إصدار سلسلة كتب دينية، محاضرات دورية عامة، حلقات دراسية، سهرات انجيلية الخ ...).

(أفلام دينية ٢٣%) و (سلسلة كتب ٢٠%)، (محاضرات دورية عامة ١٦%)، (سهرات انجيلية ١٥%)، (حلقات دراسية ١٢%)، (انجيل على كاسيت ٩%)، (نشرات جدارية ٥%).

من هذا الجدول نستدل على ان الصورة المتحركة (الفيلم) تستهوي الناس دوماً أكثر من سواها -لنفكر فقط بعدد رواد السينما ومدمني التلفزيون. ففي غياب الفيلم الديني -وتعذر انتاجه- ينبغي التركيز على الوسائل الثلاث التالية:

١ - إصدار سلسلة كتب دينية تعالج مختلف القضايا الانسانية والمسيحية بأسلوب منفتح وفكر واع ملتزم.

٢ - تنظيم محاضرات دورية عامة، وتشجيع وتطوير ما يتحقق منها هنا وهناك.

٣ - تحقيق أسلوب السهرات الانجيلية في الأسر أو في مراكز كنسية. وسر نجاح مثل هذه السهرات يكمن في انها لا تتقيد بـ "بروتوكولات" المحاضرات الرسمية، وانما هي مناقشات (شعبية) حرة حول نص من الانجيل، يحاول المشتركون فهمه معاً وعكسه على حياتهم اليومية وسلوكياتهم في المجتمع وتعاملهم مع الأحداث.

أما بشأن الليتورجيا والاحتفالات الكنسية، فهناك حوالي ١٧% لم يجيبوا لانهم لم يفهموا السؤال، وحوالي ٢٥% من الإجابات أخذت عبارة "الحفلات الكنسية" الواردة في السؤال الثالث بمعنى الحفلات الاجتماعية أو الثقافية التي تقام في نطاق النشاطات الكنسية. أما الذين فهموه بمعنى الاحتفالات الدينية الطقسية، كما يقصد السؤال، فإذا غلب عليهم رأي القائلين بان الليتورجيا والطقوس الدينية يمكن اعتبارها مجالاً ملائماً للتثقيف المسيحي، فقد ابدوا بصراحة انها، في وضعها الحالي، مجرد مراسيم روتينية (بيداء - بغداد) عاجزة عن ان تجذب الشباب؛ ان فاعليتها منوطة "بان تكون منظمة تنظيمياً دقيقاً" (جورج - قره قوش)، ولكنها، على كل حال، غير كافية بحد ذاتها (سنا - بغداد) ولا يمكن اعتبارها المجال الوحيد (نجاح - نينوى).

أما الاقتراحات لكي تكون الليتورجيا غذاء حقيقياً للحياة المسيحية، فكانت ثلاثة: ١- المشاركة الفعلية ٢- ترجمة الصلوات وتطويرها بما يلائم حاجتنا الروحية اليوم ٣- الموعظة، على ان تكون "جيدة" وقريبة من الحياة. وقد اقترح بعضهم فترة للمناقشة بعد القداس.

مسؤولية الهولة

• هل تعتبر ان تامين التعليم المسيحي ضمن المدرسة حق لك عليها؟

في ما يخص الشق الأول من السؤال، من المعلوم ان قوانين وزارة التربية الحالية تجعل مادة الدين إلزامية وشاملة لكافة الطلبة المسلمين في القطر - في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية- وتحتسب درجات هذه المادة في الامتحانات. أما بالنسبة إلى الطلبة المسيحيين، فلا تشملهم مثل هذه الإلزامية إلا إذا شكلوا الأكثرية في المدرسة. وبعد إلحاق المدارس الخاصة بالوزارة وصدر هذا القانون، وجدت مدارس رسمية عديدة في العاصمة وفي القرى المسيحية مشمولة بهذا القانون. ولكن هذه المدارس لا تغطي كافة الطلبة المسيحيين في القطر، وهناك أعداد غفيرة منهم -لاسيما في مرحلتَي المتوسطة والإعدادية- لا يتلقون أي تعليم مسيحي ضمن المدرسة لكونهم أقلية.

تؤكد أجوبة الاستفتاء على ان "من حق أي انسان" ان ينال ثقافته الدينية بصورة منتظمة، وتجمع على ان "تعميم" التعليم المسيحي لكل الطلاب المسيحيين "في كافة أنحاء القطر"، "مهما كانت النسبة" و "في جميع المراحل الدراسية والمدارس"، "أسوة بإخوانهم وزملائهم المسلمين" يعتبر "حقا طبيعيا وممارسة للديمقراطية والحرية والمساواة" التي يضمنها الدستور لجميع المواطنين على حد سواء، مهما كان معتقدتهم الديني.. هذا الحق ما هو إلا تطبيق لفكر وسياسة حزب البعث العربي الاشتراكي ويتفق تماما مع سائر توجيهات وممارسات الثورة بقيادة الرئيس القائد صدام. لذا جاءت الاقتراحات واضحة وواثقة تحت المسؤولين في الكنيسة لتكثيف جهودهم وتوحيدها "لطلب من وزارة التربية" وحتى "مقابلة السيد رئيس الجمهورية الذي لم يوجب طلبا إذا اقتضى الأمر"، لتعميم مادة الدين المسيحي في مدارس القطر كافة -ولا سيما في المراحل الابتدائية كخطوة أولى- مهما كانت نسبتهم. وقد أوضحت بعض الاقتراحات ان بالإمكان ان تعطى هذه الدروس على شبه محاضرات أسبوعية بالاتفاق مع وزارة التربية أيام الجمع -كما كان الحال مع طلاب وطالبات المتوسطة والثانوية حتى منتصف الستينات- ولكن كيفما كانت صيغة تطبيق هذا الاقتراح، فقد شدد المشاركون على ان يكون أساتذة التعليم المسيحي -سواء كانوا كهنة أم علمانيين- ذوي اختصاص وكفاءة، وان تكون الكتب والمناهج جديدة ومنفتحة على عالم اليوم وقضايا الانسان ولا يكون التعليم المسيحي مجرد معلومات عقائدية غيبية. ومن اجل إعداد كادر مؤهل، اقترح الكثيرون إقامة دورات إعدادية لمدرسي التعليم المسيحي.

أما أهم البدائل المقترحة في غياب هذا التعليم عن المدارس فهي:

١ - المحاضرات الدورية الخارجية ٢ - طبع كتب ونشرات ٣ - فتح مراكز للتعليم المسيحي تابعة للكنائس ٤ - الاهتمام بالليتورجيا والاحتفالات الدينية وتطوير المواعظ لتصبح تعليما يدعو إلى الالتزام، لا إلى التخدير والضحك.

من هذه الدراسة نخرج بحصيلة ايجابية ذات أهمية كبيرة وهي الانتباه الحقيقي، بل الاهتمام الذي يوليه الشباب تجاه موضوع ثقافتهم المسيحية. فنحن لسنا أمام "طبقة" من المجتمع لم يعد يهمها أمر الدين بشيء، كما يدعي بعض "الفقهاء"، بل تضعه في مرتبة

اهتماماتها الجادة الأساسية. ولكن هذه "النية الطيبة" يلاقيها ضعف في الخبرة الدينية وفي معرفة المصادر الجادة التي بوسعها ان تغني ثقافتهم المسيحية، فيضيع هؤلاء، إذ ذاك، في السطحيات أو يقعون على عطشهم. وقد يكون مرد ذلك ضعف في التوجيه، أو غياب في التنسيق، أو عجز مزمن في فهم طموحات هؤلاء الشباب وتلبية انتظاراتهم.

فإشباع هذا "العوز الروحي" وإثراء الخبرة والثقافة المسيحتين لدى الشباب المسيحي، نركز مجدداً، وبدورنا، على تضافر جهود ثلاثة هي:

١- الجهد الشخصي: فهو ضروري وأساس في عملية التثقيف المسيحي، ويختار ذلك في التعبئة الذاتية عن طريق المطالعات والمشاركة في الندوات والنشاطات التثقيفية المسيحية وفي الليتورجيا والطقوس الدينية، وعن طريق وضع كل ما تتعلمه فيها على محك الواقع في الممارسة والتعامل مع الأحداث.

٢- جهد الأسرة: ويتلخص في التوجيه والإرشاد، ليس في سنوات الطفولة وحسب، بل في عهد الشباب أيضا -ولربما أكثر- ولكن بأسلوب يعتمد المثال الحي واحترام شخصية الأبناء والإقناع. وهذا ما يضع موضوع "تثقيف الأسرة" ذاتها كمدخل إلى تثقيف الأبناء.

٣- جهد الكنيسة: ودورها خطير في هذا الشأن. ويتضمن فتح دورات وندوات ومراكز للتثقيف المسيحي، وتأمين التعليم الديني بشتى الوسائل السمعية والبصرية المتاحة من نشر وصحافة وتسجيل وصورة، وتطوير الليتورجيا والاحتفالات الكنسية، ولاسيما القداس، -بالترجمات والمشاركة الجماعية والمبادرات- لتكون إطارا حيا وجذابا للصلاة والخبرة الدينية.. وربط كل ذلك بالحياة وبقضايا الانسان، لان ما يلزم ان نصل إليه في التالي هو بناء "الانسان المسيحي الواعي الملتزم".

ان تضافر الجهود الثلاثة وتنسيقها، مع ما يعني ذلك من تجنيد كل الطاقات المنتجة في الكنيسة، من كهنة وعلمانيين وراهبات، هو الذي سيتحكم في مستقبل المسيحية ونوعية هذا المستقبل في قطرنا!

كانت آخر زيارة بابوية لفرنسا زيارة بيوس السابع لتتويج نابليون امپراطورا في باريس عام ١٨٠٤. وعاد البابا نفسه إلى فرنسا، ولكن أسيرا لنابليون هذه المرة بعد ان جرده من ممتلكاته وفرض عليه الإقامة الجبرية في فونتينبلو، ولم يعد إلى روما إلا سنة ١٨١٤.

منذ ذلك التاريخ لم تدس قدما بابا ارض فرنسا، حتى جاءها يوحنا بولس الثاني في زيارة لباريس العاصمة (٢٠ ايار - ٢ حزيران) لا ليتوج امپراطورا، بل ليلتقي كنيسة لا تخاف من ان تمزج الإيمان الأصيل بالروح النبوية النقدية. وإذا كان يوحنا بولس الثاني قد ذهب إلى هذه الكنيسة بشيء من الحذر، فقد عاد منها بالتفاؤل والتقدير والارتياح.

وإذا نعتنا زيارة البابا لفرنسا بزيارة الاستكشاف "تعال وانظر"، فرحلته إلى البرازيل (٢٠ حزيران - ١٢ تموز) يمكننا وصفها "برحلة التحديات". ذلك لان البرازيل - وهي أكبر بلد كاثوليكي في العالم من حيث العدد مع ١٠٥ مليون كاثوليكي من أصل ١١٥ مليون - هي أيضا بلد التناقضات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الصارخة. فنظامها السياسي لا يُضرب به المثل في الديمقراطية، بل القمع والتصفيات الجسدية من صفاته اللاصقة. وال ٣٦٨ أسقفا ليسوا كلهم من طينة ايفارستو أرنس وهلدنر كامارا ...

يوحنا بولس الثاني أراد ان يتحدى التناقضات ويسمي الأشياء بأسمائها كما يفعل الانبياء!

تعال وانظر!

"لم أكن اظن ان الفرنسيين مشتاقون إلى هذا الحد لرؤية هذا البابا. لا، لم أكن أتوقع ذلك قط!" يوحنا بولس الثاني صرح بذلك في مقابلة أجراها معه راديو الفاتيكان وصحيفة اوسرفاتوري رومانو عقب عودة قداسته من رحلته إلى فرنسا. أو لم ينسب احدهم إلى البابا البولوني قوله مرة: "لست ادري ماذا يجري في رؤوس هؤلاء الفرنسيين!".

ذلك لان تخوفا صامتا كان يسري في ممرات الدوائر الرومانية من الروح الاستقلالية والزرعة النقدية وحب المبادرات الجرئية والرائدة التي تنصف بما كنيسة فرنسا. قمة وقاعدة - على غرار شعب فرنسا نفسه عامة - وكان يخشى ان لا تلقى زيارة بابا روما الترحيب اللائق. ففرنسا ليست لا ايرلندا ولا بولونيا... ولا احد ينكر ما لكنيسة فرنسا وللثقافة الفرنسية من تأثير بليغ على الكنيسة الجامعة ككل، وعلى عدد كبير من الكنائس المحلية، ولقب "ابنة الكنيسة البكر" الذي تنعت به فرنسا لم يخلع عليها جزافا؛ وقد أشار إلى ذلك قداسة البابا نفسه في المقابلة المذكورة: "ان الكنيسة الجامعة، والكنيسة الكاثوليكية، والمسيحية مدينة حقا بالكثير لكنيسة فرنسا ولشعب فرنسا، ولقب [ابنة الكنيسة البكر] المعطى لكنيسة فرنسا له ما يبرره بعمق".

هذه الكنيسة جاءها يوحنا بولس الثاني حاجا "ليزور ويشجع كاثوليك فرنسا" وليستمع إليهم^(١) وينظر بأمر عينيه كيف تعيش هذه الكنيسة إيمانها وتحاول تطعيمه وتجديده دوما، من دون ان تنقطع عن جذع الكنيسة الجامعة ولا ان تغرب عن مجتمع، هي جزء جوهرى من تاريخه وتكوين شخصيته، يعتز بحريته واستقلالته؛ كنيسة لا تريد ان تتنكر لتطلعات الانسان المعاصر وطموحاته المشروعة في عالم يتحرك ويحيا ويتجاوز ذاته كل يوم. وفي هذا لم تحب آمال البابا، ولا البابا خيب آمالها! فدينامية كنيسة فرنسا المتميزة بالانتران والجرأة في ان واحد، وواقعية البابا فويتوا أهمتا هذا الأخير ان يجعل من زيارته لفرنسا، ليس فقط فرصة التعرف على التجربة الفرنسية في ممارسة الإيمان والالتزام الانجيلي، والالتقاء "بالروح الفرنسية" على حد تعبيره هو نفسه، بل جعل من فرنسا منبرا يعلن منه للعالم عقيدة الكنيسة في الانسان وكرامته، ويلفت النظر، كما يفعل أب محب وغيور، إلى بعض من أهم القضايا الروحية والرسولية التي تم رسالة الكنيسة في عالم اليوم - ألم تكن أهداف هذه الزيارة "رسولية وراعوية" كما حددها بنفسه.

لقد سأل فرنسا المسيحية في القديس الذي أقامه في مطار بورجيه أمام حشود قدرت ببضعة الآلاف، وكانه كاهن يقبل تجديد مواعيد المعمودية في حورنيته: "اسمحوا لي ان أسأل: يا فرنسا، يا ابنة الكنيسة البكر، هل انت أمينة لمواعيد عمادك؟".

في تجواله المكثف ولقائه المختلفة، استطاع البابا ان يجمع عناصر الجواب لسؤاله هذا. فلقد التقى بالأساقفة في "اجتماع قمة" استمع فيه إلى تقرير صريح حول "الواقع المعقد لكنيسة فرنسا" قدمه عميد مجلس الأساقفة الكردينال اتشيغاراى حيث كلمه عن "روح العلمنة" الذي يفتح المجتمع الفرنسي، وحدثه عن ظاهرة "عودة الله" إلى عالم الشبيبة، وعن دور العلمانيين في انعاش كنيسة فرنسا، وعن رغبة الحركات المسيحية في ان تجعل "كل الانجيل في كل الحياة". لقد حدثه عن الطباع الفرنسية الخاصة^(٢) وعن الصعوبات التي تلاقها كنيسة فرنسا وأساقفتها وقال: "يلزمنا الكثير من الحرية الباطنية كي لا نرتبك أمام أية جماعة هامشية أو استفتاء ما. يلزمنا الكثير من روح الدعاية أمام أشكال اللوم المتناقضة الموجهة ضدنا...".

لقد التقى البابا بالعلمانيين والراهبان والراهبات ورأى بنفسه وصلى مع حشود المؤمنين البسطاء الذين يتغذون من منبع هذا "الإيمان المسيحي" الذي فيه من الأصالة أكثر من العاطفة السطحية العابرة. لقد التقى بالعمال في قداس خاص أقامه لهم في حي عمالي شعبي وكلمهم عن قيمة الحياة وكرامة المرأة ودور الأسرة وعن الأغنياء والفقراء وعن قيمة العمل - هو الذي اشتغل عاملا يدويا مدة سنتين - وقال لهم بان "عاملا واحدا يساوي أكثر من ذهب الدنيا". كما انه شجع الكهنة والعمال في الاستمرار في تجربتهم الانجيلية الغنية - وكان البعض يتخوفون من ان يتحفظ البابا تجاه هذه التجربة.

التقى يوحنا بولس بالشباب، وكان عددهم ٥٠ ألف شاباً وفتاة جاءوا ليستمعوا إليه في بارك الأمراء من كل أنحاء فرنسا، ولدى رؤيته عفويتهم الغنى خطابه المقرر وأجاب

شفهيا ومباشرة على عشرين من أسئلتهم حول المسيح والكنيسة وعن قيمة الجسد والجنس وحول دوره هو بالذات كبابا، وابدئ أسفه لعدم تمكنه من الإجابة إلى كل الأسئلة المطروحة.

التقى بممثلي الكنائس المسيحية الشقيقة وبرجال الدين المسلمين الذين يهتمون بشؤون العمال العرب، وحتى بممثلي الاحزاب الماركسية والعمال المهاجرين...

في أربعة أيام ألقى يوحنا بولس الثاني على ارض فرنسا ٢٥ خطابا وموعظة، وأمام مستمعين من مختلف الأعمار والاتجاهات والمواقع الاجتماعية والفكرية، من مؤمنين وملحدين وفضوليين أيضا، من رجال حكم ومثلي دول. عماذا تكلم؟ في فذلكة كهذه، لا نستطيع حصر المواضيع التي تحدث عنها، لاتساعها وشموليتها، غيرانه بالإمكان تنسيقها تحت مظلة عناوين رئيسة ثلاثة هي: الانسان، المجتمع، الكنيسة.

ومن كل ذلك عاد يوحنا بولس الثاني، متعبا ولكن فرحا، إلى روما، ليعد رحلته الأخرى إلى البرازيل وفي جعبته هذه الحصيلة: "فيما يخصني، اشعر بانني مدين للكنيسة التي في فرنسا للشهادة الرائعة التي قدمتها لي".

(١) قبيل زيارة البابا لفرنسا وجهت جريدة لأكروا وإذاعة وتلفزيون لوكسمبورج نداء بعنوان "اكتبوا إلى يوحنا بولس الثاني ونحن نقل". وقد حملت آلاف الرسائل ليس كلمات الترحيب وحسب، بل اقتراحات وآراء وأسئلة - ومنها ما يتصف بالحدة - إلى البابا القادم من روما.

(٢) في رسالة مفتوحة نشرها الكردينال اتشيفاراي في صحيفة "باري ماتش" عشية الزيارة بعنوان "أيها الأب الأقدس، هذه هي فرنسا وهذه هي كنيستها"، جاء: "أيها الأب الأقدس، عندنا الجيد وعندنا القبيح. عندنا ما يموت وما يحيا. اننا لا نشبه بلدك بولونيا. هناك أمور روحية كثيرة مما عندكم قد تلاشت عندنا. ولكن في بلدنا أشياء جديدة، حبلت بالمستقبل الروحي، تولد وتعود إلى الحياة، مما لم تحسب التوقعات حسابه..".

البابا في البرازيل: رحلة التحديات

تعتبر البرازيل (٨,٥٠٠,٠٠٠ كم^٢ = نحو ٢٠ مرة أكبر من العراق) التي زارها البابا من ٣٠ حزيران إلى ١٢ تموز ١٩٨٠ أكبر بلد كاثوليكي من حيث عدد الكاثوليك فيه (١٠٥ مليون من مجموع ١١٥)، وتضم أكبر عدد من الأساقفة في العالم (بعد إيطاليا): ٣١٨ أسقفاً، بينهم ٣ شرقيون، ويخدمها ١٤٠٠٠ كاهن و ٣٨٠٠٠ راهبة، وتعتمد على ٨٠٠٠٠ جماعة قاعدية. مجلس الأساقفة هو من أقدم المجالس الأسقفية في العالم، فقد تأسس قبل المجمع عام ١٩٥٢، وكان أول سكرتير له المطران هلدر كامارا الشهير.

وكنيسة البرازيل كنيسة قريبة من الشعب ودور العلمانيين فيها دور حيوي وواسع. أما بالنسبة إلى النظام الحاكم فهي تمثل صوت النبوة والمعارضة: وإذا ما تردد بعض الأساقفة زماً في اتخاذ المواقف الحازمة، فالأكثريّة الساحقة بينهم ترفع صوتها عالياً اليوم بوجه المظالم السياسية والفروقات الاقتصادية والاجتماعية، وعديدة هي الرسائل العامة والمنشورات الأسقفية التي تعالج القضايا الاجتماعية. هذا بالإضافة إلى برامج تطويرية ترعاها الكنيسة مباشرة لتحسين أوضاع الفلاحين وفضح أساليب الاستغلال الرأسمالي والشركات المتعددة الجنسيات. وطالما وضع الأساقفة أنفسهم في محك هذا النضال كالمطران هلدر كامارا وأسقف ساوباولو وسانتو اندري الذي اشترك شخصياً مع عمال المعادن في إضرابهم في نيسان الماضي.

ولكن مثل هذه المبادرات جلبت على الكنيسة نقمة السلطة الدكتاتورية. ففي كانون الثاني ١٩٧٩ نشر أساقفة ساوباولو تقريراً حول القمع الذي خضعت له كنيسة البرازيل في السنوات العشر الأخيرة كانت حصيلته: ١٢٢ راهبا (بينهم ٩ أساقفة) أوقفوا، ٢٣٣ مسؤولاً علمانياً و ٧ كهنة اغتيلوا، ٢٩ عملية تفتيش، ٣٤ عملية تعذيب ضد الرهبان، ١٨ حالة تهديد بالتصفية الجسدية، ٩ حالات اختطاف، حالات ضغط على ٣٠ أسقفاً من بينهم الكردينال ارنس (ف. م. عدد ١٥٦د)، المطران هلدر كامارا محامي الفقراء والفلاحين الذي قتل معاونه.

إلى جانب هذا الالتزام الانساني الذي جعل من كنيسة البرازيل كنيسة الشعب، فهي تسير، من جانب آخر، في خط المجمع بيات، سواء كان ذلك في قضايا الليتورجيا أم التثقيف المسيحي أم في تطوير وسائل العمل الراعوي في الأوساط الفلاحية والعمالية أم في تبسيط العلاقة بين القمة والقاعدة وتبني مبدأ المشاركة في الإدارة واتخاذ القرارات.

هذه خطوط عريضة من وجه كنيسة البرازيل التي ذهب للقائها يوحنا بولس الثاني، لذا اكتسبت رحلته صفة التحدي، سيما وقد كان عليه ان يلتقي، لا بممثلي هذه الكنيسة وحسب، بل بمسؤولي النظام الحاكم أيضاً ويكشف بنفسه ضحايا هذا النظام.

لقد حاول يوحنا بولس الثاني طيلة جولته ان يكون لسان حال الطبقات المقهورة التي هي أكثر من غيرها متعطشة وبم حاجة إلى التغيير. ففي خطابه الجوابي لكلمة رئيس الجمهورية لدى وصوله، أكد البابا على الطابع الراعوي والرسولي لزيارته ثم دعا جميع من هم "في خدمة الخير العام للأمة" إلى المبادرة إلى احترام حقوق "الانسان البرازيلي" وتحقيق "الإصلاحات الضرورية التي من دونها لا يمكن لأي مجتمع يحترم ذاته ان يتقدم".

هذا وكان قد استه قد بدأ زيارته بقداس في الهواء الطلق حضره حوالي ٧٠٠,٠٠٠ شخص، زار بعده الرئيس خوان فيغريدو في مقر الرئاسة. وكانت اللجنة الراعية الأسقفية قد أبدت استغرابها عشية الزيارة كيف ان الحكومة "تسهل زيارة البابا بكل الوسائل المتاحة في الوقت الذي تقمع فيه نشاط الكنيسة لصالح المقهورين". ومن جانب آخر سلم مطران غوياس رئيس لجنة الرسائل الهندية رسالة إلى البابا وقعها ٥٠ من زعماء الهند (١٨٠٠٠٠ في البرازيل) يبدون فيها امتعاضهم من الاحتفال الفولكلوري الهندي المقرر ان يشاهده البابا في حين تمان كرامة إخوانهم وتغتصب أراضيهم ويقتل زعمائهم. وقد دعا الموقعون البابا إلى زيارة وادي غوابور "ليرى هندو نامبيكوارا الذين يعيشون وضعا مشابها للاحتي بيافرا". في أعقاب هذه الرسالة طلب البابا إلغاء "الحفل الهندي" المقرر، وقبل ان يترك العاصمة برازيليا، زار سجن بابودا ٠ ومن هنا طار إلى مدينة بيلواوريزونتي (١ تموز) حيث أقام قداسا أمام مليون شخص (سكان المدينة ٣ ملايين) معظمهم من الشباب. وفي غضون هذا القداس أفرغت الأكياس التي كانت تحتوي على البطاقات التي سلمها شباب فرنسا للبابا في بارك الأمراء بباريس لدى زيارته الأخيرة ليسلمها إلى شباب البرازيل، وقد حملها البابا في طائرته كموزع بريد أمين!

لقد أثار البابا حمية الشباب عندما قال: "لقد تعلمت ان الشاب المسيحي يكف عن ان يكون شابا، وليس هو مسيحي منذ زمن طويل، حينما ينساق وراء عقائد وايدولوجيات تعلم الحقد والعنف. ولقد تحققت من ان الشاب سرعان ما يشيخ بصورة خطيرة عندما ينخدع بهذا المبدأ السهل الذي بموجبه "الغاية تبرر الوسطة"، أو عندما يأخذ بالاعتقاد بان الأمل الوحيد لتطوير المجتمع هو في الصراع والحقد بين الفئات الاجتماعية، في مثالية طوباوية لمجتمع من دون طبقات، سرعان ما يخلق طبقاته الجديدة. ولا يخفى ما في ذلك من تنويه واضح إلى الشيوعية التي يتحدث عنها البابا حديث عليم خبير، هو القادم من بولونيا.

في ريو دي جانيرو (٢٢ تموز) قضى البابا ليلتين واستقبل بعثة تمثل أحياء التنك المثة التي تحيط بالمدينة كحزام من البؤس والعار. ولقد كانت إحدى المراحل الأكثر انفعالا للبابا تجواله في احد هذه الأحياء "فافيلا فيديغال" المشرف على الأحياء الغنية من المدينة، والذي استطاع سكانه، بتضامنهم ومقاومتهم الجماعية، ان يجهضوا مشروعا حكوميا كان يقضي بدمد أكواخهم. غير ان السلطات كانت، بحجة الأمن، قد أفرغت معظم منازل الحي في يوم زيارة البابا ومنعت الأساقفة من مرافقته في جولته، وعمت وسائل الإعلام البرازيلي بشكل فاضح على أخبار هذه الزيارة. وفي معبد الحي تحدث البابا عن "كنيسة الفقراء وكنيسة جميع الناس"، وندد بانانية الأغنياء وقال مخاطبا الغني: "عليك ان تبحث عن سبل العطاء، كيف تنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية وكل قطاعاتها بحيث تعطي هذه الحياة المساواة بين البشر، ولا تحفر هوة بينهم. فكنيسة الفقراء ليست كنيسة طبقة معينة أو طائفة عصبية". هذا وقد استلم البابا رسائل وعرائض من السكان طلبت إحداها ان يتدخل من اجل تأسيس الماء والكهرباء والمجاري في الحي.

في ريو أيضا رسم البابا ٧٠ كاهنا في قداس أقامه في ملعب البلدية، واستقبل وفدا يمثل منظمة أساقفة أميركا اللاتينية "سيلام" الذي انشيء في ريو بالذات عام ١٩٥٥، ومن

خلالهم خاطب جميع أساقفة القارة اللاتينية ودعاهم إلى إعطاء العلمانيين "دورهم لا سيما في النضال والقيادة ضمن الاحزاب السياسية وممارسة الوظائف العامة ليتحرر الرعاة من هذه الالتزامات كي يتفرغوا للدعوة الانجيلية". وبذلك يكون يوحنا بولس الثاني منسجما، مرة أخرى، مع ذاته في التمييز بين "الوظيفة الروحية" للأساقفة والكهنة و"الوظيفة الزمنية" للعلمانيين، وعدم رغبته في ان يلتزم رجال الدين شؤون السياسة.

في ساوباولو (٣ تموز) كان لقاء البابا الأكبر مع العمال (١٢٠٠٠) الذين لم يتح لهم مثل هذا التجمع منذ وقت طويل. وقد القي فلاديمير روسي (٤٦ سنة)، وهو عضو نقابي واحد مسؤولي العمل الرعائي في ساوباولو، باسم العمال، خطابا إلى "الرفيق يوحنا بولس" شكاه فيه من ظروف الحياة القاسية للعمال البرازيليين الذين يناضلون "من اجل الحصول على أجور اقل ظلما، وظروف عمل أفضل، ومن اجل نقابات حرة ومستقلة". ولما ذكر اسم رفيقين له، سانتوس ديا وريمونديو بيريدا، اغتالتهما السلطة مؤخرا، أجهش في البكاء - وهو نفسه ذاق السجن والتعذيب مدة ٥ أشهر - فهتف العمال بملء حناجرهم: "الحرية، الحرية!" وفي جو مشحون بالتأثر أحاب البابا مدافعا عن حرية النقابات والحق في توزيع عادل للخيرات التي ينتجها العمل وعن الحق في العمل والكرامة.

من ساوباولو انتقل البابا إلى ابارسيداد (٤ تموز)، ومن ثم إلى كوريتينا (٥ تموز) حيث استقبل ١٨ امرأة أرجنتينية يمثلن ما يدعى هناك بـ "بجنونات أيار" وهن أمهات أشخاص اختفوا ولا يعرف عنهم شيء. وقد وعد البابا بعمل كل ما بوسعه لدى الحكومة الأرجنتينية من اجل إعادتهم إلى ذويهم. ويوم ٦ تموز كان البابا في ساوسلفادور دي باهيا حيث زار مصححا للبرص، وحيا أحياء التنك وحث سكانه على عدم الاستسلام للبؤس: "لا تقولوا: ان الله يريد ذلك، بل غيروا واقعكم". وفي اليوم التالي كان ضيف "المطران الأحمر" هلدركامارا في ريسيف، هذا الذي لم يترك منبرا في العالم إلا وفضح من أعلاه مظالم النظام الحاكم. "ان الأرض هبة من الله، ولا يجوز ان تحتكر لمصلحة أقلية ما"، قالها يوحنا بولس أمام ٨٠٠٠٠ شخص في ريسيف وعانق المطران كامار طويلا تأييدا لنضاله. وقد اهدى احد الفلاحين للبابا قبعة القروية الواسعة.

من ريسيف انتقل الموكب البابوي إلى تيريزينا وبيليم (٨ تموز)، ومن هناك إلى فورتاليزا (٩ تموز) حيث اشترك البابا في اجتماع عام لجميع أساقفة البرازيل، وافتتح أعمال المؤتمر القرباني الوطني بقداس أقامه في ملعب كاستلاو. وفي هذا الملعب ذاته، وقبل قدوم البابا، تسبب الازدحام بتحطم إحدى البوابات مما أودى بحياة ٣ أشخاص (وقيل: ٧) وجرح ٢٠ آخرين. وكانت آخر مراحل الزيارة البابوية في ماناوس (١٠ تموز) حيث وجه نداءه الأخير إلى السلطات المدنية كي تحترم حقوق الهنود وتراثهم، هم "السكان الأوائل والأصليون لهذه البلاد". ويذكر ان البابا كان قد قام برحلة نهرية في نهر الأمزون في قلب الغابة العذراء.

ترك يوحنا بولس الثاني البرازيل يوم السبت ١١ تموز عائدا إلى روما بعد أطول رحلة عالمية قام بها (١٣٠٠٠ كم) وفي عينيه عالم من الذكريات والمشاهد، وفي قلبه كنيسة مجاهدة إلى حد الاستشهاد من اجل الانسان المقهور وشعب عفوي الإيمان جانع إلى قيم الحق والعدل.

ش.ر/آب - ايلول ١٩٨٠

كنيسة العالين على طريق الثورة

عاد الحديث من جديد إلى احتمال قيام البابا يوحنا بولس الثاني بزيارة، في ٢٠ الحالي، إلى الفيليبين "البلد المسيحي الوحيد في آسيا" بعد أن كان قد أرجأها في العام الماضي بسبب الأوضاع السياسية والأمنية التي تتخبط فيها البلاد، وثلاً يستغلها النظام السياسي لأهدافه الدعائية.

فبالفعل، كان الرئيس ماركوس وقرينته قد أشاعا أن البابا آت بدعوة منهما ليبارك يوبيل زواجهما الفضي، ووعدت زوجة الرئيس ببناء كنيسة، بهذه المناسبة، تبلغ تكاليفها مئة مليون بيزوس، كما عرّمت على بناء فيلا خاصة ليقوم فيها البابا أثناء زيارته!

إزاء هذه الادعاءات، تحرك الكردينال سين رئيس أساقفة مانيلا وعميد مجلس الأساقفة، يندد بالمشروع الذي لا يمكن إلا أن يؤول إلى استغلال لأموال الشعب، وقال بان الأحرى بزوجة الرئيس أن تحول هذه المبالغ لبناء مساكن شعبية للمحرومين. وأكد بان الزيارة البابوية، إنما تأتي تلبية لدعوة أساقفة البلاد.

مهما يكن من أمر، وسواء جاء البابا أم لم يجرى، فإن المهم هو كيف تعيش كنيسة الفيليبين إيمانها والتزامها في بلد أسوي يضم لوحده ٤٠ مليون مسيحي من مجموع ٦٥ تضمهم القارة في مجموعها، وفي خضم مليارين ونييف من أتباع الديانات الأسوية التقليدية ومن المسلمين والمحدثين؟ كيف تعيش هذه الكنيسة التزامها في بلد تشكل فيه الكثافة الأكثرية الساحقة (٨٥٪)، وتحت ظل حكم دكتاتوري يتبعج هو الآخر بانتمائه إلى هذه الكنيسة؟

هذا ما سيحاول الكشف عنه الأب جرجس القس موسى في هذا الملف.

النظام الحاكم والمعارضة

في ٢١ من أيلول الماضي طوى الشعب الفيليبيني ٨ سنوات من الحكم العربي الذي فرض عليه بحجة السيطرة على الأوضاع الأمنية ومقاومة الشيوعية. وعض ان يسود الأمن والاستقرار وتقتلع الشيوعية من البلاد، اقتلعت هذه الإجراءات كل مظهر ديمقراطي من الحياة السياسية، وضربت المعارضة ولجمت كل نشاط نقابي أو مناقشة عامة، بينما كرسرتمت حكم الفرد الواحد هو الرئيس الدكتاتور فرديناند ماركوس الذي يحكم البلاد منذ ١٦ سنة بعضا من حديد، معتمدا على الجيش وعلى طبقة من الانتهازين وذوي القربى الذين سلمهم معظم المراكز الحساسة في الدولة والأمن، والذين تضخمت جيوبهم حتى التحمة -وفي مقدمتهم زوجة الرئيس نفسها التي تمارس تأثيرا كبيرا على قرارات زوجها السياسية- على حساب شعب مهوور نصفه يعيش في أوضاع اقتصادية ما دون الفقر. ولقد جعل ماركوس من محظوظي النظام هؤلاء قاعدته السياسية التي حاول، دونما نجاح كبير، تحويلها إلى حزب سياسي في إمرته باسم "حركة المجتمع الجديد".

ولكن نقمة المحرومين لا يمكن ان تمتص إلى ما لا نهاية، والمعارضة لا بد ان تنفجرعنا، وحتى مقاومة مسلحة، لاسيما في بلد مبعثر جغرافيا كالفيليين. وتصب المعارضة في تيارات ثلاثة: "إسلامي - ديني" في الجنوب، "أيدولوجي ماركسي" يتزعمه الحزب الشيوعي، و "ثوري - إصلاحي" يتمثل في موقف الكنيسة الكاثوليكية.

حركة المورو الإسلامية

في الفيليين مليونان ونصف المليون مسلم اعتنقوا الإسلام قبل الغزو الاسباني، يسكنون جنوب البلاد، في جزيرة مينداناو وفي أرخبيل سولو المجاور لإقليم صباح الاندونوسي. وهم يعانون من أوضاع اقتصادية واجتماعية لا يحسدون عليها، ولبعدهم عن المراكز التجارية الكبرى وعن العاصمة مانيلا (الواقعة في الشمال)، فهم لا يحظون باهتمام الدولة كثيرا. ولقد خلق حرمانهم هذا، معززا بشبه عزلتهم الجغرافية واختلافهم في الانتماء الديني - مع ما يرافق هذا الانتماء من خصوصيات ثقافية واجتماعية مختلفة - عن إخوانهم في الشمال، خلق لديهم شعورا بالنقص والتبعية تحول إلى رغبة في التحرر والاستقلال. وتجدد هذه الرغبة، على الصعيد السياسي، حركة مسلحة في الجنوب تدعى "جبهة تحرير مورو" الإسلامية وهي تطالب بالاستقلال التام. ويقال ان الحركة تضم حوالي ٢٠٠٠٠ مسلح يقومون بأعمال عسكرية ضد الأهداف الحكومية والمنشأة العامة والجيش النظامي في حرب عصابات تستمر منذ ٨ سنوات. ويبدو ان نصف الجنود المحترفين وقوى الأمن والشرطة الحكوميين البالغ عددهم نحو ١١٠ آلاف يعملون في جزيرة مينداناو وأرخبيل سولو. ولقد كانت ضحايا هذا الصراع، منذ ١٩٧٢، نحو ٣٠٠٠٠ قتيل من الطرفين.

ولما كان قادة النظام الحاكم في الشمال على المسيحية - وكذلك الغالبية الساحقة من السكان - صور البعض ان الصراع بين الشمال والجنوب ضرب من الحرب الدينية، وهو ليس كذلك، بل انما هو، ككل صراع سياسي يخوضه شعب مستضعف، صراع مهوورين ضد طبقة حاكمة مستبدة.

المقاومة الشعبية الشيوعية

إلى جانب "جبهة مورو"، هناك "الجيش الشعبي الجديد" وهو الجناح المسلح للحزب الشيوعي الفيليين السري ذي الرعة الماوية الماوية للصين - وقوامه من ألفين إلى ثلاثة آلاف مسلح - وهو يعمل منذ عشر سنوات في المناطق الجبلية في الشمال (جزيرة لوزون)، والوسط (جزيرة سامار)، والجنوب (جزيرة مينداناو). وهو الآخر يستهدف المصالح الحكومية ويقوم بعمليات خاطفة كاستيلاء على أسلحة المعسكرات وأهداف اقتصادية مختلفة في الأماكن النائية.

وإذا كانت الصحافة ووسائل الإعلام الرسمية تتعمد الصمت عن هذه الحوادث التي تشتد ضراوتها بصورة ملفتة للنظر منذ سنتين، فقد اضطر الرئيس ماركوس إلى الاعتراف،

في سياق خطاب ألقاه في ذكرى الاستقلال، بان المعارضة تنطلق من الأوساط السياسية والاجتماعية المختلفة وحتى من صفوف الشعب والعمال والفلاحين. وتجدر الإشارة إلى ان الكنيسة (أساقفة وكهنة وعلمانيين) تلعب دورا هاما ومعلنا، أكثر فأكثر، في دعم هذه المعارضة النشطة وتنظيمها. وهذا ما يفسر التوتر القائم بين النظام الحاكم والسلطة الكنسية

الكنيسة ضمير الأمة وصوت الفقراء

لموقف الكنيسة النقدي تجاه السلطة ما يبرره في الأحداث اليومية. ذلك ان النظام الحاكم لم يجد ما يجابه به المعارضة المتزايدة سوى الأحكام العرفية التي تسود البلاد منذ ١٩٧٢، هذه الأحكام التي أصبحت سيفا ذي حدين بيد السلطة، حيث أهدأ بحجة المحافظة على النظام، أحالت البلاد ميدانا من السلاح والمسلحين، فضاعفت أعمال القمع والإرهاب ضد كل صوت مناوئ؛ وتبدو الكنيسة، أكثر فأكثر، المرجع الوحيد الذي بوسع ان يندد بهذه الأوضاع.

عنف وتصفيات

يقول جوزيف ليمان^(١) ان السائح الاعتيادي ينخدع بالمظاهر ولا يرى دوما ما يشير إلى حالة العنف التي تعيشها البلاد، ولكنه يستطرد في تقريره قائلا: "عليك ان تتوقف في هذه القرية، وتكسب ثقة أهاليها، وتستمع إليهم، لتعرف كيف وُجد فرانثيسكو زويلو، مثلا، من بلدة بامبوجان، أب لخمسة أطفال، مقطوع الرأس تحت جذع نخلة، وذلك بعد بضع دقائق من إلقاء القبض عليه في داره على يد ستة من رجال الشرطة". ويذكر الصحفي بعض ما شهده أو سمعه في جولاته من اختطاف فلاحين وتعذيبهم، إلى تصفية آخرين على قارعة الطرق، إلى اغتصاب نساء أو إذلالهن "لخدمة" العسكريين. وليست تلك حالات منفردة أو شاذة! فالهيئات الكنسية تكشف النقاب عن مئات من هذه الحوادث شبه اليومية، ولقد أوردت "مجلة الشرق الأقصى الاقتصادية" ان هناك ٥٤٠٠٠ شكوى رسمية ضد مثل هذه الأحداث، فضلا عن الضحايا الذين يسكتون خوفا من ردادات الفعل الانتقامية. من جهة أخرى كشف تقرير نشرته وزارة الدفاع الأميركية نفسها في شباط ١٩٧٧ - ومعلوم ان نظام ماركوس صنيعة من صنائع أميركا وركيزة من ركائزها السياسية الاقتصادية في الشرق الأقصى - كيف ان ٦٠٠٠٠ شخص القي القبض عليهم بين ١٩٧٢ و ١٩٧٧. كما أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أيضا ان الفلبينيين في عهد ماركوس تأتي في مقدمة بلاد جنوبي - شرقي آسيا في انتهاك حقوق الانسان.

لانهم أمناء للانجيل

لا غرابة، والحالة هذه، ان تكون الكنيسة إلى جانب الفقراء والمقهورين وصوت من لا صوت لهم، تعلن الحقيقة بوجه السلطة وتفضح سياستها. لذا، فليس من سبيل الصدفة ان تستهدف قوات النظام العسكرية، في عملياتها القمعية، رجال الكنيسة والشباب المسيحي الملتزم، الذي يساهم بصورة مباشرة في إرساء جماعات القاعدة في الكنيسة، هذه الجماعات التي باتت تشكل أولى الأولويات في العمل الراعوي وتجديد كنيسة الفلبينيين؛ ومثل هذه

المواقف تشكل تحدياً للكنيسة التي لا تخفي تعاطفها مع الشعب المغلوب ومساندة حركات التغيير في أهدافها الوطنية والانسانية المشروعة.. بحيث أخذت تلعب، وبمسؤولية، دور ضمير الأمة. وعندما نعرف ان هذه الكنيسة تضم مجلس أساقفة من ٩٠ أسقفاً، يعاونهم ٤٤٣٠ كاهناً، نصفهم من الرهبان، و٧٠٠ راهبة، وأنها تمارس وظيفتها الانجيلية ودورها القيادي، ليس عبر قنواتها الرسولية والراعوية المعتادة وحسب، بل عبر مؤسساتها وهيئاتها الرهبانية والعلمانية والإعلامية والاجتماعية والتعليمية الواسعة (١٥٧٠ مدرسة و ١٢ جامعة...)، وأنها تعتمد على قاعدة شعبية مؤمنة تشكل أكثر من ٨٥% من مجموع السكان.. فحينئذ نعرف مدى قوة الكنيسة وتأثيرها، وبالتالي يمكننا ان نقيس قوة التحدي الذي تمثله مواقف الكنيسة تجاه القادة السياسيين والنظام الحاكم.

تدرج في الوعي والالتزام

ولكن موقف الكنيسة لم يكن بهذا الوضوح منذ البداية، ولا ردات فعل السلطة الكنسية كلها من ذات المعدن الذي يلهم مواقف المطران تودود أسقف ماراوي الذي يرفض، وجماعة من زملائه في الأسقفية، كل تعاون مع النظام القائم.

ان ثماني سنوات من الأحكام العرفية والكبت السياسي خلقت متغيرات جذرية في الروح والقناعات، وان اختفت وراء واجهة من الإيمان الشعبي التقليدي الذي تعود إليه غالبية الشعب. وهناك جناح تقدمي، بل ثوري، فاعل ونشط جداً، بين صفوف الاكليروس والعلمانيين المجاهدين، تزعمه المطران كلافر أسقف مالابالا، قد دفع كنيسة الفيليبين في طريق الالتزام والتوعية تدريجياً، مما ضاعف في مصداقية الكنيسة وتأثيرها على الجماهير. ولكنه ضاعف أيضاً فرص الاصطدام مع السلطة.

فبعد تردد في اتخاذ موقف موحد من الأحكام العرفية وتزوير الاستفتاءات والانتخابات، نجح الجناح التقدمي في مجلس الأساقفة في استصدار رسالة راعوية عامة في تموز ١٩٧٣ أشارت إلى النقص في إعلام الشعب وغيابه عن القرارات التي تؤخذ بحقه. وفي عام ١٩٧٤ تقدم المجلس بخطوة أخرى حين طالب الرئيس ماركوس خطياً "بتقصير مدة الحكم العرفي والعودة إلى حكومة دستورية". وفي ١٩٧٦ قاطع بعض الأساقفة ورؤساء الرهبانيات الاستفتاء العام؛ وفي السنة ذاتها طفح الكيل عندما طردت الحكومة أربعة مرسلين، وألقت القبض على ٧٣ علمانياً من المجاهدين، وأغلقت محطتين إذاعيتين تابعتين للكنيسة و ٣ صحف كاثوليكية، فكان ذلك كالقشة التي قصمت ظهر البعير حيث توحد مجلس الأساقفة وأصدر رسالة عامة مشتركة قاسية اللهجة في ك ٢ ١٩٧٧ ندد فيها بسياسة القمع والحكم العسكري الدكتاتوري والعقبات التي يضعها النظام في طريق الرسالة الانجيلية.

ووقفت الهيئة العامة للرهبانيات الرجالية والنسائية موقفاً حازماً ضد تعسفات السلطة، سيما وان الأساقفة نشروا مؤخراً رسالة عامة أخرى يفضحون فيها فساد

المؤسسات الحكومية وانتهاك حقوق الانسان. وجاء في الرسالة تفهمها للجوء بعض الفئات إلى العنف لان "الاستبداد واضح ولقد طال أمده".

وفي أيلول ١٩٧٩ شهر الكردينال سين رئيس أساقفة مانيلا هجوما عنيفا، في مقابلة له مع الإذاعة البريطانية، ضد نظام ماركوس وضد الأحكام العرفية التي قال بانها ستفضي إلى الحرب الأهلية، إذا لم تلغ، وإذا لم يعد الرئيس ماركوس عن تعنته ويعود بالبلاد إلى وضع سياسي طبيعي عن طريق انتخابات عامة حرة.

لقد عرفت البلاد خمس جولات انتخابية واستفتاءية على الأقل منذ إعلان الحكم العرفي، كانت آخرها الانتخابات الفرعية في ٣٠ ك ٢ الماضي، ولكن "كيف يعقل ان تكون هذه الانتخابات حرة في ظل حكم القوانين العرفية؟" هكذا يتساءل المطران فرناندو كابالا أسقف ايليغان في جزيرة مينداناو الذي عمم رسالة راعوية وقعها مع لفيف كهنته دعا فيها الناخبين إلى التفكير "ضميريا" بجدوى الإدلاء بأصواتهم، وجاء في الرسالة: "لم نتعلم أي شيء من الماضي؟ السننا نوجه الاهانة إلى انفسنا باشتراكنا في هذه المهزلة الجديدة".

هذا وكان الكاردينال جيم سين عميد مجلس الأساقفة قد صرح في وقت سابق بان "الشعب لم تعد له ثقة بالحكومة"، ولا بالعسكريين "لانه يخاف منهم"، ولا بالحكام "لانهم لم يعودوا يحكمون بالعدل". ويشكل موقف الكردينال سين -الذي يعرف بحكمته واطرانه وبشجاعته وسداد موقفه في ان واحد- يشكل موقفا "ثوريا وسطا"، إذا صح القول، بالنسبة إلى مجموع الأساقفة. فهو، إذا قبل بالمجاهة والتحدي، يفضل ان تكون هذه المجاهة "نقدية ايجابية" تجبر الخصم على التغيير والإصلاح، ولا يميل إلى استخدام سلاح العنف. وبصفته عميد الكنيسة الفيليبينية يشعر بان لهذه دورا أساسيا ونبوي في تقويم البلاد، وبانها المؤسسة الوحيدة التي لها من القوة ما يتيح لها مجاهة الحكام وتغيير النظام.

كنيسة الفقراء

لقد بدأ التزام كنيسة الفيليبين بمحاربة الفقر بعد المجمع الفاتيكاني الثاني. وتشكلت النواة المنظمة الأولى عام ١٩٦٥ من ثلاثين كاهنا انشأوا "سكرتارية وطنية للعمل الاجتماعي" هدفها القيام بمشاريع صغيرة للإعلانات الاقتصادية وتطوير العمل الجماعي والتعاونيات، وذلك في إطار نظرة جديدة إلى دور الكنيسة في المجتمع. وبعد إعلان الحكم العرفي تطور الاهتمام بتوعية الجماهير وتنظيم الجماعات والعمل من اجل العدالة الاجتماعية والحقوق المدنية. وهكذا أصبحت هذه الجماعات تدريجيا قواعد مقاومة ضد أساليب النظام الحاكم.

على هامش هذه النشاطات الاجتماعية - السياسية (وقد يكون بعضها تطرف في "مواقفه الثورية" واختياراته الايديولوجية)، هناك نواة "كنيسة قاعدية نبوية" في حالة ولادة هادئة، يمكننا ان نسميها حقا "كنيسة الفقراء"، وقد شهدنا تحيا في جزيرة سامار الصحفي الفرنسي جوزيف ليمان الآنف الذكر:

في أبرشية كالبايوك يعيش الكهنة تماما كما يعيش جيرانهم ولا يتميزون عنهم لا في زريبتهم القشية، ولا في لباسهم، ولا في وجبات الرز اليومية الثلاث. يجتمعون مرة في الشهر

للصلاة والتداول معا حول ريكاردو تانشينكو (٤٦ سنة) الذي يعتبر روح هذه الجماعة، وقد كان قبل عام ونصف فقط أسقف الأبرشية، أما اليوم فهو كاهن قرية صغيرة للصيادين.

في سامار حيث التضامن وثيق جدا بين الكهنة وأساقفتهم، هناك ٣ أبرشيات أخرى تحذو حذو كالبايوك. ولقد تجلّى هذا التضامن في عيد الميلاد الماضي عندما اضرب جميع كهنة الجزيرة عن إقامة القداس من ١٠ ك٢٠ - ٢٠ ك٢، وحتى في يوم العيد، احتجاجا على إلقاء السلطات القبض على احد زملائهم، الأب كارديناس. وقد علق المطران أنجل هوبايان أسقف كاتارمان ورئيس الكاهن المعتقل على هذا "الإضراب" قائلا: "أي معنى مسيحي كان سيكون للاوخارستيا، وهي احتفال المحبة والرجاء والسلام والعدالة في حين يتألم ظلما ابناء الكنيسة - والأب كارديناس واحد من آلاف؟"

لاشك ان وضع سامار حالة فريدة، ولا يمكننا اعتبارها مقياسا لسلوكية عموم كنيسة الفيليبين في هذا المضمار. فالتعددية في المواقف وطرق الالتزام الانجيلي ووسائل الشهادة المسيحية واردة، بل طبيعية وعلامة صحة، في كنيسة الفيليبين كما في سائر الكنائس، حيث تتغذى كلها من الانجيل. ولكن مثال سامار علامة رجاء ومؤشر أمل بعيد المعاني في هذه الكنيسة الشاهدة.

هوية الفيليبين

تتكون الفيليبين من ٧١٠٠ جزيرة مبعثرة في الزاوية الآسيوية من المحيط الهادي بين بحر الصين شمالا وغربا، واندونيسيا جنوبا. يقطن هذه الجزر التي تحتل مساحة ٤٥٢م٣٠٠٠٠٠ مليون نسمة، معظمهم كاثوليك، مع اقلية اسلامية. نصف السكان لم يتجاوزوا الخامسة عشرة، ونسبة الزيادة السكانية تبلغ ٣١٪.

احتلتها الاسبان عام ١٥٢١ ولقرابة ٤٠٠ سنة فاعطوا لها اسمها الحالي وطابعها المميز اجتماعيا وسياسيا ودينيا، مما يجعلها شبه بجسم اسيوي بلباس لاتيني. وهذا ما يفسر اوجه الشبه الكثيرة بين الفيليبين ودول امريكا اللاتينية التي، هي الاخرى، مستعمرات اسبانية قديمة. نالت استقلالها عام ١٩٤٦ بعد ٢ سنوات من الاحتلال الياباني وقرابة ٥٠ سنة من السيطرة الاميركية (١٨٩٨-١٩٤٣).

السواد الاعظم يسكن الريف، غير ان مانيلا، العاصمة، تعتبر اضعم تجمع سكاني بملايينها الستة، وثالث هذا العدد يسكن الزرائب ويوت التنك.

اما من الناحية الاقتصادية فلبلاذ موارد طبيعية لا يستهان بها كالنحاس والنيكل والنفط الذي يؤمن ٢٠٪ من الاستهلاك المحلي واتجاهه أخذ في الازدياد. كما ان الفيليبين تعتبر رابع دولة مصدرة للسكر، وتأتي في المرتبة الاولى في تصدير منتجات الجوز الهندي، ولها انتاج ضخم من الرز، غير ان الاقتصاد الوطني معرض للافات الطبيعية كالفيضانات والزلازل، وهو ليس بمعزل عن الازمات الدولية سيما وانه ربيب لشركات الملية المتعددة الجنسيات وانه متجه اساسا نحو التصدير. ولقد بلغت نسبة التضخم في العام الماضي ٣٠٪.

ملف/تشرين الثاني ١٩٨٠

(١) في هذا الملف اعتمدنا بصورة رئيسة تحقيقا ميدانيا قام به الصحفي الفرنسي جوزيف ليمان في مطلع هذا العام نشر في مجلة "I.C.I." (عدد ٥٤٧).

- + وجهة نظر في السينودس/ش.ر. /ك ٢- شباط
- + ادولفو بيريز اسكيفل - نوبل للسراج /ش.ر. آذار
- + على نزال فلورنسا / شهادة/نيسان
- + الجماعة المسيحية والمدينة / ايار
- + ابعده من روما والقسطنطينية / ش.ر. /ت ٢
- + ملائكة الرحمة /طاولة/ ت ٢
- + كنيسة العراق بين الواقع والطموح/ ك ١

وجهة نظر في السينودس

لم يكن مفر من أن يقع السينودس في الإشكال الذي يثيره اليوم خطاب الكنيسة الأخلاقي في الأسرة والجنس. أو لم تكن مواضيع منع الحمل ووضع المطلقين المتزوجين ثانية ومشكلة قبولهم ورفضهم في شركة الاسرار تنصدر المفاهيم التقليدية حول العائلة وموقع الجنس بالذات في الحضارة المعاصرة، هي المحاور المهيمنة على مناقشات السينودس؟ أو لم يكن ظل رسالة بولس السادس "في الحياة البشرية" وكل الجدل الذي اثارته حول وسائل المنع مخيمين على المؤتمرين؟ فقد صرح الكردينال راتزينغر، سكرتير السينودس، في خطابه الافتتاحي بحضور البابا: "إن الإنسان، باستعماله الوسائل الكيماوية للسيطرة على التوتيرة الطبيعية للإخصاب، يتجاوز بصورة خطيرة حدود تأثيره على الطبيعة".

مثل هذا القول العلني من مسؤول سينودسي رسمي، وفي مدخل اللعبة، كما يقال، يعتبر بمثابة رفض معلن لكل مناقشة جادة تمس جوهر القضية.

ولكن آباء السينودس لم يفهموا كلهم الأمر كذلك، والحمد لله، فقد ألقى الكاردينال هيوم رئيس أساقفة ويستمنستر سؤالا ضحكما على ضمائر زملائه حين أعرب عن تساؤله:

"لماذا يكون استعمال موانع الحمل أمرا غير أخلاقي في حد ذاته؟" كما إن الأسقف الكندي لبيل قال: "نحن لسنا عصبية من الصيادلة يتناقشون في أمر الحبوب! إن ما يهمننا في

الدرجة الأولى هو نوعية العلاقة بين الزوجين"، وقد عني بذلك أن اهتمام الكنيسة يجب أن يستهدف نوعية الحب البشري ضمن احترام الأشخاص والعطاء المتبادل الكامل والانفتاح على الحياة، من دون الدخول في مجالات تمس التقنيات. أليس هذا هو معنى الوالدية المسؤولة التي تحدثت عنها رسالة بولس السادس؟ فقد جاء في الورقة التي قدمتها للسينودس حركات علمانية تعنى بشؤون الأسرة "كالحياة الجديدة" و"نساء ورجال في الكنيسة": "إن اختيار وسائل المنع الفاعلة والملائمة للزوجين أمر يعود، ليس إلى شريعة طبيعية مزعومة تمثلها السلطة الكنسية، بل إلى حرية المؤمنين الشخصية، ممارستها في نطاق اختيار واع ضمن الكنيسة".

فالمطلوب إذن ليس مجرد "تحديث" لغة ومفردات رسالة بولس السادس، كما جاء في مقترحات بعض الآباء، بل تحديث مفاهيمها بما يليق بكرامة الإنسان وحرمة ومسؤوليته -فردا وأسرة- ووضع "لاهوت إيجابي للجنس" كما أعرب المطران الأمريكي برناردين. إلى جانب ذلك أشار أساقفة العالم الثالث إلى إن تحديد النسل قد تستخدمه بعض الأنظمة الدكتاتورية كوسيلة إيديولوجية إلزامية للسيطرة ولتحويل الأنظار عن سوء سياستها التربوية والاقتصادية، وقد يكون مجرد مؤامرة رخيصة الثمن تحركها الدول الصناعية ضد الدول الفقيرة للتوغل في استغلالها وحرمانها من الأيدي العاملة التي تحتاجها لنهضتها والتوصل من المسؤولية.



في يوم من الأيام أفاق الصناعي والعالم الكيماوي السويدي الفريد نوبل (١٨٣٣-١٨٥٦) مكتشف الديناميت- وقد تحول اكتشافه من طاقة تخدم الإنسان إلى قوة هتاكة تهدد حياته وأمانه- فانشأ جائزة سنوية تمنح لكل من يقدم خدمات جليلة لرفاه الإنسانية وتقدمها في مجالات الفيزياء والكيمياء والطب والفيزيولوجيا والآداب والسلام.

وكانت جائزة السلام لعام ١٩٨٠ (حوالي ٢٠٠,٠٠٠ دولار) من نصيب المناضل الأرجنتيني ادولفو بيريز اسكيفل.

الأب جرجيس القس موسى يحكي قصة هذا المناضل.

من هو ادولفو بيريز؟

ولد "النوبل" الجديد في بوينس ايرس عاصمة الأرجنتين عام ١٩٣١. وبعد إكماله دراسة الفنون البلاستيكية تعين أستاذاً أعلى للنحت في المدرسة الوطنية للفنون الجميلة في مدينة لابلاتا المجاورة. وفي تلك السنة عنيها تزوج من عازفة بيانو ومولفة موسيقية كان لها الأثر الكبير في حياته العملية، ورزقا ثلاثة أطفال. ولم يثنه تدريسه ولا المحاضرات التي كان يلقيها في عدة مدارس من تنظيم معرض فني لأعماله نالت الإعجاب والجوائز التقديرية العديدة. ولا زالت بعض أعماله تحتل مكانا مرموقا في عدة مدن ومتاحف في الأرجنتين. ففي تلك الفترة كان هم الأكبر استيحاء تراث القارة الأميركية ما قبل كولومبس لإحيائه، والغرض منه إغناء الشخصية الأميركية بأصالتها الخاصة بها.

ولكن تفاقم الوضع السياسي في الأرجنتين، لاسيما بعد انقلاب ١٩٦٩ العسكري واكتشاف ادولفو قوة اللا عنف كطاقة معنوية فاعلة للتحرر، خلقا في حياة الفنان الشاب منعطفا ثوريا نحو الالتزام الاجتماعي في الواقع المعاش. فقد صرح في ذلك بقوله: "في فترة من الخلق والاهتداء ترسخ إحساسي في اتجاه أميركا المعذبة، فانا جزء لا يتجزأ من أحزائها ومعانيها وآمالها. وتوجه ادولفو المسيحي المقتنع نحو التعمق الروحي مستلهما أصول نضاله من قراءة الإنجيل ومن غاندي رسول اللا عنف. واللاعنف عند ادولفو لم يكن تنصلا من مسؤولية ولا هروبا من بطش باطش: انه اللاعنف الثوري الذي يمكن أن يقود إلى الاستشهاد، كأبي نضال عادل وعنيد.

معركة يومية... ونضال عنيد

بهاتين العبارتين يمكن إنجاز حياة ادولفو بيريز في السنوات العشر التي قادته من ساحات أميركا اللاتينية ومعتقلاتها إلى أوصلو لتسلم جائزة نوبل للسلام في العاشر من كانون الأول ١٩٨٠.

ففي عام ١٩٧٣ تكرر دوره القيادي لحركة اللا عنف عندما أنشأ في بوينس ايرس صحيفة "سلام وعدل" الدورية و "مكتب عمل اللاعنف في أميركا اللاتينية"، وصار

يساهم بصورة مكثفة في نشاطات الحركة في أرجاء القارة اللاتينية. وفي أعقاب مؤتمر الحركة الثاني في ميدلين (كولومبيا) عام ١٩٧٤ - وكان المؤتمر الأول قد عقد عام ١٩٧١ - انتخب ادولفو اسكيفيل منسقا عاما لحركات اللاعنف في أميركا اللاتينية ضمن "مكتب السلام والعدل" الذي انشيء تنفيذًا لمقررات هذا المؤتمر الذي ضم ٦٥ مندوبا عن ٢٢ بلدا. وقد جاء المؤتمر غداة استيلاء بينوشي وزمرته على زمام الحكم في شيلي (أيلول ١٩٧٣) وفي وقت كانت جزم العسكر وبنادقهم تنشر العنف في أرجاء القارة، مما ضاعف في تصميم المؤتمرين على اعتماد إيمانهم المسيحي المستنير أساسا لدينامية نضالهم و"عملهم النبوي" ولفضح كل حالات الظلم والاستلاب.

وانطلق المنسق العام لحركة اللاعنف حال عودته من المؤتمر في نضال عنيد من اجل حقوق الإنسان الأميركي اللاتيني المسحوق، وشن مع رفاقه حملة مركزة تطالب الحكومة الإكوادورية بتملك الفلاحين أراضي زراعية ليفلحوها بحرية، وتناشد الحكومة البوليفية أن تعلن العفو العام. كما حث ادولفو من منبر صحيفته "سلام وعدل" -وقد أصححت الناطقة باسم "مكتب التنسيق"- حث الأساقفة الأرجنتينيين على الخروج من فطنتهم المزعومة أمام تردي الأوضاع الاجتماعية في البلاد، ودعم تلك المبادرة بالصوم. وفي ١٩٧٥ سافر إلى باراغواي حيث قاد حملة لصالح الجماعات المسيحية، وفي بوغوتا (كولومبيا) نظم لقاء على صعيد القارة (١٩٧٧) بين مندوبين من الحركة والأساقفة. ولم يمر ذلك النشاط الزاخر من دون أن يثير حفيظة السلطات، فاعتقل للمرة الأولى مع رفاقه في ساو باولو، ولم يطلق سراحه إلا بتدخل الكاردينال ارنس رئيس أساقفة المدينة.

ولكن جل ما تفعله المعتقلات هو شد عزائم الرجال. فقد كشفت نشاطات "مكتب التنسيق" عن خطورة واقع خرق حقوق الإنسان في القارة اللاتينية، مما دفع بادولفو إلى توجيه حملة عالمية بهذا الشأن تتوافق مع الذكرى الثلاثين لإعلان شرعة حقوق الإنسان في هيئة الأمم المتحدة (١٩٤٨ - ١٩٧٨)؛ فكانت جولته الأولى في أوروبا عام ١٩٧٦. وفي السنة ذاتها (١٢ آب) القي القبض عليه للمرة الثانية بينما كان يشترك في اجتماع راعوي في الإكوادور مع ٥٥ آخرين. وبعد إطلاق سراحه تردد في العودة إلى بلاده، غير أن صديقا له طمأنه، فعاد إلى بوينس ايرس. وبينما كان مهتما ببعض المراجعات الرسمية اختفى فجأة (٥ نيسان ١٩٧٧)، ولولا إلحاح زوجته اماندا وتحركها السريع لكان اختفى إلى غير رجعة. وانتشر الخبر وهالت الاحتجاجات والمطالبة بإعادته من كل جانب، فكان الجواب الرسمي الوحيد انه تحت تصرف السلطات التنفيذية. وقضى ادولفو اسكيفيل ١٤ شهرا في سجن لابلاتا رهن نظام المعتقلين السياسيين القاسي، مع كل ما يتضمنه هذا النظام من استحوابات مملّة واستفزازات وحرمان وتعذيب. وإذا كان قد سمح له بمقابلة زوجته، فقد حرم عليه قراءة كتب.. هدامة كالإنجيل! ولكن إيمان ادولفو ما زاده إلا قناعة بعدالة قضيته، فحرر في سجنه رسائل رائعة تعكس عمق إيمانه الذي كان يتغذى من الألم ومن الكتاب المقدس الذي صار يستظهر نصوصه استظهارا، مقدما جلجلته من اجل تحقيق العدالة والحرية. ومن الرجاء الذي يعمر قلبه كان ينفث في أصدقائه وذويه الشجاعة والثبات.

أخيراً أطلق سراح ادولفو في ٢٢ حزيران ١٩٧٨، ولكنه وضع تحت المراقبة ومنع من أي تحرك أو سفر. ولم يعد إلى الحرية إلا بعد سنة كاملة من الاتصالات والمداخلات. ومضت عدة أشهر أخرى قبل أن ينال السماح بالسفر إلى الخارج، فطاف أميركا اللاتينية وأوروبا من جديد لتابعة دفاعه عن حقوق الفلاحين والعمال وسائر المظلومين والمعطلين والمحتظفين...

لعن الجائزة

لقد جاءت جائزة نوبل للسلام الممنوحة لادولفو بيريز اسكيفيل بمثابة إضفاء الشرعية الدولية على نضاله، وإدانة للأنظمة السياسية والاجتماعية التي استهدفتها هذا النضال، وتأييد ضمني لأسلوبه النضالي.

وادولفو نفسه يرى فيها مكافأة للعمال والفلاحين الذين يتنظمون من اجل الدفاع عن حقوقهم حين يقول في مقابلة أجريت معه في شيلي لمجلة "الاستعلامات الكاثوليكية العالمية" الفرنسية (عدد ١٥ ك ١٩٨٠): "إن جائزة نوبل لعام ١٩٨٠ لا تخصني، وإذا ما منحت لي، فقناعتي إنها أعطيت لملايين من سكان قارتنا الذين يناضلون يوماً بعد يوم ضد القمع والظلم. إنها للفلاحين والعمال والطلاب الذين يتنظمون من اجل الدفاع عن حقوقهم. إنها للرهبان الذين يعرضون حياتهم وسلامتهم من اجل خدمة الفقراء. إنها لكل هؤلاء الأشخاص الذين ينخرطون من دون ضجة لإقامة نظام اجتماعي عادل في قارتنا المضطربة. فما يهمني هو العمل الصامت الذي يستهدف الضمائر وإتاحة الفرصة أمام الفقراء كي يتنظموا".

من أقوال ادولفو بيريز

- "ان العنف الذي ينجمه الارهاب والقمع والتعذيب والخطف، سواء صدر عن اليمين او اليسار، هو عمل لا انساني ينال من الله والانسانية. بقوة العنف قد يمكن الاحضاع، لا الاقتناع" (لدى تسلمه الجائزة).
- "ان ما يشغلني عندما افكر بذوي، هو الاجابة الى هذا السؤال: اي عالم نبي لاولادنا واحفادنا؟ سوف لا اغفر لنفسي اذا ما لم افعل شيئاً لبناء عالم اكثر انسانية. وبصفتنا مسيحيين ينبغي ان تكون تلك فكرة ثابتة لدينا".
- "ان وضع الاقطار الفقيرة ما هو الا نتيجة نظام اقتصادي غير عادل؛ وان سباق التسلح الذي تشجعه اقطار غنية عديدة هو صيغة اخرى لاستغلال الشعوب الفقيرة".
- "ان نكون مسيحيين هو ان نلتزم جانب المتالمين والذين يعيشون في اوضاع جائرة. هذا هو الانجيل معاشاً في حالة واقعية معينة".

إن قلب أنظمة الحكم هو اقل شانا، في نظر ادولفو، من قلب القناعات وتقوم الضمائر من حالة الركود والاستسلام أو التواطؤ إلى حالة من اليقظة والتزام بالتغيير وفضح الاستغلال، لاسيما إذا كان استغلالاً فكرياً أو ايديولوجياً، كما يفعل دعاة نظرية الأمن القومي في بعض دول أميركا اللاتينية الذين يتدعون بالدفاع عن "القيم المسيحية" بينما هم يسعون في الواقع إلى الحفاظ على امتيازاتهم ومصالحهم وتفردهم بالحكم على حساب الكرامة الإنسانية وتمريغ الحرية الشخصية لدى شعوبهم .

وإذا كان إيمان ادولفو المسيحي الملتزم يستحته على الوقوف إلى جانب المظلومين ويعتبر رسالته أن يكون صوت من لا صوت لهم، "يعظ بالإنجيل ويقاسم الشعوب اللاتينية الأميركية آمالها وقلقها"، فهو يؤمن أن هذا النضال لا يكتسب قوة التغيير وإرغام الأنظمة على إعادة النظر في سياساتها إلا إذا كان جماعيا وشعبيا. لذا فهو يدعو، كشرط أساس، إلى تنظيم الجماهير بحيث "تستطيع فرض إرادتها بالسلام على حكوماتها. من اجل ذلك لا بد من مضاعفة التظاهرات السلمية والنشاطات العامة والاجتماعية الموسعة للصلاة... وغيرها".

إن أسلوب ادولفو في النضال يتعدى الصدام المسلح إلى المقاومة المنظمة الراضية واللاعنف. لقد اختار غيره طريق العنف والسلاح لدحر الدكتاتورية ونصرة المهزومين، ولربما فعلوا ذلك مرغمين في معظم الأحيان، لأنهم استفدوا سائر طاقاتهم. أما هو فقد صمم أن يكسر شوكة الخصم "باللاعنف الفعال"، كما نسميه. و"اللاعنف الفعال" الذي هو أسلوب النضال الذي اتبعه، يقول ادولفو، استلهمه قبل كل شيء من الإنجيل ومن تجارب غاندي ومارتن لوتر كينغ؛ ويقوم على توعية كل مهزوم، وعلى القناعة التامة بان العنف، من أينما جاء نيل فاضح من كرامة الإنسان. فالغاية لا تبرر الوسيلة. ويستطرد ادولفو قوله: "وهكذا لا يمكننا البقاء لا بأباليين أمام الظلم، بل يجب البحث عن سبل عمل لا تناقض الأخلاقية الإنجيلية". وقد أوضح فكرته في حديث أدلى به لدى ترشيحه للحائزة العالمية: "لقد وضعت نفسي دوما في خدمة جميع إخواني، من دون حقد، أو اثرة، وقلبي منفتح للحوار لإيجاد الطرق المؤدية إلى العدل والحرية".

هكذا ليس اللاعنف عند ادولفو اسكيفيل، وبأي شكل من الأشكال، استسلاما أو تنازلا عن حقوق. انه ليس، كما يتخيل البعض، "بجنا عن السلام والنظام بأي ثمن -على حد تعبير ادولفو نفسه- ولا موقفا سلبيا ولا أباليا، إنما هو معركة يومية في الحب واحترام الإنسان، معركة ضد الشر وليس ضد الأشخاص". انه رفض "للحقد الذي يهدم صاحبه والآخرين، ولا احد يستطيع البناء بالحقد"، كما صرح في مقابلة أجرتها معه مجلة "حاج القرن العشرين" الفرنسية (عدد ٢١ ك ١ ١٩٨٠).

هذا هو نداء الأمل والرجاء الذي يطلقه ادولفو بيريز اسكيفيل صاحب جائزة نوبل للسلام، وهذا هو نضاله العنيد من اجل الفقراء والمظلومين. في سبيلهم ترك حياة أستاذ وفنان موهوب في حمى أسرة ما أعطته إلا الدفء، ليلقي بنفسه في صراع مرير مع الأنظمة والحكومات، قاده إلى السجون والتعذيب وألم النفس والإذلال واحتمال أن لا يخرج حيا من محبته..

هذا النضال ساهم فعلا في تحسين أوضاع الفلاحين والعمال وضحايا القمع والدكتاتورية في أرجاء القارة اللاتينية، وان كان لا زال أمامه الكثير.. ولكن جذوة الأمل لن تزداد إلا عطاء:

"إن قضبان السجن لن تقوى على خنق روح المسيح وحبه الساكن في كل منا بحضوره اللامتناهي. هذا هو أساس خبرتي الذي لا يتزعزع".

هذا ما كتبه ادولفو من عمق سجنه يوما!

على نزال فلورنسا

إن شفافية هذه المرأة هي دوما صفحة من إنجيل مفتوح! بهذه العبارة وصف الأخ روجيه شوتر رئيس جمعية تيزيه تلك الفتاة التي كانت وراء حركة "الفوكولاري"، كيارا لوبيش (٦١ سنة)، تضم اليوم الألوف من الشباب والشابات من مختلف أقطار العالم.

وحين منحت مؤسسة تامبلتن الانكليزية جائزتها لعام ١٩٧٧ إلى كيارا لوبيش، جاء في دوافع الاختيار أنها "عملت على دفع العديد من الشباب إلى تكوين جماعات تعيش حياة مشتركة، تخدم الآخرين بروح البساطة والسخاء"...

عن مشاهداته في لوبيانو - من أقدم مراكز الفوكولاري في إيطاليا - وعن حياة هؤلاء الشباب الذين يشهدون لإنجيل الفرح والرجاء... يكتب الأب جرجس القس موسى.

- "كم من جنون المهم للناس يسوع هذا!"

قلتها وأنا الهت مبتسما للفتاة الفرنسية التي جاءت إلى نجدتنا في صالة الاستقبال بعد أن نفذت مفرداتها الايطالية ولم تنجح في التعبير عما نريده. ابتسمت بدورها ونظرت إلى زميلي [الأب نعمان اوريدة] الذي ارتمى على اقرب أريكة وهو يمسح عرقه المتصبب، وقالت برقة:

- نحن هنا لمساعدتكم وللإجابة إلى استفساراتكم.

فأخذنا نشرح كيف جئنا حاجين من العراق لتتعرف عن كتب على حياة الفوكولاري، ونعاش، ولو لردح من الزمن، هذه التجربة الإنجيلية التي سمعنا بها وقرأنا عنها.. وقلنا لها كيف قطعنا الطريق المتعرج صعدا على الأقدام مدة ساعة كاملة من محطة انشيزا في الوادي - حيث اقلنا القطار الريفي من فلورنسا - وحتى قمة لوبيانو. ولوبيانو أكمة حضراء متموجة تكسوها الأشجار المثمرة والكروم والأحراش، تشرف على وادي أرنو التوسكاني الخصب على بعد ثلاثين كيلو مترا من مدينة فلورنسا. على هذه الأكمة الخضراء تتوزع بيوت الفوكولاري البيضاء الصغيرة ومشاعلمهم اليدوية المختلفة، وحقولهم الزراعية، ومنها جعلوا منطلق إشعاعهم الروحي والرسولي على العالم. وفرع الفتيات بالذات اتخذها مركزا أساسا للتثقيف والإعداد والدراسة والتدريب على الحياة الإنجيلية العتيدة.

- أنا هنا منذ عام، وقد جئت لا اعرف سوى الفرنسية، وصرت الآن أتكلم الايطالية إلى جانبها، وأقوم أحيانا بوظيفة الترجمان.. ولكنني لم أحيء إلى هنا لتعلم لغة جديدة، وإنما لاحيا حياة جديدة في منطلق الإنجيل والعمل الجماعي.

هكذا، ببساطة ومن دون مقدمات، أخذت الفتاة الفرنسية التي استقبلتنا تسرد لنا مسيرتها التي قادتها إلى لوبيانو. وبينما كانت ترافقنا إلى فرع الفتيات المجاور واستطردت حديثها قائلة:

- كثير من القيم والمفاهيم تفقد مصداقيتها لدى الشباب، وعدم الاستقرار والتذبذب في المثل يدفع بعضا منهم إلى الشك والضياع والتخلي عن كل شيء.. لقد جئت من بعيد.. وأنا فرحة باكتشاف الإنجيل.. الإنجيل يجر.. أليس كذلك!؟

وانضمامنا للعشاء إلى "كروب" متكون من ستة شباب من جنسيات مختلفة في إحدى هذه البيوت البيضاء المبعثرة بين الأشجار. وحول شوربة الخضار التي أعدها الشباب أنفسهم وبضعة أنواع من الاجبان وقدم من الخمر الأحمر الآتي من كرومهم، كنا نتجاذب الحديث بمزيج من الايطالية والفرنسية واللاتينية والانكليزية، حول حياة الجماعة وأهدافها وتكوينها:

"الفوكولاري" كلمة ايطالية ومعناها "أسرة صغيرة" وبذلك تحدد التسمية نفسها طبيعة الجماعة ونمط حياتها الداخلي. وتضم كل أسرة "خمسة أو ستة إخوة (أو أخوات) في حياة إنجيلية مشتركة (انظر ف.م. شباط ١٩٧٦).

ولدت الجماعة كحركة رسولية عفوية شبيهة بالرهبانية إبان الحرب العالمية الثانية في مدينة تورينو الايطالية حول فتاة تدعى كيارا لوبيش (ف.م. ١٩٧٧) بشجاعتها الخارجة عن المألوف وفرحها العارم إلى اتخاذ المسيح مثالا أعلى لحياهم، والخروج بذلك إلى حيز العمل والالتزام الفعلي. فأخذن جانب المتأملين، وعملن بمثال تفاؤهن وثقتهن اللامحدودة بشخص يسوع المسيح على إعادة الأمل بالحياة لدى الشبيبة - لاسيما في أزمة الحرب تلك وما خلفته من خيبات وإخفاقات-. وتوسعت الخلية الأولى لتنتشر.. وتنتشر. ويتبعها فرع رجالي، وينضم إلى الجماعة أعضاء من الكهنة (ف.م. حزيران ١٩٧٦) وحتى من الرهبان. وهكذا يكون للجماعة اليوم فرعان (للشباب والفتيات) منتشرة في أكثر من أربعين بلدا، وانتماء متعدد الأوجه: الخراط ثابت ونهائي، التزام زمني للاختبار والاكتشاف. والانتماء إلى الروحانية يلتزم به كهنة ورهبان وراهبات واسر من دون أن يتركوا حالاتهم الخاصة.

ليس للفوكولاري زى خاص أو علامة خارجية تميزهم سوى الإطار الروحي الذي يعيشون فيه، وبالإمكان تلخيصه بخمس نقاط جوهرية:

- دور مميز للإنجيل حيث يعتبرونه موردا ومؤشرا لحياهم الشخصية والعملية. وعبر الإنجيل يلتقون بشخص يسوع الذي يتخذونه مثالا أعلى في حياته، وأقواله، والتزامه، ومنه ينتقلون إلى الإخوة.
- دعوتهم الخاصة يعيشونها في إطار علماني في تناول الجميع، وليس كرهبانية ذات هرمية رئاسية وبني مؤسسة كبرى. لا يتبنون مشاريع إرسالية أو تبشيرية معينة، وإنما يحاولون عيش مبادئ الإنجيل بحسب المواقع التي يشغلونها في المجتمع.

• حب كبير للكنيسة يحركهم لكي يحققوا التوحيد من الداخل - وليس على الهامش - ويضعوا ملحا جديدا في العجنة المسيحية.

• هذه التجربة الإنجيلية يعيشونها سوية في إطار الحياة المشتركة ضمن "أسرة صغيرة" مهيأة لان تخلق جوا عائليا حميما وترفع الصداقة إلى مستوى الاخوة العفوية: بين أعضاء "الأسرة" كل شيء مشترك: الروحانيات والماديات، ويغلب أن يكونوا من بلاد مختلفة، مما يتيح حوار الثقافات وانصهار الطاقات في ثراء روحي وحضاري يشهد لشمولية الإنجيل.

أما شعارهم فثلاث كلمات: فرح مُعدّ يتفجر دوما على الوجوه، حب متفائل كحب الأطفال، وعطاء ذات ممزوج بالبساطة والسخاء.

هذا الشعار قرانه ولمسناه مجسدا في طيبة هؤلاء الشباب ومرحهم، في تلك الأمسية، طيبة ومرح نابعين من روح الإنجيل الصافية مما يجعلك تحس بالدفء حالا، وتنسى أي شعور بالغرابة.

في اليوم التالي انضمنا إلى فريق لبناني من شباب وفتيات يرتدون قمصانا بيضاء كتب عليها بالعربية والفرنسية "لبنان الرجاء" - و"لبنان الرجاء" هذا فريق غير سياسي يعمل إلى جانب كثير مثله في لبنان لبعث لبنان متحد متآخ يبنى بالرجاء لغده ولا يتكور على ذاته. مع هذا الفريق الذي كان في جولة أوروبية على "مراكز الرجاء"، قضينا ساعات الصباح نتحول في ورشات عمل الفوكولاري. فكنا في معرض اللوحات والنحت، وفي ورشة السيراميك حيث الأيدي الناعمة كانت تعالج الأظيان والإصباغ برقة وفن. وانتقلنا إلى مشغل الخياطة، جعلت منه فتيات من النمسا وإيطاليا وسويسرا وكندا، وحتى من باكستان، زاوية من الذوق والأناقة تشهد على ذلك الموديلات المعروضة.

من هناك توجهنا إلى أقسام الشباب فزرنا معرض الأثاث المتزلية، وورشة تصليح العدادات الكهربائية، ومعمل تركيب عربات "الكرفان" المسحوبة، وتستخدم كمكاتب أو غرف نوم متنقلة - كالتي قضينا ليلتنا فيها أنا وزميلي. أما الإنتاج فيعود إلى معامل أو شركات فلورنسية، ويتقاضى الفوكولاري أجورهم على القطعة، مما يوفر لهم دخلا ثابتا لحياة الجماعة إلى جانب المنتجات الزراعية.

غير ان ما سيقى صداه في نفسي هو تلك الأمسية الوداعية التي أعدها لنا شباب وفتيات الفوكولاري أنفسهم عشية مغادرتنا. وشملت عروضاً سينمائية وسلايدات عن بدايات الجماعة وحياتها ونشاطاتها، تلتها شهادات، بل اعترافات معبرة. قال "فرانك" من ألمانيا:

- كنت بين مؤمن وملحد يوم تعرفت على الفوكولاري، فقلت في نفسي إذ ذلك:

"ماذا ترى يجري في هذه الرؤوس المجنونة؟"، فحنت لألقى خيرة إنجيلية غيرت مجرى حياتي.. وها أنا هنا منذ عشر سنوات!

وأدلى "توفيق"، وهو شاب لبناني اكتشف الفوكولاري وسط الحرب من خلال مقال قرأه، وقال:

في الحرب كنا نحل مشاكلنا بالعنف الذي نعلمه علينا نظرية صراع الطبقات، ولما اكتشفت الفوكولاري رأيت أن الحب والتعاون هما اللذان يحلان المشاكل، وان الله محبة، فتركت العنف واكتشفت معنى الحياة في الأمل والعطاء. وتناولت الحديث "كريس" وهي فتاة بلجيكية حجول، انتمت إلى الحركة منذ أربع سنوات:

- كنت مسيحية تقليدية أحب لقاء الأصدقاء أكثر من لقاء الله، وغالبا ما كنت لا أعود إلى البيت إلا للطعام. ولكن لقاء الأصدقاء قادني إلى الله والإنجيل حين اكتشفت المحبة من خلال زميلات فوكولاري.. أردت أن ابني حياة جديدة، فاعتذرت من أهلي، وبدأت علاقة جديدة معهم.. كنت حجولة تجاههم.. ثم اكتشفت في مرحلة ثانية إن هذه الحياة يجب إن أعيشها في العمل، فتركت المدرسة واشتغلت ممرضة.. وشعرت تدريجيا بالسلام والطمأنينة ووضوح الرؤية وان حياتي أصبحت مملوءة بشيء ذي قيمة.. وتبع الصوت إلى الأخير فحئت إلى لوبيانو..

كنا لا زلنا تحت تأثير هذه الشهادات عندما جمعنا مائدة العشاء في حلقات صغيرة مرحة مع شباب وفتيات الفوكولاري الدمثين.

وكانت المفاجأة الأخيرة بعد العشاء، عندما عدنا إلى القاعة الكبرى لنرى عدة فتيات ممن رأيناهن في مشاغل الخياطة أو السيراميك، أو رافقنا في جولتنا النهارية، وقد أمسكت كل منهن آلتها الموسيقية فتسمعنا أغاني تنطق بالفرح والرجاء بالاطيالية والاسبانية والفرنسية والكورية، وأغاني فولكلورية خفيفة من كل قطر بسمة. حقا إن الإنجيل يحرر! تذكرت قول الفتاة الفرنسية التي استقبلتنا.. ومرة أخرى قلت وأنا أودع تلة لوبيانو الخضراء كالأمل: لقد رأيت المسيح وتحدثت إليه!



الجماعة المسيحية والمدينة

البحث التالي مدخل لإلقاء نظرة موضوعية تحليلية، ومن زاوية اجتماعية، على الجهد الراعوي في المدينة^(١)، كمحاولة لاكتشاف نقاط مشتركة عملية للعمل الراعوي على المدى القريب والبعيد. وقد كان المقال، في الأساس، محاضرة ألقاها الأب جرجس القس موسى في مركز القليس يوسف ببغداد.

لطبيعة تكوين المدينة من الناحية الجغرافية (موقعها، مساحتها، نمو الأطراف...)، والسياسية (مكائنها الإدارية، عاصمة...)، والاقتصادية (زراعية، صناعية سياحية...)، والثقافية (جامعة، مراجع دينية...)، تأثير واقعي، إيجابا وسلبا، على الموقف الديني وعلى السياسة الراعوية.

والكنيسة، في معظم الأحيان، واجهت ظاهرة تطور المدن، لاسيما في البدايات، إما بالرفض الصامت، وإما بالتجاهل الساذج. ذلك لان التطور الحضري، أو النمو في المدن، يشير في الواقع إلى حقبة من التحول الحضاري، وكل تحول حضاري يعني نوعا من الانفصام الاجتماعي والثقافي عن النماذج "البائدة" -التقليدية- التي كانت الكنيسة قد حققت فيها توازها وتوافقها التاريخي، كما في المجتمع الزراعي مثلا.

• تأثيرات المدينة على الدين وممارساته

إننا الآن في العراق في غمرة هذا التحول، وعلى كل الأصعدة، لاسيما في بغداد. والوسط المدني، أو بالأحرى الحضارة التكنولوجية التي تتسم بالإنتاجية والاستهلاك والتمحور حول المصلحة والاستقلالية، والتي تعبر عنها المدينة بوجه أفصح، تمارس تأثيرا جوهريا وضغطا أكيدا على الذهنية الدينية. نحن لا ندعي بأننا -في بغداد- نعيش في عهد تقنية على نمط طوكيو وباريس أو لندن، ولكننا أمام نموذج حضاري في حالة صيرورة يمتص بعضا من إفرازات تلك الحضارة الاستهلاكية، مضافا إليها تحول أساسي في معطياته الاجتماعية والثقافية والسياسية والعلائقية. وإذا كانت جذورنا لا زالت قروية، زراعية أو حرفية، ومراجعتنا العاطفية لا زالت تعود إلى مساقط رؤوسنا، فإن اطر "تعاملنا" مع الديانة أصبحت خاضعة، شئنا أم أبينا، لظروف المدينة بكل ما تعطيه من حالات جديدة. مثل هذا التحول يضعنا أمام أسئلة من طبيعة جديدة حول المواجعة بين الدين والمدينة.

ثلاث قيم أساسية تفرزها المدينة لها تأثيرها المباشر في هذه المواجعة:

* **التعددية:** من ميزات المدينة، التعددية في الفكر والانتماءات العاطفية و"القياسات التبريرية" اعني في الأسس الايديولوجية والفكرية التي نعتمدها لتبرير مواقفنا وخياراتنا الشخصية والعامة. والمدينة هيكل التعددية لسببين رئيسين: أولهما لكونها ملتقى وإناء تتواجد فيه جمهرة من الناس مختلفي الجذور الجغرافية والاجتماعية، وينتمون إلى أديان وطوائف واتجاهات فكرية وسياسية متعددة، دفعتهم إلى المدينة وجمعهم فيها مصلحة ذاتية. والثاني لكون هذه المصلحة الذاتية تواجهها مصالح ذاتية أخرى وتتفاعل معها ميدانيا، وباتت هذه التعددية واقعا يفرض ذاته وضرورة ينبغي على المدينة ان توفرها، ضمانا لسلامة سير المجتمع ككل.

* **الاختيار:** المدينة تتيح أوجها من الاختيارات بما تعرضه من نماذج مختلفة في كل الميادين. اعني هناك "عرض" واسع التشكيلة مع السلع والحاجات (المادية والمعنوية) أمام "طلب" يتحكم في وتيرته أسلوب ووفرة العرض، مما يضع "المستهلك" أمام صيغ متعددة من الخيارات الحرة^(٢).

* **العقلانية:** وهي أيضا من ميزات حضارة المدينة. وتقصد بالعقلانية الرؤية المستقبلية وقياس الأولويات ودراسة المشروع من جوانبه المختلفة قبل المباشرة به، وتقدير الربح والخسارة على ضوء ذلك.

الى هذه الميزات الثلاث التي تقدمها المدينة، كعوامل منافسة للذهنية الدينية الأخلاقية التقليدية المحصورة، هناك عاملان آخران تفرزهما الحضارة المعاصرة وتعززهما المدينة بصورة خاصة، هما:

- متطلبات حياة المدن، والركض المحموم وراء لقمة العيش والربح، والوقت الذي تأكله المسافات والمواصلات، مما يقلص، أكثر فأكثر، حصة الاهتمامات الدينية.
- الذهنية العلمية (والمدينة مركز التقاط وتوزيع العلم والتقنية) قلبت موازين الحكم، فحولت الإنسان من "تابع" لمقدرات الطبيعة إلى "متحكم" في قوانينها، وبذلك أصبح قيمة أساسية في ذاته. هذا المنظور "الانقلابي" يعيد النظر في نموذج العلاقة بين الإنسان والله، ومن نتائجها:

- (١) نزع هالة القدسية عن الطبيعة وعن هرمية العلائق الاجتماعية الطبقية وإخضاعها للنسبية والتحول.
- (٢) علمنة الحياة والمجتمع ونتيجتها الخروج إلى مدار الاختبار العقلاني، من دون الحاجة إلى اللجوء إلى العامل الديني لشرح قوانينه وتنظيم أولوياته وإسناد أخلاقيته.
- (٣) نزع هالة القدسية حتى عن الكنيسة كمؤسسة، وتقليص الحدود بين المقدس وغير المقدس، بين ما هو روحي-إبدئي، وما هو مادي-زمني.

• بعض اتجاهات العمل الراعوي الممتقبلي

كل هذه العوامل وما تتضمنه من دينامية جدلية، وتخلقه من تفاعلات في نفسية المؤمن تفرض على المؤسسة الكنسية "التطوير" و "التشويق" و "المبادرة"، و"التنوع" في "عرض" المادة الدينية.

النقاط التالية إنما هي بمثابة "اتجاهات" تستحق انتباهاً ودراسة لوضعها ضمن خطة عمل راعوي مستقبلي يفرض قيامها واقعا المديني اليوم والتركيبية الاجتماعية-الفكرية-الايدولوجية-الاقتصادية-السياسية في العراق الجديد نفسها.

أولاً: توهييع وتنويع قنوات الاتصال الديني

من الطبيعي أن تحتاج الكنيسة إلى أجهزة تكون بمثابة أدوات تنفيذ لرسالتها. وإذا ما ادعى احد خلاف ذلك، فواقع التعامل مع المعطيات المجتمعية يقول بضرورة حد ادنى من المؤسسات والمراكز التنفيذية للتنسيق والإنتاجية. إنما نقول بان المؤسسات والأجهزة ليست غاية في حد ذاتها، وإنما أنشئت أو تنشأ من اجل أهداف معينة. وإذا لم تعد الأهداف أهدافا حقيقية، أو قامت مؤسسات أخرى رسمية اقدر منها بتأدية دورها (المستشفيات مثلا) لا ينبغي الخوف من إعادة النظر فيها، وتحويل الطاقة إلى حقول أخرى أكثر التصاقا مع بشرى الإنجيل. كما انه لا ينبغي الاحتماء أو الاكتفاء بقنوات الاتصال الديني التقليدية، بل يجب تطويرها وتوسيعها وتنويعها بحيث تبلغ أهدافها بأساليب جديدة، وبلغة عصرنا، وروح حضارتنا، وجذورنا الثقافية والتاريخية وخصوصيتنا، وذلك لكي تجيب إلى حاجات وأذواق متنوعة ومشروعة. ومن هذه القنوات نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- مجموعات هدفها الثقافة المسيحية والبحث (ندوات، حلقات دراسية)، وغيرها للتعلم الروحي (كرويات صلاة)، وأخرى للعمل الرسولي (أخويات رسولية، جمعيات تعليم مسيحي). منها لاكتشاف الكتاب المقدس (دراسات إنجيلية)، وغيرها لتعميق أبعاد الالتزام المسيحي ضمن الأسرة والتربية، وأخرى ترفيحية -ثقافية - اجتماعية (النوادي الخ...).

مثل هذه "المجموعات الصغيرة" التي يمكننا تسميتها "بمجموعات القاعدة"، تتيح المجال - إلى جانب دور "الخواريات" كما ستحدث عنه بعد قليل - أمام الخبرات الإيمانية المختلفة.

وهناك الدور الرئيسي الذي تلعبه قنوات وسائل الإعلام والاتصال المكتوبة والمسموعة والمرئية التي يمكن أن يكون لها حصة كبرى في عملية التثقيف المسيحي، مثل الصحافة، والنشر والكاسيت والمسجل، والفيلم المتحرك أو الثابت، والبوستر...

ثانياً: الخورنة في وظيفتها الليتورجية

الخورنة، في التعريف الاجتماعي التقليدي، جماعة من المؤمنين متشابهة المصالح ومرتبطة بعلاقات مكثفة، تسكن حول كنيسة معينة وتعود إليها في كافة أوجه تعاملها الديني. أما الواقع البغدادي، اليوم، فيقدم لنا، في الدائرة الجغرافية للكنيسة، مجموعة من الأسر متجاورة، ولكن متجاهلة في معظم الأحيان، مصالحها وانشغالاتها واتجاهاتها الفكرية -وحتى انتماءاتها الطائفية- مختلفة. ولا يمكن اعتبار هذه الأسر مكثفة ذاتيا من الناحية الراعوية، اعني إن أبنائها يحتاجون، أكثر فأكثر، إلى الخروج من دائرة "خورتهم الجغرافية" للبحث عن غذائهم الديني. فالخورنة ينبغي تطوير خدماتها وتوسيع آفاقها لتجيب بشكل أفضل إلى الاحتياجات الجديدة، واستغلال مركزيتها الجغرافية لجعلها مراكز تثقيف ونشاطات مسيحية أكثر حيوية وتخصصا.

غير إن الخورنة ينبغي أن تبقى الموضع الأفضل الذي نلحيا فيه الاوخرستيا جماعيا وبصورة أكثر حيوية وطواعية للشهادة للفرد وللأسرة وللجماعة. فلليتورجيا (الاحتفال بالقداس والكلمة) وظيفة دينية - اجتماعية أساسية، إذ هي تعبير رمزي واحتفالي عن إيمان الجماعة عبر طقوس خاصة، وتمثل جانبا مهما من الانتماء العاطفي والإحساس الديني الذي يكثف الإحساس بالهوية الشخصية. من اجل ذلك يأتي استخدامها، اجتماعيا وعقائديا، كأداة "وعظ وتعليم وتوجيه".

من هنا أيضا الأهمية الكبرى في أن تعد الليتورجيا ويحتفل بها بطريقة تكون فيها مشاركة وحيوية وملتقى إيمانيا للجماعة كجماعة ومنطلقا إلى الحياة العملية الملتزمة.. ومن ثم تطويرها وإحيائها باستمرار لتبقى كذلك. وإذا عجزت الخورنة عن تقديم مثل هذه "المادة"، "هاجر" أبناءها إلى رعايات أخرى هجرة زبائن إلى سوق يقدم لهم سلعة أفضل، أو كفوا تماما عن أية ممارسة لا تقدم لهم شيئا يغذي. غير ان هذا لا ينفي إمكانية الاحتفال بالاوخرستيا -وفي مناسبات خاصة- خارج الخورنات (للمجموعات الصغيرة، للمرضى، للصغار، للشباب...) من دون أن يعتبر ذلك منافسة أو اقتناصا. أما الحفلات الكنسية والليتورجية الكبرى، فمن الأفضل أن تجري في الكنائس المركزية والخورنات الكبرى.

ثالثا: الطقوس والرموز

الطقوس والرموز تعبير انساني عن مشاعر الإنسان وانفعالاته الداخلية -فردا وجماعة-، وهي تعكس نفسية معينة، وذهنية ثقافية ودينية معينة.

طقوسنا ورموزنا الدينية التي تعود إلى أجيال، أصبح قسم كبير منها مجرد صيغ تتكرر وقد أفرغت من محتواها، لأنها لا تعكس أصداء حياتنا ومعانياتنا الواقعية اليوم. ولكي تعود تعبيراً حقيقياً لإيماننا، وصدى لأحاسيسنا الدينية تحتاج إلى تحديث وتنظيم وتشذيب. وفي كل الأحوال تحتاج الطقوس والرموز والليتورجيا إلى شروحات توضيحية تنشيط مشاركة الجمهور وتجعل منها طاقة إيجابية.

رابعا: أماكن العبادة

إن الاتساع الجغرافي والكثافة السكانية في المدينة تفرض توزيعا جغرافيا مناسباً لدور العبادة والكنائس ومراكز الخدم الراعوية. وهنا ينبغي أن نشير إلى مشكلة الازدواجية في الكنائس والمبارزة الطائفية وغياب التنسيق في بناء الكنائس وتوزيع الخدمات.

أما هندسة الكنائس، فينبغي أن تخضع للأهداف التي وضعت من أجلها. فإذا كان حضور الكنيسة الشامخ (بأبراج وواجهات أثباتية) ليس رئيسياً -فغالبا ما ينجم ذلك عن حب الظهور للظهور- فداخلها يجب أن يعكس جوا من الخشوع والاختلاء والإيجاء، ولا تكون مجرد قاعات باردة لا روح فيها ولا خصوصية (موقع المذبح وهيئته - أهمية الإضاءة - طريقة الجلوس - الايقونات أو اللوحات...).



خاتمة: إعادة النظر في تعريف الأديان

واقع حضاري جديد يرفض كل هرمية شكلية وطبقية في التعامل، حتى وان كانت دينية، ويبت ذهنية المشاركة في المسؤوليات وفي اتخاذ القرارات. والمجمع المسكوني إذ أعطى الشرعية لهذا التيار داخل كنيسة اليوم، لم يعد من الطبيعي ولا العملي الإبقاء على "الاحتكارية" أو "الاتكالية" في المسؤولية الراعوية والرسولية. ليس انه ينبغي خلط الأوراق، بل إعادة النظر في تعريف الأدوار، بغاية تعبئة كل الطاقات العاملة لتأخذ مسؤوليتها في الكنيسة، كل من موقعه وبحسب قدراته وبتنسيق:

* **دور الأسقف:** هو دور الراعي، المشرف، المنشط، المنسق، المطلع، المنفتح، مشجع الحوار والخبرات والمبادرات، كالأب حامل شرف المسؤولية كخدمة.. وليس فقط حارس الحدود وحامي الأمر الواقع وممثل السلطة القضائية والتشريعية.

* **دور الكاهن:** في وضع المدينة الجديد - أكثر من سواها - هوة تتعمق يوما فيوما بين الدور التقليدي "المسند" إلى الكاهن بصفته خوري رعية "موزعا للأسرار" و "موظف الشهادات" و "رجل العلاقات العامة"، وبين أدواره "المكتسبة" عن طريق نشاطاته المختصة ومبادراته. وان بقي مرجع القرار الرعائي والرسالة، فينبغي أن يكون كالأخ الأكبر مع العلمانيين، عامل التنسيق والتنشيط والتعبئة. ودوره في الاوخرستيا دور أساسي، إذ، من دونه لا "جماعة اوخرستية"، بمعنى انه ليس فقط "عامل القداس"، بل "عروة" الجماعة ورمزا لتأصلها في المسيح.

* **دور العلمانيين:** إفساح المجال أمامهم لممارسة دور أكبر وأعمق في حياة الكنيسة ونشاطاتها، ممارسة فعلية ومعترف بها ومشاركة أصيلة - لا بديلة - في العمل الرسولي وفي المسؤوليات.

* **دور الراهبات:** الاعتراف لهن بمساهمة فعلية في الرسالة، ليس فقط كمجرد معلمات ومربيات وممرضات، بل كعاملات إنجيليات يمارسن دورهن الرسولي بمسؤولية كاملة.

خاتمة: هيأة راعوية متكاملة

من كل ما سبق نستخلص وجوب قيام مسح وتخطيط شامل حول كل معطيات المدينة والطاقات الراعوية المتوفرة وحدودها، وتخصيص الأشخاص والأموال اللازمة للتنفيذ. ليس هناك صفات جاهزة، بل بحث واكتشاف وخبرات مكتسبة، جماعية وفردية، تدخل كلها في باب سياسة راعوية عامة، واعية ومسؤولة ومتكاملة، تستند على الواقع الميداني، وتنبع من رؤية نبوية مستقبلية، تطور الكنيسة بموجبها أساليبها ومؤسستها بما يمكنها من بلوغ أهدافها.

(١) المقصود بعبارة "الجماعة المسيحية" المسيحيون من حيث هم "جسم اجتماعي" له خاصيات ونقاط انتماء ثقافية وعاطفية معينة، تأتي من الاشتراك في إيمان واحد، واخلاقية واحدة، وتاريخ واحد او متجانس، واسس تضامنية خاصة، ولكن من دون ان تنفي هذه الخصوصية الانتماء، في الوقت نفسه، الى مراجع اجتماعية - ثقافية اخرى خارج نطاق البعد الديني. و "الجماعة المسيحية" في بعدها الديني العميق هي تلك التي يجد فيها المسيحيون جوابا الى تعدد حاجاتهم وانتظارهم الدينية والسلوكية، وتفتحهم الى افاق تتعدى اطار انتمائهم "الموقعية" او "الطائفية" المحدودة.

اما "المدينة" فمقصود بها هنا مجتمع المدينة ومقوماته بصورة عامة، ومدينة بغداد بصورة خاصة.

(٢) "العرض" هنا هو "النشاطات" الدينية المختلفة، و "الطلب" هو حاجة المؤمن - وهو "المستهلك" الحر - الى الاستفادة العملية من هذه النشاطات.. هذه الصورة الاقتصادية تضع امام البنى الكنسية ان لا تتحجر في صيغ راكدة، او نموذج واحد(او نماذج مقرر من عل مسبقا).

أبعد من روما والقسطنطينية

ذكرى مرور ١٦٠٠ سنة على انعقاد مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني (٣٨١) و ١٥٥٠ سنة على مجمع افسس المسكوني الثالث (٤٣١) ارادتهما الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية فرصة للعودة إلى ينبوع الإيمان المشترك وتعميق الشراكة بينهما في انتظار استعادة الوحدة الكاملة.

فلاحتفالات الكبيرة التي جرت في ٦-٧ حزيران من هذا العام، في روما والقسطنطينية في آن واحد، أيقظت الحركة المسكونية من السكون الذي اكتنفها في السنوات الأخيرة وانبتت الأمل من جديد في نفوس المسيحيين.



كان البابا يوحنا بولس الثاني يستعد، بكثير من الحماس والأمل، للاحتفال المزدوج في عيد العنصرة من هذا العام بذكرى مجعني القسطنطينية الأول (٣٨١) و افسس (٤٣١) المسكونيين، عندما صوب محمد علي أغا التركي الجنسية بندقيته الغادرة ظهر الثالث عشر من أيار على صدر البابا... وباتت حياة البابا معلقة بحيط رفيع لمدة ساعات.. وكذلك مشاريعه ومخططاته. ولكن ما ان زال الخطر عنه، حتى عادت الدماء مجددا إلى شرايين الكنيسة.. واستؤنفت الاستعدادات المكثفة في روما لاستقبال زهاء ٤٠٠ بطريك وكردينال وأسقف من بينهم وفود الكنائس الأرثوذكسية والبروتستنتية الشقيقة إلى الاحتفال (ف.م أيار ١٩٨١). وكذلك فعلت البطريركية المسكونية الأرثوذكسية لاحتفالات مماثلة في القسطنطينية.

في روما..

كانوا، إذن، ٦٣ كرينالا و ٢٥٠ أسقفا وممثلون رسميون عن الكنائس الأرثوذكسية المختلفة، ومن بينها الكنائس السريانية والقبطية والارمنية وغيرها، وعن الكنائس الانكليكانية والبروتستنتية ومجلس الكنائس العالمي... انضم إليهم عدد غفير من المؤمنين جاءوا من جميع أنحاء العالم. وقد شارك البابا في الاحتفالات التي جرت يومي السبت والأحد ٦ و٧ حزيران المنصرم بخطاباته المذاعة بالراديو وبظهوره من على شرفة غرفته بالفاتيكان، لتعذر مشاركته الفعلية شخصيا بسبب إصابته الخطيرة والعمليات الجراحية التي تخضع لها اثر محاولة اغتياله.

بدأت الاحتفالات يوم السبت مساء في كاتدرائية القديس بطرس بصلاة الرمش ترأسها، باسم قداسة البابا، الكردينال جورج هيوم رئيس أساقفة ويستمنستر/انكلترا ورئيس مجلس شورى مؤتمر أساقفة أوربا. فبينما توسط هذا الأخير "مذبح الشهادة" فوق ضريح القديس بطرس اتخذ ممثل بطريك القسطنطينية المسكوني المتروبوليت ترانوبوليس داماسكينوس مجلسه إلى شمال المذبح محاطا بأعضاء الوفد القسطنطيني ووفود الكنائس

الشقيقة. وبعد قراءة من رسالة بولس الرسول إلى مسيحي رومة، باليونانية واللاتينية والايطالية، ألقى المتربوليت داماسكينوس عظة بصيغة تأمل حول علاقة الكنيسة بالمسيح وبالروح القدس، جاء فيها: "لها حياة عميقة في الله تلك التي تتحقق بروح الابن، وهذه الحياة المقدسة والأخوية هي حياة الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية. في صيغة إيمان القسطنطينية تتصل الفقرة الخاصة بالروح القدس اتصالا غير منفصل بإيمان الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية. ذلك لان الروح القدس هو الذي يعطي الوجود للكنيسة ويحفظها في الشركة الأخوية". وبعد صلاة الرمش باللاتينية قاد ممثل البطريرك المسكوني ليتورجية العنصرة بحسب الطقس اليوناني -وذلك بحذ ذاته حدث لم يسبق له مثيل في تاريخ العلاقات المسكونية المعاصرة.

وكان اللقاء الثاني يوم الأحد الساعة ٩،٣٠ من صباح عيد العنصرة بالذات، حيث ترأس الكردينال كارلو كونفالونيري عميد الكرادلة قداسا مشتركا في كاتدرائية القديس بطرس، يحيط به سائر الكرادلة والأساقفة الكاثوليك ووفود الكنائس الشقيقة. وبعد الإنجيل أذيع نص العظة التي كان قد سجلها قداسة البابا يوحنا بولس الثاني لهذه المناسبة بعنوان "أؤمن بالروح القدس الرب المحيي".

فبعد أن شكر البابا "الإخوة الأحياء جدا" من كرادلة وأساقفة وممثلي الكنائس الشقيقة الذين لبوا دعوة قداسته "للاحتفال بفعل الروح القدس في الكنيسة"، أعلن بحماس "اجل، إننا نرغب في أن نعلن بملء صوتنا وقلبنا الحقيقة التي ثبتت صيغتها منذ ١٦ قرنا في مجمع القسطنطينية الأول".

وبعد أن أشار قداسته إلى الاحتفال المائل الذي يجري في الوقت عينه بحضور ممثليه في القسطنطينية برئاسة أخيه قداسة البطريرك المسكوني ديمتريوس الأول، انطلق قداسته في تأمل لاهوتي عميق إلى دور الروح القدس في حياة الكنيسة والمؤمنين.

وجاء اللقاء الثالث في كنيسة مريم الكبرى بروما مساء احد العنصرة. وتعتبر هذه الكنيسة أقدم كنائس روما -وأجمل معبد فيها على اسم العذراء- إذ شيدها البابا سيكستس الثالث (٤٣٢-٤٤٠) على الطراز البيزنطي لتكريم العذراء مريم على اثر إعلانها "ثيوتوكوس-أم الله" في مجمع افسس. وقد كان من الطبيعي أن يتجه تفكير يوحنا بولس الثاني -المتعبد الكبير لمرم والمعترف بدورها في حياة الكنيسة- إلى هذه الكنيسة الرومانية لتكون مركزا لاحتفالات ذكرى مرور ١٥٥٠ سنة على مجمع افسس.

تجمع الكرادلة والأساقفة والوفود الشقيقة وحشود المؤمنين، إذن، في الكنيسة الكبرى، وقد توسطت المذبح الرئيسي صورة العذراء المسماة "خلاص الشعب الروماني" -وهي إيقونة تاريخية عزيزة على قلب الرومانيين. وابتدأ الاحتفال بصلاة الفرض الخاصة بالعنصرة ترأسه، باسم الحير الأعظم، الكردينال ارنتو كوريبيو اهمادا رئيس أساقفة المكسيك. وبعد نشيد "هلم يا روحا معين" تلى نص أعمال الرسل الذي يورد حلول الروح

القدس على التلاميذ، ومن ثم رتل المشتركون أنشودة العذراء "تعظم نفسي الرب". واحتتم هذا الجزء من الاحتفال بنشيد "أكاثيستوس" وهو لحن بيزنطي قديم، أداه، بمهابة وإتقان انتشل الإعجاب جوق يوناني خاص.

أما الجزء الثاني، فكان التطواف بصورة العذراء المدعوة "خلاص الشعب الروماني" من كنيسة مريم الكبرى وحتى معبد بورغيز الذي يأوي الإيقونة في ساحة الاسكيلينا، قبالة كنيسة مريم الكبرى. وقد ترأس التطواف، متقدما الإيقونة، الكردينال موريس اوتوتغا رئيس أساقفة نيروبي يحيط به الكردينال بولتي والمطران فرانسوا ابومخ النائب البطريركي للروم الكاثوليك في دمشق. ويذكر ان هذه الإيقونة التاريخية كانت قد نقلت احتفاليا إلى كاتدرائية مار يوحنا اللاتراني عام ١٩٣١. بمناسبة اليوبيل المئوي الخامس عشر لجمع افسس. وفي الساحة، استمع المحتفلون إلى خطاب البابا يوحنا بولس الثاني مذاعا عبر الهواء من إذاعة الفاتيكان حول موضوع "مريم أم الله" حيث تحدث قداسته عن دور العذراء في التجسد والفداء وفي حياة الكنيسة.

.. وفي القسطنطينية

أما في القسطنطينية، فقد تحولت الاحتفالات التي ترأسها قداسة البطريرك المسكوبي ديمتريوس الأول شخصيا إلى تظاهرة أرثوذكسية ومسيحية في آن واحد. فقد تمثلت الكنائس الأرثوذكسية الشقيقة المستقلة بوفود رسمية مهمة، وتمثلت الكنيسة الكاثوليكية بوفد ترأسه، باسم قداسة البابا، الكردينال مكسيميليان دي فورستنبرغ رئيس المجمع الشرقي السابق. كما اشترك في الاحتفالات التي دامت يومي ٦ و ٧ حزيران وفود أخرى تمثل كلا من الكنائس الأرثوذكسية الشرقية اللاخقليونية والكنائس الانكليكانية والبروتستنتية الأخرى وهيئات كنسية دولية مختلفة كمجلس الكنائس العالمي وهيئات الكنائس الأوروبية وكليات اللاهوت الأرثوذكسية اليونانية. كما أرسلت الحكومتان التركية واليونانية وفودا تمثلها في هذه الاحتفالات التي تميزت بطابعها الروحي العميق.

وجرت الاحتفالات على فترتين: الأولى عصر السبت في الكاتدرائية البطريركية حيث ترأس قداسة البطريرك المسكوبي ديمتريوس الأول صلاة فرض العنصرة بصفته رئيسا لأساقفة القسطنطينية، والثانية صباح الأحد في كنيسة القديس جرجس البطريركية في الفنار، مقر البطريركية المسكونية، حيث ترأس قداسته الاحتفال الاوخراستي المشترك يحيط به أساقفة الكنائس الأرثوذكسية الشقيقة وبخضور وفود الكنائس الأخرى. وقد أشارت صحيفة الاوسرفاتورري رومانو (٢٣ حزيران ١٩٨١) إلى أن "الكلمات التي ألقيت في هاتين المناسبتين أبرزت معنى وأهداف هذه الاحتفالات. فقد تصدر موضوع إعادة الوحدة الكاملة جميع مراحل الاحتفال، وما كان لطبيعة تكوين هذا التجمع المتعدد الانتماء كنسيا، وكونه قد اجتمع للاحتفال بذكرى مجمع حدد صورة إيمان لا زالت مشتركة بين جميع المسيحيين، ما كان لهذا كله إلا أن يكتف أولوية الطابع الوحدوي للاحتفالات".

هذا ما ظهر أيضا في لقاء الوفود مع قداسة البطريرك ديمتريوس الأول قبل الاحتفالات الكنسية، وقد تحدث باسمها أمام قداسته كل من متروبوليت قرطاجة بارثينوس عن الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية والكردينال دي فورستبورغ عن الكنيسة الكاثوليكية وسائر الكنائس المشاركة، والدكتور فيليب بوتر أمين عام مجلس الكنائس العالمي عن الهيئات المسيحية. وكانت وفود الكنائس المشاركة قد استهلكت الاحتفالات الرسمية بزيارة كنيسة القديس ايريناوس^(١) حيث عقد مجمع القسطنطينية المسكوني الأول عام ٣٨١ بدعوة من الإمبراطور ثيودوسيوس وبمشاركة ١٥٠ أسقفا.

وحدة قائمة.. ووحدة تبنو؟!

لماذا ترى كل هذه الضجة بذكرى حدث مضى عليه ١٦٠٠ سنة؟ هل هو مجرد إضفاء أهمية خاصة على الاحتفال "بمناسبات" كانت قد استقطبت (إجماع) المسيحيين في وقت غابر من التاريخ؟ أم لها هدف أبعد من ذلك؟

الجواب نجده في الرسائل المتبادلة بهذه المناسبة بين بابا روما يوحنا بولس الثاني، وبطريرك القسطنطينية ديمتريوس الأول، وفي رسالة الدعوة إلى الاحتفال التي وجهها البابا إلى الأساقفة الكاثوليك وفي كل الخطابات والكلمات التي ألقاها الحيران أو ممثلوها في الاحتفالات، وقد ركزت كلها على نقطتين هامتين: الأولى على الوحدة القائمة في "التعبير عن الإيمان المشترك للكنيسة وللمسيحية جمعاء" حسبما جاء به مجمع القسطنطينية الأول الذي سبق كل انشقاق والذي تعترف بمسكونيته الكنيسة الجامعة بجميع طوائفها، شرقا وغربا، والثانية على اعتبار هذه "الوحدة القائمة" أرضية صلبة ومنطلقا سليما يقبل به الجميع، بالرغم من تصدعات الماضي، لاستعادة الشركة الإيمانية والكنسية الكاملة. فقد قال قداسة البابا في خطابه المذاع صباح الاحتفال بروما: "بالرغم من ان وحدة الكنيسة قد عرفت الانشقاقات في سياق العصور وفي أمكنة عدة، فالإيمان الذي أعلنه أسلافنا القديسون في صيغة قانون إيمان نيقية-القسطنطينية^(٢) يشهد للوحدة الأولى ويدعوننا من جديد إلى إعادة بناء الوحدة الكاملة". أما بخصوص الربط بين الاحتفالات التذكارية والمشروع المنشود، ألا هو دفع عجلة الوحدة المسيحية إلى أمام، فقد قال البابا: "هل ثمة ما يسرع مسيرة هذه الوحدة أكثر من استذكار وإحياء مضمون إيمان أعلن جماعيا على مدى قرون طويلة؟".

لقد أصاب الحركة المسكونية في السنوات الأخيرة نوع من السكون، وكانت بحاجة إلى دفقة قوية من الروح لتخرج من دائرة الملل لافتقارها إلى مبادرات عملية جديدة وجرئية كنتلك التي رسمها يوحنا ٢٣ وأثيناغوراس وبولس السادس (راجع ف.م.ت ١: ١٩٧٩: أين وصل الحوار الأرثوذكسي-الكاثوليكي؟). وجاءت احتفالات العنصرة وما انطوت عليه من أهداف بمثابة هذه "الدفقة" التي وضعت الحركة المسكونية في منعطف جديد، ولا نشك في ان هذا المنعطف يعد محكا لقدرة الكنائس المسيحية، ولاسيما الأرثوذكسية والكاثوليكية، على تجاوز اختلافاتها النفسية والتاريخية وخصوصياتها التعبيرية لتحقيق خطوات جديدة عملية ولمموسة في طريق إعادة بناء الوحدة.

ويبدو ان كلا من البابا الروماني والبطريرك المسكوني عازمان على البدء بهذه المرحلة. وتتجلى سلامة الانطلاقة الجديدة في اعتمادها العودة إلى النيابيع الواحدة - في الآباء والمجامع المسكونية المشتركة- وأسلوب الحوار الفكري والراعوي الهادئ من هذه الخبرة الإنجيلية ستخرج الحقيقة المحررة كما أشار ديمتريوس الأول:

"نحن، الشرق والغرب، قد التقينا على ارض الكنيسة غير المنقسمة وعشنا خبرة جديدة للحقيقة، بمعنى اننا بقدر ما نقرب من هذه الأرض المقدسة ومن روح الآباء، بقدر ذلك تصبح علاقاتنا سليمة ومؤثرة لإعداد الشركة الكاملة في الوحدة". أما البابا فقد قال: "أجرا مؤملا أن يكون إحياء ذكرى مجعني القسطنطينية وافسس اللذين جسدا صيغة التعبير عن الإيمان الذي علمته وأعلنته الكنيسة غير المنقسمة، أمل أن يكون خطوة متقدمة في فهم متبادل مع إخواننا الأحياء في الشرق وفي الغرب، هؤلاء الإخوة الذين لا توحدنا وإياهم الشركة الكنسية الكاملة بعد، ولكن الذين نبحت وإياهم، في الصلاة والتواضع والثقة، عن الطريق المؤدية إلى الوحدة في الحق".

وقد تكون الطريق شاقة، ويوحنا بولس الثاني لا يجهل ذلك حين يصرح بخصوص مسألة انبثاق الروح القدس التي يختلف فيها التعبيران الكاثوليكي والأرثوذكسي فيقول: "إن هذه المسألة، وسائر القضايا التي لم تتوضح بعد تماما بين كنيستينا، ستكون موضوع الحوار الذي ابتدأناه بداية حسنة، والذي ننتظر كلنا جميعا أن يساهم في تعجيل اليوم المنتظر بفارغ صبر حيث سنستطيع إعلان إيماننا سوية في النور من دون أفكار مبيتة، في الاحتفال المشترك بالاوخارستيا".

خاتمة: رتنا الكنيسة

منذ لقاء بولس السادس وأثينا غوراس في القدس (١٩٦٤) والقسطنطينية وروما (١٩٦٧) ومنذ رفع الحرومات بين الكنيستين في ٧ ك ١٩٦٥، فتح شبه خط اخضر دائم بين روما والقسطنطينية. ومنذ ذلك التاريخ لم ينقطع تبادل الرسائل والوفود الرسمية ولجان الحوار اللاهوتي المشتركة بين الكنيستين. وجاءت مبادرة يوحنا بولس الثاني في ت ٢ ١٩٧٩ بزيارة أخيه البطريرك ديمتريوس في مقر كرسيه بالفنار (انظر ف. م. ك ٢ ١٩٨٠) كحلقة ضرورية في الطريق الذي بدأه يوحنا ٢٣ وأثينا غوراس. وإذا كانت الاحتفالات بذكرى مجعني القسطنطينية وافسس اليوم، بتلك الهية في كل من روما والقسطنطينية وبالتنسيق بين أسقف روما والبطريركية المسكونية، تصب في ذلك التقليد الوحدوي، فهي تؤكد، من جهة أخرى، على قناعة الكنيسة الكاثوليكية من أن إعادة الشركة التامة مع الكنيسة الأرثوذكسية هي مرحلة أساسية في مشروع المسيرة المسكونية. وحين تركز الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، بشخص رئيسها الأعلى، على البطريركية المسكونية في "مشروع الوحدة"، فان للمكانة الخاصة والأولية التاريخية والأدبية التي تحظى بها في العالم الأرثوذكسي ذي التقليد اليوناني-

البيزنطي-أسلافي- (وهو الأكثر كثافة من حيث عدد الكنائس الوطنية المستقلة والمؤمنين المنتمين إليها)، وللاحترام الذي تكنه لها الكنائس المسيحية الأرثوذكسية الشرقية الأخرى. فللبطيريكية المسكونية دور تمثيلي فريد ضمن العالم الأرثوذكسي، بالإضافة إلى ايجابية السياسة الحدودية الهادئة التي تنتهجها مع الكنيسة الكاثوليكية وسائر الكنائس والهيات المسيحية العالمية الأخرى، مما يجعل منها حلقة وصل ثمينة ورئيسة للحوار المسكوني.

كلمة أخيرة نقولها: إن مشروع الوحدة المسيحية -سهما احتل الحوار اللاهوتي فيه من أهمية وضرورة- ليس مجرد "عملية خبراء" يتفقون أو لا يتفقون، وإنما هو التزام كنيسة وكنيسة.. والكنيسة جماعة المؤمنين بالمسيح الواحد الذين لم يعد لهم الحق بان يقولوا "منفصلين". أما اللاهوتيون والسلطة الكنسية، فعليهم إن يخدموا إيمان هؤلاء المؤمنين ويرفحوا الحوار الذي تعيق الالتقاء: "لا ينبغي أن نخاف من إعادة النظر، من كلا الجانبين وبالتسسيق بيننا، في قوانين وضعت يوم كان الوعي بالشراكة القائمة بيننا لا يزال غامضا.. ذلك مهم كمي يتعرف المؤمنون من الجانبين على التقدم الذي يحدث، ونتمنى ممن يقودون الحوار أن يهتموا باستخراج النتائج لصالح حياة المؤمنين ولإبقاء باب التقدم مفتوحا".

هذا ما صرح به يوحنا بولس الثاني أمام بطريرك القسطنطينية في ٢ ١٩٧٩ حيث استطرد عبارته الشهيرة: "ينبغي أن نتعلم من جديد كيف نتنفس بعمق رثتنا، الغربية والشرقية".

(١) تحولت هذه الكنيسة بعد سقوط القسطنطينية بيد الأتراك (١٤٥٣) إلى مستودع للأسلحة. أما اليوم فقد أعيد ترميمها بشكل جذاب وأصبحت متحفا غنيا بالموزايك وتستخدم أحيانا كصالة لحفلات الموسيقى الكلاسيكية.

(٢) يجدر بالإشارة إلى أن صيغة قانون الإيمان الحالية التي نلونها هي الصيغة الرسمية الواحدة المشتركة بين جميع الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية في الشرق والغرب، وقد أقرت منذ القرن الرابع في مجمع نيقية (٣٢٥) والقسطنطينية (٣٨١) أي قبل الانشقاقات. وقد أورد البابا في خطابه الفقرة الخاصة بالروح القدس باللغة اليونانية وهي اللغة التي حددت فيها فقرات قانون الإيمان.

ملائكة الرحمة

مهمة إنسانية نبيلة استهوت فتيات بعمر الزهور للعناية بالمرضى وإضفاء الأمل وإعادة البسمة إلى وجوه المتألمين والأطفال والأمهات. ولكنها مهنة شاقّة ومنهكة، ولا تنال دوماً ما تستحقه من تقييم في المجتمع! "الفكر المسيحي" أرادت بهذا التحقيق أن تسهم، من موقعها الإعلامي، في تقييم وتكريم مهنة التمريض والمرضات.

قد تكون رقدت في المستشفى أو قصدتها للعلاج أو لعيادة قريب أو صديق لك فيها.. فرائتهن، بالثياب البيض، غاديات آتيات، يحيطن أسرة المرضى بالعناية والعطف والسؤال عما يمكن أن يخفف من وطأة المرض أو العزلة.

حول طاولة مستديرة أثيرت هموم وأحاسيس "ملائكة الرحمة" هؤلاء في نقاط أربع رئيسية وهي: -الدور الإنساني للممرضة- نظرة المجتمع إلى مهنة التمريض والمرضات -رعاية الثورة للمهنة- والربط بين ممارسة المهنة والالتزام لدى الممرضة.

كن إذن حمسا، من الموصل، لبين دعوة "الفكر المسيحي" واقلبن باسمات هادئات: زريفة هرمز (٤١ سنة، متزوجة وأم لأربع بنات وصبيين، ٢٥ سنة خدمة، تعمل الآن في قسم الولادة)، نجلاء يعقوب (٢٦ سنة، عزباء، ٨ سنوات خدمة، تعمل الآن في الولادة أيضا)، سهام توفيق (٤١ سنة، متزوجة، أم لثلاثة صبيان وبنات واحدة، ٢٥ سنة خدمة، تعمل في المركز الوقائي في المدينة)، نجلاء عزيز (٣٠ سنة، عزباء، ١٥ سنة خدمة، تعمل الآن في قسم الباطنية)، حبيبة عازر (٢٤ سنة، راهبة، ١٠ سنوات خدمة، تعمل الآن في مركز الإنعاش).

* الدور الإنساني للممرضة

- ما هي الدوافع التي جعلتكن تخترن مهنة التمريض؟

* لقد ركزت المشتركات في الطاولة، كلهن، على الدوافع الإنسانية التي كانت في أساس اختيارهن العمل في حقل التمريض. وكان جلوس الأخت الراهبة حبيبة في رأس الحلقة يهيئها لان تأخذ المبادرة في الإجابة، فقالت بأنها ترى في التمريض خدمة إنسانية نبيلة جدا، ولكون هذه المهنة تتصل، أكثر من سواها، بالنفس البشرية المتألّمة والمحتاجة إلى عناية وإحاطة أوسع، فإنها تراها أكثر إنسانية من سواها، وذلك ما يدعوها إلى مزيد من البذل والعطاء. واستطردت تقول: "إن الشعور المتبادل بين الممرضة والمريض والترويح عنه هي سعادة تغمر المريض والممرضة على السواء".

أيدت السيدة سهام، أم معن، هذا الشعور حيث صرحت بحبها لمهنتها وبأنها تنسى همومها عندما تندفع في خدمة مرضاها -لاسيما الأطفال منهم- مضية على الجو الأليم

مسحة من الإنسانية والأمومة. مثل هذه الطيبة لا بد من أن تنعكس إيجابيا على نفسية المرضى ففسهم في تخفيف آلامهم وتسريع شفائهم. وكم يسعد الممرضة أن تسمع كلمات الامتنان ومعرفة الجميل من مرضاها السابقين عندما يلتقون بها، بعد خروجهم من المستشفى، في الشارع أو في السوق أو في إحدى المناسبات.

ولعل هذا الجانب الإنساني والنفسي تتحسسه الممرضة أكثر في قسم الولادة حيث تتأرجح حياة الام والطفل بين الأمل المشرق والاحتمالات المفاجئة، لذا كانت المسؤولية في هذا القسم أكبر واحطر. هذا ما أشارت إليه السيدة زريفة، أم يوسف، عندما تحدثت عن العناية الخاصة والمراقبة الدقيقة والضرورية اللتين تحيط بهما الأمهات أثناء الوضع وبعده، سيما إذا تعرضن لمضاعفات مؤسفة كما حدث لإحدى الحوامل التي تعرضت لحساسية خطيرة، ولولا الإجراءات الوقائية السريعة من قبلها لما نجت المريضة من الموت.

وتكون رقة الشعور والإيمان أعمق أثناء الولادة، حسب شهادة أم يوسف ونجلاء يعقوب، فكثيرا ما تصعد المريضة صلواتها وادعيتها بصوت عال أو تتلو سورة مريم وخير ولادتها العجيبة، فتشترك الممرضة بهذا الدفق الإيماني وتدعو مريضتها إلى الاستسلام لعناية الله وتشجعها وترفع معنوياتها بالامتثال التي تسند شدتها وتبقيها يقظة متشوقة إلى الحدث السعيد بأقل ما يمكن من الألم.

* نظرة المجتمع إلى مهنة التمريض والممرضات

- بحسب ملاحظاتكن، ما هي نظرة المجتمع إلى مهنتكن وإلى الممرضات خاصة؟

* قد نكون أثرنا هنا أدق نقطة في اللقاء، ذلك لان في موقف المجتمع من الممرضة انفسا حقيقيا. فبينما يثني الناس على الخدمة الإنسانية الجليلة التي تؤديها الممرضة تجاه مرضاهم في المستشفيات أو المراكز الصحية الأخرى، وبينما يقدرون أفعالها وتضحياتها وسهرها قرب أسرهم؛ نراهم ينظرون إليها، على العموم، نظرة شبه متعالية تبطن حكما قاسيا، وجائرا أحيانا، لاسيما إذا كانت الممرضة عزباء ونشطة. وتصل هذه النظرة، كما أشارت المشتركات في الطاولة، إلى أن يستبعد الخاطب أن يتزوج بممرضة مجرد أنها ممرضة

- وحكم أهله قد يكون أقسى - وكان التمريض مهنة خطيرة أو أخط من غيرها!

- ترى ما سبب هذا الموقف الذي اقل ما يقال فيه انه غير منصف؟

عند تحليلنا لجوانب السؤال، رأيت المشتركات ان الموقف السلبي من الممرضات يعزى إلى عاملين احدهما أخلاقي والثاني وظيفي: والعامل الأخلاقي يتلخص في الإطار الاجتماعي الذي تعمل فيه الممرضة حيث تأتي طالبة التمريض، عادة، في سن مبكرة وتفتتح شخصيتها وإنسانيتها في جو مختلط شبه مغلق، بعيدا عن الجو العائلي؛ يضاف إلى ذلك ساعات العمل الطويلة والزمامات الوظيفية المنفتحة مع المرضى والأطباء وطلبة الطب المتمرنين.. وتكون العاطفة والميل إلى العتب العابر وغير المسؤول في مثل هذه المرحلة أكثر يقظة واستشارة،

علاوة على ظروف الحفارات الليلية المتعبة والتي تتيح عفويا، فرصة أوسع للألفة. مثل هذه الظروف الخاصة تتطلب من الممرضة يقظة ونضجا إنسانيا. ولكن ان زلت واحدة، في قليل أو كثير، فهل نحكم على المهنة كلها، وهل من العدل إن نصم "الصف" كله؟ أو لم يزل غيرها في قطاعات أخرى!؟

أما العامل الوظيفي فينحصر في النمط الممل والمستمر دون هوادة الذي يسير عليه العمل التمريضي الذي لا يتحمل التأخير ولا التغيب هي وما يزجج بالأكثر وينهك الحفارات الليلية المتتالية التي تنتشل الممرضة، ولا سيما المتزوجة، من بيتها وأسرمتها وأطفالها؛ فمن الطبيعي أن لا تروق للزوج مثل هذه الغيابات الليلية المتكررة والمستمرة.

غير ان النظرة السلبية إلى الممرضة -لاسيما في شقها الأخلاقي- وقد أخذت تتغير، والحمد لله، بصورة ملموسة، بفعل تحول أكيد في الذهنية المجتمعية نحو تقييم شريف ومنصف لعمل "ملائكة الرحمة" هؤلاء وتضحياقن. وقد ساهم مساهمة أساسية في هذا التحول الاهتمام الجدي الذي تبديه الدولة بالمرضات ورفع مستوى المهنة علميا وإنسانيا واجتماعيا واقتصاديا.

* رعاية الدولة

- كيف تبرز رعاية الدولة لمهنة التمريض والمرضات؟

* التمريض، اليوم، ليس كالأمس. ومثل سائر القطاعات الخدمية التي تتصل اتصالا مباشرا بحياة المواطنين اليومية وصلته يد الثورة بالرعاية والتطوير، وما ذلك إلا جزء مما ناله قطاع الصحة عامة من اهتمام في شقيه العلاجي والوقائي. ومهنة التمريض بالذات أحاطتها ثورة ١٧ تموز بشتى أنواع الرعاية من فتح معاهد التمريض في كثير من المحافظات، إلى تجهيز كلية التمريض بالملاكات وحدث الأجهزة والمختبرات وتوسيع طاقتها الاستيعابية، إلى عقد الندوات الثقافية والإعلامية والدورات التأهيلية والتخصصية لرفع الكفاءة العلمية والعملية للممرضات الممارسات، إلى خلق المحفزات الأدبية والمادية لتشجيع وتقييم هذه الخدمة الإنسانية والوطنية النبيلة. كما منحت المرضات بعض الامتيازات منها تخصيص سيارات لنقلهن من بيتهن إلى مواقع العمل وبالعكس، وصرفت مخصصات مالية بدل العدوى والملابس والمكافأة النقدية في بعض المناسبات أو لخدمة معينة تطلبت منهن تضحية وعطاء استثنائيين. ولعل أفضل خدمة إنسانية قدمت لهن هي فتح دور حضانة في المستشفيات لأطفال المتزوجات منهن -وكن يعانين اشد المعاناة من مشكلة رعاية أطفالهن في الأشهر والسنوات الأولى، لاسيما إذا لم يكن للممرضة الام من يعتني بأطفالها من أهلها الأقربين والساكين بجوارها.

هذا كله أرجعت صداه، باعتزاز، الأخوات المشتركات، وأضفن بصوت واحد ان لوزير الصحة الحالي الدكتور رياض إبراهيم فضلاً كبيراً في توفير هذه الأحواء عمليا، وأنهن يجدن لديه، سواء في الندوات العامة التي يعقدها مع الملاكات الصحية في المحافظات أو في المراجعات الخاصة، اذنا صاغية واهتماما شخصيا لسماع شكواهن وتنفيذ طلباتهن أو رفع الغبن عنهن.

إن مثل هذا الجو الديمقراطي والإنساني الجديد الذي توفره الثورة يربط، بصورة محكمة، بين الدوافع الإنسانية والوظيفية المعاشية لمهنة التمريض، وينعكس إيجاباً على نوعية الخدمة التي تبذلها الممرضة للمواطن المريض، متمثلة بالإخلاص والتضحية وبمحبة المهنة. ولقد ساهم هذا التقييم الرسمي فعلاً في تحسين الصورة الاجتماعية للممرضة وفي تشجيع الفتيات على العمل في التمريض.

* الممرضة المسيحية

- هل لإيمانك المسيحي تأثير على تعاملك مع المرضى؟

"بدافع من إيماني أرى انه يتحتم علي أن افتح قلبي لكل متألم وملتحج. ففي احد الأيام جاءتني مراجعة لم تنل حقها من المعالجة مما حدا بي إلى التحدث معها برقة والاستفسار عن مشكلتها. ففرحت كثيراً بما لمست من اهتمامي.. وفرحت أنا، بصورة خاصة، عندما بادرني: الست مسيحية؟!"

مثل هذه الشهادة التي نقلتها ام معن تشير إلى شيئين: الأول أن حياة الإيمان، بقدر ما تكون راسخة في القناعة الشخصية، بقدر ذلك تنعكس على الحياة العملية والمهنية على شكل شهادة معاشة في الإخلاص والتضحية والمحبة. والثاني ان ظروف مهنة التمريض تتيح فرصاً كثيرة للتبادل الروحي والإنساني والأحاديث الدينية في جو من التقبل والانفتاح والبساطة، وفي بعض الحالات تؤدي الممرضة المسيحية خدمة إنجيلية جلية عندما تتصل بالكاهن لعيادة مريض يحتاج إلى خدمات دينية لاسيما إذا كان مدنفًا، أو عندما تعطي العماد لطفل مسيحي الأبوين وهو في حالة خطرة.

وعندما سألنا عن نسبة عدد الممرضات المسيحيات، كان الجواب بأنها نسبة عالية -الثلث أو أكثر- ولكنهن يعانين، لاسيما الطالبات منهن، من ضيق الوقت لارتداد الكنيسة، ومن فقر كبير في الثقافة المسيحية. ونقلت المشتركات اقتراحاً يعكس رغبة زميلاتهن المسيحيات، الطالبات والمقيمات بصورة خاصة، في إقامة قداس دوري خاص لمن يتخلله شرح الإنجيل ودرس في التثقيف المسيحي، لمعالجة هذا الفقر ومساعدتهن على تثقيف ذواتهن دينياً وإنسانياً

التمريض مهنة كسائر المهن. ولكنها متعبة مرهقة، تحتاج من صاحبها كثيراً من التضحية والصبر ورهافة الحس للتخفيف عن آلام المرضى وبعث السعادة من جديد في نفوس وأجساد منهكة.. لذا فهي أشبه بـ "دعوة" منها بمجرد "مهنة" لكسب العيش. هذا ما أدلت به كافة المشتركات في الطاولة.

إن المرء يزداد إيماناً بالقيم الإنسانية ويجدوى تضحياته عندما يتضح له ان عمله يساهم مباشرة في تقليص آلام المتألمين وبان الخدمة التي يؤديها لإخوته المرضى تجعل لمساهم وجهاً إنسانياً اقل تشنحاً.. فلا يحطمهم الألم.. ويبقى الأمل باباً مفتوحاً للحياة من جديد.. وهي تشعر أنها كذلك كلما نظر إليها المريض نظرة انتظار، أو صاحبت الطعام أو الدواء الذي تقدمه له باهتمام أو بكلمة طيبة، أو نادته إلى التلفون ليسمع صوت أم أو أخ أو ابن أو زوجة متلهفة، أو عندما يصفحها مع كلمة شكر وهو يودع المستشفى معاف.

أفلا تستحق "ملائكة الرحمة" أو لاء، بما يمثلنه من وجه إنساني مشرق ولطيف، كل تقدير وإكبار؟

بمشاركة الانسة عواطف بدرية

طاولة/تشرين الثاني ١٩٨١

كنيسة العراق بين الواقع والطموح

"كنيسة العراق" سلطت "الفكر المسيحي" عليها مرارا الأضواء في محاولة لتشخيص واقعها واكتشاف عوامل القوة والضعف فيها، بهدف حملها على التجدد على صعيد الفكر والممارسة فتكون لها القدرة على مواجهة التحولات الجذرية التي يعيشها العراق في ظل ثورته الإنسانية التقدمية...

المقال التالي -وهو خلاصة محاضرة القاها الأب جرجس القس موسى في دورة دراسية ضمت أساقفة وكهنة- يسلط الأضواء من جديد عبر تحليل موضوعي، ومن وجهة نظر اجتماعية، ويدعو كل المسيحيين العراقيين إلى النهوض بكنيستهم على مستوى طموحاتهم وتطلعاتهم.

كنيسة العراق إذا لم نطلع على ماضيها وحاضرها، على البيئة الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية التي تعيش ضمنها كجزء منها وهي لها بمثابة التربة والهواء والشمس؛ إذا لم نربط حياتها أو لا حياتها بحركة الكنيسة الجامعة؛ إذا لم نتفحص تكوينها النبوي والبشري؛ إذا لم نلق الأسئلة الصحيحة على أجوبتها، أي على تصرفاتها ومنطق سلوكيتها -المعلن وغير المعلن-؛ وإذا لم نضع أجوبة موضوعية للأسئلة التي لم تتحاصر أن تلقيها بصراحة على ذاتها.. فلا يمكن الوصول إلى التشخيص العلمي الصحيح ومن ثم إلى المعالجة الموضوعية.

فللوصول إلى ذلك سابدا "بالمناخ الداخلي" لكنيسة العراق، فأرى بعيني مراقب اجتماعي السلبيات والايجابيات معا.. ومنها انتقل إلى "المناخ الخارجي" الذي تعيش فيه، أي مناخ التحولات التي يعيشها العراق الجديد، والذي من دون تأقلم بينهما لا حياة لها. ومن هناك سأفضي إلى تقييم الطموح بالممكن.

أولا: الوجه الملبي للصورة

لأول وهلة، أي وجه تقدم كنيسة العراق للمراقب الاجتماعي؟ احصر مشاهداتي بسبع أراها رئيسة، أوردتها بحسب أولوية طرحها على الساحة، وليس بحسب أهميتها:

المشاهدة الأولى:

كتل مسيحية معينة، أو اسر متباعدة ترتاد كنيسة معينة أو أكثر بالتناوب، ومن وقت لآخر، لقداس الأحد، ثم تعود إلى بيوتها آمنة مطمئنة ولا علاقة لها تذكر بالكنيسة إلا في مراحل الحياة الكبرى: في الزفاف، وفي العماد، وفي التناول الأول، وفي الممات. مع سطحية في اخذ أو تأدية هذه الخدمات. كدت أنسى ان هناك عودة أخرى إلى الكنيسة: للشهادات. وهنا تنتهي واجبات المؤمنين وتنتهي التزامات رجال الكنيسة نحوهم.. لولا وجوب العودة إليهم في العيدين، أو خارجا عنهما، للحجاية..

المشاهدة الثانية:

لندخل الآن إلى دواوين الأساقفة ومجالس الكهنة الخاصة، نراهم كلهم تقريبا منشغلين في موضوعين:

- ١- تجديد حجارة كنائسهم وتلييسها مجددا معاصرا، وأحيانا بناء كنائس جديدة.. والتماس الفلوس من هنا وهناك لإتمام مشاريعهم "الحجرية".
- ٢- كل أسقف منشغل في همومه مع كهنته، أي كمعاونين يعملون وإياه في مشروع واحد ذي أهداف واحدة يتطلب تحقيقها انسجاما ودراسة وتخطيطا مشتركا، بل كأبناء عقوقين، إن لم نقل كعمال مزعجين ومشاكسين لا يطالبون سوى بزيادة الأجور. وليست نظرة الكاهن إلى أسقفه بأحسن من هذه. ناهيك عن المنافسات المصلحية والتوترات الاستقطابية والمعارك الجانبية بين الكهنة أنفسهم، حين يتواجد أكثر من واحد على "ورشة واحدة". أضف إلى ذلك عنصر البطالة والفراغات الهائلة في أوقات الكاهن عموما.

المشاهدة الثالثة:

لنفتح الآن بريد القلوب، فنقرأ ان موضوع الكاهن والزواج بكل جوانبه العاطفية والجنسية والإنسانية هو أكثر المواضيع المطروحة بين الكهنة، بصورة أو بأخرى، حال ظهور الألفة والثقة واستشارة الجانب الإنساني والاجتماعي لحياقمهم.

تفهم العلمانيين لهذا الموضوع يأتي أوسع فأوسع، بينما يتجاهله الأساقفة، ويتجاهلهم يعتبرونه لاغيا، أو يأتونك بكل البراهين والقرائن اللاهوتية والكتابية والتقليدية والبابوية التي تدافع عن أو تفرض العزوبية الكهنوتية. ذلك لان مسالة الكاهن المتزوج بالنسبة إلى أسقف الأبرشية هي، بالدرجة الأولى، مسالة سياسية - اقتصادية: مسالة ممارسة السلطة عليه بانقيادية اكبر، ومشكلة إعالته كفرد وكأسرة.

المشاهدة الرابعة:

قضية التثقيف المسيحي. هذه القضية يتحدث فيها رجال الكنيسة أكثر مما يفعلون، ويعاني منها الأهل أكثر مما يتعلمون. الأساقفة -وان تحدثوا عنها تكررارا في سينودساقم- لم يقدموا فيها حتى الآن أي مشروع، واكتفوا بالقول للمرة كذا بعد المئة: ماذا نستطيع فعله؟! ليفعل كل واحد ما هو فاعله! وانصبت انتظارات الجميع أن تعمم الدولة مادة التعليم المسيحي للطلبة المسيحيين في المدارس. ولا في هذا اتفقوا: إذ لم نسمع أن طرحوا أو ناقشوا رسميا مع أجهزة الدولة مثل هذا المشروع. وتراوح التعليم المسيحي بين المناهج الهزيلة المقررة لبعض المدارس الابتدائية المشمولة بالقرار، وبعض المبادرات المحلية المحدودة التي تحاول التوجه إلى الطلبة الآخرين.

المشاهدة الخامسة:

العلاقات التي نسميها مسكونية بين الكنائس، اقل ما يلاحظ فيها أنها تتسم بالاكثفاء الذاتي، إن لم نقل بالتجاهل والمنافسة. ولا اظلم أحدا إن قلت بان الأمر كذلك، إلى حد ما، بين الطوائف الكاثوليكية نفسها.

المشاهدة المادية:

الهجرة. هجرة المسيحيين إلى الخارج، بصمت وكما على رؤوس أصابعهم، في شبه حمى معدية. انه نزييف يفقر كنيسة العراق، بالإضافة إلى كونه يفقر الوطن كله، نكاد لا نحسب له حسابا، ولكنه ينخر ببطء.

المشاهدة المادية:

الجمود. الجمود. غياب التخطيط والتنسيق وترك كل شيء لعامل الزمن. مرض العجز عن اتخاذ أي موقف واضح مدروس وموحد حيال الأحداث، سلبا أو إيجابا.

في الملمات الصعبة وفي الأحداث الهامة - القومية والوطنية وتلك التي تمم حياة المسيحيين ككل - تنتظر القاعدة (المؤمنون) أن تتحرك القمة أو الرأس (الأساقفة والبطريرك). وعندما يضطر الرأس فيتحرك يأتي التحرك مرتجلا، منفردا، غير منسجم، ناقصا مفتقرا إلى عناصر الشمولية والتحليل، لأنه لا يكون مدروسا بالكفاية أو أبدا، أو لا جماعيا: لقد ظهر ذلك في قضية تأميم المدارس، وفي قضية المعاهد الكهنوتية، وفي قضية الحركات الرسولية، وفي قضية توحيد الأعياد والاصوام، وفي قضية التعليم المسيحي، وأخيرا في قضية الأوقاف. أساقفتنا في وضعهم الحالي، حيث يبدو كل منهم وكأنه قائم مقام غيره؛ ليس لهم تجاه أية قضية، لا نفس طرح البدائل، ولا نفس التفاوض أو الحوار، ولا نفس المتابعة، ويسرون كلهم بحسب قول المخلص "كفاننا اليوم!" غير أنهم، إلى جانب ذلك، حريصون كل الحرص على ما يمنحهم دور الزعامة الإقطاعية والتقليدية المسند إليهم عرفا وشرعا، وكل ما يخوله إياهم الحق القانوني الكنسي من امتيازات وسلطات، بما فيها انتخاب أساقفة جدد للكراسي الشاغرة!

تقييم وتحليل

ما نستخلصه من تحليلنا للظواهر السلبية التي "شاهدناها" والتي يلاحظها المراقب دون عناء كبير هو:

١ - دور الكنيسة يبدو سطوحيا أو شبه معدوم في حياة البلد. أما في حياة المسيحيين، فتبدو الكنيسة في العراق مجرد كنيسة خدمات...

٢ - من زاوية داخلية أخرى تبدو كنيسة العراق وكأنها تعيش في وادين متوازيين: في الوادي الأول: الأساقفة والكهنة، يمثلون في أعين المؤمنين الطبقة الحاكمة والأمرة والمعلمة والمسؤولة عن خلاص وماسي الشعب، في آن واحد، مما يجعلهم (أي المؤمنين) اتكاليين، صامتين، سلبين؛ وان طبقة الاكليروس قد تحتكر فعلا هذا الدور لنفسها أكثر من اللازم. أما في الوادي الثاني: فيوجد المؤمنون: بعيدون، غائبون، يجرجون أنفسهم وراء "الرعاة". هم يحسون بأنهم يكونون القاعدة، ولكنها قاعدة لا صوت لها ولا رأي يطلب منها أو يسمع، إلا في حالة الحاجة إلى "سخاء يدها"!

٣ - طبيعة العلاقات السلبية، أو غير المنسجمة بين الأساقفة والكهنة، أو بين كهنة "الورشة" الواحدة، أو حتى الأساقفة أنفسهم فيما بينهم، مثل هذه العلاقات تفرض منطقتها،

ونتائج هذا المنطق هي: عدم توفر الوقت وحرية التفكير وصفاء الذهن لمشاريع حيوية تتطلب الجلوس معا والعمل معا؛ شلل تدريجي لطاقت الكنيسة، لاسيما إذا كان الرأس المدبر جامدا أو معتلا؛ انسلاخ المؤمنين تدريجيا عن الإنجيل ولا مبالاة متزايدة تجاه الكنيسة / المؤسسة؛ تناقص الرغبة لدى الشباب للانخراط في سلك الكهنوت والعمل الرسولي... أما بنية الكنيسة، فلا تكون حينذاك إلا شكلية.

٤ - الكاهن طاقة رسولية لا ينبغي التفريط بها. الأسقف، وهو مسؤول الرسالة الأول ورائده الطبيعي فيها، لماذا ترى يُجعل منه، عن قصر نظر، أو لروح سلطوية مفرطة، لماذا يجعل منه خصما، أو عاملا مشاكسا؟ الكاهن إنسان له كرامته وطموحاته وأحاسيسه الإنسانية والعاطفية، فلا ينبغي أن يعيش في مرارة من أوضاع حياته . وموضوع الزواج ذاته للكاهن، اليوم، يدخل في باب بحث الكاهن نفسه عن هويته الخاصة في مجتمع اليوم، ولربما في ضبابية إحساسه بخصوصية دعوته. كما إن طريقة معيشتة وتركه وشأنه "يتدبر أحواله" ماديا وروحيا، يجعل من هذا الموضوع "معضلة".

٥ - يعتبر التثقيف المسيحي (بكل أشكاله التعليمية والليتورجية) قضية جوهرية جدا وخطيرة بخطرورة الحياة، بما تتعلق استمرارية المسيحية في بلادنا، لا كمجرد "جسم اجتماعي"، بل ككنيسة حية ذات رسالة إنجيلية ودور نبوي تنقلهما إلى بنيتها وتلتزم بهما في حياة الوطن والشعب الذي تتأنس فيه، لا سيما وأجيالنا المسيحية تتعرض أكثر فأكثر لمنافسة حادة ومغرية من قبل تيارات ثقافية جديدة. من هذه الاستنتاجات تبدو كنيسة العراق "كالرجل المريض": ممل، عدم ارتياح، ضياع، تاكل.. وبانتظار الأعجوبة، لا موت ولا حياة!

ثانيا: الوجه الايجابي للصورة

سأنظر الان إلى المؤشرات الايجابية بأعين المراقب الاجتماعي ذاقها. ماذا أرى؟ هنا أيضا حصرت مشاهداتي بسبع أراها مخزونة بالطاقة إذا عرفنا استثمارها بعقلانية وبعد نظر وجماعية في المعالجة:

المؤشرة الأولى:

البنى الكنسية، التنظيمية والوظيفية، لا زالت قائمة: فأمين الخدم الدينية والطقوس والأعياد والمراسيم وارتياذ هذه المراسيم لا زال يسير بوتيرة اعتيادية.

عدد الكهنة في الوقت الحاضر لا زال، إلى حد ما، بخير. عدد مرضي من الفتيان الشباب لا زال يفكر في الكهنوت ويقصد المعهد الكهنوتي. أما الأساقفة -وعلى رأسهم بطريك يعتبر الرأس الفعلي لكنيسة العراق- فعددهم ٢٤ على حوالي ٧٠٠٠٠٠ نسمة: عدد، لو كان منسجما ضمن سينودس فاعل، أو مجلس أساقفة مسؤول، أو حتى اجتماع دوري يستعين بخبرات علمانية وكهنوتية أخرى، أقول: مثل هذا العدد لفاعل لكنيسة العراق.

وهكذا إذن استمرارية البنية الكنسية مؤمنة لبضع سنوات أخرى.

المؤشرة الثانية:

الكنايس لا زالت قائمة، تتجدد في بنائها، وكنايس أخرى جديدة تبنى، وحتى أديرة: والدولة نفسها هي التي تبادر، وأحياناً بالقسط الأوفر من المساهمة أو بكامل الكلفة. ألا يبدو ذلك مشجعاً للاستمرارية!

المؤشرة الثالثة:

حرية الدين موجودة للجميع، وحقل ممارسته بالشكل السوي الذي يرضي الله ويخدم الإنسان وروح الأمة هو حقيقة ثابتة يقرها الدستور العراقي، وتضمنها ايدولوجية البعث. وسياسة الدولة نفسها تعمل بروح ضمان هذا الحق وسبل تحقيقه لجميع الأديان، ومن منطلق ان جميع المواطنين سواسية أمام القانون، متساوين في الحقوق والواجبات، لا تفضيل لأحد على آخر إلا بحجم إخلاصه لوطنه وعطائه وتضحيته. وكننتيجة ايجابية مباشرة لهذا الموقف الدستوري والمبدئي أشير إلى ثلاثة جوانب لها أبعاد مهمة على الصعيد المسيحي:

١ - وجود مسيحيين لا باس بعددهم وكفاءتهم في الحزب وأجهزة الدولة.

٢ - الاعتراف الرسمي بالحقوق الثقافية للناطقين بالسريانية.

٣ - ضمان الدولة لحق تامين التعليم المسيحي - ووفق منهاج موحد- في المدارس التي أكثرية طلابها مسيحيون، وما يمكن أن يستنتج ويستثمر من روح ومنطق هذا الحق المعترف به والمقرر لتعميم التجربة لكافة الطلبة المسيحيين مهما كانت نسبتهم، وذلك وفق صيغ وأساليب يتفق عليها الطرفان: الكنيسة والدولة.

المؤشرة الرابعة:

المسيحيون في العراق مواطنون أصليون. فالبلاد بلادنا، والأرض أرضنا، ولسنا مستوردين، وقد ساهمنا فعلياً ومباشرة في بناء الحضارة العراقية: هذه أرضية صلبة ننطلق منها في ممارسة حقوقنا الكاملة واستثمار طاقاتنا كلها بحرية وعقلانية، لبناء مسيحية حية متحركة وتأدية التزاماتنا الوطنية كافة بكل سخاء وطمأنينة، لا فضل لنا بذلك على احد، وليس لأحد به مأخذ علينا!

المؤشرة الخامسة:

حسن استعداد المؤمنين عامة، وأرضية الإيمان عندهم، واستمرار ثقتهم وتطلعهم إلى الكنيسة ومن يمثلونها. يضاف إلى ذلك عطش الجميع، من كل الطبقات الاجتماعية والثقافية، ومن كل الطوائف المسيحية، إلى التغيير والتجديد والحياة الكنسية المعطاء.

المؤشرة السادسة:

بالرغم مما أصاب قنوات الرسالة والتثقيف المسيحي من هزات وعطب لا زال أكثر من باب مفتوحاً بوجه العمل - فنحن مع المبدأ القائل بان الأبواب غير المغلقة تعتبر مفتوحة- والمبادرات كلها لم تمت تماماً. فهناك محاولات، وان محلية ومحدودة، تبقى كالفنديل المضيء والأمل الذي يبشر بالحياة.



المؤشرة الصابئة:

العلاقات بين الكنائس المسيحية، وإن كان يغلب عليها طابع الاكتفاء الذاتي، فهي جيدة على العموم وخالية من التوتر، ويمكن توظيف الإرادات الطيبة المتواجدة في كل كنيسة للعمل المشترك والتعاون. فخليق بكنيسة العراق المتعددة الطوائف أن يكون شعارها المسكوني والتعبوي: "لا نعمل منفردين أي شيء نستطيع عمله سوية" (مار اغناطيوس الإنطاكي).

تقييم:

خلاصة ذلك كله، نقول بان كنيسة العراق لم تفقد كل أوراقها، وثمة إمكانات متاحة وغير مستغلة أكثر مما نظن لأول وهلة، وإنما هي في منعطف عسير وخطير في تاريخها وأمام تحد لم تستعد لمواجهته. إن ما نرفضه اليوم هو أن يبقى القائمون عليها، إلى ما لا نهاية، في موقف اللاحرك والخوف والعجز واجترار الماضي بحجة أن الماضي كان دوماً أفضل من الحاضر.

تطوير الحاضر نحو الأفضل -أو أي مشروع تجديدي- يأتي نظرياً من تواجد عناصر بشرية (هنا: المؤمنون، الكهنة، الأساقفة) لها مصالح معينة، خاصة وعامة، على محك واقع جديد (العراق الجديد). وهذا المحك يتمثل في الواقع الحياتي في تناقضات جديدة، اجتماعية وفكرية واقتصادية، وهذه المصالح تفرض على أصحابها -فردياً وجماعياً- التزامات ومواقف معينة نشخصها في ثلاثة نماذج وهي:

- ١ . إما التطابق مع النموذج القديم وتجميد المواقع المكتسبة بالوراثة واستمرار إعادة إنتاج الماضي (وهذا ما اسمه بالتقليد الاستنساخي أو النموذج السلفي)، وسبب ذلك الخوف من المجهول والمجازفة بالجديد، فالبقاء على سفينة محطمة اسلم من السباحة على الأمواج حتى إذا أفضت إلى شاطئ السلامة.
 - ٢ . وإما تبني النموذج الجديد السائد أو الأقوى دون تساؤل أو إجهاد فكر (نموذج الانتهازيين)، لأنه الأضمن في سوق الربح والخسارة.
 - ٣ . أو نموذج مبتكر وخاص يحاول، في آن واحد، أن يحافظ على استقلاليته، وأن يستلهم تراثه وخصوصيته، وأن يتجسد في واقعه وبيئته مع كل ما يفرض هذا التجسد من الترام وبحث دائم وتجاوز مستمر للذات (نموذج الجيل الجديد من الكهنة والشباب الملتزمين).
- وبقي أن نضع كل ذلك في إطاره الطبيعي، على محك الواقع: الواقع العراقي.

ثالثاً: التحولات التي يعيشها العراق الجديد

العراق الجديد يريد أن يتحرر من كل تبعية ووصاية ويثبت سيادته على ذاته وبيئته استقلاليته السياسية والاقتصادية والثقافية. العراق الجديد يشعر بكثافة تراثه وانتمائه التاريخية الحضارية: السومرية - البابلية - الآشورية - العربية /الإسلامية وحتى السريانية /النصرانية.. وهو يريد أن يقيم بناء حضارياً جديداً ينبع من خصوصيته التاريخية والبنوية

ومن انتمائه العضوي إلى الأمة العربية وصلته الثورية مع نضال العالم الثالث ويساهم من ثم في إثراء الانسانية.

هذا المشروع يخطط له فكر قائد وتشرف على تنفيذه سياسة تتسم بالتخطيط والبرمجة أي باسم المبادئ الثابتة والأولويات. والدور القيادي للحزب لا يقتصر على ميدان السياسة بمعناها الحصري، ولا على ميدان الاقتصاد بإبعاده المعيشية والخدمية وكطاقة ضرورية لتطوير الآلة الإنتاجية وامتلاك وسائلها والتحكم بمقاليدها. فإذا كان الحزب يقود ثورة، فهو يريد لها أيضا ثورة ثقافية اجتماعية، موحدة الأهداف، متجانسة الفكر يقودها هو بنفسه، دون أن يستبعد الإسهامات الأخرى. النتائج الايجابية المرسومة هي توحيد الأهداف الوطنية والقومية وحرص صفوف المواطنين وصهرهم في بوتقة وطموحات واحدة وتحييد الخصوصيات العرقية والطائفية والدينية. عنصر الدين ليس غائبا -وهل يمكن أن يكون غائبا في مثل مجتمعاتنا التقليدية التي امتزج الدين في تكوينها امتزاجا عضويا وطبع أخلاقيتها وقيمها الروحية والمادية، الشخصية والعامة- فتأثيره ضمني وواقعي ويؤخذ بالحسبان، غير إن الدولة لا تريد أن تضعه كمؤشر قيادي، حرصا على استقلاليتها. وباسم هذه الاستقلالية تبني البعث مبدأ "العلمانية".

والعلمانية البعثية ليست مجرد نظرية فلسفية إلى الوجود، بل لها وظائف اجتماعية - سياسية وايدولوجية واقعية وعملية تصفها أدبيات الحزب بأنها:

١) مضادة لكل أشكال الإلحاد

٢) بأنها أساس للفصل الواضح بين المؤسسة الدينية والمؤسسة السياسية

٣) بأنها ضمان لمبدأ المساواة في الحقوق أمام الدستور

٤) بأنها نبذ للطائفية

٥) بأنها لا تتعارض مع القومية وتعترف بكل غنى تجارب الماضي .

من هنا تأتي سياسة الحزب تجاه الدين: سياسة حيادية وبجاملة: توازن محسوب: تجاه الكنائس والجوامع، تشجيع مشاريع، بناء أديرة وكنائس، تكريم، أحاديث تقييم ومساواة، زيارات ميدانية الخ...

فالمللوب منا نحن هو أن نتقدم بما هو أعمق وجوهري للكنيسة ولحياة الجماعة المسيحية وديمومة هويتها المسيحية، مثل تامين الثقافة المسيحية ببسر وحرية أكثر.. لا خوف علينا ولا لوم عندما نطالب بحقوقنا الأساسية كمواطنين ضمن القانون.

مهما كان من أمر، فان مثل تلك الخطوات التكرمية الرمزية وسياسة التوازن والاحترام ساهمت في رفع معنويات المسيحيين وزيادة ثقتهم بأنفسهم وبوطنهم وبالقيادة السياسية معا .

مثل هذا المنظور العلماني المستقل إلى المجتمع، ومثل هذا النمط للعلمانية يتطابق إلى حد بعيد مع منظور الكنيسة، كما جاء في رسائل يوحنا ٢٣ وبولس ٦ ويوحنا بولس ٢، إلى علاقة الدين بالدولة واستقلالية كل منهما عن الآخر في إطار احترام الحقوق المتبادلة، وخدمة القيم الإنسانية، وبناء المجتمع السليم المتكافئ.

إلى جانب المنظور الايديولوجي لسياسة اية دولة عقائدية، هناك ممارسة واقعية وفعلية تجعل الطموح ضمن الممكن وتعطي وجهها إنسانيا ونسبيا للمبادئ والمثاليات. وان مبدأ النقد الذاتي والتشاور وسياسة المراحل، التي هي سياسة الممكنات والأولويات... هذه العناصر مضافة إلى مركز قرار مسؤول يخطط وينسق هي سر قوة السياسة العراقية وهي في أساس نجاح كل عمل جماعي يبغى الفاعلية: في الكنيسة، لماذا لا نتعلم من غيرنا كيف نعمل لننجح؟

كيف؟: محاولات. طرق أي باب لم يغلق. روح الابتكار والشجاعة. تحمل المسؤولية. مركز قرار وتنسيق. إقامة الأجهزة التنفيذية. دراسات. مشاورات لوضع الخطط والأولويات، على ضوء الواقع الممكن.

في أمور الرسالة والتثقيف المسيحي - كما في غيرها من الميادين - قد تلقى المسؤولية عادة على الأساقفة أو على غيرهم. ولكن - ومن دون أن نعفي الأساقفة من المسؤولية لاسيما لدى المراجع الرسمية - نتساءل هل وضع الكهنة أو الراهبات كل طاقاتهم وإمكاناتهم - أو نصفها - في خدمة الإنجيل؟ العلمانيون أنفسهم، هل ساهموا حقا وبصورة جادة في حياة الكنيسة وهل تجاوزوا دوما مع المبادرات؟

في المسائل العالقة بين الكنيسة والدولة ينبغي أن تكون للكنيسة نظرة واضحة وموقف مدروس وموحد ومشروع بديل أو أكثر؛ وما يطرح علينا بمنظور سياسي لا ينبغي أن نواجهه أو نتعامل معه بعقلية سلفية، قبلية، استعطافية.

وإذا كان موقف التزلف والتبعية أمر لا ترضاه كرامة الكنيسة واستقلاليتها، فمواقف الحوار واللقاءات الايجابية مع المسؤولين المدنيين أمر ضروري وبناء يصب في المصلحة العامة التي ينبغي للكنيسة أن تكون أول العاملين لها. فدور الكنيسة ليس أن تعيش على هامش الحياة، مغتربة غائبة، وإنما أن تتفاعل ايجابيا مع حياة الشعب الذي هي جزء منه، وتلتزم قضايا القطر، من موقعها الخاص.

إذا كان موقف الكنيسة كذلك بالفعل، فسيكون لها الحق، حينذاك، بالمطالبة بحقوق، وإلا فبأي وجه تذهب إلى المغامم وتتنكر للتضحيات والالتزام!

هذه هي جوانب أساسية من الضروري جدا الإحاطة بها والتعمق في تحليلها واستيضاح نتائجها، على المدى القريب والبعيد، إذا أردنا أن نفهم شيئا من واقع كنيستنا العراقية ومستقبل مسيحيتنا، والشروع من ثم بتحريك المياه الآسنة كي يجري النهر صافيا، معطاء.

- + الحركة المسكونية بين الطموح والممكنات/مناقشة/شباط
- + رحلة البابا الى افريقيا / ش. ر / نيسان
- + دير الشيخ مني / تحقيق / ايار
- * قراءة في كتاب اعمال الرسل/ ت١ - ت٢ (للحار من الاعداد الخاصة/ص١٧٧)
- + الوحدة في النعمية: رأي الارثوذكس في قوامه الحوار المسكوني/ش.ر/حزيران-تموز



الحركة المسكونية بين الطموح

كان مجلس الكنائس العالمي أول هيئة مسيحية عالمية رسمية تعنى بشؤون الوحدة المسيحية بصورة مباشرة ومبرجة. فقد ضم يوم انشائه في ٢٣ آب ١٩٤٨، في أمستردام بهولندا، ٤٧ كنيسة، وهو يضم اليوم زهاء ٢٧٠ كنيسة من البروتستنت والانكليكان والأرثوذكس على اختلاف طوائفهم، وتمثل فيه الكنيسة الكاثوليكية بوفد دائم. وقد قام هذا المجلس، ولا يزال، بعمل جبار في تقريب الكنائس من بعضها البعض، وفتح الحوار اللاهوتي، وتنسيق العمل الاجتماعي ومعالجة قضايا الإنسان الكبرى كالتحرر من الجوع والتخلف والامية في دول العالم الثالث، والنضال من اجل كرامة الإنسان ضد القمع السياسي والعنف في الأنظمة الاستبدادية، ومضاعفة الجهود في سبيل إيجاد صيغ فكرية مشتركة ومقبولة للتعبير عن الإيمان بين الكنائس الأعضاء. وكان المجلس نفسه خيمة اخوة حقيقية للتقاسم والتلاقي بين الغرب والشرق، من جهة، وبين الكنائس الأرثوذكسية فيما بينها بصورة خاصة، من جهة أخرى.

وجاء المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني الذي دفع بالكنيسة الكاثوليكية بزخم وعزم نحو شقيقاته، فمما تيار وحدوي عارم في صفوف المسيحية لاستعادة الوحدة في كنيسة المسيح المجزأة. فكان حضور مراقبين من الكنائس الشقيقة في جلسات المجمع واحتفالاته، وقيام سكرتارية كاثوليكية دائمة لشؤون الوحدة المسيحية كحلقة وصل للحوار والتدارس والتشاور والتنسيق مع الكنائس الشقيقة وانفتاح الغرب اللاتيني على تراث الشرق الزاخر

والعودة إلى ينايع الكتاب المقدس والجامع المسكونية الأولى وآباء الكنيسة في الأجيال المسيحية الأولى -ومعظمهم شرقيون- الذين غدوا الكنيسة الجامعة قبل الانشقاقات بروحانياتهم، وتواجه شخصيات فذة على رأس الكنائس المسيحية، عميقة الإيمان والمحبة، ومصممة كل التصميم على نفض غبار الماضي وفتح عهد وحدوي جديد لا رجعة عليه، أمثال يوحنا الثالث والعشرين وبولس السادس وأثيناغوراس.. وغيرهم.

كل هذه الظواهر التي يسميها يوحنا ٢٣ "علامات الأزمنة" بعثت في الكنيسة الجامعة ككل، نشوة من الأمل الوطيد بان الوحدة على الأبواب.. وتسارعت الأحداث والمبادرات فتلاقى الأقطاب وتعانقوا بعد تباعد دام مئات السنين، وذهبت وفود وجاءت وفود، ورفعت حرومات جمدت العلاقات قرونا طويلة، وشمل الحوار بين الكنائس كل شيء: اللاهوت، الرئاسة، الطقوس، المسلكية... وسرت بين المؤمنين من جراء هذا الجو المسكوني الجديد آمال واسعة، لاسيما في شرقنا حيث تتداخل الطوائف تتداخل قطع الفسيفساء في منمنمة عتيقة تكاد تنغمر لضآلتها في بحر من أكثرية غير مسيحية ساحقة.

وشهد قطرنا العراقي في الستينات والسبعينات خطوات تقارب مسكوني محسوسة كانت أولى نتائجها المنظورة أن كسرت طوق العزلة النفسية والاكتفاء الذاتي الذي كانت تعيش فيه كل طائفة إزاء الأخرى، وامتدت جسور الانفتاح والمبادرات الموحدة بين الطوائف الكاثوليكية والأرثوذكسية من زيارات مجاملة متبادلة بين المسؤولين الكنسيين ولقاءات التنسيق والتشاور، ووضع مناهج موحدة للتعليم المسيحي، واشترك في صلوات أسبوع الوحدة المسيحية في الكنائس المختلفة، وإصدار بعض النشرات والرسائل الراعوية والتقاويم الموحدة، وحضور وحتى مشاركة المسؤولين الكنسيين (كهنة وأساقفة) في الصلوات والاحتفالات المقامة في بعض المناسبات في كنائس من غير طائفتهم الأرثوذكسية أو الكاثوليكية، وإقامة ندوات دينية - ثقافية مشتركة عملت كثيرا في إذابة التجاهل والأحكام المسبقة في بوتقة الاخوة المسيحية، وتخفيف أو رفع موانع الزواج المختلط... مما بعث وعيا وحدويا حقيقيا.

ولكن ذلك كان في السابق.. يقول بعضهم، فالمبادرات المسكونية قد خبت وكدنا اليوم نعود إلى تعايش سلبي اكتفائي انكفائي! إننا بحاجة إلى مبادرات عملية ملموسة: ولم تعد تكفينا الجماعات.. ألا ينطوي الاعتراض على جانب من الصحة، يا ترى!؟

"الحركة المسكونية في سبات"! عبارة نسمعها على لسان أولئك الذين انبتت فيهم المبادرات المسكونية، في السنوات الماضية، الأمل باستعادة الوحدة المسيحية، ولا يرون تجسيدا لها في الواقع.

بهذه الصيغة كانت الفكر المسيحي قد طرح من جديد ملف الحركة المسكونية وأمنية الوحدة في عدد ت ٢ ١٩٨١ للمناقشة مع القراء. فالمبادرة الأخيرة التي قام بها رؤساء الطوائف المسيحية في أيار الماضي في بغداد لدرس قضية توحيد عيد القيامة أفاق الآمال من

جديد، وذلك لان هذه الأمنية تعتبر من اعز أمنيات المسيحيين على اختلاف طوائفهم ومللهم لاتصالها المباشر بحياتهم الاجتماعية والعاطفية. ولقد اتفقت الأطراف المعنية، من حيث المبدأ، على تبني الأحد الأول أو الثاني من نيسان للاحتفال بالعيد سوية في العراق، ورفع الاقتراح إلى البطاركة للموافقة عليه.

أملنا أن لا تلحق هذه المبادرة مصير سابقاتها، وإذا لم تعط النتيجة المتوخاة حالا، فعوض أن يلقي اللوم على هذا الطرف أو ذاك وتغلق القضية، ينبغي بالأحرى إعادة دراستها وتعميقها وتوسيع حلقة التداول فيها بروح الحوار المسؤول لاتخاذ الصيغ الموضوعية لإقرارها. بما يتحاوب مع انتظار الشعب المسيحي المؤمن وخيره، لا بما تلميه الاعتبارات البيروتوكولية والمزايدات. إن حل هذه القضية هو محك حقيقي لاختبار جدية المقولات وكل المبادرات أو التصريحات الوحودية الأخرى. كان السؤال المطروح على قرائنا:

**** ما هي في نظرك ابرز العقبات (لاهوتية، رئاسية، إدارية، طقسية...) التي تحول دون قيام الوحدة المسيحية في كنانسنا؟**

المجد الذي أعطانا الرب لكي نكون واحدا

سرد السيد أرمنيك اوهانيس (محاسب - الموصل) نص إنجيل يوحنا (٢٧: ٢٠-٢٢) في أمنية يسوع الأخيرة في أن يكون تلاميذه كلهم واحدا كما انه، هو والآب واحد، وكيف انه جعل من هذه الوحدة شهادة ومنطلقا لدعوة الناس إلى الإيمان بالله وبالكلمة الذي أرسله لخلاص العالم، يسوع المسيح. وقد ركز السيد أرمنيك بصورة خاصة على ربط المسيح بين المجد الذي أعطاه لتلاميذه والوحدة المطلوبة:

"لقد أعطانا السيد المسيح المجد الذي أعطاه إياه أبوه لسبب واحد وهو لكي نكون واحدا وشرط أن نكون واحدا... هذه هي رغبة الرب وأقواله، فإما أن تؤمن بها ونلتزم بها، وإما إننا قد قبلنا بالخروج عنها".

العودة إلى الإنجيل

كتب السيد خليل توما (الشيخان): "يجب أن نعرف الإنجيل، والإنجيل حسب تصوري هو الدستور أو المرجع للإنسان المسيحي، فإذا أرادوا الوحدة حقا، فليرجعوا إلى الإنجيل ولا يخرج أي طرف عما هو فيه. نقول: هذا كاثوليكي وذاك أرثوذكسي والآخر نسطوري أو بروتستنتي... هذه التسميات خلقت الانشقاق، وتلك الأسماء أسماء بشر مثلنا ثم تحولت إلى معتقدات، أما المسيح فهو واحد للجميع، والكل يحمل صليبه ويقول: صلب من اجل خلاصنا".

ثم يتطرق الأخ خليل إلى أن النظرات اللاهوتية المختلفة وتنوع الطقوس لا تعتبر في حد ذاتها عقبة الوحدة، وإنما تعكس نزعة الإنسان الطبيعية إلى التنوع في أساليب تعبيره

وترجمة مفاهيمه. ولكنه بالمقابل يعزو إلى السلطة الكنسية قسما مهما من المسؤولية في الوحدة، كما في الانشقاق، غير انه يعود فيقول بان توحيد الكنيسة مشروع أهم واعز من أن يعالج بخفة وسطحية وانفعال، فهو "ليس اتفاقية عمل مشترك لمدة معينة ثم ينتهي.. وإلا لكانت العقابة أوحم...".

الوحدة مشروع القمة والقاعدة معا

الآنسة إنعام ميخائيل توفيق سريدار (موظفة-الموصل) تجزم بان "أهم العقبات التي تحول دون قيام الوحدة المسيحية الكاملة هي لاهوتية وإدارية ورتاسية وطقسية معا". وإذ ترى ضرورة تطوير الطقوس الكنسية وترجمتها وتولييفها بما يخدم مشاركة الشعب فيها مشاركة فعلية، تدعو مؤمني الكنيسة الواحدة إلى الافتتاح على الكنيسة الأخرى، فتلك خطوة مهمة في الحوار المسكوني وخلق حس وحدوي لدى الشعب المسيحي لان الوحدة المسيحية مشروع القمة والقاعدة معا:

"إن الحركة المسكونية، لما وصلت إلى السبات، كما يقول البعض، لولا تقاعس هؤلاء الذين اعتبروا تجزئة الكنيسة مسالة طبيعية ولدت معهم وليس من الضروري أن يغيروا الأمر الواقع.. إن رؤساء طوائفنا عندما يجردون تجاوبا وإصرارا من الشعب المسيحي، فنحن على ثقة بأنهم سيفيرون، حتما، خططهم الروتينية التي قد يكونون مجبرين عليها بحكم الاعتبارات البشرية والتقاليد المتوارثة...".

في المسيحية ليس من امة هيبة

الآنسة جميلة بولص بطرس (معلمة- شقلاوة) كتبت معلقة على أن في البدء لم يكن إلا كنيسة واحدة، وعلينا العمل للعودة إلى "الراعي الواحد والرعية الواحدة": "ليس في المسيحية من امة سيادة، ولا من لغة سيادة، ولا من ثقافة سيادة. فالسيد هو المسيح الذي تجسد في البشرية كلها. أما ظهور المذاهب والفرق في الكنيسة الجامعة فيعود إلى سببين: الأول ذاتي أو شخصي (السلطة الكنسية) ويتعلق بالتفسيرات اللاهوتية والاتجاهات الفكرية، والثاني سياسي ويتعلق بالضغوط السياسية التي تعرضت لها الكنيسة وما أحدثته من انشقاقات...".

تجزئة المشكلة حلها مرحليا

السيد حبيب هرمز ججو (كلية العلوم - الموصل) يرى أن الهدف الاسمي يبقى الوحدة الكاملة وقيام كنيسة واحدة موحدة. غير أن هذا الهدف لا يبلغ إلا مرحليا، بدءا بإزالة العوائق، ومن أهمها، برأيه، تعدد الطقوس التي "تلعب دورا في تعميق الهوة بين الكنائس. أما توحيدها، ولو بمراحل تدريجية، فيعتبر كحد أدنى للاتفاق وكخطوة عملية جيدة نحو الوحدة، لكونها تهيئ المؤمنين الذين هم عصب الكنيسة... فالوحيد يجب أن يمر بمراحل: الطقوس، الوسائل الإدارية.. وأخيرا المرحلة الأصعب وهي الاتفاق في الشؤون اللاهوتية".

الوحدة في الإطار العام لا في التفاصيل

رأي الدكتور يوثيل يوسف عزيز (رئيس قسم اللغة الانكليزية - جامعة الموصل)
يختلف تماما:

"الوحدة المسيحية - كما فهمها - لا تعني توحيد التفاصيل في الكنائس المسيحية، بل تعني إتباع الإطار العام للمسيحية. أما التأكيد على التفاصيل فهو السبب الرئيسي لعدم تحقيق الوحدة المسيحية. فمما لاشك فيه أن التفاصيل الإدارية والطقسية وحق التفسيرات اللاهوتية تختلف من زمن إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر. وهذا الاختلاف سمة ضرورية للكنيسة ومظهر من مظاهر تطورها الحضاري.. فانصهار الكنائس في كنيسة واحدة، إذا كان يعني توحيد التفاصيل فهو أمر بعيد التحقيق، فضلا عن انه لا يخدم الكنيسة بالضرورة. فالجوهر في المسيحية - هو ما ندعوه بالإطار العام - هو الإيمان بشخص المسيح وبتعاليمه وبأسلوب الذي سلمنا إياه في عبادة الله والخدمة والخير والفضيلة...".

في العراق

أما من ناحية أيهما أكثر أهمية لكنائسنا في العراق: توحيد المواقف أم الانصهار في كنيسة واحدة، فقد كتب السيد وعد الله إيليا كرومي (قرةقوش):
"الأهم لكنائسنا في العراق يكمن في توحيد المواقف وتنسيق العمل الراعوي والرسولي".

كذلك كتب السيد حبيب هرمز جحو:

"الأكثر أهمية لكنائسنا في العراق هو البدء بتوحيد المواقف من خلال الرأي الموحد في أسلوب العمل الراعوي، وطرق التبشير بالمسيح، وتنشئة الجيل الجديد بحسب الروح الوحودية بعيدا عن الطائفية، والتعاون الاجتماعي، ومن خلال المواقف الموحدة تجاه قضايانا الوطنية والقومية والالتزام بها.

لا شك إن هذه الإجابات لا تحيط بالوحدة المسيحية^(١) من كل جوانبها، فالمسألة أوسع وأعمق وأكثر تعقيدا من أن تحصر في "آراء وأفكار" يلقي بها هذا أو ذاك على صفحات مجلة. ولكن هذه "الآراء والأفكار" التي أوردناها، على قلتها وإيجازها، تعبر عن حالة نفسية عامة تترجم بحنين عميق وحميم لدى جميع المسيحيين: الوحدة المسيحية كما كانت في القرون المسيحية الأولى قبل التحزؤ، وتشير الى ملل المؤمنين - لاسيما في أقطارنا حيث نحن قلة - من انعكاسات هذا التحزؤ الشبيه بالشرذم. انما صرخة إيمان موجهة إلى قادة كنائسنا والى قادة الفكر والرأي فيها لتوحيد كل ما يمكن توحيد في كنائسنا، وعدم العمل منفردين أي شيء نستطيع عمله سوية". كما يقول القديس اغناطيوس الإنطاكي.

مناقشة/شباط ١٩٨٢

(١) طالما طرقت "الفكر المسيحي" في إعدادها الماضية، قضية الوحدة المسيحية من كافة جوانبها. وتكفي نظرة سريعة إلى المقالات التي نشرتها والتي رصدتها "الكشاف" في باب "الحركة المسكونية".

رحلة البابا إلى افريقيا

تشبه افريقيا اليوم فتاة زنجية رشيقة تزهو بقوامها وشبابها وخرجت توا عن الطوق إلى الحرية، وقد صار أسياذ البارحة طلاب يدها اليوم، هذا لحلاها الغربية وذاك لأنوثتها والأخر شفقة عليها.. وإذ عرفت ما طعم الحرية ووعت أنانية عشاقها، تأبى العودة إلى أي شكل من أشكال الوصاية، حتى إذا كان ثمن ذلك بعض المضايقات والجوع نفسه!

هذه هي افريقيا التي قطع يوحنا بولس الثاني ٥٠٠، ١٤ كم في ٨ أيام ليلتقي بها ويصارعها بان الكنيسة تقض إلى جانبها وتؤيد تصميمها على استكمال استقلالها في أصالة هويتها الخاصة وشخصيتها المتميزة، وان المسيح الذي تحمله إليها إنما هو مسيح محرر، غامر بالمحبة: "أن رحلتي رحلة راعوية لإعلان إنجيل يسوع المسيح.. انها حج إلى المعبد الحي الذي هو شعب الله في بلدكم..!" بهذه الكلمات الموجهة إلى أساقفة نيجيريا لدى استقباله إياهم في روما في ١٤ ك ٢، أي شهرا واحدا قبل موعد الالتقاء بهم في بلدهم، حدد البابا هدف وطبيعة رحلته الافريقية الثانية (وقد كانت الأولى في أيار ١٩٨٠ لزائير والكونغو وكينيا وغانا وفولتا العليا وساحل العاج)، والأولى خارج ايطاليا بعد محاولة اغتياله في ١٣ أيار ١٩٨١.



نيجيريا: كنيمة شابة، فرحة، حية

صباح الجمعة ١٢ شباط حطت الطائرة البابوية في مطار لاغوس، عاصمة نيجيريا (٣,٥ مليون)، وكان الرئيس النيجيري الحاج شيخو شاغاري والكردينال النيجيري ايكاندم وأساقفة البلاد على رأس المستقبلين، وقد اختلطت الموسيقى العسكرية بالموسيقى الافريقية التقليدية والرقص الفولكلوري. وعبر البابا في كلمته بالمطار عن فرحه "الأخوي" بلقاء الشعب النيجيري الذي "قرر بدستوره أن يحيا في الخضوع لله" في الوحدة والانسجام، وان يعمل لخير الجميع". وكان قد استه ينوه بذلك إلى الوفاق والتعاون القائم بين المسلمين والمسيحيين الذين يشكلون الجماعتين الكيريين في البلاد.

أما اللقاء الجماهيري الأول فقد كان في المساء في الملعب الوطني بالعاصمة حيث أقام البابا القداس أمام أكثر من ٥٠٠٠٠٠ شخص، وقد أعطى البابا التناول الأول لـ ٧٢ طفلا، وأدت الألحان باللاتينية والانكليزية وبثلاث لغات محلية جوقة من ٦٠٠ مرتل ومرتلة. وقد خصص قداسته موعظه الأولى للتبشير وأشاد بعمل الكنيسة في القطر النيجيري.

في اليوم التالي، كان البابا في قلب الكتلثة النيجيرية، في مدينة اونيتشا عاصمة منطقة قبائل ايبو (٧٠% من كاثوليك البلاد هم من قبائل ايبو)، حيث أقام قداسا في العراء أمام أكثر من نصف مليون مؤمن استمعوا إليه بانتباه وتقوى يحدثهم عن رسالة الأسرة

والأمانة الزوجية ويشحب الطلاق وتعدد الزوجات والإجهاض وكل ما يحط من كرامة المرأة. وتحول اللقاء الديني بعد القداس إلى مهرجان مثير حين انبرت فرق الشبان والفتيات بأجسامهم الملونة بالوشم والرسوم يرقصون ويقفزون ويقفون احتفاء بالبابا. واحتتم البابا نهاره بجولة حرة في شوارع المدينة وبلقاء المرضى والأطفال. أما يوم الأحد فقد رسم ٩٠ كاهنا نيجيريا جديدا في كادونا، في الشمال، واستقبل مسؤولي الرسالة العلمانية ومعلمي التعليم المسيحي (٧٤٣٠ في نيجيريا) والمنظمات النسوية المسيحية.

يوم الاثنين ١٥ احتفل قداسه بقداس حاشد في جامعة ابادان (٢ مليون نسمة) وهي أضخم جامعة في افريقيا، وتحدث عن دور العلم في خدمة البشرية وعن خطر استغلال الجهل والبؤس لغرض ايدولوجيات تذلل الإنسان؛ وتوجه بنداته إلى "رجال ونساء العلم في كل مكان كي يوجهوا أبحاثهم في احترام الإنسان وكرامته، ومن اجل الحريات المشروعة والقناعات الأدبية والدينية للرجال والنساء في كل مكان". وفي المساء، عاد إلى العاصمة ليستقبل أساقفة البلاد، وقد لفت نظرهم إلى "بعض التراخي في صفوف الكليروس"؛ وإذا "حث الكنيسة التي في نيجيريا على أن تستمر فيها غيرة التبشير بالإنجيل"، دعا إلى أن يندمج هذا التبشير في صلب الثقافة الافريقية الخاصة التي تحترمها الكنيسة وتبناها في كل ما هو جيد وأساني".

وختم البابا زيارته لنيجيريا صباح الأربعاء ١٧، وكان خطابه الأخير "أنشودة" للطفل النيجيري، رمز حيوية البلاد ومستقبلها، وخاطبه البابا موجهها كلامه إلى كل أطفال العالم من خلاله: "بالحب أنت اقوى من كل المفاعلات النووية في العالم لأنك تملك سلطة حمل السلام والسعادة إلى العالم". وبنبرة التفاؤل ذاتها استخلص يوحنا بولس الثاني حصيلة زيارته لنيجيريا في كلمة الوداع قبل مغادرته إلى بنين:

"سأحمل معي ذكرى امة عظيمة وشعب سخي، ذكرى كنيسة نشطة وشيية متحمسة، ذكرى بلد يكرم الأسرة ويحترم القدياء ويعتبر الأطفال بركة".

بنين: كنيسة متفائلة في بلد ماركسي

إذا كان الطابع الإسلامي يغلب في نيجيريا، فالماركسية هي التي تقود بنين منذ ١٩٧٤. الإلحاد هو "دين الدولة" الرسمي، وقد تمت السيطرة فعلا على كل مرافق الثقافة والتوجيه والتربية...

هذا الأسلوب الجذري الغريب عن الروح الافريقية برهن على عقمه وانفصامه عن الشعب، لذا فقد تحول الإلحاد الاقتصامي تدريجيا إلى تعايش سلمي، عادت فيه الكنيسة إلى الحياة والتفاؤل، لاسيما منذ ترقية المطران غانتن رئيس اللجنة الحبرية "عدل و سلام" إلى رتبة الكردينالية عام ١٩٧٧.

إلى هذه الكنيسة جاء البابا صباح الأربعاء ١٧ حيث وصل مطار كوتونو العاصمة وسط الرعود والأمطار التي ما عتمت أن توقفت لتتيح للبابا أن يركع ويقبل الأرض البنينية

ويستمع إلى خطاب الرئيس الجنرال متى كيركو يصفه "برسول السلام" ويؤكد له أن اختيار بنين للماركسية كان "لخلق ظروف جديدة تخدم تفتح الإنسان البيني. بما يتيح له أن يكون سيد مصيره ويتخلص من كل أشكال القمع واستغلال الإنسان للإنسان"؛ وأكد الرئيس على "أن بلاده تضمن حقوق جميع المواطنين على السواء". فأجاب البابا لدى زيارته إياه في القصر الجمهوري "أن الشجرة يحكم عليها من ثمارها"! ثم استطرد متحدثاً عن أهمية دور الكنيسة في حياة بنين المعاصرة ووجوب احترام قناعات المؤمنين، وقال: "ان الكاثوليك ورجالهم لا يطالبون بامتيازات، وإنما يريدون المساهمة مساهمة كاملة وبحرية بكل حياة الأمة والمسؤوليات التي تفرضها هذه المساهمة.. ويريدون في الوقت عينه أن ينمو كل ما يتعلق بالإيمان...".

وبمناسبة مرور ١٢٠ عاماً على نشأة الكنيسة في بنين، ترأس قداسه قداساً جماهيرياً في الملعب البلدي يحيط به الكردينال غانتن وأساقفة البلاد و ٤٠ - كاهنا وقد انظم إليهم أربعة أساقفة من توغو جاءوا على رأس وفد ضخم بمناسبة الزيارة البابوية. وقد تقدم الرئيس كيركو على المنصة جماهير الحضور الذين قدر عددهم بـ ٢٠٠٠٠ مؤمن، ودعا البابا في خطابه إلى الوحدة الوطنية وبناء السلام ونبذ الأحقاد، وقال بان مهمة التبشير بالإنجيل يجب أن تستمر، وتستمر عملية بعث روح الإنجيل والتطويات في واقع الحياة الاجتماعية.

غابون: "أر الكنائس الافريقية"

من غابون امتدت الكنيسة إلى سائر افريقيا السوداء منذ أكثر من قرن وربع، لذا دعيت "بأم الكنائس الافريقية"، وقد أراد البابا أن تكون زيارته لها بمثابة "عنصرة" جديدة تجدد حيويتها واندفاعها. فقد وصل قداسه إلى العاصمة ليرفيل (١٦٠٠٠٠ نسمة) مساء الأربعاء ١٧. وفي الكاتدرائية التقى البابا بأساقفة البلاد وكهنتها وراهبائها وبوفود المناطق الغابونية الأخرى وبأعضاء الحركات العلمانية وجماهير الشبيبة والطلبة - وكانوا يلبسون قمصانا تحمل صور البابا والرئيس بونغو- وبالوفود القادمة من كاميرون المحاور. وشجع قداسه حركة التجدد والالتزام التي يقودها العلمانيون "ليتخذوا مواقعهم كاملة في تنظيم وتنشيط الجماعات المسيحية". أما الكهنة والرهبان فقد دعاهم إلى الاستمرار "في الأمانة نحو سر دعوتهم"، وفي الالتزام، رغم كل الصعوبات، بالتبشير بالإنجيل. وختم البابا نهاره المضي بزيارة بروتوكولية للرئيس الغابوني في "قصر التجدد".

وكان لقاء البابا الحاشد مع الجماهير مساء الخميس ١٨ في ملعب العاصمة، حيث تحدث إلى الشبيبة العمالية والطلابية والكوادر وذوي المهن الحرة. وقد أشار في خطابه إلى الفترة التي مارس فيها العمل اليدوي في بولونيا وقال: "منذ ذلك الحين اجتاح سر الإنسان حقل أفكاره". ثم دعا إلى احترام كرامة العمال وحقوقهم النقابية وحل مشاكلهم عن طريق الحوار لا عن طريق العنف.

وعاد البابا صباح اليوم التالي إلى الملعب ذاته لآخر لقاء مع افريقيا قبل عودته إلى روما. ولقد اتخذ اللقاء طابعا افريقيا حقيقيا، فقد كانت الحناجر تهتف بإيقاع والأيادي

تلوح جذلي، كما لو كانت تشجع فريقا رياضيا. أما القديس، فقد تناوبت فيه الإلحان الافريقية الصاخبة والرقص الإيقاعي، وبدا البابا فرحا عندما ختم خطابه التوديعي بتحية الجماهير بعبارة "مبوليانى" (وداعا) باللهجة النيامية.

بنين

سُمي "بالحي اللاتيني الافريقي" لكثرة المتعلمين فيه. نال استقلاله عام ١٩٦٠، ومنذ ١٩٧٤ اختار الماركسية والاحاد كايديولوجية رسمية. عدد سكانه ٣,٥ مليون: البروتستنت ٣%، المسلمون ١١% والكاثوليك ١٦% (٥١٢,٠٠٠): ٦ ابرشيات، ١٧٠ كاهنا بينهم مئة بنيني، ١٣٧٥ راهبة منهم ١٩٠ بنينية و١١٧ طالبا كهنوتيا. الكردينال غانتن رئيس لجنة "عدل وسلام" البابوية هو بنيني. كنيسة مجاهدة تفرض وجودها في جو من التعايش السلمي.

غينيا الرسولانية

مجموعة جزر استعمرها البرتغال عام ١٤٧٢ ثم الاسبان من ١٧٧٨ - ١٩٦٨. عام ١٩٧٩ أطاح انقلاب عسكري بالديكتاتور ماشياس نغيما الذي حكم منذ الاستقلال (١٩٦٨). عدد نفوسها ٣٢٠,٠٠٠ نسمة، ٩٠% منهم كاثوليك.

دخلتها أول دفعة من المرسلين في القرن ١٧، تأسست الكنيسة في ١٨٨٣. أول كاهن غيني عام ١٩٣٩ وأول أسقف عام ١٩٦٥. ابرشيتان و٤٣ كاهنا، منهم ١٥ غينيا استوائية و١١٥ راهبة و١٦ طالبا كهنوتيا. كنيسة في طور النقاة ولكنها واقعة بالمستقبل.

نيجيريا

مستعمرة انكليزية سابقة نالت استقلالها عام ١٨٦١. لقيت بملاقى افريقيا لاحتوائها ربع سكان القارة (٨٠ مليون)؛ ٤٥% من سكانها هم اقل من ١٥ سنة. مساحتها ٩٢٨٧٦٨ كم٢، عاصمتها لاغوس (٣,٥ مليون)، تتكون من اتحاد ١٩ ولاية وتعتبر رابع ديمقراطية في العالم. فيها خمسة احزاب و١٤ جريدة يومية ديمقراطية. المسلمون حوالي ٤٦% من السكان، والمسيحيون ٣٦% (الكاثوليك حوالي ١٠ مليون): ٢٨ ابرشية يلغونها اساقفة معدل اعمارهم ٤٩ سنة، ٥٢١ كاهنا نيجيريا و٥٢٩ اجنبيا، ١٠٢٧ راهبة منهم ٦٠٠ افريقية. المعاهد الكهنوتية مزدهرة (٦٠٠ في مدينة اونيتسا وحدها).

غابون

من أقطار افريقيا الصغرى (٢٦٧٦٧٧ كم٢) ولكن من اغناها بثرواته الطبيعية كالبترول والغازات والناجم. اول بلد في تصدير المنغنسيوم. ثالث قطر افريقي في معدل انتاج الفرد السنوي. نسبة التعليم الابتدائي ١٠٠%.. مما استحق له اسم "الامارة الاستوائية".

عدد نفوسه مليون نسمة، ٥٥% منهم كاثوليك و١٠% بروتستنت و١% مسلمون والباقي انميون. اربعة ابرشيات وجميع الاساقفة غابونيون، ٣٠ كاهنا غابونيا و٨٠ اجنبيا و١٠٨ راهبات اجنبيات و٣٢ غابونيات.

كنيسة تقليدية في بنيتها، ولكن مع محاولات تجديد جادة وطلبات كثيرة للعضاد من قبل البالغين.

غينيا الاستوائية: فجر جديد

بعد ١١ عاما من الحكم الدكتاتوري والاضطهاد الدموي للكنيسة تفتتح غينيا الاستوائية فجرا جديدا منذ انقلاب آب ١٩٧٩ الذي أطاح بالدكتاتور ماشياس نغيما. غير أن البلاد لا زالت تعاني من مشاكل اقتصادية كثيرة، والكنيسة لا تزال في طور النقاهاة.. فجاءت زيارة يوحنا بولس الثاني بمثابة الشمس الدافئة والمنعشة للكاتوليك الذين يشكلون ٥٩٠% من السكان البالغ عددهم اقل من نصف مليون. وجاءت زيارة البابا لغينيا الاستوائية ضمن زيارته لغابون حيث وصل إلى العاصمة ملابو (٣٨٠٠٠ نسمة) في جزيرة بيوكو صباح الخميس ١٨، ومنها توجه إلى مدينة باتا (٢٧٠٠٠ نسمة) في مقاطعة ريو موني في البر الإفريقي.

في مطار ملابو كان الرئيس اوبيانغ نوغوما ماسابوغو في مقدمة مستقبلي البابا، وقد عبر قداسته عن "فرحه لثبات كاثوليك غينيا الاستوائية في شهادتهم للمسيح" وسط الصعوبات الجمة والاضطهاد، ثم دعاهم "إلى أن يعملوا اليوم من اجل الوفاق والحب المتبادل والمصالحة واحترام حقوق الجميع". ثم وجه كلامه إلى الرئيس ماسابوغو وعبر عن استعداد الكنيسة "لان تساهم مساهمة مخلص في الخير العام وخدمة الوطن في كل ما يهم رقي الأفراد المعنوي ويخدم الإخوة". وفي مدينة باتا أقام البابا قداسا حافلا يعاونه أسقف البلاد الوحيد المطران نزي ابوي، وقد أهاب بالمؤمنين إلى استلهم شجاعة المسحيين الغينيين الأوائل ومتابعة شهادتهم الإنجيلية على خطى أولئك. وقبل أن يعود إلى ليرفيل لاستكمال زيارته لغابون، افتتح قداسته "شارع يوحنا بولس الثاني" في باتا محتتما بذلك زيارته القصيرة لغينيا الاستوائية التي استغرقت ٧ ساعات فقط.

هكذا إذن ينتقل يوحنا بولس الثاني من قارة إلى قارة، ومن قطر إلى آخر، متفائلا، مصمما على حمل البشري الإنجيلية ناصعة محررة في كل مكان. انه رجل القناعات والحقيقة التي يجب أن تعلن دون مواربة ولا تردد؛ انه الرأس الذي يعي دوره القيادي، وبأعلى درجات الشعور بالمسؤولية، فيندفع إلى إخوته ويثبت الكنائس المحلية بعدوى إيمانه.. بالله وبالإنسان.

دير الشيخ منس

على مسافة ٣٥ كم. شمال شرقي الموصل وعلى ارتفاع ٢١٠٠ قدم عن سطح البحر، يشرئب دير الشيخ منس للسريان الأرثوذكس فوق سهول وتلال وأودية وهري تمتد الرؤى فيها حتى الموصل. ويأوي الدير كنيسة، الكبرى باسم القديس منس وفيها رفات القديس منس والعلامة ابن العري، وأخرى باسم السيدة العذراء. وهناك مدافن أخرى للرهبان والآباء وصهاريج للماء وصوامع للصلاة والكتابة، كلها منقورة في الصخر. يضاف إليها كهف النافوظ الذي يتقطر ماء طوال السنة. عن هذا الأثر الخالد والرسالة الإنجيلية التي لا زال يؤديها، يقدم الأب جرجس القس موسى والأخت سانت اتيين التحقيق التالي بعد زيارة ميدانية ومقابلة حية أجريها مع رئيس الدير ورهبانه.

ترتكز شهرة الدير على الدور الذي لعبه في حياة مسيحية ما بين النهرين، رسوليا وكنسيا وثقافيا، وهذه دعائم رسالته الأساسية. فقد تأسس ليس فقط ليأوي إليه الرهبان والمتحدون لعبادة الله والتأمل، بل ليكون منارة تشع نور الإنجيل إلى بعيد. وقد لعب رهبانه دورا بارزا على مر العصور في ترسيخ الإيمان ورفد أرض المشرق كلها حتى الهند بالمبشرين وخدام الإنجيل. وبقي الدير بفضل قداسة رهبانه وصيت فضائلهم، ولاسيما القديس منس مؤسسه، مزارا يومه المؤمنون حتى اليوم للصلاة وللتبرك والتوبة والاستشفاء.

أما كنسيا، فقد كان له الدور البارز في حياة الكنيسة السريانية حيث أصبح كرسي أسقفيا هاما في أواخر القرن السادس واستمر كذلك حتى القرن التاسع. في القرن الثاني عشر أصبح مقرا لبعض مفارنة المشرق وأشهرهم العلامة ابن العري الذي مات ودفن فيه عام ١٢٨٦. كما نشأ فيه ثلاثة بطاركة وسبعة مفارنة وعدد من المطارنة، وعقدت فيه عدة مجامع كنسية.

بالإضافة إلى ذلك، فقد كان منارة ثقافية وعلمية. بمكتبته العامرة وقد كانت الضحية الأولى في كل غزو أو سطو أو هجران أصاب الدير في تاريخه الطويل. أما مخطوطاته المتبقية فتحدها اليوم مبعثرة في المتحف البريطاني، وفي برلين، والفايتكان، والموصل، ودير الشرفة بلبنان، ولا زال يحتفظ ببعضها يرقى إلى ١١٧٧. كما اشتهر بمدرسته التي ازدهرت في القرنين الثامن والتاسع ومن أشهر تلامذتها مار مارون التكريتي. وقد أسهم أساتذة هذه المدرسة وتلامذتها في حركة البحث والترجمة في العصر العباسي، ومن أشهرهم مطران الدير مار سيوريوس يعقوب البرطلي (+ ١٢٤١) والمقران الشهير غريغوريوس ابن العري.

الحديث عن دير الشيخ منس حديث عن التاريخ، حديث عن الروح، حديث عن التصاق الإنسان بالأرض بعناد.. حديث عن الذرى.. وحديث عن صفحة مشرقة ومتحركة من حياة كنيسة العراق..

يشمخ أمامك كالطود المارد في حوض جبل ارتفاعه ٣٤٠٠ قدم عن سطح البحر فاتحا ذراعيه لاستقبال زواره وقصاده في اعلى طريق حلزوني وعر رصفه رهبان الأجيال الغواير بحجارة جبلهم الأشم.

كانت الشمس تسترد آخر خيوطها لتنسحب إلى عوالم أخرى عندما اجتزنا الاستدارة الثانية والثلاثين، وهي الأخيرة، من الطريق المتعرج الصاعد، وقد هرع إلى لقيانا احد الشباب مصرا على حمل حقيبة واحد منا كان التعب قد رضع جبينه بقطرات العرق.

- أهلا وسهلا.. القوة! القوة!

كان الصوت لسيادة المطران لوقا رئيس الدير الذي كان يراقب صعودنا من السطح المشرف على الوادي السحيق يحيط به الرهبان وبعض الزوار. مسحت تلك التحية بعض تعبنا ورسمت على وجوهنا ابتسامة النصر الذي يشعر به الجندي عندما يقتحم قلعة. منذ أشهر ونحن نخطط، في هيئة التحرير، لاقتحام هذه القلعة وإعداد تحقيق، على الطبيعة، عن دير مار متى ولقاء القائمين عليه لنقل صورة عن رسالته ودوره الحالي في حياة كنيستنا.

وبعد العشاء كان لنا لقاء حول الشاي العراقي مع أسقف الدير لوقا شعياء، رئيس الدير، وهنأ ججاوي، والإخوة الرهبان أدي وحنا وبولس، تجاذبنا فيه أطراف الحديث حول الحياة في الدير ومشكلة إيجاد أسرة أو فرد للاهتمام بشؤون المطبخ، وحول الجو الروحي والمادي الذي يوفره الدير لراحة الزوار. ثم بعدها انفردنا بسيادة المطران ديسقوريوس لوقا الذي يشغل، إلى جانب رئاسة الدير، منصب مطران أبرشية مار متى (وتشمل كلا من الدير وبرطة وعشيقية وبجزائي وميركي)، في حوار صحفي هادئ، نقل زبدته إلى القراء:

الفكر المسيحي: لقد كان الدير منذ نشأته مركزا للصلاة والاختلاء والتعبد.. فهل هناك تواصل بين الماضي والحاضر؟

المطران لوقا: تبقى رسالة الدير أمانة وعهد وفاء لمؤسسه تؤديها بالرغم من تباين العصر وصعوبة الوصول إلى الهدف المنشود بعددنا الضئيل. فنحن لا نتجاوز ثلاثة رهبان ومطرانين، ومع ذلك نسعى بكل قوانا لجعل الدير، كما كان: واحة هدوء وسلام وصلاة وعبادة، ونكرس جل وقتنا لاستقبال الزائرين وتوفير أسباب الراحة لهم والتحدث إليهم.

واستطرد سيادته قائلا: إن اهتمام الرهبان الأكبر ينصب في قداس الأحد الذي يشترك فيه المؤمنون القادمون للزيارة، ويصغون إلى كلام الله ويتقاسمون شركة المحبة. وأشار إلى أن قداسا مماثلا يقام للمؤمنين كل يوم جمعة شتاء بالإضافة إلى يوم الأربعاء، صيفا، كما يرتل الرهبان كل يوم صلاتي الصباح والمساء (الرمش): ويتخلل هذه الأخمرة موعظة لدى تواجد عدد مهم من الزوار. وذكر الأب الرئيس أن أفلاما دينية تربوية تعرض للزوار بواسطة الفيديو. وعن استفسار حول تنظيم صلوات خاصة في المناسبات أو التجمعات الكبرى، أجاب سيادته بالنفي ما خلا ما تقدم ذكره. غير أن مجموعة من المؤمنين قد يجتمعون سوية لصلاة مشتركة بمبادرة ذاتية فينضم إليهم الرهبان.

وهناك مسألة هامة يحرص عليها الرهبان جدا وهي المحافظة على الهدوء وروح العبادة في الدير، وتجنب الصخب أو ما يخل بحجرة الدير: وذلك مراعاة لقدسية المقام وتوفيراً لجو الفرح والصفاء واحترام الآخرين. هكذا يريد الرهبان أن يبقى الدير مركزاً روحياً يشعر القادم إليه بالسلام والارتياح.

الفكر المسيحي: هل يقصد الزوار الدير للترفيه فقط أم للصلاة والعبادة؟

المطران لوقا: من الناس من يقصد الدير للصلاة والعبادة فقط، ومنهم للتعرف على مقام روحي وديني لعب دوراً إشعاعياً هاماً في تاريخ المنطقة، وهناك مجموعات -وان قلة- تأتي لرياضات روحية بصحبة مرشدين، ومنهم من يأتي لأيفاء نذر خاص أو تعמיד طفل طلب بشفاة القديس متى. وليس غريباً أن ترى احدهم يصعد الطريق الحجرة المتعرجة حافي القدمين متوخياً رحمة الله ونعمته أو شاكراً أفضاله. أما القسم الأكبر فيقصد الدير للراحة النفسية والترفيه دون أن تغيب عن اهتمامه الصلاة والتبرك بضريح شفيع الدير.

وقدر رئيس الدير عدد زوار الدير بنحو عشرين ألف زائر سنوياً. فالدير يستوعب مئة سرير تقريباً، ويحتوي على ٧٠ غرفة، ١٥ منها لخدمات الدير وللرهبان و١٥ لخدمات العمال والمشاريع العمرانية القائمة، والأربعون الباقية للزوار.

الفكر المسيحي: على ذكر الزوار.. هل لي أن أسأل عن زيارة السيد الرئيس صدام حسين ومدى تأثيرها؟

نظر المطران لوقا إلى صورة كبيرة بإطار معدني رائع تمثل السيد الرئيس، كانت تنصدر غرفه الاستقبال حيث أجرينا الحوار، وقال:

لقد كانت زيارة السيد الرئيس لديرنا التفاتة كريمة ولا زلنا نستذكرها بحب، ولقد جاءت تقيماً رفيعاً من سيادته بصورة خاصة، ومن القيادة السياسية في القطر بصورة عامة لدور العبادة وبيوت الله وتعزيزاً لقيم الروح والسماء. أضف إلى ذلك أن زيارة سيادته ساهمت إعلامياً مساهمة واسعة في تعريف الدير. واكبر دليل على ذلك تضاعف عدد الزوار في الفترة التي عقبها الزيارة الكريمة، لا سيما من أولئك الذين لم يسبق لهم أن قصده قط.

لقد تحققنا ذلك بأنفسنا. فبينما كنا نهم بزيارة الكنيسة، انضم إلينا فريق من الطلبة الأكراد من اربيل، وكان احدهم يترجم لزملائه بالكردية شروحات احد الرهبان عن تاريخ وأضرحة أئمة الدير. كما التقينا في إحدى منحرجات الطريق بأسرة قادمة من قرية قادسية صدام في محافظة القادسية.

واستأنف المطران حديثه وهو ينظر إلى صورة تذكارية للسيد الرئيس يحيط به أساقفة ورهبان وكهنة الدير على شرفة الدير، وأشار إلى أن السيد الرئيس صدام حسين هو أول رئيس دولة يزور الدير، ولثلاث مرات، كما زاره عدة مرات السيد عدنان خيراً لله وزير الدفاع.

يا دير متى سقت اطلالك الديم
 واهل فيك على سكتاك الرهم
 فما شفى غلتي ماء على ضمأ
 كما شفى حر قلبي ماؤك الشبم

هذان البيتان قرأهما ياقوت الحموي المؤرخ العربي الشهير على حائط دهليز دير مار متى عندما زاره في مطلع القرن ١٣. وكتب فيه: "دير مار متى بشرقى الموصل على جبل شامخ يقال له جبل متى. من استشفه نظر الى رستاق نينوى والمرج. وهو حسن البناء واكثر بيوته منقورة في الصخر. وفيه نحو مئة راهب. لا يأكلون الطعام الا جميعا في بيت الشتاء او بيت الصيف وهما منقوران في صخرة...".

اسس الدير القديس مار متى الناسك السرياني في غضون القرن الرابع الميلادي. وانضوى اليه الاف الرهبان والمتوحدين من بلاد ما بين النهرين، حتى سمي الجبل الذي يحتضن الدير "بجبل الفاف"، أي الالاف.

عام ٤٨٠م أصيب بحريق هائل اباد معامه، غير ان الحياة النسكية عادت اليه وبرز اسمه من جديد في ٥٤٤م، وواصل مسيرته التاريخية وتألقت اكثر من مرة لا سيما في العهود العربية (من القرن ٧ وحتى سقوط الدولة العباسية عام ١٢٥٨) ولعب دورا كبيرا في تاريخ كنيسة المشرق. هجر بسبب الاعتداءات بين ١١٧١ و ١١٨٧، ثم استأنف اشغاعه حتى ١٢٦٠ حيث عانى كثيرا من غارات المغول والتتر والعصابات، وتضعفت احواله في عهد تيمورلنك (١٣٣٦ - ١٤٠٥) حتى انتهى به الامر الى ان يسمي لمأوى لقطاع الطرق الذين شردوا الرهبان. وبقي مهجورا قرابة ١٥٠ سنة. ثم عاد اليه الرهبان في نهاية القرن ١٦ و ١٧، وعاد الى التوهج مجددا بعد ١٦٦٠. وهجر مرة اخرى بين ١٨٣٣ - ١٩٤٦ بسبب غارة محمد باشا.

منذ ذلك التاريخ استمرت الحياة في الدير بصورة خافتة، وعاد الى الاضواء في عهد ثورة ١٧ تموز المجيدة حيث جدد بين ١٩٧٠ - ١٩٧٣ وربط بطريق مبلط من مفرق عقرة، وانير بالطاقة الكهربائية ورعته عناية السيد الرئيس صدام حسين الخاصة.

أما ما تكرم به السيد الرئيس القائد بشان تطوير الدير عمرانيا فهو، كما أوجزه سيادة المطران لوقا:

- تشييد جناح خاص للرهبان يقع فوق ما يدعى (بسطح برطلي).
- مشروع دار ضيافة بثلاثة طوابق باسم السيد الرئيس يقع إلى جانب مدخل الدير الرئيسي.

- ترميم الدير من الداخل وإقامة قناطر وأروقة في صحن الدير.
- شق طريق من قرية دوبردان وحتى الدير خصيصا ٩,٥ كم.
- تشييد قبة خاصة بالناقوس الذي جلب خصيصا.

وجميع هذه المشاريع هي قيد التنفيذ أو أوشكت أن تنجز.

إلى جانب هذه المشاريع العمرانية الضخمة التي "تكفلت بها الدولة بسخاء" حسب تعبير المطران لوقا، للدير طموحات مستقبلية روحية وثقافية أخرى أهمها اثنان:

- « تنظيم وتوسيع مكتبة الدير في الجناح الجديد لتضم المخطوطات القديمة والكتب الدينية والتاريخية والثقافية.
- « إنشاء مدرسة اكلييريكية تدوم الدراسة فيها ٧ سنوات وتقبل التلامذة ممن اهووا الابتدائية والثانوية، وبعد الدراسة الدينية لثلاث سنوات يختارون الحياة الكهنوتية (مع الزواج) أو الحياة الرهبانية.

وأشار سيادته إلى انه يعتبر هذا المشروع الأخير "أساسيا وضروريا جدا لإعداد خدام للإنجيل يكملون الرسالة". ثم ابتسم وأضاف: "العلنا نؤيد نحن! يجب أن نعد من يخلفنا".

تركنا الدير في صباح اليوم التالي على إيقاع دبكة شعبية مثيرة للأحاسيس والغبار، كان يتدرب عليها في ساحة الدير الخارجية شباب وفتيات فرقة برطلة للرقص الشعبي لتأديتها في مهرجان الربيع الرابع عشر في الموصل. وفيما كنا نهبط الطريق المتوي ونحبي ونشجع قوافل الصاعدين، من صغار يتسلقون الصخور كالغزلان، وصبايا زرعن ورود الطريق في خصلاهن، وكبار ثقلت خطاهم من التعب، كنا نستذكر لطف الإخوة الرهبان ودمامة سيادة المطران لوقا رئيس الدير وروحه المرحه. ولما بلغنا قعر الوادي، كانت مجموعات أخرى قد انتشرت على الهضاب المخضوضرة تقضي ردحا من الارتقاء.. قبل ارتقاء الجبل المقدس -فاليوم يوم جمعة والزوار يتوافدون بكثافة أكثر لاسيما في موسم الربيع.

القينا النظرة الأخيرة إلى الدير الجاثم في العوالي ولسان حالنا يقول: "هنيئا لمن له مرقد عزة في دير شيخ متي.. على الأقل في فصل الربيع!".

(بمشاركة الاخوت سانت اتين الدومنيكية)

الوحدة في التعددية: رأي الأرثوذكس في قواعد الحوار السكوني

الحقيقة لا يساوم عليها، ولكن "الشوب التاريخي الذي تلبسه الحقيقة المتجسدة في كل عصر لا يشوه جوهر الحقيقة بشيء. ومأساة الكنيسة هي ان بعض اعضائها لم يعودوا يميزون بين الجوهر والصفة، مما يجعلهم يعتبرون جوهرها ما هو مجرد وجهة نظر في الصيغة، او نسبيا ما هو الجوهر المركزي".

هكذا ينطلق الاسقف الارثوذكسي داماسكينوس باباندرينو متروبوليت ترانوبوليس (اليونان) في تحليله لقواعد الحوار المسكوني بين الكنيستين الكاثوليكية والارثوذكسية في محاضرة القاها في المانيا الغربية ونشرت نصها الفرنسي مجلة "الوثائق الكاثوليكية" (عدد ١٨٢٩-٢ ايار ١٩٨٢). ونقطة البداية لهذه "القواعد" اذا كان الطرفان جادين في تحقيق خطوات عملية وهامة في البحث عن الوحدة- هي قبولها "بإعادة تقييم" جديدة لنقاط الخلاف وعدم "التوقف" عند صيغ فكرية او مسلكية تتعلق بحضارة وحقبة معينتين. وفي ما يلي نستعرض الخطوط الرئيسية لهذه المحاضرة لكونها تعكس الراي الارثوذكسي المستنير والحريص في آن واحد للبلوغ بالحوار الى فهم مشترك.

الممار التاريخي واللاهوتي

في هذا القسم يستعرض الاسقف باباندرينو "جو المشاحنات اللاهوتية" التي كان لها نصيب كبير عبر العصور في اذكاء الانشقاقات اليمانية وترسيخها في الاذهان ورشق الواحد للآخر بالهرطقة. كما ان اجيالا من "الانفصال" اللاهوتي والقانوني جاءت بعناصر عقائدية او مذهبية جديدة اضيفت الى "الاختلافات" التي سبقت الانشقاق الكبير. غير ان المحاضر لا يرى في ذلك "سوى وجه بارز من اوجه ظاهرة عامة وهي ان الحقيقة الموحدة لم تقبل او تعاش او تفهم بصيغة واحدة في الشرق والغرب". ثم يوضح سيادته بان تلك "الاختلافات" اللاهوتية اخذت على انها، رغم تباينها، تتفق جوهريا مع الايمان الواحد. ناهيك عن ان شعورا عميقا بسمو سر الله وبالطابع المتحرك الذي ينبغي ان يتشع به التعبير البشري لهذا السر، كان يترك المجال لتعددية مشروعة ضمن الايمان التقليدي الواضح". واتي الانشقاق الكبير على هذه "التعددية المشروعة". وبانشطار الكنيسة الى شرقية وغربية أُعتبر، وبالتدرج، جوهريا ما كان في السابق اجتهادا لاهوتيا.

غير ان هذا "الانعزال الرائع"، كما يسميه الاسقف اليوناني، انتهى اليوم، وابتدا عهد الحوار اللاهوتي الرسمي بين الكنيستين الذي بموجبه استيقظتا على انهما "كنيستان

شقيقتان". وقد كانت بواكير هذا الحوار رفع الحرومات المتبادلة. ويرى الاسقف باباندرينو ان هذا "الرفع" جاء "لتطهير الذاكرة واستبدال قانون الانقسام بقانون المحبة"، وانه يشكل "حالة كنيسة جديدة" تفترض سبيلا جديدا من التقييم المتبادل والتعامل.

تقييم وضعنا الحالي

بما "ان الكنيستين الكاثوليكية الرومانية والارثوذكسية تعتبران انهما، بالرغم من الجاهات السابقة، قد اعترفتنا دوما بالايان الواحد وعاشتا الحقائق ذاتها التي سلمها المسيح الى رسله، والى خلفائهم من بعدهم"، فقضية الوحدة الایمانية المنشودة ينبغي ان ينظر اليها، بحسب رأي متروبوليت ترانوبوليس، انطلاقا من الحقائق التي حددتها الكنيسة الكاثوليكية من طرف واحد منذ عهد الانشقاقات فقط، وهي:

- ١ - العقائد المتصلة بعواقب الانسان، وبالاسرار، وبطيعة الخلاص.
- ٢ - العقائد المتصلة بلاهوت الروح القدس (عبارة "المتيق من الآب والابن"، وحلول الروح القدس على الاوخارستيا).
- ٣ - التحديدات الخاصة بالحبل بلا دنس، وانتقال العذراء الى السماء.
- ٤ - بنية الكنيسة ولا سيما الاولوية البابوية.

مرة اخرى لا يرى المتروبوليت داماسكينوس اية صعوبة في التوصل الى اعتراف كامل من قبل الكنيسة الارثوذكسية بشرعية اللاهوت الكاثوليكي وصحة العقائد التي تتضمنها النقاط الاولى الثلاث بخصوص لاهوت الاسرار والروح القدس والعذراء مريم، فالايان واحد تماما رغم تباين التعبير، وما حددته الكنيسة الكاثوليكية رسميا لم يغيب يوما عن ايمان وممارسة ولاهوت الكنيسة الارثوذكسية الاعتيادي. انما ما ينبغي في حالة الوحدة هو عدم فرض "صيغة" فكرية وتعبيرية معينة على الطرف الآخر، كما لا يجوز اشتراط "سحب" تحديد عقائدي او لاهوتي جاء لظروف تاريخية وحضارية معينة ولا يصم الحقيقة والجوهر بشيء. القاعدة يجب ان تكون: الاعتراف للتبادل بشرعية التقليد الخاص وتعددية التعبير.

يبقى الخلاف الاكبر والعقبة الجادة في الحوار هي قضية اولوية بابا رومة وعصمته.

افكار ومؤشرات للمقبل

يستشهد الاسقف الارثوذكسي لدعم ارتباطه بنص من وثيقة "نور الامم" الجمعية القائلة: "لا سلطة للحلقة او الجسم الاسقفي الا باتحادها بالخير الروماني، خليفة بطرس، كرأس لها ودونما اي انتقاص في سلطان من هو رئيس على الرعاة والمؤمنين على السواء. فللخير الروماني على الكنيسة سلطان كامل، مطلق، وشامل، يستطيع ان يمارسه دوما وكما يشاء. والسلك الاسقفي، الذي يخلق الحلقة الرسولية في التعليم والتدبير الراعوي، او بالاحرى الذي به يدوم الجسم الرسولي، يؤلف هو ايضا، بالاتحاد مع الخير الروماني، رأسه وليس من دون هذا الرأس ابدا، موضوع السلطة العليا والكاملة على الكنيسة جمعاء، انما سلطان لا يمكن ان يمارس الا برضى الخير الروماني" (رقم ٢٣).

واذ يذكر الاسقف اليوناني تعارض هذه النظرية مع المفهوم الارثوذكسي، يتساءل هل "سيقود الحوار اللاهوتي الرسمي الذي بدأ بين الكنيستين الشقيقتين بهذا الامل الكبير" الى تغيير في تأويل "الاولوية البابوية الادارية". بما ينسجم مع النظرة الجماعية الديمقراطية للكنيسة الارثوذكسية؟ اذا حدث ذلك، فنعم، والا "فسيضئ الحوار الى طريق مسدود" حسب رأيه. ثم يسرد سيادته القاعدة التي وضعتها الارثوذكسية بلسان البطريك المسكوني ديمتريوس الاول في ت ٢ ١٩٧٣، لدى استقباله وفدا كاثوليكيا برئاسة الكردينال فيلليبراند، اساسا "لكل اللقاءات والحوارات والاستشارات الكاثوليكية - الارثوذكسية العامة" وهي:

- ١- السلطة العليا في الكنيسة الواحدة، المقدسة، الجامعة، الرسولية تعود الى المجمع المسكوني للكنيسة الجامعة.
- ٢- لا احد بيننا، نحن اساقفة الكنيسة الجامعة، يملك سلطة، او امتياز، حقا قانونيا فوق السلطة الكنسية، مهما كانت، من دون موافقة قانونية من قبل الجهة المعنية.

وفي سبيل الوصول الى رؤية واضحة وصريحة لأولوية اسقف روما في الكنيسة الجامعة يقترح متروبوليت ترانوبوليس "كعلامة رجاء ومصالحة ينتظرها العالم المسيحي اليوم" على حد قوله، ان يعيد البابا:

١. تحديد طبيعة اولويته: اسبابها، محتواها، دورها في الكنيسة.
٢. كيف نحل الاشكال الناجم عن تبعية سلطتين متساويتين، وتحديد موقع اسقف روما ازاء سائر الاساقفة، والطابع "الجامع" لكنيسة الشرق.
٣. التوفيق بين العصمة البابوية الشخصية وعصمة المجمع المسكوني.

اذا سار الحوار حقا تحت انوار الروح القدس الذي يقود الى الجوهر دون الكلمات، سيكتشف الشرق في البابا "خادم خدام الله" الذي تقود اولويته الى "تثبيت اخوته في الايمان والمحبة والوحدة الشاملة"، لا الى التسلط عليهم، وسيكتشف ايضا ان الغرب لا زال امينا لبني "الكنيسة القديمة" بالرغم من بعض الاضافات التي لا ينبغي ان تلزمه بالضرورة. كما سيكتشف الغرب، في حركة جدلية دينامية، ان الشرق لا زال، في تمسكه بتقليد الآباء، يحتفظ بالوديعة اليمانية بصفاء وكمال ويمتلك الروح الذي يحيي.

فالوحدة المنشودة لا يمكن ان تكون اذا انصهارا او تبعية. وانما شركة إيمانية تحياها الكنيسة الجامعة في التعددية الفكرية والتعبيرية.



- **والنسيج صار نيارا. ٢٠ عاما بعد المجمع/ملف/ك٢٥- شباط (ملفات تفكر للسيحي/ص٢٦٧)**
- + جولة في مراكز التثقيف المسيحي/ اثار**
- + القداس حدث ووظيفة / ملف / نيسان**
- مع الاب فانسان دكوانونكل/مقابلة/آب- ايلول**
- *الاسرة خلية الكنيسة/عهد خاص/ ت١-٢(للخارج من الاعداد الخاصة/ص٢٢٧)**
- + مير مار بهناج وإخيه سارة /تحقيق/ ك١**



جولة في مراكز التثقيف المسيحي في الموصل

- في ١٩ شباط ١٩٨١ عقد اجتماع ضم أساقفة الأبرشيات الموصلية ورهطا من كهنتها وراهباتها لإحياء روح التنسيق والتعاون والمبادرة بين العاملين في أنشطة التعليم المسيحي، وأسفر عن خطوات أربع وهي:
- ١- إعادة الحياة إلى "لجنة التأليف" المكلفة من قبل أبرشيات الشمال الكلدانية وتطعيمها بعناصر جديدة لإعداد مناهج للتدريس الديني في المتوسطات والاعداديات.
 - ٢- اخذ علم بنشاطات التثقيف المسيحي المعطى في الكنائس، واعتبار العاملين فيها من كهنة وراهبات وعلمانيين "الهيئة العامة" لشؤون التثقيف المسيحي في المدينة.
 - ٣- اختيار "لجنة تنسيق" مهامها "خدمة وارتباط بين المراكز المختلفة، واداة متابعة وتنفيذ لاحتياجاتها، وهمزة وصل بينها وبين السادة الأساقفة".
 - ٤- السادة الأساقفة هم المسؤولون الرسميون عن نشاطات وشؤون المراكز. وتكون العودة بصورة خاصة إلى سيادة المطران كوركيس كرمو.
- وتصب هذه الخطوات كلها ليس فقط في هدف الإنتاج الأفضل، بل هي ان ترتفع من مستوى النشاط المحلي لتصبح مشروع كنيسة الموصل ايضا.
- وبغية عكس هذه التجربة - ومن خلالها تسليط الضوء على واقع التثقيف المسيحي في الموصل - أجرينا التحقيق التالي الذي يتناول نشاطات المراكز وحدها، لا المدارس التي تتضمن مناهجها مادة الدين المسيحي رسميا. وقد اعتمدنا فيه أربعة عناصر وهي: مقابلة مع أعضاء لجنة التنسيق؛ لقاء مع العاملين في المراكز من خلال أحاديث أجريناها مع هيئة مركزين حيويين (مار افرام ومريم العذراء) ومع احد الآباء وهو مسؤول عن ثلاثة مراكز أخرى. مقابلة مع السادة أساقفة الموصل عمانوئيل بني وغريغوريوس صليبا وكوركيس كرمو - إضافة إلى تقرير ومحاضر اجتماعات شؤون التثقيف المسيحي.

النشاطات العامة

لما كانت "لجنة التنسيق" أولى محطات جولتنا، فقد أفادت عن وجود ١٠ مراكز تتوجه إلى طلاب الابتدائيات والمتوسطات والثانويات المحرومين من التعليم المسيحي الرسمي. يضاف إلى ذلك لقاء ديني أسبوعي للجامعيين، ومحاضرة شهرية للبالغين، وقداس شهري خاص للشباب، مع لقاءات لشرح الإنجيل للكبار في بعض الكنائس. كما أفادت عن إقامة دورتين، الأولى تاهيلية لمدرسي التعليم المسيحي في المدارس والمراكز، في أيلول ١٩٨١، تناولت الأسس التربوية والنفسية والدينية لإعطاء التثقيف المسيحي ومناهج الدراسة المقترحة. والثانية لاهوتية مفتوحة حول اسرار العماذ والتثبيت والواخارستيا في ١٩٨٢. وهناك دورات صيفية للصغار في بعض الكنائس أكثر تكثيفا وعلى مدى أيام الأسبوع.

أما عن نشاط "اللجنة" - وتتكون من كاهن وراهبة وشابين علمانيين، مدة انتدابهم سنتان - فهي، علاوة على دعوة الهيئة العامة إلى الاجتماع والتداول مرتين في السنة، تقوم بزيارة ميدانية سنوية للمراكز للاطلاع على طبيعة عملها وتلبية احتياجاتها، وتعمل على تنسيق قدايس الشباب والمحاضرات العامة، وقد زودت معلمي ومعلمات التعليم المسيحي في المدارس الرسمية بكتب دينية مساعدة - سيما وان المنهج الرسمي المقرر لا يختلف في هشاشته وسطحيته اثنان!

وعلى سؤالنا: لو طلب إلى "اللجنة" أن تؤدي عملها بصورة أفضل، ما هي أمنياتها؟ أجابت:

- ان يتاح لها قدر أوفر للمبادرة والخدمة، فلا تكون مجرد أداة "لتمشية الأمور"، بل حلقة وصل مركزية في عملية التثقيف المسيحي، من دون أن يعني ذلك تدخلا أو هيمنة على نشاطات المراكز. كما تقترح "اللجنة" إنشاء مركز للوسائل التعليمية الحديثة من أفلام دينية وكاسيتات فيديو وسلايدات وبوسترات وكتب دينية أخرى كمصادر ومراجع.. تكون في خدمة المراكز.

طبيعة العمل في المراكز

يقدر عدد المستفيدين من المراكز بأكثر من ٣٥٠ طفلا وطفلة من المرحلة الابتدائية و٣٠٠ شاب وفتاة من المرحلتين المتوسطة والثانوية، بالإضافة إلى حوالي ٢٠٠ طالب وطالبة من كل المراحل في مركز كنيسة الطاهرة الخارجية للسريان الأرثوذكس؛ ويرتاد لقاء الجامعيين بين ٤٠ - ٧٠ شخصا. أما التعليم فمختلط في معظم المراكز، ويعطى بحسب المراحل الدراسية، بدمج الصفوف المتقاربة، أو صفًا صفًا، بحسب توفير الكوادر والأمكنة، ولا تتضمن جميع المراكز جميع المراحل بالضرورة، ويكون التعليم يوما في الأسبوع؛ وفي مركزين ينقل الصغار بالباص.

الإطار العام للتعليم هو ربط الثقافة الدينية بالحياة والالتزام الفعلي، لذا يغلب طابع المشاركة في المناقشة والمحاوراة بين المدرسين والطلاب، لاسيما في المراحل المتقدمة. أما المادة

الدينية، فهي تختلف من مركز إلى آخر ولا تتبع منها موحدا. فإذا اعتمد أكثر من مركز (للمتوسطات والاعداديات) الإنجيل مادة رئيسية للشرح والتطبيق إلى جانب موضوع ديني أو اجتماعي آخر يختاره الطلاب، يجعله آخرون بمثابة افتتاحية ثم يليه الدرس المنهجي بحسب المسودة التي أعدها لجنة أبرشيات الشمال، أو موضوع آخر كالكتاب المقدس أو تاريخ الكنيسة. وهناك من يعتمد مخططا شهريا يتضمن ثلاث محاضرات والرابعة أسئلة مفتوحة - كما في لقاء الجامعيين. وتعد مراكز أخرى أوراقا توزع على الطلبة حول الإنجيل مرفقة بأسئلة. أما بالنسبة لطلبة الابتدائيات فعنصر التنويع محدود ويكاد ينحصر في إعطاء المبادئ الدينية الأساسية بصيغة الإلقاء. غير أن المنطلق السليم يبقى أن الجميع يعتمدون حياة يسوع وأحداث الإنجيل لتنوير إيمان الصغار. ويعبر هؤلاء عن هذا الجانب العملي، في هذا المركز أو ذاك، بالرسوم التي يلونونها أو يجمعونها في دفاتر خاصة أو يرسمونها بأنفسهم ويعلقون عليها، أو بالواجبات البيتية حيث يستعينون بذويهم لإكمالها، مما يربي عندهم روح البحث والمسؤولية الشخصية. ويأتي كتاب "المشوق الديني" ككتاب أساسي لمعلمي معظم مراكز الصغار.

ومن وسائل الإيضاح المتاحة بعض أفلام الفيديو والسلايدات والآيات الجدارية والبوسترات التي يرسمها شباب المراكز، كما أن في أكثر من مركز نواة مكتبة دينية.

المصادر التعليمي

لقد لمسنا حقا في جولتنا حماس هؤلاء الكهنة والراهبات والشباب، من مدرسين ومعلمات وموظفين وطلاب جامعيين أو إعداديين، الذين يشكلون الكادر التعليمي في المراكز. لقد رأينا أن من سماتهم الفرح والإيمان والاندفاع، هم الذين تسلموا، تطوعا وشعورا منهم بالتزامهم المسيحي، ومسؤولية رعاية الإيمان في بلدنا، إلى حد ما. أفليست تلك مسؤولية خطيرة؟.. فنظرا لأهمية الكادر التعليمي ودوره في المراكز طرحنا السؤال الخاص حول الثقافة الدينية للعلمانيين العاملين في التعليم، وكان الجواب واحدا:

- القليل القليل كفاء حقا ويمتلك ثقافة دينية جيدة، ويبقى رأسماله الأساس حسن استعداده ومعلوماته الخاصة التي تعتمد على اجتهاده الشخصي، أما من أين يتغذى هذا الاجتهاد الشخصي.. فمن القنوات التالية:

- المعلومات الشخصية المكتسبة في سني الدراسة أو الأخويات والحركات الرسولية السابقة.

- المطالعات الشخصية.

- المشاركة المباشرة في تهيئة موضوع الدرس، شخصيا أو جماعيا أو مع الأب المشرف.

- الدورات التأهيلية واللاهوتية والمحاضرات الدينية المختلفة.

قد تكون هذه الفقرة الأخيرة متصلة اتصالا مباشرا بتاهيل مدرّسي التعليم المسيحي، غير أنها غير كافية بوضعها الحالي، وقد اجمع الكل على أن الموضوع بحاجة إلى معالجة أعمق لتهيئة كادر مقتدر. إلى جانب هذا النقص الفني هناك نقص في العدد أيضا، فبينما تتمتع بعض المراكز بعدد واف من الشباب والفتيات، هناك مراكز تعاني من قلتهم أو غيابهم، ولولا الراهبات (حوالي ١٥ يعملن في جميع المراكز) لواجهنا أزمة.

الحصيلة.. والطموح

- ما هو انطباعكم وتقييمكم لعطاء المراكز؟

هذا السؤال طرحناه على السادة الأساقفة، فأجاب المطران كوركيس كرمو - وهو يقوم شخصيا بالتدريس في مركز مسكنة لطلبة الإعدادية ويساهم مباشرة كل أسبوع برعاية لقاء الجامعيين مع كاهن آخر.

✘ أنا متفائل وسعيد بعمل المراكز التي تؤدي عملها بصورة جيدة وجدية، سيما وانها تغطي معظم الخورنيات.

✘ كما صرح المطران غريغوريوس صليبا - وهو الآخر يعد بنفسه دروسا حول الكتاب المقدس لتوزع على الطلبة الكبار - بان أصدقاء توحى بالفرح والأمل والاعتزاز، فالأهل يعرفون عن ارتياحهم لرعاية الكنيسة تربية أولادهم الدينية. غير ان ذلك يدعونا إلى بذل المزيد من الجهود وتوفير كل مستلزمات التعليم المادية والمعنوية.

✘ أما المطران عمانوئيل بني، فيذ قيم إيجابية تجربة المراكز وهمة القائمين عليها، أدلى بثلاث ملاحظات سلبية وهي: عدم تحسس بعض الكهنة مسؤوليتهم تجاه عملية التثقيف المسيحي؛ ضآلة عدد العلمانيين في هذه العملية وافتقار معظم المشاركين فيها إلى النضوج والتهيئة؛ وتقصير الأهل في عدم التجاوب الكافي مع المراكز.

وعلى سؤال في ما إذا لم يكن من المنطق المستقبلي تطوير المراكز لتصبح القنوات الرئيسية للتثقيف المسيحي للطلبة، سيما وان دور المدارس في هذا المضمار اخذ في الضمور، أجاب سيادته:

- فعلا، لا يمكننا الاعتماد كليا على المدارس، سيما وان المادة المقررة فيها سطحية وضعيفة، لذلك أرى من الضرورة تعزيز وتطوير المراكز.

وما هي سبل تعزيز وتطوير هذه المراكز عمليا كي لا نبقي كمن يقوم بعملية "إسعافات أولية" أكثر مما يعالج المشكلة بعمق وجدية ونظرة بعيدة؟

على هذا السؤال اجتمعت كل الإجابات في صيغة اقتراحات ثلاثة تكتسب أهميتها من خطورة التجربة التي تخوضها عملية التثقيف المسيحي في العراق في هذه المرحلة بالذات، وهي:

- ١) وضع مناهج موحدة على شكل كتب مبرمجة لكافة المراحل توضع بين أيدي الطلبة والمدرسين.
- ٢) إعداد الكوادر التعليمية بشكل يتجاوب وعمق المسؤولية، بتكثيف الدورات التأهيلية واللاهوتية واللقاءات المختصة والمطالعة، وحبذا لو ينظم لإعدادهم برنامج دراسي زمني خاص.
- ٣) توفير الظروف المكانية الملائمة للتعليم من غرف وقاعات ...

إننا في بداية تجربة خاصة تحتاج إلى عامل الزمن لإثبات وجودها وفعاليتها. ولكننا خرجنا متفائلين من جولتنا.. ليس لان هذه التجربة تعكس أن روح العطاء لم يغادر كنيسة الموصل وحسب، وإنما أيضا لان هذا العطاء يريد أن يكون جماعيا ومنسقا -اي عمل كنيسة لا أفراد- ويطمح أن يكون نواة مشروع للمستقبل.

بمشاركة الأخت سانت اتيين الدومنيكية

القداس كخدمة ووظيفة

موضوع "القداس" مرة أخرى.. ولكن الأب جرجس القس موسى يتناوله في هذا الملف، ليس من وجهة نظر لاهوتية أو تاريخية أو ليتورجية محضة، بل من حيث هو حدث أو فعل اجتماعي ورمزي وضع للبلوغ بالمشارك فيه إلى "حالة" معينة من الاتصال الروحي "والحضور مع" الإخوة.. بكلمة أخرى أنه يبحث من وجهة نظر اجتماعية، في "وظائف القداس"، فإذا هي دينية كنسية - اجتماعية - تثقيفية".

"صلة" القداس بمفعوله الموضوعي المباشر والبعيد في حياة المؤمنين.. خطوط إبراز الدور المركزي للقداس في حياة الشعب المسيحي.

- لماذا يوضع القداس كفعل مركزي في عبادات المسيحية؟
- لماذا هذا الإصرار على حث المؤمنين للذهاب إلى القداس؟
- ما هي وظيفة القداس في حياة المؤمن، في حياة الكنيسة؟

هذه الأسئلة تستحث فضولنا عندما نرى الأهمية الكبرى التي توليها الكنيسة للقداس.

في المحاولة التالية سأنظر إلى القداس^(١) من زاوية محددة، زاوية المحلل الاجتماعي الذي يربط بين "الحدث المستثار" و "الوظيفة التعبوية" المتوخاة منه، أو بعبارة أبسط، بين الممارسة والطاقة المعنوية التي تتضمنها هذه الممارسة. من وجهة النظر هذه سأحاول تحديد "الوظيفة" أو "الوظائف" التي يؤديها "قداس يوم الأحد"، مباشرة أو غير مباشرة، ومن ثم الربط بين أحداث القداس والطاقة التعبوية التي تمتلكها لتعميق مفعول تلك الأحداث لدى المؤمنين. أما البعد اللاهوتي للقداس فلن أتطرق إليه إلا بقدر ما هو "عنصر إيماني ودينامي" لجعل القداس مركز ومحور حياة الإيمان والشهادة المسيحية.

أولاً: وظيفة القداس

عندما نتكلم عن "وظيفة القداس" - لا من حيث هو تعبير لاهوتي في حد ذاته، بل بوصفه حدثاً، أو فعلاً إنسانياً- فلنما نتكلم عن "الدور" الذي يؤديه القداس، أي "المهمة" المنوطة به (موضوعياً)، أو المنتظرة منه (نظرياً)، أو الناتجة عنه (عاطفياً ونفسياً). وهذا الدور، أو هذه الوظيفة، يؤديها القداس - كلامنا هنا عن قداس يوم الأحد- في ظرف زمني ومكاني جماعي، لان القداس فعل أو حدث جماعي، وليس عبادة فردية أو التزاماً من التزامات الكاهن القانونية الخاصة. من هذه الزاوية المعينة تميز ثلاث وظائف للقداس: اجتماعية، دينية - كنسية، وتربوية - تثقيفية.

١ - الوظيفة الاجتماعية

في بيئة ريفية تقليدية، كما هو الأمر في قرانا، يكون القداس مناسبة للثمام جماعة متكونة مسبقا. والى وقت ليس ببعيد كان قداس الأحد الفرصة الأسبوعية الرئيسية، ولربما الوحيدة، للخروج من البيت، مما يجعل منه، اي القداس، "زمننا بارزا" في حياة القرية. من هنا أهمية اللقاءات والأحاديث والعلاقات المتبادلة قبل وفي أثناء وبعد الاحتفال.

قد يختلف الوضع في المدينة من حيث أن أواصر "الجماعة" ليست بالمتانة ذاتها التي في القرية أو المحلة التقليدية. ولكن إذا كان القداس في المدينة، ولا سيما في المدن الكبرى، يجمع أشخاصا لا يلتقون في موضع آخر، فكثيرون منهم لا يجهلون كل شيء عن الآخرين، لا بل منهم من يقصدون الكنيسة الفلانية لانهم فيها يلتقون بمعارف أو أقرباء لهم؛ وتشهد بذلك الحلقات الصغيرة التي تتكون في ساحة الكنيسة لدى الخروج من القداس. وهذا يحد ذاته مؤشر ذو مغزى.

ولكن السؤال هو: هل أن مثل هذه العلاقات التي تتكون أو تتجدد بمناسبة القداس هي دليل ايجابي لنجاح الاحتفال الاوخراسي، أم ينبغي أن يبقى هذا الاحتفال "التقاء عابرا" ذا طبيعة شخصية؟ بصورة أدق وأوضح: هل ان مثل هذه العلاقات ضرورية أو مفيدة للتعبير عن خصوصية الروح الجماعية والعائلية التي يستهدفها القداس؟

إذا أخذنا، من وجهة نظر اجتماعية، بان القداس، من أهدافه إثبات الهوية الانتمائية، وإذا أخذنا عبارة "إثبات الهوية الانتمائية" هنا بمعنى التعبير عن الإيمان الشخصي الذي يتحقق زمنيا ومكانيا ضمن الانتماء إلى جماعة معينة، مع ما يتضمن هذا الانتماء من التزام بأطر ومقومات هذه الجماعة، وليس بمعنى البطاقة الشخصية الشكلية؛ إذا أخذنا بهذا المفهوم فكل نشاط فعلي يتصل مباشرة بالتعبير عن روح التضامن والمشاركة مفيد وضروري، شريطة أن لا ينحرف عن طبيعة القداس الخاصة.

في هذا المنظور نرى العلاقات الناشئة بمناسبة القداس، لا بل نتساءل إذا لم يكن البعد الجماعي للقداس ناقصا في إحدى حلقاته الأساسية في غياب مثل هذه العلاقات "الخارجية". وبقدر ما يشكل "مرتادو" القداس أقلية في محيطهم الاجتماعي والمهني اليومي، بقدر ذلك تبرز ضرورة هذه اللقاءات، سواء كانت منظمة أو عفوية. ويظهر ذلك بصورة أجلى بالنسبة إلى الجاليات الوافدة -من قطر آخر أو من مدينة أخرى، ولا سيما الوافدين من الريف لمتانة الحس الجماعي والتضامني والقرابة لديهم- أو العناصر المعزولة أو الهامشية الأخرى. فالقداس لهؤلاء، بالإضافة إلى بعده الديني، هو ملتقى لتحديد الأواصر، والشعور بالأمان العاطفي والنفسي بالعودة إلى الجذور الثقافية المشتركة مع ابناء منطقتهم القدامى، وحذف للطبقية الاجتماعية وعيش المساواة رمزيا مع سائر المؤمنين على مقاعد واحدة وفي تعبير إيماني واحد.

كلمة أخرى نقولها عن علاقة الكثافة العددية في القداس مع البعد الجماعي. ففي الجماعات الليتورجية الصغيرة من (٥ - ١٥) شخص: رياضات روحية، فرق صلاة أو

مناقشة، قداديس البيوت..) يشعر كل واحد بدوره الخاص مما يتيح علاقات شخصية وتضامنية أعمق. كما ان الجو العائلي والنفسي البعيد عن التكلف في مثل هذه الجماعات يخلق انفتاحا وحالة من الانتباه الرهيف لفهم الرموز الليتورجية بصورة أفضل. مثل هذا الانتباه يحدث أيضا في القداديس الخاصة التي تقام لبعض الفئات (أخويات، ندوات، شباب، مرضات، مرضى، أطفال..) في إطار ليتورجي وتكويني يلائم انتظاراتهم.

هذه الاحتفالات المشتركة الخاصة ضرورية، من وقت لآخر، إذا ما أريد تنمية الشعور بالانتماء الجماعي، شريطة أن توضع في إطار الانتماء الأوسع إلى الجماعة الكنسية المحلية. فالجماعة الكبيرة لها أهميتها الخاصة أيضا من حيث طاقات الإيحاء الشمولية والانفعال التي تثيرها، بالإضافة إلى أنها تجمع أناسا مستقلين عن بعضهم، متباينين الجذور الاجتماعية والتزعات، وتضعهم في جو يعبرون فيه سوية عما هو مشترك وموحد بينهم، متجاوزين اختلافاتهم ولربما خلافاتهم. (هكذا نرى أهمية أن تجري الاحتفالات الطقسية الكبرى في الكنائس المركزية). من هنا نرى أهمية بعض الرموز والحركات الليتورجية وبعدها الاجتماعي والإنساني كتبادل السلام والتناول (من الخبز الواحد).

وتأتي المشاركة الفعلية في القداس عن طريق الإجابات التي تشكل حوارا بين الكاهن والشمامس والشعب، وعن طريق حركات الجسد (قيام، جلوس، بسط الأيدي، انحناء، ركوع..)، كتعبير عملي مباشر للروح الجماعية والوعي المشترك بالعضوية الفعلية. وسيكون القداس نقطة ارتكاز و "حالة نفسية" بقدر ما يحمله إلى الجماعة من طاقة إيجابية رمزية في إطار تحقيقه المباشر. هنا نرى دور البدائل في المدن حين يقصد البعض كنيسة غير خورنتهم وعلاقة ذلك بالشعور الانتمائي إلى جماعة صلاة أكثر تجاوبا مع تجربتهم وطموحهم الإيمانيين. إذ بقدر ما تحول العوامل الجغرافية والزمنية دون شد أواصر الجماعة (التبديد بعد القداس)، بقدر ذلك ينبغي استشارة أوضاع جماعية تعبر عن المشاركة الفاعلة وتبعث الوعي التضامني.

٢ - الوظيفة الدينية - الكنسية

إن خصوصية القداس هي في كونه، حتى في وجهه الاجتماعي، يعود إلى أصول روحية وطبيعية دينية، مما يزيد، في الواقع، من قوة تأثيره وطاقته التعبوية. وهذه الطاقة تتضاعف عندما نعرف بان القداس وجه من أوجه "الاستذكار الجماعي" عبر الزمان والمكان، ليس لما فعله أجدادنا المباشرون من قبلنا وحسب، بل خاصة لما فعله يسوع نفسه في عشاء الوداع، وللطريقة التي بها جدد المسيحيون الأولون "فعل" يسوع، ولاسيما للزخم الروحي الذي ضمنوه هذا "التحديد". فلو عدنا إلى الأجيال المسيحية الأربعة الأولى لاستخلصنا العناصر التالية من "الاحتفال الاوخرستي":

١ - انه كان يتم في يوم الرب، الأحد، بعد الاعتراف بالخطايا والمصالحة مع الإخوة، لتأتي الذبيحة طاهرة.

- ٢ - إن الذبيحة روحية وتعطي غذاء روحيا للمشاركين.
- ٣ - إن اختيار يوم الأحد كان بصله مع كونه يوم قيامة الرب -ويوم مجيئه الثاني رمزيا- لذا كان الأحد رمز ابتداء الخليقة الجديدة في المسيح.
- ٤ - إن القرينة بين "كسر الخبز" وفعل "الشكر" هي في اكتشاف حضور الله بين شعبه، عبر هذا الحدث، وشكره على سر الخلاص الذي أممه على مراحل إلى أن اكتمل يسوع المسيح: ومن هنا طغت كلمة "اوخارستيا" ومعناها "الشكر" على الاحتفال كله.
- ٥ - إن الاحتفال كان يتم مرة واحدة في موضع واحد لإبراز الوحدة والمركزية حول الحدث.
- ٦ - انه رمز الاجتماع والشركة ورمز الاتحاد بين الإخوة.
- ٧ - انه، نتيجة لذلك، اجتمع الكنيسة. فالكنيسة تظهر بصورة ملموسة حيث يشترك الإخوة بالاوخارستيا. (ربط ذلك بمفهوم بولس الرسول عندما يسلم على الكنيسة التي في بيت أكيليا وبرسكيلا وغيابوس.. اي الجماعة المسيحية التي تلتزم لكسر الخبز عندهم: رومية ١٦: ٢٣، ٥، ١ قور ١٦: ١٩)^(٢).

إن هذه العناصر مكونة كلها في قداسنا اليوم وهي تشكل ارضية اللاهوتية الحقيقية. ولكننا لسنا أمام "تنظير لاهوتي" مجرد، وإنما "تأمل" و "استذكار" منغرزين في التاريخ، تاريخ يسوع ذاته وتاريخ الكنيسة. لذا تضمن كل عنصر من العناصر المذكورة قيمة من القيم الإيمانية والدينية والكنسية التي عاشها المسيحيون الأولون ويدعى إلى عيشها مسيحيو كل الأزمان، اليوم وغدا.

فإذا كان القداس تجديدا لتضحية المسيح، إي إذا كان المسيح يوجد بيننا في حالة ذبيحة فدائية، وفي حالة المخلص الناهض من الموت حيا.. فالبعد الحياتي يكون في ان يرى المؤمن فيه آلامه وتضحياته وحياته على ضوء تضحية المسيح وقيامته، فيكتشف فيها قيمة فدائية، ومن ثم دعوة إلى الأمل والحياة والتجدد.

وإذا كان القداس "عشاء" طقسيا أو دينيا تتكون مادته من المادة ذاتها التي استخدمها المسيح والتي هي ثمرة جهد الإنسان.. فالبعد الحياتي يكون في أن يرى المؤمن في اشتراكه وتناوله غذاء إيمانيا (= الخبز) يبعث فيه الفرح (= الخمر) وحافزا إلى اندماج أكبر بحياة المسيح وحياة الإخوة: أليست هذه هي وظيفة تقاسم الطعام الواحد! من هذا المنطلق كان التناول جزءا مكتملا وأساسيا للمشاركة الحقة في القداس، وليس ترفا روحيا، أو إضافة مبركة تحشر كملحق بعد ختام القداس.

وإذا كان القداس فعل الجماعة المسيحية كجماعة متضامنة، وليس كافراد جمعتهم الصدفة؛ اي بتعبير آخر إذا كان القداس فعل الكنيسة ككنيسة، فالاشتراك في القداس يكون رمز عضويتنا في هذه الكنيسة التي يدعوها بولس جسدا المسيح السري.. أما البعد الحياتي فيكون في الشعور بالمسؤولية تجاه الكنيسة والتزام مسيرتها وتقديمها ومحبتها، مع ما في الحجة من عطاء ومعاناة.

هذه هي ابرز جوانب الوظيفة الدينية للقداس، هذه الوظيفة التي يمكننا إنجازها في عبارة مشبعة وهي: المجاهرة بالإيمان المشترك جماعيا، وعيشه مكثفا وبأساليب تعبيرية ورمزية واحدة، وبتوافق ضمني على معانيها، في ظرف زمني وجغرافي معين، ولكن منفتح إلى حركة الحياة.

٣ - الوظيفة التربوية - التثقيفية

إذا كان التعبير عن الإيمان وعن الوحدة في المحبة والشركة من الوظائف الدينية والكنسية والاجتماعية الرئيسية للقداس، فالاجتماع الاوخراسي يتضمن أيضا بعدا تربويا وهو التنشئة على الإيمان والمحبة. ويقوم بهذا الدور - أو هذه الوظيفة - القراءات الكتابية والموعظة. غير أن التنشئة الإيمانية في القداس لا تنحصر في هذا القسم وحده. فإذا كانت وظيفة القراءات أن تربط الإيمان، اليوم، بتاريخ الخلاص ولا سيما بشخص المسيح المخلص وتعاليمه وخبرة رسله في حركة اتصال وتواصل نحن حلقتها الأخيرة؛ وإذا كان من طبيعة الموعظة أن تربط بين الإيمان ومفرداته التعبيرية الأخرى، فالقداس بأكمله يشكل عملية تنشئة اختبارية على الإيمان والصلاة والبحث الروحي والحس الكنسي.

إن القداس يشكل حلقة جوهرية في حلقات التثقيف الإيماني، بل أعمقها إحياء ومصداقية وإقناعا لما يضمه من عناصر تخاطب وجدان وعاطفة المؤمن، ولجو الهيبة والقدسية والاتصال الروحي والإصغاء النفسي الذي يفرضه أو يستثيره. لذا، فبقدر ما تكون المشاركة فعلية والرموز نافذة في ذهن المشتركين، بقدر ذلك يؤدي القداس وظيفته التربوية - التثقيفية بعمق.

هنا يأتي دور الشروحات الضرورية لبعض المفردات والحركات وتوجيه الاحتفال وتركيز الذهن حول نقاط مركزية، لتلا يأتي بمجرد تكرار. كما تظهر أهمية الوضوح في صيغ إعلان الإيمان، وجدية الأداء، وسلامة نصوص الصلوات والتراتيل، معنى ومبنى، وحسن اختيار النصوص الكتابية ومواضيع الموعظة وأسلوبها... بحيث تجد صدق ابلغ في حياة المؤمنين ومعانيهم.

هذا هو المنظور الذي بموجبه نعتبر القداس قناة تثقيف مسيحي حقيقية تتصلب عضويا بالقنوات التثقيفية الإيمانية الإنجيلية الأخرى كالدورات، والحركات الرسولية، والوسائل التعليمية والإعلامية الأخرى، المكتوبة والمرئية والمسموعة. وكلما انحسرت مثل هذه الوسائل والنشاطات الخارجية، كلما ازدادت أهمية الجانب التثقيفي والتنشيطي للقداس (والاحتفالات الطقسية الليتورجية الأخرى). ولعلنا، في العراق، اليوم، لم ننبت بما فيه الكفاية إلى هذا الجانب، سيما وان القنوات التثقيفية الأخرى، إن لم تكن معدومة تماما، فهي محدودة جدا، بالإضافة إلى كون القداس نشاطا عاما ومنفتحا إلى جميع فئات الشعب.

ثانيا: لكي يحتفظ القديس بدوره المركزي

ليس القديس كلا متكاملا وصل الينا هكذا في جزئياته، ولا صيغة جامدة ينبغي أن "تصدّر" هكذا إلى الشعوب الجديدة أو تورث كما هي للأجيال القادمة. هذا ما أكده المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في دستور الليتورجيا رقم 37: "ان الكنيسة لا ترغب أن تفرض صيغة نص موحد لا يتغير في المجالات التي لا تمس الإيمان وخير الجماعة العام وحتى في الطقسيات، بل بالعكس تحافظ على ميزات الشعوب المختلفة وموابعها.. وتقبل بها في طقسياتها شرط أن تتناغم مع روح طقسي حقيقي".

فالتجدد الليتورجي -ومنها القديس- نتيجة حتمية لتطور المجتمع. المهم هو المحافظة على الجوهر مع الأمانة لروح التقليد، لا لحرفه الذي قد يتجاوز الزمن فيفرغ من معانيه. أما التنوع فهو غنى في التعبير وعلامة ثراء لقابلية الكنيسة في استقبال التعابير والثقافات الجديدة.

ففي سبيل أن يحقق القديس أهدافه الأساسية المذكورة، ويحتفظ بدوره المركزي في الحياة المسيحية، ينبغي إعادة تقييم -ولربما إعادة نظر- في مفرداته. وستتطرق هنا إلى بعض الجوانب معتمدين الإيجاز ليقى الباب مفتوحا أمام الاجتهادات والمتابعة:

أ - البيئة الاوخرستية والديكور: التصميم الهندسي للكنيسة وترتيب المواقع فيها ينبغي أن يتمان وفق الوظيفة المتوخاة. هيئة المذبح ووضعته، قربه، بعده، كونه جزءا من الحفل أو منصة احتفالات معزولة. قضية الصدى وإيصال الصوت بوضوح. القيمة الفنية والإيحائية للصور والإيقونات، قلتها، تراجمها...

ب - الرموز، صلة الكلمة بالحركة والمعنى: لان الليتورجيا تستهدف واقع الإيمان الذي يتعدى التجربة الحسية، فهي تدور كلها في جو من الرموز، فكل حركة ظاهرة ترمز إلى حقيقة لا منظورة.

والرمز يكون "إشارة" - أو "نبوة" - بحسب طاقته الإيحائية أو بحسب المعنى الذي يحمله إياه الوسط الثقافي أو التراث الموروث. من هنا أهمية الثقافة الدينية والخلفية التاريخية ولا سيما الكتابية والتقليد للإيحاء في التعبير الديني وتثبيت "الانتماء": فنحن تواصل، تاريخ، ولسنا مقطوعي الجذور: ورثنا ونورث.

والرمز ضروري للحياة لأنه أكثر ثراء في التعبير عن تعددية الأوجه المعاشة أو المطموح إليها. لذا كانت ضرورته أكبر في الليتورجيا، وفي غيابه تصبح سطحية، مكشوفة، باردة، تعجز عن النفاذ إلى القلب. الرمز في الليتورجيا يشكل أداة لإعطاء المعنى لما تنتجه الحياة من أبعاد جديدة لإيماننا.

ج - اللغة: لغة مفهومة، لغة الشعب (قد يكون بقاء بعض النصوص في لغة تراثية مفيدا للإيحاء عبر السرية). الترجمة وحدها لا تكفي، فاللاه هو بتجانس الذهنية لفهم الكلام ومدلولاته والتشبع بروحه. الترجمات السريعة ولا سيما الارتجالية غالبا ما تصب في المبهم وانصاف المعاني وحتى في الأخطاء.

أهمية القراءات: مجال لفترات صمت للتأمل والمضغ.

د - القراءات: اختيار النص الملائم. الطول، العدد، الوضوح في الأداء. بعض نصوص العهد القديم التي تعكس جوانب عنصرية أو عدائية انتقامية أو تشريعية نافلة غير ضرورية. تفضيل العهد الجديد والأنبياء.

ه - الموعظة: الموعظة فقرة مهمة جدا في القداس وغياها يعني غياب عنصر تثقيفي وتعبوي رئيسي. موضوعها، لغتها، إعدادها، طولها، هناك صفات أساسية كهي تشد الجماعة وهي: اللفظ الواضح - اللباقة في الحركات ونبرة الصوت - الكلمة الجيدة. وجود الكلمة تأتي أولا من واقعية الموضوع، أي من معالجتها الموضوع الذي ينفذ صداه في قلوب المستمعين ويستلهم واقعهم ومعانياتهم، وثانيا من بساطة الأسلوب وربط الأفكار والتدرج في العرض. السؤال هو: هل الموعظة محاضرة، أم استعراض خطابي، أم تعليم ونداء إيماني للحياة؟ أليست وظيفتها أن تكون "نبؤة" للسامعين، اعني إعلانا ونداء لدور الله في حياتنا عبر يسوع المسيح: "اليوم تتم هذه الكلمة في فيكم...!".

و - الاشتراك الفعلي والتنشيط: المشاركة هي أن يشعر كل عضو بأنه جزء من المجموع، جزء مسؤول عن سير العملية، لا مجرد مشاهد انفرادي. من هنا أهمية المشاركة الفعلية كلاما وترتيلا وحركة. دور التنشيط في نقل الحماس وروح المشاركة عن طريق "منشط"، كاهن أو علماني، أو عن طريق اللحن الليتورجية التي تعد وقائع القداس، أو الجوقة التي تخلق جوا من الهيبة والصلاة وترهيف النفس. أهمية التراتيل الشعبية المعروفة إلى جانب تراتيل جديدة.

أهمية الشماسية وإعدادهم (ولكن في منظور جماعي، وليس كمقرئين انفراديين، كل على هواه يستعرض طاقاته الغنائية).

إلى هذه الجوانب نضيف كل ما ورد في الفقرات السابقة من ملاحظات ومؤشرات حول تعميق فهم القداس وتأثيره في الحياة، من سبل توسيع المشاركة الفعلية والفاعلة فيه، إلى دور القداديس الخاصة أو الجماهيرية، إلى الشروحات التي تتناول معانيه ورموزه وأهدافه (سواء كان ذلك ضمن القداس أو عن طريق كتب ونشرات ولقاءات خارجية).

خاتمة

إن القداس يحقق هدفه الكامل عندما يكون نقطة انطلاق للحياة، فيعيش المؤمن في واقع الحياة القيم التي يبني عليها. وهذه القيم، إذا انطلقت من الاغتناء الروحي الذاتي والتعمق الإيماني الشخصي، فهي تثمر واقعا، وبزخمها الطبيعي، في التزام ذي وجهين: اجتماعي وكنسي، شخصي وجماعي. ولعل خير خاتمة لهذا البحث هي أن نركز على القرينة بين جسد المسيح الاوخراسي وجسد المسيح السري الذي نحققه رمزيا عندما نجتمع

في القداس لتحديد حضوره، هذا الحضور الذي يمتد في التاريخ الإنساني حيا وفاعلا عبر التزامنا الإنساني كمؤمنين وكنيسة.

المراجع والمصادر

- وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني - بيروت ١٩٦٩ .
- نيقولاي اثاناسييف: "مائدة الرب" - منشورات النور ١٩٦٩ .
- Houtart / Rémy: Milieu urbain et communauté chrétienne, 1968.
- H. Duquaire: LEucharistie, symbole ou présence réelle, 1974.
- M. Jourjon: Sacrements de la liberté chrétienne, 1981. 1981.
- I - H. Dalmais: Liturgies d' Orient, 1980.
- Gelineau: Demain la liturgie, 1976.
- Hamman: Initiation chrétienne, 1980.
- A·Hamman: naissance des lettres chrétiennes, 1980.

(١) تناولت "الفكر المسيحي" القداس من جوانب اخرى: انظر "المشاركة في القداس" (اذار ٧٤)، "دور الاوخرستيا في بنيان الكنيسة" (ك٢ ٧٦)، "البعث الجماعي للاوخرستيا" (ايلول ٧٦)، "المشاركة في القداس" (نيسان ٧٧)، "القداس في كنائسنا الشرقية" (ك١ ٧٨)، "اقامة الاوخرستيا عبر التاريخ" (اب/ايلول ٨٢)، "الاحتفال بيوم الرب" (نيسان ١٩٨٢).

(٢) انظر كتاب "تعليم الاثني عشر" (١٠٠ - ١٥٠م)؛ "التقليد الرسولي" لهيبوليتس الروماني (+ نحو ٢٥٣)؛ فورلس الاورشليمي (٣١٣ - ٣٨٦)...



دير مار بهنام الشهيد واخيه سارة ورفاقه الأربعين

دير مار بهنام يستهويك في كل الفصول، وإذا زرتة مرة تقودك خطاك إليه مرات.. فإذا فصلته ربيما فرش أمامك "تله" المزهر بورد "البييون" وشقائق النعمان وأسكرك بشذى حقوله الخضراء على مد النظر. وإذا عدته صيفا احتضنك في ظل أروفتة كما تحتضن الواحة الضمان ومسح جبينك بنسيم سروره وزيتونه. وإذا جئته خريفا رحب بك بأسراب الحمام التي تسبح في فضائه فتاتي لتحط عند قدميك أو تتفازل أمام ناظريك. وإذا وافيتة شتاء كان في انتظارك على صهوة جواده في أعلى برج المدخل وبسط لك ذراعيه وقال: ادخل، فالداخلون عندي يجدون النقاء والسلام والمحبة.

في كل الأيام بابه مشرع للاستقبال، ناره لا تنطفئ "كمضيف" شيخ عربي. وإذا كانت "دلة" القهوة لا تغادر كانون شيخ العشرة، فشاي "مار بهنام" - خضر الياس" حاضرين يديك، لذيذا معطرا، حال وصولك، يقدمه لك الأب الرئيس فرنسيس جعولا مع حبه - أو أكثر - من المصقول الناعم. ومع الشاي والمصقول بأسرك بحرارة استقباله وبشاشته.. قبل أن يضعك في أجواء "المقام" الذي أنت قاصده. ذلك ان جمال "مار بهنام" الحقيقي هو في الداخل، في داخل قلبه الواسع، بين جدرانها التي ترجع صدى مزامير الرهبان في الأجيال الفواير، في حنايا كنيسته الأثرية التي تحكي قصة الإيمان والأمل في هذه الديار، في رهبة "الجب" الذي يأوي رفات شباب لا زال تراب هذه الأرض يحمل عطر دماثهم المسفوكة من اجل المسيح.. بذارا للحياة والعطاء.

لقدسكت الرهبان ليوم وصلوات صوامعهم. تستقبل الزور من كل وصوب حطب.

هذا ليوفي نذرا عليه، وذاك ليعمد طفلا مطلوبا بشفاعة بهنام أو سارة، وآخر ليستكمل بحثا من بطون مخطوطات المكتبة، ورابع ليريح النفس من عناء العمل والحياة، وغيره ليصلي ويتعبد كهؤلاء الكهنة الشباب الثلاثة الذين رأيناهم ينزعون الرواق ذهابا وإيابا وقد جاءوا ليقتضوا ثلاثة أيام في الخلوة للتأمل والصلاة.. أما نحن فقد جئنا لنقرأ صفحات من "سفر" هذا الدير ونكتب صفحة عن الحياة والإيمان اللذين نشأ هنا ولا زالت تنبض بهما هذه الأرض.

في تقدير الزمان..

في قديم الزمان - في القرن الربع يقول تاريخ الرهاوي المجهول - كان لوال فارسي في منطقة آشور، ولدان، بهنام وسارة، اعتنقا المسيحية على يد راهب من جبل مقلوب يدعى متى الشيخ، قتلتهما والدهما لنكرانهما الالهة وأصبح موضع استشهادهما مع رفاقهما حجة للمؤمنين. وبعد تلك الأيام مر بذلك المقام تاجر مؤمن في طريقه إلى القدس نال شفاء عبده بشفاعة الشهيدان فابتنى كنيسة أوى فيها رفات الشهداء وديرا للرهبان عرف "دير الحب".

.. وفي العقود العربية

عن "دير الحب" هذا تكلم ياقوت الحموي والقزويني وغيرهما فيما بعد. وقد ذكرا أن "الناس يقصدونه لدفع الصرع فيراً منهم كثيرون"^(١).

وقد تقلبت يد الحدثان بهذا الدير بين مد وجزر إلى أن انبعث مجددا على يد التكريتيين النازحين منذ القرن العاشر إلى الموصل وقره قوش وبرطلة وبعشيقه، ودخل عصره الذهبي في العهد الاتابكي (القرن ١٢-١٣) الذي إليه تعود معظم الآثار الشاحصة والزخارف المحفورة أو البارزة في المرمر الأسود أو الجبس، وفي المقرنصات المتساقطة من السقوف أو المتدلّية من رتاج الأبواب، وفي الكتابات الرائعة بالسريانية - الاسطرنجيلية والعربية وحتى الارمنية والايغورية، أي التترية، التي تزين الأبواب والحنايا وتحكي أحداثا من الزمان الغابر أو ترسم أسماء فنانيها أمثال أبو نصر وأبو الفضل والأخ حسن وأبو البركات وأبو عيسى... أو تلمس رحمة من الرحمن وتحتمي بحمي بهنام.

غير ان نجم الدير أفل مرات ولمع مرات، بحسب تقلبات الأيام، وعبث به المغول والتر ولا زالت آثار التخريب بادية على بعض الصلبان ورؤوس التماثيل، وانتقل من يد إلى يد، فاستولى عليه الأكراد وضبطه اليزيدية وهجر مرارا.. قبل أن يعود فيصبح قلبا نابضا للسريان، عامرا بالرهبان، ومقرا لمفارتهم بعد تكرت في القرن ١٥- وقد دفن ثلاثة منهم فيه، أولهم ديسقورس الثاني المعروف ببهنام شتي الاربوي المتوفي في قره قوش عام ١٤١٧. وفي أواسط المئة ١٧ جعل مقاما أسقفيا تسمى أحباره "بمطران دير مار بهنام وبيت حديدا" (أي قره قوش الحالية). ومنذ ذلك التاريخ ارتبط الاسمان معا في السراء والضراء، وكثير من الرؤساء الذين تعاقبوا على إدارة الأبرشية والدير كانوا قره قوشيين. ولما اعتنق أهالي البلدة الكتلكة انتقلت ملكية الدير أيضا إلى السريان الكاثوليك.

.. واليوم

عن هذا الأثر الجليل الذي ظل شاخصا كالطود المارد بوجه الأعادي والغزاة وسط سهل فسيح على مسافة ٣٥ كم جنوب شرقي الموصل في زاوية التقاء الزاب الكبير بدجلة، بجوار قرية خضر - البساطلية، مركز ناحية النمرود حاليا، كتب المستشرق الفرنسي بونيون الذي زاره عام ١٨٩٣: "انه ليس في الشرق اثر عربي للقرن ١٢ أجمل من الكنيسة". والانكليزي لوك قال: "إن هذا الدير هو احد الآثار المسيحية الأكثر أهمية في العراق". ونقول نحن انه متحف حقيقي للفن المسيحي المشرقي في الرياضة والزخرفة والنحت المتداخل. وذلك "سجل الدير الذهبي" يعج بما يختلج في نفوس زواره من إعجاب بروعة الآثار "وهمة الأجداد، موعظة للأبناء".

يتألف الدير من بنائين منفصلين: الجب والدير يحيط بهما بستان واسع معظم أشجاره من الفستق والزيتون. ويقع الجب في سفح تل اثري يتزل إليه الزائر بدرجات عبر نفقين منخفضين متوازيين من الآجر المتآكل. أما الدير فيتألف من فنائين فسيحين، يأوي الخارجي منهما في ضلعه الشرقي كنيسة الدير الأثرية ويحتوي على ٢٥ غرفة لاستقبال الزائرين وعلى صهريجين لحزن مياه الشرب. أما الداخلي - وكان يسكنه الرهبان في السابق - فيتصدره جناح جديد وقد هياه الرئيس الحالي لاستقبال الجماعات التي تنشُد خلوة الدير للرياضات الروحية، من كهنة وعلمانيين، ويحتوي على مكتبة نفيسة وغنية بالمخطوطات تعتبر ثروة علمية نادرة. وقد وضع الأب بهنام سوني فهرسا تفصيليا لمخطوطاتها ينتظر الطبع.

رسالة الدير وإشعاعه

كانت الساعة تقترب من العاشرة مساء عندما عاد الينا الأب الرئيس بعد أن فرغ من استقبال أو توديع الزوار، أو استكمال تلبية حاجات من سيقضون الليلة في الدير -ولا يخلو منهم على مدار السنة. ألم يأت دورنا نحن؟ حدثنا، إذن، عن رسالة الدير وإشعاعه، قبل أن يحطفك منا زائر مفاجئ!

ابتسم الأب فرنسيس ومر بيده على جبينه العريض ثم قال بكلمات هادئة وكأنه يؤدي امتحانا:

لن أحدثكم عن إشعاع الدير في الماضي البعيد، فذلك تجدونه في الكتب. وإنما اقتصر على السنوات المتأخرة اليوم. وراح الأب يربط بين الإشعاع الرهباني الذي انطلق من هذا الدير في العصور الماضية حيث عاش أناس تغذوا من حضور الله وتعبدوا له في حياة الزهد والشهادة للامان، وبين تجربة الدير في الربع الاول من هذا القرن وحتى الخمسينات حيث اخذ على عاتقه قيمة التلاميذ الراغبين في الكهنوت وإعدادهم لتكميل دراستهم في الاكليريكية السريانية في القدس والشرفة بلبنان أو في معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل. ثم أوى ميتما لبضع سنوات. أما اليوم وقد أصبح الأب الرئيس الكاهن المقيم الوحيد والمشرف الأوحد على إدارة شؤونه وأوقافه وخدمته الروحية، فحل وقته يصرفه في استقبال الزوار وشرح معالم الدير لهم والإشراف على أعمال الصيانة والتطوير. غير أن الأب فرنسيس لا يرغب في أن تكبله هذه المهام في وجهها المادي الصرف: ففي استقباله يضع اللطف والطيبة وروح الخدمة -وتلك أيضا رسالة إنجيلية- ويلتقي بالأسر التي تمكث في الدير بضعة أيام فيجيب إلى تساؤلاتهم الدينية ويغني أحاديثهم بخبرته الروحية.. وقد اطلعنا على تجربة جديدة ساعدته فيها شقيقته الراهبة في الصيف الفائت وهي إعداد ١٢ طالبا وطالبة من مرحلتي الابتدائية والمتوسطة من الأسر الساكنة بجوار الدير لأول حفلة تناول أول تقام في الدير.

ولسنا من حديث الأب المسؤول ان الدير صار في الآونة الأخيرة يقدم صيغة جديدة من الإشعاع الروحي باستقباله مجموعات من الشبان والشابات بقيادة كاهن أو راهبة لقضاء يوم أو أكثر في الصلاة والتأمل، ويوفر لهم جوا مؤاتيا من الخلوة والخدمات في الجناح الداخلي الذي زوده بمطبخ مستقل وغرفة مؤثثة وماء حار وبارد. كما يحاول الأب بالتعاون مع كهنة آخرين وشمامسة ان ينعش الاحتفالات الدينية في مواسم الميلاد والقيامة وعيد مار بئنام (١٠ ك) حيث يتضاعف عدد الزوار فيشكلون مهرجانا حاشدا وصاخبا. ويجدر بالذكر الاحتفال الكبير الذي نظمته في الدير كنائس الموصل بمناسبة السنة المقدسة في ت ٢ الماضي وقد ناهز المشتركون فيه الالف.

لعل هذه الصيغة من الإشعاع الروحي للدير هي شرط مصداقية رسالته وضممان ديمومة دوره الكنسي، فينبغي التركيز عليها، برأينا.

الوجه الجديد للدير

إن من يذكر دير مار بئنام يذكر للحال رئيسه الأسبق الخوراسقف المرحوم افرام عبدال (١٩٦٥+). فقد عمل في عمرانه وتجديده مدة ٣٠ سنة وجعل منه أثرا عالميا يحج إليه القاصي والداني، وعمل على إدراجه رسميا كأثر قومي في مديرية الآثار العراقية. ووضع

له دليلاً سياحياً مصوراً بالعربية والانكليزية والفرنسية والألمانية، وطبع مجموعة من البطاقات البريدية تمثل روائعه الفنية، ونشر عنه كتاب "اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد" مقدماً إياه كصفحة لامعة من أروع صفحات الآثار المسيحية العراقية، إضافة إلى كتاب آخر في سيرة الشهيد ورفاقه وصور كبيرة ملونة تمثل الشهيدان.

الأب فرنسيس جحولا - وقد تعين رئيساً للدير في ١١ نيسان ١٩٨٢ وتثبت في ٢٠ ٢٠ الماضي - تلميذ ذاك الرجل. ما أن استلم مهامه حتى شمر عن ساعد الجد ليضع لنته في خطى أسلافه وباشر بإجراء الترميمات والإصلاحات في كافة أقسام الدير الفسيحة. فأعاد تقسيم شبكات الماء والكهرباء وصبغ الغرف من الداخل والخارج وزودها بأسرة وفرش جديد وبمغاسل ومرافق حديثة وجدد مطبخ الدير المركزي ونظم الجناح الداخلي بكل الخدمات. وها هو منهلك الآن -بهمة احد المحسنين- في ترميم وبناء الجب وإكسائه بالحجر الأبيض المنحوت مع واجهة الكنيسة الخارجية.

إذا كان الدير جميلاً وجذاباً فسيكون إشعاعه الروحي والثقافي أكبر. هذا ما يفكر به الأب الرئيس. لذا كان من مشاريعه المستقبلية أيضاً: تطوير المكتبة واغناؤها بكتب حديثة لتناسب ومركز الدير الثقافي والتاريخي ونقلها إلى بناء أوسع واهداً.

تنظيم "رهرة" الدير الكبرى الداخلية كقاعة للندوات والمحاضرات واللقاءات وتزويدها بالأجهزة السمعية والبصرية.

إعادة طبع الدليل السياحي وكتاب سيرة مار بهنام والبطاقات البريدية وإصدار فولدر سياحي عن الدير.

إعداد استثمارات خاصة للأسر التي تقصد الدير.

الاهتمام بالتثقيف الديني لأبناء الأسر المسيحية الساكنة في الجوار.

استثمار البستان بعد انجاز مشروع الماء الموحد.

يا لطموحات الأب الرئيس الشاب (مواليد ١٩٣٧)! ولكن هل يكفي كاهن واحد لكل ذلك؟ اوليس بالإمكان العثور على شخص أو أكثر لمساعدة الرئيس -براتب- في الشؤون المادية والعمرانية والتموينية؟ أليست صيغة مرغوبة من صيغ التعاون الإنجيلي أن يكون الدير ملتقى لنشاطات ومبادرات روحية (رياضات، لقاءات الشباب) ومهرجانات دينية بتنسيق بين الكهنة أو الراهبات ورئيس الدير، ومبادرة من هذا أو أولئك؟

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل عندما سكت الأب الرئيس عن الكلام المباح. ولكنه استدرك وهو يصب آخر قدح شاي وقال: لا تنسوا أن تذكروا القراء في تحقيقكم بحرم الدير وقديسته، فهو ليس موضع لهو، مما يوجب على الزوار احترام الجوار العام وعدم تشويه الجدران والمعلم الأثرية بالكتابات وتسليم الغرف والأثاث بالنظافة ذاتها التي استلموها..

بمشاركة الأخت سانت اتيين

(١) "اللؤلؤ النضيد" للخورى الفرام عبدال/ ص٦٧- وللمزيد عن اخبار الدير طالع هذا الكتاب، فمنه استقينا فذلكنا التاريخية.

+ المسيحية في المغرب العربي/ملف/إذار



المسيحية في المغرب العربي

هل انتظرت المسيحية بواخر المستعمرين الفرنسيين أو الإيطاليين لتبحر إلى أرض أفريقيا؟
 وإذا كانت فيها قبلهم، فكيف أتت وكيف تطورت؟
 وإذا لرست قديما فيها بمجيئهم، فماذا بقي منها اليوم بعد أن غادرها الاستعمار؟
 في هذا الملف يحاول الأب جرجس القس موسى الإجابة إلى هذه الأسئلة -
 وقد اعتمد في هذه الدراسة زيارة ميدانية لبعض الأقطار شمال أفريقيا العربية
 ورؤية الشواهد الخاصة لتلك الكنيسة الحية حتى دخول الإسلام، إلى جانب
 مصادر مكتوبة قديمة وحديثة.



كنيسة شمال أفريقيا. اليوم

كانت الجزائر أول قطر من المغرب العربي تحتله فرنسا (١٨٣٠)، ثم تبعته تونس (١٨٨١)، ومراكش (١٩١٢). وفي السنة ذاتها دخل الإيطاليون ليبيا، بينما كانت إسبانيا تحتل بعض المدن الساحلية المراكشية (سبتة، طنجة) والصحراء الغربية التي كانت تضم قسما من جنوب المغرب وموريتانيا الحالية.

من هنا نرى أن حصة الأسد كانت بيد فرنسا، ليس من حيث المساحة وحسب، بل من حيث الإمكانيات الطبيعية والبشرية والأهمية الاستراتيجية والتاريخية للأقطار التي احتلتها، ومن حيث الفترة الزمنية التي بقيت فيها (١٣٢ سنة في الجزائر، ٧٥ في تونس، ٤٢ في المغرب). وكانت سياسة فرنسا في هذه الأقطار ذات منحى استيطاني - ثقافي، حيث جعلت من اللغة الفرنسية قناة التعليم والتداول الرسمية الوحيدة، تاركة في الظل - فوق ما كانت عليه إبان الاستعمار العثماني - اللغة العربية. كما شجعت فرنسا المحجرة من "الوطن لإلام" وأوربا إلى شمال أفريقيا، ولا سيما الجزائر. لذا فقد غطى المستعمرون المدنيون

الفرنسيون سفوح جبال وهضاب مقاطعات وهران والجزائر وقسنطينة وعنابة بالكروم والأشجار المثمرة وحقول الخنطة. بينما اهتم الأسبان -بعضهم ينحدرون من اسر أندلسية بدلالة أسمائهم العربية الأصل- والايطاليون بصيد الأسماك. أما المالطيون -وتكاد تسمع إحدى اللهجات العربية عندما تسمعهم يتكلمون- فيمتنون التجارة في منطقة عنابة وفي ليبيا. إلى كل هؤلاء يضاف عدد لا يستهان به من الحرفيين والإداريين والعسكريين وكوادر التعليم والاقتصاد.

وافدون مقيمون

وهؤلاء الذين ندعوهم "مستعمرين" كانوا يعتبرون أنفسهم بكل راحة بال، بل باعتزاز، مواطنين جزائريين أو لبيين، على قدم المساواة مع المواطنين الأصليين المسلمين. وقد قطع معظمهم فعلا، منذ الجيل الثاني، لاسيما في الجزائر، كل صلة مع الوطن الام، وتجدروا في الأرض وبنوا بيوتا وقرى وكنائس الى جانب أو وسط التجمعات السكنية العربية. وعندما نعلم أنهم نقلوا معهم إلى "أوطانهم الجديدة" كل تقاليدهم الاجتماعية والفكرية ومؤسستهم الثقافية والدينية، وان الكنيسة نظمت خدماتها تجاه رعاياها ومارست نشاطاتها الدينية والاجتماعية والثقافية بصورة طبيعية.. عندما نعلم كل هذا، ونأخذ بعين الاعتبار العناصر السابقة، يمكننا تكوين فكرة عن طبيعة المسيحية في أقطار شمال افريقيا العربية إبان الوجود الفرنسي وعن كثافتها العددية والجغرافية وتركيبها الاجتماعية. أما كوادر الكنيسة فكانوا فرنسيين، إلا ما ندر، وفي فرنسا نالوا تنشئتهم، لذا كان وجه الكنيسة كاثوليكيًا -لوفود اتباعها من أقطار كاثوليكية في أكثريتها الساحقة- وفرنسيا أيضا، ليس في الأشخاص حسب، وإنما في الارتباط الفكري والمعنوي بكنيسة فرنسا.

وقد تعززت مكانة الكنيسة الكاثوليكية ومؤسستها المختلفة بصورة متميزة في الجزائر، لضمها أكبر عدد من المؤمنين ولتميز السياسة الفرنسية فيها حيث كانت تعتبرها إقليميا فرنسيا. فنشأت الأبرشيات والخورنيات والمدارس، وأقبلت الرهبانيات المختلفة، بل تأسس بعضها فيها، ومنها انطلقت، كرهبانية الآباء البيض التي أسسها الكردينال لا فيجري عميد كنيسة شمال افريقيا ورئيس أساقفة الجزائر عام ١٩١٦ للعمل في افريقيا العربية؛ ومن وحي العلاقات المسيحية الإسلامية وعلى خطى الفيكونت المتنسك شارل دي فوكو لدى قبائل الطوارق في أقصى جنوب الصحراء الجزائرية تأسست رهبانية إخوة وأخوات يسوع الصغار (١٩٣٢ و ١٩٣٩).

فحين تتجول في أقطار المغرب العربي اليوم، لا يمكن ألا تجذب نظرك -أنت المشرقي- هذه الكنائس الفخمة والبارزة، حتى بعد الاستقلال، مثل نوتردام دافريك (سيدة افريقيا) المظلة على البحر من إحدى قمم مدينة الجزائر بشموخ، وكاتدرائية الاغواط في الصحراء، وكنيسة العذراء وتمثالها على جبل سانتاكرروز المطل على خليج وهران، وكاتدرائية تونس ببرجها الجبارين في شارع بورقيبة وهو الشريان الرئيسي للعاصمة،



وكنيسة القديس اوغسطينوس الفخمة في اعلي خرائب قرطاجة بين تونس العاصمة وسيدي بوسعيد... وحتى الكنائس الريفية التي لازالت شاخصة -وان فارغة- في بعض القرى المبعثرة في سلاسل الأطلس الشمالي الجزائري. ناهيك عن المؤسسات الكنسية التربوية والمهنية والصحية والمعاهد الثقافية والمتخصصة بالدراسات العربية التي كانت تشغل -ومنها ما لا يزال قائما- أبنية واسعة وجذابة.

كل هذا يعكس وجه كنيسة قوية البنية، ذات إشعاع معنوي وجغرافي لا يستهان به.

البقية الباقية

ولكن ماذا بقي بعد الاستقلال؟

إن نقطة الضعف الوحيدة -وهي كبيرة وضخمة- في هذه الكنيسة "القوية البنية" هي أنها كانت مرتبطة أولا وأساسا بالرعايا الأوربيين الوافدين، ولم يكن لها جذور وطنية بشرية تعتمد عليها في المستقبل، الا نفر قليل يعدون على الأصابع من القبائل اعتنقوا المسيحية وبقوا على الهامش، لذا فقد وجدت نفسها بين ليلة وضحاها، بعد الاستقلال، كباحرة فرغت بغتة من ركابها على احد السواحل ولم يبق فيها إلا طاقم ملاحيتها ونفر من العنيدين. فقد غادر الجزائر وحدها -وكانت تضم القسم الأكبر من المستوطنين المسيحيين المتحذرين من ثلاثة أو أربعة أجيال- مليون وربع المليون من المزارعين والتجار والحرفيين والإداريين إضافة إلى العسكريين، عام ١٩٦٢^(١). أما ما بقي، فأعداد قليلة ممن فضلوا "أرضهم الجزائرية" على العودة إلى بلد لم تعد لهم به أية صلة، وبضعة آلاف من "المتعاونين الثقافيين والفنيين". أما البنية الكنسية فقد تقلصت إلى الحد الأدنى، مع احتفاظها بشخصيتها القانونية الرسمية أمام الدولة، وبأبرشياتها الرئيسية، وان مبتورة، في مراكزها الثقافية والرهبانية ومقاماتها الدينية.

كنيسة افريقيا

هذه الكنيسة، الوافدة وحديثة الانتشار، ليست غريبة عن تراث هذه الأرض وتاريخها، فجنورها تمتد إلى أعماق التاريخ الميلادي، وقد لعبت دورا بارزا و متميزا في تطور المسيحية ككل في الأجيال الأولى، ولمع فيها أكثر من اسم.

البدايات .. والانتشار

المسيحية في افريقيا يرجح أن تكون قد دخلت منذ القرن الأول، فقد ذكر كتاب أعمال الرسل (١:٢) ان من بين الذين سمعوا الرسل يوم العنصرة أناس جاؤوا من "نواحي ليبيا المتاخمة لبلاد القيروان". فنفترض أن من بين هؤلاء من حمل معه البشرى الإنجيلية. وقد تكون تلك الخميرة تغذت بجماعات مسيحية اولى قدمت من فلسطين بعد خراب اورشليم سنة ٧٠ واضطهاد تيطس. غير ان الشواهد تتعدى الافتراضات عندما تتغلغل في القرن الثاني لنرى انتشار تكريم الرسولين بطرس وبولس في كنيسة قرطاجة، مما يشير إلى الصلة الخاصة

بروما - وكان شمال افريقيا كله مستعمرة رومانية منذ سقوط قرطاجة الفينيقية عام ١٤٦ ق م على يد سيبون اميليانس. أما أول شاهد مكتوب ومؤرخ فهي أخبار استشهاد الشهداء الاثني عشر في سيللي عام ١٨٠م، ولاسيما قصة استشهاد الفتاتين بريتوا وفيليسيتا في ملعب قرطاجة في ٧ آذار ٢٠٣.

ففي نهاية القرن الثاني يبدو ان الكنيسة منتشرة ليس فقط في نوميديا (تونس وشرق الجزائر)، بل في المغرب وموريتانيا وفي بعض الواحات الصحراوية الشمالية أيضا. فقد كتب ترتليانوس الإفريقي عام ١٩٧ عن انتشار المسيحية في بلاده مخاطبا السلطة الرومانية بتحد، إن دل على شيء، فإنما يدل على كنيسة ذات قاعدة واسعة قادرة أن ترفع رأسها بوجه القوة: "... المسيحيون في الحقول، وفي المدن المحصنة، وفي الجزر، في كل مكان... عمرنا لا يتعدى البارحة ومع ذلك فنحن نملأ كل مكان... إننا لم نترك لكم سوى الهياكل. إن عددنا كبير، ونكاد نشكل الأكثرية في المدن".

الحالة الاجتماعية

أما الجذور الاجتماعية لمسيحية افريقيا فتبدو في غالبيتها من الطبقة الوضيعة، وخصوصها يعيرون عليها ذلك، مثل سلسيوس الذي يضع هذا الكلام في فم المؤمنين: "إذا وجد إنسان حشن، أو جاهل، أو معدم فليأت إلينا بكل ثقة". غير ان الدين الجديد ما فتئ أن تسرب إلى الطبقات العليا تدريجيا. فالكنائس الفخمة والواسعة التي تكشف لنا عنها الآثار ومستواها المعماري والفني يعكسان وضعاً اقتصادياً وحضارياً متقدماً.

فهذه بقايا كنائس قرطاجة وقسنطينة، وتيبازا التي تحتوي مقبرة مسيحية كبيرة دفن فيها مؤمنون من ايطاليا ولبنان ومن مناطق افريقية أخرى، كما تكشف شواهد القبور، تيمنا برفات القديسة سلسة. وشرشال التي وجدت فيها منحوتات تحمل رموزا مسيحية قديمة مثل الحمامة وغصن الزيتون والعنجر. ومدينة الأصنام حيث أزيحت الأتربة عن فسيفساء كنيستها الضخمة المبنية عام ٣٢٤. وجميلة قرب سطيف التي لا زال معبد العمودية فيها قائما وبالإمكان استخدامه كما هو الآن. وتيسه وتيمغاد اللتان تشهد أعمدة كنائسها الشاحصة حتى اليوم بعظمتها التليدة. وبسكرى، والجزائر، وهيون التي يردد أدم كنائسها المكسو بالحشائش صدى تعاليم أسقفها الشهير اوغسطينوس... وغيرها من الآثار واللقى المسيحية وبلاطات الفسيفساء الممتدة على طول الساحل من موريتانيا وحتى ليبيا: كلها شواهد على ذلك الماضي الثري.

كنيسة نشطة ووجوه لامعة

كانت هذه المسيحية تتمحور إداريا حول كرسي قرطاجة -وهي أم وعمدة كنائس افريقيا. وكانت قرطاجة عاصمة افريقيا مما يشير إلى مكانتها السياسية وإلى كونها مركزا ثقافيا وكنسيا يخلج بالحركة، فيه عقدت مجامع كنسية إقليمية عديدة ومنه انطلقت تيارات فكرية وجدلية. وإذا أردنا تكوين فكرة أولية عن بنية الكنيسة الافريقية في تلك الأزمنة

الغابرة، يكفيها أن نعرف أن مجعما افريقيا عاما عقد سنة ٢٤٠ ضم لا اقل من ٩٠ أسقفا افريقيا، إلى رسوخ قدم المسيحية الافريقية وتنظيمها. كما اشتركت كنيسة افريقيا في مجامع مسكونية خارج حدودها الجغرافية، نذكر منها على سبيل المثال المجمع المسكوني الأول في نيقية عام ٣٢٥، الذي اشترك فيه كما يذكر المؤرخ اوسابيوس "خيرة خدام الله قادمين من أوروبا كلها وليبيا واسيا"، ومجمع القسطنطينية عام ٥٣٣ حيث يرد اسم أسقف كويكول (جميلة). هذا وكانت منطقة قسطنطينة غنية بالأبرشيات، ومدينة ايكوسيا (الجزائر) تقديس ذكرى ثلاثة من أساقفتها هم كريشنتس (٤١١)، ولورنتس (٤١٩)، وفكتور (٤٨٤). ويذكر إن ثلاث باباوات أفارقة جلسوا على كرسي روما هم فيكتور الأول (١٨٩) - (١٩٩)، وملكياد (٣١١ - ٣١٤)، وجيلاسيوس الأول (٤٩٢ - ٤٩٦).

الكنيسة في المغرب العربي بالأرقام

الجزائر: ١٦٠٥ مليون - ١٧٦٥٩٠ كاثوليكي
٤ أبرشيات: الجزائر، قسنطينة، وهران، الاغواط
٢١٧ كاهنا وراهبا - ٥٥٦ راهبة
المغرب: ١٧٠٥ مليون - ٦٩٧٩٠ كاثوليكي
٤ أبرشيات: الرباط، طنجة ٢٩٤ كاهنا وراهبا - ١٥٣ راهبة
تونس: ٦ مليون - ١٨٠٠٠ كاثوليكي
نيابة عامة واحدة: تونس
١١٣ كاهنا وراهبا - ٢٥٠ راهبة
ليبيا: ٢٠٥ مليون - ٢٧٠٠٠ كاثوليكي
نابتان رسوليتان: طرابلس، بنغازي
١٣ كاهنا وراهبا - ١٤٢ راهبة
موريتانيا: ١٠٥ مليون - ٥٠٠٠ كاثوليكي
٢٢ كاهنا وراهبا - ٢٢ راهبة
(أرقام الدليل الحبري ١٩٧٩)

كنيسة افريقيا، هذه، وسمتها طبيعة أرضها ومناخها بطابع الاندفاع والحماس، بل الغلو أيضا، وقد انعكس ذلك ليس في الانحرافات المذهبية العاصفة وحسب، بل حتى في أسلوب الدفاع عن الحقيقة، لاسيما إبان الصراعات العقائدية وظهور البدع المونتانية^(٢) والدوناتية^(٣) والبيلاجية^(٤). وقد تجسدت هذه الحدة والأمانة للمبادئ في آن واحد في كوادر تلك الكنيسة، اعني بهم الأساقفة بصورة خاصة. من بين تلك الأسماء نقتصر على ذكر أسماء ثلاثة تعد من ابرز وجوه كنيسة افريقيا وهي: ترتليانس المجاهد الناري، وقريانس أسقف قرطاجة، وأعظمهم طرا اوغسطينوس أسقف هيون الذي لعب دورا قياديا ليس في كنيسة افريقيا وحدها، بل في الكنيسة الجامعة بأسرها، وفي الكنيسة الغربية خاصة.

ترتليانس: ولد في قرطاجة نحو ١٦٠ م من أب ضابط وثني، وبعد دراسة متعمقة في القانون الروماني وحياة صاحبة تنصر، وهو في الثلاثين من عمره، واقتبل الكهنوت وهو متزوج، فوضع طاقاته وحماسه في خدمة الكنيسة. غير ان حدة طباعه وغلوه دفعا به دون

هوادة في معارك جدلية طاحنة ضد الوثنيين واليهود المرتدين والهرطقة الذين وصفهم جميعا في سلّة واحدة باسم "الأفاعي". وما فتى في تطرفه أن سقط في بدعة المونتانية ليجعل من المسيحية ديانة الكاملين وابطال التقشف والتشدد الأقصى وحدهم. فارتد على إخوانه يصب جام غضبه على من لا يرحمهم في اندفاعه وصلابته ضد الضعفاء الذين كبوا أثناء الاضطهادات. ولكن إذا كان ترتليانوس من طباع البراكين، فشخصيته تبقى جذابة، وقد أتخف اللاهوت الغربي، قبل انحرافه، بأسس فكرية ومنطقية متينة، وهو يعد من ابرز الكتاب المسيحيين الأوائل. وسنقى نذكر عبارته الشهيرة: "دم الشهداء بذار المسيحيين".

قبريانوس: هو أيضا من أصول ارستقراطية افريقية، ولد نحو ٢١٠ م. مارس المحاماة ثم اعتنق المسيحية واقتبل الكهنوت وانتخب بشبه الإجماع أسقفا لقرطاجة. كان من معدن ترتليانوس علما وحماسا ولكنه تميز عنه بروح الحلم والقداسة والرعاية حتى تألب حوله أساقفة افريقيا. وحتى في مجاهته مع بابا روما بشأن المرتدين عن الإيمان وشرعية عمادهم بقي أمينا لروح الإنجيل ولوحدة الكنيسة التي يعد منضّرها الأول. وتكلل جهاد هذا الأسقف العظيم بالاستشهاد عام ٢٥٨.

اوغسطينوس: ركن من اركان الكنيسة. ولد في سوق اهراس الحالية شرقي الجزائر عام ٣٥٤ من أسرة برابرية عريقة. درس فن الخطابة وقضى شبابه متسكعا بين مادور وقرطاجة بافريقيا وميلانو بايطاليا حيث اقتبل العماذ من يدي أسقفها القديس امروسيوس (٣٨٧) - وكان لأمّه المسيحية دور في هذا الانقلاب. بعد اهتدائه عاد إلى وطنه ليؤسس جماعة رهبانية في داره بمدينة تاغاست. وفي كاتدرائية هيبون المجاورة بايعه الشعب بالصوت الحي كاهنا ومساعدًا لأسقفها، وموت هذا الأخير عام ٣٩٦ انتخب خلفا له.

وعندما اقتبل اوغسطينوس الأسقفية كانت المسيحية الافريقية عرضة لهزة عنيفة من جراء البدعة الدونانية التي لم تقتصر على الجدل الفكري، بل تعدته إلى إثارة الاضطرابات وشن الملاحقات الدامية ضد أتباع الكنيسة الرسمية. فحند أسقف هيبون طاقاته كلها للدفاع عن الحقيقة، وحماية وحدة الكنيسة، وتنظيم الحياة الكهنوتية، وتعميق الإيمان المستقيم وتطهيره من الشوائب الوثنية بالخطابة والتعليم والكتابة (٢٣٢ كتابا وبحثا من ضمنها "اعترافاته" الشهيرة و "مدينة الله" في تنظيم المجتمع المثالي، إلى جانب مئات المواعظ والرسائل). هذه الغزارة والتنوع واسلوبه المتميز بالحوية والعمق والوضوح تجعله في المقام الأول من الكتاب المسيحيين في جميع الأجيال. كما جعلته شخصيته الفذة واستقامة عقيدته وقوة حجته وقداسة سيرته يمارس أولوية أدبية في الواقع الكنسي الافريقي على سائر زملائه الأساقفة، وزعامة حقيقية على شعبه طيلة ٣٥ سنة التي قضاها على كرسي هيبون. وقد تجلّى ذلك بأفسى صورة أثناء حصار مدينته على يد الفاندال. وتوفي الأسقف الكبير في آب ٤٣٠ في الشهر الثالث للحصار.

عواقب الاضطهادات والهرجانات... أو القمة والانحدار

في السنة ذاتها التي صدر فيها "بيان ميلانو" الشهير (٣١٣) في الحرية الدينية لجميع رعايا الإمبراطور و "حق المسيحيين الكامل في أن يمارسوا ديانتهم من دون خوف"، شجب قسطنطين المنتصر حديثا زعيم الدوناتية وخلعه، وحرمه بابا روما والمجمع الملتئم حوله من أساقفة أوربيين وأفارقة. غير أن خروج النشاط المسيحي إلى وضوح النهار لم يزد إلا من صلابة المجاهدة، وبقي التناحر ينخر جسم كنيسة افريقيا زهاء قرن كامل حيث قامت كنيسة دوناتية منافسة مستقلة بأساقفتها واكليروسها ومعابدها.

وإذا كانت الاضطهادات المتواصلة منذ أواسط القرن الثاني وحتى بيان ميلانو قد حصدت آلاف الرؤوس المسيحية وخلقت بضعة مئات من أسماء الشهداء، فالبلاء الأكبر الذي ابتليت به كنيسة افريقيا وخلخل كيانها كان من دون شك الارتداد والبدع. فالارتداد عن الإيمان الناتج عن الاضطهاد مع ما تبعه من معارك جانبية طاحنة وتطرفات في العقيدة والمسلك، والبدع مع ما رافقها من تناحر دموي ومن انشقاقات، فعلت فعل التدمير الذاتي في كنيسة افريقيا. وإذا كان عهد اوغسطينوس يمثل القمة، فقد مات هذا من دون أن يقتلع البدع تماما، ولم يبلغ بالمسيحية الافريقية عافيتها الكاملة عندما انقضى عليها الفاندال القادمون من اسبانيا. وكان الفاندال هراطقة على المذهب الاريوسي، فانضموا إلى الدوناتيين في التصدي لحكم روما المدني والديني وملاحقة الكاثوليك وإضعافهم. ودام ذلك حتى ٥٣٣ حين عاد الإمبراطور جوستينيان إلى افريقيا وهزم الدويلات الفاندالية وانتصر للكنيسة الرسمية، وبذلك دخلت افريقيا عهدها البيزنطي.

ولكن يبدو أن العملية البيزنطية لم تكن أكثر من عملية طلاء لم تعد البلاد ولا المسيحية إلى سابق تألقها، لان أسباب الانحلال كانت لا تزال قائمة. فالبدو يتربصون بالحدود الجنوبية، والرعة الاستقلالية تعتمل في نفوس البرابر، والمسيحيون انساقوا في مشاحنات دينية جديدة قادمة من المشرق. هذه الأسباب وما سبقها جعلت الإسلام عندما اقبل بقيادة عقبة بن نافع عام ٦٧٠ أمام مسيحية منهوكة القوى. وإذا استطاع القائد المسيحي قصيلة أن يحقق نصرا عابرا بجيش بيزنطي - محلي على المسلمين، فقد دحر عام ٧٨٨ واستكمل فتح شمال افريقيا بأسره. ولما اتمارت المؤسسات الرومانية اتمارت معها المسيحية كمؤسسة، لارتباطها العضوي بها، وانطفأت تدريجيا بالاختناق وبالعبور إلى دين الفاتحين، ولربما بالهجرة أيضا، على مدى أربعة قرون، هي المدة التي تمت فيها اسلمة شمال افريقيا وتعريبها الكامل.

خاتمة

ماذا بقي الآن من كل ذلك، وماذا نقصد عندما نتكلم عن "كنيسة شمال افريقيا" أو "الكنيسة في المغرب العربي" اليوم؟

إن كنيسة شمال افريقيا تتكون حاليا من عناصر أربعة:

١ - ما بقي في الأرض من لقي وآثار مسيحية رومانية - بيزنطية من عصور ما قبل الإسلام.

٢ - بقايا المسيحيين المنحدرين من أصل أوربي (من عهد الاستعمار) الذين اتخذوا جنسية أوطانهم بالتبني بعد الاستقلال، وقد انضمت إليهم مجموعات "المتعاونين الفنيين" لاسيما من فرنسا، بعقود ثابتة أو زمنية، لدفع حركة التحديث الوطنية بالزخم.

٣ - المسيحيون العرب الشرقيون الذين قدموا من سوريا ولبنان والعراق ومصر ليساهموا في حركة التعريب.

٤ - أفراد قلائل من القبائل المنتصرين.

فالحديث عن "الكنيسة في المغرب العربي" اليوم هو حديث عن هذه "العناصر"، عن هذه "البقايا".. وهو حديث أيضا، وبصورة خاصة، عن عدد من كهنة الرعايا المتبقين والأساقفة، وعلى رأسهم الكردينال دوفال رئيس أساقفة الجزائر السابق -وقد لعب دورا هاما في استقلال الجزائر- الذين اتخذوا الجنسية الجزائرية، وعن عدد لا بأس به من الرهبان والراهبات.. كل هؤلاء الذين أحبوا هذه الأرض وتعلقوا بشعوبها يعتبرون بكل حق كوادر كنيستها في عهدها الجديد. كنيسة لا زال المواطنون العرب والبرابر الأصليون يعتبرونها "غريبة" عن تقاليدهم وهامشية، ولربما بدت للبعث "طفيلية" أو مجرد "ضيف" في ذمتهم ولكنها، هي، تبذل جهودا جادة ومخلصة كي لا تكون "متغربة" عن هذا المجتمع الذي تبنته لها شعبا، طامحة إلى أن يتبناها هو بدوره جزءا منه.

لا شك ان تلك "البقايا" لا ترتبط دوما مصائرهما لتشكّل مجموعة موحدة ثابتة القدم ودائمة. فرهان المستقبل، كي تصبح حقا "كنيسة المغرب العربي"، هو التجذر والاندماج الحضاري والبشري في الأرض -وذلك مشروع طويل الأمد، وقد يكون للعنصر المسيحي العربي الشرقي وهذه الخميرة القبائلية الوطنية، على ضالتها، دور الجسر الواصل. وما اتخذ رعاة الكنيسة في الجزائر، مثلا، الجنسية الجزائرية إلا برهان على هذه الرغبة، مضاف إلى جهود الكنيسة ككل في الاستعراب والانفتاح ودور الخدمة الذي رفعت شعارا ومنهاجا للعمل.

المصادر :

- Roger DUVOLLET: Algérie et Sahara, Christianisme et Islam, Vésoul 1982.
- DANIEL ROPS: L'Eglise des Apôtres et des Martyrs, L'Eglise des temps barbares, 1949, 1950.

- (١) نالت ليبيا استقلالها عام ١٩٥١، وتونس والمغرب عام ١٩٥٦، وموريتانيا عام ١٩٦٠، والجزائر عام ١٩٦٢.
- (٢) المنتانية: نسبة الى الكاهن مونتاس (١٧٢م) الذي انطلق من اسيا الصغرى موطنه، يعلم بقرب نهاية العالم وبفعل المواهب الخاصة وبديانة متشددة حتى التطرف.
- (٣) الدوناتية: نسبة الى دونات اسقف قرطاجة المنشق (+٣٣٥) الذي كان يدعو الى كنيسة من الكاملين ترفض الضعفاء والمرتدين العائدين.
- (٤) البيلاجية: نسبة الى الراهب البريطاني بيلاج (٣٦٠-٤٢٢) الذي كان ينتقص من دور النعمة في مسألة الخلاص. دخلت بدعته افريقيا مع الفاندال.



- + لاهوت التحرير في قفص الانهاج/ش.ر./ ك ٢
- + ديسموند نونو، نوبل للسلاج / شباط - اذار
- + فنزويلا او البنهقية الصغيرة/ملف/نيسان
- **السبت اج الانسان؟ /ملف/ايار (ملفات الفكر المسيحي/ص٣٢٦)
- + الدركانة الشبابية المسيحية في الكنيسة/عمه خاص/ت١-٢ت
- + الشباب في خدمة التثقيف المسيحي/عمه خاص/ت١-٢ت
- + ماذا قال المجمع قبل ٢٠ عاما/ش.ر./ ك ١



لاهوت التحرير في قفص الاتهام

يخيم على مجمع عقيدة الإيمان قلق بشأن الدراسات اللاهوتية التي تسعى إلى صياغة تعبير عن الإيمان يجيب إلى معانيات الإنسانية وتطلعاتها.. وكان له لقاء مع اللاهوتي البرازيلي ليوناردو بوف احد ابرز لاهوتيي التحرير، وقد سبق ان اصدر وثيقة بعنوان "تعليقات حول بعض أوجه لاهوت التحرير!"
الأب جرجس القس موسى يعكس ابرز ما جاء في هذه الوثيقة في إطار مناقشة آراء الأب بوف.



بينما كان اللاهوتي البرازيلي الأب ليوناردو بوف (٤٦ سنة)، احد أشهر رواد ما يعرف "بلاهوت التحرير"، يستعد للسفر إلى روما للمثول أمام مجمع عقيدة الإيمان الذي استدعاه لمناقشة آرائه اللاهوتية، ولا سيما تلك الواردة في كتابه "الكنيسة، المواهب، السلطة" الصادر عام ١٩٨١، كان الكردينال راتزينغر يقدم للصحفيين، يوم ٣ أيلول -أي ٤ أيام قبل اللقاء المرتقب- وثيقة رسمية سبق أن نالت تأييد يوحنا بولس الثاني بعنوان "تعليمات بشأن بعض أوجه لاهوت التحرير". فموقف الكردينال الألماني الذي يتألق بنجمه على رأس مجمع عقيدة الإيمان كحامي حمى العقيدة الكاثوليكية وخلوها من المزالق في دنيا البحث اللاهوتي المعاصر، وصل إلى حد المجاهرة الصريحة مع لاهوتيي أميركا اللاتينية الذين يرفعون راية لاهوت التحرير. هذا "اللاهوت" الذي "لا يعرض مادة جديدة للتفكير بمقدار

ما يعرض اجتهادا جديدا لهذا التفكير" على حد قول الأب كوستافو كوتيريبيز، وهو قطب آخر من أقطاب هذا التيار^(١). فما هي القصة، وما هي القضية؟

بعد المواقف الحذرة والتنبيهات المتكررة من قبل روما، كانت بعض الأوساط الكنسية التقليدية المعادية لنهج لاهوت التحرير تتوقع أن يصدر الكرسي الرسولي إدانة صريحة للاهوت التحرير، فتوقفه في حده. ومن هؤلاء الكاردينال روسي في البرازيل الذي وصفه "بمرطقة العصر الكبرى"، والكردينال الكولومبي لوبيز تروجيللو، والكردينال الألماني هوفنر. ولكن الامر جاء خلاف ذلك!

لا شك أن الوثيقة التي بنيت بناء فكريا محكما وتجلت الصراحة في عباراتها، رسمت الهدف الذي تتوخاه وهو أن تكون "إنذارا" رسميا للاهوتيي التحرير، واسترعاء لانتباه الرعاة واللاهوتيين والمؤمنين كافة إلى الانحرافات وأخطار الانحرافات الهدامة للإيمان والحياة المسيحية التي تتضمنها بعض صيغ لاهوت التحرير الذي يتبنى، على حد قول الوثيقة، مفاهيم مستندة الى تيارات مختلفة من الفكر الماركسي بصورة غير نقدية".

ولكن الوثيقة تستبقي خطر الاستغلال فتضع الأمور في نصابها عندما توضح في المدخل بان "هذا الإنذار لا ينبغي أن يؤوّل وكأنه شجب لكل أولئك الذين يبعثون الإجابة بسخاء وبروح إنجيلية أصيلة إلى مشروع أولوية الفقراء. كما انه لا يجوز البتة استغلاله لتبرير موقف أولئك الذين يتخذون وراء الحياء أو اللامبالاة أمام المعضلات المأساوية والملحة التي يطرحها البؤس والظلم. وتبتديء الوثيقة بتوضيح أن "التوق إلى العدالة" هو النداء إلى قيام "حركة لاهوتية وراعوية عرفت تحت اسم "لاهوت التحرير". هذه العبارة "لا غبار عليها، تقول الوثيقة، إذا أخذت بمعنى الاهتمام الخاص الذي يدفع إلى التزام العدالة إلى جانب الفقراء وضحايا القمع"، وهي إذ ذاك عبارة عن "اجتهاد لاهوتي يتمحور حول الفكرة الكتابية للتحرر والحرية والمردودات الواقعية لهذه المبادئ".

بعد هذه المقدمات التي تبدو وكأنها تحاول مسك السلم بطرفين -وأحيانا أخرى توحى بان لاهوتيي التحرير لم يخترعوا البارود (مقطع ٣ و ٤ و ٥) - يتزل الكاردينال راتزينغر إلى الحلبة ليقول: ولكن دعاة هذا "اللاهوت" أخطأوا المرمى عندما أعطوا الأولوية للتحرر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، "واتخذوا تقنية ماركسية" لتحليل التناقضات الاجتماعية والوصول إلى تحريرهم؟

هذا هو في الواقع بيت القصيد، وهذه هي "الخطيئة الأصلية" التي ارتكبتها لاهوتيي التحرير بنظر رئيس مجمع عقيدة الإيمان. ومن هذه الخطيئة الأصلية تأتي سلسلة من "الانحرافات" يستكشفها أو يستنتجها الكاردينال، منها:

١ - تفسير دخيل للمسيحية دفع البعض "إلى وضع التبشير بالإنجيل بين قوسين وإرجائه إلى الغد: الخبز أولا والكلمة بعدئذ".

٢ - صفة "العملية" التي ينتزعها الكاردينال من طموحات لاهوت التحرير.

- ٣- التحليل الماركسي المنحاز الذي يركز على أسس فلسفية وابدولوجية "تبتعد بصورة خطيرة عن إيمان الكنيسة، لا بل تشكل نفيها في الواقع". ومن هذه الأسس:
- أ. نظرية صراع الطبقات التي على ضوئها يبنى اللاهوتيون -كما تقول الوثيقة- طبيعة العلاقة بين "كنيسة القاعدة" والسلطة الكنسية.
 - ب. استخدام العنف كقوة للتغيير والثورة.
 - ج. "الإلحاد ونكران الشخص البشري وحرية وحقوقه" وهما في أساس النظرية الماركسية.
 - د. تسييس معطيات العقيدة الإيمانية.
 - هـ. شبه نفي لجذور الوحي...

إن هذه الأسس الفكرية والفلسفية وغيرها مما "يقترضه لاهوت التحرير من الايديولوجية الماركسية، تفرض منطقتها، على حد تعبير الوثيقة، على لاهوت التحرير وتدفع به إلى قبول مجموعة من المواقف المضادة للرؤية المسيحية للإنسان".

على أساس طروحات الوثيقة، مثل الفرنسيسكاني البرازيلي ليوناردو بوف، في "قصص الاتهام" أمام الكردينال راتزينغر يوم الجمعة ٧ أيلول الماضي. ولكن هذه الطروحات لا تخرج، برأينا، عن البنى الفكرية والفلسفية للاهوت التقليدي الذي، من دون أن نتنكر لمزاياه الكثيرة وحقته التاريخية، نقول بأنه هو أيضا يخضع لفكرة وفلسفة معينين لم يعودا يفيان بكل ما يطرحه الواقع المعاصر بمجديته، ومنها عجزه عن تحليل حركة التاريخ تحليلا علميا. وإذا كانت الوثيقة تمتاز بقوة التكوين، فهي تذهب بعيدا جدا في استنتاجاتها "الايديولوجية" واتهاماتها للاهوت التحرير بالانحراف والجنوح حتى يوسم "خارجا عن القانون" أما ليوناردو نفسه فيحجب متهميه: "إن لاهوتيي التحرير لا ينكرون أبدا الطبيعة الإلهية للمسيح، ولا القيمة الفدائية لموته؛ أما الماركسية فلا تعنيهم إلا بقدر ما تساعدهم على فهم واقع الاستغلال وتعيين مجالات تجاوز النظام الرأسمالي المضاد لمصلحة الشعب". ولكن إذا مثل بوف وحده في "قصص الاتهام"، فهو لم يكن وحده في الدفاع عن "لاهوت التحرير" وجوانبه التطبيقية. فقد رافقه -وهو من كبار منسطني جماعات القاعدة في أميركا اللاتينية- تيار من التعاطف والتأييد، من قبل أساقفة أميركا اللاتينية أنفسهم ومن لاهوتييها. وقد عبر عن وقوفهم معه في هذه "الحملة المضادة" زملاؤه في تحرير مجلة "كونسيليوم" (المجمع) المعروفة في الأوساط اللاهوتية، ولاهوتيون فرنسيون وأسيان وألمان، وأعلن الآباء الفرنسيسكان التابعون لمقاطعة اكويتان في اجتماع لهم في تولوز (فرنسا) عن تمسكهم بلاهوته "الذي يستمد جذوره من اختيار انتقائي لجانب الفقراء". وفي حديث لللاهوتي الفتي الأب جوزيف دوريه لصحيفة "لاكروا" (٦ أيلول ١٩٨٤) قال في سياق تعليقه على موضوع الحرية في البحث اللاهوتي، في إطار قضية الأب بوف: "إذا كان صحيحا أن العالم يتغير وانك تشعر بالمسؤولية في البحث عن أحوبة جديدة لأسئلة جديدة مطروحة، فليس من واجب الكنيسة أن تخوض مثل هذه المغامرة، بل من الضروري. يمكن، في مثل هذه الحال، أن يعطى اللاهوتيون الحرية في البحث، مع ما قد يتوجب على ذلك من مخاطر: هذا السبيل وحده يفتح طرقا جديدة أمام الإيمان. لذا لا ينبغي أن يكونوا موضع شك من حيث المبدأ كلما جددوا شيئا في التعبير الإيماني". ثم استطرده يقول: "إذا كان

اللاهوتيون في صدد التعبير عن خبرة معينة، في بيئة كنسية معينة، فمن غير الممكن أن يكونوا مجرد صدى لأولئك المتواجدين في روما أو لم يغادروها قط". ثم ختم قائلاً: "لو كنت شيئاً في مصف السلطة الكنسية لقلقت ليس من التوجه الخلاق في التعبير عن الإيمان لدى اللاهوتيين، وإنما من سيرهم الجامد في ركاب التقليد أو السلطة، لو فعلوا...".

ومن جانب آخر لقي لاهوت التحرير، كخط فكري والتزام فعلي بالفقراء والمستضعفين -وبالتالي لاهوتيو التحرير وبوف نفسه- لقوا دعماً ساطعاً بموقف أساقفة بيرو ابان زيارتهم الرسمية لقداسة البابا ومحادثاتهم مع أركان مجمع عقيدة الإيمان (٢٦ أيلول- ١٠ اكتوبر الماضي). فبعد أن كانت الأكثرية مع رأي الكاردينال راتزينغر إلى جانب شجب لاهوت التحرير -ورأيه في بيرو الأب كوستافو كوتيريرو- عن طريق وثيقة رسمية تصدر عن مجلس أساقفة بيرو، تمادت هذه الأكثرية بمساعي الكاردينال لاندازوري، رئيس أساقفة ليما، والمطران اوريغوزا، ليحل محلها إجماع على تبني نص جديد -غير الذي طرحه الكاردينال راتزينغر- يعترف ببعض المخاطر التي يتعرض لها لاهوت التحرير من جراء توجهه إلى التحليل الماركسي، ولكنه -أي النص- يأخذ بعين الاعتبار واقع بيرو. وقد صرح المطران خوزيه دامرت مطران أبرشية كاخامركا لصحيفة "الوقائع الدينية" الفرنسية (Act. Rel. 15 Nov. 84):

"إن هذا النص يأخذ بعين الاعتبار واقع بيرو المرء. وفيه نعيد رفضنا للعنف من حيث أتى.. كما نؤكد اختيارنا جانب العمل مع الفقراء وبيان البحث اللاهوتي الناتج عن هذا الوضع يجب أن يستمر. ولم يخف الأسقف الذي يعمل مع الفلاحين منذ ٢٢ سنة دفاعه الشجاع عن لاهوتيي التحرير، وعن كوتيريرو بالذات قائلاً: "إن لاهوتيي التحرير ليسوا مسؤولين عن التأويلات التشويهية المنسوبة إلى بعض عباراتهم حين تقتلع من جذورها الأصلية". ثم ختم مشيراً إلى أن الوثيقة "بشان بعض أوجه لاهوت التحرير" "ينقصها تحليل علمي واضح لتأثيرات الماركسية على لاهوت التحرير".

"يا لبساطتهم، يا لتواضعهم، هؤلاء الأساقفة البيروفيون، ومع ذلك فهم مهولون!". هذا ما نسيه مراسل صحيفة "الحياة الجديدة" الإسبانية إلى سكرتير الكاردينال راتزينغر بعد خروجهم من المحادثات العاصفة.

هل انتهت القضية؟ هل يستطيع لاهوتيو التحرير المضي في بحثهم اللاهوتي من دون قيود؟ لمن ستكون الكلمة الفصل: للكاردينال راتزينغر، حارس مرمى التقليديين، أم للاهوت التحرير الذي ينبع من حاجات أميركا اللاتينية ويتكلم بلغة فقرائها ومفكرها ويعكس معانيات أساقفتها وشعوها؟

المستقبل كفيل بالإجابة على هذه الأسئلة! ولكن الأكيد هو أن الشوط الأول من الجاهمة العلنية الكبرى انتهى "بلا غالب ولا مغلوب"، كما صرح ليوناردو بوف في ختام لقائه مع الكاردينال راتزينغر في أيلول الماضي.

(١) انظر ف. م. ذك ١٩٧٩: تقديم كتاب "لاهوت التحرير"؛ شباط ١٩٧٩: لاهوت التحرير في الميزان بقلم الاب عبد السلام حلوة.

ديسموند توتو

جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٨٤

عشرون عاما بالتمام والكمال بأشهرها وأيامها، بعد منح جائزة نوبل للسلام للقس البروتستنتي الزنجي مارتن لوثر كينج، تسلم الأسقف الإنكليكاني الزنجي ديسموند توتو، من جنوب افريقيا، جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٨٤ في أواسط يوم الاثنين ١٠ كانون الأول ١٩٨٤.

كان كينج زعيم الحقوق المدنية في أميركا قد منح الجائزة العالمية لنضاله من أجل كرامة وحقوق الزوج في بلاده، وذلك عن طريق اللاعنف.. وقاده نضاله إلى أن يسقط صريع العنف الأعمى على يد أحد المتطرفين من بني جلده. وتوتو، زعيم الحقوق ذاتها في بلاده، منح الجائزة لنضاله العنيد ضد سياسة التفرقة العنصرية الفاشمة التي كرس نظاما دستوريا واجتماعيا في جنوب افريقيا للفصل والتمييز بين البيض الوافدين الحاكمين، والسود الأفارقة الأصليين، وذلك أيضا بالطرق السلمية واللاعنف. وقد أشارت اللجنة التحكيمية إلى ذلك. فهل يكون مصيره صير ذلك؟ على كل حال إن نضال توتو لم يخل من التهديدات، ولا من رفض المتطرفين أساليب السلمية، وحقلة تسلمه الجائزة بالذات توقفت لبعض الوقت لانفجار غامض حدث في الخارج. وكان قد كرر دعوته إلى الدول الغربية، عشية تسلمه الجائزة، للضغط على "نظام الفصل العنصري لأنها فرصتنا الأخيرة كي نتحاشى حمام الدم". وكان يشير بذلك إلى احتمالات انفجار "العنف الأسود" بوجه "تعنت البيض وتصلبهم" بصورة مأساوية.

ويخاطب الأسقف توتو السلطات البيضاء - وكانت قد جردته أكثر من مرة من جواز سفره - بقوله: "لماذا تخافون مني؟ إنني لا املك حتى حق التصويت في بلادي. لماذا تخافون من رجل اسود صغير بسبب بعض القصص التي يحكيها في أسفاره، ما دامت هذه القصص عارية من الصحة تماما كما تقولون؟" أما قيمة الجائزة فتبلغ ٢٠٠٠٠٠ دولار، وقد خصصها الأسقف توتو، الذي يرئس مجلس كنائس جنوب افريقيا، لمشروع تربيوي للشبيبة الزنجية في بلاده.

تلميذ المسيح

ديسموند توتو ليس رجل سياسة، ولا يريد أن يتزعم حزبا أو حكومة، كجاره الأسقف الزنجي موزورويوا الذي شكل حكومة صورية في روديسيا عام ١٩٧٩ باتفاق مساومة مع زعيم الأقلية البيضاء أيان سميث. توتو هو تلميذ المسيح.. وهو رجل كنيسة مشيع بروح الإنجيل؛ وباسم الإنجيل وحده يطالب بالمساواة في الحقوق والواجبات، سياسيا واجتماعيا وثقافيا ودينيا، بين جميع مواطنيه، السود والبيض، والكف عن هضم حقوق إخوانه لجرد أن لون بشرتهم اسود: "إن مهمتي، كما أراها، مهمة مزدوجة: فعلي أولا أن أقول للسود بان الله يحبهم ويهتم بهم، حتى إذا تراءى لهم أن الله ليس إلى جانبهم عندما يتألمون. انه اله الخروج، اله التحرير الذي يقف دائما إلى جانب المضطهدين. وثانيا أن أتوجه نحو البيض لأقول لهم بانهم يحطمون كرامتهم الإنسانية كلما اشتركوا في القمع،

وبأنهم ليسوا بشرا على نحو ما يريد الله منهم. فإذا زالت هذه التفرقة، سيعود الأبيض شخصا إنسانيا حقيقيا، وكذلك الأسود. وحينذاك ستم المصالحة".

نضاله

ديسموند توتو (٥٣ سنة. متزوج وله ٤ أولاد) ولد في بلدة سوداء معدمة بالغرب من العاصمة جوهانسبرغ تدعى كليرسكسندورب. وقد خدمه الحظ فتابع دراسته، وكان يريد أن يصبح طبيبا، إلا أن فقر ذويه لم يتح له سوى أن يكون معلما. ولكنه ترك التدريس عام ١٩٥٨ وتوجه إلى دراسة اللاهوت. وبعد مدة قصيرة من الخدمة الراعوية قصد لندن لتكميل دراسته القسوسية في الكلية الملكية. بعدها تعين مدرسا في جامعة فورت هار للزنج في جنوب افريقيا، وهنا تعرف على بعض المفكرين السود الشباب فألفوا سووية، وبسرية، أسس فلسفة "الوعي الزنجي". بين ١٩٧٠-١٩٧٢ عمل في جامعات افريقية أخرى قبل أن يعود إلى لندن لثلاث سنوات أخرى تعين خلالها مديرا لصندوق التربية اللاهوتية التابع لمجلس الكنائس العالمي. وفي ١٩٧٥ أصبح أول مسؤول زنجي عن كاتدرائية جوهانسبرغ الانكليكانية رافضا السكنى في المنزل المخصص لمنصبه في حي البيض، مفضلا البقاء في حي سويتو الفقير الأسود.

في ١٩٧٦ قام بأول خطوة علنية للتألف العنصري ولصالح السود حين حذر رئيس الوزراء جون فورستر من مغبة التصلب في تطبيق السياسة العنصرية وطالبه بإصلاحات فورية قبل فوات الأوان. فكانت نتيجة تعامي النظام أن انفجر الوضع في سويتو وذهب ضحيته أكثر من ٦٠ شاب زنجي على يد قوات النظام. وفي السنة عينها انتخب أسقفا لدولة لسوتو المستقلة المجاورة، غير انه عاد إلى جوهانسبرغ من جديد عام ١٩٧٨، إذ اختير سكرتيرا عاما لمجلس كنائس جنوب افريقيا الذي يضم ١٦ مليون مؤمن. ومنذ ذلك الحين ونجم توتو، كزعيم مفوه باسم السود، يتألق على الصعيد المحلي وعلى المسرح الدولي. وهو لا يني يدعو الدول الغربية التي تتعامل مع جنوب افريقيا أن تمارس على حكوماتها ضغوطا سياسية، ودبلوماسية، واقتصادية خاصة. وكانت مجاهته الكبرى الأولى عندما دعا، في تصريحات أدلى بها في الدانمارك عام ١٩٧٩، إلى مقاطعة استيراد الفحم من جنوب افريقيا، فسحب منه جواز سفره لأول مرة.

وقد قدم للحكومة عام ١٩٨٠ أربعة حلول لتغيير الجو على حد قوله، عندما قابل رئيس الوزراء بوتوا على رأس وفد كنسي، لخصها كما يلي:

- الالتزام باستصدار "هوية وطنية متساوية، لجميع سكان جنوب افريقيا، بغض النظر عن العرق (ويذكر أن حق المواطنة الكاملة لا يعطى إلا للأقلية البيضاء فقط).
- إلغاء قوانين تنقلات السود داخل بلادهم.
- إيقاف سياسة تهجير السود وحصرهم في مناطق محددة.
- وضع سياسة تربوية موحدة للجميع.

ولكن النظام إذ يخشى ان تفلت الأمور من يده، فهو يحكم قبضته العنصرية على السود أكثر فأكثر.. والضحايا تسقط كل يوم. ولكن إلى متى تبقى الضحايا ضحايا؟ فقد صرح توتو على اثر احتجاز مجموعة من القسس والأساقفة ساندوا إضرابا طلابيا ومسيرة ضد التفرقة العنصرية، وفي إعقاب قتل مناضلين أفارقة: "ان الوضع في جنوب افريقيا وصل بأناس عديدين إلى حد اليأس من الحصول على تغيرات جوهرية بالطرق السلمية حقا. والذين بلغوا هذا الحد اضطروا إلى استخدام وسائل انتحارية لاستثارة أوضاع يعتبرون فيها بشرا، وليس مواطنين من الدرجة الثالثة في الوطن الذي ولدوا فيه بالذات". إلى متى سيتمكن دعاة السلام من كبح لجام العنف؟ خاتمة: استطرد توتو ملوحا وداعيا السلطات إلى الإسراع في ترجمة الخطابات إلى الواقع: "لان الذين يعملون بيننا من اجل العدالة، المساواة، والمصالحة، بالطرق السلمية يفقدون رصيدهم تدريجيا".

خاتمة: "اللاهوت الزنجي"

ديسموند توتو مناضل من طراز غاندي ومارتن لوثر كينك.. ولكنه لاهوتي ايضا يستقي حجته من الكتاب المقدس. فهو من أسرة لاهوتيي التحرير، مع خاصيته الافريقية الزنجية. فقد جاء في كتاب له بعنوان "سجين الرجاء": "ان اللاهوت الزنجي ينبغي أن يهدي الإنسان الأسود إلى الخروج من حالة الذهول التي يولدها فيه الانصياع والمداهنة، والقبول بالمسؤولية المدهشة واللازمة التي توليها إياه إنسانيته الحقيقية، وصولا إلى حرية ابناء الله المحيية. ان هذا اللاهوت يتوق بكل جوانحه إلى أن يوقظ في الإنسان الأبيض إحساسا بالانحطاط الذي سقط فيه بزرعه إنسانية الإنسان الأسود. فهدفه، إذن، هو تحرير الظالم والمظلوم معا. وهو ليس سادجا إلى حد انه يعطي الأهمية كلها للقمع الاقتصادي أو السياسي فقط. فالتحرير، في مفهومه الشامل، يتضمن القضاء على كل ما ييقينا في العبودية، ويجعلنا في مرتبة ادنى مما أراد الله لنا.

فنزويلا أو "البندقية الصغيرة"

فنزويلا، هذا البلد الواقع في أقصى شمال القارة اللاتينية، يمتد على مساحة ٩١٢٠٥٠ كم^٢ وتحده من الغرب كولومبيا ومن الجنوب البرازيل ومن الشرق كويانا، وتطل سواحلها على المحيط الأطلسي. وتفاخر فنزويلا بأنها من أولى دول أميركا اللاتينية التي انتزعت استقلالها من إسبانيا بقيادة سيمون بوليفار بطل التحرير القومي، وتكاد تكون البلد الوحيد الذي ينعم بالرخاء والاستقرار بفضل نفط بحيرة ماراكائيبو - وترافق هذا الرخاء مجموعة من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والخلقية... إلى العديد من هذه القضايا لفت يوحنا بولس الثاني انتباه الفنزوليين طيلة ٢ أيام (٢٦-٢٩ك٢) بدءا بكاراكاس العاصمة ومرورا بماراكائيبو وميريدا وكيوداد كويانا.

الأب جرجس القس موسى يرسم في هذا الملف لوحة عن فنزويلا "البندقية الصغيرة" في إطار زيارة البابا الراعوية لكنيسة عليها أن تلعب دورا نبويا في التحولات التي يعيشها المجتمع الفنزويلي.



عندما وصل المستعمرون الأسبان الأوائل في القرن السادس عشر بيوأخرهم إلى مشارف بحيرة ماراكائيبو، أصدروا البحيرة مزروعة بمئات الأكواخ الخوصية، تستند إلى أوتاد خشبية منغرزة في المياه الدافئة، فذكرهم المنظر بمدينة البندقية، فاسموا الأرض التي وطئوها بالبندقية الصغيرة: فنزويلا.

وكما أعطت هذه البحيرة اسمها الجديد للبلد كله، فقد لعب القدر لعبته مرة ثانية بعد أربعة قرون لتعطي ماراكائيبو الوجه الجديد لفنزويلا الجديدة. فقد اكتشف فيها النفط عام ١٨٨٢ وشرع في استغلاله على نطاق واسع منذ ١٩٣٠. ففي مياه هذه البحيرة التي تبلغ مساحتها ١٣٦٠٠ كم^٢ وأقصى عمق لها ٣ أمتار ينتصب اليوم ٦٠٠٠ برج نفطي ويتشابك فيها زهاء ١٤٠٠ كم^٢ من الأنابيب التي تضخ ٨٧% من الإنتاج النفطي الفنزويلي. وهكذا أصبح النفط ثروة البلاد الأولى الذي بدل وجه فنزويلا الزراعي التقليدي تماما، وزج فيها فجأة في سباق المجتمعات الاستهلاكية والريح السريع مع كل ما ينسحب على ذلك من مردودات اجتماعية وإنسانية وحضارية، سلبا وإيجابا.

ولكن الذهب الأسود الذي القى اللبلة في المجتمع الفنزويلي بثرائه الملموم، لا بد أن ينضب يوما، وقد بدا الانخفاض في احتياطه وفي إنتاجه فعلا. افتغوص فنزويلا في مياه كارائيبو ثانية كما تغوص البندقية في مياهها؟ هل ستغمر أمواج الأزمة الاقتصادية "ظفرة" فنزويلا بتناقص ثروتها النفطية؟

ما هي حصة النفط في إثماء البلد؟

ما هو تأثير النفط على المستوى المعيشي للسكان ومردوداته على الصحة النفسية والتركيبية الاجتماعية؟

ما هو دور الكنيسة في حاضر وماضي البلاد، ومدى تفاعلها مع تطلعات الإنسان الفنزويلي المعاصر، وتحسسها لقضايا أميركا اللاتينية ككل؟
هذه هي الأسئلة التي سنحاول الإجابة عليها في هذا الملف^(١).

فنزويلا: بين الماضي والحاضر

ركز الأسبان الذين استعمروا فنزويلا وأعطوها لغتهم منذ قدومهم، على الزراعة، فاستخدموا السكان الأصليين - وهم من الهنود الكارائيبين والامازونيين - واتهوا سياسة الاستعباد، أول الأمر، ثم بتأثير الكنيسة أصبح الهنود مواطنين تحت التاج الاسباني. وإذا ما استمر هؤلاء في خدمة مصالح المستعمرين، فقد بدأت بذلك مرحلة من الاندماج العميق بين الاسبان الوافدين والهنود الأصليين، دينيا واجتماعيا ولاسيما عن طريق التزاوج. وهذا ما يفسر كيف ان ٧٠% من سكان فنزويلا اليوم (١٧ مليون) هم غلاسيون^(٢)، رماديو السحنة. وقد شكل هذا الخليط شعبا جديدا، فنزويلي الانتماء، اسباني اللغة والمرجع الفكري والسياسي، كاثوليكي. وقد انضم إليهم في القرون اللاحقة أفارقة سود استخدموا في مزارع الكاكاو كعبيد، قبل أن ينالوا حصتهم من التحرر كما حصل للهنود من قبل.

غير ان هذا "المجتمع الخلاسي"، إذا ما تجاوز عنصرية الدم واللون في قواعده بفضل المصاهرات، لم يكن بمنأى عن الاستغلال والطبقية، وبقيت مفاتيح النفوذ والامتيازات بيد قبضة من الملاكين الكبار وموظفي التاج والتجار. وفي ١٧٢٨ سلمت اسبانيا عموم التجارة الفنزويلية لشركة "غويوزكوانا" الباسكية، مع مهمة حماية السواحل ومطاردة القراصنة الفرنسيين والانكليز والهولنديين، فاتسع نفوذ هذه الشركة على حساب استقلالية الكيانات المحلية. وبلغ تضارب المصالح أوجه، حتى انفجرت سلسلة من الهجمات المسلحة والتحالفات، عرفت بحرب الاستقلال، وانتهت بانفصال فنزويلا عن اسبانيا عام ١٧٧٧، وإعلانها جمهورية مستقلة عام ١٨١١. وكان احد أشهر أبطال حرب الاستقلال هو الجنرال سيمون بوليفار (١٧٨٣ - ١٨٣٠) الذي عرف "بالحرر" - وقد كانت فنزويلا في عهده تشكل مع كولومبيا الحالية والإكوادور دولة واحدة اسمها كولومبيا الكبرى وعاصمتها بوغوتا.

وبعد الحرب منذ قدومهم، رفضت الجماهير المجددة للقتال للعودة إلى مجتمع الامتيازات والخضوع، فامتألت الأرياف بالتمردين وبمن خيبت حرب التحرير آمالهم ورفعوا السلاح بوجه السلطة الفدرالية، فذهب ضحية تلك الحرب الجديدة ٦٠٠٠٠ مواطن وتفاقم التدهور الاقتصادي. وفي ١٨٧٠ تسلم السلطة الجنرال كوزمان بلانكو واتسم عهده (٢٠ سنة) بمركزية قوية وعداء للكنيسة لكسر نفوذها. ثم جاء عهد الدكتاتور غوميز (+١٩٣٥)، وهو عهد البترول الذي كان في أصل التحولات كلها. ومع النفط دخلت فنزويلا عهد الاستهلاك والرأسمالية البورجوازية والاستيراد النهم. اما من الناحية

السياسية فتعرف البلاد هدوءاً يحسدها عليه جيرانها في أميركا اللاتينية منذ زهاء ٣٠ سنة من الديمقراطية البرلمانية، ويتناوب الحكم فيها بصورة هادئة حزبان رئيسان هما حزب العمل الديمقراطي والحزب الاجتماعي المسيحي. أما الرئيس الحالي فهو جيم لوسنشي.

النفط والتنمية

تحتل فنزويلا المرتبة الثالثة بين الدول المنتجة للنفط (بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي)، والأولى في تصدير الطاقة الهيدروكاربونية الخام (النفط، الغاز الطبيعي، الزيوت...)، وهي من مؤسسي منظمة أوبك OPEP النفطية، وأول من ادخل مبدأ المناصفة المعروف بعبارة "فيفتي - فيفتي" (٥٠%) في تقاسم واردات النفط مع الشركات الأجنبية قبل تأميمها الكامل. وتشكل الثروة النفطية ٩٠% من صادراتها حتى الآن.

وقبل عهد النفط كانت فنزويلا بلداً زراعياً بالدرجة الأولى، غنياً بمحاصيله، ثرياً بمياهه، وتسير فيه الحياة، من جراء ذلك، في جو تقليدي، إلا أن الفلاح كان مسحوقاً تحت وطأة الديون أو الملاكين الكبار. غير أن ظهور الذهب الأسود قلب الموازين بغتة ووضع بين يدي المواطنين نهماً من الذهب الأصفر. هذا النهر هو في أصل الطفرة التنموية الفنزويلية الحديثة، ومنه تتمول الخطط الانفجارية كلها، وعليه يعتمد عصب اقتصاد البلاد. وللعاصمة كاراكاس (٤ ملايين) حصة الأسد - ككل عواصم الدنيا - من المشاريع العمرانية والخدمية: فهذه مطاراتها الثلاثة في غضون عشر سنين فقط، وهذا قطارها الأرضي (مترو) الذي يعد مفخرة معمارية وقومية، وقد بنته الشركات الفرنسية ودشن في آذار ١٩٨٣ (١٤ كم حالياً من أصل ٤٥ كم)؛ وطريقها السريع العملاق الذي يشطر المدينة إلى شطرين على ارتفاع ١٠٠٠ م عن سطح البحر وتتفرع منه عشرات الأذرع؛ والبنيات العصرية ومعامل الصناعات الثقيلة، كالصلب والحديد، والبتروكيماويات والزجاج.. الخ.

ومن جهة أخرى ارتفع معدل دخل الفرد السنوي، بحيث صار أعلى معدل في أميركا الجنوبية، ومعه ارتفع مستوى المعيشة. فكل أسرة - حتى الفقيرة - لها جهاز تلفزيون، وامتلاك سيارة لم يعد ترف الأغنياء الكبار وحدهم، وكل أسرة تقريباً تمتلك الأجهزة المنزلية الرئيسية كالثلاجات والغسالات... والناس يتهافون على شراء كل جديد لا سيما من الثياب، وهم يفضلون الحديد على تصليح المستعمل. وهكذا اجتاحت حمى الاستهلاك والحياة السهلة كل المواطنين. وجاءت مزاحمة المنتوجات المستوردة للمنتوجات المحلية في الكلفة الأقل والنوعية الأفضل، ليس في القطاع التصنيعي والكماليات وحسب، بل حتى في القطاع الغذائي، وارتفع الدخل الصناعي بسرعة، وبالتالي تضخم المدن على حساب الريف (٨٣% من السكان هم في المدن).. جاءت كلها لتقضم ظهر الزراعة وتولد قناعة عامة بأن الثروة على باب كل مواطن، ولكن ليس بفلاحة الأرض والعمل اليدوي والجهد. فتخدر البلد بنفطه.. ولا زالت الجهود المبذولة في السنوات الأخيرة لإعادة تنظيم الاستثمار الزراعي دون طموحات الفلاحين ودون مستوى الإنتاجية المطلوبة. والمنهاج الذي بدأته

الحكومة في الستينات لم ينجح تماما لبقاء أقلية صغيرة من الناس -هم الملاكون الكبار- يسيطرون على معظم الأراضي الزراعية.

"إن بريق سيارات الشفروليت بريق كاذب". هذا ما كتبه صحيفة "لاكروا" عن فترويلا اليوم. فالانطباع السائد هناك هو ان الريح السهل والتهافت على الاستهلاك يلغمان المجتمع الفترويلي ويعرضان مؤسساته للانحلال. والمجتمع الفترويلي يتعرض في الواقع لخلل في توازنه الاقتصادي والإنساني معا بتضاعف الثروات القومية بصورة سريعة. فأنت ترى، من جهة، مراكز صناعية وإدارية متقدمة جدا إلى جانب صيغ اقتصادية بدائية لا تزال قائمة؛ ومن جهة أخرى تلاحظ دولة غنية جدا ومبذرة، وإزاء هذه الدولة الغنية المبذرة تتعاطم الهوة بين الأغنياء والفقراء، وعلى كل المستويات تقوم ايدولوجية "كل واحد لنفسه" (كل من ايدو الو) مقام الروح الوطنية المدومة والخير العام. لذا يعتبر هذا الغنى الذي تتخايل به واجهة فترويلا غنى مصطنعا، لأنه ليس ثمرة العمل والجهد، وإنما هو حاصل إيرادات أسوأ ما فعلته هو أنها عودت المواطنين على الاتكالية واستبعدتهم عن المشاركة في مسيرة البلد بصورة طبيعية وفاعلة. فكانت النتائج، إضافة إلى هذا التفاوت في توزيع الخيرات القومية، هي الركود، وعدم الاحتياط للمستقبل، وإضعاف شخصية المواطن والشعب كشعب.

إن تحسس هذه المخاطر صار حاجسا اقتصاديا واجتماعيا جادا بعد هبوط احتياطي النفط الذي قد يشح بصورة خطيرة في مطلع القرن القادم. ولكن "التبذير الخطر في النفط وعائده يبقى لعبة أطفال، يقول علماء الاقتصاد والاجتماع الفترويليون، أمام التبذير في طاقات شعب يحطم نفسه بنفسه، ماديا ونفسيا".

الكنيسة ما هو دورها؟

إن الإنسان الفترويلي، بالرغم من عصرته، إنسان منغرز في ماضيه الذي يتكون من مجموعة من القيم والتقاليد، كاللغة والحكمة الشعبية، والأمان الذي يجده في المبادئ الأخلاقية، وسمعة الأسرة، والشرف، وديمومة الأجداد بعد الموت، والحس التضامني: كل هذه القناعات تجعل منه خامة جيدة يمكن الاعتماد عليها لإعادة توازنه. وللكنيسة دور هام في هذه العملية. غير أن هذا يتأثر في الواقع بمعطيات ماضيه أيضا.

وكنيسة فترويلا "كنيسة يتقل كاهلها التاريخ" كما وصفها المؤرخ فرناندو يابيز. فقد رافق الاستقلال صراع قاس بين الدولة والكنيسة، حيث كانت تلك تريد استخدام الكنيسة لتثبيت سلطتها وتحاول التحكم فيها بممارسة الوصاية والامتيازات التي مارسها عليها الحكم الاسباني. وكانت الكنيسة خاسرة على طول الخط. وقد بلغ هذا العداء قمته في عهد كوزمان بلانكو، كما أسلفنا حيث طارد الكهنة ولم يبق منهم لعموم البلاد سوى ٣٩٣، بينما كانت أبرشية كاراكاس وحدها تعد ٥٤٧ كاهنا عام ١٨١٠، وقد هدد بإنشاء كنيسة وطنية منفصلة عن روما. ولم تقدا العاصفة إلا بمفاوضات مباشرة مع الفاتيكان.

هذا ما يفسر ان ٧٠% من الكهنة لا زالوا أجناب^(٣). ولكن هذا ما يفسر خاصة صمت كنيسة فترويلا الذي لا يتناسب وحيوية سائر كنائس أميركا اللاتينية التي اتخذت مواقف واضحة وثورية أحيانا تجاه الأنظمة الاجتماعية والسياسية المتردية أو القمعية. فهي تبدو وكأنها تخرج توا من طور النقاها وتحاول الوقوف على قدميها من دون مشاكل، وقد اكتفت برعاية القطاع التربوي والتعليمي، ولها جامعة بإدارة اليسوعيين تأوي ٨ آلاف طالب، ومعاهد علمية ومهنية عديدة. وبدأت تقطف بعض الثمار عندما وصل بعض تلامذتها إلى مراكز عالية، ومنهم الرئيس الأسبق رافائيل كالديرا، غير ان نصوص مجلس أساقفة أميركا اللاتينية (سيلام) بشأن الاندماج بقضية الفقراء وتيارات لاهوت التحرير تأخذ طريقها في واقع كنيسة فترويلا تدريجيا، وان بجذر وتردد، لا سيما من قبل السلطة الكنسية، لئلا توقظ حفيظة الدولة.

أما العلمانيون فقد بقي دورهم ضعيفا في توجيه حياة الكنيسة. بيد ان القاعدة الشعبية تعطي وجها خاصا للمسيحية الفترويلية، ليس في إضفاء سمات شعبية على الإيمان وحسب، بل في تبني الشعب نفسه التنشئة الإيمانية وبعض مراسيم مراحل الحياة الكبرى، كالعماد والأعياد وشؤون الأسرة والموتى. وان كانت قلة الكهنة تفسر مثل هذا "التبني"، فهناك شعور عميق في وجدان الشعب بأهمية البعد الديني في الحياة والعمل. وقد عزا الأب سانتانا من معهد كاراكاس الكهنوتي ذلك إلى روافد "الشعور الديني الخلاسي" الفترويلي الثلاثة: الهندي المحلي ومحوره الطبيعة، والاسباني - اللاتيني ومحوره مراحل حياة المسيح الكبرى والعذراء مريم، والافريقي ومحوره تكريم الموتى والأجداد والعلاقات القبلية.

غير ان علامات الحياة والرجاء تعتمل في كنيسة فترويلا بما ينبئ أنها لن تتخلف طويلا عن شقيقاتها في أميركا اللاتينية. فهناك على الصعيد الفكري مركز كوميلا للدراسات الاجتماعية والاقتصادية والانثروبولوجية واللاهوتية الذي يصدر مجلة شهرية بعنوان "سيك" وأبحاثا حول الواقع الفترويلي ولاهوت أميركا اللاتينية. وهناك جماعات كبيرة من الراهبات تركن عملهن التقليدي واخترن العمل والعيش في مناطق فقيرة ونائية في أنحاء القطر. وكذلك فعل بعض الكهنة، بالرغم من عدم ارتياح الحكومة لهذه الظاهرة التي قد تحرك الاستياء الشعبي.

وهناك الوعي الرسولي المتزايد لدى الشبيبة وارتفاع عدد الراغبين في الكهنوت. فبينما لم يكن سوى ثلاثة معاهد كهنوتية قبل عشر سنوات، أصبح عددها اليوم ٩ وارتفع عدد الطلبة من ٥٣٠ في ١٩٨٣ إلى ٦٢٩ في ١٩٨٤. كما ان هناك بادرة رائعة أبصرت النور قبل عشرة أشهر تدعى "الرسالة الوطنية"، وهي أشبه بجماعات القاعدة^(٤)، حيث يجتمع مؤمنون، لا سيما من الشباب، لاكتشاف الإنجيل ومتطلباته، ولدراسة توجيهات مجلس الأساقفة المنعقد في بويلا عام ١٩٧٩^(٥) وكيفية ترجمتها إلى الواقع. وقد تجاوزت هذه الحملة التي أطلقت أساسا لهيئة زيارة البابا كل التوقعات بمجديتها والإقبال عليها.

كيف سيكون وجه الكنيسة الفرويلية الجديد؟

لسنا في علم الغيب. ولكنه سيكون حتماً تحصيل أمرين والتقاءهما وتناغمهما في الواقع المعاش وهما: تصور النخبة في رؤية إنجيلية وموضوعية، ومدى مشاركة القاعدة في رسم وتجسيد هذا التصور فعلياً. أما النخبة فهكذا تتصور كنيسة فرويلا غداً، كما جاء في مجلة "سيك" الآنفة الذكر، بعنوان "طموح واقعي لكنيستنا":

كنيسة قريية من الشعب الفقير والعامل

كنيسة لا تُستعبد فيها حرية الروح لحرف الشريعة

كنيسة تتق بالروح الدينية الخلاقة للشعب، كما برهن عليها التاريخ

كنيسة نبوية تقرا الواقع من خلال الكلمة المتبدلة

كنيسة تعود إلى أصلاتها، وتلقي جانباً، من دون انطوائية، كل استيراد عجول.

وكما هو الأمر في الاقتصاد والسياسة، ينبغي أن نتج أكثر، ونستورد أقل.. وليس ذلك فقط في ما يخص الأشخاص، وإنما أيضاً في ما يخص التراثيل، والكتب، والتنظيمات، والمواقف، والطقوس، والرموز، وأساليب التفكير.

"اوخالاً" - إن شاء الله - كما يقول الفرويليون!..

(١) ستيع في استعراضنا ثلاثة تقارير موجزة صدرت، الأولى في عدد خاص من مجلة Missi (نيسان ١٩٨٣)، والثاني والثالث في جريدة لأكروا (La Croix) (٢٥ و٢٦ ك ١٩٨٥) بمناسبة زيارة البابا لفرويلا.

(٢) من ابوين مختلفي اللون، اسود وابيض

(٣) في فرويلا اليوم ٢٣٠٠ كاهن و ٤٦٠٠ راهب وراهبة، اما الاساقفة، وعددهم ٣٧، كلهم فرويليون.

(٤) ف. م. ك ١٩٨٤

(٥) ف. م. آذار ونيسان وحزيران ١٩٧٩

الحركات الشبابية المسيحية في الكنيسة

عبر أخويات وحركات وجمعيات أنشئت منذ أوائل القرن بهدف إيقاظ الشباب وتنشئتهم على حمل مسؤولياتهم في الكنيسة والمجتمع، تجند ولا يزال يتجند العديد من الشبان والشابات للشهادة للإنجيل، كل في محيطه وبيئته. عن بعض هذه الحركات الشبابية - وقد كان لها. لسنوات خلت، دور فاعل في حياة كنيسة العراق - يرسم الأب جرجس القس موسى لوحة تسلط الأضواء على شريحة من الشباب وضعوا طاقاتهم ومواهبهم في خدمة الإنجيل، بعزم وسخاء والتزام.



في افتتاح المؤتمر العالمي لرسالة العلمانيين المنعقد في روما في خريف ١٩٧٥ - وقد كان لي شرف المشاركة فيه - هتف الكردينال موريس روا رئيس مجلس العلمانيين الذي نظم اللقاء: "ترى من دفع بالمجتمع نحو التقدم غير الطفولة والشبيبة، وذلك بمجرد وجودهما! فالاستغناء عن الشبيبة معناه الاستغناء عن المحرك الذي حفز البشرية دوماً على أن تكون خلاقة".

وإذا كان هذا "المحرك" يفعل فعله "الخلاق" في المجتمع ككل، فهو طاقة لا تنضب في الكنيسة أيضاً، للتجدد وتجاوز الذات ووضع الالتزام الإنجيلي لدى العلمانيين موضع التنفيذ والإبداع. ليس أن الشباب في الكنيسة طاقة وحسب بل لأنهم أعضاء كاملو العضوية فيها، لهم ما لسائر الأعضاء وعليهم ما على غيرهم من حقوق والتزامات. قد تعرضهم اقتحاميتهم وحادثة خيرتهم الذاتية إلى الجاهمة والتباين حول الأهداف والوسائل مع أجيال البالغين - ولربما إلى بعض التسرع في التنفيذ - ولكن ما يتحلون به طبعاً من المزايا: كحسن النية، والعنفوان، والأصالة، والشجاعة، وروح العطاء، والدينامية، والانفتاح نحو المستقبل؛ كل هذا يؤهلهم ليس فقط لان تثق بهم الكنيسة، بل لان يأخذوا موقعهم فيها بشعور عال بالمسؤولية كأعضاء وليس مجرد منفذين.

أما ثقة الكنيسة بالشباب فقد عبر عنها المجمع الفاتيكاني الثاني بصورة حلية في مرسومه حول رسالة العلمانيين^(١) ودعاهم إلى موازنة "شأنهم المتزايد في المجتمع" مع "نشاطهم الرسولي الأوسع" في الكنيسة. ومع هذه الدعوة العامة فقد خصصهم بمحل محدد هو حقل الشبيبة بالذات، هذا الحقل الذي يشكل بيئتهم الطبيعية عمراً وفكراً ومعاناة وطموحاً، وهم فيه خبثون أكثر من غيرهم. ففيه "عليهم أن يكونوا للشبان الرسل الأولين والمباشرين" (رقم ١٢)، وما ذلك إلا صدى لمقولة البابا بيوس الحادي عشر الشهيرة: "تبشير البيئة بالبيئة". فهو الذي جعل منها شعاراً وفلسفة للحركات الشبابية المسيحية في الكنيسة، وهو

نفسه أعطى الانطلاقة الكبرى لهذا النمط من الرسالة العلمانية منذ الثلث الأول من هذا القرن، اعني به نمط الحركات التي تعتمد في عملها الإنجيلي أسلوب التنظيم والتخصص.

في هذا المقال سأقتصر على استعراض بعض أهم الحركات الشبابية المسيحية والرسولية المختصة والمنظمة في الكنيسة، وسأحدد حديثي بإيجاز عن طبيعة تكوينها الاجتماعي وأهدافها الإنجيلية وخصوصيات أسلوبها في العمل. وقد يكون من المفيد أن نوضح أن الحركات التي نحن بصددنا لا شأن لها بالسياسة، كما أنها تختلف تماما في طبيعتها وأهدافها عن التشكيلات الحزبية أو النقابية، ولا هي تجمعات ثقافية بالمعنى المتداول (كجمعية الفنانين أو الأدباء أو أنصار البيئة...). أما فقط أوجه تطبيقية للالتزام الرسولي الجماعي للعلمانيين - والشباب يكونون شريحتهم الكبرى - ولدور هؤلاء في حياة الكنيسة. لذا كانت هذه المنظمات جزءا من مشروع الكنيسة الأشمل و "ليست هدفا لنفسها، إنما عليها أن تحدم الرسالة التي على الكنيسة أن تحققها حيال العالم. ولذا فإنها تستمد قوتها الرسولية من مطابقتها على أهداف الكنيسة ومن الشهادة المسيحية التي يؤديها كل عضو وتقوم بها الجماعة كلها ومن الروح الإنجيلي الذي يعيشانه" (رقم ١٩). وهي تعمل حثيا إلى جنب وبالائحاد الكامل مع كهنة الكنيسة وأساقفتها.

علما بان المنظمات سند عظيم لأعضائها روحيا ونفسيا واجتماعيا، إذ تخلق فيهم وعيا متزايدا للتفكير في الآخرين والبحث في طرق التعاون معهم. وهذا الإطار يرعى قابليتهم القيادية وبودادهم الخلاقة ويدبرهم على العمل الرسولي ويحدد نطاقاته، بحيث تجني منه فوائد، ما حققوها لو ظلوا منفردين. لذا شجع المجمع قيام مثل هذه الصيغ الجماعية المنظمة للعمل المسيحي (رقم ١٨). ومن هذه الحركات ذات الطابع الشمولي نخص بالذكر:

العمل الكاثوليكي

لعل من المفيد أن نذكر ان أول صيغة منظمة ومنسقة لرسالة العلمانيين ولمساهماتهم الفاعلة في حياة الكنيسة المعاصرة هي الصيغة التي أطلق عليها اسم (العمل الكاثوليكي) وقد أطلقها البابا بيوس الحادي عشر عام ١٩٢٢، وحددها بأنها "مشاركة العلمانيين في رسالة السلطة الكنسية للدفاع عن المبادئ الدينية والأخلاقية، ولتطوير النشاط الاجتماعي بصورة سوية وخيرة، تحت إمرة السلطة الكنسية، وخارجا وفوق كل الاحزاب السياسية وذلك بغاية ترسيخ الحياة المسيحية في الأسرة وفي المجتمع". وقد لقيت هذه الحركة دعما واسعا من السلطة الكنسية التي انتدبتها "كحركة كنسية" وليس فقط كحركة في الكنيسة، لمهتين أساسيتين: الأولى "رسولية" لتنصير الأوساط البعيدة عن المسيح بشهادة أعضائها الإيمانية، والثانية ضمن الجماعات والمؤسسات المسيحية بحيث يكون أعضاؤها خميرة للتحدد الروحي^(٢). و "العمل الكاثوليكي" نوعان: عام ومتخصص، والعام فرعان: رجالي ونسائي، ولكلاهما أهداف مشتركة يحققانها كل بحسب خصوصياته وموقعه في المجتمع، مثل: إنعاش

حياة الخورنة، والتجديد الليتورجي بإشراك المؤمنين في النشاطات الطقسية، وتنشئة مدرسي ومدرسات التعليم المسيحي لزرع الإيمان في الناشئة وإدخال القيم الإنجيلية في الأخلاق العامة ووسائل الإعلام، وحماية حقوق الأسرة والمرأة والمؤسسات التربوية المسيحية الخ... أما المتخصص فهو الذي يتوجه إلى الأوساط الاجتماعية المختلفة بواسطة علمانيين من صلب هذه الأوساط بالذات، وذلك انطلاقاً من ذهنية وحاجات هذه الأوساط نفسها. أما أسلوبه في العمل فينطلق من ركائز ثلاث هي: انظر أي ادرس واقع البيئة، احكم عليه على ضوء الإنجيل، ثم اعمل على تحقيق ما يمكن تحقيقه.

هذا هو الجذع الأساس الذي منه تفرعت سائر الحركات الشبابية المسيحية المتخصصة.

الشبيبة العاملة المسيحية (J.O.C.)

تأسست في بلجيكا عام ١٩٢٥ على يد كاهن شاب من أسرة عمالية كادحة اسمه الأب جوزيف كاردين. وكانت النواة الأولى مع عاملات وعمال فقراء ومستغلين في معامل شارلروا وبروكسل حيث مقر الحركة الدولي الآن، ومنها انتشرت في زهاء ١٣٠ بلداً، ضامة بين صفوفها مئات الآلاف من الشباب العامل، ولها ممثلون في هيئات دولية كالأمم المتحدة واليونسكو ومنظمي العمل والتغذية الدوليتين وغيرها.

فالشبيبة العاملة المسيحية حركة عمالية مسيحية غير نقابية تستهدف بالدرجة الأولى تجاوز الجانب الاقتصادي والإنتاجي في العمل لإدخال المسيح العامل في هذا الوسط الذي نشأ بعيداً عن الكنيسة، وتعمل على إعادة الكرامة الإنسانية للعامل لئلا يكون عبداً للآلة والاستغلال بحيث يكون فخوراً بكونه شاباً وعاملاً ومسيحياً. فالشبيبة العاملة المسيحية تحمل رسالة الإنجيل وقيمه لتحياها في العمل والمصنع والمشغل وتعلنها بلغة العمال والكسبية، مطبقة قول بيوس الحادي عشر: "إن الرسل الأولين والمباشرين للعمال سيكونون من العمال أنفسهم".

إلى جانب هذا التوجه الروحي والرسولي وبحكم انتماء الحركة إلى الطبقة العاملة، فالإيمان نفسه يملئ عليها التضامن مع قضايا العمال لإيجاد حلول إنسانية لمشاكلهم الاجتماعية والأسرية ولاسيما للهامشيين منهم. وهكذا تصبح الحركة عنصراً في بناء مجتمع أفضل يركز على العدل والحرية والسلام.

لأشك ان تطورات هامة طرأت على أسلوب الحركة، لاسيما منذ نهاية الستينات، حيث أولت اندماجاً أكبر من السابق مع قضايا الطبقة العاملة، ولكنها بقيت حركة عمالية مسيحية تعيش التزامها من منطلق الإيمان والإنجيل والتأصل في الكنيسة، كما جاء في مؤتمراتها بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيسها.

الشبيبة الطالبة المسيحية (J.E.C.)

لم تمر سنتان على الشبيبة العاملة وإذا بالشبيبة الطالبة المسيحية تنطلق سنة ١٩٢٧ نحو المحيط الطلابي بعين الأسلوب وعين الأهداف، وسرعان ما اجتازت حدود بلجيكا منشعها الأول، إلى الكنيسة الجامعة. وقد تشكلت في بغداد بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣، وفي الموصل في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٤ واستمرت حتى حزيران ١٩٧٣ حيث توارت لظروف قاهرة خارجة عن إرادتها بعد أن أنشأت نخبة واعية وملتزمة من الشباب المسيحي.

والشبيبة الطالبة المسيحية حركة ذات طابع روحي مختصة بعيش التزامها الإنجيلي في البيئة الطلابية، تضم شبابا يعون مسؤولياتهم في الكنيسة فيحملون قيم الإنجيل وأخلاقه إلى زملائهم. وهذه الحركة إذ لا تنتزع الشبيبة من محيطها ولا تتعارض مع الهيئات الطلابية الأخرى، فهي تنمي في أعضائها روح المسؤولية وتخرجهم من جو اللامبالاة والفردية لتخلق منهم طلابا يعيشون إيمانهم كاملا ويضطلعون بالتزامهم الوطنية بوعي فيكونون لإخوانهم نورا وملحا وحميرة.

وتبني الشبيبة الطالبة أسلوب انظر، احكم، اعمل. وتحاول أن تحقق رسالتها بواسطة منهج عمل حيث يدرس الأعضاء مشكلة من مشاكل الحياة الدراسية فيستخلصون منها مقاصد للعمل، كما عبر مراجعة الحياة حيث يسلطون نور الإنجيل على أحداث من صميم واقعهم ليتسنى لهم أن يتخذوا منها موقفا إنجيليا، والتأمل بالإنجيل حيث يحاولون عكس تعليم يسوع على حياتهم والاهتداء به. ويتم كل ذلك بإرشاد كاهن.

وعلى هذا النمط ذاته -مع مراعاة الخصوصيات الثقافية والاجتماعية- تعمل حركات شبابية مسيحية أخرى متخصصة للوسط الزراعي، والأدبي، وللطبقات الوسطى وغيرها كالشبيبة المزارعة المسيحية، والشبيبة المستقلة، ورابطات الطلبة المسيحيين، والخورنات الجامعية الخ...

الأخوية المريمية (ليجيبه مارييه)

حركة رسولية أخرى نشأت في أيرلندا عام ١٩٢١ على يد شاب علماني اسمه فرانك دوف، وقد تكون أكثر الأخويات الرسولية انتشارا خارج أوروبا، وقد بلغ عدد أعضائها من الجنسين قبل الجمع زهاء ٢٠ مليوناً. وكانت الحركة العلمانية الرائدة في العراق حيث نشأت عام ١٩٥٧ وانتشرت في معظم المدن والقرى المسيحية العراقية موقظة الوعي الإيماني والمشاركة الفعلية في الرسالة لدى مئات من الشباب المسيحي العراقي. وقد توارت هي الأخرى لظروف خارجة عن إرادتها عام ١٩٧٣.

والأخوية المريمية منظمة علمانية غايتها وبنائها روحي محض. أما ميزتها الأساسية فهي اعتمادها على عنصر الصلاة واستلهاهم مثل العذراء مريم في عملها الرسولي، لتنضم إلى القوى الأخرى العاملة في الكنيسة للتوعية الإيمانية والإشعاع المسيحي. والنشاطات التي تتبناها تختلف باختلاف البيئات والحاجات مثل زيارة المرضى والفقراء، والاهتمام بالمهملين

والسحناء، وانتشار الساقطين، وإعادة البعدين إلى الكنيسة، ونشر الكتب الصالحة، والتعليم المسيحي. بكلمة واحدة، إنما تسعى لرفع المستوى الروحي والوعي المسيحي لدى أعضائها وفي الجماعة المسيحية ككل.

الكشاف المسيحي SCOUT

أبو الكشاف هو ضابط بريطاني متقاعد يدعى بادن باول، انشأ حركته في انكلترا عام ١٩٠٧ لليافعين من ١٠-١٦ سنة. وإذا كانت الحركة الكشفية قد نشأت خارج الكنيسة، فسرعان ما تبنتها الكنيسة وطعمتها بالقيم المسيحية والروح الإنجيلية. وبينما ضم أول مخيم كشفي نظمه بادن باول عشرين يافعا، يعد الكشاف المسيحي أضخم حركة شبابية مسيحية في العالم مع أكثر من ٢٠ مليون يافع ويافعة.

أما المنهاج الأساس في التنظيم الكشفي فهو تربوي عملي لبناء الشخصية السوية وتنشئة اليافعين على المسؤولية والاعتماد على الذات. ويتحقق ذلك بالتمرس على الأهداف التالية: تفتح الذهن وصقل الطباع باستمرار، تطوير المهارة اليدوية، خدمة القريب والخير العام والحس الجماعي، التوجه نحو الله وتذوق السعادة. أما شعارات الكشاف الرئيسية فهي: الشرف، الإخلاص، العدالة، احترام الآخرين، الشجاعة، حب الله والوطن. ويمارس الكشاف ملكة اللعب لديه، ليس بتدجين الطبيعة وممارسة مهاراته وحسب بل حتى بهذا "العمل الصالح" (أو المقلب الصالح كما يسميه الشيخ: بادن Good turn) الذي على الكشاف أن يؤديه يوميا تجاه شخص ما.

من أجل هذه المزايا العامة المشتركة والأساسية اعتمدت معظم الدول الحركة الكشفية في مؤسساتها التربوية. وكما في الكنيسة كذلك كل قطر يضيف بصماته الخاصة على منظماته الكشفية، حتى إذا اختلفت التسميات أحيانا.

إلى جانب هذه الحركات المنظمة، هناك جماعات أو حركات شبابية جماهيرية عديدة تضم آلافا من الشباب المسيحي من مختلف الطوائف والأقطار، منه ما نشأ مع تيار المجمع الفاتيكاني الثاني، ومنها ما سبقه، وتهدف كلها إلى التجدد الروحي عن طريق العودة إلى الإنجيل. ومن هذه الحركات ما هو محلي وقطري، ومنها ما يتعدى حدود البلد الواحد. ومن الحركات ذات الطابع الشمولي ما يتمحور حول بعض الجمعيات الرهبانية أو شبه الرهبانية أو الأديرة مثل تجمعات الشباب السنوية أو الدورية الدولية والإقليمية التي تنظمها جماعة تيزيه الرهبانية (فرنسا) والتيار الواسع الذي خلقته في روحانية الشبيبة المسيحية عالميا^(١).

وتيار جماعة الفوكولاري (إيطاليا) الذي يضم آلافا من الشباب، ميزهم في عيش الإنجيل والفرح والاخوة والعمل اليدوي، في أكثر من ٣٠٠ أسرة ومركز تنشئة في مختلف الأقطار، منها الجزائر ولبنان ومصر وتركيا^(٢). وهناك حركات أخرى غير مرتبطة بموقع جغرافي رسمي معين كتيار المواهبين Charismatiques الذي نشأ بعد المجمع، وبالتحديد عام ١٩٦٧ لتجديد الروحي عن طريق التوجه إلى الروح القدس كما في الكنيسة الأولى،

و"أصدقاء مار فرنسيس الاسيزي" والحركة المسماة "سلام المسيح" وغيرها وغيرها. ولهذه الحركات كلها سمات مشتركة كطابع البساطة والعفوية في العلاقات وفي المظهر الحياتي للأفراد، والافتتاح المسكوني بين الكنائس، وعنصر الصلاة، واحترام الثقافات والأديان المختلفة. علما بان هناك مبادرات شبابية مسيحية كثيرة هنا وهناك، تستهدف بصورة رئيسية، ومن منطق الإيمان الذي تحيا منه بالذات، إقامة هذا الحوار البناء بين الحضارات والأديان والقوميات وإزالة حدران الطبقة والحذر المتبادل^(٥).

الكنيسة الرسمية تتبنى وترعى بعض هذه الحركات، وتشجع بعضها الآخر، وتراقب عن كثب مسيرة غيرها، محاولة حفظ مسارها في خط الإنجيل وضمن الجماعة المسيحية الأوسع. ولكنها في كل الأحوال ترى في هذه المبادرات الشبابية "صوتا نبويا" يناديها إلى مزيد من التطهير والأصالة والعودة إلى الينايع. لذا فهي -أي الكنيسة الرسمية- لا تني تنادي أبناءها من الشباب إلى العطاء الأغرر والالتزام الأكبر بإنجيل يسوع والشهادة له. ولعل خير ما نختتم به هذه الجولة دعوة يوحنا بولس الثاني التي وجهها إلى الشباب المسيحي في رسالته ليوم الرسائل العالمي في ٢٠ ت ١ من هذا العام وفي نطاق العام الدولي للشباب: "إني أناديكم جميعا يا شباب العالم وأرسلكم كما أرسل المسيح الرسل بالقوة الآتية من كلام المسيح نفسه: إن مستقبل الكنيسة منوط بكم، وإعلان الإنجيل للأرض في السنوات القادمة رهن بكم! انتم الكنيسة! اجعلوا الكنيسة شابة، واحفظوا شبابكم بحضوركم الحماسي وبوسمكم إياها في كل مكان بسمات الحيوية والعنفوان النبوي".

(١) اقرأ مقتطفات من هذا المرسوم في مكان اخر من هذا العدد.

(٢) في الاربعينات وما قبلها جرت محاولات لهذا النمط من العمل المسيحي في الموصل وفي قره قوش جمعت بين نمط الاخويات القوية التقليدية وشيء من التوجه الرسولي - الثقافي - الاجتماعي، الا ان العنصر الثاني سرعان ما تلاشى.

(٣) ف . م . ايلول، ك ١٦ ١٩٧٤؛ ك ٢٢، ت ٢ ١٩٧٥؛ اذار ١٩٧٩

(٤) ف . م . شباط ١٩٧٦، نيسان ١٩٨١

(٥) من كل هذه الحركات التي اتينا على ذكرها ليس لنا شيء حاليا في كنيسة العراق، ولم نوردنا الا من باب الاعلام وان كنا نتمنى تعريق ما يلامم حاجتنا. ولكن اذا كان لكل قطر توجهاته ولكل كنيسة وضعها الخاص، فالنداء الى الشباب المسيحي العراقي قائم لياخذ موقعه ومسؤوليته في حياة كنيسته بحسب الامكانيات المتاحة والصيغ المقبولة.

الشباب في خدمة التثقيف المسيحي

كان التثقيف المسيحي ولا يزال إحدى أبرز الأولويات في الكنيسة، وقد تسلمت من معلمها مهمة نقل البشري. أولوية طالما لفتت "الفكر المسيحي" إليها الانظار في كنيستنا - ويعاني مؤمنوها، وشبابها بنوع خاص، من نقص في ثقافتهم المسيحية وعلى أكثر من صعيد...

بدايات حركة التثقيف المسيحي، انتكاستها، محاولات الخروج من العزلة، آمالها وتطلعاتها... شؤون ينكب عليها الأب يوسف عتيشا - يشاركه الأب جرجس القس موسى- في هذا المقال، وهو يهدف الى ايقاظ وعي الشباب تجاه مسؤولياتهم في عملية التثقيف المسيحي؛ تلك مهمة تتطلب منهم خلفية ثقافية عميقة وخبرة أصيلة وكفاءة عالية وسخاء كبيراً، ويجدر بهم أن يضعوها في خدمة التثقيف المسيحي.



ان الشهادة المسيحية التي يؤديها الشباب في كنيسة ما، بأوجهها المختلفة وكمجموعة، هي علامة واضحة عن حيوية تلك الكنيسة نفسها ككل. ذلك لان وراء مثل هذه الشهادة الصادرة عن شباب الكنيسة نفترض وجود هذه الركائز الثلاث التي تشكل عناصر الصحة والحيوية في كنيسة ما، ألا وهي: ١- اسرة مسيحية مؤمنة تكون بمثابة الارضية الصالحة لنماء وتنشئة الايمان لدى الشباب في اولى خطواته؛ ٢ - حورنة منفتحة ونشطة تحتضن هذا الشاب وتثق به وتعمق ثقافته المسيحية وتشجع قابلياته، وهذا يعني بالتاكيد وجود كاهن او كهنة نشطين وقريبين من الشباب يفهمون نفسياتهم ويقدرون طموحاتهم ويقراون حاجاتهم الروحية والانسانية. بمحبة واحترام؛ ٣ - حركات رسولية تلائم ذهنية الشباب وميلهم الى التواجد معا كاصدقاء وكمجموعات صغيرة للصلاة والعمل والتفكير والمشاركة في نشاطات الكنيسة: كزيارة المرضى والمحتاجين والمساهمة في التثقيف المسيحي للصغار والبالغين في مراكز التعليم المسيحي مثلا، والفعاليات الثقافية والاجتماعية والاحتفالات الكنسية الخ...

كل واحدة من هذه الحركات والمبادرات هي بمثابة مدرسة تطبيقية للشباب تكمل عملية تثقيفه المسيحي والانساني وترسخ قناعاته الايمانية وتقوي احساسه بالانتماء الفعلي الى الكنيسة وتجعله يشعر بمسؤولية فيها الى جانب الكهنة والاساقفة ومعهم، فهي كنيستته كما هي كنيستهم.

• شهادة شخصية من الماضي.. في بغداد

هذه الافكار راودتنا في نهاية الخمسينات وبالضبط في خريف ١٩٥٨. كنا ثلاثة كهنة في إحدى الخورنيات الكبرى في بغداد نجتمع بين حين واخر ونتحدث عن القضايا

التي تخص الشباب. وكنا نشعر كم أنهم بعيدون عن الكنيسة، وكم ان معلوماتهم الدينية معدومة او سطحية بقيت على مستوى الطفولة! وتساءلنا لماذا؟ - لان لا شيء يقدم لهم، لا شيء يغريهم في الكنيسة. هناك اخويات تقوية لم تعد تفي بالغرض. الكهنة غير قادرين لوحدهم على اعطاء التثقيف المسيحي لاسباب، منها طريقتهم التقليدية وغير الفاعلة في الرسالة وانشغالهم بامور اخرى كالخدمات الراعية والطقسية التي تستأثر اوقاتهم الخ... فدعونا بعض الاصدقاء ليشاركونا همومنا، وبدأنا ندرس كتابا بعنوان "لاهوت الرسالة العلمانية" كان قد ظهر حديثا، وأخذنا نتطلع الى اسلوب للعمل بمشاركة العلمانيين. فوق اختيارنا على الاخوية المريمية التي تستهدف اشراك العلمانيين في الرسالة بصورة منسقة ومباشرة، وأنشأنا مجموعة اولى من الشباب باسم "أم النعم"، واتخذت لها حقل عمل مساعدة الكهنة في التعليم المسيحي للصغار، وزيارة المرضى في المستشفيات، ومرافقة الكهنة في زيارة الاسر المسيحية. وسرعان ما اتسعت الاخوية المريمية فانضم اليها شباب وشابات موظفون وجامعيون وعمال جعلوا من حياة الصلاة والاخوة حافظا للعمل الرسولي وخدمة الخورنات حيث دب النشاط بعد حمول طويل.

وفي اواسط الستينات ظهرت الى جانب الاخوية المريمية نشاطات اخرى للشباب العلماني المسيحي كالاخوية الطلابية، وأخوية الصليب المقدس، وأخوية الشباب الجامعي، والنادي الثقافي المسيحي، ولجنة التثقيف المسيحي.. وكانت هذه الاخيرة تستقطب من تلك الاخويات نخبة من الشباب والفتيات الذين نالوا ثقافة دينية جيدة وتحركهم غيرة حقيقية للعمل الرسولي. فكانوا يقضون اوقات فراغهم وراحتهم لاعطاء دروس التعليم المسيحي في الكنائس للصغار ولطلبة المتوسطات والثانويات ولاعداد الاولاد للتناول الاول.

وكان هؤلاء الشباب يعدون مناهجهم بالاشترك مع بعض الكهنة على شكل ملازم توزع على الطلبة بجانا، كما كانوا يتناقشون سوية حول المواضيع التربوية والاجتماعية التي تخص طلابهم في مرحلة النمو والراهقة التي يمرون بها، وفي اساليب التدريس والتوجيه بما يناسب اعمارهم وقابلياتهم. وكانت لجنة التثقيف المسيحي تضم اكثر من ثلاثين شابا وفتاة يواصلون تثقيفهم الديني من خلال لقاءات الاسبوعية ومطالعاتهم ومشاركتهم في الندوات الدينية والدورات الثقافية المسيحية بموازرة زمرة من الكهنة والشباب. وكان مركز القديس يوسف الذي اتخذته اللجنة مقرا لها نقطة اشعاع رسولي وروحي للشباب يجمع المئات منهم.

وقد اختارت اللجنة مركزين رئيسيين لتجتمع الطلبة كل يوم جمعة من مختلف انحاء بغداد: مقر الجمعية الخيرية الكلدانية في الخربندة للبنين، وكنيسة سيدة النجاة للسريان الكاثوليك في الكرادة للبنات. وكانت بعض المدارس المسيحية قد وضعت سيارتها في خدمة نقل الطلبة الذين بلغ عددهم نحو ٦٠٠ فتى وفتاة^(١).

إنني عندما اعود الى هذا الماضي، لا ابغي مجرد احياء ذكريات قد تكون عزيزة علي وعلى من عاشوا تلك التجربة - من كهنة وشباب وعلمانيين - وانما اود ان اعيد الى الاذهان

الخبرة الفريدة التي اكتسبتها كنيسة العراق - وكنيسة بغداد بالذات - بدخول العلمانيين الى صميم الحياة الرسولية للكنيسة ومشاركتهم الفعلية المباشرة بمهمة التنشئة المسيحية، هذه المهمة التي كانت وقفا على الاكليروس، ولربما عبءاً أثقل مما تطيق كواهله لوحداه. لقد كانت الستينات حقاً فترة خصبة لكنيسة العراق، ليس في بغداد حسب، بل في سائر الابريشيات، حيث استيقظت وكأها من سبات حين رأت عدداً كبيراً من الشباب في خدمتها. اُضيف الى ذلك ان اجتماع الشباب تحت اسم المسيح، في حد ذاته، قيمة ايجابية لحوية الكنيسة، ووسيلة فعالة لخلق الروح الجماعية والمحبة فيما بينهم، ولتحويل الانتماء المسيحي الاسمي الى التزام فعلي وشهادة حياتية. ولا يخفى ما في هذا الالتزام من مردودات ايجابية وخيرة على سلوكية الفرد المسيحي وقناعاته وعطائه اجتماعيا وانسانيا ووطنيا وتكوين شخصيته تكويناً سوياً.

• النكسة

ولكن نكسة قوية اصابته هذه الانطلاقة في بداية السبعينات واهارت تلك المبادرات الواحدة تلو الأخرى لأسباب مختلفة خارجة عن ارادتها. وكان لاختفاء الاخوية المرمية الاثر المباشر على تضعف لجنة التثقيف المسيحي ثم ضياعها، لانها كانت المورد الاكثر عطاء للشباب العاملين في الخورنات في حقل التعليم المسيحي.

على اثر ذلك تحول بعض الكهنة الى نمط بديل للتعامل مع الشباب على نطاق الخورنة وبصورة فردية لا علاقة للواحدة مع الأخرى. فصار كل كاهن يجمع ما استطاع من معاونين لاعطاء التعليم المسيحي تحت اشرافه، ايام الجمع، وغالباً ما ينصرف هو الى الخدمات الراعوية التي تتكثف ايام الجمع. وصارت هذه المراكز، بالرغم من العمل الايجابي الذي تقدمه في مجال التنشئة المسيحية، تنسم احياناً بروح الارتجال والانطواء الطائفي والانكفاء الخورني حيث يبدو كل كاهن وكأنه يسعى الى حفظ كيان كنيسته وجماعته. غير ان ما تعاني منه هذه الصيغة بالاكتر هو ضعف الكادر التعليمي، والافتقار الى كتب ومناهج حقيقية وجدية، وضييق المكان، وغياب التنسيق والتعاون وتبادل الخبرات مع سائر المراكز.

إن آثار هذه النكسة لا زلنا نعاني منها حتى اليوم، وكل طائفة منغلقة على نفسها، مع ان عملية التثقيف المسيحي مشروع مشترك يتصل مباشرة بالكيان المسيحي لكنيسة العراق ككل ومستقبلها الواحد.

• محاولات الخروج من العزلة

ان الخورنة الواحدة، بامكانياتها المحدودة، لا تستطيع ان توفر للشباب كل حاجاتهم. فما يحتاج اليه الشاب هو: ١ - تعليم منظم وممرج وواضح وقوي البنية يعطى باساليب تربوية عصرية ويوجب الى تساؤلهم وحاجاتهم الدينية والانسانية، وسط بيئة اجتماعية وفكرية متحركة وغنية بالمعلومات العامة والمغريات الثقافية والانسانية. وهذا

يقتضي كادرا تعليميا كفوعا ومعدا اعدادا جديا كما اسلفنا، مما لا تقوى عليه الخورنة لوحدها. ٢ - جعل عامل التسلية وروح الجماعة عنصرا مكونا في العملية التربوية والتثقيفية حتى اذا كانت التربية تربية دينية.

ففي هاتين النقطتين الجوهريتين تحتاج مراكز الخورنات الى اعادة النظر في اساليبها الحالية. اجل هناك جهود مشكورة يبذلها المسؤولون، سواء كان في البرامج الثقافية ام الدينية، ولكننا نعود ونقول بأن الخورنة وحدها وبامكانها الذاتية عاجزة عن توفير هذين المطلبين. وإذا نجحت في توفير الثاني، فالاول -اي إعداد المناهج والكوادر بصورة مرضية- يتجاوز اكتافها بالتأكيد.

ازاء هذا التشتت، تحرك بعض الكهنة في السنوات الاخيرة للخروج من الفردية ويجاد صيغ من التعاون والتنسيق افضل. غير ان الاطراف المعنية لم تنجح حتى اليوم (في بغداد) في تشكيل لجنة مشتركة بين الطوائف المسيحية للتنسيق والتخطيط. كما باءت بالفشل كل الجهود المبذولة التي انضم اليها بعض الاساقفة ايضا، في انشاء مركز رئيسي مشترك لشؤون التثقيف المسيحي يكون بمثابة مركز وثائقي ومصهر للخبرات ولتنسيق الوسائل التعليمية واعطاء تنشئة ثقافية متكافئة لمعلمي المراكز. ذلك لان التثقيف الديني ليس متوقفا على معلومات نظرية تنقل في تعابير جاهزة من المعلم الى الطالب. علاوة على ان المادة التي يعطيها المعلم ينبغي ان يحياها كمؤمن قبل ان ينقلها كمعلومة.

ولكن من اين يحصل الشاب الذي يقدم نفسه للرسالة والتعليم على هذا "الرصيد" ان لم يعط له؟ فنحن بحاجة ماسة اذن الى معالجة مشكلة تدريب مدرسي التعليم المسيحي بصورة موضوعية. علاوة على ان فترة التدريب هي فرصة تساعد المدرس الشاب على تجديد ايمانه وتعميق قناعاته والشعور بمسؤوليته الانجيلية تجاه طلابه.

• آمال وتطلعات

من كل ما تقدم يتضح لنا ان لدى الشباب طاقات هائلة ورصيدا عاليا من الاستعداد للعطاء، وبقي على الكنيسة ان تستقطب هذه القوى الكامنة وتعرف كيف توظف هذه الطاقات والمواهب في الحقل الرسولي. واول شرط لهذا التفاعل هو الثقة التي ينبغي ان يضعها رجال الكنيسة -كهنة واساقفة- في الشباب، فيفسحوا لهم المجال ليلعبوا دورهم المنتظر في الرسالة الانجيلية. هذه الثقة شرط اساس ومن دونه لا يمكن للشباب ان يلتزموا بمجدية اي دور ذي اهمية تذكر في حياة الكنيسة. كما ان هذه الثقة -اذا اريد لها ان تكون موضوعية وفاعلة- تفترض مسبقا مد جسور الترابط والاعتراف من كلا الطرفين - اعني بهما السلطة الكنسية والشباب - بالمسؤولية المشتركة تجاه الكنيسة وتجاه مشروع التنشئة المسيحية.

اذا انطلقنا من هذه القاعدة، فنظرنا الى كيفية "توظيف" طاقات الشباب في المساهمة في العملية التربوية المسيحية نسوقها على النحو التالي:

١ - ان دعوة الشباب العلماني الى الالتزام بعملية التثنية المسيحية دعوة طبيعية ومنطقية وليست بدعة جديدة لراحة الكهنة، وذلك للاعتبارات التالية: أ- انطلاقا من سري العماذ والتبشير، كل مسيحي مدعو للعمل في الرسالة الانجيلية. ب- لطاقت العطاء والاندفاع الموجودة لدى الشباب. ج- لمواهبهم وانطباعهم على الحركة والابداع والتجديد. د- لقرهم من نفسية الطلبة من جيل الصغار ومن الكبار، مما يتيح لهم فهم مشاكلهم والاستماع الى اسئلتهم ومعرفة لغتهم ومفرداتهم الخاصة. هـ- لرغبتهم السخية في ان يكونوا نافعين للكنيسة. و- لشعورهم بالمسؤولية بروح عالية اذا ما انيطت بهم المسؤولية ووضوا موضع ثقة. ز- لقبولهم التوجيه بيسر واحترام ولثقة عالية التي يضعونها في الكنيسة، ودليل ذلك التفاهم حول الكاهن. ر- استعدادهم ان يبذلوا من وقتهم وراحتهم لمشروع يجونه، دونما مقابل سوى الثقة واخبة.

٢ - افضل حقل رسولي متوفر لتوظيف هذه الطاقة هو حقل مراكز التثيف المسيحي في الكنائس. فهم خير اعوان للكهنة في الرسالة. وبما ان هذه المراكز اصبحت المورد الوحيد تقريبا لاعطاء التعليم المسيحي للنشء الجديد، فيجب ان توليها الكنيسة اكير الاهتمام وتعمل على رفع مستواها وزيادة عددها وتزويدها بما تحتاجه من قاعات صحية ووسائل تعليمية، ولا تبخل عليها لا بتشجيعها المعنوي ولا بالمال اللازم لتطويرها.

٣- واهم عنصر لرفع مستوى هذه المراكز هو الاهتمام بنوعية التعليم الذي يعطى فيها. من هنا اهمية اعداد وتعميق المناهج التعليمية بحسب المراحل الدراسية المختلفة واغنائها بالخبرات والتوجيهات الحديثة في الكنيسة الجامعة، والتخلي عن الارتجالية والسطحية في مفردات التعليم المسيحي. اذ ان المادة الدينية في التعليم المسيحي مادة ايمانية مرتبطة بالحياة اكثر مما هي معلومات تلقى وتحفظ للامتحان^(٢).

٤- اذا كان من المفرح حقا ومن دواعي الاعتزاز ان يكون ثمة شباب وفتيات (ومنهم موظفون ومهندسون واطباء واحيانا الزوج والزوجة معا) يتبرعون بوقتهم ويتطوعون لهذه الخدمة، فمن المنطقي والضروري ان نعدهم لهذه المهمة بتوفير دورات تثقيفية مركزة تؤهلهم لأتمان تعليم الصغار او الكبار بالتزود بثقافة لاهوتية وكتابية جادة والاطلاع على اساليب التربية الحديثة على ضوء العلوم الانسانية كعلم النفس التربوي والأسري والاجتماعي^(٣).

وفي هذا الباب نوصي بالحاح شبانا وشاباتنا العاملين في حقل التعليم المسيحي بارتداد الدورات اللاهوتية للعلمانيين المقامة في الموصل وبغداد حيث تتم الدراسة بشكل منهجي وجاد على يد آباء كهنة واساقفة على مدار السنة الدراسية. وتتناول مواد اللاهوت الادبي والنظري والفلسفة وتاريخ الكنيسة والكتاب المقدس والطقوس الكنسية.

كما نتمنى ان تكون هذه الدورات مصدر اشعاع لفروع تثقيفية اخرى، وحبذا لو تطورت واصبحت بمثابة مراكز تاهيلية رسمية بتشجيع السلطة الكنسية لتخريج كوادر واساتذة التثيف المسيحي في العراق.

٥- الى جانب هذه الدراسة المكثفة، من المستحسن جدا ان يعقد اعضاء الهيئة التدريسية مع كاهنهم في كل مركز -كما يجري الآن- او لعدة مراكز، اجتماعات دورية لمناقشة الخطة التدريسية وتقييم الخبرات من ناحية مضمون المادة التدريسية ومن النواحي العملية والتطبيقية الاخرى.

وفي الختام نسوق أمنييتين للمستقبل نراهما نافعيتين للفاعلية والانتاجية الافضل في حقل التثيف المسيحي وهما:

أ - مركز وثائقي مشترك او اكثر في كل مدينة لشؤون التثقيف المسيحي يزود المراكز المختلفة - عن طريق الشراء او الاستعارة - بوسائل الايضاح كالأفلام السينمائية والفيديو والسلايدات والكتب والنشرات والبوسترات والشرائط المسجلة وغيرها مما يستجد وينفع في حقل التربية الدينية.

ب - لجنة مشتركة لشؤون التثقيف المسيحي في كل مدينة لتنسيق النشاطات وتطويرها، كما هو الحال في الموصل، يضم كهنة وعلمانيين وراهبات، ومن المحبذ، اذا رأت السلطة الكنسية ذلك، أن يرأس اللجنة أحد السادة الاساقفة.^(١)

(بالاشتراك مع الاب يوسف عتيشا)

(١) حول نشاط اللجنة لطلاب المدارس الابتدائية ووضع مراكز التثقيف المسيحي في بغداد حاليا، انظر تحقيق برناديت غفص في ف . م . ك ١٩٨٤.

(٢) نشير هنا الى مبادرتين جديدتين، الاولى في الموصل حيث صدرت الأجزاء الأربعة الاولى من سلسلة التربية المسيحية بعنوان "مسيرة الايمان" للصف الاول والثاني والثالث المتوسط والرابع الاعدادي. والأخرى في بغداد حيث يجتمع كهنة مسؤولون عن المحوريات مرة في الشهر لمناقشة وتنظيم مادة التعليم المسيحي في المراكز، وقد توصلوا الى الاتفاق على تأليف دروس ملائمة للمتوسطة والثانوية.

(٣) جرت في الموصل عدة دورات لاهوتية صيفية للعلمانيين منذ السبعينات وكانت دورة ١٩٨١ التي نظمتها مراكز التثقيف المسيحي لتأهيل مدرسي ومدرسات التعليم المسيحي للمراكز والمدارس.

(٤) لأستكمال الموضوع انظر "التثقيف المسيحي في العراق... الى أين؟" ف . م . حزيران ١٩٧٥ وت ١٩٧٥.

ماذا قال المجمع قبل عشرين عاما

في ٧ كانون الأول ١٩٦٥ - أي قبل عشرين عاما بالتمام والكمال - اختتم المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني أعماله بعد ثلاث سنوات من الدراسات والمناقشات والتكثيف الإعلامي الذي جعل الكنيسة الكاثوليكية في حينها في واجهة وسائل الإعلام العالمية. وفي ٨ ك١ الحالي يختتم سينودس الأساقفة العام خارج العادة أعماله في روما بعد انكبابه على تقييم ما تحقق في الكنيسة من مقررات ومن توجهات المجمع، عشرين عاما بالتمام والكمال بعد اختتامه. في العرض التالي لن نتوخى التحليل ولا التبسيط في مجمل الوثائق الجمعية، وإنما الاكتفاء باللقاء بعض الضوء على الطروحات الجديدة التي انضرد بها الفاتيكاني الثاني، علنا بهذا نعيد إلى الأذهان حيوية الروح التي لا زال ينعش بها كنيسة اليوم.



لا يختلف اثنان على ان المجمع الفاتيكاني الثاني يشكل ابرز حدث على الإطلاق في حياة كنيسة القرن العشرين، وانه طبع وسيطع حياة الكنيسة لمدة طويلة. وإذا كانت المجمع المسكونية تتعقد عادة لمعالجة القضايا العقائدية والمسلكية - وغالبا ما تخرج بتحديدات وحرومات وضوابط لرص الصفوف ووقاية المؤسسة الكنسية من رياح العالم الخارجي والانحرافات - فقد انعقد الفاتيكاني الثاني في ظروف كنسية آمنة وتحت شعار "التجدد والانفتاح": التجدد في الداخل، والانفتاح نحو الخارج، لكي تظهر الكنيسة أكثر شبابا وتألقا وأكثر جاذبية ومصداقية. ولقد انعكس هذا الروح في الوثائق الجمعية التي استبعدت كل حكم سلمي أو إدانة أو حرم تجاه العالم وقيمه. بل بدت الكنيسة فيها "متضامنة مع الجنس البشري ومع تاريخه" كما جاء في مدخل الوثيقة الراعوية "الكنيسة في عالم اليوم". وهذه الرؤية من قبل الكنيسة تجاه العالم اعتبرها الكثيرون بمثابة "فعل تحرري"، حيث إن "التقبل الحقيقي لسر المسيح يدفعنا إلى نبذ كل فصل بين الاهتمام بشؤون الله وشؤون الإنسان.. إذ ان بين الحياة اللاهوتية والنضال من اجل الإنسان صلة وثيقة".

فالبعد الراعوي الذي اتسم به المجمع لا يجد شرعيته إلا بارتباطه العضوي بالبعد العقائدي. أليس هذا هو الحال بين النظرية والتطبيق؟ لان مجمعا راعويا - وان كان مسكونيا وشاملا- لا ينفرد في تقليد الكنيسة، ليس سوى "مؤتمر كوادر" لوضع استراتيجيات بشرية محضة. كما إن مجمعا عقائديا يتجاهل البعد التبشيري الذي يستمد فاعليته من الإيمان الحي هو مجرد "حلقة دراسية" دينية ليس إلا، بحسب عبارات المطران فيليني رئيس مجلس أساقفة فرنسا. والحال إن المجمع، في روحه وفي مقرراته، لم يبع سوى تعميق الإرث الفكري واللاهوتي والتبشيري الذي غذى الكنيسة في تاريخها الطويل وإعادة الحيوية إليه بإيصاله إلى

نهايات منطقته. لذا فان الفاتيكانى الثانى، ببعديه العقائدى والراعوى، ما هو إلا حصيلة حاصل تاريخى لمسيرة الكنيسة وخبرتها الحياتية والفكرية والرسولية وصلتها الجدلية الدينامية مع العالم.

لا شك إن المجمع جاء في منعطف حضارى عالمى شامل من إعادة النظر في كل شيء، وقد يكون من باب التعامى عن الحقيقة لو ادعينا ان أجواء التحرر والتغير والتقدم الخارجية لم تؤثر على توجهات المجمع. فلقد جاء المجمع فعلا ليحرك في الكنيسة أوضاعا طال جمودها، في حياتها الداخلية، وفي أسلوب رسالتها وتعاملها مع الكنائس الشقيقة، وفي علاقاتها مع العالم. وقد حملت مقرراته طروحات فكرية وتوجيهات مسلكية عملية عديدة لم يسبقه إليها مجمع آخر مثل: "الكنيسة شعب الله"، ودور العلمانيين الحيوي في حياة الكنيسة ورسالتها الإنجيلية، السلطة الجماعية وإشراك الأساقفة "كفريق عمل" في تسيير الكنيسة الجامعة مع البابا أو في نطاق مجالس الأساقفة أو سينودسات الكنائس الخاصة، مساهمة الكنيسة في معالجة قضايا المجتمع الإنسانية، الحرية الدينية، التصور الجديد لأسس الحوار بين الكنائس، العلاقة مع الأديان وحتى مع الإلحاد المعاصر، وسائل الإعلام الخ... وتقسم مقررات الفاتيكانى الثانى إلى ٣ أنواع: الدساتير(٤)، والقرارات (٩)، والبيانات (٣):

• دستور راعوى في الكنيسة وعالم اليوم

إن أهم الدساتير وأكثرها جدة وأطولها دراسة وتشعبا هو "الكنيسة في عالم اليوم"، وهو يقسم إلى مقدمة وقسمين وخاتمة.

تستعرض المقدمة الوضع البشرى بتغيراته وتناقضاته الاقتصادية والاجتماعية واختلالاته الأخلاقية والدينية وبطموحاته، وتعلن تضامن الكنيسة مع هذا الواقع حيث هي لخدمة الإنسان. ويتناول القسم الأول وضع الإنسان في حضارة لا تنفك تتطور، فيؤكد على قيمة الإنسان كفرد وكمجموعة، ويبين دور الحرية والعقل والضمير في البلوغ إلى الخير، ومن ثم إلى الله. وإذا شجبت الكنيسة الإلحاد لكونه انتقاصا من كرامة الإنسان، فهي تقف موقف الاحترام من كل إنسان، حتى الملحد، متوخية المساواة الجوهرية بين جميع الناس، إذ ان على هذه المساواة يرسو التضامن البشرى والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان. هذا المجتمع الأخوي العادل تساهم الكنيسة مباشرة في إرساء قواعده، كجزء من رسالتها، متضامنة مع جميع ذوي الإرادة الصالحة. وإذ تعطي، فهي تأخذ أيضا، لذا فهي تعترف بإفادتها من التاريخ ومن تطور الإنسان وثقافته المتنوعة.

أما القسم الثانى فينتطرق إلى خمس من اشد المشاكل العصرية إلحاحا، بغية اضاءتها بنور الإنجيل والعمل على إيجاد الحلول لها وهي: الأسرة وشرف الزواج والحب واحترام الحياة، الثقافة وعلاقتها بالإيمان، النمو الاقتصادي والاجتماعي والعدالة في توزيع خيرات الأرض. ويعتبر هذا الفصل أكثر عناصر الدستور جدة: الحياة السياسية؛ استقلالية الجماعتين

السياسية والكنسية وان اشتركنا في خدمة الخير العام، كل واحدة من موقعها؛ قضية حفظ السلام مع ما يتضمن ذلك من شجب للحرب ولسباق التسلح والدعوة إلى معالجة الخلافات بالتفاوض على أسس التعاون الدولي.

ولعل الكلمة الأساس في كل هذا الدستور هي "الحوار" البناء الفاعل بين الكنيسة والعالم بقيمه وطاقاته الإيجابية ومعضلاته الواقعية، ومساهمة المسيحيين في تطوير المجتمع البشري، كأفراد ملتزمين في بلدانهم الخاصة وكحضور كنسي رسمي في الهيئات الدولية.

• مهتمو عقائدي في الكنيسة

• قرار في مهمة الأساقفة الراعوية

الجديد الجديد في الدستور الذي عد "تحفة" المجمع هو

١ - التحديد الذي أعطاه عن الكنيسة بوصفها "شعب الله"، متجاوزا التحديد القانوني البحث إلى سر الكنيسة "كدليل وأداة للاتحاد بالله ولتوحيد الجنس البشري".

٢ - مفهوم "كهنوت المؤمنين"، اعني اشتراك المؤمنين بكهنوت المسيح الفاعل، حسبما ورد في رسالة بطرس الرسول، وفي مهامه الإنجيلية والتقليدية.

٣ - مفهوم الخدمة الأسقفية الجماعية. قد لم تتخلص الكنيسة الكاثوليكية تماما من النظرة "الفوقية" التي وسمتها طويلا تجاه الكنائس الأخرى، ولكنها أخذت عنها، ولاسيما الشرقية منها، نظرتها اللاهوتية إلى "جماعية السلطة" وإلى كيان الكنائس الخاصة، وبذلك ردت الاعتبار إلى الكنائس المحلية وصار كل أسقف "بوصفه عضوا في الحلقة الأسقفية يمارس السلطة الراعوية على الكنيسة الجامعة، ومن هذه الكنائس المحلية تتكون الكنيسة الجامعة الواحدة".

هذه المبادئ العامة عاد إليها "القرار في مهمة الأساقفة الراعوية في الكنيسة"، فتطرق إلى النواحي التطبيقية "للجماعية" التي تتجسد فعليا في المجمع المسكونية وفي السينودسات الطائفية، والمجالس الأسقفية المحلية والإقليمية، والسينودس العام الذي يلتزم مع البابا كل ٣ سنوات، وفي مجلس الكرادلة الذي اتسعت حلقة تمثيله الوطني والكنسي والثقافي، كما اتسعت المهام المسندة إليه على نطاق الكنيسة الجامعة.. وغيرها من وسائل "التشاور والاستمراج" الجماعية.

• قرار في رسالة العلمانيين

قرار فريد آخر يرد لأول مرة في تقليد المجمع. فبعد أن تنكرت الكنيسة عن الكلام عن العلمانيين وانحازت إلى جانب الكهنة على حسابهم منذ المجمع التريدينتيني، انكب الفاتيكان الثاني على إخراجهم من دائرة النسيان إلى دائرة الضوء كقيمة في ذاتهم وتوظيفهم توظيفا كاملا في مشروع الإنجيل، كأعضاء أصيلين كاملي الحقوق والواجبات. وهذا القرار

إنما يتكامل مع ما جاء حول العلمانيين في الدستور "العقائدي في الكنيسة" و "الراعي في الكنيسة في عالم اليوم"، ويتمحور حول قطبين اثنين:

- ١ - دور العلمانيين في تجديد النظام الزمني بحسب روحانية الإنجيل عن طريق الالتزام الشخصي وفي الهيئات الوطنية والدولية.
- ٢ - دور العلمانيين في حياة الكنيسة وحقوق العمل أرسولي المختلفة، الفردية والمنظمة، وسبل التنشئة والتطبيق، وغني عن القول إن للشبيبة موقعا خاصا في هذا التوجه، باعتبارها الشريحة الفاعلة والرئيسة في صف العلمانيين^(١).

• قرار في الحركة المسكونية

• قرار في الكنائس الشرقية الكاثوليكية

بالرغم من ان الروح المسكونية قد هيمنت على جميع أعمال، بل على مفردات المجمع، وذلك برغبة واضحة في خلق جو من الثقة بين الكنائس الشقيقة، فقد خص الفاتيكانية الثاني الحركة المسكونية بقرارين. وعندما نعرف ان موضوع الوحدة المسيحية كان بمثابة النواة المركزية لإعلان انعقاد المجمع في فكر يوحنا ٢٣، لا نستغرب هذا الإلحاح.

ففي القرار الأول يبدأ المجمع بوضع تصوره لسر وحدة الكنيسة الجامعة وتلم هذه الوحدة بالانقسامات التي تخالف إرادة المسيح، ليرسم من ثم السبل العملية للبلوغ سوية إلى "ملء الوحدة". فإذا بما تمر أولا بتحدد الكنيسة الداخلي والتوبة والمصالحة المتبادلة والصلاة المشتركة، ومن ثم إلى فتح أبواب التعاون الراعي والحوار اللاهوتي والعمل إلى أقصى مدى. وقد تميز القرار فعلا بتقدير بالغ للتقليد اللاهوتي والراعي والليتورجي الشرقي.

هذا التقدير كان محور القرار الجمعي "في الكنائس الشرقية الكاثوليكية" التي يرى فيها المجمع "جسرا" للوحدة المنشودة. باعتبارها كاثوليكية المذهب والمرجع وشرقية التاريخ والتراث في آن واحد؛ وإذا توجه المرسوم إلى الشرقيين الكاثوليك، فهو موجه أيضا بطريقة غير مباشرة إلى الشرقيين الأرثوذكس أيضا...

يعترف المجمع بان هذه الكنائس الشرقية (الكاثوليكية)، وان ارتبطت بروما كسلطة عليا، فهي كيانات مستقلة تتمتع بذات الحقوق في الكنيسة الجامعة وعليها ذات الواجبات، ولا تفقد خصوصياتها لا إداريا ولا طقسيا، فالوحدة ليست ذوبانا ولا انصهارا، ويحرص المجمع على النظام البطريركي الشرقي حيث أن "البطارقة مع مجامعهم يؤلفون المرجع الأول في كل أمور البطريركية". ولكل كنيسة بطريركية قوانينها ونظمها الخاصة، ويقول بمساواة البطارقة جميعا في الكرامة البطريركية. وأوصى المجمع بإيجاد تاريخ موحد لعيد الفصح مع الأرثوذكس.

• قرار في وسائل الإعلام الاجتماعية

لأول مرة تنال وسائل الإعلام دخولا إلى قاعة مجمع مسكوني. لا غرو، فإذا اعترف المجمع بفاعلية هذه التقنيات في المساهمة في تطوير الإنسان والترويج عنه وتنقيفه،

وفي التأثير على "الرأي العام"، فقد تناول الموضوع من زاويته الأدبية والأخلاقية، وليس من جانبه التقني. فتحدث عن حق الناس في الإعلام التزيه لبناء أحكام نزيهة، وعن علاقة الفن والآداب بالأخلاق. وعن ضوابط الإنتاج الإعلامي والصحفي والأدبي، وعن واجبات السلطات العامة في توفير "حماية الحرية الإعلامية الصحيحة" شريطة أن "لا يساء استخدام الإنتاج الإعلامي". ومن ثم أفضت الوثيقة الى حق الكنيسة في استخدام هذه التقنيات بمختلف أشكالها لخدمة الرسالة الإنجيلية، وضرورة إعداد كوادر مختصة لها.

وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني

• دساتير:

دستور عقائدي في الكنيسة

دستور عقائدي في الوعي الإلهي

دستور عقائدي في الليتورجيا المقدسة

دستور راعي في الكنيسة وعالم اليوم

• قرارات:

قرار مجمعي في مهمة الاساقفة الراعية في الكنيسة

قرار مجمعي في حياة الكهنة وخدمتهم الراعية

قرار مجمعي في التنشئة الكهنوتية

قرار مجمعي في تجديد الحياة الرهبانية وملائمتها

قرار مجمعي في رسالة العلمانيين

قرار مجمعي في نشاط الكنيسة الارشادية

قرار مجمعي في الحركة المسكونية

قرار مجمعي في الكنائس الشرقية الكاثوليكية

قرار مجمعي في وسائل الاعلام الاجتماعية

• بيانات:

بيان في الحرية الدينية

بيان في علاقات الكنيسة بالاديان غير المسيحية

بيان في التربية المسيحية

• بيان في الحرية الدينية

• بيان في علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية

محوران بكران آحران يحظيان بعناية المجمع لأول مرة في التاريخ. وموضوع الحرية الدينية وتطبيقها في بعض البلاد. و"المقصود بالحرية الدينية هنا هو ذلك الحق الطبيعي العام الذي يقره الشرع المدني، فيبعد كل ضغط على الإنسان في الشؤون الدينية.. ليتصرف عكس معتقده وإيمانه.. أو يمنعه بالقوة من ممارسة ديانته وفقا لإيمانه". وتشمل هذه الحرية ليس فقط ممارسة الشعائر، بل وسائل التربية والتثقيف والتنظيم والنشر الهادفة إلى تنشئة المؤمنين، شريطة أن لا يتنافى ذلك مع سلام المجتمع وحقوق الآخرين. وتطالب الوثيقة بهذه الحرية للكنيسة أولا، ولجميع الناس، أفرادا وجماعات، عملا بمبدأ تكافؤ الفرص. كما إنها تقر بحق رفض الإيمان أيضا، عن حرية وقناعة، إذ لا اكراه في الدين.

الدولة ملزمة بصيانة هذه الحرية لكافة المواطنين "بضمانات قانونية"، والعلاقات بينها وبينهم ينبغي أن تبنى على أساس الحقوق والواجبات التي تصب كلها في الخير العام. وإذا ما أقر نظام ما بدين رسمي للدولة -أو تبنى الإلحاد لها- لا ينبغي أن يتخذ من ذلك وسيلة أو حجة للتمييز والفرقة بين المواطنين، لان هذه الحرية ترتكز على كرامة الإنسان بالذات، والمساس بها مساس بشخصه.

وانطلاقا من هذه الأسس، وبروح الانفتاح والحوار الذي اتسم به الفاتيكان الثاني، جاء التصريح "في علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية". علما بان أيا من المجمع المسكونية السابقة لم يتطرق قط إلى الأديان الأخرى.

وقد اثار هذا التصريح ضجة كبرى في حينها في فقراته المتعلقة باليهود، وكان للآباء الشرقيين دور رئيس في تعديله لئلا يستغل في غير هدفه الديني. فالهدف الأساس منه هو إقامة الحوار والتعاون في الاحترام المتبادل بين الديانات، لاسيما السماوية، من اجل خدمة الإنسان والاخوة الشاملة وضمن السلام. وقد خصت الوثيقة بالذكر الديانات الكبرى: الأسبوية (كالهندوسية، والبوذية)، والإسلام، واليهودية، وقد ركزت على نقاط التلاقي مع المسيحية لا التباين، ودعت إلى الثقة المتبادلة ونبذ سلبيات الماضي.

خاتمة

لقد كان بودنا أن نستعرض كلا من الوثائق ال ١٦ التي تشكل حصيلة مقررات المجمع، ولكن ضيق المجال في هذا الركن لم تتح لنا سوى الاكتفاء بالتي حملت عناصر الجدة والثورية، إذا صح القول، بالنسبة إلى الطروحات الجمعية التقليدية، وان اتصفت كلها بهذا

العنفوان الذي بعث في شرايين الكنيسة حيوية الشباب والشجاعة على مراجعة شاملة للذات، لذا نهيب بالقاري للعودة إلى ما نشرته المجلة من نصوص ودراسات حول الوثائق المذكورة^(٣).

(١) انظر ف.م.ت ١ ت ١٩٨٥ "الشباب والكنيسة".

(٢) الدراسات: المجمع ووثائقه (سلسلة ١٩٦٦/٢٤) وثيقة الكنيسة في عالم اليوم (سلسلة ١٩٦٧/٣٦-٣٥)، الاتجاهات الرئيسة للمجمع. (ك٤/شباط ١٩٨٣). الحرية الدينية على ضوء المجمع (آب/أيلول ١٩٨٥). رسالة العلمانيين: الشباب والكنيسة (ت ١ ت ١٩٨٥).

النصوص: الحركة المسكونية (شباط ١٩٧٩) الكنيسة في عالم اليوم (حزيران وت ١ ١٩٧٩). ت ١ وت ٢ ١٩٨٠.. ت ١ ت ٢ ١٩٨٤. التربية المسيحية (ك١ ١٩٧٩). الحرية الدينية (آذار ١٩٨٠). الوحي الالهي (ت ١ ت ٢ ١٩٨٢).

- + انجيل برنابا، بحث في تكوينه وإصله/كتاب/شباط
 مع الدكتور موريس إسمه/مجلس كنائس الشرق الأوسط/مقابلة/أيار
 + كوبا: النسيج يهب على الكنيسة /ملف/حزيران
 *المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني بعد ٢٠ عاما/معه خاص/١-٢ (المجلد ٣١٤)
 + الزيارة البابوية الثالثة لفرنسا /ش.ر/ ١٤

انجيل برنابا بحث في تكوينه وإصله

"انجيل برنابا" عنوان كلما أثير أثار فضولا متميزا لدى القارى العربي وفاق مئات الأسئلة (١). ولويجي سيريللو، الأستاذ في جامعة السوربون بلج موضوعا شائكا ومعقدا ومتداخلا عندما يختار هذا "الإنجيل" موضوعا لأطروحتيه (٢). ولكنه لا يتناول الموضوع من زاوية جدلية لمناقشة صحة طروحات "برنابا" أو عدم صحتها من الناحية العقائدية، وإنما يحقق، أكاديميا وعلميا، المخطوطة الوحيدة الموجودة "لإنجيل برنابا" وهي محفوظة في المكتبة الوطنية في فيينا (النمسا) تحت الرقم ٢٦٦٢ وباللغة الايطالية القديمة.

ان أول ما يلفت القارى العربي في هذه المخطوطة هي الهوامش المبعثرة في حواشي المخطوطة باللغة العربية، ومعظمها لوصل النص بالتلميحات الكتابية والآيات القرآنية خاصة؛ اما لغتها، فركيكة لا توحى بأنها من عربي أصيل أو متضلع، وكذلك خطها. أما النقطة المحورية التي يدور حولها النص، فهي ان يسوع يعلن أن آخر سيأتي بعده لاستكمال الوحي، هو محمد خاتم الأنبياء، وهذا التقليد الإسلامي العريق ينسب "الإنجيل" الذي نحن بصددده إلى احد تلامذة يسوع، برنابا. وهنا يثار سؤالان:

١ - على مَ تستند شهادة "برنابا" هذه؟

٢ - ما هي الحلقات التي تتيح الوصل بين هذه "الشهادة" المحورية، ونص "الإنجيل" الوارد في مخطوطة فيينا العائد إلى القرن ١٨، و "إنجيل برنابا" المفقود والمذكور في مجموعة الكتب المنتحلة في القرن الأول؟

للإجابة على هذين السؤالين ينطلق سيريللو من المخطوطة من ثلاثة محاور تتكامل في ما بينها:

أ - دراسة طبيعة الخط والمخطوط

ب - النقد الأدبي واللغوي للنص

ج - النقد التاريخي حيث يبحث عن البيئة الدينية والاجتماعية التي كتب لها وفيها هذا "الإنجيل".

ويتضمن تحقيق لويجي سيريللو قسمين، خص الأول لدراسة تركيبية واصل "إنجيل برنابا"، والثاني يحتوي النص المصور للمخطوطة مع ترجمته الفرنسية، ويقع الكل في ٦٠٠ ص من القطع الكبير. ويشتمل القسم الأول على تسعة فصول مع خلاصة عامة:

في الفصل الأول: يرى المحقق ان تجليد المخطوط شرقي، ومن أسلوبه يعود به إلى الثلث الثالث من القرن ١٦. أما طبيعة الخط فردية واللغة ايطالية قديمة تعود إلى منطقة البندقية في منتصف القرن ١٦. ومما يستدل به المحقق إلى تلك الحقبة، مؤشرات أخرى، منها النقطة على حرف ما لم يكن موجودا قبل القرن ١٦. غير أن المخطوطة لا تحمل أي تاريخ صريح سوى أنها مهداة بديباجة لاتينية وبخط مغاير إلى الأمير اوجين أمير سافوا في ٢٠ حزيران ١٧١٣.

إلى جانب هذه المخطوطة، أو بمعزل عنها، ذكر الباحثة الغربيون، ومنهم أدريان ريلاند في كتابه "الديانة المحمدية" الصادر عام ١٧١٧، إن "للمسلمين أيضا إنجيلهم، ومخطوطته موجودة بالعربية والاسبانية". وفي ١٧٣٤ ورد أن المخطوطة الاسبانية مترجمة عن الايطالية. ولكن المحقق يقارن بين النص الاسباني ونص فيينا الايطالي الأقدم، فيجد فروقات كثيرة في المبنى، وان الاسبانية خالية من الهوامش العربية، فيستدل إن مخطوطة فيينا التي يدرسها ليست الأولى، وان كانت الوحيدة حاليا.

في الفصل الثالث، يتطرق المحقق إلى البنية الفكرية "لإنجيل برنابا"، فيرى أن مشروعاً عقائدياً لدعم "الدين الحقيقي" الحنفي الواحد يجمع ما هو مشترك بين ديانات الكتاب الثلاث، فيعتمد تقاليد يهودية توراتية، ومسيحية إنجيلية، وإسلامية قرآنية.

في الفصل الرابع، يحلل عنوان "الإنجيل" ومقدمته وخاتمته. فمنذ المقدمة يعطي المؤلف "برنابا رسول يسوع الناصري"، النيرة الجدلية الصدامية لإنجيله الذي يوجهه "إلى جميع سكان الأرض" ضد أولئك" الذين يعلمون تعليماً كافراً بتسميتهم يسوع ابن الله، ويرفضون الحثان عهداً ابدياً مع الله، ويأكلون اللحوم المحرمة، ومنهم بولس نفسه".

هذه المقدمة يعيدها المحقق إلى بيئة مسيحية - يهودية أكيدة، ويرى فيها صدى واستمراراً للتيار اليهودي في المسيحية الناشئة ضد ابتعاد بولس عن شريعة موسى. أما الخاتمة -وهي غائبة في المخطوطة الاسبانية- فهي عودة إلى طروحات المقدمة ضد بولس. ويرى المحقق انها قد تكون لمؤلف آخر، ولربما بيد شخص مسلم تماماً، لاحتوائها الاعتراضات الإسلامية الأساسية حول نبوة المسيح الإلهية وقيامته.

أما الفصل الخامس، فيحتوي تحليلاً مقارناً لطروحات "إنجيل برنابا" (مع طروحات الفكر المسيحي التقليدي والعهد الجديد بالذات، أي الأناجيل الأربعة القانونية وأعمال الرسل وكتاباتهم)، حول رسالة يسوع وشخصه، وأهم هذه الطروحات "البرنابية" التي يلاحظ تأثير التقليد الإسلامي واضحا فيها:

- أ - الإنجيل هو الكتاب السماوي المتضمن الوحي النازل في يسوع. فالملك جبرائيل يقدم الإنجيل ليسوع كمرآة نازلة في قلبه عما هو فوق، وما يقوله يخرج منه.
 ب - يسوع يقدم نفسه كنبى، جوابا لمن يدعى بأنه "ابن الله".
 ج - يسوع يعلن مجيء المسيح من ذرية إسماعيل واسمه احمد، كما ورد في القرآن
 د - يهوذا اخذ محل يسوع في الصلب.
 هـ - في الدينونة الأخيرة تكون الأولوية ليسوع محاطا برسله (ف١٩) وفي فصل ٥٤ تبدو الأولوية لمحمد.

ومن قرائن النص العديدة يستخلص المحقق ان مؤلف "برنابا" يبدو مسيحيا مهتديا إلى الإسلام، وقد كتب ما بين ١٣٠٠-١٣٤٩. وبرهانه على هذا التاريخ النص البرنابي التالي:

"والسنة اليوبيلية التي تأتي الآن كل مئة سنة ستعود سنويا في كل مكان من اجل المسيح" (ص٢٠٨، ٢١١)، من المخطوطة). والحال ان عادة الاحتفال اليوبيلي كل مئة سنة وضعها البابا بونيفاس الثامن في ٢٣ شباط ١٣٠٠، ثم جعلها البابا كليمنضس السادس كل خمسين سنة، وذلك في ٢٧ ك ١٣٤٩.

في الفصل الثامن، يبحث المحقق في موقع التقليد الفريسي في "إنجيل برنابا"، ويبدو أن "الفريسيين الحقيقيين" (الذين يميزهم برنابا عن الفريسيين الأردباء الذين قاوموا يسوع في زمانه) هم النخبة المختارة الآمنة لتعاليم المسيح الذين يتحاوون مع أهداف "إنجيل برنابا"، ويربطهم باخنوخ وإيليا. ويرى المحقق في هؤلاء الفريسيين نموذجا من الحياة الصوفية المنقطعة القشفة التي عاشها رهبان في منطقة جبل الكرمل بفلسطين ينتمون إلى اخنوخ وإيليا. ويبدو أن جماعة من النساك المسيحيين والمسلمين عاشوا فعلا على جبل الكرمل في نهاية القرن ١٢ في شركة صوفية تشبه ما يطرحه برنابا في "الدين النبوي الواحد منذ إبراهيم وحتى محمد".

الخلاصة

ويختتم المحقق دراسته بملخص عامة يضمنها الاستنتاجات التي وصل إليها وأهمها:

- ١- لا يمكن نسبة كل أجزاء "إنجيل برنابا" إلى مؤلف واحد.
- ٢- هناك أصل قديم، وإلى الأصل القديم إضافات لاحقة. والقلم متضمن في النص الحالي، جزئيا أو كليا.
- ٣- لا علاقة أكيدة البتة بين "إنجيل برنابا" الحالي وما قيل عن إنجيل متحل منسوب إلى برنابا.
- ٤- اختلافات داخلية في النص والمضمون، ومادة مجمعة من آفاق وتقاليد قانونية ومنتحلة (مسيحية - إسلامية - يهودية - جغرافية - تاريخية - رهبانية...)

- ٥- حبكة موجهة ضد بولس.
- ٦- تأثيرات التيار المسيحي المشوب بالمبول اليهودية.
- ٧- بيئة مسيحية - يهودية من سوريا وفلسطين.
- ٨- أصل النص شرقي قد يكون مر بمراحل تكوينية إلى أن وصل الغرب.
- ٩- التأثيرات والطروحات الإسلامية لربما جاءت لاحقا في توليف جديد.
- ١٠- البيئة الطبيعية التي نما فيها هي بيئة الفريسيين الحقيقيين، ولربما كانت مثل هذه الجماعة همزة وصل بين إنجيل برنابا المنتحل الأصلي و "إنجيل برنابا" الحالي موضوع الجدالات المسيحية - الإسلامية.
- ١١- ايدولوجية التوافق الإبراهيمي لتوحيد الديانات الثلاث في الوحي الواحد وتحقيق رسالة يسوع في محمد.

(١) كان اول مقال عنه في "سلسلة الفكر المسيحي" رقم ٢٧ لعام ١٩٦٦، بقلم الاب ميخائيل جميل

(2) **Evangile de Barnabé , Recherhes sur la composition et l'origine.**
par luigi CIRILLO , Ed. Beauchesne, Paris 1977 (600 p.)

كوبا.. التسييم يجب على الكنيسة

كوبا.. هذه الجزيرة التي تطفو على سطح المحيط الأطلسي وحل فيها كريستوف كولومبو عام ١٤٩٢ - وقد ظن أنها اليابان! - وأصبحت مفتاح العالم الجديد، تعد من أولى بلدان أمريكا اللاتينية التي تلقت بشري الإنجيل. إلا أن الكنيسة الكوبية ظلت تعاني طيلة قرون عديدة من التذنب والاضطرابات، ولما حظيت بفترات سلام وازدهار، سواء ابان الاستعمار الاسباني، أم في ظل النظام الجمهوري أم في عهد الثورة الماركسية!

ولقد بقيت كنيسة كوبا في الظل طيلة ال ٢٧ سنة الأخيرة، أي منذ أن تسلم فيدل كاسترو زمام السلطة... فهي اليوم تشهد "انفراجا" يلفت الانتباه، افتتحه "القائد الأكبر"، وقد اعتبرته الكنيسة منعطفًا هامًا يطوي صفحة على أزمنة التجاهل والمجابهة ويفتح عهد الحوار والتضامن، هذه التجربة الكوبية يقصها الأب جرجس القس موسى في هذا الملف.



"فيدل والدين"! تحت هذا العنوان خرج في البرازيل في ت ١ ١٩٨٥ كتاب هو الأول من نوعه عن الزعيم الكوبي فيدل كاسترو. والكتاب حصيلة مقابلة صحفية عملاقة مع كاسترو استغرقت ٢٣ ساعة، أحرها الراهب الدومنيكي البرازيلي الصحفي الشهير فراي بيتو. وقد بيع من الكتاب زهاء مليون نسخة، وطبعته الثالثة نفذت، فصار يباع في السوق السوداء، وقد ترجم إلى عدة لغات. وكان أول لقاء بين الرجلين في ١٩ تموز ١٩٨٠. في نيكاراكوا في منزل من أصبح في ما بعد نائب رئيس الجمهورية، سيرجيو راميريز، وبحضور الأب ميكيل دسكوتو وزير خارجية نيكاراكوا. إلا أن المقابلة التي انبثق منها الكتاب لم تتم سوى في أيار ١٩٨٥ في هافانا عاصمة كوبا.

ولكن ماذا يضم الكتاب الذي أثار كل هذه الضجة؟ أول فكرة حركت الصحفي -وهو لاهوتي ومنشط لجماعات القاعدة ومستشار للعمل الراعوي العمالي في ساوباولو- كانت سير فكر الزعيم الماركسي الذي طالما استحوذ على تفكيره حول "قضية الإيمان في نظام اشتراكي". وجاء الكتاب لا يحمل من فكر كاسترو حول الدين سوى بضع صفحات، ولكنها كافية لاعتبار المشروع حدثًا في حد ذاته، إذ انما المرة الأولى التي يتحدث فيها سيد هافانا بهذا الوضوح عن الموضوع. اجل، سيخيب أمل من يتوقع طرحًا منهجيًا حول العلاقات بين المسيحية والثورة، بين الإيمان والماركسية، ولكنه سيجد مرونة تسترعي الانتباه في أقوال كاسترو -تكاد لا تنطبق مع الصلاية الثورية التي يعرف بها- حول الكنيسة وحول إمكانية مساهمة المؤمنين في "مشروع التجدد الاشتراكي للثورة الكوبية، هذا المشروع الذي يتفق تمامًا، بحسب تعبير كاسترو نفسه، مع ما يمكن اعتباره طموحات مسيحية، كإطعام الفقراء واكسائهم وتقفيفهم وتوزيع الأراضي وتوفير فرص عمل الخ..".

لا شك أن أبواب هذه "المساهمة" قد أغلقت، ولا زالت مغلقة عمليا حتى الآن بوجه المسيحيين. ولكن فيدل يقول بان سبب ذلك كان رفضهم "التاريخي" للثورة، وليس إيمانهم (وهذا التمييز جديد على لسان كاسترو). كما أن هذا "الإقصاء" متأت من ممارسة الحزب الشيوعي "الضرب من العنصرية الحزبية" في احتكار القرار والقيادة، يعترف بوجوده فيدل كاسترو نفسه، ولكنه يعزيه إلى ظروف قيام الثورة "حيث كان الدين أداة بيد أعداء الثورة"، مما حدا بحزب الثورة إلى إعلان إلحاده وتبني الماركسية - اللينينية لتسليم الثورة إلى أياد أمينة. ولكن كاسترو لا يقدم هذا الخيار كبديل حتمي، ولا حتى "كمثال يجب أن يحتذى". فهو يصرح لمحدثه الصحفي: "من الناحية السياسية والثورية، ما فعلناه لا ينبغي أن يؤخذ كنموذج". ويذهب في اعترافاته إلى أن الكنيسة الكوبية والحزب الشيوعي الكوبي يجب أن يتجاوزا مرحلة التعايش السلمي ليأخذوا درب التعاون "لخدمة الشعب"، إذ "ينبغي على جميع من يملكون طاقات ثورية أن يتحدوا بعمق، بغض النظر عن قناعاتهم الدينية".

ترى، ما معنى هذا التغيير في اللغة والتعبير؟ أيكون كاسترو قد اكتشف فضائل جديدة عند المسيحيين بعد أكثر من ٢٥ سنة من فرض الصمت عليهم؟ أم أن معطيات جديدة على الساحة الكوبية وخارجها تفرض عليه أسلوبا جديدا من التعامل؟ أما هو فيقول: "إنها قضية جمالية. فالثورة عملية يجب أن تتكامل.. إنها قطعة فنية". ومعنى ذلك أن التمييز العنصري الذي يمارس بحق المسيحيين يمكن أن يظهر بمثابة لطخة في هذه اللوحة!

أولا: الحركة الكاهنرية وتطورها إلى ثورة ماركسية - ومسير الكنيسة فيها

في ٢٤ ١٩٥٩ تمكن فيدل كاسترو، مع قبضة من رفاقه "الملتحنين" المنتهين إلى حركة السادس والعشرين من تموز^(١)، من إسقاط الدكتاتور باتيستا بعد ٣ سنوات من حرب العصابات. وكوبا اليوم "جمهورية اشتراكية" ونظامها السياسي "ديمقراطية شعبية تعتمد على حكم الحزب الواحد"، هو الحزب الشيوعي الكوبي. غير أنه من المفيد أن نتذكر أن الثورة الكوبية لم تكن منذ البدء ماركسية - لينينية وان بين رفاق الساعة الأولى كان ثمة عدد من المسيحيين - وفيدل كاسترو يعترف بذلك دون مواربة في مقابلته مع فراي بيتو-، وان فيدل نفسه (وهو تلميذ لإخوة المدارس المسيحية وللآباء اليسوعيين الذين يمتدح تعليمهم) لم يصبح شيوعيا بالمعنى الحصري إلا بعد محاولة احتياح خليج الخنازير في نيسان ١٩٦١ من قبل الولايات المتحدة وانصار العهد الباتيسي البائد. ففي ٢ من ك ١ من تلك السنة أعلنت كوبا رسميا نظاما ماركسيا شيوعيا ودخلت في مدار موسكو، وصار ما صار.

ومنذ ذلك الحين برزت شخصية فيدل كاسترو "قائداً أكبر" (Lider Maximo) بتحديه الاميركان على أبوابه، ووضع كوبا في واجهة دول العالم الثالث، ومد إصبعه في كل حركات التحرر في القارة اللاتينية، وأصبحت كوبا محجة الثوار من كل أنحاء العالم وشوكة مزعجة للاميركان في عقر دارهم^(٢).

لقد مضى اليوم ٢٧ عاما على استلام كاسترو مقاليد الحكم في كوبا من دون منازع وفي ظل نظام اشتراكي احادي تبدو قدمه راسخة، بعد أن نجح في فرض إصلاحات اقتصادية واجتماعية لا يستهان بها، وليس اقلها الإصلاح الزراعي ومحو الأمية حيث تسجل كوبا أعلى المستويات العالمية في التعليم بحسب إحصائيات اليونسكو (٩٢% من ٦ - ١٦ سنة). والكنيسة في كل ذلك؟

في عام ١٩٦٠، يوم لم تكن كوبا قد أصبحت ماركسية - شيوعية بعد، كانت الجزيرة تعد زهاء ٧ ملايين، وكانت كنيسة كوبا تضم ٢٢٢٥ راهبة و ٧٢٣ كاهنا، معظمهم غير كوبيين (بمعدل كاهن واحد لحوالي ١٠٠٠٠ نفس). غير أن انتقال الثورة إلى الشيوعية قلب الأوضاع كلها، بدءا من هبوط عدد الكهنة إلى ٢٢٠ والراهبات إلى ١٩١ (أرقام ١٩٦٤) بسبب الطرد أو مغادرة البلاد خوفا، وتأميم المدارس، وتصعيد حدة الخلاف بين الدولة والكنيسة، ووقوف هذه الأخيرة بصورة عامة إلى جانب الطبقات المالكة السابقة والمعادية للثورة، وحصر النشاط الديني بين جدران الكنائس، وإقصاء المسيحيين المعلنين عن أي دور سياسي أو وظيفة رسمية في الدولة.. وقد وصل عدد الكهنة في ١٩٧٨ إلى ١٩٨ فقط، أي بنسبة كاهن واحد لكل ٤٦٦٠٠ - وهي أدنى نسبة سجلت - وان كان ٨٠% منهم كوبيون. وتقول إحصائية كاثوليكية - هي الأولى من نوعها - تمت عام ١٩٨٣ أن ٤٠% من الأطفال الكوبيين يقبلون العماد، غير أن فرص التنشئة الدينية - وهي لا تعطى إلا في الكنائس - ضئيلة جدا، وقد يلاقي ذوو الأطفال الراغبين فيها مضايقات إدارية لثنيهم عنها.

غير أن العلاقات (الدبلوماسية) بين الكرسي الرسولي وكوبا لم تنقطع أبدا حتى في أحلك الأيام؛ وللسفير البابوي المونسينور زاكي الفضل الأكبر في إبقاء الحوار مفتوحا. وبعد الانفراج تكللت جهوده بتعيين مطران جديد للعاصمة عام ١٩٨١ هو جيم اورتيجا الذي يقول بواقعية، تختلف عن سلفه، بأن النظام الكاستري أمر واقع، وعلى الكنيسة أن تقبله وتتصرف تجاهه "باحترام وتفهم" متجاوزة "حقبة المجاهمة".

ثانيا.. الانفراج.. والأمال

لو عدنا إلى الكتاب الذي اشرنا إليه في مفتح هذا الملف لخرجنا بهذه الحصيلة وهي انه يمثل نافذة من الثورة الكوبية منفتحة نحو أميركا اللاتينية، ولربما تخفيفا من طوق الانغلاق الحزبي، وضوءا اخضر أيضا للتقرب من المسيحيين، ومن الكنيسة الكاثوليكية بالذات، للخروج بكوبا من أزمتها الاقتصادية والإقليمية.

ولكن، إذا قلنا بان سياسة "الأمر الواقع" هي التي تقود الكنيسة إلى تجاوز "حقبة المجاهمة" والانفتاح على الثورة، لماذا لا نقول أيضا بان جزءا مهما من الانفراج "الكاستري" تجاه المسيحيين يعود إلى مجريات الأمور في نيكاراغوا حيث يلعب المسيحيون المتزعمون -ومنهم كهنة ورهبان- دورا نضاليا رائدا في مسيرة التغيير الثوري. ولا نشك في ذلك

عندما نعرف أن علاقات متينة تربط بين زعماء الثورتين الكوبية والنيكاراغوية. وبوسعنا أن نقول مع شارل أنطوان، المحرر في مجلة "دراسات" الفرنسية (أيار ١٩٨٤) بأن "الطريقة التي بها ستتوازن العلاقات بين الكاثوليك النيكاراغويين والثورة الساندينية ستكون العامل الحاسم في حل أو تجميد القضية الدينية في جزيرة كوبا".

في انتظار ذلك، طريق الانفراج سالك في كوبا، وشهادات حسن النوايا في السنوات الأخيرة معبرة عند الطرفين، نكتفي بالإشارة إلى أهمها، إضافة إلى المقابلة الصحفية الالفة، ومنها:

◀ إعلان مجلس أساقفة كوبا في ٦ ك ٢ ١٩٨١ "رفضهم المسبق لكل هجوم مسلح وكل حصار مهما كان نوعه ضد كوبا" - وكان الإعلان موجها بالدرجة الأولى إلى الولايات المتحدة.

◀ حضور وفد حكومي عام ١٩٨١ في حفلة تنصيب مطران هافانا الجديد جيم اورتيجا.
◀ إطلاق سراح الشعارين الكوبيين الكاثوليكين ارماندو فالالا داريس في ١ ت ١٩٨٢ وبعد ٢١ سنة قضاها في سجون...، وجورج فالس، في ١٩٨٤، بعد ٢٠ سنة... وغيرهما.
◀ زيارة رئيس مجلس أساقفة فرنسا المطران جان فيليني لكوبا في أيار ١٩٨٤ والتقاؤه باركان الحكومة وبزعماء الكنيسة.

◀ في حزيران ١٩٨٤ فيدل كاسترو يحضر شخصيا، ولأول مرة منذ ١٩٦١، احتفالا دينيا في كنيسة بروتستنتية لإحياء ذكرى مارتن لوثر كنك، ويلقي كلمة حماسية بالمناسبة.
◀ زيارة وفد من أساقفة الولايات المتحدة لكوبا واستقبال فيدل كاسترو لهم لمدة ٥ ساعات في ك ٢ ١٩٨٥.

◀ أول زيارة رسمية يقوم بها لكوبا في شباط ١٩٨٥ المونسنيور داريو كاستربون السكرتير التنفيذي لمنظمة مجالس أساقفة أميركا اللاتينية.
◀ دعوة فيدل كاسترو وفدا من أساقفة كوبا وشخصيات كنسية ودينية أخرى من المكسيك وشيلي وفنزويلا وبوليفيا والأرجنتين إلى مؤتمر الديون الخارجية لأميركا اللاتينية وجزر الكاريبي في تموز / آب ١٩٨٥.

◀ أول لقاء رسمي بين أساقفة كوبا وفيدل كاسترو في أيلول ١٩٨٥، واتفاق الطرفين على جدول لقاءات دورية بين السلطات الحكومية والأساقفة.

◀ في مقابلة مع فراي بيتو وفي مناسبات أخرى، كاسترو يعبر عن ترحيبه بزيارة يوحنا بولس الثاني لكوبا والتحدث معه عن قضايا أميركا اللاتينية وعن السلام العالمي، وكشفه النقاب عن أن دعوة بهذا الخصوص وجهت إلى البابا منذ ١٩٧٩، وتلبيتها منوطة بالبابا نفسه.

غير أن المؤشر الأكبر للنسيم الجديد الذي يهب على كنيسة كوبا هو، من دون أي شك، اللقاء الوطني العام لكنيسة كوبا الذي عقد في هافانا العاصمة من ١٧ - ٢٣ شباط الماضي، والذي ما كان له أن يتم لولا الضوء الأخضر من الزعيم الكوبي نفسه (انظر

ف.م. آذار / نيسان ١٩٨٦). وقد جاء هذا المؤتمر بمثابة مراجعة حياة عميقة لكنيسة كوبا -وقد طهرتها سنوات الشدة والفقر- ودراسة وضعها وفرص العمل والحياة لها تحت نظام ماركسي ملحد. وقد اشترك في هذا اللقاء أساقفة البلاد السبعة و ١٧٤ مندوبا من الكهنة والرهبان والعلمانيين، وقد شكل هؤلاء الاخيريون ثلثي المؤتمرين (١١٥)، وقد بدأ الإعداد لهذا المؤتمر بحملة إعلامية واستطلاعية واسعة منذ ١٩٨٤ بقصد رسم توجيهات التحدد الكنسي والحوار.

وفيما يخص العلاقات بين الكنيسة والدولة، فقد تضمنت الوثيقة التي أعدتها الأبرشيات، والتي اتخذت أساسا لمناقشات المؤتمر: أن الكنيسة تختار بوضوح طريق الحوار المباشر والصريح مع الدولة وترغب في فتح استراتيجية من المصالحة الوطنية، وأنها قد تجاوزت مرحلة الصمت إلى قبول واقع الثورة، ولكنها تطالب في الوقف عينه بإجراء تعديلات -ولربما أساسية- في سياسة الدولة تجاه المؤمنين كي يعود هؤلاء إلى كامل دورهم القومي في البناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. فتطالب الوثيقة بتكافؤ الفرص السياسية أمام كل المواطنين في الوقت الذي هي حكر الان بيد الماركسيين وحدهم. بكلمة واحدة تنطلق أسس الحوار المطروح من مبدأ الاعتراف بالمواطنة الكاملة لجميع الكوبيين، ماركسيين ومؤمنين.

هكذا جاء هذا المؤتمر المسيحي العام -الذي تلا مؤتمر الحزب الشيوعي الكوبي الثالث بأسبوع واحد فقط^(٣)- نقطة تحول حقيقية في حياة كنيسة كوبا وتكريسا رسميا لا رجعة عنه لسياسة الانفتاح. خاتمة: لترأس الكردينال بيرونيو المؤتمر باسم البابا تأثير مزدوج لفعالية المؤتمر وتطبيقاته العملية، سيما وان الرئيس كاسترو قد استقبل بحفاوة متميزة المبعوث البابوي.

خاتمة: حوار الحياة.. والإنسان

إن الحوار الذي كرسه المؤتمر الوطني الكنسي مع الدولة هو حوار ذو اتجاهين: الأول يقضي بان يتعرف الطرفان الواحد على الآخر ويلتقيا لتسوية جملة من القضايا اليومية، والثاني يتعدى التعايش إلى الحياة والعمل سوية. فالحوار، إذن، "حوار الحياة".. والإنسان، و"المشاركة لا تعني الانصهار" كما توضح نصوص المؤتمر؛ وإذا كانت القاعدة (من المؤمنين وبعض أعضاء الاكليروس) اقل تفاؤلا من الأساقفة والكوادر تجاه النتائج العملية لهذا الانفتاح، فالرهان منوط الآن بتقبل الدولة كامل شروط اللعبة، أي بتغيير سياستها في التعامل الفعلي والفكري والتشريعي مع المؤمنين.

إلى هذا الرهان نوهت المذكرة التي رفعها المجلس المسكوبي البروتستنتي لكنائس كوبا إلى فيدل كاسترو في ت ٢ ١٩٨٥، حين أشارت إلى أن الوقت لربما قد حان لاستصدار تشريع يعترف للمسيحيين بوجود اجتماعي كامل، ويتيح لهم الوسائل القانونية الطبيعية لتأدية رسالتهم، مثل استخدام وسائل الإعلام، وإعادة النظر في مناهج التعليم

الرسمية لتصفيتها من النصوص المعادية للدين، وإلغاء فقرة الانتماء الديني في استمارات الطلبة المتقدمين للدراسة الجامعية الخ...

كنيسة اقلية دائما..

مع ١٠٠ ألف مؤمن ممارسون ديانتهم علناً من مجموع ١٢ مليون مواطن، تبدو الكنيسة الكاثوليكية الكوبية اقلية ضئيلة نسبة الى اقطار اميركا اللاتينية الاخرى. ولكن من الخطأ أن ننسب ذلك الى مجرد ضغط ٢٧ سنة من النظام الماركسي الأحادي. "فالحقيقة هي، كما يقول المونسنيور سيسيديس سكرتير عام مجلس اساقفة كوبا، أن المجتمع الكوبي لم يتلقَ تثقيفاً مسيحياً عميقاً ابداً، وان قطاعات عديدة من الشعب، ومنهم السود، لم يتلقوا إلا تنشئة دينية سطحية". مع ان البدايات كانت تبشر بالخير.

فقد قدم المبشرون الاوائل من الابهاء الدومنيكان الاسبان منذ ١٥١٢، وفي ١٥١٨ اعلن اول مطران لسانياغو تصميمه على اقامة كنيسة كوبية محلية تماماً برسامة كهنة من السكان الاصليين. غير ان التجربة اجهضت. بل ظلت كوبا طيلة القرنين ١٦ و١٧ وحتى ١٨ بمثابة محطة استراحة وعبور للكهنة والراهبات المرسلين في طريقهم الى اقطار اميركا اللاتينية الاخرى، وقلما اهتمت الجمعيات الرهبانية التي مرت بالجزيرة بتبشير السكان. لذا جاء القرن ١٩ وكنيسة كوبا غير ذات ثقل يذكر على المجتمع الكوبي، وهي تعاني عائقين رئيسين، وهما: عدم اندماجها في الشعب من جهة، ومن جهة اخرى ابتعاد طبقة البرجوازية التجارية والمثقفين المتحررين عنها.

ولما استلم المتحررون الحكم في اسبانيا سرت سياستهم المعادية للدين في كوبا ايضاً (وكوبا مستعمرة اسبانية آنذاك)، ومن نتائجها تطبيق القرار القاضي بالغاء الجمعيات الرهبانية عام ١٨٣٦. فترك الكهنوت او الرهبة عشرات المئات وهاجر غيرهم وصودرت ممتلكات الاديرة والكنائس، وشغرت ابرشيات من اساقفها. ولما خف الاضطهاد في نهاية القرن ١٩ حاولت الكنيسة الوقوف على اقدامها باستحداث ابرشيات جديدة وفتح المدارس والكلليات، غير ان الاكليروس كان في اغليته الساحقة اسبانياً مالياً للعرش الاسباني، مما أفقده ثقة الوطنيين. ولما استولى هؤلاء على الحكم وطردوا الاسبان واقاموا النظام الجمهوري عام ١٨٩٨ تحت ظل الماسونية المعادية للدين، تلقت كنيسة كوبا ضربات جديدة، سيما وانها كانت قد وقفت الى جانب الشعب في هذه المرة ضد الحكم مدافعة عن حقوق العمال والفلاحين.

في نهاية درب الصليب الطويل هذا، جاء دستور ١٩٤٠ الذي اعترف بحرية الدين لتنفس الكنيسة الصعداء قليلاً. فاعتمدت في عملية تجديد قواها على العلمانيين باقامة وتشجيع حركات ما يعرف بالعمل الكاثوليكي، ومن فروعه الجامعية انبثق حزب سياسي باسم "الديمقراطية الاجتماعية المسيحية"، وعشية الثورة الكاسترية كان ٩٠% من الشعب الكوبي يعتبر كاثوليكياً. ولما قامت الثورة انضوى الى صفوفها عدد من الكاثوليك. غير ان اغلبية المسيحيين كانوا في وضع الانتظار والترقب اسوة بموقف اساقفتهم غير المحدد عموماً.

وجاء انقراض الحزب الشيوعي على واجهة الثورة لتفض الكنيسة الكاثوليكية يدها من الثورة تماماً. وجاء الهجوم القاتل على خليج الخنازير الذي اشترك فيه كاثوليك معارضون في نيسان ١٩٦١ بمثابة الشعرة التي قصمت ظهر البعير فتمت القطيعة، واهتت المدارس الخاصة، ومنع التعليم اللبني، وطردت منات الكهنة (وبينهم كويون) والاف الراهبات، وأعلنت شيوعية الدولة رسمياً.. فانكفأت الكنيسة على ذاتها، واعتبر الكاثوليك "كثفيلين" و"معادين للثورة".. حتى جاء الانفراج الحالي..

إن جل ما فعله الحزب الشيوعي الكوبي الحاكم على الصعيد الفكري تجاه القضية الدينية هو مبادرة اللجنة المركزية في ك ٢ من هذا العام إلى دعوة الأب الدكتور فرانسوا هوتار أستاذ علم الاجتماع في جامعة لوفان الكاثوليكية (بلجيكا) لإلقاء سلسلة من المحاضرات حول علم الاجتماع الديني لـ ٥ من كوادر الحزب في هافانا. وفي نية اللجنة المركزية إيفاد عدد آخر من كوادرها لهذه الدراسة في جامعة لوفان نفسها، وما ذلك إلا مؤشر إلى هذه الحاجة لإيجاد قاعدة فكرية جديدة للتوفيق بين الفكر الماركسي وأساليب عمله والفكر المسيحي ومنظوره.

وبانتظار التطبيع الكامل -وقد لا يكون غدا- تستفيد الكنيسة من جو الانفراج النسبي العام لتنظيم صفوفها، وترى العائدين إلى الممارسة الدينية يزدادون وكذلك الاهتمامات إلى الإيمان من بين صفوف الشباب. والعمادات التي كانت في هبوط منذ ١٩٦٠، أخذت تتضاعف سنويا بالرغم من تراجع الولادات.

- (١) تيمنا بمجموع كاسترو ورفاقه الأوائل في ٢٦ تموز ١٩٥٣ على معسكر مونكادا وبدء الحركة الكاسترية.
- (٢) كوبا، أكبر جزر أرخبيل الانتيل، تقع في المدخل الشرقي لخليج المكسيك إلى الجنوب من سواحل فلوريدا بحوالي ١٢٥٠.
- (٣) في تقريره الرسمي للمؤتمر، لم يخص فيدل كاسترو المسيحيين سوى بثلاث جمل، ولكنها أساسية للدلالة على التغيير الطارئ في فكر القادة الكوبيين: الثبات للتأكيد على الطابع التقدمي لبعض الديمقراطيات المسيحية في أميركا اللاتينية وعلى أن الاشتراكية لا يمكن أن تبنى من دونهم، والثالثة لامتداح لاهوت التحرير " باعتباره ليس فقط تجربة مخلصنة لالتزام جانب الفقراء من قبل أشخاص يعبرون هكذا عن مسيحية أصيلة، وإنما لأبعادها السياسية بوصفه تعبيرا لرغبة عدد كبير من المسيحيين في بناء عالم تسوده الإخوة والمساواة والعدل بين الناس، وذلك انطلاقا من قناعاتنا الدينية".

الزيارة البابوية الثالثة لفرنسا

في ١٢ الماضي أكمل يوحنا بولس الثاني رحلته رقم ٣١ خارج إيطاليا، وهي زيارته الثالثة لفرنسا (الأولى عام ١٩٨٠، باريس وليزيو، والثانية عام ١٩٨٣: لورد) والتي شملت ليون، مهد المسيحية الفرنسية، وتيزيه وأنسي وأرس - بمناسبة الذكرى المئوية الثانية ليلاد كاهنها القديس "خوري آرس".
ومن ليون أطلق قداسه نداء إلى العالم لوقف المعارك، أهله طيلة يوم ٢٧ تا، حين سيجتمع في اسيزي (إيطاليا) ممثلو الكنائس المسيحية والديانات غير المسيحية ليوم صلاة عالمي من أجل السلام.
يستعرض المقال التالي زيارة البابا الراعوية للوسط الشرقي من فرنسا.

قام يوحنا بولس الثاني بثالث زيارة له لفرنسا (الحادية والثلاثين خارج إيطاليا) من ٢٤ ٢ الماضي. وقد جاءت هذه الزيارة أكثر من غيرها كحج حقيقي على خطى قديسين عبقت هذه البقعة من ارض فرنسا (الوسط الشرقي) بشذى سيرهم الإنجيلية والتزامهم الإنساني والرسولي، وطارت شهرتهم بعيدا خارج فرنسا. أربعة أيام حافلة ومشحونة بالحركة، زار البابا خلالها كلا من مدينة ليون، عاصمة غاليا القديمة وبوابة المسيحية إلى فرنسا في القرن الثاني؛ وقرية دارديلي مسقط رأس القديس يوحنا فياناي المعروف بخوري ارس، وارس رعيته؛ وتيزيه التي ارتبط اسمها بالجماعة الرهبانية البروتستنتية ذات الروح المسكونية الفريدة والشباب الذين يقصدونها من كل أنحاء العالم؛ وباري لمونيال من حيث انطلقت عبادة قلب يسوع إلى العالم؛ وانسي موطن القديس فرنسيس الساليسي.

كانت ليون المحطة الأولى والقاعدة التي ينطلق منها البابا ويعود إليها للمبيت. وقد استهل زيارته بمخاطبة الرئيس ميتران الذي كان في استقباله في المطار متحدثا عن دور فرنسا في العلاقات الدولية: "فرنسا.. يعتمد على نظرتها السخية والواقعية للمساهمة في إخماد التوترات وإقامة العدالة، وتثبيت السلام، وتوسيع التعاون المثمر مع أقطار العالم الثالث على أسس الكرامة والعدل". وقد أهدى البابا للرئيس فرانسوا ميتران إحدى باقات الورد التي قدمها له الأطفال قائلا وهو يتسم: "أها بمناسبة عيدك اليوم، عيد مار فرنسيس". أما الخطوة الأولى التي افتتح بها يوحنا بولس الثاني زيارته الراعوية فكانت مبادرة مسكونية حيث كان ممثلو الكنائس الشرقية البروتستنتية في انتظاره في ملعب "الثلاث غاليات" حيث استشهد عدد من المسيحيين الغالين الأولين في اضطهاد الإمبراطور الروماني مارك أوريليوس عام ١٧٧. فبعد أن قَبِل البابا موقع الاستشهاد، استمع إلى كلمة الكنائس الشقيقة يلقيها المطران الارمني الأرثوذكسي زكريان بان "المسيحية جاءت إلى فرنسا من الشرق على يد القديس ايريناوس. من هنا مساهمات ليون المتميزة في حقل المبادرات الوحودية منذ زمان الكنيسة الواحدة غير المنقسمة".

وفي نهاية الاحتفال فاجأ البابا حشود المؤمنين والعالم ببناء لم تتضمنه مناهج الزيارة يدعو إلى جعل يوم ٢٧ ت ١ يوم هدنة عالمية تتوقف فيه الحروب والصدامات المسلحة وأعمال العنف، بمناسبة يوم الصلاة من اجل السلام الذي دعا إليه في اسيزي جميع رؤساء الأديان في العالم.

وفي ليون أيضا كان التجمع الضخم (٣٠٠٠٠٠) في ساحة معرض "اوراكسيو" عصر اليوم نفسه للقداس الكبير الذي أعلن البابا في غضونه قداسة الطوباوي الأب أنطوان شفريه، الكاهن الليوني، مؤسس جمعية البرادو في القرن ١٩ التي تضم كهنة يختصون بخدمة الأوساط الفقيرة. وقد تطرق البابا في خطابه إلى البلدان الفقيرة ومسؤولية البلدان الغنية تجاهها قائلا: "ان الشعوب الفقيرة لا تلتمس صدقة، وإنما تطالب بان تؤخذ مشاكلها بعين الاعتبار، وان تسم العدالة علاقات التبادل التجاري والاستثمارات، والتضامن والسخاء إبان الأوضاع الحرجة، والعون على المدى البعيد لكي تستطيع تحقيق نمائها بنفسها، وفوق كل شيء تطالب بالاحترام والكرامة". وكانت للبابا في ليون لقاءات أخرى مع المجالس الأسقفية والخورنية، وهيئة الأساقفة الفرنسيين، وهيئة التدريسية وطلبة الجامعة الكاثوليكية في المدينة ويمثلي الجالية الإسلامية.

أما التجمع الكنسي الكبير -والبابا يخصص الشباب دوما في زيارته العالمية بقاء خاص- فقد كان يوم الأحد في ملعب جيرلانند. بلاتيني ومارادونا الخمسين ألف شاب (+ ٣٠٠٠٠ خارج الملعب) كان يدعى في ذلك اليوم "يوحنا بولس" وحتى ساعة متأخرة من الليل شقت حناجرهم بالغناء والتهافت، ألف شاب وشابة مثلوا أمام البابا على أنغام موسيقى الروك، رقصا وكلاما، مشاهد من حياة بعض شهود الإيمان الكبار. والبابا، يرافقه الكاردينال ديكورتراي رئيس أساقفة ليون، يستمع بارتياح إلى أسئلة الشباب، وحتى المثيرة منها: "أيها الأب الأقدس، ألا يحدث لك ان تشك؟ حدثنا عن الكنيسة، ولكن لا الكنيسة التي تتكلم عنها الكتب! ويجب إليها مباشرة. ويختتم البابا السهرة قبيل منتصف الليل بصلاة "أبانا الذي" معهم، فتحيط طفلة عنق البابا "بايشارب" ملون، فيلوح البابا: "يا شباب، اجل، إن للكنيسة مستقبلا. إننا نعتمد عليكم. فانا، مع أساقفتكم، أرسلكم إلى الرسالة".

في كنيسة المصالحة في تيزيه، كان في انتظار البابا ٥٠٠٠ شاب وشابة من مختلف بلدان العالم. وإذا اعتذر لهم عن قصر زيارته قال لهم: "البابا يمر هنا مرورا فقط. ولكن المرور بتيزيه هو كالمرور قرب نبع ماء". ثم قال: "الكنيسة بحاجة إليكم. لا تكثفوا بالانتقاد السلبي أو بانتظار أن يتحسن الشخص الفلاني أو المؤسسة الفلانية. انطلقوا إلى الكنائس والحركات والجماعات المختلفة" (وأصلحوها بأنفسكم).

في باري لمونال، مئة ألف شخص لوحوا للبابا بمناديلهم الملونة واستمعوا إليه في القداس الجماهيري في الهواء الطلق يكلمهم عن قيم الأسرة والحب والأمانة وقدسية الحياة. وقد زار دير الراهبات حيث عاشت القديسة مرغريثة مريم ونشرت عبادة قلب يسوع في القرن ١٧.

أما زيارة ارس، فقد اتسمت بجو عائلي بعيد عن صحب التجمعات الكبرى حيث قدمت أمهات القرية أطفالهن للبابا، فقبل واحتضن ولطف ورفع يديه وبارك: "إني جئت حاجا بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد كاهن رعيتكم القديس خوري ارس". وبعد صلاة صامته أمام قبر القديس، زار البابا غرفة نوم خوري ارس وداره الوضيعة المحاذية للكنيسة. وفي قرية شفيع الكهنة أراد أن يلتقي باكليروس كنيسة فرنسا، حيث استقبله في المرج المشرف على القرية ٣٥٠٠ كاهن بثياهم الطقسية البيضاء، و ١٣٠٠ طالب اكليركي و١٥٠ أسقفا و ١٠٠ شماس إنجيلي مع زوجاتهم وأولادهم. ودعاهم إلى تعميق علاقتهم الحميمة بشخص يسوع، إذ لا سحاء إنجيليا من دونها: "ان الرسالة والحوار الإنجيلي يقتضيان انتماء مسيحيا راسخا".

أما المرحلة الأخيرة من الزيارة البابوية، فكانت لمدينة آنسي التي استقبلته بآلاف البالونات التي لونت سماء بحيرتها الوادعة، لكل قارة لوها، وذلك رمزا إلى المرسلين والمبشرين الذين انطلقوا من هنا لنشر الإنجيل في القارات الخمس. وفي انسي قبر أسقفها القديس فرنسيس السالسي والقديسة جان دي شانتال اللذين أسسا فيه رهبنة "الأخوات الزائرات" عام ١٦١٠ لرعاية الفقراء، وقد زارهن البابا ومهر توقيعيه في كتابهن الذهبي، ثم أقام قداسا جماهيريا في الهواء الطلق على ساحل البحيرة بمناسبة عيد الوردية اشترك فيه معه ٦٠ أسقفا...

وكما كان الرئيس الفرنسي قد استقبل البابا لدى قدومه، فقد ودعه في المطار مساء الثلاثاء ١٠/٧ لدى عودته، رئيس الوزراء جاك شيراك ليسمع البابا يخاطب الفرنسيين بشخصه قائلا: "ما أسعدكم أيها الأصدقاء أن يكون لكم في فرنسا مواضع حج للقداسة.. إن القديسين يرونا طريق التحدد الصحيح.. فلتستمر فرنسا في تكريم عبقرية الروح والقلب".

- + أطول رحلة بابوية (الشرق الأقصى) /ش.ر/ ٢ك
- + كنيسة اليابان: الأولوية للبشير/ملف/شباط
- + سينودس العلمانيين أج للعلمانيين؟ /ش.ر/حزيران- تموز
- + مع الكردينال روجيه إنشيفاربي/مقابلة/آب- ايلول
- + الاسس الكتابية للاهوت التحرير/ملف/ت٢
- + الدوران اللاهوتية، مدرسة وكنيسة /تحقيق/ ك١

أطول رحلة بابوية

٤٩٠٠٠ كم قطعها يوحنا بولس الثاني في ١٣ يوما (١٨ ت٢- ١٦ ١٩٨٦) زار خلالها ٦ أقطار في جنوب الشرق الأقصى تفصلها عن بعضها مساحات شاسعة من البحار والمحيطات:

بنغلادش، سنغافورة، جزر فيجي، نيوزيلاند، تسمانيا، استراليا، جزر سيشيل. والقى خلالها ٥٠ خطابا في ١٧ مدينة. ماراثون حقيقي..ولكن ليس ركضا على الأقدام، بل على متن طائرة! والكاثوليك في كل هذه المناطق النائية لا يشكلون سوى أقلية طالما حوصرت بعيدا عن الحياة العامة، اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، كما كان الشأن خاصة في استراليا الانكليكانية التي استأثرت بالحنيز الأكبر من الزيارة البابوية.

بنغلادش، بلد الأكثرية الإسلامية (٨٦%) من أصل ٩٨ مليون، وقد دخله الإسلام في القرن (١٥) والأقلية المسيحية الضئيلة (٠,٢%)، وقد دخلته المسيحية في القرن (١٦)، هذا البلد استقبل البابا في المحطة الأولى من رحلته العالمية رقم ٣٢، ليسمعه يكلمه عن ضرورة الحوار المسيحي- الإسلامي والانفتاح على الأديان:

"عليكم أن تسعوا لتبينوا لإخوانكم المسلمين وللمؤمني التقاليد الدينية الأخرى بان إيمانكم المسيحي، عوض أن يضعف اعتزازكم وحبكم لوطنكم، هو الذي يدفعكم إلى تقدير واحترام ارث بنغلادش الثقافي والتراثي". هذا ما أعلنه في دكا العاصمة أمام زهاء ٢٥٠٠٠ مؤمن في أثناء قداس جماهيري رسم فيه ١٨ كاهنا بنغلادشيا. وفي لقاء آخر في

فناء كاتدرائية دكا مع حوالي ٦٠٠٠ شخص من القوى الروحية والتوجيهية في البلاد، بينهم العاملون في المؤسسات التربوية الكاثوليكية، خاطب البابا الأساقفة بان يكونوا "معلمين وآباء وإخوة وأصدقاء" لكهنتهم، وحرصهم على قيادة الجماعة المسيحية "لخدمة الفقراء، بهدف إقامة مزيد من العدالة في الشؤون الإنسانية".

وكنيسة بنغلادش على فقرها وضالتها (١٧٤٠٠٠) كاثوليكي، ٦ أساقفة كلهم بنغلادشيون، ٥٠ كاهنا و ١٨٠ راهبة، منهم ١٠٢ أجنبي (كنيسة نشطة، وللعلمانيين فيها دور حيوي سواء في نشاطاتها الرسولية أو في مؤسساتها التربوية والاجتماعية، وقد اكتسبت شعبية في البلاد بما قدمته من مساهمة وخدمات اجتماعية في السبعينات في أعقاب حرب التحرير واستقلال البلاد عن باكستان.

بعد ٢٤ ساعة قضاها في بنغلادش الفقيرة (١٩ ت ٢)، توجه البابا إلى سنغافورة، جزيرة الشع والرفاهية (٢٠ ت ٢). وفي الخمس ساعات التي قضاها هناك أقام قداسا في ملعب المدينة اشترك فيه معه كاردينالان و ٢٠ مطرانا و ١٥٠ كاهنا جاء بعضهم من الأقطار المجاورة. وبالرغم من جو ماطر طوفاني، فقد حضر القداس جمهور قدر بـ ٧٠٠٠٠ شخص، بينهم عدد من غير المسيحيين، تحدث فيه البابا عن وحدة الإيمان والمحبة التي تضم المؤمنين من أي جنس كانوا. وقال مشيرا إلى الروح ذاته الذي يلهم الكنيسة في كل مكان: "الروح القدس هو عينه في سنغافورة وروما". ثم أشار إلى دور كنيسة سنغافورة في المساهمة الفاعلة في إرساء السلام والعدالة. وفي نهاية خطابه أثار القضية الشائكة لتنظيم الأسرة وحققها في تربية أبنائها "من دون إكراه أو ضغوط".

وقفة أخرى في جزر فيجي (٢١ ت ٢) حيث استقبل بحسب تقاليد قبائل تلك المناطق. فأهدوا له ناب حوت مصقول وهم يرقصون وظهورهم عارية وعلى احقائهم تنورة من الحشائش، وفي اعناقهم قلادة من أسنان سمك القرش، وعلى وجوههم رسوم ورموز قبلية، وقدموا له شراهم القومي في قشر جوز الهند. بعدها وجه البابا خطابا قصيرا ركز فيه على الجانب المسكوني للعلاقات المسيحية، علما بان المسيحيين يشكلون ٥٠% من سكان الجزر من أصل ٦٥٠٠٠٠ نفس (٣٨% بروتستنت و ٨% كاثوليك). وأقام قداسا في الهواء الطلق أمام حوالي ٢٠٠٠٠ مؤمن بينهم وفود جاءت من تاهيتي وجزر ماركيز وفانواتو وكاليدونيا الجديدة.

من هناك طار إلى نيوزيلاندا (٢٢-٢٤ ت ٢) حيث زار أوكلاند وويلينغتون وكرايستشرش. ويشكل الكاثوليك في الجزيرة ١٣% من السكان البالغ عددهم ٣،٢ مليون، أما البروتستنت فيشكلون ٤٧% (٣٠% انكليكان وهم أحفاد الانكليز الذين استعمروا البلاد في القرن ١٩، و ١٧% من المشيخيين). أما البقية فهم من قبائل الماوري الأصليين.

ثم جاءت المرحلة الرئيسية لرحلة البابا، استراليا (٢٤-٣٠ ت ٢) حيث زار مدن كامبرا وبريسبان وسيدني وهوبارت وملبورن وداروين واليس سيرنك وادلايد وبرت.

ويشكل الكاثوليك في استراليا ٢٦ % من أصل ١٥،٥ مليون. وإذا كانوا في السابق من أصول ارلندية وإيطالية وبولونية ويوغسلافية، فقد تطعمت صفوفهم في الآونة الأخيرة من فييتنام والفيليبين والصين ولبنان والبلاد العربية الأخرى. وهذا التنوع يفتح آفاقا من الثراء والخبرة والحيوية لكنيسة استراليا بالرغم من الركود والتقليدية اللذين توسم بهما عادة السلطة الكنسية. ولعل تماسك الجماعة الكاثوليكية في السابق حول ذاتها من جراء إبعادها عن الحياة العامة هو الذي حافظ على كيانها وديمومتها. الأحوال تبدلت ووجودها لم يعد نكرة، وزيارة الباباوات (بولس السادس في ١٩٧٠) لا بد أن "تفجر الشرنقة"...

اسم بريسبان استأثر ببرهة انتباهها غير وارد في برنامج البابا يوحنا بولس الثاني عندما ألفت سلطات الأمن القبض على شاب متهور خطط لإلقاء قبلة على البابا "لأنه يملك مالا كثيرا"، كما صرح للشرطة. باستثناء ذلك سار كل شيء بحسب المنهاج المرسوم حيث صب البابا لقاءاته على أصناف أخرى من "المخلوقات" ومنهم الصحفيون.. والدبية الاسترالية البيضاء. وقد التقى بالصحفيين سوية في احد الملاعب حيث خاطب رجال الصحافة بعد أن التقطت له صورة وهو يلاطف ويحتضن دبا صغيرا، قال: "وسائل الإعلام قوة، وعليها تقع مسؤولية ليس فقط أن تخبر عن الشر، بل أن تساعد في استئصاله، ليس فقط أن تخبر عن الأفعال الحميدة، بل أن تشجع عليها أيضا". بعدها التقى بالمرضى والمعوقين.

من هناك نزل إلى سدي العاصمة الاقتصادية والتقى بالعمال وأساقفة البلاد. وفي سياق حديثه معهم أكد على قرب صدور وثيقة رومانية حول موقف الكنيسة من الأبحاث البيولوجية وعلاقتها بالأخلاقية المسيحية. ولعل هذا الموضوع كان من اخطر المواضيع التي أثارها البابا في رحلته إلى استراليا، إلى جانب موضوع السكان الأصليين. وقد عاد إليه مرتين آخرين، الأولى مع الجامعيين الاستراليين في سدي، والثانية في مستشفى الأمومة الكاثوليكي في مدينة ملبورن التي تعتبر في الطليعة فيما يخص الأبحاث البيولوجية والاجتماعية والإخصاب في العالم. فأشار البابا إلى علاقة البحث العلمي بنوعية الحياة البشرية وقال: "إذا فصل العلم عن مردوداته الأخلاقية والأدبية، فلا يمكنه مطلقا أن يقود البشرية إلى حياة أفضل".

وفي ملبورن أيضا -التي تسكنها جاليات كاثوليكية من حوالي ٣٠ جنسية مختلفة- عقد البابا مؤتمرا صحفيا من نوع خاص: الصحفيون كانوا أطفال مدرسة الرعية ما دون العاشرة من عمرهم جالسون على الأرض بين كتبهم ولعبهم يسألون البابا وهو جالس على كرسي المعلم منشرا:

- أبانا الأقدس، هل حقا تلعب كرة القدم كحارس مرمى؟
- كنت لعب كرة القدم منذ زمن طويل، ولكن ليس دوما كحارس مرمى.
- لماذا تلبس اللون الابيض دائما؟
- هذه هي العادة.

- هل تحب الموسيقى؟

- أحب الموسيقى الكلاسيكية ولكنني أحب الإيقاعات العصرية والروك أيضا.

أما قبلة الرحلة كلها فقد ألقاها البابا يوم ٢٩ ت ٢ في أليس سيرنك في وسط
استراليا حيث رفع صوته محتجا بشدة ضد سياسة "التهجير" و "التفرقة العنصرية" بحق
السكان الاستراليين الأصليين. فبعد أن امتدح البابا عراقة التاريخ والتراث التي تعكسها
"أغانيهم وحكاياتهم ورسومهم ورقصاتهم ولغاتهم" خاطبهم قائلا: لا ينبغي أن نموت عبقرية
شعبكم وكرامته. ثم دعاهم إلى "الاتحاد" لنيل "انبعائهم"، وطالب المسؤولين معاملة
معاملة المواطنين الأصليين "ليسيروا مرفوعي الرأس": "انتم جزء من استراليا واستراليا
جزء منكم".

ويبعد علماء الآثار وجود هذه القبائل على ارض استراليا إلى حوالي ٤٠ ألف سنة،
ويرجحون أن يكونوا من أصول آسيوية. وتعكس تقاليدهم عبقرية متميزة تظهر في دقة
نظامهم الاجتماعي وتراثهم الثقافي وعلاقتهم الوجدانية بالأرض التي يعتبرون أنفسهم عنصرا
منها فلا يتلفونها. لا آلهة لهم ولا أصنام وإنما يكون صلة عميقة بأجدادهم وبالأرض التي
عاش هؤلاء في كنفها.

لدى مجيء الانكليز في نهاية القرن ١٧ كان مصير هؤلاء الأقوام الطرد والاستئصال
من أراضيهم والإبادة كالحیوانات الضارة التي تقضم مزارع المستعمرين. في ١٧٧٠ كان
يقدر عددهم ب ٣٠٠٠٠٠، وبعد مرور قرن لم يبق منهم سوى ٦٠٠٠٠. ثم خفت
المطاردة. في ١٩٦٧ صدر قانون بتجميعهم في مناطق محددة وشبه مغلقة (في أليس سيرنك
يشكلون ٥/١ السكان: ٥٠٠٠ من أصل ٢٤٠٠٠). وفي إحصاء ١٩٨١ كان عددهم
الكلي ١٦٠٠٠٠. غير أن "اقتلاعهم" من جذورهم الجغرافية والثقافية من جراء التهجير
والتهميش جعل من هؤلاء السكان الأصليين لاجئين وغرباء ومحاصرين في عقر دارهم.
بالإضافة إلى البؤس الاقتصادي الذي يعيشون فيه والغربة الاجتماعية التي يحسون بها تجاه
الحضارة الحديثة. إلا أن الكنيسة تقف بجانبهم وتحسس أوضاعهم أكثر فأكثر.

لحقوق وإنسانية هؤلاء لم يتردد البابا من أن يقيم نفسه محاميا ومدافعا بوجه البيض
الوافدين، قبل أن يغادر استراليا عائدا إلى روما بعد محطة أخيرة في جزر سيشيل (١ ك ١) في
الحيط الهندي، جنوب شرق مدغشقر.

كنيسة اليابان... الأولوية للتبشير

اليابان؛ ثالث العمالقمة التسعة الكبار في نادي الدول الصناعية. وفرة مادية، رفاهية، التكنولوجيا في أعلى مستوياتها وتشكيلاتها.. ومع ذلك الياباني اليوم يشعر بالجوع والعطش.. انه يبحث عن الروح، عن معنى للحياة.

الكنيسة الكاثوليكية ترفع شعار الأولوية للتبشير.. فتعقد مؤتمرها الوطني الراعوي العام لتنسيق العمل. ولكنها تريد بناء مسيحية يابانية أصيلة نابعة من رافدي الإنجيل والإرث الروحي والفكري الياباني. هذا ما يعكسه الأب جرجس القس موسى في الملف التالي.



اليابان ...

أول ما يتوارد إلى ذهنك وأنت تسمع هذه الكلمة أسماء سحرية أخرى مثل تويوتا، داتسن، ميتسوبيشي، مينولتا، كونيك، يوكوهاما، هوندا، سانوي.. ومئات الأسماء الأخرى من عالم الالكترونيات والأجهزة المطبخية والإنشائية والزراعية وتشكيلات لامتناهية من المعدات والآلات الكبرى والدقيقة ذات الوظائف المختلفة التي غزت أسواق العالم في الشرق وفي الغرب... وحتى هذه الشفرة الأنيقة التي افتح بها رسائلي (Made in Japan).

في هذا الملف لن أتحدث عن تقدم اليابان المدهش ولا عن هذه الزحمة من المنجزات الصناعية المثيرة التي جعلت من اليابان ثالث دولة صناعية في العالم تنافس عمالقمة الغرب في عقر دارهم، بعد أن "بطحها" هولاء عسكريا عام ١٩٤٥، وإنما سأحاول الإجابة على سواين أساسيين وهما: الوفرة المادية والتقنية في المجتمع الياباني الجديد هل تركت لله مكانا، وهل أشبعت المادة الروح اليابانية حقا؟ ما هو جواب الكنيسة إلى كل ذلك؟

• المؤتمر الوطني الراعوي العام

في ختام اجتماعهم الاعتيادي المنعقد في طوكيو في حزيران ١٩٨٤ اصدر الأساقفة اليابانيون الكاثوليك بيانا استعرضوا فيه أولويات الكنيسة في اليابان منذ السبعينات. فذكروا بالرسالة الراعوية المشتركة التي نشروها في حزيران ١٩٧٢، في خط المجمع الفاتيكاني الثاني، بعنوان "إعلان الإنجيل للمجتمع". وقد تضمنت الرسالة محاور رئيسية ثلاث هي: إعلان الإنجيل، شهادة الحياة المسيحية الأصيلة، بناء جماعة مسيحية حقة. وفي ١٩٧٤ بحث سينودس الأساقفة موضوع "التبشير بالإنجيل للعالم المعاصر"، وفي هذه المناسبة نشرت لجنة الرسالة والعمل الراعوي التابعة لمجلس الأساقفة بيانا في ١٩٧٦ حول "التبشير بالإنجيل في اليابان". وفي ١٩٧٧ انشأ الأساقفة "المركز الرسالي والراعوي في اليابان". وبعد سنتين نشر المركز توجيهات بعنوان "نحو تبشير المجتمع الياباني بالإنجيل". وقد حثت هذه التوجيهات

كنيسة اليابان أن تبدأ بتبشير نفسها بنفسها في مجتمع الوفرة الذي يسم اليابان، كما حثها على أن تعمل بجد لتبشير المجتمع، ولكن مع انتباه خاص "إلى الضعفاء من إخواننا وأخواتنا" وتركيز على "اليابان من زاوية انتمائه إلى البيئة الآسيوية". وفي آذار ١٩٨٢ نشرت لجنة الرسالة والعمل الراعوي الآنف الذكر رسالة مفتوحة بمناسبة زيارة البابا لليابان (شباط ١٩٨١) بعنوان "لنشارك أصدقاءنا هبة عمادنا".

وهكذا نجد فكرتين رئيسيتين تسيطران على اهتمام الأساقفة اليابانيين منذ السبعينات وهما: توسيع نشاطات التبشير المباشر بالإنجيل، وتبشير المجتمع. ويعمل الأساقفة على أن يعم هذا الجهد كافة قطاعات الكنيسة، ويتجند له العلمانيون والكهنة والرهبان والراهبات. فقد جاء في بيان الأساقفة الذي اشرنا إليه في بداية هذه الفقرة: "ينبغي على كل كاثوليكي منا أن يكون رسولا وينقل فرح الإيمان إلى إخوانه وأخواته الذين لم يجلسوا بعد على مائدة المسيح. ينبغي أن نقود خلقا كثيرين إلى العماد ونكون وإياهم معاونين في مشروع الخلاص".

في سبيل ذلك يعلن الأساقفة عن خطة عمل تتم على ثلاث مراحل:

- أ - تنشئة الأبرشية والخورنات على أن تصبح جماعات مبشرة.
- ب - وضع السبل الكفيلة لخلق روح التعاون مع الرهبان والمرسلين والمؤسسات الكنسية الأخرى كالمدارس والنشاطات الاجتماعية.
- ج - عقد مؤتمر وطني راعوي عام يضم الأساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيين والراهبات لتنشيط عملية التبشير بالإنجيل.

هذا المؤتمر سيعقد في خريف هذا العام (١٩٨٧). وهدفه واضح ومحدد ويتلخص في بعث الوعي الشامل في كل قطاعات الكنيسة اليابانية تجاه التبشير بالإنجيل واتخاذ السبل الجديدة ميدانيا لإنجاحه، أفقيا وعموديا، أي كما ونوعا.

• الأولوية للتبشير... لماذا؟

ولكن ما هي أسباب ودوافع هذه "الاقترامية" الجديدة في كنيسة اليابان؟

لا شك ان التبشير ضرورة إنجيلية تنطلق من مبدأ الالتزام بنقل بشرى الخلاص والحياة إلى الناس، غير أن في البيئة اليابانية المعاصرة عوامل تتيح، بإيجابها وسلبياتها، لهذه الضرورة المبدئية أن تصبح مشروعا له فرص النجاح، مما يدفع الكنيسة بهذا الاتجاه.

ما هي هذه العوامل؟

أ - بين المادة والروح: يتميز الشعب الياباني بإرادة صلبة في البناء والتفوق وبضمير مهني عميق يسبق أحيانا الجانب الشخصي والأسري من الحياة، مما يجعل منه شعبا منتجا دؤوبا. ففي غضون أربعين عاما انتقل من بلد مهزوم عسكريا، محطم الأوصال والمؤسسات، منهار اقتصاديا ومعيشيا، منغلق على ذاته، إلى بلد من أرقى دول العالم في كافة الميادين.

معدل الحياة فيه يشكل أعلى نسبة في العالم (٨٠ سنة للنساء و ٧٥ للرجال)، مجتمع رخاء وشعب واكتفاء. وفوق هذا كله شعب مثقف ومنفتح (١٢٦ صحيفة يومية، اثنان منها تصدران بسبعة ملايين نسخة، ٣٠٠٠٠٠ كتاب في السنة مع ٨٠٠ مليون نسخة، ١٠٧ محطة راديو خاصة، ٥٤ قناة تلفزيونية أهلية).

ولكن دخول اليابان في نادي الدول الصناعية الكبرى لم يستثنها من الأمراض التي تعاني منها كل المجتمعات الاستهلاكية والرأسمالية. وأول هذه الأمراض التهافت على المادة والحياة السهلة القريبة الأهداف مع ما ينسحب على ذلك من معضلات اجتماعية خطيرة لم يكن يعرفها المجتمع الياباني المحافظ سابقا مثل: ازدياد حالات الطلاق، تخلخل استقرار الأسرة وما يجره ذلك على الأولاد، جو الامتحانات الخائض حيث يتحمل الأهل والمدرسة كاهل الطلبة حتى الإرهاق منذ طفولتهم في سبيل الحصول على تأهيل للمعاهد والجامعات الشهيرة، استلاب الشخصية نتيجة للمكثنة العالية في العمل، والبحث الدائم وعلى كل المستويات عن الربح ..

ولكن "هذه البجوبة الاقتصادية سئنا منها، اليابان تعب من جراء نموه الاقتصادي"، يقول الأديب الياباني الكاثوليكي شوساكو اندو الذي يستطرد قائلا: "إننا نبحث عن شيء يعطينا معنى للحياة!"

صراع المادة والروح هذا يعانیه الشباب أيضا وخاصة إذ يشعرون بفراغ وضياح وهم أمام مفترق: فقدان القيم التقليدية من جهة، وعجز الحضارة الصناعية المادية على أن تشبعهم تماما من جهة أخرى، فيهرب الكثيرون منهم من ذواتهم وإخفاقاتهم بتناول الكحول والمخدرات، أو يختاروا طريقا ثالثا بانسباقهم وراء "ديانات جديدة" كديانة "الأرض الطاهرة" المتفرعة عن البوذية والتي تعتمد بعض الخيرات الصوفية والباطنية، أو البدع المستوردة من الغرب كشهود يهوه، أو من كوريا كاتباع مون الذين ينتشرون خاصة في الجامعات. وتلتقي هذه البدع أو "الديانات" كلها في ما تفرضه من سلوكية متشددة بوجه التحرر المادي والأخلاقي المحيط، وتكمن جاذبيتها بما توفره لهم من مظاهر الروح الجماعية والتضامن الداخلي والعودة إلى الطبيعة والبساطة، والانعقاد من العقد النفسية، والعودة إلى الذات والمسؤولية الشخصية تجاه تعهد الدولة أو المؤسسة الصناعية للفرد بكل حاجاته المادية.

تجاه هذه المعضلات الاجتماعية المستجدة وهذا الانفصام الوجداني في الشخصية اليابانية المعاصرة تساءل الكنيسة: ترى، أليس بمقدور الإنجيل أن يساهم إيجابيا في الحلول؟ اليس بمقدوره أن يقدم الطرق الكفيلة بتحقيق التحرر الحقيقي والعميق الذي يتوق إليه المجتمع الياباني الحديث؟ سيما وان الديانات التقليدية الكبرى، الشنتوية والبوذية، لم تعد تستهوي كالسابق، فضلا على أن الشعب الياباني شعب روحاني بطبيعته، بالرغم من مظاهر المادية، ويتقبل دور الله في حياة الإنسان، ويقدم حرية الآخر؛ شعب رقيق مسالم.

ويستخلص الأب نيميشيجي اليسوعي الياباني قائلا: "هكذا، فان الشعب الياباني ينتظر بفارغ صبر، وان بغير وعي على الأغلب، كلمات الحياة والرجاء الآتية من المسيح"^(١).

ب - جو الحرية: يبلغ عدد سكان اليابان الكلي (١٢٠ مليوناً)، والديانتان الرئيسيتان الكريان هما الشنتوية، وتعتبر الدين القومي للبلاد حيث أهما دين العائلة الإمبراطورية؛ والبوذية، وهي دين أغلبية الشعب بمذاهبها المختلفة. أما المسيحية فلا تتجاوز نسبة ١ %، والكاثوليك أنفسهم لا يعدون أكثر من ٠,٣ - ٠,٤ %، ومع ذلك فالمسيحية تتمتع بالحرية الكاملة، ولا شيء يعيق نشاط الكنيسة التربوي أو التثقيفي أو التبشيري، لا على صعيد الدستور ولا على صعيد الأشخاص أو المؤسسات أو الأديان الوطنية المسألة الأخرى. فالباب مفتوح على مصراعيه لتغلغل الإنجيل في المجتمع الياباني الجديد. المسيحية لم تعد نعتير ديانة مضلة محتقرة أو غير يابانية. وللمدارس المسيحية دور أكيد في إزالة الأحكام السلبيه القديمة، وهي نعم المدخل لحوار ودي بين المسيحيين وغير المسيحيين. كما أن زيارة البابا يوحنا بولس الثاني لليابان عام ١٩٨١ ساهمت مساهمة كبرى في رفع شان المسيحية وجاذبيتها -والكثلكة بالذات- لدى الرأي العام الياباني. ومن بعض دلائل هذا التحول أيضا أن معارض وبرامج تلفزيونية عديدة صارت تخصص لمواضيع مسيحية من زاوية متعاطفة جدا، وصدرت طوابع بريدية تحليدا لذكرى المسيحيين الأربعة الذين أوفدهم اليابان إلى بابا روما في القرن السادس عشر.

هكذا إذن... يقول الأب نيميشيحي الآنف الذكر: "تلاشت معظم الحواجز التي تجمعت عبر الأجيال لمنع الشعب الياباني من إيجاد الإيمان بيسوع... لقد هوت الجدران، وأشرقت الشمس في الأفق، وانفتح الباب الذي أوصد بإحكام، وعاد أوان لقاء المسيح مع اليابان"^(٢).

• عودة إلى التاريخ^(٣)

اجل، إن بين بدايات المسيحية في اليابان واليابالي الخالكة التي مرت بها وبين أجواء اليوم الحبلى بالرجاء لبون شاسع.

فلقد نزل فرنسيس كسفاريوس اليسوعي الاسباني على البر الياباني في ١٥ آب ١٥٤٩ مع راهبين آخرين مبشرا بالإنجيل، ولكن ما عتم أن غادره بعد سنتين بنتائج غير ذات بال. وفي ١٥٥٢ أرسل إليه من الصين قبيل موته، مبشرين شابا آخرين... وكان عدد المعمدين بعد خمسين سنة، ٣٠٠٠٠٠ مسيحي.

غير ان الحكومة المركزية رأت في الدين الجديد الذي حظي بتأييد الحكام الإقطاعيين في الجزر الجنوبية تهديدا لها وخطرا وافدا من الخارج، فلاحقت المسيحيين وسقط الشهداء الاولون في ناكازاكي عام ١٥٩٧. وفي ١٦١٣ صدر قرار باستئصال الدين المسيحي من البلاد، وطرد المرسلون، وطورد المسيحيون بضراوة وزجوا في السجون وفي المياه الكبريتية، وفي ١٦٣٤ أغلق اليابان تماما بوجه الأجناب.

وبعد قرنين من الزمن اضطر اليابان، لعوامل اقتصادية وعسكرية، إلى فتح أبوابه للخارج.. ف جاء كاهن فرنسي يدعى بيتيجان وبني كنيسة صغيرة في ناكازاكي لخدمة

الأوروبيين مبدئياً. وحدثت المعجزة يوم ١٧ آذار ١٨٦٥ حيث قصده نفر من الفلاحين والنساء اليابانيين من بقايا المسيحيين القدامى الذين حافظوا على إيمانهم مدة تنيف على المفتي سنة من دون كنيسة ولا كاهن. وكانت تلك النواة لانبعاث أكثر من ٢٠٠٠٠ مسيحي مبعثرين في أرجاء البلاد، وخاصة في جزيرة كيوشو الجنوبية. وثار تائرة السلطات المحلية من جديد، فسقط الآلاف من المسيحيين شهداء، من بينهم أول كاهن ياباني يدعى بولس هوندا.

وكان على المسيحية أن تنتظر عام ١٨٨٩ ليعترف لها الدستور الياباني رسمياً بالحرية في عهد الإمبراطور ميحي. واكتسبت هذه الحرية في المئة سنة الماضية طاقات أكثر فأكثر ثراء واتساعاً، حيث يبلغ عدد المسيحيين اليوم، بحسب إحصائيات ١٩٨٦، زهاء مليون، والكاثوليك ٤٣٢٨٥٠ (البروتستنت أكثر بقليل)، وقد اقتبل العماد في غضون العام المنصرم ١٠٠٠٠ بينهم عدد كبير من البالغين! وتمتع الكنيسة بجموية كبيرة في اكلروسها وعلمانيها وراهباتها ومؤسستها التربوية والاجتماعية والثقافية التي تعد بالمئات. وما العدد المتزايد من غير المسيحيين (٣٠٠٠٠ من ١٩٧٥ - ١٩٨٥) الذين يتوجهون إلى الكنيسة للاحتفال بزواجهم بحسب الطقوس المسيحية إلا دليلاً على هذه الجاذبية التي تحدثها المسيحية على الجيل الياباني الجديد.

• ثوب ياباني لمسيحية يابانية

في مقاله الذي ضمنه تصوره لطبيعة ومراحل التبشير بالإنجيل لليابان اليوم، يقدم الأب نيمشيحي المار ذكره مثال كوريا وينسج على منواله طموحا للوصول إلى عشرة آلاف عماد للبالغين في السنة.

ولكن التبشير بالإنجيل ليس مشروعاً أفقياً وحسب، وإنما تمه النوعية والأصالة أيضاً. كنيسة اليابان لم قعمل هذا الجانب لذا فهي تعمل بجدية في اتجاهين: لبني الكنيسة الراعوية واللاهوتية، والتجذر الثقافي. وكلا الاتجاهين يصبان في ثمر واحد إلا وهو إعطاء وجه ياباني أصيل للمسيحية اليابانية.

الكنيسة الكاثوليكية في أرقام

٤٣٢٨٥٠. (المسيحون ككل زهاء مليون)

١٦ أبرشية / مجلس أساقفة مركزه ناكازاكي / ٢٣ أسقفا وكردينال واحد / ١٩٢٦ كاهن / ٢٩٥ راهبا / ٧١٣٦ راهبة / ١٣٧٨ معلما علمانيا للتعليم المسيحي / ١٩٨ تلميذا كهنة / ١٢ جامعة كاثوليكية مع ٢٥٠٠٠ طالب بينهم ١٢٥٠ كاثوليكيا / ٢٨ مهلبا عالما / ١٢٢ ابتدائية و ٥٥ ابتدائية مع ٣٠٠٠٠٠ طالب / ٦٠٢ روضة للأطفال.

(أرقام ١٩٨٥ عن "تبادل فرنسا / آسيا" ومصادر أخرى)

ففي الاتجاه الأول يدعو الأساقفة في رسالة مفتوحة وجهوها إلى الكهنة والمؤمنين، قبيل انعقاد المؤتمر الراعوي العام، إلى "إعادة النظر في سبل التبشير السابقة والبحث عن

مداخل جديدة. ويوضحون قائلين: "هذا لا يعني إدانة الجهود المبذولة حتى الآن، وإنما النظرة التي نلقيها على كنيستنا اليوم تثير عدة أسئلة: هل هي منفتحة على المجتمع كما ينبغي؟ وضع الكنيسة من حيث ضخامة التخصيصات المادية للعمل الراعوي تجاه المؤمنين، واكليروسها المنهك في إدارة النشاطات الداخلية.. والمفردات المستهلكة والمواعظ البعيدة عن واقع الحياة اليابانية.. تلك معضلات لا تحل بين ليلة وضحاها. مفهوم الكنيسة والاسر، وصورة الكاهن والعلمانيين الجامدة.. كل هذا يتطلب مراجعة للمنطلقات الفكرية اللاهوتية"^(١).

اليابان

مجموعة جزر ساحية في المحيط الهادي إلى الشرق من الصين. أهمها جزيرة هوكايدو شمالاً، هونشو في الوسط وهي أكبرها- فيها العاصمة طوكيو (٥,٨ مليون)، وكيوشو وشيكوكو جنوباً. المساحة الكلية ٣٧٢٣١٣ كم٢. السكان ١٢٠ مليون.

التاريخ المسيحي

- ١٥٤٩: مجيء القديس فرنسيس كسفاريوس كأول مبشر
- ١٥٨٢: ٨٢ مرسلاً، ٢٠٠ كنيسة، ١٥٠٠٠٠ مسيحي
- ١٥٩٧: استشهاد ٢٦ مسيحياً صلباً في ناكازاكي
- ١٦١٠: طرد جميع المرسلين الأجانب
- ١٦١٣: الاضطهاد الكبير، منع المسيحية، استشهاد الآلاف
- ١٨٥٨: عودة المرسلين، أول كنيسة في يوكوهاما
- ١٨٦٥: اكتشاف وجود "بقية" من المسيحيين القدامى في ناكازاكي
- ١٨٧٠: اضطهاد جديد
- ١٨٨٩: منح الحرية الدينية دستورياً
- ١٨٩١: إقامة أساقفة وتنظيم الأبرشيات
- ١٩٢٧: رسامة أول أسقف ياباني: هاياساكا
- ١٩٤٠: كل الأساقفة يابانيون. اعتراف الحكومة رسمياً بالكنيسة الكاثوليكية
- ١٩٦٠: أول كاردينال ياباني: بطرس دوي
- ١٩٧٣: في البرلمان ١٢ مسيحياً من أصل ٤٩١ و ٤، ٢ % من أعضاء المجلس الأدنى
- ١٩٨١: زيارة البابا يوحنا بولس الثاني
- ١٩٨٤: مجلس الأساقفة يقر أولويات التبشير
- ١٩٨٧: المؤتمر الوطني الراعوي العام

أما الاتجاه الثاني الذي تقوده النخبة من المفكرين والكتاب والمتصوفين الكاثوليك اليابانيين، فيستهدف استبدال "البدلة غير المناسبة التي تلبسها المسيحية اليابانية" على حد تعبير شوساكو اندو، واعتماد صيغة "تعميد" القيم اليابانية التقليدية الإنسانية والدينية التي لا تتناقض والإنجيل، وإعادة صياغتها ضمن التصور المسيحي كجزء مكمل للإرث الإنجيلي؛

بذلك تتخلص الكنيسة اليابانية من القوالب الغربية الجاهزة المستوردة وتصبح جزءاً من التراث الثقافي الياباني. ويتضمن ذلك ما يتضمن استلهام القيم البوذية في الرحمة الإلهية الشاملة، والرقّة تجاه الكائنات الحية، والصمت، والصلاة التأملية العميقة. في عمق هذا التقليد بالذات يعرف الدومنيكاني الياباني اوشيدا مبادئ "الزن المسيحي" في العودة إلى أعماق الذات الهادئة والاتحاد بالله وبالطبيعة، وذلك منذ انشأ أول منسك للزن المسيحي عام ١٩٦٣. أما الشتوية فتقدم قيم التضامن مع الطبيعة، والترابط الأسري الداخلي ومع الأسلاف، وخبرة الانسجام الباطني للموسم بانسراح الوجه كانعكاس لانسجام الطبيعة والمجتمع. لم تصرح إحدى المهنديات تدعى تاكوشي لمراسل أجنبي: "سأظل مسيحية ما دامت المسيحية تعني الفرح". الكونفوشية بدورها تقدم قيم الإنسانية، والشعور بالمسؤولية، وروح التعاون، والحس الجماعي. ترى أليست كل هذه القيم ثراء ينسجم مع الإنجيل وينعش مسيحية اليابان والكنيسة الجامعة!

أضف إلى ذلك أن الدعوة الإنجيلية تتضمن نداء إلى العمل من أجل العدالة والتحرر ورفقي الإنسان والتضامن مع الفقراء والضعفاء. بهذا يشارك المسيحي في حب الله الشامل. ليس ذلك ما يحاول عيشه الكهنة البرادوزيون كعمال في كاواسكي، أكثر المدن اليابانية الصناعية "بروليتارية"؟ وهذا بالذات ما حدا بأحد الأساقفة اليابانيين إلى دعوة راهبته إلى عدم التفرد بمدارسهن ومؤسساتهن الاجتماعية واهتمامهن لخدمة الطبقات المترفة والبرجوازية فقط، كما هو الحال في أحيان كثيرة، بل لينحدرن إلى خدمة الطبقات الدنيا ويعشن تضامن المسيح مع الفقراء وصغار الشعب أيضاً^(٣).

هذه هي كنيسة اليابان الحديثة: كنيسة شابة، ممتلئة بالحياة والطموحات الإنجيلية. كنيسة لها طعم سفر أعمال الرسل، ولكن وسط الأزمنة الصناعية الحديثة. في حرارتها وعنفواها تريد، في جيل واحد، أن تستثمر ما حققه غيرها في عشرين جيلاً. كنيسة تريد أن "تنفذ إلى دم اليابانيين وفي كيانهم وجذورهم" بحسب تعبير رئيس أساقفة طوكيو المطران شيرايا ماجي.

الراهب الدومنيكي الياباني اوشيدا معلم الزن المسيحي

يجب أن نحيا إيماناً حقا، أن نصلّي حقا، أن ندخل أجواء التأمل حقا.. فعالمنا ما نثرثر كثيرا!

- ما الفرق بين البوذية والمسيحية؟

- الجواب في قصة هذه الراهبة البوذية التي حضرت قداسه وخرجت وهي تبكي: "لقد كانت هنا حقا، لقد شعرت بما من دون أن انظر إليها... وعندما سألتها ماذا حدث، قالت لي: "في البوذية اتحاد بين بوذا وبيننا، اتحاد بين كائنين، أما عندكم، فيد الله تظهر أمامنا واضحة". لقد بكت، وكان ذلك حقا إضرابا (دنج) لها".

(عن "لاكروا" - ١٥ - ١٦ ك ١٩٨٥)

الروائي الياباني الكاثوليكي شوساكو اندو

"الياباني يفضل ديانة امومية، رقيقة، متفهمة، على ديانة أبوية، باردة، قاسية. فإذا ما وجد اليابانيون في الإنجيل بعده الامومي والحبي، فبوسعهم إذ ذاك أن يتعلقوا به".
"إننا في حالة بحث عن شيء يعطي المعنى للحياة. افليس مدهشا ومؤشرا بليغا أن يكون لنا هذا العدد الكبير من الكتاب المسيحيين؟". "لقد لقنوا المسيحية في قوالب غريبة. ولكن ثمة كهنة يابانيين شباباً يحركون الأمور بشكل آخر".
(عن مقابلة في "لاكروا" - ٢٨ ت ١ ١٩٨١)

(1) - Mission de L'Eglise du Japon (Dec. 1986)

(٢) انظر ف . م . ك . ١٩٧٤ : المسيحية في اليابان.

(3) - ICI - 15-12-64: Japon, Etre Pauvres



سينودس العلمانيين أم الطموحين

خلال ٢٢ عاما بعد اختتام المجمع المسكوني، عقد سينودس الأساقفة العام ٦ دورات اعتيادية: في بعض القضايا الراعوية الملحة (١٩٦٧)، في موضوعي "الخدمة الكهنوتية" و"العدالة في العالم" (١٩٧١)، وكان موضوع الدورة الثالثة "الكرامة بالإنجيل" (١٩٧٤)، والرابعة "تعليم مسيحي لمصرنا" (١٩٧٧)، والخامسة "دور الأسرة المسيحية" (١٩٨٠)، والسادسة "المصالحة والتوبة" (١٩٨٢).

المقال التالي يضعنا في جو السينودس عشية انعقاد دورته السابعة حول "دعوة العلمانيين ورسالتهم في الكنيسة".



من ١ - ٣٠ - ١٩٨٧ سيعقد في روما سينودس الأساقفة الكاثوليك العام. و"السينودس العام" مؤسسة أسقفية استشارية حول البابا انبثقت من المجمع الفاتيكاني الثاني لتعميق دراسة بعض القضايا الراعوية الهامة في حياة الكنيسة واتخاذ التوجيهات العملية على صعيد الكنيسة الجامعة للتنسيق بين العقيدة والحياة. وأعضاء هذه "المؤسسة" قانونا هم البطاركة والكرادلة ورؤساء المجالس الأسقفية الوطنية. أما الخلاصات والتوصيات فلا تأخذ قوة القانون أو التعليم الرسمي إلا إذا أقرها البابا في منشور أو وثيقة تصدر باسمه. وبما أنما مؤسسة أسقفية صرف ولا يدخلها سوى الأساقفة، فقد تبحث في قضايا تم غيرهم من المؤمنين -ولربما تم هؤلاء مباشرة وبالتخصيص- من دون حضورهم. هكذا كان في "سينودس الأسرة" مثلا (١٩٨٠)، وهكذا سيكون، على الأرجح، في "سينودس العلمانيين" في الخريف المقبل. إلا إذا حضر بعض ممثلهم كمراقبين من دون حق التصويت، كما تردد في بعض الأوساط الرومانية.

ولكن إذا كان حضور العلمانيين غائبا عن قاعة السينودس، فأراؤهم ورجائهم ستجد صداها حتما -وان بصورة غير مباشرة، عبر ما سيعكسه الأساقفة الأعضاء. ففي ٢٨ نيسان الماضي، قدم كل من المونسنيور جان سكوت (بلجيكا) السكرتير العام للسينودس ومعونة المونسنيور ادمون فرحات (لبنان) "ورقة العمل" التي "تجمع وتنسق بصورة عقلانية" المقترحات والآراء التي نتجت عن الاستطلاع الواسع الذي كان قد أرسل منذ شباط ١٩٨٥، وبالتنسيق مع المجلس الحبري للعلمانيين، على شكل ١٦ سؤالا موجها إلى كافة السينودسات البطريركية الشرقية والمجالس الأسقفية، والجامع الرومانية، واتحاد رؤساء الرهبانيات. وقد تلقت السكرتارية العامة للسينودس ٨٠ جوابا من أصل ١٤٢، أي ما يساوي ٥٦%، وهي نسبة تبقى دون الطموح إذا أخذنا بعين الاعتبار أهمية الموضوع المطروح للبحث ألا وهو "موقع العلمانيين في حياة ورسالة الكنيسة". ترى هل يكون السبب عدم تحمس الأساقفة في استمراج آراء العلمانيين حول تصورهم لموقعهم ودورهم في الكنيسة أم عدم تحمس العلمانيين أنفسهم في انتظار شيء يذكر من مؤسسة لا تعطيهم

الكلام إلا بالتقطير عبر أساقفتهم. أم أن نضوج الحس الكنسي والوعي الديني لدى العلمانيين هو دون المستوى المطلوب لاستمزاج آرائهم بصورة فاعلة؟! مهما يكن من أمر، يبدو أن الكنائس الثرية في تاريخها ومواردها ووسائل إعلامها وطاقات أعضائها ومنظماتها واختصاصيها قد أحسنت استغلال فرصة الاستطلاع بصورة أفضل من غيرها، فأوصلت آراءها في الوقت المحدد، بينما تأخرت الكنائس الأخرى. غير أن أجوبة أخرى وصلت روما عبر قنوات غير القنوات الأسقفية الرسمية، وذلك عبر ١٢٥ منظمة وحركة علمانية وطنية وأبرشية ومحلية، إضافة إلى بعض العلمانيين الفرادى الذين بعثوا بآرائهم مباشرة إلى الفاتيكان.

وتذكر "ورقة العمل" التي تحمل عنوان "دعوة العلمانيين ورسالتهم في الكنيسة وفي العالم، عشرين عاما بعد الجمع الفاتيكاني الثاني" أنها ليست بحثا متكاملا حول العلمانيين، بل انعكاسا للضرورات الجوهرية في الكنيسة الجامعة. وتقسّم "الورقة" إلى ٣ فصول:

- ١- نظرة إيمانية إلى البشرية المعاصرة
- ٢- مشاركة العلمانيين في دعوة الكنيسة ورسالتها
- ٣- شهود المسيح في العالم.

وقد أشار السكرتير العام في سياق تقديمه "لورقة العمل" إلى ضرورة انعكاف السينودس المقبل على وضع الأسس اللاهوتية لمشاركة العلمانيين في رسالة الكنيسة، والتمييز بين الكهنوت العام الذي يشترك فيه كافة المعمذين والكهنوت الخدمي، مع تسليط الأضواء على العلاقة العضوية والرسولية بين الكهنة والعلمانيين، كما أوضح المونسنيور سكوت أن موضوع دور المرأة في المجتمع وفي الكنيسة سيكون أحد المحاور المهمة في أعمال السينودس.

من جانب آخر ذكرت "النشرة الكاثوليكية الفرنسية للصحافة والأنباء (١٣ أيار) أن رسالة بابوية إلى السادة الأساقفة رافقت "ورقة العمل" لتوضيح أهداف السينودس الذي سيعنى "بأوسع شريحة من شعب الله، اعني بهم العلمانيين الذين، بقوة عمادهم، يشكلون مع الرهبان والاكليروس، الأسرة الكبرى التي نسميها الكنيسة".

هذه "الشريحة الأوسع" أي البابا إلا أن يسمع آراءها مباشرة قبل السينودس، حيث دعا مجلس العلمانيين التابع للفاتيكان، وتوجيه من البابا نفسه، إلى مؤتمر علماني عقد في "روكا دي بابا" بالقرب من روما من ٢١ - ٢٥ أيار المنصرم. فقد اشترك أكثر من ٢٠٠ رجل وامرأة يمثلون المنظمات العلمانية الرسولية والراعوية الوطنية والدولية بالإضافة إلى علمانيين ملتزمين مستقلين لمناقشة "دور ورسالة العلمانيين في الكنيسة" ورفع مقترحاتهم إلى آباء السينودس، أملى بان تؤخذ بعين الاعتبار. فقد خاطبهم الكردينال بيرونو رئيس مجلس العلمانيين قائلا: "إنكم جئتم لا لكي تستمعوا إلى الخطابات، بل لكي تعكسوا خيراتكم، وتبادلوا الآراء، وتعبروا عن مخاوفكم وآمالكم.. والطريق لذلك هو الحوار...". وقد كان لحضور أعضاء مجلس سكرتارية السينودس شخصيا، من كرادلة وأساقفة، الأثر المعبر عن جدية رغبة البابا في سماع العلمانيين وإدخال آرائهم إلى قاعة مناقشات السينودس المقبل. وقد عبر عن ذلك لدى استقباله أعضاء المؤتمر ٢٣ من أيار. فقد أشار قداسه في كلمته إلى

المؤتمرين "بتميز مساهمتهم"، وشجعهم على المضي قدما في المشاركة في حياة الكنيسة، وقال بان هذه المشاركة "هي مشاركة حقيقية في المسؤولية التي تتطلب التزاما مستمرا تعتمد عليه الكنيسة". كما تحدث عن "التكامل الحقيقي"، بين الكهنة والعلمانيين، من دون وضعهم كأنداد لبعضهم البعض.

أما تيريزا ايشوي (ماليزيا) -وهي إحدى العلمانيين الأربعة الذين تحدثوا في حضرة البابا- فقد ركزت على ضرورة الثقافة "الواقعية والوجودية" للعلمانيين المتزمين وليس فقط إلى الثقافة اللاهوتية والنظرية للاضطلاع بمسؤولياتهم المسيحية في "الأسرة والمجتمع والعالم".

وهكذا ترسم علامات جديدة للأزمة الكنسية في الأفق: فلربما "عهد العلمانيين والعلمانيات" في الكنيسة قد افتتح حقا.. قد لا يكون هذا العهد إلا في أول الطريق.. المهم انه قد ابتدأ في اعلى المستويات.. ولم يعد العلمانيون -أقلة من حيث المبدأ والطموح- مجرد "أعوان" للتنفيذ وملء الفراغات يلجأ إليهم الاكليروس في الأوقات الحرجة. فتمايز الأدوار والمسؤوليات في الكنيسة يجب أن يكون صيغة من صيغ الالتزام الفعلي، لا ضربا من ضروب الطبقية أو التبعية، وذلك بحسب ما يؤتي الروح كل واحد حسب موقعه ومواهبه، وانطلاقا من منهج لاهوتي-كنسي- كتابي- واضح وثابت.

الأسس الكتابية للاهوت التحرير

"الوقوف إلى جانب الفقراء والعمل على تحريرهم... "أ هذا الشعار لم يعد وقفا على الأيدولوجيات! وحين يرسو "لاهوت التحرير" على منطلقات تعطي الأولوية للمظلومين والمقهورين والمستضعفين....، فلأنه يستلهم أسسه من الكتاب المقدس والعهد الجديد بنوع خاص: أليس الإنجيل بشرى خلاص وتحرر؟
ففي مناخ أميركا اللاتينية ولد لاهوت التحرير للإجابة إلى حاجة شعوبها إلى تحرير يكون في منطق الإنجيل. إلى اكتشاف الأسس الكتابية التي يعتمدها هذا اللاهوت يدعوننا الأب جرجس القس موسى في هذا الملف.



"لاهوت التحرير"! عبارة طالما أشتتت منها رائحة البارود والهرطقة في الأوساط الرومانية.. حتى فرضت نفسها أخيرا على القاموس الكنسي الرسمي ذاته.. لاسيما بعد المناظرات التي تقابل فريفا القضية: الكاردينال راتزينغر، رئيس مجمع عقيدة الإيمان، ولاهوتيو التحرير في أميركا اللاتينية، الراهب الفرنسيسكاني البرازيلي ليوناردو بوف، احد ابرز أقطاب لاهوت التحرير⁽¹⁾.

في هذا الملف، ليس الجانب الجدالي الذي يهمننا، وإنما البحث في المنطلقات الواقعية التي أوجدت تيار "لاهوت التحرير"، لنفصي، من ثم، إلى المراجع الكتابية التي يعتمدها هذا اللاهوت في دعم وتبرير نظريته التحررية وتثبيت مسارها ضمن البحث اللاهوتي المسيحي العام، وكجزء مكمل له، من جهة، ومن جهة أخرى كوجه من أوجه التزام الكنيسة الفعلي قضية الفقراء والمحرومين.

• نشأة لاهوت التحرير

لاهوت التحرير نشأ في أميركا اللاتينية: ذلك واقع تاريخي. ولأوضاع أميركا اللاتينية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، إبان الاستعمار البرتغالي والاسباني وفي عهود الدكتاتوريات العسكرية الوطنية المعاصرة، فعل المحرك المباشر والأساس لظهور التيار التحرري في الحس الكنسي هناك، منذ الخمسينات وخاصة الستينات. وقد تُرجم هذا الحس الذي انطلق من القاعدة أول ما انطلق، بالتزام بعض الكهنة والرهبان والعلمانيين فعليا قضايا الفلاحين بوجه استغلال كبار الملاكين والأنظمة السياسية التي كانت تساندها. فنشأت في الكنيسة حركة توعية واسعة، بين صفوف الطلبة الجامعيين والعمال والفلاحين، وقامت فرق ما عرف بجماعات القاعدة⁽²⁾ لتحليل الواقع ومعالجته انطلاقا من الرؤية الإيمانية.

أما القاعدة الفكرية التي كانت تعتمدها هذه النخبة - وكانت معظمها تنتمي إلى الطبقة الوسطى - فكانت تستقيها من كتابات جاك مارتان ونظريته في الإنسانية الكاملة، وعمانوئيل مونييه أبي الشخصية الاجتماعية، وتيار دي شاردان ونهجه في التطور التقدمي، وهنري دي لوباك وإبعاده الاجتماعية للعقائد المسيحية، ومن لاهوت العلمانيين لدى ايف كونغار، والعمل لدى ماري دومنيك شنو. كلهم مفكرون ولاهوتيون فرنسيون معاصرون بارزون كان لهم شان في إعداد وإثراء أبحاث وتوجهات المجمع الفاتيكاني الثاني الذي جاء بدوره كزخم نظري متميز - سيما وأنه صادر عن السلطة الكنسية الجامعة نفسها - لتبرير هذا النهج في البحث لإيجاد لاهوت تقدمي يعني بنماء الإنسان وتحريره، وإثارة حيوية جديدة وروح نقدية في أسباب العمل الراعوي. ولقد تزامن هذا الاتجاه وتعزز مع قيام الحركات الشعبية والجماعات المسيحية الملتزمة في النضال من أجل تحرير اجتماعي وسياسي منفتح على تحرر كامل وشامل للإنسان الأميركي اللاتيني. وجاء ذلك كجزء من سياق حركة الانعتاق التاريخية التي انتهجتها "الأطراف" (= العالم الثالث) لتتحرر من تبعيتها "للمركز" (= العالم الأول: الغرب الصناعي).

ففي جو الحوار هذا، بين كنيسة مجتمعية منفتحة ومجتمع أميركي لاتيني في غليان، بين إيمان مسيحي ملتزم ورغبة ملحة في التغيير والتحرر انطلاقاً من القاعدة، وُضعت الأسس الفكرية الأولى للاهوت التحرير. وبفضل جو الإبداع والحرية الفكرية التي أتاحتها المجمع الفاتيكاني الثاني منذ بداية الستينات، نشطت الدراسات والمؤتمرات اللاهوتية حتى أفضت إلى ظهور أول كتاب أساسي لطروحات لاهوت التحرير، عام ١٩٧١، لكوستافو كوتيريز (بيرو) بعنوان "لاهوت التحرير، آفاقه"، تبعه في ١٩٧٤ كتاب أساسي آخر بعنوان "يسوع المسيح المحرر" لليوناردو بوف (البرازيل). وهكذا بدأت مرحلة التنظير لإعطائه الركائز العقائدية والإبعاد الكتابية التي تجعل منه فمحا لاهوتياً حقاً.

• بين التنظير والعمل

وأولت هذه المرحلة اهتماماً بصورة خاصة بثلاثة مواضيع، هي: الروحانية، لاهوت شخص المسيح، لاهوت الكنيسة، لما لهذه المواضيع من صلة مباشرة بالصورة التي تعكسها الكنيسة (عن ذاتها وعن علاقة عقيدتها في المسيح)، تجاه المحرومين وقضية تحررهم. فلاهوت التحرير، منذ البداية، أراد الربط المباشر بين النظرية والفعل، بين العقيدة والممارسة. ولقد التزم فعلاً كثير من رواده - من لاهوتيين ورعاة كنسيين ومجاهدين علمانيين - بالعمل المباشر أو الراعوي في الأوساط الشعبية المحرومة، ومنها استلهموا دينامية هذا الربط على الصعيدين الفكري والعملية لجعل عملية التحرر عملية معاشة وفعلية، لا مجرد تصورات روحانية أو غيبية. ذلك ان الخطاب اللاهوتي لا يكون واقعياً ومفيداً إلا إذا مر من مرحلة "النظر" التحليلية إلى مرحلة "الحكم" اللاهوتية، وصولاً، ومن خلال الخبرة الواقعية، إلى مرحلة "العمل" الراعوية.

هكذا، إذن، تدرج لاهوت التحرير من خطوة تمهيدية أولى انطلقت من وعي مرير لقضية المحرومين، إلى عملية اهتداء روحية تضمنت، في خطوة ثانية، "اهتداء طبقيا"، على حد تعبير ليوناردو بوف^(٣)، دفع إلى تضامن فعلي مع قضية المحرومين والمساهمة، بشكل أو بآخر، وعلى ضوء الإيمان المتلزم، في عملية تحريرهم؛ ثم جاءت الخطوة الثالثة في تنظير هذا الالتزام، وقوامه العلاقة الجدلية بين العقيدة (الإيمان) والممارسة (المحبة)، وفق ما جاء لدى بولس الرسول في "الإيمان الفاعل بالمحبة" (غلاطية ٥ : ٦).

فبعد ملاحظة واقع المحرومين واستقراء مسبباته البعيدة والقريبة على ضوء التحليل الاجتماعي والعلوم الإنسانية المختصة، تأتي الأسئلة الأساسية التي يلقيها اللاهوتي على نفسه:

- كيف يستعيد الإنسان المستعبد حريته التي خلقه الله فيها؟
 - كيف يكون المسيحي مسيحيا في عالم محروم بائس؟
 - أي جواب يعطي الكتاب المقدس لهذين السؤالين؟
 - كيف يجسد المسيحي جواب الكتاب المقدس واقعيًا؟
- أو بكلمة واحدة، أمام بؤس البؤساء، ما هو موقف المسيحي: هل اسكت واجتاز، أم يدفعني إيماني لان أتحرك وأفكر في إخراجهم؟ وكيف؟
- في الإجابة إلى هذه الأسئلة يتكون لاهوت التحرير.

• الأمس الكتابية المعتمدة

الكتاب المقدس كلمة الله إلى البشر. وتفسير هذه الكلمة يستوعب قراءات مختلفة -ولكن غير متضاربة- ومتنوعة بتنوع حاجات البشر. أما القراءة التي ينتقها لاهوت التحرير -من دون أن ينكر سواها- فهي التي تنطلق من منظور المحرومين والمقهورين لتحريرهم. "فمن قلب الوحي الكتابي الكبير، يقول ل. بوف، ينتقي (لاهوت التحرير) المقولات الأكثر دلالة باتجاه الفقراء، مثل: الله أبو الفقراء ومحامي المقهورين، التحرير من العبودية، النبوة بعالم جديد، الملكوت المعطي للفقراء، الكنيسة بصفتها شركة تامة..."^(٤).

أما دوافع لاهوت التحرير للتضامن مع "فقراء الأرض" هؤلاء، فلأنه يرى في ذلك تأدية عبادة لله واتحادا مع المسيح، للأسباب التالية:

- أ - لان الله، بحسب الكتاب المقدس، هو اله حي ويدافع عن كل حياة (خروج ٣ : ٧-٩)، داعيا إلى نصرة المظلومين (اشعيا ١ : ١٠ - ١٧ : ٥٨ ؛ ٦ - ٧).
- ب - لان المسيح اخذ جانب الفقراء واليهيم وجه رسالته أول الكل: "مسحني لأبشر المساكين..." (لو ٤ : ١٨ - ١٩)، وأقام نفسه محاميا ومدافعا عنهم بوجه الأقوياء حتى بذل حياته دولهم بتضحية الصليب (يوحنا ١٥ : ١٢ - ١٣ ؛ يوحنا ٩ : ٢ - ١٠).
- ج - لان الدينونة على هذا التضامن تقوم: "كنت جائعا فأطعمتموني... كنت غريبا فأوتيموني... كنت محبوسا فأتيتم إلي... إن كل ما صنعتوه إلى واحد من إخوتي هؤلاء فلي قد صنعتوه الخ... (متى ٣١ : ٢٥ - ٤٦).

د - لان الرسل -والكنيسة الناشئة- منذ البداية اهتموا بالفقراء (أعمال ٢، ٤؛ غلا ٢: ١٠). والمجمع الفاتيكاني الثاني نفسه، كانت له مواقف متميزة في "الاختيار الانتقائي" لجانب الفقراء.

فصوص الكتاب المقدس تصبح هنا كالمرآة العاكسة، أو كالضوء الذي بنوره نقرا واقع المحرومين. وبهذه القراءة يتضح لنا كلام الله كلاما فاعلا.. اليوم نعيد اكتشاف ديناميته وطاقته الكامنة والقيمة باستشارة التغيير. والتغيير الذي ترمي إليه هذه "القراءة" الجديدة - القديمة فهو التغيير الذاتي (الاهتداء الشخصي). وتغيير التاريخ أو البنى (الثورة)، وكلا التغييرين ينسجمان تماما في مراميها مع روحانية الديانة الكتابية المنفتحة والداعية إلى التحدد وتجاوز الذات باستمرار. لذا تكتسب عملية إعادة النص الكتابي، لدى تفسيره، إلى بيئته التاريخية والاجتماعية زحما كبيرا لفهم أبعاده اليوم وعكسه على واقع مستضعفي اليوم، ولاندفاع الفعل التحرري، كما في قصة السامري الصالح، مثلا، وموقفه الإنساني الملتزم من الجريح الغريب عنه جغرافيا ومذهبيا... وغيرها.

• الأمصار التي يخلصها لاهوت التحرير بتفصيله

لا شك ان شخص يسوع المسيح ومواقفه الفعلية في التاريخ -التاريخ الذي كان تاريخه الشخصي في زمان ومكان معينين- سيكون الملهم الأول والأساس لاختيارات لاهوت التحرير. لذلك يأتي الإنجيل -والعهد الجديد عموما- في مقدمة الأسفار التي يعتمدها لاهوت التحرير. فقراءة الإنجيل تأتي هنا لإنارة الواقع وإخضاعه للتحدد والنقد والتحول الدائم نحو الأفضل وانسنة الإنسان، أكثر فأكثر، حتى يبلغ "قامته الكاملة" بحسب تعبير القديس بولس، ووفقا لمشروع يسوع المسيح في "ادم الجديد". وذلك ليس بالحديث وحده، مهما كان للكلمة من بلاغة وقوة ضاغطة، بل بالالتزام الفعلي أيضا. هكذا يستعيد الإنجيل مصداقيته كعنصر تحرير ينظر ملايين المحرومين، ويتحلى حنان الله نحو المستضعفين بوجه انساني يبعث الأمل والحياة. وهذه المصداقية تقطع دابر استغلال الإنجيل لخدمة ايديولوجية سياسية أو اجتماعية معينة. "فإعادة قراءة الإنجيل انطلاقا من التضامن مع الفقراء والمقهورين، يقول كوستافو كوتيرييز، تتيح لنا فضح استخدام الإنجيل من قبل الأقوياء ووضعه تحت تصرف مصالحهم... لان كلام الرب يتوجه إلى كل انحاز تاريخي ليضعه ضمن الرؤية الأوسع للتحرر الكامل والجذري الذي نادى به المسيح، رب التاريخ"^(٩).

أما الأسفار الأخرى التي يستقي منها لاهوت التحرير ركائز بحثه واستنتاجاته فهي:

- سفر الخروج، لأنه يسرد قصة أول عملية تحرر سياسية - دينية لشعب من العبيد أصبح، بفعل "مبادرة إلهية"، شعب الله الحر، مع ما تحمله هذه الريادة من عناصر المثالية والنموذج والعبارة.
- أسفار الأنبياء (وفي مقدمتهم اشعيا وارميا) للبعد الشمولي لرسالتهم، ولدفاعهم العنيد عن موقف الله المحرر؛ لعدم مساومتهم في فضح المظالم؛ ولطالبتهم بحقوق الصغار والضعفاء، وتبشيرهم بالعهد المسيحي الآتي.

- سفر أيوب حيث الله المحرر - والبار وحده- يدافع عن الفقير ويغمر المحروم بمباهته، ويحرره، وان بدا صامتاً لفترة.
- سفر أعمال الرسل لأنه ينقل الصورة المثالية للجماعة المسيحية الاولى، جماعة متحررة ومحررة، وعائشة في تضامن وفرح ابناء الله.
- سفر الرؤيا حيث الانفتاح الدائم إلى ما هو جديد، إلى سماء جديدة وارض جديدة تحمل محل العالم القديم المثقل بامراضه وأسباب الخلاله. في هذه "الأرض يسكن الله مع الناس.. ويمسح كل دموعه من عيونهم.. فيكون كل شيء جديداً" (رؤيا ٢١: ١ - ٦).
- وهناك أسفار أخرى تلقي صداها لما تحويه من نماذج تحرر وطموح نحو الاعتناق مثل أسفار عزرا ونحميا والمقايين والمزامير التي تتحدث عن الله المحرر، ومثل الأسفار الحكيمية التي تعكس حكمة الشعوب، إذن فلسفتها في الحياة ومعالجة الواقع.

وكما أن لاهوت التحرير، بعودته إلى الكتاب المقدس، إنما يستلهم الركائز العقائدية التي تترسح سعيه التحرري وتدعم بنيته اللاهوتية في تواصل مع البحث اللاهوتي المسيحي العام، فباسم هذا التواصل عينه، وفي حركة انفتاح إلى التيارات الدينامية في تاريخ الكنيسة، يعود إلى التقليد الكنسي العام وإلى شهود الإيمان عبر الأجيال بحثاً عن نماذج له: (البعد التحرري في خيرات بعض المصلحين والقديسين ومؤسسي الرهبانيات الكبرى: أمثال فرنسيس الاسيزي وسافونارول وكاترينا السيانية وغيرهم). كما إن موقف لاهوت التحرير من "تعليم الكنيسة الاجتماعي" الذي تحمله الوثائق الكنسية الرسمية موقف "منفتح وإيجابي"، ولاهوت التحرير يرفض أن يُعتبر "رؤية منافسة" لتعليم السلطة الكنسية. فإذا حمل "التعليم الرسمي" التوجيهات الكنسية الكبرى للعمل الاجتماعي، فلاهوت التحرير يحاول "تنسيق" هذه التوجيهات ضمن نظريته والخروج بها إلى حيز الفعل الخلاق، وفق ظروف العالم الثالث الواقعية، في هذه البيئة أو تلك.

• الطروحات الرئيسية التي يتمحور حولها لاهوت التحرير

فإذا ما أردنا إنجاز الطروحات الرئيسية التي يتمحور حولها لاهوت التحرير، انطلاقاً من واقع معانيات العالم الثالث - وأميركا اللاتينية بالذات حيث نشأ- وعلى ضوء الكتاب المقدس الذي تستفتيه هذه الطروحات، لأمكننا تحديدها على النحو التالي:

- ١ - الإيمان الحي والحق يتضمن ممارسة التحرير بالضرورة. أو بعبارة أخرى يجري التركيز على البعد العملي للإيمان الكتابي وارتباطهما العضوي، لان "الإيمان من دون أعمال عقيم" (يعقوب ٢: ٢٠). فالأرثوذكسية (الإيمان القويم) تسير يدا بيد مع الارثوبراكسية (العمل القويم) (ل. بوف).
- ٢ - الإله الحي الذي يقف إلى جانب المقهورين - كما فعل بوجه فرعون في سفر الخروج - لأنه يريد الحياة للإنسان (خروج ٣: ٧ - ٨؛ ارميا ٢١: ٢٢).

٣ - انطلاقاً من حياة الثالوث الذي هو شركة - ينبغي على الأسرة البشرية أن تعيش في شركة وتضامن، لا سيما تجاه المحرومين والضعفاء.

٤ - ملكوت الله الذي هو مشروع الله في التاريخ وفي الأبدية، يبدأ من هنا (لو ١٧: ٢١). فمستقبل الإنسان الاخيرى يبدأ من هذه الحياة بتحرير الإنسان الكامل وإرساء قواعد ملكوت الله، أي المجتمع الجديد في المسيح؛ ملكوت ينمو بنمو الحرية والعدل والحب والسلام بين الناس وفي قلوبهم.

٥ - يسوع، ابن الله، الحامل مضايقتنا على كنفه ليحررنا منها (فيلبي ٢: ٦-١١؛ مرقس ١٠: ٤٥). وهذا التحرر يبدأ من قلب تاريخنا الإنساني: "مسخني لأبشر المساكين". أما قيامته، فتأتي كفعل التحرير الواقعي له شخصياً وكفعل رجاء بمصداقية الملكوت الذي نادى به.

٦ - الروح القدس، "أبو الفقراء" وفاعل التحرير، إذ انه يكمل عمل المسيح ويحفظ شعلة الرجاء بالملكوت متيقظة حية أبداً.

٧ - مريم، ابنة الشعب، ودورها النبوي والمحرر (موقفها في قانا الجليل: يو ٢: ٣). نشيدها الثوري في الزيارة (لو ١: ٥١ - ٥٣).

٨ - الكنيسة موضع وأداة التحرير، لان الرسالة الإنجيلية التي تحملها إلى العالم هي رسالة تحرير ومشاركة. وقبل أن تكون مؤسسة هرمية، فهي جماعة المؤمنين الذين ينبغي أن يحيوا إيمانهم بروح الحب والخدمة والتضامن. والكنيسة تكون موضع التحرير من خلال الجماعات الصغيرة التي تكوّنهما، حيث يلتقي الإيمان بالحياة، والإنجيل بعلامات الأزمنة.

٩ - حقوق الفقراء هي حقوق الله. فلقد قال أساقفة أميركا اللاتينية في بويلا: "إن محبة الله بالنسبة للينا، اليوم، ينبغي أن تصبح فعل عدالة تجاه المقهورين، وجهداً لتحرير الأكثر حرماناً" رقم (٣٢٧). والفقراء الذين يقصدهم لاهوت التحرير بالدرجة الأولى هم هؤلاء المحرومون اجتماعياً واقتصادياً وتفرض عليهم الأنظمة بالبقاء كذلك عرضة للاستغلال واغتناء الأغنياء، سواء بتركهم ضحية للتخلف وحقاء الأرض، أو بالاستغلال المباشر وظلم الملاكين الكبار. كما أنهم كل ضحايا التفرقة العصرية أو الجنسية وغيرها من اشكال الحرمان والقمع.

١٠ - مبادئ لاهوت التحرير ليست مجرد تنظير فكري، وإنما ينبغي أن تنعكس على السلوكية الشخصية وترجم في الالتزام الفعلي. وما تستهدفه هو تغيير طبيعة العلاقة غير المتكافئة بين الرأسمال والعمل، واجتثاث أسباب المظالم والتفرقة بين القوميات والثقافات والأجناس.

١١ - وضع المرأة الاجتماعي، وهو جزء أساس - لا هامشي - من عملية التحرير الكامل للإنسان.

١٢ - وهناك تحديات أخرى منها النظرة النقدية إلى الممارسة الاقتصادية والسياسية.. التي يعالجها لاهوت التحرير حاليا لوضع أخلاقية إنجيلية تأخذ بعين الاعتبار الإنسان وتضامن الشعوب قبل الربح والاستهلاك والسيطرة.

• خاتمة

إنما لم نقل كل شيء عن لاهوت التحرير، ولا نظرنا إلى مخاطر الزلل التي قد يتعرض لها، ولا هذا كان هدفا. وإنما أردنا إلقاء الضوء على الركائز الكتابية التي يعتمدها هذا النهج من البحث اللاهوتي وحسب.

ولكن يمكننا القول في ختام هذه المحاولة، بان لاهوت التحرير، إذا كان لا يزال في طور الشبوية - حيث انه بالكاد قد اجتاز عتبة العشرين من عمره - فحضوره إلى الساحة الدولية كفضال مسيحي، نظري وعملي، حضور له مكانته، وعلى ثلاثة أصعدة: لاهوتية وكنسية، واجتماعية سياسية.

ففي مجال التيارات اللاهوتية المعاصرة يتسم لاهوت التحرير بدنامية خاصة ويعتبر عنصرا ملهما لحيوية البحث اللاهوتي في أقطار العالم الثالث خاصة، ليس في أميركا اللاتينية، موطنه الأصلي وحسب، بل كذلك في آسيا وأفريقيا، وفي أوروبا أيضا حيث يُدرّس في الجامعات والمراكز اللاهوتية، أكثر فأكثر.

أما في المجال الكنسي فهو يستحث قيام جماعات كنسية وقاعدية مسؤولة، ويساهم بصورة مباشرة في تجديد المفاهيم الكنسية ومواقفها الايديولوجية والفعلية تجاه الجماهير المحرومة ومشاكلها (مدلن، بويلا). فهو، بذلك، يمارس دورا نبويا (تجاه الرعاة وتجاه القاعدة).

وهذا " الدور النبوي" يمارسه تجاه المجتمع المدني، حيث يصبح "علامة" لبشرى الإنجيل المحررة. وفي فاعليته الثورية، فلقد انتشل من يد الماركسية احتكارية التحدث باسم الكادحين وعملية التغيير التاريخي.

وهكذا يصبح الإيمان من جديد طاقة للتجدد والتحرر وتجاوز الذات، ليس على الصعيد الفردي وحسب، بل على الصعيد الجماعي أيضا، ولا يعود الدين أفيونا للإنسان، كما زعموا.

(١) انظر ف . م . ك . م . آيار وآب/أيلول ١٩٨٥؛ وك ٢ ١٩٨٦

(٢) انظر ف . م . حزيان ١٩٧٧

(٣) Qu'est- ce que la théologie de la libération p . 43 - 44

(٤) المصدر نفسه ص ٦٠

La force historique des pauvres , p. 59. (٥)

المصادر:

- Léonardo et Clodovis BOFF: Qu'est- ce que la théologie de la liberation?, Cerf 1986
- Léonardo BOFF: Jesus - Christ Libérateur , Cerf 1982
- Gustavo GUTIERREZ: La Force historique des pauvres , Cerf 1986
- Gustavo Gutierrez: Le Dieu de la vie , Cerf 1986

ملف/تشرين الثاني ١٩٨٧



الدورات اللاهوتية "مدرسة وكليسا"

الدورة اللاهوتية يوم عيد... الدورة اللاهوتية مهرجان فكري.. الدورة اللاهوتية ملتقانا المفضل الخ... هذه العبارات وغيرها من العبارات سمعتها من طلبة الدورات اللاهوتية للعلمانيين في كل من الموصل وبغداد. شباب وفتيات، من مرحلة الإعدادية والجامعيين والخريجين والموظفين، وبعض الراهبات من مختلف الجمعيات الرهبانية، وحتى من الكهول والشيوخ المتقاعدين.. يعودون منشرفين إلى كرسي الدراسة بضجيج تلامذة الابتدائية ولربما بشيطاناتهم أيضا، يدفعهم الفضول الفكري للتعلم في جذور إيمانهم عبر الدراسات اللاهوتية، أو الاطلاع على الصيغ الجديدة في تفسير وفهم الكتاب المقدس، أو النبش عما غلفته الأيام من تاريخ كنيستنا المشرقية، بظلاله وأنواره، أو استقصاء ما تقوله الفلسفة عن الإنسان.. هذا المجهول!



الأهداف

للدورة ثلاثة أهداف رئيسية، يقول المطران كوركيس كرمو، راعي أبرشية الموصل الكلدانية التي منها انطلقت المبادرة وبرعايتها تعمل الدورة اللاهوتية في الموصل، وهذه الأهداف هي: ١- خلق جيل مسيحي مثقف دينيا، واع لمسؤولياته؛ ٢- إعداد كوادر متخصصة للتعليم المسيحي باكتساب ثقافة أعمق؛ ٣- تهيمه الراغبين في الكهنوت من المتزوجين ومتابعة دعوتهم. أما الأب يوسف توما الدومنيكي مدير دورة بغداد فيقول:

- إن هدف دورتنا هو إعطاء ثقافة دينية لاهوتية عميقة لكل مدرسي التعليم المسيحي وتزويد الخورنات بالمدرسين الكفوئين، علميا وروحيا وتربويا. أما هدفنا الثاني فهو أن تعم هذه "الثقافة الدينية اللاهوتية" أكبر عدد من المؤمنين، لذا نترك الباب مفتوحا لكل من يريد التعلم، ولم يكن هدفنا إعداد كهنة أو راهبات. هكذا، إذن، تلتقي الدورتان اللاهوتيتان، في الموصل وبغداد، في كونهما "مدرسة" للتثقيف المسيحي العمق والمركز للعلمانيين البالغين.

لماذا جنت؟

ولكن ماذا يقول الطلبة؟

- "لماذا جنت إلى الدورة". سؤال وجهناه إلى بعضهم من دون انتقاء مسبق للأشخاص. فكشفت الأجوبة عن عطش إيماني وفضول علمي، صدى لمعاناة حقيقية. قالت رجاء إبراهيم ككي (مهندسة - السنة الأولى، الموصل): "جنت لأجد أجوبة عن تساؤلاتي حول الله والإيمان". وقالت بشرى فرج (بكالوريوس إحصاء - السنة الأولى، بغداد): "جنت لتلبية رغبة قديمة لفهم وترسيخ القناعات التي كانت قد بدأت ترتبك عندي في القضايا الدينية، حيث رأيت ان ما تعلمته غير كاف أو لا اقتنع من صيغه القديمة". وأجاب

سليم موسى كوكا (خريج إنتاج معادن - السنة الثانية، بغداد): "تقتي بكفاءة المدرسين جعلتني أفكر بأهم سيحدثون انقلاباً في المفاهيم التي تسلمناها حول تساؤلات داخلية.. فجنثت". بسام حنا يوسف (خريج إدارة واقتصاد - السنة الثانية، الموصل) جاء "الزيادة معلوماته، فهو يحب التعمق في قضايا اللاهوت". أما عمانوئيل نيسان (خريج معهد أمريكي للغة الانكليزية - السنة الثالثة، بغداد) فيضيف عنصر "التسلية إلى رغبته في الاطلاع على تطور التدريس الديني". "بعد تباعد عن الكنيسة، يقول يوسف نعوم فرج (عقيد مدفعي متقاعد - السنة الأولى، بغداد)، اشتقت إلى العودة إلى المبادئ المسيحية لإيماء أفكارتي ومعلوماتي ورؤية الفروقات في التعليم السابق والحالي. ثم انما امتصاص للفراغ بصورة مفيدة".

ولكن هل وجد هؤلاء العطاش في الدورة ما كانوا يصبون إليه؟

- "أول ما أعطت لي الدورة أن لا أخاف من طرح أي سؤال كان، لا سيما في اللاهوت. لقد زعزت صيغ إيماني القديمة، ولكن لإرساء بناء أقوى. في الكتاب المقدس اكتشفت قراءة جديدة" (سليم). "أعطتني تفسيرات حول الإيمان والحقيقة التاريخية لبعض المعطيات الكتابية؛ غير أن صعوبات تواجهني لأنني ثرثار في المناقشة" (بسام). "أكتشفت روح الجماعة" (حنان نافع: خريجة آداب - السنة الأولى، الموصل).

"لا زلت في البداية ولكنني أرى أن التعليم القديم لا باس به وليس من جديد في الجوهر، إنما الأساليب تغيرت" (يوسف نعوم). "لم تزد الدورة على معلوماتي شيئاً" (لأني كنت على علم بما مسبقاً منذ المعهد" (عمانوئيل - وقد قضى أكثر من 8 سنوات في المعهد الكهنوتي). أما الأخت البرتين (من راهبات القلب الأقدس - السنة الرابعة، الموصل) فتعترف أن الدورة "أعطتها صورة جديدة للمسيح، وأفادتها في تشذيب دروس التعليم المسيحي التي تعطيها للصغار من الأفكار الخاطئة أو الناقصة، والتركيز على شخصية المسيح كمخلص. كما انما ساعدت في إنضاج إيمانها".

آفاق جديدة.. وقلق

زيادة المعلومات وتعميقها أمر لاشك فيه، ناهيك عن توسيع الآفاق الفكرية. غير أن الطرح لحقائق الإيمان والأسلوب الحديث في "قراءة" الكتاب المقدس بعهديه وتجاوز حرفيته إلى "الفحوى اللاهوتي والتعليمي" الذي تتضمنه قصصه ونصوصه، قد يكونان ابرز عاملين في معانيات الأساتذة ومناقشات الطلبة في الدورتين معاً، سيما وان أكثرية الطلبة آتون من اختصاصات علمية وليس لهم أية خلفية لاهوتية أو كتابية أو فلسفية جادة، ومعظمهم لم يعودوا مناقشة أمور الدين بروح التلاميذ الباحثين ولا بأسلوب التدرج الفكري.

"هناك أشياء هي بديهية بالنسبة لي، وبدا لي أنها مجهولة وغريبة عن الطلبة، يقول الأب ألبير أبونا مدرس تاريخ الكنيسة في بغداد، فاضطر إلى ترديد معلومات أولية مرات عديدة". هناك أسئلة تغلي في داخلهم، ولكن محدودية الزمن تحول دون كل الإجابات. كما أن بين أكاديمية التعليم وواقعية الحاجات المباشرة صدام مستمر، يقول الأب يوسف عتيشا مدرس التربية الدينية في بغداد، ولكن صعوبة البدايات تتذلل في السنوات المتقدمة

تدريجيًا: "كانت معاناتي خلال السنة الأولى، وكل فكرة جديدة كانت تقابل بالرد، وأحيانًا مجرد أنها لا تلائم العقلية السائدة والفكر التقليدي"، يقول الأب افرام سقط مدرس الكتاب المقدس في الموصل، ويستطرد: "أما الآن فالس استيعابًا جيدًا، لا سيما لدى متابعة نفس الطلبة المواضيع نفسها، فبوسعي أن أقول إني وضعت بذرة قابلة للنمو". هذا أيضًا كان شعور المطران بولس دحدح، مدرس الفلسفة في بغداد: "كنت دائمًا أتمنى التدريس، فالتدريس يعطيني مجالًا للتجديد، أما عن الطلبة فأرى مع التجربة والوقت أنهم يستطيعون الموضوع، بالرغم من صفة التجريد التي تتحلى بها الفلسفة".

الدورة اللاهوتية للعلمانيين في الموصل	دورة الدراسات اللاهوتية للكهننة والراهبات والعلمانيين في بغداد
تأسست في ١٩٨٣/١٠/١٠	تأسست في ١٩٨٤/١١/١٢
مقرها الحالي في دير الراهبات الدومنيكيات في منطقة الساعة	مقرها كاتدرائية القديس يوسف اللاتينية (السنتر)
مدة الدراسة ٤ سنوات بمعدل ٣ محاضرات كل يوم اربعاء (بعد ان كانت ٣ سنوات ويومين في الاسبوع).	مدة الدراسة ٣ سنوات بمعدل ٣ محاضرات كل يوم اثنين
المستوى العلمي للقبول: من أفضى الدراسة الاعدادية فما فوق	المستوى العلمي للقبول: ما يؤهل الطالب لاستيعاب الدراسة. غير ان الاكثية الساحقة هم فعليًا في مستوى الاعدادية فما فوق.
متناهج الدراسة لعام ١٩٨٧ - ١٩٨٨:	متناهج الدراسة لعام ١٩٨٨ - ١٩٨٧:
اللاهوت العقائدي (المطران كوركيس كرمو)	اللاهوت النظري (الأب يوسف توما الدومنيكي)
اللاهوت الحلقى (الأب فرج رحو)	اللاهوت الادبي (المطران بولس دحدح)
الكتاب المقدس (الأب افرام سقط الدومنيكي)	الكتاب المقدس (الأب كوب المخلصي)
تاريخ الكنيسة (الأب يوسف حجي)	الفلسفة (المطران بولس دحدح)
الفلسفة (الأب لوسيان جميل)	الليهورجيا (الأب جاك اسحق)
اباء الكنيسة (الأب لويس ساكو)	التربية الالهيية (الأب يوسف عتيشا الدومنيكي)
عدد الطلبة المسجلين: ١٠٢. والمداميين بالنظام ٨٠ طالبًا وطالبة. وتكاد تنقسم النسبة الى ٣/١ للشباب و ٣/١ للفتيات و ٣/١ للراهبات.	لاهوت الروحانيات (الأب روبر الكرملي)
تخرجت الوجبة الاولى (١٨ طالبًا وطالبة) في حزيران ١٩٨٦. ومعظمهم يعملون في مراكز التنظيف المسيحي. واثنان منهم يتهبأون للكهنوت.	عدد الطلبة المسجلين لعام ٨٦-٨٧: ٤٢١ والناثرون ٣٤٤. اي بنسبة ٥٨% . وقد تضخم عددهم هذا العام حيث تسجل في الصف الاول وحده ٢٠٣. اما النسبة العامة فهي ٦٣% للاثان و ٣٧% للذكور (وهناك كاهنان او ثلاث).
	تخرجت الوجبة الاولى في ايار ١٩٨٦ (٨٥ طالبًا وطالبة) وقد استحدثت هم سنة رابعة تطبيقية تلقى فيها محاضرات خاصة.

المعلمون.. تلامذة

الدورة أفادت الأساتذة بقدر ما أفادت الطلبة -ولربما أكثر- هذا ما أيده كل الأساتذة الذين سألناهم، وحتى أولئك الذين ليس التدريس أمرا جديدا عليهم. يقول المطران كوركيس كرمو، مدرس اللاهوت العقائدي في الموصل: "لقد امتلكني شعور ممتع بالعودة إلى التعليم، أي إلى البحث والكتابة، وتدريسي الآن بعد التوسع إلى التوسع والأخذ بالأمور الجديدة". أما الأب لوسيان جميل، مدرس الفلسفة في الموصل فيقول: "إن هويتي ورغبتني الشخصية كانت أن ادرس مواضيع لاهوتية، ولكن أعطيت موضوع الفلسفة، واليوم بعد تجربة خمس سنوات، لو طلب إلي تركها، لما قبلت بسهولة، لأنني بالتدريس تعلمت أشياء كثيرة وعمقت مفاهيمي الفلسفية واللاهوتية وكونت لنفسي بضاعة جيدة تسمح لي بفكر لاهوتي سليم". ويربط الأب يوسف عتيشا بين دوره كمدرس ودوره

ككاهن: "رأيت أن الدورة تقف إلى جانب الموعظة في الكنيسة، فلقد قدمت لي فرصة لأعمق معلوماتي أمام جمهور اقرب وأكثر حيوية وإلزاما بأسئلته وحاجاته واستحثائه للمناقشة والحوار".

الجدية والمتابعة

- "هل الدورة جدية بنظرك؟" جدية ومفيدة"أجاب الطلبة كلهم، وان كان ثمة بعض التحفظ لدى طلبة الموصل عن العام الماضي :- "وكيف تلمس هذه الجدية؟
"قبل كل شيء بالتزام الأساتذة الحضور بدقة (وهذا لا غبار عليه) وإعداد الملازم مسبقاً (ويبدو أن درجة الأساتذة ترتفع وتنخفض لدى الطلبة وفق هذه النقطة، وتضعف عند الذين يتبعون كتابنا مطبوعاً أو ملزمة ولا يجيدون عنهما). ولكن جدية الطلبة من جدية الأساتذة، وهي التي "تشجع على الدوام المستمر" (حنان نافع). غير أن الجدية تنعكس أيضاً في الانتباه والتجاوب ومستوى الأسئلة: "هناك تجاوب كبير لدى الطلبة. يبدو ذلك من أسئلتهم التي تتنوع بين تقليدية محافظة وجريئة منفتحة" يقول الأب فرج رحو، مدرس اللاهوت الخلفي في الموصل وسكرتير الدورة. و "هناك دائماً نخبة من المتابعين بجدية أكثر في هذا الصف أو ذاك" (الأب ألبير).

اقتراحات وطموحات

- ما هي اقتراحاتكم لتطوير الدورة؟
- أن تخرج من الحيز الطائفي أو المحلي لتصبح مشروع كنيسة الموصل، أو كنيسة بغداد (أو كنيسة العراق ككل ولم لا؟) وتعال التشجيع والتأييد الصريح من كافة المسؤولين الكنسيين: هذا ما سمعنا صداه في الموصل وبغداد، لدى طلبة وأساتذة. وهناك من يتمنى مواضيع أخرى غير منهجية تلقى بصورة مركزة، ولربما في صيغ لقاءات مفتوحة منتظمة حول مسائل الحياة والقضايا الاجتماعية والإيمانية. وغيره يقترح لو أعتبر الجانب الترفيهي انتباهاً أكبر. وبينما يرى الأب لوسيان ان "الدورة قد تحتاج إلى منهج فكري مركزي مع احترام اتجاهات المدرسين"، يطمح المطران كرمو الى أن "تصبح الملازم كتباً وتنشر لتعم الفائدة ولا تبقى مقتصرة على الطلبة". وللأب فرج طموح أكبر وهو "أن تكون هذه الدورات نواة لكلية خاصة للعلوم الدينية".

الخلاصة التي خرجنا بها من هذا التحقيق إن الدورات اللاهوتية "مدرسة وكنيسة". "مدرسة" للثقافة المسيحية الجادة والمركزة ومرحلة إنضاج ونضوج كانت ضرورية لنفض الطفولة عن الموروث الديني السطحي أو الناقص لدى العلمانيين. ناهيك عن العمق اللاهوتي والكتابي والتاريخي الذي تعطيه للعقيدة المسيحية. و "كنيسة" حيث يعتبرها الطلبة أنفسهم كموعد يضرب مع المسيح، فتضحي غذاء روحياً وإيماناً لحياة مسيحية ملتزمة، ألم يقل احدهم: "بعد الدورة اشعر وكأنني اشتركت فعلاً بالقداس؟" فأمينتنا هي نفسها التي عبر عنها كثيرون: "أن تعم الدورة أكثر من منطقة لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الشباب والبالغين".

بمشاركة الأخت سانت اتيين

مع المونسنيور جيرار دوكور/مقابلة/ ل٢
 + حج إلى تلة الرجاء / شهادة / شباط - آذار
 + بوروندي، كنيسة اللال / ملف/ نيسان
 + المرحلة الأخيرة من قصة ليفير /ش.ر/حزيران- تموز



حج إلى تلة الرجاء

سبيلو.. تلة الرجاء والصمت والاختلاء، مشلوحه على سفوح سوباسيو الايطالية الخضراء، إلى الشمال الشرقي من روما بحوالي ٢٠٠كم. مناسك متناثرة، منها ٥ من مجموع ٢٥، ليس فيها حتى الكهرباء، يقضي فيها شباب من كافة انحاء العالم أسبوعاً.. أو شهراً.. أو سنة في الصلاة والتأمل والبحث عن الله في الأعماق.. برفقة الأخ كارلو كاريتو.

كارلو كاريتو، احد انبياء هذا العصر، عرفناه من خلال كتابه "بحثت ووجدت" الذي نقله الى العربية الاب جرجس القس موسى، وقد التقاه في الصيف الماضي في سبيلو وهدم له ترجمته. في الشهادة التالية يتحدث عن هذا اللقاء.. وعما رأى وسمع على تلك "التلة" المنفتحة على اللانهاية، فلا تشعر بغير نسيم الروح يلامس روحك بجناحيه..



كيف يعيش الأنبياء؟

تعال وانظرا!... وأخذت عصا الحجاج صباح يوم ممطر وقلبي يسبق حجب القطار الصاعد مخترقا الضباب الكثيف من روما نحو سبيلو.

في فولينيو تستقبلني الأخت كابريللا، من أخوات الإنجيل الصغيرات، وتقودني بسيارتها الصغيرة التي تتراقص تحت المطر الذي لم يكف لحظة، في طريق حجرة ملتوية صاعدة. في اعلى أكمة، إلى اليسار، قلعة ضيقة من قلاع القرون الوسطى تتدافع بيوتها الصغيرة حول كنيسة قديمة تطل على السقوف القرميدية ببرجها الأحمر المربع، وكأنها

مشدودة إليها: سييللو! وعلى مشارفها في السفح المقابل، بيت ريفي عتيق ضائع بين حقول الزيتون تحتضنه اذرع شجرة ضخمة يابسة إلا من بضعة حصل خضراء في أطرافها. نوافذ خشنة غير متجانسة تتقاسم واجهة كلسية بانث حجارها هنا وهناك، باب ارضي واسع تخاله باب طاحونة أو زربية ماشية يفتح مباشرة على الرياح، ومدخل مكشوف على كتف درج رصف بحجارة تسللت إلى شقوقها الأعشاب: هذا هو "منسك يعقوب".. هنا يسكن كارلو كاريتو!

وخرج وهو يعرج قليلا على عصاه، فمد إلي يدا خشنة كيد فلاح من عندنا وهو يتسم ابتسامه عريضة تقرا فيها الطمأنينة والمودة:

اي ريح تقودك الينا... اجلس هنا بقربي وحدثني..؟

قالها وقد احتضني بذراعيه القويتين بالرغم من عوقه وسنيه التي واسطت السبعين، وجلسنا أمام طاولة واسعة من الخشب الأبيض كست الكتب طرفيها.

لماذا جئت إلى سييللو؟ من أين سمعت بنا؟

قبل أن أجيب إلى سؤاله، كانت قد جذبت انتباهي مكتبة ذات رفوف منحرفة في إحدى زوايا غرفة الاستقبال الصغيرة، عرضت عليها مجموعة من الكتب بلغات مختلفة، وكلها تحمل اسم "كارلو كاريتو" في أعلاها، فقلت:

- كتبك هي التي عرفتنا باسم سييللو وبعض ما يدور فيها، فجئت حاجا إلى النبايع لأستقي لنفسي ولأنقل مشاهداتي إلى إخواني.
- ابتسم وقال وهو يضع عصاه المعقوفة على حافة الطاولة:

- لسوء الحظ، مجيئك يصادف ما نسميه "بالسنة السبئية" -أي سنة الراحة- ففيها لا يوجد استقبالات جماهيرية، ولا نستطيع إيواء الجماعات في المناسك، فإننا نعيد النظر في أساليب حياتنا وندرس الإمكانيات الجديدة لنخدم انتظارات الأصدقاء الذين يقصدوننا بصورة أفضل. وأردف: ولكن لحسن الحظ أيضا، وإلا لما استطعنا الحديث على هوانا... في كل الأحوال "السنة السبئية" تدوم شهرين فقط.

وما أن علم أي قادم من العراق حتى قال بنبرة أسي: الحرب.. الحرب..! -وكانت تلك ردة اسمها كل مرة ذكرت إني من العراق- معبرا عن ألمه لمعانيتنا وتضامنه معنا في التوق إلى السلام.. "تلك نعمة كبيرة من الله"، قالها ثم تذكر انه مر ببغداد قبل نحو ٣٠ سنة. أما انا، فكان قلبي يخفق لأحدثه عن الحرارة والارتياح الواسع اللذين قوبل بهما في العراق كتابه "بحث ووجدت". ولعل السبب الأساس في ذلك هو معالجته مواضيع خطيرة وهامة من حياة المؤمن والكنيسة، والجرأة التي اتسمت بها هذه المعالجة: ليس كلاهوتي يعلن آياته ومذاهبه من اعلى المنبر، وإنما كمؤمن وشاهد يعيش الإنجيل بمثابة غذاء يومي ويصاحب المسيح كصديق وأخ ومرشد؛ لا كديان أو مؤسس ديانة مهما سمت.. فيقول بحرية وصفاء

نية وعفوية ما يرى ويسمع! ولما قدمت له نسخة من الترجمة العربية صفق بيديه كطفل يتلقى هدية غير مألوفة وضحك ضحكة طويلة وقال: "آه، شكرا، شكرا... هذه أول ترجمة عربية تصل إلى سبيللولا! سنتضمم اللغة العربية أيضا إلى شقيقتها الأخرى...".

ثم استرسل في حديث عن روح البساطة والتواضع التي ينبغي أن تقود العلاقات بين القمة والقاعدة في الكنيسة، بين الرئيس والمرؤوس، بين الأخ والأخ.. بين المؤسسة والإيمان.. فلا يقتل ولا يخنق روح النبوة. الكنيسة لا تستطيع أن تحيا من دون أنبياء، كما الكائن الحي لا يستطيع أن يحيا من دون الهواء، فالسماح المتبادل هو شرط ثابت لحيوية البشرى الإنجيلية. وقال متنهدا: "آه من خطيئة الكبرياء في الكنيسة.. الكنيسة لا تعترف بأخطائها، إنما تعترف بأخطاء الآخرين...". واستطرد معلقا على "الصدام الزمن بين السلطة والخدمة.. أنسى أن يسوع قتلته "كنيسة" - أي مؤسسة دينية- لأنه فضح أعمالها؟.. لا افضع من استغلال الدين وتسخيره..!". ثم ابتسم وقال كمن لا يريد أن يعطي انطباع التمرد والثورة: "أنهم يعتبروني كالأين المشاكس للكنيسة، ولكن الإخوة الصغار محبوبون في الفاتيكان!...".

وبينما توارى في غرفته ليريني نص رسالة مفتوحة كان قد وجهها إلى يوحنا بولس الثاني حول روح النبوة والفقر والحوار في الكنيسة، كان نظري يتحول في مدخل الاستقبال، حيث كنا جالسين، فلم أر بين الصور لا البابا ولا فنفاي أو أي زعيم ايطالي آخر، بل صورة غاندي وشارل دي فوكو.. ثم علقت عيناى ببوستر كبير لفنان امتزج لديه الحس التصوفي بنكهة المرح فتزأوجا بانسجام في لوحة تمثل مجموعات من الرهبان الصغار يسبحون في الهواء متكاتفين، وكأهم نازلون بالمظلات فوق حقل يحصد رهبان آخرون، وبين الحصادين عربي بكوفيته البيضاء يحصد هو أيضا إلى جانب يهودي يعرف من حصلات شعره، وصيني بقبعته المخروطية الواسعة، وزنجي، وابيض، ولاتيني... وغيره؛ بينما ذهب ذئب هنا يداعب حملا، وطفل هناك يعلو ظهر أسد، وآخر يلعب حية، وعتره اتكأت على كتف فهد، والطيور تشاطر الرهبان ساجحة في الفضاء... تلك هي الأزمنة المسيحانية، وقد كتبت تحت اللوحة كلمة "سلام" بلغات مختلفة، ومنها العربية..

وجلسنا إلى المائدة ظهرا.. هو في الرأس، وأنا إلى جانبه، وكنا حوالي اثني عشر شخصا في صالة منفتحة على المطبخ، كل ما فيها يعطي رائحة الريف وخشب الزيتون والبلوط، واحذ يقطع الخبز بيده بحسب العدد، ويملا صحن كل واحد من القارورة التي أمامه ويناوله إياها، فتذكرت والذي كيف كان يوزع قطع اللحم علينا بالتساوي ونحن نتنظر خاشعين.. أم هو يسوع يطعم تلاميذه بيده!

أما عصاه التي لا تفارقه أبدا منذ ٣٣ سنة، حتى لكأنا قد أصبحت جزءا من شخصيته، فلها قصة طريفة: في الرابعة والأربعين من عمره ترك الأخ كارلو مهامه كرئيس لمنظمة الشبيبة المسيحية الايطالية - هذا المركز الذي كان يتيح له الاتصال مع البابا بيوس الثاني عشر وزعماء الحزب الديمقراطي المسيحي، وكان مفتاحا لمستقبل سياسي مضمون -

وتخلّى عن كل شيء استجابة لنداء داخلي قاده عند إخوة يسوع الصغار ليعيش حياة الإنجيل مع الناس، في الفقر والصدقة. وبينما كان يقضي فترة الابتداء الرهباني في الصحراء الجزائرية، كان حلمه أن يعود إلى جبال الألب ليعيش حياة الشهادة والأخوة الشاملة مع المتسلقين وأدلائهم في اعلى الجبال. " وبينما كنت احلم، يقول الأخ كارلو، كان علي يوما قطع مسافة ٦٠٠ كم في صحراء "الخلوة"، ووضع رجلي لم يكن جيدا، فعرض علي ممرض يود خاطري أن يزرق لي بعض الإبر لتساعدني على السير، فتركته يفعل. ولكن في اقل من ٢٤ ساعة كان قد شل لي احد ساقي. فالمسكين كان قد أحطأ اختيار القنينة المناسبة". وهكذا جاءت العصا!

ولكن النفوس الكبيرة لا يعيقها شيء، فتجاوز منحها لتستخرج الخير من وسط العتمة. فبعد عشر سنوات قضاها في الصحراء الكبرى في أخوة "إخوة الإنجيل الصغار" -وهي إحدى الأسر الرهبانية التابعة لروحانية شارل دي فوكو- قال له رئيسه الأب فوايوم يوما: "يا كارلو، هذه عشر سنوات قضيتها سعيدا. جيدا! وسيكون جيدا أيضا أن تعود إلى الناس لترى ماذا يحدث!". وجاء إلى سبيللو ليهتم أساسا "بالأخوة الصغار" العائدين للراحة من شتى زوايا العالم.. وصار يكتب ويكتب، وترجم كتبه إلى مختلف اللغات.. وصارت سبيللو، تدريجيا، محجة، لا "للاخوة الصغار" وحدهم، بل لآلاف الشباب.

وتقتضي العادة أن يتحدث كل واحد عما ساقه إلى سبيللو. فهذا دوناتو جاء ينشد جو الصلاة والهدوء تاركا عمله لوضع ساعات في كشك مطعم قرب اسيزي. وهذه فاليريا جاءت إلى سبيللو لأسبوع واحد، فمكثت فيها ستة أشهر: فبعد طلاقها من زوجها، شعرت بعزلة قاتلة "لان إخواني المسيحيين كلهم كانوا قد ابتعدوا عني"، فذهبت إلى "اشرام هندوسي" في الهند بحثا عن السلام، ثم سمعت بسبيللو وجاءت: "هنا فهمت اني اكتشفت موضعا يهب فيه الروح". وهذا ادريانو فقد ابنه الشاب في العشرين من عمره.. وهذه جيوفانا التي كانت تأتي إلى سبيللو عدة مرات في السنة كمرافقة للفرق القادمة، ثم استقرت هنا منذ ثلاث سنوات للاستقبال. جيوفانا هذه التقيتها، وحدثني عن بدايات سبيللو وعن هذه المناسك التي تطرز تلال سبيللو، كما رأيتها على غلاف كتاب من تأليفها قدمته لي، يحمل عنوان "تلة الرجاء".

"فالمناسك" مزارع قديمة مهجورة من الحجر الخشن والكلس، منتشرة على سفوح "سوباسيو" الخضراء في قطر ١٥ كم، من سبيللو وحتى اسيزي، وضعها أصحابها الفلاحون تحت تصرف الأخ كارلو، وقد حول الأخ كارلو المزارع إلى مناسك للصلاة والتأمل والخلوة. ويستقبل كل منسك فرقا من عشرة إلى عشرين أو ثلاثين شخصا تحت إمرة مسؤول، ينظمون حياتهم وطعامهم الذي يجلبونه من "الأخوة المركزية"، أخوة القديس جيرولامو-وهي دير متروك يعود إلى القرن ١٥، كان أول "زاوية" سكن فيها الأخ كارلو عام ١٩٦٦. ولكل منسك معبده الخاص في إحدى غرفه، غير انه لا تلفون ولا راديو ولا تلفزيون فيه.

وتتوزع حياة المناسك بين الصلاة والعمل. فينصرف الشباب صباحاً إلى خيرة الحياة العملية مع الفلاحين حيث يعملون لأربع ساعات في قطف الطماطة أو الزيتون مجانا، أو حراثة الأرض، أو تقليم الأشجار.. وغير ذلك من أعمال الأرض. أما فترة ما بعد الظهر فمخصصة للصلاة والتأمل. فبعد ساعتين من السجود في وقت واحد في كل المناسك، يتزل الجميع إلى "الاخوة المركزية" للقداس أو التأمل الجماعي في الإنجيل. أما ليلة الجمعة على السبت، فهناك ساعة سجود ليلية بين الثانية والثالثة فجرا، ثم يبدأ ما يطلق عليه "نهار الصحراء" حيث يقضيه كل على هواه في الصمت والوحدة، فيفضل هذا الاستمرار في الصلاة في المعبد، ويذهب الآخر سيرا على الإقدام ليستقبل الشروق على القمم، ويتجهد غيره في قراءة الكتب المقدسة..

وقبل وقت المغيب، وجدنا كلنا سوية في المعبد لصلاة السجود. غرفة صغيرة مفروشة ببساطة، يدخلها نور وحيد من كوة جانبية باتجاه بيت القربان، وقد عبقّت برائحة البخور وزيت القناديل التي ترسل أطرافها متراقصة على وجه الإيقونة البيزنطية الرزين. صمت خاشع عميق لا يقطعه سوى صوت الديك الذي يصيح غير بعيد، والتراتيل المسجلة التي يختارها الأخ كارلو بين حين وآخر. ساعة خلناها دقائق: الله وحده يعرف ما اختلجت به القلوب. تركت سبيلو والصمت لا زال يغمرنى.. همس واحد يخالج أعماقي: لقد رأيت نبيا وتحدثت إليه.

بوروندي كنيسة التلال

ملفات "الفكر المسيحي" الإعلامية تبدو لأول وهلة بعيدة عن اهتمامات القراء بقدر بعد تلك البلدان عن العراق! انه أول رد فعل يطلقه بعضهم تجاه ملفات أحاطت بالأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية الخ.. لبلدان في أقصى القارات -وهذا الملف لا يعنى من مثل هذه الردود، وكثيرون يجهلون اسم بوروندي!

من هذا المنطلق بالذات تسعى المجلة الى توسيع آفاق القراء باتجاه بلدان تختلف عنا في تاريخها وحضارتها وشعوبها ودياناتها ومعضلاتها.. بلدان دخلتها المسيحية، قديما أم حديثا، ويجدر بنا أن نطلع كيف يعيش مسيحيون آخرون إيمانهم والتزامهم الكنسي والوطني في ظروف سياسية واجتماعية متباينة.

قال كنيسة بوروندي التي عانت كثيرا من اضطهاد سافر- ولم تمض سوى بضعة أشهر على هبوب نسيم الحرية فيها- يحملنا الأب جرجس القس موسى في هذا الملف.

(١) دولة بوروندي: البنى الاجتماعية والاقتصادية

بوروندي، قد يكون البلد الوحيد في العالم الذي ليس فيه قرى بالمعنى التقليدي، مع أن الأكثرية الساحقة من سكانه يقطنون الريف. فطبيعة البلاد المتموجة، والتي هي أشبه بقمم متتالية إلى ما لا نهاية ومتفاوتة في الارتفاع والاتساع فرضت نمطا خاصا من السكن، حيث يتشتت السكان على التلال في وحدات سكنية من ٣٠ - ٤٠ بيتا متباعدا. وقد قسمت هذه التلال إداريا إلى ٢٤٢٧ تلاً. ففي بوروندي يشكل "التل" مركز الانتماء والالتقاء وفيه تتجمع المعلومات والأخبار ومنه تنوزع. وتشكل كل مجموعة عائلية عشيرة، أو قبيلة تتحدر من جد معروف واحد. وسيكون "للتل" كتجمع بشري تقليدي قائم بذاته، أثر كبير على السياسة الراعية للكنيسة، من جهة، وعلى السياسة الإدارية للدولة، من جهة أخرى.

وسكان بوروندي القدماء كانوا من الأقزام المدعويين باسم "توا". أما اليوم فنسب بوروندي يتكون من قوميتين رئيسيتين هما "الهوتو" -وهم الأكثرية (٨٥%) و "التوتسي" -وهم الأقلية (١٤%). أما "التوا"، فلم يعودوا سوى نحو ١% فقط، وهم فقراء جدا ويعيشون على الصيد. وقد جاء "الهوتو" إلى بوروندي من مناطق تشاد ونيجر في حدود القرن الأول للتاريخ الميلادي، ويشغلون بالزراعة. أما "التوتسي"، فهم من أصل نيلي حبشي (منابع النيل الأبيض في افريقيا الشرقية)، سكنوا بوروندي بين القرنين ١٥ - ١٨، ويزاولون تربية الماشية والبقر خاصة. أما من الناحية الاقتصادية، فهم الأوفر حظا.

ويعتبر بوروندي اليوم من أفقر بلدان العالم. فطبيعة تكوينه الجغرافي الذي يجزؤه إلى عدد هائل من التلال العالية المنعزلة والمبعثرة لا يتيح له المشاريع الزراعية الإنتاجية الكبرى.

فيبقى النمط التقليدي - كما ونوعا ومن حيث صعوبة استخدام التقنيات الحديثة - هو النمط السائد. ويذهب ٧٠% من المحصول الزراعي للاستهلاك الذاتي. غير أن الهضاب المتوسطة الارتفاع تصلح لزراعة القهوة التي تشكل ٩٠% من صادراته. ومن منتجات بوروندي المهمة أيضا الشاي والقطن والموز (غير أن هذا الأخير يستهلك معظمه محليا بمهمة كحول). أما القطاع الصناعي (صابون، ونسيج)، فلا يحظى بأكثر من ٤% من الدخل القومي العام. وقد اكتشفت مؤخرا مناجم نيكل مهمة تقدر بـ ٥% من احتياطي العالم، تضاف إلى احتياطي الطاقة الهيدروكهربائية (الماء) الغزيرة الموجودة في البلاد.

نظام الحكم التقليدي وتطوره المعاصر

في قمة التركيبة السياسية في بوروندي التقليدي هناك الملك. وهو أكثر الرعاة التوتسي نفوذا وأغناهم بفضل قطعانه الملكية التي تتضخم بالهدايا والأتاوى المفروضة على رعاياه، وبالمراعي والممتلكات التي يكتسبها لقاء حماية مصالح الرعية. وقد توحدت البلاد تحت سلطته منذ حوالي عام ١٦٨٠ حين جاءت إلى الحكم سلالة من أصل تنجانيقي ظلت بيدها مقاليد البلاد زهاء ٣٠٠ سنة.

غير أن سلطة الملك ضعفت في أواخر القرن ١٩ بسبب غزوات العرب القادمين من زنجبار لأخذ العبيد ثم بدخول الألمان واستسلام الملك موازي جيسابو عام ١٩٠٣. وبعد اندحار الألمان في الحرب العالمية الأولى وتوزيع مستعمراتهم على الحلفاء، كان بوروندي من حصة بلجيكا، وقد ألحقته عام ١٩٢٥، مع رواندا المجاورة، بمستعمرة الكونغو البلجيكي، مع الحفاظ على نوع من الذاتية الخاصة. فلقد اعتمد الانتداب البلجيكي على البنى القبلية التقليدية وعلى سلطة الملك وعلى الأقلية التوتسي لتعزيز مصالحه. غير أن رياح الديمقراطية والاستقلال التي هبت بعد الحرب العالمية الثانية دفعت ببلجيكا، تحت ضغوط الأمم المتحدة، إلى تسليم الحكم تدريجيا إلى أهل البلاد، فكانت انتخابات ١٩٥٢ - ١٩٥٦ التي ثبتت من جديد أولوية قبائل التوتسي، وكانت الأحزاب تتقاسم البلاد على أساس قومي تقليدي وعلى أساس الايديولوجيات السياسية الحديثة، في آن واحد. أما أقوى هذه الأحزاب فكان حزب اوبرونا "UPRONA - الوحدة والتقدم القومي" الذي فاز بالانتخابات عام ١٩٦١. وقد ساهم في جعل هذا الحزب في الواجهة كون رئيسه ابن الملك نفسه، وقد اسندت إليه رئاسة الوزراء شخصيا. غير انه اغتيل بعد شهر واحد فقط. وبدأت فترة من الاضطرابات والصراع العنصري بين التوتسي والهوتو. وفي اجواء مشحونة بالاحقاد والدماء حصل بوروندي على استقلاله في ١ تموز ١٩٦٢.

ولكن الحياة السياسية بقيت رهينة عاملين هما: نظام الحكم نفسه، وتنازع القوى بين التوتسي والهوتو. فكانت الجماعتان تتعرضان لمجازر متبادلة لسبب أو لآخر، أو بتحريك من الأصابع الأجنبية، كما حدث في ١٩٦٣ و ١٩٦٥، حتى قام نديزي، ابن الملك نفسه، بانقلاب على أبيه عام ١٩٦٦، واستلم الحكم باسم نتاري الخامس. غير أن احد ضباطه،

ميشيل ميكومبيرو، طرده بعد ٤ أشهر وأعلن النظام الجمهوري مع حكم الحزب الواحد (اوبرونا)، وصار أول رئيس لجمهورية بوروندي.

بعد فترة من الهدوء عاد شعب الموت إلى سماء بوروندي كانت قمته مذابح ١٩٧٢-١٩٧٣، ذهب ضحيتها بين ١٠ - ٢٠ ألف قتيل من الهوتو. وانتهت بهزيمة ميكومبيرو على يد الكولونيل باكازا عام ١٩٧٦. وكان باكازا قد جاء إلى الحكم بانقلاب ابيض، وقد استقطب الشعب كله منذ البداية بانتهاجه سياسة المصالحة الوطنية. وقد أقر دستورا جديدا عام ١٩٨١ يضمن الوحدة بين التوتسي والهوتو تحت قيادة الحزب الواحد، حزب "اوبرونا". غير أن باكازا نفسه، بعد حكم رئاسي قوي دام ١١ عاما، تميز بهيمنة الدولة على كل مرافق الحياة -وقد عانت منه الكنيسة كثيرا كما سنرى- أطيح به هو أيضا بانقلاب عسكري قاده الرئيس الحالي الميجر بيير بويويا في ٣ أيلول ١٩٨٧.

٢) كنيسة بوروندي

دخلت المسيحية إلى بوروندي عام ١٨٩٦ على يد الآباء البيض الفرنسيين والبلجيكيين. فكنيسة بوروندي كنيسة فنية إذن، ولكن ليس فقط لحدائث تاريخها، بل للطاقت الواسعة التي تمتلكها وحيويتها المتجهة نحو المستقبل. ويبدو ذلك من تلاحم العلمانيين والكهنة فيها بصورة فريدة؛ والمتتبع لتاريخ هذا القرن من النصرانية في بوروندي لا يمكن ألا يلاحظ سرعة انتشارها، حيث تقدر نسبة المسيحيين اليوم ٧٥% من السكان (٦٥% كاثوليك). فان قمم التلال مطرزة بالكنائس الريفية وملحقاتها الراحوية ومراكز التعليم المسيحي والمدارس والمستوصفات والأديرة. جميع أساقفة البلاد (٧ أبرشيات) هم بورونديون، وكذلك معظم الكهنة (بعد حملة طرد المرسلين الأجانب في عهد باكازا). ثراء في الدعوات الكهنوتية والرهبانية والحركات الرسولية: فهناك جمعيتان رهبانيتان رجائيتان محليتان، وعدة رهبانيات نسائية، إضافة إلى الرهبانيات الغريبة المتواجدة. وهناك ٨ حركات للشبيبة تضم أكثر من ٣٠٠٠٠ مسيحي يعملون في حقول الرسالة العلمانية، إلى جانب بضعة آلاف أخرى يعملون في حقل التنشئة المسيحية وتنشيط الجماعات الراحوية.

غير أن كنيسة بوروندي تلقي على نفسها اليوم عدة أسئلة أساسية تخص كيانها ومستقبلها -ولا شك أن عهد باكازا الذي لم يكن رقيقا معها أبدا قد استحشها على مثل هذه المراجعة الذاتية. ومن هذه الأسئلة: ما هو دورها في النماء الإنساني؟ لقد انتشرت مسيحية نشطة وحية على الصعيد الداخلي وامتزاجية الكثافة والتأثير في فترة زمنية شبه قياسية، فهل سعت من خلال تبشيرها بالإنجيل وممارستها الدينية، تنشئة أجيال من المواطنين الملتزمين بأرضهم ومستقبل بلادهم؟ فلقد وعت الكنيسة البوروندية التي توسعت قدراتها ومؤسساتها أنها لن تستطيع الإجابة إلى نداء المسيح اليوم إلا إذا وضعت نفسها في حالة خدمة للمجتمع الذي هي جزء منه، وخاصة الشرائع الفقيرة. وكم تبدو هذه المسؤولية حيوية عندما نعرف ان بوروندي هو احد أفقر أقطار افريقيا.

وهناك سؤال آخر يخص ديمومتها وهو مسألة إعداد كوادر بوروندية (رهبانية وكهنوتية وعلمانية) ، ليس لمهاجمة توسع المسيحية جغرافيا وعدديا وحسب، بل خاصة لتعميق التنشئة والتوعية الإيمانية لدى هذه الجماهير التي لا زالت جذورها القرية انيمية أو وثنية، أو أخذت تعصف بها تيارات فكرية وايدولوجية حديثة.

هينودس الكنيسة البوروندية وجماعات التلال

كل هذه الأسئلة طرحها الأساقفة البورونديون في دورتهم العامة لعام ١٩٧٦، فأرادوا زج كنيسة بوروندي بأسرها في (حالة سينودس) تشترك فيه ليس "النخبة" الكهنوتية فقط، بل كافة شرائح المؤمنين، سعيا إلى تجديد حياة الكنيسة وأساليبها الراعوية وإعادة النظر في دور الكنيسة في حياة البلاد. وكانت أداة هذا التجديد، كما أوضح الأساقفة أنفسهم في حينه، قيام وتطوير الجماعات المسيحية الصغيرة على التلال وفي المدن، ومن خلال هذه الجماعات يتصل الإنجيل بالحياة المعاشة.

وهكذا قامت بالفعل مئات الجماعات الصغيرة على التلال خاصة، تتكون كل واحدة من ٣٠ - ٥٠ شخصا تحت إشراف أحد العلمانيين من معلمي التعليم المسيحي الذي ينسق نشاطاتهم. وتتكون كل جماعة صغيرة شبه أسرة متقاربة، فيها الرجال والنساء والشباب والفتيات والمسنون، يمثلون حياة "التل" أو المحلة. وتتضمن كل جماعة، بحسب ما تقتضيه الضرورة، إلى جماعة أخرى فتأخذ على عاتقها الالتزامات الراعوية المختلفة كالتهيئة المسيحية للصغار، واستكمال تنشئة الكبار، وإعداد الشباب لسر الزواج، وإعداد ليتورجيا أيام الأحد في الكنيسة. وتحتوي هذه الليتورجيا -التي يحتفلون بها في غياب الكاهن- على قراءات من الكتاب المقدس وتراتيل وموعظة يلقيها العلماني المشرف والصلاة الربية والتناول. كما ابتكرت "خدمة مستحدثة" أخرى يقوم بها العلمانيون أنفسهم مثل "خدمة التعزية" لزيارة المرضى والمسنين وحمل التناول إليهم، أو مرافقة المدفنين وتسلية أسرهم، والقيام بطقوس الدفن، ومساعدة المحتاجين والفقراء.

والجماعات الصغيرة الجديدة لا تلغي الحركات الشبابية والرسولية الأخرى، ولا تهدف إلى القضاء على دور الكاهن، بل تمنحه بعدا جديدا -لاسيما وأنه لا يتاح له زيارة "جماعات التلال" إلا بين حين وآخر- في إطار التعاون الوثيق مع العلماني الذي يأخذ دورا متميزا كأداة فاعلة في حياة الكنيسة لتعميق الوعي المسيحي وتغيير الواقع الإنساني.

كما أنها تتيح استمرارية الدينامية والعطاء في كنيسة يتناقص عدد كهنتها.

(٣) الكنيسة والهولة: قلبان متوازيان

لمدة طويلة ظلت الكنيسة والدولة قطبين متوازيين يتقاسمان النفوذ على القبائل البوروندية، كل بأسلوبه وأهدافه الخاصة التي تلتقي حيناً وتميز أو تختلف حيناً آخر. ولما جاءت دولة الاستقلال، رأت نفسها إزاء كنيسة منظمة ونشطة ذات دور كبير في حياة الأمة وواسعة النفوذ. فهذه مدارسها التي تأوي ٥/٤ من الطلبة في مرحلة التعليم، ومراكزها نحو الأمية ومؤسساتها الإنسانية والصحية، وحركاتها الشبابية والعلمانية التي تجند

خيرة القاعدة وحتى وسائلها الإعلامية. كل ذلك يضاف إلى بنية إدارية، متماسكة وقاعدة شعبية واسعة وعميقة الولاء.. مما يجعلها تبدو كجسم موحد، قوي البنيان، مستقل. حتى جاء باكازا!! فلقد ورث هذا دولة منهوكة القوى من جراء الحروب الأهلية، مفككة الأوصال بسبب الأحقاد القبلية بين التوتسي والهوتو. فعزم على بنائها وتوحيدها ومسك زمام الأمور كلها بيده، بفرض هيمنة حزب "أوبرونا"، فوضعت السلطات خطة واسعة لإيقاف الكنيسة عند حدها، وذلك باسم مبدأ سيادة الدولة ورفع الإنتاجية.

المجابهة

وبدأت المجابهة الحقيقية بقيام "جماعات التلال" (ايناما سهوانيا) عام ١٩٧٦ التي فحرت طاقات الكنيسة على صعيد القاعدة وعلى أوسع مدى جغرافي وحركت الجميع، بما فيهم الأميين البسطاء، أن يأخذوا الكلام ويبدوا آراءهم في ما يخص حياتهم اليومية، ويلتزموا توعية أنفسهم بأنفسهم، ليس فقط من الناحية الدينية، بل ثقافيا واجتماعيا أيضا، وذلك خارجا عن اطر الدولة، وتوجيه من الكنيسة. فرات الدولة في هذه "الجماعات" منافسا حقيقيا لتنظيماتها الحزبية. فكان الإجراء الاحترازي الجدي الأول أن ألغت الدولة "جماعات التلال" عام ١٩٧٩، ومنعت الاجتماعات الدينية إلا في أمكنة العبادة وحدها وفي يوم الأحد فقط. وواجه الرئيس باكازا اعتراض الأساقفة على هذا الإجراء بطرد نحو مئة مرسل من البلاد. وأصبح مبدأ "العلمنة" الذي أعلنه باكازا وكأنه مرادف لمبدأ العداء للكنيسة والدين، وبدأت حملة إعلامية واسعة لتسويد صفحة المسيحية عامة والكنيسة خاصة.

وتصاعدت المجابهة بإجراءات قمعية متتالية لتحجيم دور الكنيسة ولجم صوتها، حتى أخذت منعطفا خطيرا في ١٩٨٤. فمنعت الحكومة إقامة القداس في أيام الأسبوع، ثم تراجعت لتسمح به فقط مساء وبعد ساعات العمل - وكانت قد ألغت قداس الراديو منذ ١٩٧٧. كما أوقفت الصحيفة الكاثوليكية الأسبوعية الوحيدة "ندونغوزي"، وأسكتت "راديو كورداك" البروتستنتي. وكان يرافق كل ذلك، الموجة تلو الموجة من طرد المرسلين الأجانب وملاحقة الكهنة والعلمانيين البورونديين الراضين للانصياع لسياسة الدولة تجاه الكنيسة، بل فرضت القيود حتى على اجتماعات الأساقفة الراعوية نفسها. وقامت حملة لتحطيم كافة الرموز الدينية في المرافق العامة مثل الصليبان والتماثيل وغلق الكنائس خارج أوقات الصلاة. وكان الأساقفة يرفعون الاحتجاج تلو الاحتجاج ويدافعون عن حقوق المؤمنين كمسيحيين وكمواطنين انتزعت منهم حريتهم الدينية. غير أن النظام ما كان ليسمح بأي تدخل يلقي اللوم على سياسته، حتى وإن كان ذلك باسم حقوق الإنسان أو باسم مبدأ لاهوتي ما. فقد صرح سفير النظام في بروكسل آنذاك في نطاق مؤتمر صحفي: "إن بوروندي لا يمكنه السماح بان يكون مسرحا لتجربة أنماط جديدة من اللاهوت وخاصة من نمط لاهوت التحرير".

واستمر التصعيد حتى وضعت الدولة اليد على المدارس المسيحية واستبدلت مدراءها بأعضاء من الحزب الحاكم. وفي محاولة لإحكام السيطرة على كوادر الكنيسة

مباشرة، أصاب التأميم في أيلول ١٩٨٦ المعاهد الكهنوتية نفسها. ولحق ذلك إلغاء نظام "ياغا موكاما" الذي كانت الكنيسة بموجبه تدير شبكة واسعة من مراكز نحو الأمية تشمل زهاء ٣٠٠٠٠٠ طفل ممن لا تستوعبهم المدارس الابتدائية. وفي تشرين الأول من العام نفسه منعت الحركات الشبابية والقاعدية المسيحية، وأغلقت مراكز التعليم المسيحي، واستغني عن عدد كبير من الأساتذة الرهبان والراهبات البورونديين في المدارس والجامعات والعاملين في المؤسسات الصحية. وحذف التعليم المسيحي من المدارس، وأمت كل المشاريع الاجتماعية المسيحية.. وهكذا تآزمت الحالة بين الكنيسة والدولة حتى وصلت خط اللارجعة.

الانفراج

ولكن الذي "انكسر" كان باكازا نفسه حيث أطيح به في الانقلاب الأبيض الذي قام به الميحر بيير بويويا في أيلول الماضي.

وفي ما يخص السياسة الدينية الجديدة، وكتعبير للنيات الطيبة تجاه الكنيسة هرعت سلطات الجمهورية الثالثة إلى إصدار بيان رسمي في ٢١ تشرين الأول ١٩٨٧ أعادت فيه الحرية الدينية بكامل جوانبها وبحسب الأسس التالية:

- ✘ الحق في الحرية الدينية يقضي باحترام هذا الحق نفسه للآخرين أيضا.
- ✘ الجمهورية الثالثة تبنى مبدأ علمانية الدولة، ولا تختص دينا على حساب آخر، ولا تعترف بأي دين رسمي للدولة، وتضمن حق الجميع في ممارسة دينهم ضمن القانون.
- ✘ النشاطات الاجتماعية والاقتصادية هي من اختصاص الدولة. غير ان بإمكان الهيئات الدينية أن تساهم فيها بحسب شروط تتفق عليها مع الدولة.
- ✘ ثم يفضي البيان إلى رد الاعتبار إلى الكنيسة بإعادة حقوقها في مؤسساتها ونشاطاتها التي كانت قد ألغتها حكومة باكازا، وفق ما يلي:
- ✘ إقامة الشعائر الدينية مسموح به في أيام الأسبوع، على أن لا يعيق وتيرة العمل.
- ✘ فتح مدارس خاصة مسموح به، وذلك وفق السياسة التربوية لوزارة التربية الوطنية.
- ✘ إعادة الشرعية إلى هيئات معلمي التعليم المسيحي.
- ✘ إعادة الشرعية إلى المجالس الخورنية.
- ✘ الاجتماعات الدينية مسموح بها في الأبنية التابعة للكنيسة.
- ✘ جماعات "ياغا موكاما" الشبابية يعاد تنظيمها بالتسسيق مع الدولة، بما يعمم فائدتها ويخدم المصلحة العامة.
- ✘ الحركات المسيحية الرسولية تسمع بها الدولة، على أن تقدم بطلب رسمي لذلك.
- ✘ استخدام وسائل الإعلام والاتصال المختلفة من قبل الهيئات الدينية حق مشروع، ولكن وفق قوانين تصدر لاحقا.
- ✘ الرهبان والراهبات الأجانب، بإمكانهم أن يخدموا كنيسة بوروندي، وذلك بطلب من مطران الأبرشية.
- ✘ الممتلكات الكنسية، تدرس أوضاعها حالة بحالة.

مرحلة جديدة، إذن، تفتتح، أمام كنيسة بوروندي، و "العبور من علمنة عداية إلى علمنة إيجابية يلزم الجميع بقاء نظرة جديدة إلى الحقائق الاجتماعية والسياسية في البلاد. انه تحد جديد لكل الأطراف المعنية" كما قال المطران نفو ياغوي رئيس مجلس الأساقفة البورونديين.

هوية بوروندي

المساحة: ٢٧٨٣٤ كم^٢

السكان: ٥ ملايين تقريبا - اعلى كثافة سكانية في افريقيا بعد رواندا (١٥٠ في كم^٢)، نسبة الولادات ٤،٢٠‰؛ ٥٠٪ من السكان هم ما دون العشرين؛ بيئة ريفية بنسبة ٩٦٪. القوميات: هوتو (٨٥٪) وتوتسي (١٤٪).

العاصمة: بوجومبورا (١٥٠٠٠٠)

اللغات: كيروندي (اللغة القومية الرسمية)، الفرنسية (اللغة الرسمية الثانية)، السواحلية: (لغة التجارة).

الديانة: ٧٥٪ مسيحيون (٦٥٪ كاثوليك و ١٠٪ بروتستنت)، ٢٣،٥٪ انميون، ١،٥٪ مسلمون.

النظام: جمهورية علمانية ديمقراطية. حكم الحزب الواحد UPRONA

الارض والمناخ: تحدها تروانيا من الشرق وزائير من الغرب ورواندا من الشمال، وتحضنها جنوبا كل من تروانيا وبحيرة تنجانيقا. سطحها مجموعة من التلال يبلغ عددها ٢٤٢٧ تلا، اعلاها جبل هيبها (٢٦٧٠م). وتقسم الى ٤ مناطق طوبوغرافية: الهضاب الوسطى (معدل ١٥٠٠م)، هضبة الكونغو النيل (٢٥٠٠م)، سهل ايمبو (معدل ٨٠٠م)، المنخفضات الشمالية الشرقية. الافهار عديدة، المناخ معتدل (درجة الحرارة بين ١٤ - ٢٤). امطار غزيرة، وبقايا غابات استوائية ومساحات من الاشجار والشجيرات.

ولعل الجواب إلى هذا التحدي تجده كنيسة بوروندي في الإجابة الفعلية إلى السؤال الذي ألقته على نفسها بمناسبة "سينودسها"، والخاص بهويتها البوروندية بالذات، ويتمثل في عملية "الافرة" التي انتهجتها كنائس افريقية أخرى بزخم خاص مثل زائير. فلقد عاشت هذه الكنيسة -أي كنيسة بوروندي- من دون تساؤل أو اعتراض، مدة ثلاثة أرباع القرن، على النموذج الغربي الذي أتى به المرسلون، واليوم عليها أن تكتشف أساليبها الخاصة لعيش إيمانها وأمانتها للمسيح في إطار حضارتها الإفريقية الخاصة، على حسب ما قال الكردينال ما لولا: "الكنيسة نصرت إفريقيا، وعلينا اليوم مهمة (أفرقة) المسيحية". وتشمل عملية "الافرة" هذه أن تستنبط افريقيا -وبوروندي- صيغ افريقية - بوروندية لالتزامها الإنجيلي، بل لطقوسها وحياتها وروبنانياتها وجماعاتها القاعدية وتعبيرها اللاهوتي.. وذلك ضمن شمولية الإيمان الواحد ووحدة الكنيسة الجامعة، بحيث تعود كنيسة بوروندية أصيلة، متحذرة في صلب حياة الشعب البوروندي وتاريخه ومعانياته.

ملف / نيسان ١٩٨٨



الخطوة الأخيرة من قصة المطران لفيفر المساومة على المجمع الفاتيكاني الثاني

"في ٣٠ حزيران القادم سأرسم أساقفة، هذا شيء أكيد". شاء أم أبي البابا!

هذا التحدي الذي كرره في الآونة الأخيرة، المطران لفيفر، زعيم خط التقليديين الراضين للمجمع الفاتيكاني الثاني (ف. ٥٠. شباط/آذار ١٩٨٨) "ينتصب كسيف داموقليس فوق رؤوس أعضاء المجالس الأسقفية الكاثوليكية في كل من فرنسا وسويسرا وألمانيا وبلجيكا حيث ينتشر أنصار الاسقف المتمرد". فالكل يمسك أنفاسه ليرى ماذا ستسفر عنه أخيراً المفاوضات النشطة بين الفاتيكاني وأنصار لفيفر في عملية موازنة دقيقة تحاول جماعة لفيفر الضغط فيها على روما إلى أقصى حد لتفريغ المجمع من محتوياته، لقاء بقاء صوري في حضنها؛ وتحاول روما جهودها لاحتواء "الجماعة" في عملية إخراج قانونية لربطها الاسمي بالسلطة البابوية المباشرة، لقاء عدم إعلانها الانشقاق الرسمي.

لعبة خطيرة!

ولقد وصفها الصحفي الفرنسي في صحيفة "الشهادة المسيحية" برنار اسطيفان، برقصة باليه غريبة يتقن لفيفر فنونها: "لدى أقدام الجبل السويسري ("ايكون"، مركز حركة لفيفر، تقع في سويسرا)، نشاهد المطران الذي تحدى ثلاثة بابوات يقوم بحركات غريبة: خطوة إلى الأمام ليبدو وكأنه يتقدم نحو محدثه (البابا) الذي لا يد من إغوائه؛ وخطوة إلى الوراء لإثارة الرغبة نحوه لدى الطرف الآخر، مع الاحتفاظ بكرامته والرهنة على قوة شكيمته! لعبة خطيرة بنتائجها مهما كانت. اجل! فجماعة لفيفر تعلن بلسان نائب لفيفر وخليفته، القس الألماني فرانز شميدبرجر، الذي قد يكون المطران الذي سيرسمه لفيفر في ٣٠ حزيران المقبل.. بان "الكنيسة تبتعد أكثر فأكثر عن تعاليم البابوات الاسبقين، فلا مجال للمساومة". أو بعبارة أخرى -وقد قالها اللفيفريون أنفسهم- بان الكنيسة الكاثوليكية هي التي تنفصل عنهم فعلاً، وليس العكس! أليس ان المطران لفيفر نفسه أعلن لصحيفة لفيغارو الفرنسية الصادرة في الأول من حزيران الحالي ان "بروتوكولا" تم التوقيع عليه مع روما مؤخراً، يعترف بموجبه لفيفر بالأولوية البابوية، "ولكن الاعتراف بكل المجمع الفاتيكاني الثاني شيء غير وارد لديه -على حد قوله هو نفسه- ولا سيما في ما يخص النصوص حول الحرية الدينية".. بل على العكس، إن الفاتيكاني هو الذي يعترف -بحسب ادعاء لفيفر- ان ثمة عناصر "في المجمع والحق القانوني والليتورجية الجديدة جاءت غير متوافقة مع التقليد".. أما من جانب الكنيسة، فان أي تنازل من قبل روما لصالح جماعة لفيفر لا يرضى بأقل من أن يقبل المجمع الفاتيكاني الثاني بكل طروحاته وروحه، يعتبر مساومة على المجمع. افيعقل أن

يكون هذا هو الذي يتبغيه يوحنا بولس الثاني - هو الذي أعلن مرارا وتكرارا بان تطبيق الجمع هو من أقدس مهامه- وقد أكد مجددا أولوية الجمع في هذه القضية في الرسالة التي وجهها مؤخرا إلى الكردينال راتزينغر.

عن هذه المرحلة الأخيرة من قصة المطران ليفير وأعوانه كتب هنري ديس - وهو كاهن اشترك في اعمال الجمع الفاتيكانية الثاني بصفة خبير- مقالا "أجمع للاشيء؟" نقله للقراء عن صحيفة "الشهادة المسيحية" (١٢ حزيران ١٩٨٨):

تنقسم قصة المطران ليفير مع روما إلى ٣ مراحل:

المرحلة الأولى بدأت عام ١٩٧٥ بإعلان ليفير تمرد رسمي على مقررات الجمع الفاتيكانية الثاني وعدم قبوله توجيهات البابا بولس السادس. فسحب، اثر ذلك، الاعتراف القانوني الكنسي بمعهد "ايكون" الكهنوتي الذي أسسه ليفير عام ١٩٧٠. غير انه، بالرغم من إدانة البابا، رسم المطران ليفير وجبة أولى من الكهنة في حزيران ١٩٧٦، فصدر بحقه حرم بابوي بمزاولة الخدمة الكنسية. ولكنه لم يذعن للأمر، وصارت رساماته تقليدا سنويا. ومع مجيء البابا يوحنا بولس الثاني، لم يرفع الحرم، وضاعف ليفير من تهجماته على الجمع وشخص البابا في أعقاب اجتماع يوحنا بولس الثاني مع رؤساء الأديان في اسيزي للصلاة سوية من اجل السلام عام ١٩٨٦.

المرحلة الثانية بدأت في حزيران ١٩٨٧ عندما أعلن ليفير بانه سيرسم أساقفة "شاء أم أبي البابا". فتحررت الدبلوماسية الفاتيكانية وجاء ليفير الى روما في تموز ١٩٨٧ للتفاوض مع الكردينال راتزينغر رئيس مجمع عقيدة الإيمان. وفي ٢٠ من العام نفسه أوفد البابا الكردينال غانيون لتقصي الحقائق باسمه، فوجد هذا بان "٨٠% من التقليديين يريدون السلام والشركة مع روما".

المرحلة الثالثة بدأت في ربيع ١٩٨٨ حين شعر الطرفان بان الوقت قد حان للمصالحة لا للتحدي. غير ان التصريحات المتضاربة والمواقف المبهمة وبقاء التحدي للفيغري قائما بأنه سيرسم أساقفة لا محالة في ٣٠ حزيران الحالي لتأمين خطته.. يجعل لعبة جر الحبل مستمرة.. إلى متى؟

إن كثيرا من المسيحيين يشعرون بشيء من الحرج، بل من القلق الذي يصل حد القرف، من جراء سياق المفاوضات بين روما والمطران ليفير. ويلاحظ ان هذه المفاوضات تجري في السر وبسبب سياسة الخطوات الصغيرة. والأساقفة والكنائس الذين تألموا أكثر الكل من الأسقف المتمرد هم خارج المفاوضات في الواقع؛ وقد يأتي يوم، ولعله قريب، نسمع فيه بان المطران ليفير قد عاد إلى الحضيرة، ولكن من دون أن نعلم طبيعة تنازلاته بصورة واضحة، ومن دون الحصول منه سوى على اعتراف كلامي مبهم بالحير الأعظم.

إن ما يبعث إلى الاستياء العميق من هذا الوضع، هو موقف المطران ليفير إبان الجمع الفاتيكانية الثاني وفي الحقبة التي تلتها، ولاسيما منذ ١٩٧٦. ففي الفاتيكانية الثاني لم

ين الأسقف المترمت يقاوم مفهوم الكنيسة الذي استعاده الجمع من جديد على ضوء معرفة أعمق لمعطيات الكتاب المقدس والتقليد، ولقد رفض بنوع خاص "جوهرتين" مجمعتين وهما: وثيقة الحرية الدينية ووثيقة الحركة المسكونية. بعدها، لا يخفى على احد ان هذا المطران اعتبر البابوات الأخيرين منذ يوحنا ٢٣ "منشقين"...

حالة الانشقاق

والانكى هو ان هذا المطران اقترف فعلا ذا مردودات شنيعة من وجهة النظر اللاهوتية في الأسرار: فلقد أعاد منح سر التثبيت لأطفال سبقوا أن نالوه على يد أساقفة أمناء لروما. يضاف إلى ذلك ان اقتحام هذه الجماعة لكنائس باريس وفرساي كانت بادية الأمر فعلا ضد العدالة، ثم جعلتنا نرى أن القوة تخلق الحق، لذا فإننا نتساءل ما الذي ينبغي أن يضاف كي يعتبر هذا المطران واتباعه قد وضعوا أنفسهم في حالة انشقاق فعلي. فبالنسبة لي لا ادري ضرورة الاستشهاد بالانحرافات التي تلت الجمع. انها ذريعة. بالفعل، لم تسمع الشكاوي التي صدرت بحقها، إلا يوم بلغت اذانا صاغية في المقامات العليا. لقد صدق المثل القائل: "من أراد قتل كلبه، قال انه مكلوب". السنا نشهد منذ سنوات حركة نسف تحاول استئصال الجمع، أو كسر اندفاعاته، أو تقليصه إلى نوع من امتداد إيضاحي للمجمع التريدينتيني؟...

لنكن صريحين، فالقضية تمسنا في الصميم. لقد شهدت روما اختفاء الآلاف، بل عشرات الآلاف من الكهنة الذين تركوا الخدمة. البعض منهم ليتزوجوا والبعض الآخر لأنهم رأوا، مذكاً، أن الجمع لن يطبق. اسمحو لي أن أقول، فانا عارف بعدد منهم، بان البعض من هؤلاء الكهنة كانوا من أفضل رفاقي في الخدمة، وأكثرهم غيرة وروحا إنجيلية.

فهل سمعنا، يا ترى، بمفاوضات تحاول مساعدتهم لإبقائهم في خدمة الكنيسة؟ لا شيء! ولا كلمة، اللهم إلا كلمة الإدانة! صمت مطبق بشأن آلاف الكهنة الذين خسرواهم للرسالة الإنجيلية! مقابل ذلك، هناك من يفعل المستحيل، ويقوم السماء والأرض، وهو مستعد لمساومات مؤسفة في سبيل "احتواء" ٢٦٠ كاهنا رسموا في "ايكون" وإعادتهم إلى الحضيرة.

اختيار القرن ٢١

هذه الحالة، لكانت مجرد حالة تدعو إلى الشك، لو بقيت ضمن الكنيسة، ولكننا نخشى أن تكون هذه العملية مرة أخرى على حساب الفقراء. والفقراء الذين نعنيهم هم كل هؤلاء الذين ينتظرون كنيسة أكثر انسجاما مع روح الإنجيل، كنيسة لا تحبها قوى المال (حتى إذا ما أمنت لها الدعوات الكهنوتية)، كنيسة تحاول أن تعيش لنفسها ما تطالب به غيرها. فكيف نركز بحقوق الإنسان للعالم والأمم، إذا لم نمارسها نحن داخل الكنيسة نفسها؟

لقد آن الأوان لنسمع تساؤلات البشر الحقيقية، تلك التي بوسعها أن تزج هذه البشرية -حتى وسط نجاحات العالم المعاصر- في اللامبالاة أو اليأس. إن الوقت الحاضر ليس زمن العودة إلى مسيحية سلطوية، لها كهنتها الذين لا يُمَسّون، وذهنية المنتصرين المتبجحين الانفعالية أو العقائدية، وأخلاقيتها الصلبة التي لا تلين.

إن قضية ليفير هي المحك: ترى، هل نريد البقاء في القرن ١٩، أم هل نريد تبشير القرن ٢١؟ مهما كان الزمهرير الذي يهب علينا من هنا أو هناك فأملنا أن الربيع الآتي لن يُخنق".

- + المنظمات الدولية الكاثوليكية / ملف/ ٢ ك
- + كيف ننظّم الصوڤ الكبير عبر التاريخ/شباط- اذار
- + وطن خليف بالانسان (رسالة راعوية - لبنان)/ش.ر./ايار
- مع البطريرك روفائيل الاول بيدوايه /مقابلة/حزيران- نموز
- + افكر المسيحي في يوبيلها الفضي (احفالات بقمه)/ آب- ايلول
- *مسيرة افكر المسيحي خلال ٢٥ عاما / ت ١ - ت ٢ (الحجار من الاعداد الخاصة/ص ٣٢٨
- مع الاب جوزيف مونس/مقابلة/ ك ١

المنظمات الدولية الكاثوليكية (I.C.C.)

"ان آمال وافراح البشر في زمننا هذا، واحزانهم وضيقاتهم، ونخص منهم الفقراء وكل المعذبين، لهي افراح وآمال تلاميذ المسيح، وهي احزانهم وضيقاتهم، وليس من شيء انساني حق الا ويرن صده في قلوبهم". بهذه العبارة استهلّت ابرز وثيقة صدرت عن المجمع المسكوني "الكنيسة في عالم اليوم". هذا التضامن بين الكنيسة والمجتمع البشري تعكسه المنظمات الكاثوليكية الدولية التي كانت وما زالت تؤمن، في القطاعات الثقافية والتربوية والاجتماعية والخيرية ... حضور الكنيسة في العالم بصفته خميرة في العجين.

الملف التالي هو انشبه باستعراض لعدد من المنظمات الكاثوليكية التي لها وزنها في مجمل نشاطات الأمم المتحدة، ولها مكانتها المرموقة على الصعيدين الوطني والدولي.

المنظمات الدولية الكاثوليكية التي نحن بصدها هي غير البعثات البابوية الرسمية التي تمثل الكرسي الرسولي في الهيئات الدولية. فلهذه الأخيرة صفة دبلوماسية وتمثل السلطة الكنسية العليا كمؤسسة؛ أما المنظمات التي نقدمها في هذا العرض، فهي هيئات نابعة من القاعدة، وقد نشأت كوجه من أوجه رسالة العلمانيين المختصة لتحسيد روح الإنجيل وقيمه في قطاعات الحياة المختلفة. ولكن طموحها منذ البداية كان يتخطى جانب التوعية الذاتية والتوجيه الداخلي إلى العمل المنظم والمؤثر لتطوير أوضاع العلاقات والقوانين الوطنية الإقليمية والدولية لبناء عالم أفضل أكثر اخوة وعدلا وتعاوناً.

فمن رغبة توحيد الجهود على الصعيد العالمي، وفي خط التوجيه الدولي للتعاون بين الشعوب الذي تجسد بعد الحرب العالمية الأولى بقيام "عصبة الأمم"، ثم بعد الحرب العالمية الثانية بقيام "الأمم المتحدة" ومكاتبها المختلفة قامت عشرات المنظمات الكاثوليكية ذات الأهداف الإنسانية والاجتماعية والثقافية المتنوعة لحماية حقوق الإنسان وخلق مناخ فكري وروحي أفضل لنمائه المتكامل. وقد كان هذا التوجه إحدى علامات التجدد الذي هب على الكنيسة الكاثوليكية بدءاً من العشرينات.

ففي ١٩٢١ ظهرت الحركة الكاثوليكية الدولية للطلبة، وفي ١٩٢٥ قام "الاتحاد الكاثوليكي الدولي للخدمة الاجتماعية"، وفي السنة ذاتها أخذت "الشبيبة العاملة المسيحية" مع مؤسسها الأب كاردين انطلاقتها العالمية.. ثم توالى الحركات. أما الانطلاقة الكبرى للمنظمات الكاثوليكية على الصعيد الدولي، فقد شهدتها الأربعينات والخمسينات، وكانت قمته المؤتمر العالمي الأول للعلمانيين الذي نظمته حركة العمل المسيحي الإيطالي في روما عام ١٩٥١ وتمثلت فيه ٣٨ منظمة دولية كاثوليكية من ٧٤ بلداً. ومن هذا المؤتمر انبثقت سكرتارية دائمة للتنسيق والتعاون. وفي سبيل تأمين حضور المنظمات الكاثوليكية الدولية لدى الهيئات الدولية الرسمية، انشأ المؤتمر مركزين للإعلام والعلاقات لدى منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة في مقرها الدوليين في باريس وجنيف. أما الهدف الأساس الذي تتوخاه المنظمات الدولية الكاثوليكية -بمجموعها حوالي ٧٠ منظمة تشكل سوية المؤتمر العام- من توجيهها الدولي فيتلخص في كلمة واحدة هي الخدمة وحمل مساهمة المسيحيين في تنظيم المجتمع. أما أسلوب تعاونها مع الأمم المتحدة وهيئاتها المختصة، فيعتمد البند ٧١ من شريعة سان فرانسيسكو الذي يقر مبدأ التشاور والتعاون مع بعض المنظمات الثقافية غير الحكومية -والمنظمات الدولية الكاثوليكية منها كما أسلفنا. وصفة المراقبين الاستشاريين التي تتمتع بها المنظمات الدولية الكاثوليكية لدى هيئات الأمم المتحدة الثقافية والإنسانية المختلفة تعطيتها حق الاطلاع على الوثائق الرسمية الدولية، وتمنحها تسهيلات للاتصال بالموظفين الدوليين والرسميين، وتتوجه إليها المنظمة الدولية بصورة منتظمة لتوافيها بتقارير ودراسات تستخدمها في وضع برامجها أو تعديل مشاريعها. وهكذا تعبر هذه المنظمات عن الرأي العام المسيحي، وتسمع صوت من لا صوت لهم، وتساهم في الدفاع عن حقوق الإنسان في المنابر الدولية.

في العرض التالي^(١) لن نأتي على ذكر جميع المنظمات الدولية الكاثوليكية المتمثلة في الهيئات الدولية. وإنما نقتصر على أهم تلك التي تنسم بطابع أنساني وثقافي شامل:

المكتب الكاثوليكي الدولي للطفولة (بيس BICE)

ليس "البيس" حركة اطفالية بالمعنى التنظيمي، وإنما نشاطا دوليا تحت تصرف الهيئات الكاثوليكية أو الجهات التي تعنى بشؤون الطفل والعناية به صحيا وغذائيا وتربويا، وقد تأسس هذا المكتب عام ١٩٤٧ في باريس، أما مقر سكرتاريته العامة حالياً فهو في

جنيف (سويسرا). ويضم المكتب هيئات وأشخاصا في العالم المسيحي يعملون لخدمة الأطفال والطفولة في أكثر من ٣٠ بلدا. ومن بين اعضائه مندوبون عن بعض مجالس الأساقفة والرهبانيات والكليات الجامعية والمكاتب الاجتماعية وحركات الطفولة والمنظمات التربوية ومجالس الأساتذة والآباء والأمهات ودور النشر المسيحية، لاسيما تلك المتخصصة بأدب الأطفال. أما اللجنة الدائمة للمكتب فتضم عدة فرق عمل متخصصة منها بالأطفال المشردين والمعوقين، ومنها بالتربية عن طريق الفن، وغيرها بالتنشئة الدينية... و"البيس" نشرة إعلامية تصدر ٣ مرات في السنة باسم "الطفولة في العالم". ويتمثل "البيس" بصفة مراقب استشاري لدى صندوق الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف)، ومنظمة الأمم المتحدة للثقافة (اليونسكو). والجدير بالذكر ان "البيس" كان في أساس مبادرات أو مشاريع دولية لصالح الأطفال والطفولة، وقد ساهم بصورة مباشرة في تحرير شرعة حقوق الطفل الدولية، وإطلاق أول حملة عالمية لإغاثة أطفال الأسرى والمعتقلين، وكان له الفضل الكبير في إطلاق العام الدولي للطفل سنة ١٩٧٩. ومن وحي هذا "العام الدولي" ركّز "البيس" اهتمامه في المدة الأخيرة على جوانب تربوية حساسة مثل توجيه الأسر للوقاية من أسباب العوق، والرعاية الروحية للأطفال الأسرى، ودعارة الأطفال، والمخدرات، والعناية الصحية.

حركات الخبيبية

الحركة الدولية للخبيبية الجزائر والريفية الكاثوليكية (ميجارك MIJARC)

"ميجارك" منتشرة في أكثر من ٣٠ بلدا في أوروبا وإفريقيا وأميركا اللاتينية وآسيا، وقد أنشئت عام ١٩٥٤، ولها صفة استشارية لدى اليونسكو ومنظمة الغذاء الدولية (فاو FAO). مقر سكرتاريتها الدائمة هو في لوفان (بلجيكا)، ولها مكاتب إقليمية لأوروبا وإفريقيا وأميركا اللاتينية. وتعتبر "الحركة" إحدى المنظمات الشبابية المسيحية الأكثر حيوية في ٤٤ بلداً في القارات الثلاث. أما اهتماماتها فهي: تطوير الريف، تقييم دور المرأة الشابة، الدفاع عن حقوق الإنسان. وقد اهتمت مباشرة في إحياء السنة الدولية للشبيبة، والسنة الدولية للسلام. وتهتم نشرتها الدورية "أخبار ميجارك" بكافة القضايا التي تمس شؤون الريف والجفاف والديون الدولية. كما تنظم حلقات دراسية وطنية وإقليمية لتحسين أوضاع الفلاحين، وتعمل جهدها لتمثيل مصالح الطبقة الفلاحية وقضاياها المهنية والروحية لدى الكنيسة وضمن البنى الاجتماعية - الثقافية المختلفة.

رئيس "ميجارك" الحالي هو فلاح شاب من مدغشقر، انتخب في آخر مؤتمر للحركة عقد في ساحل العاج (إفريقيا) عام ١٩٨٥.

الشبيبة العاملة المسيحية (جوك JOC)

الشبيبة الطالبة المسيحية (جيك JEC)

الشبيبة المستقلة المسيحية (جيك JIC)

الكشافة

هذه الحركات هي من أكثر الحركات الشبابية العالمية المسيحية شهرة، وتتلخص أهدافها في السعي إلى جعل مبادئ الإنجيل وقيمه حية معاشة بإباء واندفاع والتزام في القطاعات الشبابية المختصة، مع انتمائها العضوي والتضامني الكامل مع قضايا ومعانيات وطموحات هذه القطاعات. ولها كلها صفة قانونية استشارية لدى منظمة اليونسكو أو المكتب الدولي للعمل، بحسب الاختصاصات.

غير اننا نعرض عن الحديث عنها بالتفصيل هنا لكوننا قد تكلمنا عنها وسبقنا أن قدمناها لقراء الفكر المسيحي (انظر العدد الخاص: "الشباب.. وعي وطموح"، ت ١ ت ٢ ١٩٨٥ وكذلك في "السلسلة" عدد ١٨ حول رسالة العلمانيين).

حركات البالغين

الحركة العالمية للفضيلة المسيحية (MMTC)

تأسست عام ١٩٦٦ وتضم حوالي أربعين حركة عالمية مسيحية تعني بشؤون الطبقة العاملة. وتتراوح الهوية النوعية لهذه الحركات بين هوية الحركات الجماهيرية القاعدية العاملة في القطاعات الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية، وهوية الكوادر المسيحية التي تنوزع على فرق دراسية لتحليل الوضع العمالي والالتزام المسيحي وتعميقهما. وهناك حلقة دراسية موسعة تعقد كل أربعة أعوام بمناسبة انعقاد الهيئة العامة للحركة، لتحليل الوضع العمالي في العالم ووضع خطة عامة للفترة التالية. وتعهد متابعة هذه الخطة إلى المجلس التنفيذي الذي يلتزم مرة في السنة. أما السكرتارية العامة للحركة فمقرها بروكسل (بلجيكا).. وتصدر نشرة فصلية لتبادل المعلومات والخبرات على صعيد القاعدة. وتمثل الحركة عالم العمال والشغيلة البالغين لدى الهيئات الدولية بصفة مراقب لدى اليونسكو والمكتب الدولي للعمل.

حركات البالغين الريفيين الكاثوليك (FIMARC)

تضم "فيمارك" حوالي ٤٠ حركة ريفية مسيحية في العالم، وقد نشأت عام ١٩٦٤ برغبة من الفروع القطرية لخلق مرجع دولي للالتقاء وتبادل الخبرات حول سبل المساهمة الفعلية في رسالة الكنيسة في المحيط الريفي، ويتمثل هذا المرجع في مقر "فيمارك" الدولي الكائن في بروكسل أيضا.

وتهتم "فيمارك" بصورة خاصة بمشاكل الفلاحين في قارات آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، وتسمع صوتهم في محافل الأمم المتحدة عن طريق بعثتها الدائمة لدى اليونسكو حيث تنقل مطالبهم وتعكس خبراتهم وإنجازاتهم واقتراحاتهم. ومن المبادرات العملية التي تبنتها "فيمارك" تشجيع الجمعيات القروية الأفريقية في زيادة إنتاجها لتحقيق استقلاليتها الغذائية. وكل هذه النشاطات والخبرات تصدي لها النشرة الإعلامية الفصلية التي تصدرها "فيمارك" بعنوان "صوت العالم الريفي". ولعل مقولة المؤتمر العام السابع الذي عقد عام ١٩٨٦ تحت شعار "ملتزمون في نضال الريفيين لبناء عالم عادل وكنيسة متضامنة" هي أوضح موجز لأهداف "فيمارك" الأساسية.

الاتحاد العالمي للمنظمات النسوية الكاثوليكية (اوموفك UMOFC)

هذا "الاتحاد" هو من أقدم المنظمات الدولية الكاثوليكية حيث يرقى تأسيسه إلى عام ١٩١٠، وهو الاتحاد المسيحي الذي يضم أكبر عدد من الأعضاء تحت لوائه، مع أكثر من ٣٠ مليون امرأة، ينتمين إلى ١٤٠ منظمة نسوية في ٨٠ بلدا.

في ١٩٦٨ أطلق "اوموفك" فريق عمل باسم "المرأة في الكنيسة" بهدف تشجيع اشتراك المرأة في حياة الكنيسة ونشاطاتها، وذلك انطلاقا من شخصيتها الذاتية وحقوقها كعضو كامل العضوية في كنيسة المسيح، وقد اتخذ هذا الفريق اليوم اسم "النساء والكنيسة". هذا الموضوع بالذات كان محور أعمال الهيئة العامة للاتحاد في مؤتمره الدولي في لندن عام ١٩٨٧، كما كان "اوموفك" قد ساهم مساهمة فعالة عام ١٩٨٥ في أعمال المؤتمر العالمي الذي نظمته هيئة الأمم المتحدة بمناسبة ختام عشرية المرأة حول موضوع "المساواة، النساء والنمو، السلام". فان اوموفك يتمتع بوضع قانوني استشاري لدى منظمات دولية كاليونسكو والفاو، وقد قام بدراسات عدة حول حقوق الأسرة، ورفقي النساء، وحرية الأديان، واشترك في حملات اليونسكو لمحو الأمية ومكافحة الجوع في العالم. كما نظم الاتحاد بالتعاون مع اليونسكو دورات في افريقيا وأميركا اللاتينية حول دور المرأة في عالم متغير. أما المركز الرئيسي لـ "اوموفك" فهو في باريس، ويصدر نشرة باسم "أخبار اوموفك" تظهر خمس مرات في السنة.

عالم الثقافة

المكتب العالمي للتعليم الكاثوليكي (اويك OIEC)

يضم هذا المكتب ٨٧ فرعا عاملا في افريقيا ومدغشقر وأميركا واسيا وواقيانوسيا واوربا والشرق الأوسط، تمثل مرافق التعليم الكاثوليكي والجمعيات الرهبانية التي تهتم بالتعليم؛ ويقدر عدد الطلبة الذين يتوجه إليهم المكتب بـ ٤٠ مليون شاب وفتاة. ويهتم المكتب بكل ما يمت بصلة إلى شؤون التعليم والطلبة في المؤسسات الكاثوليكية في العالم وتبادل الخبرات التربوية، وتنظيم المؤتمرات والحلقات الدراسية. ويصدر المكتب نشرة فصلية.

و"اويك" عضو استشاري لدى اليونسكو واليونسيف والمجلس الأوربي، ويتعاون مع منظمة الفاو والمكتب الدولي للتربية، وله علاقة وثيقة مع منظمة الوحدة الافريقية، ومنظمة دول أميركا. أما مقره الرئيسي فهو في بروكسل (بلجيكا).

الاتحاد العالمي للجامعات الكاثوليكية (فيوك FIUC)

في آب الماضي عقد الاتحاد مؤتمره العام السادس عشر في جاكارتا (اندونيسيا) وحضره مندوبون عن ١٧٠ جامعة كاثوليكية في العالم لدراسة موضوع "الإيمان والثقافة: دور الجامعة الكاثوليكية". فالاتحاد الذي تأسس عام ١٩٤٩ قد ولد فعلا لتعزيز التعاون بين الجامعات المسيحية الأعضاء ومع المنظمات الجامعية الدولية، وهو يؤمن حضورا مسيحي

تميزا في الأوساط الفكرية العالمية. ومن المواضيع التي تناولها المؤتمرات أو اللقاءات الدراسية التي ينظمها "فيوك"، ما يخص الحضارات المختلفة وحوار الثقافات، وعلاقة الأخلاق بالأبحاث البيولوجية الحديثة، والكنيسة والاقتصاد، وقضايا السلام وحقوق الإنسان. ولـ "فيوك" صفة عضو استشاري لدى اليونسكو وله دور فعال في نشاطات المنظمة الدولية. أما المقر العام للاتحاد، فهو في باريس، وله مركز للتسيق والبحوث في روما.

عالم الصحة

الاتحاد الدولي للجمعيات الطبية الكاثوليكية (فيامك FIAMC)

هناك جمعيات طبية مسيحية عدة في العالم يعود إنشاء أولها إلى عام ١٨٨٤. أما "الاتحاد الدولي" الحالي، فيعود إنشاؤه إلى عام ١٩٦٦، بعد اجتياز مراحل توحيدية وتأسيس سكرتاريات عامة منذ ١٩٢٤ و ١٩٥٤.

و"فيامك" ينظم مؤتمرا عالميا كل أربع سنوات، وكان آخر مؤتمراته، ذلك الذي عقد في بوينس ايرس (الارجنتين) عام ١٩٨٦ لدراسة موضوع "تقدم الطب واحترام الحياة البشرية". وتعتبر الأوساط العلمية العالمية التقارير التي تنشرها الجمعيات الطبية الكاثوليكية وثائق علمية رصينة ومثمنة حول كل القضايا التي تخص تطور الأبحاث الطبية منذ ٣٠ سنة. وقد انشئ مركز للأبحاث الخلقية -البيو- طبية مؤخرا في بومبي بالهند (١٩٨١) برعاية الكرسي الرسولي، وقد اعد هذا المركز نص شرعة أخلاقية تقود العلماء المسيحيين في أبحاثهم الطبية.

ويتمتع الاتحاد بصفة عضو استشاري لدى منظمات دولية عدة كالمجلس الاقتصادي والاجتماعي، الفاو، ومنظمة الصحة العالمية. هذا وتعمل إلى جانب "فيامك" جمعيات صيدلانية وأخرى للموظفين الصحيين المسيحيين تتمتع هي أيضا بتمثيل دولي وتؤمن الحضور المسيحي في الأوساط والمنظمات العالمية.

وهائل الاتصال الاجتماعي

الاتحاد الكاثوليكي الدولي للصحافة (اوسيب UCIP)

لعل الاتحادات الدولية الكاثوليكية للصحافيين والإعلاميين هي من أقدم المنظمات الدولية الكاثوليكية، لأنها كلها ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية. فقد تأسس "اوسيب" في بروكسل عام ١٩٢٧ باسم "المكتب الدولي للصحافيين الكاثوليك" قبل أن يتخذ اسمه الحالي عام ١٩٦٥. ويضم هذا الاتحاد "اوسيب" خمسة اتحادات فرعية هي "الاتحاد الدولي لوكالات الانباء الكاثوليكية" (FIAC - ١٩٥٤) المتكون من ١٥ وكالة فرعية و"الجمعية الكاثوليكية الدولية للمدرسين والباحثين العلميين والتقنيين الإعلاميين" (ACIESTI - ١٩٦٨) التي تملك ٣٥ مدرسة صحافية، و"الاتحاد الدولي لجمعيات الصحافة الكنسية" (FIAPE - ١٩٧٤)، و"اتحاد الصحافيين والصحف اليومية والدورية الكاثوليكية". ويضم "اتحاد اوسيب" عشرات

الآلاف من الإعلاميين المسيحيين في العالم. أما مقره الرئيسي فهو في جنيف. وأهداف "اوسيب" تتلخص في كونه المرجع المسيحي العالمي للعمل الإعلامي والصحفي لتطوير الإعلام المسيحي والدفاع عن حقوق الإعلام وحرية الرأي والتزاهة في نقل الخبر، في الأوساط الإعلامية العالمية وضمن الكنيسة نفسها، وذلك بوحي من الأخلاقية المسيحية.

ويصدر الاتحاد نشرة فصلية بثلاث لغات باسم (أخبار اوسيب). و "اوسيب" يمثل الصحافة الكاثوليكية لدى المنظمات الدولية الحكومية المختلفة، وله صفة مراقب استشاري لدى اليونسكو، وله في هذه المنظمة الدولية صوت مسموع.

الأعمال الخيرية والاجتماعية

منظمة المحبة الدولية (كاريتاس CARITAS INTERNATIONALIS)

تضم هذه المنظمة مجموعة الهيئات الخيرية المسيحية، ومنها ما يسمى "الفوثن الكاثوليكي، (SOS)، لتشجيع وتنسيق مبادرات الاغاثات والعون الذي تقدمه باسم الكنيسة إبان الكوارث الطبيعية والجوع في العالم، أو لسند بعض المشاريع الخيرية الدائمة للمتضررين والمشردين واللاجئين. وفي ما يخص منطقتنا العربية، للمنظمة وفروعها دور مرور وفاعل في المخيمات الفلسطينية عبر مستوصفاتهما ومراكزها الاغاثية المتنوعة. وتقوم المنظمة أيضا بدراسات تحليلية لأسباب الفقر في المدن والجوع في العالم ولا سيما في افريقيا.

نشأت "منظمة المحبة" في صيغتها الحالية عام ١٩٥١ ضامة ١٢٠ فرعا قطريا، ومركزها روما ورئيسها الحالي هو الكردينال ناشيمنتو (انغولا)، أما سكرتيرها العام فهو سويسري. وقد وضع مؤتمرها العام الذي عقد سنة ١٩٨٧ منهاج عملها للسنوات الأربع القادمة تحت شعار "لبناء السلام. فلنبن جماعات العدل والمحبة".

وللمنظمة صفة مراقب استشاري لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة، ولدى منظمة الغذاء الدولية FAO ، واليونسكو، واليونسيف، والمكتب الدولي للعمل. ويذكر ان جائزة "لوميير - نور" الدولية لعام ١٩٨٧ منحت لمنظمة "كاريتاس"، لعملها من اجل السلام والتقدم والعدالة والمحبة.

وهناك هيئات خيرية مسيحية عديدة أخرى تمد نشاطها الإنساني على الصعيد العالمي مثل "الجمعية الدولية الخيرية لمار منصور دي بول"، و"اللجنة الدولية الكاثوليكية للمهجرين"، و "الاتحاد الكاثوليكي الدولي للخدمة الاجتماعية" الخ...

جولة سريعة ولا شك. فهناك منظمات مسيحية دولية عديدة أخرى لم نأت على ذكرها. غير ان ما استعرضنا منها كاف ليمد آفاق رؤيتنا إلى أبعاد لا حدود لاتساعها عندما يتعلق الأمر بحقوق الإنسان وبصيغ تجسيد الإيمان والشهادة الإنجيلية في الحياة، بكل ألوانها واشكالها ودروها.

ونكتسب الشهادة التي تحملها هذه المنظمات بعدا متميزا ومصداقية خاصة على الصعيد العالمي والوطني العام بانضمام هذه المنظمات المسيحية القاعدية إلى خيمة الأمم المتحدة ذات الشمولية الدولية، عبر هيئاتها المختلفة.

ففي هذه الهيئات الدولية -ولاسيما في اليونسكو حيث تتمثل المنظمات الدولية المسيحية بكثافة اكبر- تسمع الكنيسة صوتها، صوت الحق والعدل، وتصبح صوت من لا صوت لهم أمام ضمير الإنسانية، عبر هذه المنظمات بالذات وعبر توضيحات ومواقف وشهادة أبنائها العاملين فيها. وبهذا الصدد يسرنا أن نختتم استعراضنا بأقوال التشجيع والدعم التي أعلنها البابا يوحنا بولس الثاني إلى أسرة اليونسكو لدى زيارته مقرها الرئيسي في ٢ حزيران ١٩٨٠:

"لقد أعطى لي اليوم أن أُلج إلى داخل هذا المنتدى الذي هو منبر العالم اجمع. لقد أعطي لي أن أقول لكم، انتم يا أعضاء منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، انتم يا من تعملون من اجل خير البشر والشعوب ومن اجل مصالحهم عبر سائر ميادين الثقافة والتربية والعلوم والإعلام، لقد أعطى لي أن أقول لكم، أن اهتف بكم من أعماق نفسي: اجل ان مستقبل الإنسان منوط بالثقافة! اجل! إن سلام العالم منوط بأولوية الروح! اجل! إن مستقبل نوعية البشرية منوط بالحب!

"إن مساهمتكم الشخصية، أيها السيدات والسادة، مهمة وحيوية. ونوعية هذه المساهمة منوطة بطبيعة معالجتكم الصحيحة للقضايا التي تكرسون أنفسكم لخدمتها وإيجاد الحلول لها. فكلمتي الاخيرة هي هذه: "لا تكفوا عن العمل. استمروا، استمروا دائما".

(١) نستقي معلوماتنا في هذا العرض من مجلة (MISSI, Avril 1988: O.I.C.)



صيف الصوم الكبير عبر التاريخ

الصوم زمن مقاسمة وتحرر وتحرير.

يتوقف المؤمن فترة من الزمن ليعيد التفكير في ذاته، في حياته.. ثم في الآخرين، كل الآخرين. فيلتزم كل واحد في هذه الفترة بمبادرات عملية ملموسة وذلك بحسب الوسائل، الكبيرة أو الصغيرة، المتوفرة لديه، كمبادرة يعقوب (٥٠ سنة، رب أسرة) الذي هصد أن يتوقف عن التدخين طيلة فترة الصوم الكبير وتوفير ثمن السيكاير التي كان سيدخنها، للفقراء. أو كمبادرة أطفال الخورنة بإلقاء نقود من "خرجياتهم" في صندوق خاص لخياطة بدلة التناول الأول لولد وبنيت فقيرين أو أكثر.

فإذا كان الصوم في وجهه المنظور انقطاعا عن كل أو بعض الأطعمة، فهناك صيغ عديدة لممارسته. أما الهدف فهو، التوبة واستغفار الله وتطهير الذات وكسر الإرادة ونبذ الأنانية والتفكير بمن هم أفقر وأضعف منا. هذا كله نسيمه الاهتداء إلى الله، أي السير بنوره ونحوه. فسيكون الصوم الكبير فترة استعداد روحي مكثف لعيد القيامة، عيد الفرح.. والرجاء.



إن الكنيسة الناشئة لم تكن بحاجة إلى أن تخترع الصوم. فممارسة الصوم كانت قد دخلت في التشريع اليهودي منذ زمن طويل. غير ان تاريخ الصوم المسيحي وصيغته قد تنوعت عبر الزمن. فمن يومين في الأسبوع في البداية (الجمعة العظيمة وسبت النور)، امتد إلى كامل الأسبوع السابق لعيد القيامة (أسبوع الآلام). غير أن الكنيسة لم تنشئ الصوم الكبير بأربعين يوما إلا في القرن السادس. أما كون الصوم الكبير أربعين يوما، فلذكرى صوم يسوع في البرية مدة أربعين يوما قبل بدء رسالته. ولكنه في الواقع ٤٨ يوما إذا احتسبنا أيام الآحاد التي لم تكن أيام صوم في الكنيسة. لذا قيل أيضا "صوم الخمسين". وإذا اقتطعناها عدنا إلى رقم ٤٠. (أما اللاتين فيحتسبون الأيام بشكل آخر: مع استقطاع الآحاد يبقى لهم ٣٦ يوما، فيضيفون إليها ٤ أيام الأخيرة من الأسبوع الأول. فيبدأون الصوم يوم الأربعاء المسمى بأربعاء الرماد ليكمل العدد الرمزي (٤٠) لذكرى صوم المسيح).

وكان الصوم الكبير في الكنائس الشرقية (أرثوذكسية وكاثوليكية) لمدة طويلة يقضي بالانقطاع القطعي، أي الانقطاع عن أكل اللحم والمنتجات الحيوانية الأخرى (الدهن، البيض)، والصوم عن أي طعام أو شراب حتى الظهر بعد ان كان حتى غروب الشمس في أزمنة أقدم. أما في الغرب فكان الصوم حتى الظهر، أيضا مفروضا لمدة طويلة ما عدا أيام الآحاد، والانقطاع عن اللحم مرتين في الأسبوع على الأقل. أما أيام الأربعاء الرماد والجمع والسبوت كلها فكان الصوم والقطاع مفروضين، وكان كل إلزام يطل منذ ظهر يوم سبت النور، أي أن الصوم الكبير كان ينتهي مع غداء ظهر السبت (وعند الشرقيين مساء).

وبقي الصوم شديدا لقرون طويلة، ولا زال كذلك في بعض المناطق كما في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر. ثم تغيرت أحوال الصوم خلال القرون بسبب تغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وبسبب الحروب أيضا.. حتى وصلنا إلى القرن العشرين.

ففي بداية هذا القرن كان يقضي الصوم، في الغرب، في أيام القطاعة (وهي مدخل الصوم وأيام الجمعة والسبت) الانقطاع عن أكل اللحم ومشتقاته والبيض والحليب ومشتقاتهما. وكان الصوم يقوم على تناول وجبة واحدة في وقت متأخر من النهار لا تتضمن لا لحما ولا بياضا. أما في الشرق فكان الصوم حتى الظهر والانقطاع عن اللحم والبيض كل أيام الصوم، حتى في الآحاد. وفي ١٩١٧ خفف الحق القانوني الكنسي الكاثوليكي قانون الصوم فأباح أكل البيض والحليب، وأبقى على الاكتفاء بتناول وجبة واحدة في النهار. كما أوضح القانون الكنسي ان القطاعة تشمل حتى الأطفال بعمر ٧ سنوات. أما الصوم فمفروض على البالغين من عمر ٢١ سنة إلى ٦٠ سنة. أما شرب الماء وغيره من المشروبات فكان مباحا. كما أن القوانين الكنسية كانت تمنع الاحتفال بالزواج منذ مدخل الصوم وحتى احد القيامة. وإبان الحرب العالمية الثانية صدر تخفيف آخر في كانون الأول من ١٩٤١، في الغرب، برفع إلزامية الصوم والقطاعة، ثم تثبت هذا التخفيف بنص قانوني آخر صدر عام ١٩٤٦. وفي ٢٨ ك ١٩٤٩ صدرت تعليمات كنسية جديدة أعادت بعض جوانب الصوم مثل فرض الصوم حتى الظهر والانقطاع عن أكل اللحم في أيام أربعاء الرماد والجمعة العظيمة وسبت النور، والانقطاع عن اللحم فقط في جمع الصوم الكبير كلها. وذهبت النصوص الكنسية في الغرب تدريجيا إلى تخفيف الفرض وترك صيغ الصوم لحرية كل واحد. أما في الشرق فبقينا حتى منتصف القرن نتبع التقاليد العريقة الصارمة في الصوم (الصوم حتى الظهر والانقطاع عن اللحم والبيض، ثم عن اللحم وحده طيلة أيام الصوم بما فيها أيام الآحاد). ثم بعد الخمسينات صار الصوم الإلزامي حتى الظهر في اليوم الأول والجمعة العظيمة فقط، أما الانقطاع عن اللحم فيشمّل الأسبوعين الأول والأخير من الصوم إضافة إلى أيام الجمع.

أما الوضع الكاثوليكي فهو كالتالي:

• الطوائف الكاثوليكية:

- الصوم حتى الظهر والانقطاع عن أكل اللحم في يوم الاثنين الأول (مدخل الصوم)، وفي يوم الجمعة العظيمة.
- الانقطاع عن أكل اللحم كل أيام الجمعة من الصوم.
- يشمل الصوم كل البالغين وحتى الستين. وتشمل القطاعة كل المؤمنين من السابعة من العمر (وفي الغرب من سن ١٤).
- السريان الأرثوذكس:
- الصوم حتى الظهر والانقطاع القطعي (عن أكل اللحم والبيض) في الأسبوعين الأول والأخير من الصوم.



- القطاعة القطمية كل أيام الأربعاء والجمعة من الصوم.
 - الكنيسة الشرقية (النساطرة):
 - الصوم حق الغروب والانقطاع القطمي (عن اللحم والبيض) في الأسبوع الأول والوسط والأخير من الصوم.
 - القطاعة القطمية تشمل أيام الأربعاء أو الجمعة أيضا.
 - الأرمن الأرثوذكس:
 - يبقى الصوم والقطاعة حرين. يختار كل مؤمن ما يناسبه.
- طبعاً هذا هو الحد الأدنى المطلوب من المؤمنين. غير ان الكنيسة تتوجه إلى كل مؤمن ألا يكفي بهذا الحد الأدنى، وتترك له حرية اختيار صيغ أخرى -وأكثر سخاء- بحسب إمكانيته الصحية ورغبته وتقواه لممارسة الصوم واعمال التوبة وإقرانها بالصلاة التي تبقى عنصراً جوهرياً يرافق الصوم.

وطن خليق بالإنسان

"رسالة راعوية صادرة عن بطاركة وأساقفة لبنان"

انطلاقاً من فكرة الاحتفال بالذكرى الاربعين لصدور شرعة حقوق الإنسان الصادرة عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، والتي كان لبنان احد محرريها، ممثلاً بمندوبه آنذاك الدكتور شارل مالك، اصدر مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان، اثر اجتماعهم السنوي (٢٢٨-٢٣ ك١٩٨٨) رسالة راعوية ضمنها منظورهم للبنان "وطننا خليقاً بالإنسان". وقد حملت الرسالة تحليلاً اجتماعياً وواقعياً للآزمة اللبنانية.

صدرت الرسالة بعد فراغ كرسي رئاسة الجمهورية، وقبل العمليات العسكرية الأخيرة بين الجيش اللبناني بقيادة الجنرال ميشيل عون والقوات السورية، وبينما كانت هذه الأخيرة تسيطر على ثلثي لبنان، وإسرائيل تسيطر على الشريط الحدودي الجنوبي، وتتقاسم البقية الباقية قوى الجيش الشرعي والمليشيات الحزبية المتصارعة. لا شيء من هذا الواقع تبدل على الأرض بالرغم من جهود اللجنة السداسية العربية. لذا تبقى معطيات الرسالة قائمة، وتبقى أمنية البطاركة والأساقفة في "التحرر من الخارج والاستقرار في الداخل" أملاً يتحدى عوامل الخيبة.. والفرقة والدمار."

تتكون الرسالة التي نقدمها عن نصها الفرنسي الرسمي المنشور في عدد ٢ نيسان ١٩٨٩ من مجلة "الوثائق الكاثوليكية" (D.C) من مقدمة و٢ اقسام وختمة.



يتحدث القسم الأول عن أن "وطننا خليقاً بالإنسان يعني وطننا يحترم حقوق الإنسان". فيبحث في نقطة أولى في "حقوق الأشخاص"، وفي نقطة ثانية في "حقوق الأسر" ثم في "حقوق الشعوب". وبعد استعراض المبادئ الأساسية التي تقرها الشرعية الدولية في هذه الميادين، تأتي الرسالة إلى الواقع اللبناني وتشخص بعض الظواهر الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية التي، بابتعادها عن مبادئ العدل والحرية والتكافؤ واحترام الحقوق المتبادلة وانجرافها مع منطق الأنانية والجشع والفوضى وغياب التخطيط والتفاوت في عملية التطوير ووسائل الإنتاج، قد أعدت، منذ أيام السلم، الدوامة التي تعصف بلبنان اليوم.

فبعد شجب "قوانين العمل" السابقة والسياسة السكنية، تصدى الرسالة لقطاعي التربية والصحة - وكانا ولا يزالان قطاعين خاصين بصورة واسعة-، وتقول: "وكذلك الأمر في ما يخص واقع المدارس والمستشفيات الذي يشكل أبشع ما يمكن فرضه على الطبقة الوسطى والفقيرة لدينا". ثم تفضي الى "حزام البؤس" الذي يلف بيروت ومدن لبنانية أخرى، وتعزي هذا الواقع إلى نقص في الإرادة السياسية: "إن السياسة الوطنية في الإنماء لم توفر ما كان ضرورياً في المناطق اللبنانية المختلفة، لحياة الأسر من مدارس ومستوصفات وسكن وفرص عمل تتيح للجماهير المعنية حياة كريمة. فمن منا يجرؤ على الادعاء بان لبنان النمو والشعب في الستينات ما كان قادراً أن يوفر هذه الظروف في المدن والأرياف؟".

ثم تأتي الرسالة إلى العوامل السياسية المباشرة التي أوصلت لبنان إلى جملته الحالية: "قيل ويقال في أوساط محلية ودولية واسعة بان حرب لبنان هي حرب أهلية تشعل فتيلها الطائفية. انه لحكم خاطئ وغير عادل يخلط ما بين النتائج والمسيبات، ويحمل من يعاملون في لبنان أسوأ المعاملة ذنب أولئك الذين وضعوا أيديهم على هذا البلد، لبنانيين كانوا أم غرباء (...). ان تدمير لبنان هو فعل قوى إقليمية ودولية لم تحترم حقوق لبنان كشعب وكوطن وكدولة".

وتتطرق رسالة البطاركة والأساقفة إلى القضية الفلسطينية التي هي، من دون شك، محور قضايا المنطقة كلها: "أما قضية واضحة تتطلب إعطاء الحق لشعب طرد من أرضه وتشرد". وفيما لا تنكر الرسالة الإشكالات الدستورية والأمنية التي تسببت عن "ضيافة" الفلسطينيين في لبنان، تنحي باللائمة على "الدول المسؤولة عن مصير هذا الشعب". هذه الدول التي "عوض أن تحرر لبنان من عبئه وتعترف للفلسطينيين بحقوقهم"، بمساعدتهم على إنشاء دولتهم على أراضيهم، على العكس من ذلك، وضعت الشعب الفلسطيني في صدام مع الشعب اللبناني، فنالت تدمير الشعبين". وتستخلص الرسالة: "هكذا، فان ضرب شعب بشعب آخر قد أوقع الفرقة بين مواطني القطر الواحد. تلك كانت المؤامرة التي استخدمت اللبنانيين أداة لجرائمها (...). حينذاك تكلموا عن حرب أهلية تارة، وعن حرب دينية تارة أخرى. ولكن الحقيقة التي انكشفت ولا زالت قائمة هي ان الحرب، كما قيل، هي حرب الآخرين على الأرض اللبنانية". أما عن "الإصلاحات" التي "يطالبون بها برياء" فتعلق الرسالة بان "لا إصلاح ذا قيمة طالما لم يتحرر لبنان ممن سلبوا حريته في اتخاذ القرار".

في قسم ثان تتحدث رسالة البطاركة والأساقفة اللبنانيين عن أن "وطننا خليقا بالانسان يعني وطننا يتمسك بشريعة الله" التي هي الأساس الثابت والمصدر الملهم لكل حق وحرية.

أما القسم الثالث - وهو قسم تطبيقي - فعنوانه "الوطن اللبناني وأولوياته الخمس في الوضع الراهن". وفيما تنهم الرسالة من تنعتهم "بأمراء الدويلات في استغلال الدولة". ومن اجل إصلاح "اهمالات زمن السلم وأخطاء زمن الحرب"، يتصور البطاركة خمس اولويات لعافية لبنان:

١- الحفاظ على البيئة:

إن طبيعة لبنان الجميلة تصنفها الكتب المقدسة والتاريخ "بفردوس ارضي". ولكن "ماذا فعلنا بهذا الفردوس؟ كيف حولنا هذا الفردوس، في زمن السلم وثم في زمن الحرب، إلى جحيم؟". وتشير الرسالة الى التجاوزات الفظيعة في فوضى البناء وتشويه المعالم وتلويث البيئة حتى "أسلمنا سواحلنا أخيرا لتكون مزابل لنفايات العالم". وإذ تبقى الرسالة واقعية، فهي لا تدافع عن البيئة من زاوية جمالية حسب، بل من حيث مردوداتها الاقتصادية أيضا "ليكون (لبنان) صالحا للسكنى وجنابا للتجارة والأعمال المالية والبحث العلمي والنشاط الثقافي والسياحة".

٢- الخدمات العامة:

فيما تشجّب الرسالة روح الأنانية في التعامل مع المصلحة العامة، سواء قبل الحرب وبعدها، تطالب بعودة هذه "الخدمات" إلى الدولة لتكون حقا في خدمة الجميع ولمصلحة الجميع: "ان لبنان لن ينقذ ولن يجد استقراره وانتعاشه، إلا إذا ألزم الوعي الوطني الجديد بوجود عودة خدمات الدولة الكبرى إلى الدولة، واستلام الشرعية الجمهورية كافة القطاعات الحيوية للبلد".

٣- احترام القوانين:

ولكن هل من فائدة لعودة الخدمات العامة إلى الدولة إذا لم تتبدل ذهنتنا نحو احترام القانون؟ "اجل، ان للبناني صفات كثيرة، منها الذكاء، والشجاعة، وروح المبادرة، وبعد النظر، والسخاء، ولكن ذلك كله يوجه لمصلحة الفرد والعائلة أو للجهة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ونادرا ما للمصلحة العامة". وتردّد الرسالة: "يقال بان لبنان ما بعد الحرب يحتاج إلى رئيس قوي، ولكن ما جدوى ذلك ما لم يعمل على تطبيق القانون، وذلك بإفساح المجال أمام المحاكم، لا أن تصدر أحكامها حسب، بل أن تطبقها أيضا. إذ ذاك ينال كل مواطن حقه، وحق لبنان يعلو على كل حق".

٤- الشبيبة:

وهنا يسترسل البطاركة والأساقفة في إبراز دور الشبيبة في إعادة بناء لبنان، ذلك أن "الشبيبة نالتها الحرب أكثر من أية شريحة أخرى من الشعب، ولأنه لا أمل بالنهوض والإصلاح وتطوير البلد من دون الشبيبة". وفيما أبدت الرسالة أسفها على أن "الشبيبة دفعت ضريبة الدم على حساب نمائها الأدبي والثقافي" تطرقت إلى بعض مخلفات الحرب على سلوكية الشبيبة، مثل "ممارسة العنف وتعاطي المخدرات، والتفكك الأخلاقي، والجشع وروح السيطرة"، وخاصة "ظاهرة الفصل الفعلي الذي استمر ١٤ سنة بين فئات الشعب، من منطقة إلى أخرى. وهذه الظاهرة لم تقتصر (في نتائجها) على التحايل المتبادل بين المسلمين والمسيحيين من قطاع إلى آخر في العاصمة وحسب، بل الأسوأ من ذلك الانعزال الذي حوصرت فيه كل منطقة". ومع ذلك، يستخلص البطاركة مشيرين إلى وجوب إشراك الشباب في صنع قرار لبنان الجديد: "إننا لوائقون بان شبيبتنا ستقوم بواجبها وستبني لبنان، إذا توجهت إليها العناية، ومنحت الثقة، ونالت الوعي بالمسؤولية الوطنية الملقاة على عاتقها".

٥- التعايش الإسلامي - الميحي:

"تلك هي دعوة لبنان الخاصة في تركيبته الاجتماعية - الدينية (...). والحال أن أعداء لبنان، في الداخل وفي الخارج، أولئك الذين يحركوهم، لا ينون يوجهون إليه الضربة تلو الضربة بتشجيع التفرقة الطائفية بين الجماعات، وبتكريس التقسيم على الأرض اللبنانية. فبين اختصار المسافات الهائل الناتج عن وسائل الاتصال السريعة، أكثر فأكثر، في العالم

المعاصر، ومظاهر التوتر الكبرى الناجمة عن الاختلاط المفروض على الجماعات - هذا الاختلاط نفسه الذي هو وليد هذه المحاورة الجديدة - كان النموذج اللبناني في التعايش بين الديانتين العالميتين الكبريين قد أصبح مثالا تبحث عنه الدول والمجتمعات المضطربة إلى التعددية في مناطق واسعة من العالم وضمن أنماط حضارية مختلفة. فلقد بات من الضروري أن يبرهن لبنان من جديد، على أن صيغة هذا التعايش الذي يملك عنه خيرة مؤلة ولكن حيوية، شيء حسن وممكن".

وختمت الرسالة التي وقعها أعضاء مجلس رئاسة مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان نصر الله صفيير بطريك الموارنة، ومكسيموس الخامس حكيم بطريك الروم الكاثوليك، وانطوان الثاني حايك بطريك السريان الكاثوليك، وجان الثامن عشر كسباريان بطريك الأرمن الكاثوليك، ختمت تحليلاهما وتوجيهاتها بخمس توصيات راعوية لتطبيق هذه الاولويات الخمس.

الفكر المسيحي في يوبيلها الفضي

(١٩٦٤ - ١٩٨٩)

كان حلما أن تحتفل "الفكر المسيحي" باليوبيل الفضي، وهي المجلة التي لم يكن يقدر لها أنبياء الشؤم أن تعيش طويلا! وها هي قد شقت طريقها طيلة ربع قرن، عبر نجاحات وإخفاقات. وتالقات وكبوات. لتصل إلى اليوم الذي طالما تمناه لها قراؤها وأصدقائها، وكثيرون منهم واكبوا طفولتها في الستينات وحداشها في السبعينات وشبوبيتها في الثمانينات...

احتفالات اليوبيل في الموصل (٧ - ١٠ تموز) وبغداد (٢١ - ٢٨ تموز) كانت أشبه بمهرجان استقطب قابليات ومواهب وطاقات العديد من أصدقاء "الفكر المسيحي"، وذلك بعطاء وسخاء لا مثيل لهما... فيما نصدي هنا لهذا المهرجان. يطيب لنا أن نرفع أسمى آيات الشكر والتقدير والثناء إلى كل الذين، في الموصل وبغداد. ساهموا، من بعيد أو قريب، بقليل أو كثير، في جعل هذه المناسبة تظاهرة إعلامية في خدمة "الفكر المسيحي" التي نأمل - كما يأمل قراؤها - أن تبقى شمعاً موقدة دوماً في كنيسة العراق.

التقرير التالي يصدي لاحتفالات بغداد..



في بغداد، كان موعد الاحتفال باليوبيل يوم الجمعة ٢١ تموز ١٩٨٩، حيث ازدانت واجهة كاتدرائية القديس يوسف اللاتينية في العلوية وأروقتها باللافتات الترحيبية وشرائط الزينة لتستضيف فعاليات اليوبيل المختلفة. وكان من دواعي غبطتنا واعتزازنا ان يشمل هذه الاحتفالات برعايته الكريمة غبطة بطريرك مار روفائيل الأول بيداويد بطريرك بابل على الكلدان الكلي الطوي.

افتتحت الاحتفالات بصلاة شكر حضرها صاحبها السيادة المطران اثناسيوس متي متوكا رئيس أساقفة بغداد للسريان الكاثوليك والمطران بولس دحدح مطران اللاتين في العراق مترئسا الصلاة بصفته أسقف الكاتدرائية التي احتضنت الاحتفال، ولفيف من الآباء الكهنة والراهبات وجمع غفير من قراء وأصدقاء "الفكر المسيحي". وقد تضمنت الصلاة تراتيل لجوقة الكاتدرائية وقراءات من الكتاب المقدس ومزامير وطلبات، واقامت بجو من الخشوع والتأمل. وقرئت في الاحتفال رسالة التهنة الأبوية التي بعث بها إلى هيئة تحرير المجلة غبطة مار روفائيل الأول -وقد تعذر حضوره شخصيا لمصادفة سفره إلى لبنان في يوم الاحتفال ذاته- (انظر الاطار) كما تليت البرقية التي أرسلها الكردينال رئيس مجمع الكنائس الشرقية من الفاتيكان إلى المجلة بمناسبة يوبيلها.

رسالة البطريرك بيداويده

حضرات ابنائنا الاعزاء رئيس واعضاء هيئة تحرير مجلة "الفكر المسيحي" المحترمين
نشركم في صلاة الشكر لله العلي القدير بمناسبة احتفالات الوبيل القديس
بمجتكم الغراء "الفكر المسيحي" راجين ان تكون جهودكم المشكورة خدمة للكنيسة الذي
هو الله والذي صار يشرا فسكن بيتنا مفيضا علينا الحياة والنور والنعمة والحق (يوحنا
١/١، ١٤، ٩، ٣). وان تكون مجتكم شهادة للنور ليؤمن عن شهادتها جميع الناس عن
طريق ترميح العقيدة السليمة ونشر تعاليم الكنيسة وتوجهاتها نحو الانسان الجديد المتعدى
(يوحنا ١: ٧-٨).

فاليكم محبتنا الابوية وتقديرنا مع تشجيعنا لمطابعة مسيرتكم البناءة، حفظكم الرب
بمنايته وسنتكم في رسالتكم الشريفة مع ثمانينا القلبية وادعيتنا الحارة لنوام لمناحكم
وتوفيقكم مستعظرين على حضراتكم وسائر قراء "الفكر المسيحي" الكرام فبض البركات السماوية.

روفايل الاول بيداويده

بطريرك بابل على الكلدان

وبعد قراءة نص إنجيل يوحنا حول "كلمة الله" الذي كان منذ البدء (١:١-٨)،
انرى سيادة المطران دحدح في كلمة بليغة استهلها بتأمل لاهوتي في الكلمة وقدراهما في
التبشير. وخلص إلى الحديث عن رسالة الكنيسة في نشر كلمة الحق عبر وسائل الاتصال
والإعلام.. ويبين ان "الفكر المسيحي" قناة من هذه القنوات في خدمة رسالة الإنجيل
والكنيسة، ثم استطرده موضحا طبيعة العمل الصحفي الذي يتميز عن تعليم الكنيسة الصادر
عن السلطة الرسمية، بأسلوب العرض والتحليل وحتى في عكس التباين في الآراء. وفيما أشار
إلى الروح النقدية التي ينبغي أن يتحلى بها القارئ تجاه ما يقرأ من طروحات: دعا بالأحرى
إلى الحوار " طالما بالحوار تدوم الكلمة وتنمو، وبالحوار أيضا تنمو الكنيسة". (انظر مقتطفات
منها في الاطار).

وفيما كان الأب يوسف توما الدومنيكي قد افتتح "صلاة الشكر" بكلمة ترحيبية
بوصفه رئيس اللجنة التحضيرية لليوبيل في بغداد، اختتم الصلاة الأب بيوس عفاص، رئيس
التحرير، بكلمة أوجز فيها رسالة "الفكر المسيحي" وطبيعة عملها ضمن كنيسة العراق التي
هي في خدمتها.

بعدها افتتحت المعارض الفنية في جو من البهجة العامة ووزعت المرطبات. وشملت
المعارض: معرض المجلة الذي سبق وان عرض في الموصل. ومعرض الأشغال اليدوية من
تطريز وتحريم ورسم على القماش ومجموعة الدمى بأزياء القرى الشمالية الخ... ومعرض

الفنون التشكيلية للوحات الزيتية وأعمال السيراميك والأشكال الخشبية، ومعرض الفوتوغراف- وقد ساهم فيه الفنان حازم باك وهيثم فتح الله وغيرها- ومعرض الخط العربي والسرياني. وأخيراً معرض رسوم الأطفال. هذا واستمرت المعارض مفتوحة طيلة ثمانية أيام.

رهالة الكردينال

رئيس مجمع الكنائس الشرقية - حاضرة الفاتيكان

غبطة البطريرك روفائيل الاول بيداويد بطريرك بابل على الكلدان - بغداد

بمناسبة الاحتفال البهيج بمرور ٢٥ عاماً على تأسيس المجلة الشهيرة "الفكر المسيحي"، ففيما اتقى لها نمواً مطرداً مع التأكيد، بأمانة متواصلة، على التعليم المسيحي الرسمي، وبانسجام بنوي مع الكنيسة المحلية، اتقدم باسمي وباسم سيادة امين سر المجمع وكافة معاويني، باصدق التهنئات، مستمطراً على ادارة المجلة وجميع قرائها غزير البركات الالهية.

الكردينال سيمون لوردو سامي

رئيس مجمع الكنائس الشرقية

ومن فعاليات اليوبيل البارزة الأخرى في بغداد الأمسية الموسيقية التي أحييتها عازفة البيانو الشهيرة بياتريس اوهانيسيان في قاعة نادي جمعية الشبيبة الارمنية يوم السبت ٢٢ تموز ١٩٨٩. وقد شرف الأمسية بحضورهم سيادة المطران افاك اسادوريان رئيس أساقفة بغداد للأرمن الأرثوذكس، والمطران سويريوس حاوا رئيس أساقفة بغداد للسريان الأرثوذكس والمطران بولس دحدح ورهط كبير من أصدقاء "الفكر المسيحي". والجدير بالذكر ان الفنانة بياتريس قدمت عزفها هدية "للفكر المسيحي" مساهمة منها في دعم مسيرة المجلة، كما قدمت جمعية الشبيبة الارمنية أيضاً قاعتها مجاناً لهذه الأمسية الرائعة، فأليهما شكرنا العميق.

أما مساء الاثنين ٢٤ تموز، فقد قدم الأب جرجس القس موسى، نائب رئيس التحرير، محاضرة في كاتدرائية القديس يوسف حول مسيرة المجلة خلال ٢٥ عاماً.

وكان مسك الختام في أمسياتي الخميس والجمعة (٢٧/٢٨ تموز ١٩٨٩)، حيث كنا على موعد في قاعة الكاتدرائية الرئيسية مع مسرحية "ترنيمة الكرسي الهزاز" تأليف فاروق محمد، شعر عريان السيد خلف، إخراج الدكتور عوني كرومي -وقد تابع المسرحية في غيابه مساعده ناجي عبد الأمير- من تمثيل الفنانتين إقبال نعيم وإنعام البطاط. والجدير بالذكر إن هذه المسرحية قد حازت على جائزة أفضل عمل مسرحي عراقي لعام ١٩٨٨،

وبالجائزة الكبرى لمهرجان المسرح العربي في قرطاجنة بتونس كأفضل عمل مسرحي عربي لعام ١٩٨٨. ويطيب لنا هنا أن نعبر عن شكرنا الخالص لفريق الدكتور عوني كرومي الذي قدم ربيع المسرحية هدية "للفكر المسيحي"، وخاصة للكفاءة العالية التي أدت فيها المسرحية. إخراجاً وتمثيلاً.

مقتطفات من مجلة المسطران بولس صحص

(...)

انا لا اتصور ان وراء هذا المشروع (مجلة الفكر المسيحي) اية مصلحة مادية. المجلة مشروع لنقل الكلمة، كلمة الله، الكلمة الحق، التعليم المسيحي الصادق بكل نزاهة واخلاص. وانا لا اتصور، حتماً، ان مجلة الفكر المسيحي هي الناطق الرسمي باسم كنيسة العراق... فهي تضع امامنا اخبار الكنيسة في العالم اجمع، منها الرسمية ومنها غير الرسمية...

الكنيسة لا تسير فقط انطلاقاً من الكتاب المقدس ومن التعليم الكنسي الرسمي. وانما ايضا من الطروحات اللاهوتية والفلسفية والتحليلات. ومن هذا المنطلق تبقى الكنيسة الباب مفتوحاً امام مؤمنيهها ولاهوتيهها ومعلميهها والصحفيين فيها ليتطرقوا الى بعض المشاكل التي، وان اثارت احبانا بعض التساؤلات، فالكنيسة تستخلص منها ما تستطيع لتعطينا الجديده. والكنيسة، برئيسها المنظور واساقفتها، لا تعطينا تعليماً من لا شيء، وانما تطرحه على اللاهوتيين ليحلوه، ليدرسوه، ليضعوا الحجج اللازمة لاسنده، وان تباينت الآراء... الكنيسة ليست حاكماً قاسياً يقطع راس كل من يختلف رايه عن رايها. فاذا تمسكت الكنيسة ببعض الامور، لاسباب، فهي لا تمنع ان تطرح في اطار مفاير ومن وجهات نظر اخرى، مع الاستعداد لقبول القرار الرسمي عندما يصدر.

لا تتصوروا ان من واجب قراء اية مجلة، الفكر المسيحي او غيرها، ان يقبلوا بكل ما تطرحه. فلكل واحد منا عقل وتفكير وروح نقدية لا بد منها. عندما نقرأ، علينا ان نحلل ونستخلص وربما ان نحاجج وننقل رأينا الى المسؤولين عن هذه المجلة، طالما الكلمة هي حوار، والحوار تدوم الكلمة وتنمو. والحوار ايضا تنمو الكنيسة وليس بالشجار او التناحر وكسر الرؤوس (...). فاذا بلغت كل ما يرد في هذه المجلة، فهذا يعني اننا نعمل لفلسل دماغكم، وتلك ليست مهمتها. مهمتها هي ان تحسننا بالمشاكل المسيحية المعاصرة... فعلياً ان نساهم وندافع ونممي ونعمل كل شيء لدعمها، لا مسايرة لأصحابها، بل لان كلمة الحق نقولها: انما، منذ ٢٥ عاماً، المجلة المسيحية الوحيدة. عسى ان تنافسها مجلة اخرى!

اخيراً. اتقدم بالتهاني، والتمنيات خاصة، الى ادارة الفكر المسيحي لكي لا يخافوا، لا يتراجعوا، لا يهابوا، ليتقدموا! ان طريق الكلمة طريق شائك (...). فالى الامام. صلاتنا معكم وادعيتنا. وكذلك مساهمتنا المادية وغير المادية، لا للفكر المسيحي كمجلة وحسب، بل لكونها عملت كنيسة العراق، والعراق اولاً.

وعلى هامش اليوبيل أقامت إدارة المجلة حفلة غداء في نادي الهندية تكريماً لأعضاء اللجان التحضيرية لليوبيل والمساهمين في أعماله ونشاطاته ومعارضه.

إن كل هؤلاء الجنود المجهولين، من إخوة وأخوات وآباء، الذين لولاهم لما جاء اليوبيل بهذا النجاح، نتقدم بشكرنا. كما نسجل شكرنا العميم لسيادة المطران بولس دحدح لوضعه كاتدرائيته وقاعاتها وحدائقها تحت تصرف المجلة طيلة أيام احتفالات اليوبيل في بغداد. كما نتوجه بشكرنا إلى أصحاب السيادة الأساقفة الأجلاء والآباء الكهنة والأخوات الراهبات وجميع القراء والمنصرين، في الموصل وبغداد، الذين شاركوا أفراس اليوبيل سواء بحضورهم الشخصي هذه أو تلك من الفعاليات، أو بزيارتهم المعارض المختلفة، أو بإرسالهم بقرقيات التهئة ورسائل المودة.



- مع الاب خليل قوجحطارلي /لقاء/ ايار
 + ناميبيا: معركة الاستقلال / ملف/ حزيران - تموز
 + المرسوم الجمعي "في الحركة المسكونية" / عدد خاص / ١ - ٢ ت
 + مع الاسرى المائمين / تحقيق/ ش.ر/ ١ ك
 مع المطران عبده خليفة /لقاء/ ١ ك



ناميبيا. معركة الاستقلال

ناميبيا، سوابو، نوجوما، ويندهوك... كم تكررت وتزاحمت هذه الأسماء، في شريط الأنباء، طيلة ربيع قرن، إلى أن تكلفت مسيرة الأغلبية السوداء في هذا "الإقليم" -الذي لم يكن يطيب لنظام جنوب افريقيا العنصري أن يتخلى عنه سرعبا- بالظفر حين تم الإعلان، في ٢١ آذار الماضي، عن استقلال ناميبيا، وحين امسك بزمام الرئاسة سام نوجوما الذي قاد طويلا نضال منظمة شعب جنوب غرب افريقيا (سوابو)، وعمت الفرحة ويندهوك العاصمة وكل شبر من هذه الأرض الواسعة الفنية بالثروات الطبيعية.

"ناميبيا، عشية الاستقلال!" عنوان مقال سبق أن نشرته "الفكر المسيحي" (آذار ١٩٨٢). وبمناسبة الاستقلال يسعى الأب جرجس القس موسى في هذا الملف إلى رسم لوحة متكاملة عن نضال شعب ناميبيا (مليون ونصف) الذي يلين ٩٠% منه بالمسيحية، والذي لمبت فيه الكنائس المختلفة دورا متميزا، ويحتتم عليها أن تلعبه بالأكثر في فترة ما بعد الاستقلال.



"لا يخطر ببالهم أنهم هم المسؤولون، وإذا حمل قسم من الرجال السلاح فسيبهم هم، بسبب المهانات اليومية، بسبب سياسة الفصل العنصري التي ينتهجونها. أنهم لم يفهموا حتى الآن أنهم آحر المستعمرين في افريقيا. يظنون ان الحق بجانبهم، وكذلك الله، طبعاً. أما الآخرون، فهم "إرهابيون" .. يا لرياء الفريسيين!..."

"والفريسيون" المقصودون هم البيض المتحدرون من أصل أوربي أو القادمون من جنوب افريقيا إلى ناميبيا، فاحتلوها منذ أكثر من قرن، يعثون بها وبخيراتها على هواهم،

ويعيشون فيها كالأسياد المترفين المتغطرسين في مستعمراتهم المترامية الأطراف واحيائهم الخاصة، رافضين اي اختلاط اجتماعي أو ثقافي مع السكان الأصليين السود وكأنه وباء وتلوث. والانكى من ذلك أنهم يبررون سياسة التفوق والفصل العنصري هذه بادعاءات توراثية مزعومة. أما "الإرهابيون" المعنيون، فهم الأفارقة، أهل الأرض، وخاصة جماعة "السوابو" (SWAPO منظمة شعوب جنوب غربي افريقيا) الذين حملوا السلاح منذ ١٩٦٦ لانتراع استقلال بلادهم من جنوب افريقيا العنصرية التي تحتل ناميبيا فعلا منذ ١٩٢٠.

أما صاحبة القول، فهي صحفية وخبيرة اجتماعية سويسرية تدعى كريستين فون غارنيه قضت عشرين عاما في ناميبيا إلى جانب زوجها الألماني الأصل في مزرعتهم المنعزلة، تراقب وتحلل لتكتشف عالمين متناقضين: عالم المستعمرين البيض المالكين زمام الحياة العامة والتعليم والاقتصاد بأكمله، وعالم الشعب الأسود المحكوم عليه بالبقاء في العبودية.

وتدور الأيام.. وتنال ناميبيا استقلالها الفعلي في ٢١ آذار الماضي، وتشكل منظمة السوابو أول حكومة ناميبية مستقلة وفق ما أقرته الأكثرية التي حازتها في أول انتخابات ديمقراطية حرة أجريت في البلاد في ٢٠ الماضي، وتصبح الدولة الجديدة العضو ال ١٦٠ في الأمم المتحدة.

ولكن درب الاستقلال كان طويلا وشاقا.. ولقد كان للكنائس -وان بعد تلكو أملاه ارتباط قيادتها بالبيض- دور هام وبالتدرج، كما سنرى، في التزام مشروع الاستقلال وترسيخه في وعي المؤمنين في الداخل، ودعمه في المحافل الدولية والرأي العام العالمي.

لنعد إلى التاريخ

من القرن ١٤ وحتى ١٨ توجهت إلى الجنوب الافريقي من أواسط افريقيا ومناطق البحيرات الكبرى موجات متعاقبة من قبائل تنتمي إلى أعراق مختلفة تمتهن الصيد والرعي والقطاف. وقد رسا كثير من هذه القبائل على ارض ناميبيا في مجموعات شبه مغلقة ومتنافسة أحيانا كثيرة. وكانت آخر هذه الاقوام "الميريرو"، وهم رعاة رحل طويلو القامة نحيفون، اخضعوا "الناما" في طريقهم واستقروا في الوسط. بعدهم جاء "الافامبو" وهم قوم يزاولون الفلاحة، فاستقروا في سهول الشمال الخصبة. ويشكل الافامبو اليوم نصف سكان ناميبيا واكثر جماعة عرقية. ثم لحقت بهم أقوام اقل أهمية مثل "الكافانكو"، وهم صيادون تجمعوا حول نهر او كافانكو.. أما آخر الموجات الجديدة، فكانت جماعة خلاسية يطلق عليها اسم "باستاردس" (النفول) لانحدارها من زيجات بين البيض الهولنديين و "الخويكوي"، هجرت جنوب افريقيا في الثلث الأول من القرن ١٩ لتستقر في منطقة أطلقوا عليها اسم "رهوبوث" محتفضين لأنفسهم بشبه استقلال ذاتي.

دخلت المسيحية إلى حافات ناميبيا الجنوبية (حول نهر اورانج) عام ١٨١٠ عن طريق مبشرين انكليز. غير ان التبشير الفعلي بدا مع مجيء البروتستنت اللوثريين الألمان عام

١٨٤٤ حيث بشروا قبائل "الناما" و "المهيريرو". وبعد توقف بسبب الحرب (١٨٦٣-١٨٤٤) استدعى الألمان مبشرين فنلنديين لنشر الانجيل بين "الافامبو" و"الكافانكو".

وتبتهت الدول الاستعمارية إلى ما تمتلكه ارض ناميبيا على سطحها من خصوبة وفي باطنها من معادن، فكانت انكلترا السبابة في احتلال خليج والفس وضمه عام ١٨٧٩ إلى مستعمرة الكاب. ثم هرع الألمان للاستيلاء على الساحل الأطلسي وجعله محمية المانية عام ١٨٨٤ وطرد الفلاحين المهيريرو من أراضيهم وتسليمها لمزارعين ألمان. ولما ثار هؤلاء المهيريرو وهاجم ٦٠٠٠ رجل منهم المزارعين وقتل منهم ١٢٣ رجلاً، اصدر الحاكم العسكري الألماني أوامره بالإبادة ("لا يفلت منهم أي رجل، أو امرأة، أو طفل. اقتلوهم جميعاً") وكانت حصيلة المذبحة ٦٠٠٠٠ قتيل. وكانت تلك أول ثورة، وليس آخرها، لنفص نير المستعمرين.

وكانت الحرب العالمية الأولى.. وفقدت ألمانيا المنحدره ممتلكاتها، ومنها ناميبيا، فأسندت عصبة الأمم المتحدة انتدابها إلى انكلترا التي أوكلت إدارتها الفعلية إلى جنوب افريقيا عام ١٩٢٠، على أن تعمل لخير الناميبيين وتقدمهم الاجتماعي، كما تشير شروط الانتداب. ولكن جنوب افريقيا لم تعمل سوى لمصالحها غير آهمة مطلقاً. بمصير أهل البلاد السود، فكانت ثورات ١٩٢٢، و ١٩٢٤، و ١٩٣٢. ولما أرادت بريتوريا ضم ناميبيا إليها بعد الحرب العالمية الثانية سحبت الأمم المتحدة الانتداب من يديها رسمياً عام ١٩٤٦. غير أن بريتوريا تجاهلت الأمر وصارت تصوغ المشروع تلو الآخر لتبقى على سيطرتها. ومن هذه المشاريع تقسيم القطر إلى شطرين: شمالي للسود، وجنوبي ملحق بها للبيض؛ أو إقامة مناطق مفصولة (HOME LANDS)، وفقاً للاتماء العرقي، على نحو ما كانت -ولا زالت حتى اليوم - تنتهجه في أراضيها. وباعت كل هذه المشاريع بالفشل.

المقاومة.. أو تحرير الغات بالغات

حينئذ، وللخروج من هذه المراوحة، تنظمت المقاومة الوطنية السوداء بين صفوف العمال الافامبو، فنشأ "مؤتمر الشعب الافامبو" عام ١٩٥٦، تلتها "منظمة الشعب الافامبو" عام ١٩٥٧ التي تحولت عام ١٩٦٠ إلى حركة سياسية باسم "منظمة شعوب جنوب غربي افريقيا" (سوابو SWAPO). وترسخت قدم السوابو تدريجياً على الساحة الناميبية والدولية، لاسيما بعدما اعترفت بما منظمة الوحدة الافريقية كحركة وحيدة لتحرير ناميبيا عام ١٩٦٥، وازدادت هيبتها وفعاليتها عندما انشأت لها جناحاً مسلحاً عام ١٩٦٦.

ومنذ ذلك التاريخ بدأت لعبة القط والفار بين قوات جنوب افريقيا العنصرية والسوابو، تارة في حرب مكشوفة تستخدم فيها بريتوريا كل ألها العسكرية حتى تحترق حدود انغولا نفسها وتحتل جنوبها حيث نقلت السوابو قواعدها، وطورا في مطاردة لا تجدي نفعا كبيرا للمساندة الشعبية الناميبية التي تحظى بها السوابو. أما قضية الاستقلال، فبقيت تتخبط في دوامة الرفض القاطع والقبول المشروط والمشاريع المتناقضة والعجز الدولي حتى بعد أن اصدر مجلس الأمن الدولي قراره الشهير المرقم ٤٣٥ في أيلول ١٩٧٨ القاضي

بمنح الاستقلال. هذا القرار تلكأت بريتوريا عشر سنوات لتطبيقه، جرت خلاله استراتيجيات مختلفة، من إقامة إدارة محلية عملية، إلى حكم مباشر، إلى ضرب القبائل ببعضها، إلى غزو عسكري، إلى تجاهل كامل لمنظمة السوابو في التسوية. ولكن هل يمكن تجاهلها هي التي تعترف بها الأمم المتحدة "ممثلاً وحيداً وأصيلاً" للشعب الناميبي منذ ١٩٧٣. وما زاد في تعقيد القضية، تواجد قوات كوبية في انغولا الماركسية وتداخل مصالح وسياسات الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في المنطقة. وفجأة حلت العقد، الواحدة تلو الأخرى، عندما قررت الدولتان العظميان حل خلافاتها الإقليمية، فكان مؤتمر جنيف عام ١٩٨٨ الذي أبدت فيه جنوب أفريقيا استعدادها لتطبيق القرار ٤٣٥. وانسحبت قوات بريتوريا من ناميبيا، وتركت السوابو النضال المسلح منذ أيلول ١٩٨٨ لتأخذ دورها السياسي في إعداد الاستقلال والمفاوضات والدستور. وفازت السوابو بأول انتخابات عامة اشرفت عليها الأمم المتحدة في ت ٢ ١٩٨٩، وأعلن الاستقلال الفعلي في ٢١ آذار ١٩٩٠، وكان أول رئيس للجمهورية الناميبية الجديدة سام نوجوما زعيم منظمة السوابو نفسه.

دور الكنائس

يقدر ان ٩٠% من الناميبيين ينتمون إلى هذه أو تلك من الكنائس المسيحية. وتأتي في المقدمة الكنيسة البروتستنتية اللوثرية التي تشكل كبرى الجماعات المسيحية مع ٦٠٠٠٠٠٠ نسمة، تليها الكنيسة الكاثوليكية مع ٢٠٠٠٠٠٠، ثم الانكليكان مع ٧٠٠٠٠٠، إلى جانب كنائس بروتستنتية صغرى أخرى. وفي عام ١٩٧٨ تشكل "مجلس كنائس ناميبيا" ليضم معظم الكنائس، وقد انظمت اليه الكنيسة الكاثوليكية عام ١٩٨٢.

أما فيما يخص النضال من اجل الاستقلال، فإذا ما بدا الوعي لدى الكنائس منذ أواسط الاربعينات إبان فترة استقلالها عن المبشرين الأوربيين، فهذا الوعي لم يترجم في الواقع الفعلي إلا تدريجياً. وبينما ظلت بعض قيادات الكنائس متأرجحة بين إعلان حسن النوايا وممارسة جزئية -بوعي أو بغير تعمد مقصود- للفصل العنصري، انطلقت أخرى في عملية اهتداء حقيقية. فلقد عمدت البعثة الإنجيلية رسالة على جميع خوراناتها عام ١٩٧١ بتبدئ بهذه العبارات: "إننا نعتز بانسياقنا إلى التعاون مع سلطات العالم على حساب إخوتنا وأخواتنا السكان الأصليين؛ نعتز بأننا لم نفهم دائماً إرادة إخوتنا وأخواتنا السكان الأصليين في أن يُقبلوا في شخصيتهم ويستقلوا؛ نعتز بأننا طمأننا ضمائرنا بفكرة أنهم سيرضون بالبقاء في دور التبعية..."

لهذه البقطة أيضاً تاريخ:

إن كان المبشرون البروتستنت الألمان قد اختصوا بالبيض وحدهم في البداية وفتحوا مدارس خاصة منفصلة لأنبائهم منذ ١٨٧٦ وأتاحوا لهم التوسع، فالأمر لم يكن كذلك مع اللوثرين الفنلنديين الذين اهتموا بالافامبو الكافانكو منذ قدومهم في بداية القرن ١٩ ووقفوا إلى جانب تحررهم. أما الكنيسة الكاثوليكية، فلم تدخل الساحة حتى عام ١٨٩٦ مع مرسلها الأولين الذين لم يلاقوا التشجيع من السلطات الاستعمارية الألمانية البروتستنتية،

وإذا ما سمحت برلين عام ١٩٠٢ بانتشار الكتلركة في الشمال، فبأمل أن تساعد على تطويع قبائل تسوانا. ولما استلمت جنوب افريقيا إدارة ناميبيا بعد الحرب العالمية الأولى، حاولت كسب ود الكنيسة الكاثوليكية، ولكن شريطة أن تدعو هذه إلى الولاء لها وتحجم عن فتح المدارس ونشر الثقافة بين السود، على اعتبارها يؤر معارضة محتملة لسياستها، فركزت اهتمامها على تعليم الفتيات وعلى التبشير. ومما شكل عوقا كبيرا في ممارسة الكنيسة الكاثوليكية دورها النبوي والإنجيلي اعتمادها الكلي على مرسلين أوربيين وتأخرها في إقامة اكليروس محلي (أول أسقف نامبي عام ١٩٨٠)، بينما سبقتها الكنيسة اللوثرية الفنلندية التي أقامت رعاعها السود منذ ١٩٢٥، ومنذ ١٩٣٥ وضعت الأسس القانونية لمشاركة السود في مجلسها الأعلى وفتح المعاهد لإعداد القسس السود، لا بل بادر المبشرون الفنلنديون إلى إنشاء كنيسة لوثرية سوداء عام ١٩٥٤ باسم الكنيسة الإنجيلية اللوثرية للاوفامبو والكافانكو"، وقد تجندت هذه الكنيسة ضد سياسة الفصل العنصري. وما خشيته بريتوريا من المدارس الكاثوليكية، جاء من الكنائس اللوثرية الناميبية التي من بين صفوفها خرجت وفيها تربت عناصر "السوابو" الأولى، ووقفت وراء الجناح الداخلي للمنظمة. بل إن كثيرا من رجالها تسلموا، في اللاحق، مسؤوليات إدارية فيها، مثل الراعي هندريك ويتوي نائب رئيس المنظمة والراعي زيفانا كامبيتا مسؤول القطاع الصحي والاجتماعي فيها.

ولقد شكل عام ١٩٧١ منعظفا هاما في هذا التحول، لربما لعاملين: الأول صدور حكم محكمة العدل الدولية بلاشريعة تواجد جنوب افريقيا على أراضي ناميبيا. والثاني صدور رسالة جامعية لنيل الدكتوراه في اللاهوت للدكتور دي فرايس -وهو خلاسي ولد في ناميبيا- عرفت رواجا واسعا، فيها يحلل اسباب التفرقة العنصرية في بلاده، تاريخيا واجتماعيا واقتصاديا، ويدعو الكنائس الناميبية إلى إعادة النظر جذريا ليس في مواقفها الخارجية حسب، بل في تركيبة فكرها اللاهوتي والفلسفي. وهكذا دخلت الكنيسة الناميبية في مرحلة "لاهوت التحرير"، إن صح القول، حيث إن تحرير الإنسان في المسيح يمر بتحريره السياسي أيضا، ولا تحرير حقيقيا من دون التعرض إلى بني الظلم والطبقية العنصرية في جذورها ومسبباتها.

ومذ ذاك تتالت المواقف الكنسية المعلنة والجريئة إلى جانب حقوق الشعب النامبي واستقلاله. فلقد دفع إعلان المحكمة الدولية مسؤولي أكبر كنيستين لوثريتين في البلاد إلى توجيه رسالة مفتوحة إلى رئيس وزراء جنوب افريقيا لشجب "الذل" الذي يتعرض له غير البيض والمطالبة بالاستقلال. وقد عقب تلك الرسالة حركة من الاحتجاجات والاضطرابات دعمتها الكنائس. ولما لجأت بريتوريا إلى قمع إضرابات عمال المناجم السود بالاعتقال والتعذيب عام ١٩٧٢ أعلن الأسقف الانكليكاني كولن ويتنر إن كنيسته تتكفل بمصاريف الدعوى المقامة ضدهم، فكافاته السلطات العنصرية بنفيه. كما لجأت إلى طرد واعتقال مرسلين آخرين وملاحقة مسيحيين ملتزمين لوقوفهم إلى جانب حقوق السود.

وهكذا بقدر ما كانت قبضة جنوب افريقيا تشد على ناميبيا، بقدر ذلك كان وعي الكنائس يزداد، فتلتزم الواحدة تلو الأخرى قضية الإنسان النامبي الأسود باعتباره

ضحية للظلم والقمع ومستلب الحقوق والكرامة على ارض هي أرضه، وعلى يد سلطة استعمارية، لا أكثر ولا اقل، ومفروضة بالقوة والعنف. ولقد لحقت الكنيسة الكاثوليكية النامبية هذا التيار أيضا عام ١٩٧٥ حيث تبنت شعار السنة المقدسة (المصالحة) لتطبيقه على الوضع السياسي والاجتماعي لنامبيا. ومنذ ١٩٧٦ أخذت تبعد عن بريتوريا وتندمج مع جهود الكنائس الشقيقة، لا سيما بعدما جاءها الدور هي أيضا، وطرده بعض مرسلها لتضامنها مع السود. وأصبحت الكنائس صوت من لا صوت لهم، ودخلت في المعارضة المفتوحة ضد نظام بريتوريا وسياسته العنصرية. وكانت إحدى وسائلها الأكثر إثارة فتح مدارسها لكافة القوميات والأجناس والألوان سوية، ويا لظالما وجد الأسقف اسود ومعاونوه من البيض، أو العكس!

وفي ١٩٨٢ شكل زعماء الكنائس وفدا مشتركا إلى الدول الغربية لشرح قضية نامبيا وإفهام الرأي العام والحكومات بان نامبيا ليست مجرد بقعة يتصادم فيها الشرق والغرب، وإنما هي أيضا بلد يتوق إلى الاستقلال. وكان مجلس الأساقفة الكاثوليك لافريقيا الجنوبية قد أرسل بعثة لتقصي الحقائق في نامبيا عام ١٩٨١ تتكون من ٦ أساقفة. وحمل تقرير البعثة على أكاذيب بريتوريا من ان السوابو منظمة شيوعية، وفضح ممارسات القمع والتعذيب. وهكذا أنضمت كنائس جنوب افريقيا نفسها ومجلس الكنائس العالمي -وقد بعث برسالة دعم للسوابو بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيسها- إلى جهود كنائس نامبيا والمنظمات السياسية والإنسانية لفضح دور بريتوريا والمطالبة بالاستقلال. وشهدت السنوات الأخيرة من الثمانينات تنسيقا أوسع فأوسع بين الكنائس ومنظمة السوابو. ولقد دفعت الكنيسة نصيحتها من التضحيات والاعتقالات والملاحقات القضائية والمضايقات المادية والمعنوية وغلق مدارسها واقتحام الكنائس ثمنا للاستقلال، أسوة بسائر طبقات الشعب النامبي.

ما بعد الامتقلال

"علينا أن نمد أيدينا، بعضنا إلى البعض، لنبني سوية امة جديدة. إن نامبيا بلد واسع جدا، يسكنه عدد قليل جدا من الناس، ففي هذا البلد مكان للجميع". هذا ما أعلنه سام نوجوما، رئيس منظمة السوابو في افتتاح المجلس التأسيسي المنعقد في ويندهوك العاصمة يوم ١٤ ت ٢ الماضي لإعداد دستور نامبيا المستقلة.

"أنا مقتنع من إننا سنعمل بأخوة تامة مع سائر الاحزاب المتمثلة في المجلس، لأننا جميعا نريد أن تكون نامبيا حرة مستقلة". هذا ما أدلى به إدي امكونغو احد قادة السوابو للصحافة بعد الانتخابات التي فازت بها منظمته.

"نحن الأفارقة نحبي هذا الاستقلال ونريد أن نتقاسم المستقبل مع جميع إخواننا في هذا البلد..". هذا ما رددته أغنية وضعت خصيصا وانشدتها شباب نامبيا ليلة ٢١ آذار ١٩٩٠ في حفل إعلان الاستقلال.

اقتصاد أصير

إذا كان الاقتصاد محرك السياسة وربانها، فهل حقا ستكون ناميبيا المستقلة حرة في صنع قرارها وقرار سياستها هي التي مقاليد اقتصادها وأسواق ثرواتها الطبيعية كلها بيد "عربانها" السابقة العملاقة؟

الجواب لحده ضمنا عندما نعرف ان ٨٥% من صادرات ناميبيا وموارد ثرواتها^(١) تأتي من الماس، وان هذه المناجم هي بيد جنوب افريقيا او تستغل لصالح دول غربية صناعية كبرى (الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، كندا). وتحل ناميبيا المرتبة الرابعة في المعادن في افريقيا مع احتياطي ضخم من الماس (٨٥% من السوق العالمية)، واليورانيوم (اخمم منجم في العالم)، والنحاس، والذهب، والرصاص، والفضة، والقصدير، والملح، والفوسفات الخ...، وما ينهى بقاء جنوب افريقيا متمسكة بمقاليد الاقتصاد النامبي هو كون ناميبيا "منجما مجانيا" للمواد الأولية لصانعيها. ففي ١٩٨١ قدمت الى جنوب افريقيا ٩٣% من التاج القصدير، و ٧٠% لكل من التاج اليورانيوم والماس، و ٦٥% من الفضة، و ٣٥% من الزنك، و ٢٥% من النحاس، علما بان ٩٥% من المواد الاستهلاكية والتجهيزات التي تحتاجها ناميبيا تستوردتها من جنوب افريقيا.

هكذا لن تستطيع حكومة الاستقلال، بين ليلة وضحاها، ان تتجاهل الواقع: الا وهو التبعية الكاملة للاقتصاد النامبي تجاه جنوب افريقيا، وسيحتم عليها تنسيق سياستها الاقتصادية مع جارتها الكبرى الى امد غير الليل.

"الرفاق والمصالحة": هذا هو إذن الشعار الذي تتبناه السوابو لسياستها في ناميبيا الجديدة المستقلة، وقد استلمت دفة الحكم فيها بعد ربع قرن من الكفاح المسلح ومآسي الحرب والمصادمات العنصرية والقبلية والاستئثار الاقتصادي والسياسي. فالسؤال المطروح هو: هل ستنتج حكومة السوابو في هذا الرهان؟ ما مدى امتلاكها وسائل تنفيذ سياستها الاجتماعية والاقتصادية والتربوية؟

ما من شك ان ٥٧,٣٢% من الأصوات التي نالتها السوابو تعد نصرا كبيرا لها، وتجعل منها القوة السياسية الفاعلة الأولى واكبر كتلة في البلاد، ولكنها اقل من الثلثين المطلوبين لتحكم وحدها. فعليها أن تتوآلف مع القوى الأخرى المتواجدة على الساحة، ولا سيما مع مجموعة "الاتحاد الديمقراطي" (DTA) التي تضم ١٠ أحزاب عرقية مدعومة من قبل جنوب افريقيا والداعية إلى الاقتصاد الحر والتعددية في الحكم. وهناك البيض (٨٠٠٠٠) الذين، وان قبلوا الاستقلال واحتفلوا به مع إخوانهم الأفارقة، يمسكون بمقاليد الاقتصاد ولهم مصالحهم الحيوية. وهناك خاصة هؤلاء (النفول) (باستاردس حوالي ٣٠٠٠) الذين أعلن زعيمهم صبيحة الاستقلال بالذات حكومة ذاتية لإدارة منطقتهم "رهوبوث"، بغض النظر عن حكومة سام نوجوما. وهناك أيضا هذا الجيب الملقوم الذي يمثله قطاع خليج والفس الذي احتفظت به جنوب افريقيا والذي منه يمر القسم الأكبر من صادرات المنطقة وبضائعها المستوردة. أما انتظارات الأفارقة أنفسهم من الدولة الجديدة، فهي واسعة

ومتشعبة تعانق مرافق الحياة كلها، من ممارسة الحرية بعد العبودية إلى إزالة كافة المظاهر العنصرية والطبقية ومشاركتهم الفعلية في الجهد الاقتصادي والاستثماري^(١) والحضاري.

هويتها

جمهورية في الشهر الثالث من عمرها. عاصمتها ويندهوك (١٣٠٠٠٠ نسمة).

مساحتها: ٨٢٤٢٩٢ كم٢ (ضعف مساحة العراق). تتكون من ٣ مناطق جغرافية: المنطقة الساحلية وهي صحراء رملية (١٢٨٠ كم طولاً و ١٢٠ كم عرضاً) تدعى صحراء "ناميب"؛ الهضبة الوسطى وترتفع حتى ٢٠٠٠ م؛ السهول الشرقية الخصبة. مناخها جاف، ما عدا الهضبة الوسطى والشمال.

تحدها: انغولا شمالاً، وجنوب إفريقيا جنوباً، وبوتسوانا وزامبيا شرقاً، والمحيط الأطلسي غرباً.

نفسها: ١,٥ مليون نسمة، منهم ٥٨٥% من السود ينتمون إلى عدة قبائل أكبرهم قبائل "أوفامبو" في الشمال (٥٥٠%) تليهم قبائل هيريرو في الوسط، وقبائل ناما (برونزوي اللون) في الجنوب؛ ١٠% خلاسيون (من أصل مزيج أسود وأبيض) ٥٥% بيض (من أصل ألماني وإنكليزي وجنوب إفريقي).

الديانة: ٥٩٠% مسيحيون؛ ٥٥٨% بروتستنت لوثيريون؛ ١٧% كاثوليك؛ ٩% إنكليكان.

غنية بالمعادن (الماس، الملح، النحاس، الرصاص، الزنك، اليورانيوم، الذهب، الفضة). تربية المواشي. صيد الأسماك.

"الاستقلال أولاً، والبقية بعدئذ". هذا ما صرح به المطران الكاثوليكي يونيفاسيوس هاوشيكو، معبراً عن رأي معظم النامبيين. بعد الاستقلال، هذه "البقية" تصبح الواقع اليومي، وبهذا "الواقع اليومي" يكتب مستقبل ناميبيا من الآن فصاعداً.

ترى، ألا يكون للكنيسة دور، أكثر من السابق، في كتابة هذا المستقبل؟ أليست فرصتها التاريخية أن تساهم، متكاتفة ومتعاونة على اختلاف تسمياتها وطوائفها، وبكل طاقاتها وتأثيرها المعنوي، في هذه النقلة الحضارية، لا سيما في الحقول الثقافية والإنسانية والاجتماعية -والدمج العنصري بالذات- فتبقى صوت الضعفاء وضمير الأمة وحميرة الوحدة..

(١) النسبة في دخل السود والبيض هو من ١-٢٥ في الريف، ومن ١-١٢ في المدينة، ومن ١-٦ لدى الأسر الأفريقية الموسرة (حوالي ١٠-١٥% من المجموع).

(٢) ال ١٥% الأخرى تأتي من الزراعة وتربية الأبقار وصيد الأسماك، وهذه أيضاً معظمها بيد البيض أو الشركات الأجنبية.



المرسوم المجمعى "في الحركة المسكونية"

لهذا المرسوم تاريخ، وتاريخ متعرج.

حظيت الحركة المسكونية بثلاث مسودات مشاريع في أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني التحضيرية، ناهيك عن حضور "الهاجس المسكوني" في كل مناقشاته وقراراته، سيما وإنها كانت تدور على مسمع ومرأى من مراقبي الكنائس الشقيقة. فلقد ألحقت لجنة الإيمان بمشروع الدستور العقائدي في الكنيسة فصلا في "الحركة المسكونية". غير أن أهم ما في هذا الفصل هو أنه لم يكن يعكس الروح المسكونية الأصيلة، إذ يردد النظرة الكاثوليكية التقليدية حول "الإخوة المنفصلين" ويدعوهم، بكل بساطة، "إلى العودة إليها (أي الكنيسة الكاثوليكية) أفرادا أو جماعات، بالرغم من "عدم إنكاره امتلاك هذه الجماعات بعض العناصر الطيبة". ويكتفي، فيما يخص أبواب التلاقي، "بتشجيع التعاون في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية".

لجنة الكنائس الشرقية، من جانبها، كانت قد أعدت مسودة مشروع "للتقارب واستعادة الوحدة" يوصي باتخاذ "الوسائل الروحية واللاهوتية والطقسية والقانونية والمسلكية"، مما يفترض القبول "بإعادة النظر في" قانون الإيمان، والتعرف إلى التراث الخاص وتجديد بعض الصيغ الكنسية". وكان ثمة مشروع ثالث أعدته "سكرتارية اتحاد المسيحيين" ينطلق من تشخيص "العناصر الكنسية" التي تتمتع بها الكنائس غير الكاثوليكية والبنية "اللاهوتية" التي تستند إليها "الطاقة الخلاصية" الكامنة فيها. أما "شروط العمل المسكوني، فهي التعارف المتبادل وما يقتضيه من دروس وابتعاد عن أحكام مسبقة تسيء إلى الأشخاص والمؤسسات"، ومن ثم "الصلاة والتكاتف مع الإخوة المنفصلين". كل ذلك لن يتم إلا "بالتحديد الروحي، عقلا وقلبا وعملا، لأبناء الكنيسة الكاثوليكية".

هذه المشاريع المنفصلة الثلاثة دججت في مشروع واحد باسم "مرسوم في الحركة المسكونية" نال ما نال من المناقشة والتعديل والإصلاحات، وان بقي في جوهره يعكس الاتجاهات الثلاثة، وأحيانا في غير تجانس، وقد اقره البابا بولس السادس في ٢١ ت ٢١ بعد أن وافق عليه ٢١٣٧ من آباء المجمع وعارضه ١١.

الأفكار الرئيسية

ينطلق المرسوم من استنتاج مر، وهو أن قد طال الانقسام.. وان انقسامات المؤمنين بالمسيح الواحد تشكل العالم.. فلتب ولنعد إلى بعضنا!

ولكن المرسوم يعترف ضمنا أن حركة الحياة أسرع من حركة المؤسسة الكنسية كبنية إدارية. فلقد سبق السلطة الكنسية "عدد غير قليل من أبناء الكنيسة (الكاثوليكية)

يرومون التعاون مع الجماعات المنفصلة، لا تعيقهم في ذلك ظروف تاريخية مضت وحجرت بعض المواقف". كما رأَت الكنيسة (الكاثوليكية) من علامات الأزمنة أن يجتمع الإخوة المنفصلون في وحدة كنائس ليتداولوا في شؤون الرسالة والعقيدة^(١). فكان يوحنا الثالث والعشرون، وكان المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني الذي كانت "استعادة الوحدة من أهدافه الأساسية"، وكان الدستور المجمعي في الحركة المسكونية الذي زج الكنيسة الكاثوليكية في التيار المسكوني رسمياً ورسم "المبادئ الكاثوليكية" للعمل الوحدوي.

ويتكون المرسوم المجمعي في الحركة المسكونية^(٢)، الذي نحن في صده، من ٣ فصول: الأول تعليمي، ويعكس ما تضمنته المسودات الثلاث من عقيدة حول مفهوم الكنيسة ووحدها وعن المبادئ الكاثوليكية للعمل المسكوني.

الفصل الثاني يجعل التجديد الروحي، بما يتضمنه من اهتداء وعنصر صلاة وأسلوب حياة، أساساً للعمل الوحدوي ويوصي أن تكون أولى ثمار هذا التعاون الفعلي في المجالات الإنسانية والاجتماعية والدولية.

أما الفصل الثالث فيبحث "في الكنائس والجماعات الكنائسية المنفصلة عن الكرسي الرسولي الروماني" ويخص الكنائس الشرقية بالذات باهتمام متميز بما لها والكنيسة الكاثوليكية من "تراث لاهوتي وكنائسي مشترك". أما "المبادئ الكاثوليكية" للعمل المسكوني التي يحملها المرسوم فهي:

الحركة المسكونية، كحركة مسيحية، هي واحدة وهدفها واحد وهو السير نحو "ملء المسيح"، ومحورها واحد هو الكنيسة. لذا تنطلق "المبادئ الكاثوليكية" للحركة المسكونية من واقع "تحديد مفهوم الكنيسة كما أرادها المسيح والتقليد الكنسي". وإذا بهذه الكنيسة:

(١) "شركة تربط أعضائها برباطات روحية، الإيمان والرجاء والمحبة، ورباطات منظورة هي المجاهرة بالإيمان، والتقرب من الأسرار، والخدمة الراعوية، والذبيحة الاوخرستية وترمز بصورة فعالة إلى أن الكنيسة هي واحدة وحيدة".

(٢) الروح القدس يعيها ويوحدها والمسيح هو حجر زاويتها الذي عليه يقوم بناؤها.

(٣) على الرسل تروس، ولطرس، هامتهم - وإن ظل واحداً منه - سلطة فريدة، وخلفائه من بعده

(٤) مهمتها تحقيق "ملكوت الله على الأرض" والسير بالبرية نحو الله.

• الكنيسة كنائس، وبين الكنائس والجماعات الكنائسية - ويقصد بهذه العبارة الأخيرة الإخوة البروتستنت - شركة كاملة أو غير كاملة. وتقاس درجة هذه الشركة بقياس ما تحقق كل كنيسة أو جماعة في ذاتها من عناصر كنائسية، بالرغم مما لكل كنيسة من كنوز، "ذهب بما الشرقيون والغربيون عندما انفصلوا عن الكنيسة الكاثوليكية، والتي تظل كاملة في هذه الأخيرة". لذا فالحركة المسكونية لا تستهدف عودة أفراد بقدر ما تستهدف "حركة شاملة عامة تتلاقى الكنائس ككنائس".

• الروح هو الذي يلهم الخطوات الحاسمة.. ويزيل أسباب الخلافات. أما الطريق الملوكي فهو "التجدد الباطني والانفتاح إلى الآخر مع حب الحقيقة والمحبة والتواضع.. وإقرار الذنب". وهكذا إذن لا عمل مسكونيا من دون توبة واهتداء قلب (رقم ٧). ويتغذى هذا التجدد من العودة إلى الكتاب

المقدس كنيح أساس أولي، وإقامة الذبيحة، وإعاش الحركة الطقسية جعلها ملائمة لروح العصر الراهن ولكل منطقت، و "الصلاة التي هي من الحركة المسكونية بمثابة النفس من الجسد". والصلاة المطلوبة هنا هي الصلاة الفردية والجماعية المشتركة، ليس لالتماس نعمة الوحدة من الذي صلى إلى أبيه من أجل تلاميذه "ليكونوا واحداً"، حسب، بل ليشعروا أيضاً من خلالها في أعماقهم أمام الرب الواحد، بالإيمان والأخوة اللذين يربطانهم فعلاً.

• أما القاسم المشترك الأعظم "للشركة الكنسية" فهو "العماد الذي يوحدنا بالمسيح" ويشكل الركيزة المشتركة القائمة فعلاً لبناء الوحدة وبنائها.

• "وبانتظار اليوم الذي يريد الله في محبته لوحدة المسيحيين، على الكاثوليك أن يتكاتفوا وإعوانهم على أصعدة كثيرة"^(٣): إنسانية واجتماعية وعلمية ودولية (رقم ١٢). وذلك جنباً إلى جنب مع فتح الحوارات واللقاءات، "متصرفين في ما بينهم تصرف الند للند" (رقم ٩). على أن تحظى هذه الحوارات بالتصميم على إزالة كل الفروقات والسير بنقطة نحو التوحيد والاعتراف المتبادل. وكثمرة من ثمار هذا التصميم يوصي المرسوم بضرورة التنشئة المسكونية -روحياً وعلمياً ونفسياً- خاصة في المعاهد الكهنوتية واللاهوتية.

• تأكيد مهم أخير يخص أسلوب عرض الإيمان الكاثوليكي بوضوح ونزاهة، أجل، ولكن مع العناية الفائقة بإيصال الأفكار والمفاهيم إلى ذهن الآخر بصورة سوية، حتى وإن بمفردات قد تختلف عن المفردات التقليدية، مع التمييز دوماً بين ما هو جوهري وما هو ثانوي، للبلوغ إلى فهم متبادل ومشترك (رقم ١١). ولكن في كل الأحوال لا ينبغي "استباق تحريكات الروح القدس المستقبلية" (الختام - رقم ٢٤) -ويعني ذلك في سياق القاموس الكنسي عدم التسرع أو التهور. والتمسك بالفطنة والرؤية.

تقييم ونقده

لا شك أن المرسوم الجمعي في الحركة المسكونية يعد نقلة نوعية في موقف الكنيسة الكاثوليكية من الحركة المسكونية التي نمت خارجاً عنها أساساً، إذ يعد تعهداً رسمياً من قبل أعلى سلطة كنائسية فيها، ألا وهو المجمع المسكوني برعاية البابا، في الجهد المسكوني العام (رقم ٤). لذا فهو، أي المرسوم، الوثيقة الأساسية والخطوة الإيجابية المسكونية الكاثوليكية الكبرى والحاسمة في حد ذاته، سيما وأنه أقر بان الحركة المسكونية حركة واحدة في جميع الكنائس، وإن العمل المسكوني لا يقوم على علاقات الكنائس بالكنيسة الكاثوليكية فحسب، بل في ما بينها أيضاً^(٤). وأكد على أن الوحدة مشروع الجميع، قمة وقاعدة، "مؤمنين ورعاة، كل بحسب طاقاته" (رقم ٥). كل ذلك يجعل منه أرضية وقاعدة متينة للحوار المسكوني. بل من واقعه انطلقت مبادرات ومواقف مسكونية كاثوليكية عديدة ومتشعبة منذ المجمع، في القمة والقاعدة، حتى أن البعض منها تجاوزته من حيث الأسلوب والجرأة والتفاصيل والطرح. لا حرم أن تتجاوز الأحداث والضرورات وسياق الحركة المسكونية "بنية" المرسوم في صياغته الحاضرة. فالمرسوم، في الواقع، ليس منهاجاً لمشروع الوحدة، وإنما توجيهات وتوضيحات أساسية للعمل المسكوني. كما أن المرسوم ليس دستوراً، وما ليس دستوراً خاضع للتبدل والتطوير، ليس لأن مستحداث الحياة

والعلاقات بين الكنائس الشقيقة تأخذ منحى جديدا كلما تطورت، بل لان في سياق المرسوم ذاته صيغاً تعبيرية ومفاهيم أقل ما يقال فيها أنها سلبية ولا تسهل الحوار المسكوني، مثل:

أ - "العودة" إلى الوحدة المنشودة، كما تنعكس من طيات المرسوم، تتأرجح بين جاذبيتين اثنتين: "قلق الكنيسة الكاثوليكية على الذين انفصلوا عنها"، والرغبة في أن يعودوا إلى الشركة معها؛ وبين "التفتيش معهم عن استعادة الوحدة والطرق الملائمة لذلك" بالانفتاح على ما تقتضيه إرادة المسيح في وصيته "ليكونوا واحداً" وبتابع الهامات الروح الذي يخاطب الكنائس (رؤيا ٢: ٢٩) أي بين أن تتم الوحدة "بعودة" المنفصلين عنها إليها، وبين أن تتم بالبحث سوية عن صيغة أخرى مقبولة من الجميع.

ب - فعبارة "الإخوة المنفصلين" تتردد ٣١ مرة في المرسوم، لا سيما في القسم الأول التعليمي، وغني عن القول ما هذه العبارة غير الموقفة من قابلية لبعث الامتعاظ لدى الكنائس الشقيقة -لا سيما الشرقية- من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، لأنها تفترض أساسا "انفصال" الآخرين وانسلاخهم عنها. ولقد وردت الفكرة المذكورة نفسها نصا في (رقم ٣) وان اعترف أن تبعة "الانفصال" تقع على هذا الفريق أو ذاك ("وانفصلت طوائف ذات بال عن شركة الكنيسة الكاثوليكية التامة بذنب أفراد، أحيانا، من هذا الفريق أو ذاك"). لذا تبقى الكنيسة الكاثوليكية، بعيني ذاتها، قاعدة الوحدة، ويبقى نموذج الوحدة الأصدق، في ما يرشح من المرسوم، هو الانضمام أو العودة إلى شركتها، وإن بعد تقريب وجهات النظر وفهم ما للآخرين من تراث أصيل أو مشترك معها.

ج - كما أن ما يشكل عقبة في الفهم المسكوني المتبادل هو انطلاق الكنيسة الكاثوليكية من كونها هي الوحيدة التي تمتلك "ملء النعمة والحقيقة"، وأما "بما وحدها يمكن الحصول على ملء وسائل الخلاص" (رقم ٣)، وكأني بما تقول ضمنا، بأنها هي وحدها كنيسة المسيح الحقيقية، وان "لا تخلو الكنائس والطوائف المنفصلة من المعنى والقيمة في سر الخلاص، وإنما مشوبة بالنقص". هذه المقولات ترددت في المرسوم تحت أشكال مختلفة، ولعل الرقم (٣) من المرسوم، وعنوانه "العلاقات بين الإخوة المنفصلين والكنيسة الكاثوليكية"، يكون اشد البنود وطأة في هذا الاتجاه.

د - ارتباط كل هذه الاتجاهات -التي تبدو في المرسوم وكأنها مسلمات بدئية- بالمفهوم الكاثوليكي المركزي الآخر وهو محورية كرسي بطرس أسقف روما الأول وخلفائه من بعده، الذين "يرتسون الأساقفة" بحسب العبارة الواردة في رقم (٢)، هذا المفهوم الذي لربما حملته روما أكثر من طاقته عبر التاريخ.

هـ - باب الكسب الفردي يقيه المرسوم مفتوحا من دون حذر، ولا يرى فيه حرجا على الحركة المسكونية (رقم ٤). والله يعلم كم أن "الكسب" يشكل عقدة لدى أشقائنا الأرثوذكس، لا سيما في ما يخص الانتقال الجماعي إلى الكتلثة، الذي تم في القرون الماضية.

الكنائس الشرقية

ومع هذا يبقى الفصل الثالث الخاص "بالكنائس والجماعات الكنائسية" الشقيقة جوهره المرسوم كله وأصابع "سكرتارية الوحدة" بادية بوضوح فيه. انه فصل يحس فيه المؤمن بدفء المحبة والاحترام للذين كتب فيهما، ويشعر الشرق خاصة باعتزاز عميق بأصالة تراثه الذي رقد الكنيسة الجامعة ولا يزال، بشقيها الشرقي الأرثوذكسي والغربي الكاثوليكي. ومن النقاط المضيق التي تعد طرحا جديدا تماما ومفعما بالروح المسكونية، نلاحظ ما يلي، مع تركيز متعمد على ما يخص الكنائس الشرقية:

أ - "التعددية" و "التنوع" و "الخصوصية" لدى الشرق والغرب، "منذ فجر الكنيسة"، قيم، لا فقط يأخذ المرسوم علما بما، بل يعترف بإيجابيتها و "يحرص على مراعاتها.. قاعدة تفيد الحوار المنشود إضافة عظيمة" (رقم ١٤). بل نقرا فيها ضمنا أن صيغة الوحدة المتلى ستكون بالعودة إلى الشركة السابقة وعلى نحوها، أي بإقرار هذه "التعددية والتنوع والخصوصية" التي لم تكن لتمنع الاحكام إلى كرسي روما في الملمات الصعبة، بحسب التقليد الكنسي العريق ما قبل الانفصالات. "لذلك ساد ويسود بين الشرقيين الاهتمام الخاص بالحفاظ، في شركة الإيمان والحقبة، على العلاقات الأخوية التي يجب أن توجد بين الكنائس المحلية كما توجد بين الشقيقات" (رقم ١٤).

ب - التنوع نتيجة "لاختلاف العرقية والأوضاع الوجودية" (رقم ١٤). وهنا يضرب المجمع ضربة معلم عندما يقر في الرقم (١٧) "ان ما قبل من قبل في شرعية التنوع في العبادة والنظام يجب تطبيقه أيضا في التعبير اللاهوتي عن العقيدة". هذا هو الاعتراف العلني والواضح بشرعية الاجتهادات اللاهوتية، "في الشرق والغرب"، عندما تبقى أمينة لجوهر الإيمان الواحد. ويستطرد المرسوم: "ومن ثم فليس بالعجب ان بعض نواحي السر المزل قد أدركها الواحد وعبر عنها أفضل من الآخر، بحيث يجب في الغالب اعتبار هذه الصيغ اللاهوتية المتنوعة متكاملة أكثر منها متعارضة. أما تقاليد الشرقيين الصحيحة، فيجب الاعتراف بما لأنها متصلة في الكتاب المقدس تأصلا بالغا، وهي مبسطة ومعبّر عنها في الحياة الليتورجية؛ وتتخذ من سنة الرسل الحية، وكتابات الآباء الشرقيين، والمصنفين الروحيين".

ج - بين الشرق والغرب عملية اخذ وعطاء، بل إن الغرب اعتمد على الشرق في تحديد عقائد الإيمان المسيحية الأساسية.. في مجامع مسكونية عقدت في الشرق" (رقم ١٤)؛ وفي "تقاليدته الرهبانية" (رقم ١٥). فكم هو حري "الكاثوليك أن يرتادوا بتواتر الكنوز الروحية للآباء الشرقيين" (رقم ١٥).

د - بما أن كهوتنا واحد واوخرستيانا واحدة واسرارنا واحدة، فالمرسوم يدعو إلى "الاشترك في الأقداس"^(٥). وينيط الأمر "في الأحوال المناسبة، وبموافقة السلطة الكنسية" المحلية، ويقول ان ذلك "ليس هو في حكم الممكن فقط، بل مما يشجع عليه أيضا" (رقم ١٥).

لو أمعنا التحليل والاستنتاج في مثل هذه الفقرة وفي ما يجانسه من مفردات بنود الفصل الثالث الأخرى -وتخصيصا ما يتصل منها بالكنائس الشرقية- لوجدنا ترجعا اليوم على الصعيد العملي، أو على الأقل ركودا في التطبيق المسكوني. فلو سارت الحركة المسكونية كما ورد في الأسس الرئيسية وبروحها ومنطق استنتاجاتها عمليا ونظريا (لاسيما ما يخص احترام التعددية فكرا ولاهوتا وخاصة في الإدارة الذاتية، وإقرار ذلك في الواقع الكنسي المعاش) لتوصلنا إلى رؤية وتغط للوحدة الكنسية والشركة الإيمانية بين الشرق الأرثوذكسي (بمختلف كنائسه) والغرب الكاثوليكي، شبيهة بالتي كانت قائمة قبل الانشقاقات^(٦). أليس ذلك تماما ما يتوصل إلى طرحه المرسوم حين يقول: ان كنائس الشرق تتبع، منذ البدء، قواعد خاصة بما اقراها الآباء القديسون والمجامع حق المسكونية منها. فلا يخالف البتة إذن وحدة الكنيسة أن يكون فيها تنوع في المناهج والعادات.. بل أن مثل هذا التنوع عنصر يزيد من جمالها، وعون لها ثمين.. من اجل هذا يعلن المجمع، تبديدا لكل شك ممكن، ان كنائس الشرق، فيما تمي ضرورة الوحدة للكنيسة كلها، تملك السلطان بان تحكم نفسها بحسب قوانينها الخاصة بما.. فان المحافظة التامة على هذا المبدأ المتواتر (والحق انه لم يحافظ عليه دائما) لأحد الشروط الأولى التي لا بد منها على الإطلاق لاستعادة الاتحاد" (الرقم ١٦).

مثل هذا النص الجريء والواضح لا تتأكد مصداقيته العملية، في الواقع، إلا إذا قرأناه على ضوء واقع الكنائس الشرقية الكاثوليكية المتحدة مع روما. ذلك ان هذه الكنائس، مهما قيل ويقال،

إن لم تكن جسرا معترفا به من قبل الكل ما بين الشرق (بانتمائها التاريخي والجغرافي وحتى العرقي، فهي من رجمه في كل الأحوال)، والغرب (بانتمائها العقائدي والسلطة الأعلى اليوم)، فهي محك فعلي تختبر فيه الكنيسة الكاثوليكية (أو لنقل الكرسي الرسولي الروماني) "ميدانيا" مدى قدرتها وقناعتها في تطبيق مبادئ المسكونية والتعددية والاستقلالية والشخصية الذاتية للكنائس المحلية والخاصة^(٧).

وهنا يفرض السؤال التالي نفسه: "هل حقا تتمتع الكنائس الشرقية الكاثوليكية بكامل استقلاليتها وسيادتها تجاه روما ضمن شركة الكنيسة الكاثوليكية؟ ألا تتسم بعض جوانب الإدارة والقوانين والمرجعية لديها بالتبعية؟ أليس أن ما يقر مبدئيا، يستعاد أحيانا قانونيا ومسلكيا؟ هل تطبق بمخالفها التوصية الواردة في (رقم ١٨) من المرسوم والقائلة: "لأجل استعادة الشركة والوحدة والحفاظ عليهما ينبغي ألا "يفرض شيء ما لم يكن ضروريا"؟ ناهيك عن الاتكالية والتنازل عن المسؤولية الواردين لدى مسؤولي هذه الكنائس المباشرين!

ولكن ثقتنا بالروح عميقة، فهو الذي "يحقق الشركة" و "ينوع النعم والخدم، فيغني كنيسة يسوع المسيح بالوظائف المختلفة"؛ وهو "مبدأ الوحدة للكنيسة" (رقم ٢)، ومانح المحبة بين الإخوة. والحال "ان روح المحبة يقضي كل وجه من وجوه الخصومة" (رقم ١٨).

(١) إشارة مؤكدة الى مجلس الكنائس العالمي الذي يضم كنائس اوثوذكسية وبروتستنتية ويشكل منبرا عالميا للحوار والعمل المسكونيين منذ ما قبل الجمع.

(٢) اقرأ مقتطفات مطولة منه ف . م . شباط ١٩٧٩ ص ٨٣ - ٨٨

(٣) كل ما سبق وضعه بين معقوفين "٢٢" مأخوذ عن مقدمة "قرار مجمعي في الحركة المسكونية" - المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٧٠. وهي نفسها مستوحاة من فقرات وروح "القرار".

(٤) ف . م . ت ١ ت ٢ ١٩٨٦ (مقابلة المطران غريغوريوس صليبا ص ٣١٦)

(٥) المقصود "بالاشتراك في الاقداس" الاشتراك في المراسيم المقدسة وقبول الاسرار، لا سيما القربان المقدس، بين الكاثوليك والارثوذكس.

(٦) اقرأ مقابلة ف . م . مع البطريرك زكا عيواص ت ١ ١٩٨٠ ص ٣٥٥ - ٣٥٩.

(٧) على ضوء المرسوم المجمعي "في الكنائس الشرقية" ايضا ينبغي ان نقرأ المرسوم "في الحركة المسكونية"، لان الاول بمثابة تطبيق نظري للثاني وللمبادئ الواردة فيه.

مع الأسرى العائدين

حينئذنا الى عودة اسرانا الاعزاء ما كان ليضاهي حنينهم اليانا والى تراب الوطن. من هذا التراب حمل احد الجنود المؤسرين الجلد صرة الى رفاقه في الاسر، كما روى احدهم، فتجمعوا حوله يشتمون التراب ويمسحون به جباههم متريكين. امام اعين سجانيتهم وبالرغم من ردهم. واول ما فعلوا عندما وطأت اقدامهم ارض الوطن يوم عودتهم انهم ركعوا وقبلوا هذا بالتراب. بل تمرغوا به واسقوه دموعهم.

ولما فتح هؤلاء افواههم للشهادة عن معانياتهم هناك، اكتشفنا ابطالا حملوا العراق في احداق عيونهم، ومؤمنين من طراز المسيحيين الاولين ابان الاضطهادات الكبرى وعصور الاستشهاد، انغرز الايمان وتعزز اسم المسيح هويًا في اعماق قلوبهم، وشهدوا له بعز ونكران ذات وسط التعذيب والتجويع وشتى صنوف المضايقات والمذلة، لا لانهم عراقيون حسب، بل لانهم مسيحيون بالذات. من اجل فراء الفكر المسيحي توجهنا الى عدد من هؤلاء "المعترفين"^(١) واستمعنا اليهم في لقاءات وندوة خاصة، علاوة على ما تجمع لدينا من شهاداتهم ابان زيارتنا للكثير منهم بمناسبة عودتهم.

اخبار الوطن والاهل والرحائل...

"كان العراق يعيش في ضميري في كل لحظة"

هذه العبارة قالها الاسرى العائدون بمئات الاشكال. وكان "سكني" العراق في ضمائرهم واعماقهم، بكل ما ومن يضم هذا العراق، يتخذ تعابير مختلفة: بلهفتهم الى اخباره كلما اتاهم اسير جديد. يتلصصون للحديث معه في غفلة من الحرس. بمتابعتهم عن طريق الراديو والتلفزيون الرسميين عندما يتوفران مع الحذر مما يدس فيهما - او عن طريق الجنود الايرانيين المعارضين او الاسرى العراقيين المرضى العائدين بعد معالجتهم من المستشفى او المرضات هناك. بالوقوف في الصف طويلا في العراء والبرد والمطر. يوم تاتي الرسائل: "لعل اسمي يقرأ واستلم رسالة تحمل خط اهلي واشتم فيها رائحتهم... او تعود الي منهم محملة بعبير الوطن".

"لقد كانت الرسائل والصور التي استلمها من البيت هي خبزي وقوتي".

اما اخبار العالم فكانوا يتابعونها من نشرة التلفزيون الايراني. ومن خلال هذه النشرة كانوا يتابعون الاخبار المسيحية الدولية. منها زيارات البابا لشتى انحاء العالم. وفيما كان هذا التلفزيون ييث احيانا برامج عن الكنائس والفن الديني المسيحي في العالم او عن حياة السيد المسيح في الاعياد المسيحية الكبرى. اما لاغراض دعائية او مصحوبة بنقد وتهجم "كنا نحن الاسرى المسيحيين نتداعي لمشاهدتها، يقول احدهم. ثم نتناقش حول البرامج بعد مشاهدتها، وكان ذلك يزيد من تعلقنا بالاسم المسيحي.

الاجانة لاهم الميخ

كثير من الاهل والاصدقاء فوجئوا بعمق الايمان والتعلق بالدين وباسم المسيح اللذين وجداهما عند اعزائنا الاسرى العائدين. ان فترة الاسر طويلة، مع ما تضمنته من معانيات انسانية مروعة وحرمان ومضايقات بسبب الاسم المسيحي او بغاية كسبهم. كانت حقاً فترة تطهير واهتداء وتعمق في الايمان لاسرانا المسيحيين. تلك المعانيات كانت محكا لايمانهم. فخلق التحدي فيهم، سيما وهم قلة ضئيلة، خلق نخوة الاعتزاز بالانتماء المسيحي والرغبة في التعمق في جوهر الدين بدءاً من اكتشاف الانجيل. ولنستمع الى شهاداتهم:

"كلما كنا نواجه المضايقات والضغوط لاجل الدين كان الايمان يترسخ في قلوبنا بالرغم من افتقارنا الى الكثير من المعارف الدينية، وكنا نسعى الى زيادتها من خلال قراءة الكتاب المقدس وحفظ الايات ومعرفتها بشكل صحيح، وخصوصاً عندما نجتمع سوية ونتناقش فيها فنضيف الى معلوماتنا الكثير... وكنا نشرح للاخوان الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ليتمكنوا من الجواب اذا ما تعرضوا لاسئلة صعبة، ونعلم الصلاة لمن لا يعرفونها". وقد تبع البعض "دورات" تثقيفية على يد شماس او اخ مثقف في امور الدين، في احدى زوايا القاعة.

ويذكر صاحب هذه الشهادة قصة الاسير الشماس الذي كان في معسكر اخر قد كتب كراساً يحوي مبادئ عن الدين المسيحي "وقد جلب احد الاسرى المسيحيين معه نسخة من هذا الكراس حين تم نقله عندنا، واستنسخه كل واحد منا بدوره، وصرنا نستعين به للتعمق وتعليم بعضنا.."

نسخة واحدة من الكتاب المقدس او الانجيل لكل قاعة، باللغة العربية والسريانية - الكلدانية (التي تعلم قراءتها كثيرون كما تعلموا التحدث بالسورث). فيقراونه بالتناوب، وقد استوجب اقتناؤه احياناً عرائض ومطالبات وشكاوى.

- كيف كنت تشهد لاسم المسيح ومبادئ الانجيل؟

- "ترجمها الى الواقع الملموس.. بالتضحية ونبذ روح الثار.. بنكران الذات في المواقف الحرجة والصبر.. بالصوم (ومن لم يكن يصوم قبلاً صار يصوم). بمساعدة الضعيف والسهر على خدمة المريض ومهدته.. بالتكاتف والتوحد والمجبة فيما بيننا.. بارشاد بعض ضعاف النفس ممن غرر بهم بالضغوط والترغيبات التافهة والملل والياس - وهم على كل حال، حفنة ضئيلة جداً.

التضامن والتاخي بين الاسرى العراقيين

الاشترك في المصير الواحد والانتماء الى الوطن العراقي الواحد كان صخرة التضامن الصلدة بين الاسرى، مسيحيين ومسلمين، في السراء والضراء، ماعدا الموالين للنظام الايراني الذين منهم جاءت معظم مصائب اسرانا - وكانت تعطي لهؤلاء المسؤوليات

التنفيذية المباشرة والسيطرة ("وكلها مسؤوليات تافهة بنظرنا وعدوانية" يقول احدهم). ويقول اخر: "لقد تمكنا من تحدي ومواجهة المضايقات التي كانت تريد تفكيك اتحادنا المتين، وكان التاحي قويا بين جميع الاسرى الذين يعتبرون اتجاههم وطريقهم واحدا وهو الخلاص والعودة سوية الى الوطن الحبيب". وان ما كان يثير غضب "الموالين" تلاحم الاسرى المسيحيين فيما بينهم، وتلاحم اخوانهم الاسرى المسلمين معهم كالبنيان المرصوص. فكم من هؤلاء تعرضوا لضغوط لبث الفرقة بينهم ومنعهم من التعامل مع الاسرى المسيحيين ومقاطعتهم، غير انهم تحدوا الضغوط باصرار، كما تحدى الاسرى المسيحيون الضغوط والتهديدات والاهانات الموجهة اليهم لمنعهم من اقامة علاقات مع رفاقهم المسلمين، وقد نقل احد اسرانا ان "احد اصدقائنا المسلمين الاسرى كان قد فرض على نفسه نذرا بان يخلق كل اسير مسيحي في الكعب بمناسبة اعيادهم المسيحية ويقدم لنا الشاي. وكان غيره يجمعون "القمند" (وهي القطع السكرية التي توزع على الاسرى) ويصنعون منها ما يشبه كعكة ويكتبون عليها عبارة "عيد ميلاد سعيد"، فياتي كل واحد بوجبة غذائه الشحيحة مع ما اذخر منها فناكل سوية".

وكان التضامن يظهر ببيان اجلى في حالات المرض، "فتعاون في مساعدة المريض ونبحث في الكعب كله بايجاد ولو حبة واحدة لعلاجه. ونغير ثيابه، ونتبرع بغسلها، او بجمله الى الحمام، او حلاقته". كما ياخذ هذا التضامن اشكالا اخرى مثل قراءة او كتابة الرسائل لمن يجهلون القراءة والكتابة، او حياكة وخياطة سراويل وكفوف وجوارب بجانا لبعضهم من خيوط المخمل والكواني او من قطع الالبسة الداخلية القديمة، او صنع البومات لصور الاصدقاء من اكياس النايلون، او قسمة السيكارا الى جزئين او ثلاثة وتوزيعها الخ...

ما اطيب واعمق الصداقات التي تمت في الاسر.. واستمرت بعد العودة!

لقد لمست ذلك لمس اليد والعين وانا جالس القرفصاء ذات مساء في حلقة من تسعة اسرى عائدين كانت وشائج الصداقة قد تشابكت فيما بينهم فكونوا فريقا متحابا. نادوا بدعوة من احدهم في داره وبين ذويه حول قدح من البيرة والكبة العراقية يستعيدون الذكريات ونشوة العودة. في الواقع لولا هذا التضامن الاخوي المصري، مستندا الى قوة الايمان التي كانت تضاعف طاقة الصمود والصبر المخزونة لدى اسرانا، لما بقي سراج الامل بالعودة حيا في قلوبهم طيلة سنوات وصلت العشر لبعض منهم. ليس لبعضهم منفيين عن وطنهم واهلهم حسب، بل خاصة لظروف الاسر المرة والمعاملة التي اقل ما يقال فيها انها لا تمت الى الانسانية بشيء. فالتجويع والبرد وسوء التغذية المريع، والضرب والجلد والتعذيب حتى العروق، والسجن الانفرادي او الحجز الجماعي في قاعات رطبة لا ترى النور، ونقص العلاج والدواء بصورة مخزية. وضيق المكان وسوءه، ومختلف انواع المذلة النفسية والجسدية. والاختضاع لعمليات غسل الدماغ والطعن بالمقدسات والشتم والاهانات والاتهام بالكفر والشرك... كوابيس مرعبة تخيم على ذاكرة اسرانا، هيهات ان ينسوها!

والجدير بالذكر ان الاسرى المسيحيين تعرضوا لضغوط استثنائية من قبل المرشدين الدينيين الايرانيين والموالين لهم، وارغموا على اتباع المحاضرات. وبينما حول قسم منهم ذلك الى تجربة لزيادة المعلومات والتحصن للجدالات اكثر، رفض القسم الاخر الانصياع فتعرض للتجويع والحكم بالجلد.. وكنا فرحين وكان ايماننا يزداد بعد الجلد.. "وكنا يدا واحدة وقلبا واحدا وكلمة واحدة مما اعطى القوة لضعيفي الايمان". ويقول اخر: "كانت آلام سيدنا يسوع المسيح تعيش في نفوسنا. ولهذا ازداد ايماننا وصبرنا وتحملنا، فكنا نقول لانفسنا: لماذا لا نتحمل كل هذا وهو الذي تحمل من اجلنا الاضطهاد والصلب".

وكان للصلاة دور كبير في حياة اسرانا: "وكنا نتحدث دائما عن الايمان والصبر والتضرع والصلاة الى الباري عز وجل لنبقى ثابتين ونعود الى وطننا واهلنا".

وقد نقل احد الاسرى انه ورفاقه المسيحيين قاموا "بصلاة الميت" لاحد الاخوة المتوفين في غرفتهم بسبب انعدام العلاج. وذلك في الايام الثلاثة الاولى والاربعين والسنة. اذ كانوا يجتمعون في "القاط الثالث واحدنا يقرأ الانجيل والبعض منا يتلون التراتيل الحزينة المناسبة ثم يذهب كل منا الى سريره حزينا".

وقد حظيت بعض المعسكرات في بعض المناسبات (الميلاد، راس السنة، القيامة) بزيارة كاهن او مطران واقامة القداس للاسرى المسيحيين، وحيانا في المدينة، واشهر تلك المناسبات القداس الذي اقامه في احدى كنائس طهران موفد البابا، الكردينال اتشيغاراي، في ميلاد ١٩٨٥، حضره زهاء ٤٠٠ اسير عراقي مسيحي (انظر ف.م.اب- ايلول ١٩٨٧)

"العبرة التي تعلمونها لنا"؟

- "الايمان. فهو الذي جعلنا نعيش بقوة وعزم وارادة لا تقهر وصراع من اجل العودة: هذا هو التحدي الذي اكتسبناه".
- "التسلح بايمان عميق بمخلصنا يسوع المسيح وبتعاليمه لعيشها واعلاها بجرأة وتفكير سليم. واليقظة من المخاطر المحدقة. ومحبة الناس الطيبين. والتمسك بديننا مهما كلف الامر".
- "العبرة الاخرى: الاقتصاد، ولا سيما في ظروفنا الحالية. اعلموا ان حصة الاسير من الخبز كانت رغيفا صغيرا واحدا في اليوم. وكان يقسم هذا الرغيف الى ثلاثة للوجبات الثلاث. ويفضل منه احيانا للطوارئ او لرفيق مريض"

(١) "المعترفون" عبارة تطلق في تاريخ الكنيسة، على هؤلاء الذين، ابان الاضطهادات، لاقوا العذابات من اجل اسم المسيح واعترفوا به ولم ينكروه وسط الشدائد والتهديدات.

- + إذا أردت السلاح احترم ضمير كل إنسان/ش.ر/ك-٢ نيسان
- + الحركة المسكونية/مساهمات القراء/ ك-٢ نيسان
- + الكنيسة ومبارك الإغاثة/طاوله/ش.ر/ ايار- تموز
- + جولة في لبنان /آب- ت١
- + مع البطريك ميشيل صباح/مقابلة/ آب- ت١
- + البابا عن الهنود الحمر/ ش.ر/ ت٢- ك١



إذا أردت السلام احترم ضمير كل إنسان

(يوم السلام العالمي)

كما في كل عام، منذ ١٩٦٧، يوجه البابا رسالة في السلام بمناسبة اليوم العالمي للسلام (ك٢)، وكانت رسالة يوحنا بولس الثاني لهذا العام (١٩٩١) بعنوان: "إذا أردت السلام احترم ضمير كل إنسان". وفي ما يلي مقتطفات واسعة من هذه الرسالة التي وان بعنت مناسبتها تقويميا، يبقى موضوعها قائما وملتصقا بالواقع، وكان مقررا ان نصدي لها منذ مطلع العام لولا الأحداث الأليمة التي مررنا بها وتسببت في تأخر صدور هذا العدد.



١- حرية الضمير والملازم

حرية الضمير هي حجر الزاوية "لتأمين سلام قوي وثابت": هذه هي الفكرة الرئيسية لهذه الفقرة. ذلك ان الضمير هو في الواقع تلك "القدرة" التي للانسان ان "يميز ويعمل" بحسب الشريعة التي كتبها الخالق في قلبه، على حد تعبير مار بولس (روم٢: ١٥).

وتدرج البابا في تعليقه من أحداث ١٩٨٩ - ١٩٩٠ في أوروبا الشرقية، مستخلصا ان الانسان "كشخص لا يجوز ان يعامل كمجرد شيء تقوده قوى خارجية عن ذاته ليس إلا...".

"لا يحق لأية سلطة بشرية ان تتدخل في ضمير أي إنسان. والضمير هو بمثابة الشاهد على سمو الشخص البشري حتى على المجتمع، من اجل ذلك لا يجوز اختراقه. غير

ان هذه الصفة لا تجعل الضمير قيمة مطلقة فوق الحقيقة والخطأ، بل ان طبيعته الحميمة ذاتها تفترض علاقة مع الحقيقة الموضوعية، وهي شاملة ومماثلة للجميع، وبإمكان الجميع ان يبحثوا عنها ويجدوها... وهذا بالذات ما يقتضي من الجميع احترام ضمير كل واحد وعدم فرض "حقيقة" ذاتية على أي انسان، مع صيانة حق الفرد باعتناق "حقيقته" الخاصة وعدم احتقار من يفكر خلافا لنا. ان الحقيقة لا تفرض ذاتها إلا بذاتها، فنكران حق الفرد في كامل حرية ضميره، ولاسيما حرته في البحث عن الحقيقة، أو محاولة فرض طريقة خاصة دون سواها في فهم الحقيقة، يعد خرقا لأعمق حق من حقوق الانسان. كما ان مثل هذا الخرق يساهم في تصعيد العداة والتوترات التي قد تقود إلى إثارة علاقات صعبة وعدائية ضمن المجتمع، ولربما إلى صدام مفتوح".

ولا تخفى إشارة قداسته في هذا المضمار إلى الاحترام اللازم تجاه حرية العقيدة (دينية كانت أم سياسية أم فلسفية) لدى الفرد، وعدم استلابها من أية جهة كانت وبأية عملية فوقية خارجية كالقمع أو الفرض أو غسل الدماغ. فعقيدة شخص ما، هي "حقيقته" الخاصة به وهي جزء من ذاته، لذا يعني خرقها استلاب شخصيته الذاتية.

٢- الحقيقة المطلقة هي في الله وحده

انطلاقا من هذا المبدأ الأساسي يستخلص البابا "الصلة الحميمة الموجودة بين حرية الضمير والحرية الدينية"، ليعلم ان "نكران الله من حيث المبدأ وإقامة نظام يجعل من هذا النكران عنصرا بنويا في تكوينه ينافيان حرية الضمير بصورة جذرية، كما ينافيان الحرية الدينية". وهذه إشارة واضحة وإدانة واضحة لا لبس فيها للانظمة الشيوعية التي تستند في فلسفتها على الاتحاد كنهج ايدولوجي.

٣- تكوين الضمير

"على كل انسان واجب خطير في ان يبني ضميره على ضوء الحقيقة الموضوعية... فمن طالب لنفسه بحق التصرف بحسب ضميره الشخصي من دون ان يعمل على مطابقتها مع الحقيقة والشريعة التي كتبها تعالى نفسه في قلبه، هو انسان يعطي الأسبقية لوجهة نظره الشخصية المحدودة. ومثل هذا التصرف بعيد عن ان يساهم في قضية السلام في العالم.. وهذا البحث الصادق عن الحقيقة يقود صاحبه، ليس إلى احترام بحث الآخرين حسب، وانما إلى الرغبة في البحث سوية أيضا.

ويعدد البابا المراجع التربوية التي يعتمد عليها في تكوين ضمير الفرد، بدءا من "الأسرة"، ومن ثم "المدرسة". "ففي الواقع لا تكون التربية محايدة من الناحية الأدبية أبدا، حتى في حالة إعلان "حيادها" في ما يخص الأخلاق والدين.

فالأسلوب الذي يخضع له الأطفال والشباب في تربيتهم يعكس بالضرورة عددا من القيم التي سيكون لها تأثير على طريقة فهمهم للآخرين وللمجتمع بأسره. "لذا ينبغي الانطلاق من طبيعة الشخص البشري وكرامته ووفقا للشريعة الإلهية لمساعدة الشباب في

سياق سنوات دراستهم ليستشفوا الحقيقة ويبحثوا عنها، وقبلوا متطلبات الحرية الحقة وحدودها، وليحترموا حقوق الآخرين الماثلة لحقوقهم".

ويذكر البابا بقناة خطيرة أخرى من قنوات تنشئة الضمير، ألا وهي "وسائل الاتصال الجماعي": "في عالمنا الذي يتسم بالاتصال السريع، تلعب وسائل الإعلام دورا مهما جدا، بل جوهريا في تشجيع البحث عن الحقيقة وتحاشي الأصدقاء لمصالح محددة لهذا أو ذاك من الناس فقط، لهذه أو تلك من الجماعات، لهذه أو تلك من الإيديولوجيات".

وكم هو صائب قول البابا عندما نضع في أذهاننا استئثار بعض وسائل الاتصال "بالمونوبول الإعلامي" والتعظيم المنظم على الخبر الذي لا يوافق إيديولوجيات مالكيها، أو احتكار السلطة المدنية أو السياسية الحاكمة في بعض الانظمة لوسائل الاتصال المسموعة والمرئية والمقروءة، بحيث تفضي بعد مدة إلى غسل حقيقي للأدمغة وتشويه حكم السامع أو القارئ. ناهيك عن هضم الحق الإعلامي لفئات فكرية أو ثقافية أخرى.

٤- التزمت: تهديد جدي للملار

"وتسلسل التزمت في كافة مرافق الحياة الاجتماعية، ويتخذ صيغة التهميش أو قمع الأشخاص والأقليات... اما في الحياة العامة، فالتزمت يتر كل تعددية في الاختيارات السياسية أو الاجتماعية، وبذلك يفرض على الجميع رؤية متساوية إلى النظام المدني والثقافي".

أما عن التزمت الديني فيقول البابا: "لا زال الكثير مما يلزم فعله اليوم لتجاوز التعصب الديني الذي يرتبط ارتباطا وثيقا، في أجزاء عديدة من العالم، مع قمع الأقليات. فاننا نشهد، مع الأسف، محاولات حقيقية لفرض قناعات دينية خاصة على الغير، سواء كان ذلك بصورة مباشرة عن طريق الكسب الذي يلجأ إلى استخدام وسائل قمعية حقيقية، أو بصورة غير مباشرة عن طريق نكران بعض الحقوق المدنية أو السياسية. وقد يصل الأمر إلى حالات بالغة الخطورة عندما تصبح قاعدة دينية ما قانونا من قوانين الدولة من دون التمييز بين اختصاص الدين واختصاص المجتمع السياسي. فالدمج بين الشريعة الدينية والقانون المدني قد يصل بالفعل إلى خنق الحرية الدينية بل إلى نكران حقوق أخرى أساسية من حقوق الانسان".

ويعود البابا إلى نقطة هي كالأزمة في تعليمه حول تنشئة الشبية، ألا وهي التربية الدينية التي من دونها "يتعرض تكوين الضمير للتأرجح"، على حد قوله، فيتساءل: "تري كيف يفقه الشاب متطلبات كرامته الانسانية بصورة كاملة من دون العودة إلى منبع هذه الكرامة، اعني به الله الخالق سبحانه؟". ثم يشير قداسته إلى واجب الدولة في "المحافظة والحماية" لحق الأسرة والكنيسة والجماعات المسيحية في تنشئة شبابها تنشئة مسيحية سوية "ودورها الرائد في هذا المضمار".

٥- الحرية الدينية قوة للملار

"ان دور الدين في يقظة الشعوب وفي البحث عن الحرية يحمل دلالة خاصة في عالم اليوم، ففي حالات كثيرة هو الإيمان الديني الذي حافظ على سلامة هوية شعوب بأكملها،

بل عمّق كيانها". وفي هذا القول تنويه يشق الحجاب إلى مسقط رأس يوحنا بولس الثاني، بولونيا، حيث ظهر الدين من جديد كقوة تحررية هائلة؛ هذه الوظيفة التي حملها الدين متمثلاً بالكنيسة القاعدية وبقراءة جديدة للإنجيل ومعطيات الكتاب المقدس في أميركا اللاتينية. كما تحتوي العودة إلى الطرح الديني في بعض الحركات الإسلامية السياسية والاجتماعية المعاصرة دوراً مشابهاً حيث يتخذ الدين وظيفة "المحرك".

٦- ضرورة نظام قانوني عادل

"كل هذه الإعلانات - عن الحق في حرية الضمير والدين - تبقى في معظم الأحيان كلمات لا حياة فيها إذا لم ترافقها ضمانات قانونية تكفل تنفيذها بما يلزم من الوسائل الملائمة".

ويبحث البابا "في هذا الظرف التاريخي الذي نعيشه على ضرورة مضاعفة الجهود لتقوية الأدوات التشريعية الثمينة بتحقيق حرية الضمير، حتى في الميدان السياسي والاجتماعي". ويوصي قداسته بالإسراع في وضع "نظام قانوني معترف به دولياً بهذا الشأن ليشكل قاعدة ثابتة للسلام ولتقدم عادل للأسرة البشرية". كما يوجه البابا "نداءً خاصاً وملحاً إلى من بيدهم المسؤوليات العامة، من رؤساء دول وحكومات ومشرعين وحكام وغيرهم، لضمان حرية حقة للضمير لجميع الأقليات!" "ان تلك لقضية عدل". ثم يذكر قداسته معقبا على "بداية وجوب التأكيد على الالتزام الأدبي والقانوني الذي يلزم الدول باحترام الاتفاقات الدولية التي وقعت عليها".

٧- مجتمع وعالم متعدد الاتجاهات

كل هذه المبادئ تصبح، ليس فقط طبيعية، بل ضرورية أكثر من أي وقت مضى إذا ما أخذنا بعين الاعتبار التركيبة التعددية لعالم اليوم، وحتى في القطر الواحد، هذه التعددية التي تشمل كافة الميادين الدينية والعرقية و"الثقافية" بفعل "المهجرات الجماعية وموجات الانتقال الشعبية". من أجل ذلك يدعو البابا إلى الحوار بين الثقافات والأديان والتقاليد المختلفة مع مراعاة الهوية الخاصة للجماعات الوافدة. وليس بد في هذه العملية الانسانية الكبرى من التقاسم والانصهار الحضاريين اللذين من دونهما يبقى التزاوج الثقافي هجيناً وخطراً على وحدة أمة ما".

ويشيد البابا "بالجهود المبذولة لتجذير الثقافي الذي يساهم في الفهم المتبادل بين الديانات"، كما يشجع "التعاون، حيث كان ذلك ممكناً، بين الديانات الكبرى على أساس ما لها من قيم مشتركة، والحوارات الرسمية القائمة بين ممثلي الجماعات الدينية الكبرى" - وللكرسي الرسولي دور بارز فيها.

وفي حديث قداسته هذا تنويه واضح إلى فرض الشريعة الإسلامية واحكامها الأخلاقية على المواطنين غير المسلمين، كما هو الحال في السودان وماليزيا. وتجري محاولات في هذا الاتجاه في أقطار إسلامية أخرى. ويسرد البابا قولاً ورد في رسالته بمناسبة اليوم العالمي للسلام لعام ١٩٨٨: "على الدولة، حتى في حالة منحها وضعاً حقوقياً خاصاً لأحد

الأديان، ان تعترف قانونيا وتحترم فعليا الحق في حرية الضمير لجميع المواطنين، وكذلك للغرباء الساكنين على أراضيها، وان وقتيا، لإغراض مهنية وغيرها". وتجدر الإشارة إلى ان الفقرة الأخيرة هذه تجدد صداها في السعودية حيث يعمل زهاء مليوني عامل مسيحي آسيوي وعربي وغربي، من دون ان يكون لهم الحق في أية كنيسة أو كاهن. بل محظور عليهم القيام بشعائهم الدينية على الأرض السعودية حظرا تاما. ومثل هذا التزمت الديني يطال كل هذه التزعة الأصولية الدينية الآخذة في الاتساع في العالم اليوم، والتي تشكل إيران قاعدتها وتحاول تصديرها إلى الخارج.

"... الأصولية تشكل تجربة تعاودنا باستمرار.. وبإمكان الأصولية ان تقود إلى استبعاد الآخر من الحياة المدنية، وفي الحقل الديني إلى تبني إجراءات قمعية لاستئثار "الاهتداء". ان الحماس للحقيقة الدينية الشخصية لا يعطي صاحبه، فردا كان أم جماعة، الحق في قمع حرية الضمير لدى من لهم قناعات دينية مغايرة، أو دفعهم إلى خيانة ضمائرهم بمنحهم امتيازات وحقوقا مدنية إضافية إذا هم غيروا دينهم، أو رفضها لهم في خلاف ذلك".

ويقول البابا أيضا: "في سبيل استئصال إفرزات التزمت لا يكفي اللجوء إلى وضع الأقليات العرقية أو الدينية تحت "الحماية"، فمثل هذا الوضع يحيلهم إلى ما يشبه القاصرين مدنيا، أو يضعهم تحت وصاية الدولة (كما هي الحال مع النظام الذمي، مثلا، تجاه الأقليات الكتابية في الدول الإسلامية)، وقد يقود ذلك في الواقع إلى صيغة من القمع تحد، بل تمنع التطور الطبيعي والسلمي للمجتمع".

وختم البابا هذه الفقرة المهمة من رسالته بالتحذير من الانزلاق في هذا التيار لدى من كانوا هم انفسهم ضحيته في السابق، كما يحدث في إسرائيل ضد الفلسطينيين -وقد كان يهودها عرضة للقمع اهتلري أو التمييز العنصري في أوربا- أو يخشى حدوثه بعد سقوط الانظمة الاستبدادية واستعادة فئات من الشعب حقوقها المهضومة سابقا.

٨- الضمير والمسيحي

الضمير ليس قيمة مطلقة بحد ذاته، تجاه الحق الأعلى، غير خاضع للتوجيه والاستئثار، تماما كما ان الحرية ليست قيمة مطلقة طليقة تماما تتجاهل الحدود وحقوق الآخرين.

والتوجيه والاستئثار اللذان يساهمان في "بحث المسيحي عن الحقيقة" وتكوين ضميره -إضافة إلى نوره الداخلي الآتي من الله مباشرة كأبي فرد- يأتيان من الكتاب المقدس، مصدر وحي الله وكلمته، ومن تعليم الكنيسة "محط رسالة المسيح والتزامها بنشر هذه الحقيقة": هذه هي الفكرة الأساسية للفقرة الختامية من الرسالة البابوية. وهنا لا بد من الإشارة إلى تحوف مبطن نقراه بين السطور ولا يفصح عنه البابا إفصاحا، من مخاطر جعل المسيحي قاعدته الضميرية الخاصة المستقلة قاعدة سلوكيته الإيمانية والأخلاقية، فيقول: "كم ينبغي على المسيحي ان يكون حذرا تجاه نوره الذاتي المحدود، وكم يجب ان يكون مستعدا

للتعلم وبطيئا على إصدار الحكم! فإقامة الذات قاعدة للحقيقة هي إحدى التجارب التي تراود كل العهود، حتى لدى المسيحيين". وفي كل ذلك إشارات ضمنية إلى مواقف البحث اللاهوتي المعاصر وسلوكية القاعدة، لا سيما في الأخلاقية الجنسية والانجاب، والترعة النقدية المعارضة في الكنيسة، سواء اتخذت هذه الترعة الوجه التقدمي والنضوج الإيماني، أو تلبست برداء الأصولية لحماية "العقيدة التقليدية" كتيار المطران ليفير وجماعته.. فهذه الترعة وتلك المواقف كلها تتسم بالتححرر، في قليل أو كثير، عن التوجيهات الرسمية. لذا يهيب البابا بأبناء الكنيسة في ختام رسالته "باننا، بحق هذه الحقيقة التي نعترف بها -والحقيقة تثبت ذاتها في المحبة كما يقول مار بولس- مدعوون لان نبني الوحدة لا الفرقة، والمصالحة لا الحقد والتزمت".



الوحدة المسيحية - مساهمات

مع إطلاق فكرة العدد الخاص لعام ١٩٩٠ بعنوان "الحركة السكونية: ٢٥ عاما بعد المجمع" (٢١ تا ٢٢)، أطلقت المجلة نداء إلى قرائها للمشاركة بما لديهم من أفكار واقتراحات حول هذا الموضوع. ولما ضاق بنا العدد بما حملته من مقالات أساسية - وكان بالإمكان ان يتسع لأكثر من ١٥٠ صفحة، لا الى ١٠٠ فقط، لو استخدمنا الحرف الاعتيادي - اضطررنا إلى إرجاء "مساهمات القراء إلى عدد ك ٢٦، وفي ذلك ربط فكري لا يفيب عن القراء حيث يتزامن موعد هذا العدد مع أسبوع الصلاة من اجل وحدة المسيحيين (٨-٢٥ ك) - وان تأخر صدوره بسبب الظروف الراهنة.

وفيما نشكر الأصدقاء المساهمين، نبدي أسفنا لقلّة عددهم، فقد وردتنا ٨ مساهمات فقط، من بغداد ٣ (حبيب هرمز حجّو، الأب جبرائيل شمّامي، عيسى اسحق)، ومن قره قوش ٢ (يوسف فرنسيس متي، وسامي حبيب ميخو)؛ ومن الموصل ١ (د. زهير إبراهيم رحيمو)؛ ومن القوش ١ (صباح متي بتي)؛ ومساهمة واحدة بتوقيع "مسيحي". ويؤسفنا ألا يكون أي عنصر نسائي بين المساهمين. ولو أردنا تصنيف محتوى هذه المساهمات لوجدناها تتمحور حول أربع نقاط، واقع الانقسام والتوق إلى الوحدة، أسباب الانقسام، سبل استعادة الوحدة، ومقترحات عملية.

• الواقع

الانقسام بين المسيحيين إلى كنائس وطوائف وفرق، واقع، وواقع مر ومؤلم ومدعاة شك وخيبة وتفكك، واحد اكبر أسباب الضعف والتشتت وخبو نور الشهادة الانجيلية في العالم، ولاسيما في أقطارنا حيث تشكل أقلية ضئيلة، فمأذا حين تكون هذه الأقلية متشرذمة! هذه هي صرخة الألم التي نسمعها لدى القاعدة التي تحس بالانقسام كحرج نازف في جسمها. إلى ذلك يشير د. زهير حين يقول بان "السلوكية اليومية والمعايشة الحياتية مع إخواننا المسلمين الذين نشاركهم الوطن الواحد هي موضوع أكثر إلحاحا ومحك اكبر لوجودنا من فروقاتنا العقائدية واختلافاتنا القانونية والطائفية". ويقول حبيب: "ان الانقسام، كلما استمر واستطال، ازداد ضعف إشراق الكنيسة".

ولما كان في يقين الجميع ان الوحدة المسيحية المنشودة تستند في أساسها وجوهرها إلى شخص المسيح، وهو واحد للجميع، والى العماد الذي يجمع الكل تحت اسم واحد وهو نفسه واحد للجميع، والى الانجيل الذي هو مرجع ودستور للكل وهو نفسه واحد للجميع.. تتساءل هذه القاعدة: لماذا، إذن، نبقى منقسمين، لماذا لا نتوحد؟ يقول حبيب أيضا: "ان الوحدة غير مستحيلة وتزداد قناعتنا بذلك حينما نتحقق اننا جميعا نعود، من خلال قانون الإيمان المسيحي، وهو واحد للجميع، إلى كنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية، وان العمودية جعلتنا واحدا في المسيح وأعضاء لبعضنا البعض".

• الأسباب

لم يبتأطاً المساهمون لدى واقع الانقسامات، ولا لدى توق الجميع من الأعماق إلى استعادة الوحدة "المفقودة"، وان بصوت أبح فيه تشنج أحيانا من شدة التألم وطول الانتظار، ولربما من الشعور بالعجز أو خلط في المفاهيم، كما جاء في مساهمة "الأخ المسيحي" .. فتلك مسلّمات أصبحت جزءا من ذاكرتنا الجماعية ومعانياتنا اليومية، ولكنهم توقفوا أكثر لدى أسباب الانقسامات وعزوها إلى ثلاثة رئيسية وهي: انانية الرؤساء وتمسكهم بمناصبهم وامتيازاتهم، ادعاء كل كنيسة بامتلاك الحقيقة وحدها، وجهل الشعب بمقومات الوحدة، بل بأصول الدين، واتكاليتهم الكلية على السلطة الكنسية. لعل في هذا الايجاز اجحاف بحق ألفي سنة من حياة الكنيسة، ولكن فيه عناصر غير يسيرة من الصحة إذا ما عدنا إلى تاريخ هذه الانقسامات وعوامل تكريسها الفعلي.

يعلق صباح في سياق إشارته إلى انفتاح عهد الحرية أمام المسيحية في فجر القرن الرابع "باهتداء القيصر قسطنطين" فيقول: "ولكن إبليس.. توغل هذه المرة في قلوب رجالات الدين انفسهم، فقامت جدالات فلسفية لا طائل تحتها، سببت انشقاقات خطيرة في كنيسة الله". كذلك أشار حبيب إلى ان "الانقسامات جاءت نتيجة لأخطاء أشخاص معينين".

د. زهير لا ينفي ان بين الكنائس اختلافات نظرية وعقائدية "عميقة" أحيانا إلى حد قوله، يجب تذليلها لفتح طريق الوحدة، فيشير إلى "النظام الهرمي في الكنيسة الكاثوليكية، وهو نظام إداري متين التكوين حافظ على المركزية في المسيحية وحفظ عقائدها من العبث... بينما الكنيسة البروتستنتية.. برعت في دراسة الكتاب القدس، غير انها استمرت في انقساماتها.. مما بعثر مسعاها الإصلاحية. اما الأرثوذكسية التي تقف بين الكنيستين، نراها محافظة على ما ورثته من آباؤها وقديسيها بدون محاولة وضع نفسها على محك التطبيق الفعلي لرسالتها المتشابهة للكنيسة الكاثوليكية إلى حد كبير..". ولكن الدكتور يعلق على جهل وتجاهل المؤمنين كل هذه "الاختلافات العقائدية والقانونية، فلا يعرفون منها غالبا إلا قشورها الخارجية كأشكال قلنسوات الكهنة والمطارنة وحالتهم الاجتماعية وبعض الاختلافات في مواقع الأعياد والتذكارات وعائدية الكنائس".

ولكن الخلاصة هي ان التاريخ فعل ماض، لا استعادة تركيبه على ما هوى ممكنة، ولا نبشه يفيدنا إلا بقدر ما نضع من الإرادة في إصلاح ما أحدثه من أضرار، فبعثا يفترض صباح "لو عرف بطرس اعمال خلفائه ومنازعاتهم، لما برح أورشليم يوما!" لذا عندما يستعرض الأب جبرائيل شمامي "العوائق اللاهوتية والعقائدية والاعتبارات الدنيوية والحوادث التاريخية" فانما لإزاحتها، إذ لا زال الكثير منها قائما، كي لا تقف بعد "حاجزا أمام الوحدة المنشودة". ويوجز "بعض هذه العوائق التي يراها كبيرة" كالآتي: ١- "الادعاء ان كل كنيسة تمتلك الحقيقة كلها.. والحال ان الحقيقة كالماسة تبهر كل من ينظر إليها من أي اتجاه كان، ولا تلغي الأوجه الأخرى التي تبهر أصحابها أيضا، ٢- الكنائس ينقصها

روح الله... فبالرجوع بجدية إلى المنبع الأوحى، المسيح، واتخاذ المواقف الانجيلية الأصيلة.. حتى القضايا اللاهوتية المعقدة تتبلور لتصبح مقبولة عند كل الأطراف؛ ٣- جهل الشعب بمقومات الوحدة.. وتوهم الكثيرين بأنها مجرد توحيد الأعياد والرزنامات.. أو انها تلغي التعددية؛ ٤- التعصب لدى الرؤساء والرؤوسين في كل الكنائس والطوائف.. والتعصب لا يخدم صاحبه". وفي هذه النقطة الأخيرة يصب اللوم الأكبر - وكان ذلك متوقعا- على الرؤساء الكنسيين، فيدق الأب شمامي و سامي على وتر واحد حين يقول الأول: "الرؤساء، كثير منهم يعرفون التقدم نحو الوحدة، لان الوحدة تطال مصالحهم وتطلب منهم التجرد وتسحب البساط من تحت أقدامهم، لانهم يخشون الكثير من الاعتبارات الدنيوية التي اكتسبوها عبر التاريخ". اما الثاني فيقول: "المؤمنون جميعا راغبون ومستعدون للتخلي عن أي شيء في سبيل تحقيق الوحدة المسيحية الصميمة... ولكنهم أدركوا ان العلة ليست فيهم، بل في السلطات الكنسية المعنية، وكأنا تريد تخدير أتباعها بإطلاق شعارات الوحدة، ولكنها لا تتراح ان انتهت هذه المرحلة بالإيجاب، وكأنا بها سلطة مدنية تخاف من ان تخسر مقاعدها في البرلمان...". ما العمل إذن؟

• هبل الوحدة

من حسن الحظ والرؤية ان السبل الروحية لتحقيق الوحدة المسيحية استبقت، لدى المساهمين المقترحات العملية ذات الأمد القريب. فلقد أوجز المساهمون المحطات الرئيسية الأساسية والضرورية لجعل طريق الوحدة سالكة، كما يلي: الاهتمام الباطني؛ مراجعة الذات في كل الكنائس؛ العودة إلى كلام الله في الانجيل وكتابات الرسل؛ التواضع للاعتراف المتبادل بأخطائنا ضد الوحدة ولبعضنا البعض؛ الصلاة للاستنارة بالروح القدس، فمن دونه يكون مشروع الوحدة المسيحية مجرد توفيق في المصالح المرحلية وبجهدا عن روحه، أي تحقيق أمنية المسيح في ان يكون تلاميذه واحدا فيه وفي الأب، كما جاء في صلاته الأخيرة؛ الحوار، وقوامه الاحترام والانفتاح ودعمته المحبة؛ الاعتبار بالماضي والتطلع إلى أمام؛ التمسك بالجواهر والمرونة في ما ليس كذلك؛ القبول بمبدأ وحدة الإيمان في التعددية الفكرية والتعبيرية والخصوصية الذاتية. ويضيف يوسف إلى كل ذلك "الصبر والقلب المنفتح الذي يقبل كل تجديد يخدم كنيسة المسيح".

يقول صباح: "ان كل ما يتمناه شعب الله في يومنا هذا من الذين في أيديهم زمام الكنيسة ان يدخلوا في صومعات، لفترة، يعودون فيها لتأمل كلام الله.. حول التواضع والوحدة والقداسة". ويسألهم سامي قائلا: "هل فترت قوة الروح القدس فيكم لتمنعكم بعض الاجتهادات.. عن تحقيق... هذه الأمنية؟" غير ان يوسف يعود ويؤكد بان الوحدة ليست مشروع السلطة الكنسية وحدها، فيوصي مشددا على "وجوب إعطاء العلمانيين دورا بارزا في هذا المشروع، لانهم القاعدة في ذلك". أما الأب شمامي فيقول: "الوحدة الحقيقية تقبل اختلاف الطقوس والتقاليد، بل تحسبها غناها الأكبر، وتستفيد من الطرق العديدة لطرح مفاهيمها اللاهوتية دون حصر لاهوتها في قالب واحد جامد". كذلك يؤكد حبيب "ان لا التمايز الاجتماعي ولا التاريخي في إبداع كل كنيسة وشعب يتعارض مع الوحدة".

• المقترحات

ترى هل بقيت الكنيسة مكتوفة الأيدي حيال الوحدة والشروع في تحقيقها، أو على الأقل في تهيئة تحقيقها الأفضل إلى ان جاء أصدقاؤنا "المساهمون" ليحثوها على ذلك بهذا "النوع من الحماس الحار" كما قال سامي؟ -كلا، يجب الأب شامي: اننا "لا ننكر انما (الكنيسة) خطت خطوات انفتاحية لا بأس بها نحو الوحدة" ومن أهمها "الجمع الفاتيكاني الثاني" (عيسى)، وروح التقارب والانفتاح الذي يشمل مختلف شرائح الشعب المسيحي في كافة الكنائس، علاوة على عشرات الهيئات واللجان المسكونية المشتركة ولقاءات القمة المتعددة -وقد أصدى العدد الخاص في الحركة المسكونية بصورة واسعة لهذا التيار. وأدلى الإخوة المساهمون ببعض الاقتراحات العملية، تبدو لأول وهلة متواضعة في طموحاتها، ولكنها، مع ذلك، تصب في تنشيط حركة التقارب والتعاون والفهم المشترك والتوحيد في كنيسة العراق "لتخرج الدعوة إلى الوحدة من الكلام إلى التطبيق الفعلي" (يوسف) ومن هذه المقترحات:

- ١- عقد اجتماعات على مستوى رؤساء الطوائف لبحث القضايا اللاهوتية والراعوية الملحة لوضع أرضية مشتركة للوحدة، أو العمل الوجدوي.. يحضرها علمانيون.
- ٢- انشاء لجنة دراسة ومتابعة عليا يكون أعضاؤها من كل الطوائف لها مقر ثابت، وتلقي شهريا لتسيق واستشارة الدراسات الوجدوية والتوعية وتبادل الخبرات.
- ٣- عقد ندوات و دورات متخصصة وحملة توعية بشؤون الوحدة، والإعلان عما تم الاتفاق عليه بين الكنائس من خلال النشر والمواظ.
- ٤- استخدام وسائل الإعلام لخدمة قضية الوحدة: فتح دار نشر مشتركة وإصدار مجلة وحدوية متخصصة.
- ٥- توحيد الأعياد وخاصة عيد الفصح؛ توحيد المناهج الدراسية الدينية، التعاون في شؤون التثقيف المسيحي؛ توحيد المواقف وطنيا واجتماعيا.
- ٦- تنظيم احتفالات دينية ورياضات روحية مشتركة بين جميع الطوائف.
- ٧- إصدار تقويم موحد لكل الكنائس المسيحية في العراق.



تحت شعار "كنت جائعا فأطعمتموني" دعت "الفكر المسيحي" عددا من الأشخاص إلى لقاء يوم الجمعة ٢٤ أيار ١٩٩١ للحوار وتبادل الرأي حول موضوع زاهن وساخن هو موضوع الإعانات ودور الكنيسة فيه.

استقراء للواقع المر الذي آلت إليه الحالة المعيشية لدى طبقة واسعة من الناس نتيجة الحصار الاقتصادي المفروض على قطرنا وظروف الحرب التي ثقلت علينا وقطعت كثيرا من أبواب الرزق وهبطت بالقدرة الشرائية لذوي الدخل المحدود إلى حد يستدعي الإعانة.. واستخراج للبعد الانساني والمسيحي للإعانات.

المشركون في الطاوله ساهموا في عملية توزيع الإعانات أو المبادرات الخيرية في كنائسهم، أو لا زالوا منهمكين فيها. وهم: امير رؤوف صباغ (محاسب)، الهام بلدا (خريجة إعدادية)، ادمون بوخنا (مدرس)، وسامة متي حنا (معلمة)، رمزي عبد الرحيم مقادسي (مدير مدرسة)، جلال حنا الساعور (معلم متقاعد)، الهام عيسى مرزا (ممرضة)، نصرت سعيد منصور (معلم مهني)، باسم جميل ياكو (خريج جامعة)، أديبة مارزينا (خريجة)، فارعة سنحاريب (معلمة)، وما وديع الجي (مهندسة).



المحور الأول: الفقراء.. المحتاجون

● بعد الحرب لم يعد غريبا ان يمد المرء يده.. ولقد كثر عدد الفقراء وطالبي المعونة، فمن هم الفقراء؟ ومن هم المحتاجون؟

- بدا صعبا لأول وهلة التمييز بين الفقير والمحتاج وإعطاء تحديد دقيق لكل منهما. غير ان كل مداخلة أضافت أيضا أفاذ التشخيص. بادر رمزي مقادسي إلى القول: ان الفقير هو المعدم، وتلك حالات نادرة، بينما المحتاج هو الذي لم يعد قادرا على مواجهة الظروف المعاشية الحالية. وعقب نصرت: قبل هذه الظروف كان الفقراء معدودين ومشخصين من قبل الجمعيات الخيرية التي كانت تسعى إلى إعانتهم. أما نسبة المحتاجين فقد ازدادت اليوم، وهذا ما نلمسه بتهافت الناس إلى الكنائس للحصول على الإعانات. أما جلال فقال: المحتاجون هم ذوو الدخل المحدود، هؤلاء الذين بات الغلاء المتصاعد لا يلائم دخلهم البتة. وأردف: المحتاجون هم العاطلون عن العمل وقد تفاقم عددهم، سيما وان فرص العمل قد قلت. هذا ما اكده ادمون وأيدته مها إذ قالت: بالتأكيد، فان أعمالا كثيرة قد توقفت كالبناء والنجارة والأفران وغيرها. ووضع المتحاورون في خانة المحتاجين أيضا المتضررين من جراء القصف أثناء الحرب والنهب والتخريب اللذين تلياه مباشرة. كل هؤلاء أصبحوا اليوم في حاجة إلى إعانة.

المحور الثاني: المردودات النفسية والأخلاقية التي تفرزها الفاقة

• ما الذي تبنيه الفاقة وما الذي تقدمه في الانسان؟

- بعد صمت معبر بادر أمير قائلاً: لا ريب في ان لشحة المواد وغلائها الأثر النفسي البالغ على المرء ابن اليوم، حيث تشعبت وتطورت احتياجاته ومطالبه. ولعجزه عن نيلها يشعر بالعوز والإحباط أكثر من ذي قبل. وأضافت فارة إلى ذلك عنصر الوضع العام غير الواضح وغير المستقر. وأشارت: وسامة ان الانسان في هذه المرحلة بات يعطي الأولوية للمعيشة وضرورات الحياة كالمأكل والملبس، مستغنيا عن الكماليات غير الضرورية.

المحور الثالث: بين المعاعدة المادية والشعور بالوعي والتضامن

• تلك هي القضية.. ان تتجاوز الجانب المادي للمساعدة إلى الشعور الصادق بالتضامن وروح العطاء والتضحية. ماذا ينبغي ان يكون الدافع العميق لمساهمتنا في الإعانة؟

- أجاب أمير على الفور: الشعور باحتياج الآخرين وإعانتهم في تجاوز الحنة. وقال باسم: الشعور بالانتماء إلى أسرة واحدة.. فنحن جميعا ابناء الله. وقالت أديبة: لو عرف الجميع واجبهم واكتسبوا روح التضامن والعطاء وابتعدوا عن الجشع والاستغلال في مثل هذه الظروف، لتقلص عدد المحتاجين كثيرا. ودعت وسامة إلى إيقاظ هذا الوعي في الأسرة منذ الطفولة، وأشار الجميع إلى دور الكنيسة في هذه التوعية.

ينبغي ان يكون فعل الإعانة رسالة وفعل إيمان حقيقيا! هذه هي الخلاصة التي أكد عليها الأب جرجس. فالمستفيد الأول من الإعانة، بحسب هذه الذهنية، انما هو الواهب، لان مساهمته تنعش إيمانه الشخصي قبل ان يصل مفعولها إلى الآخر، والسمو المسيحي يطالبنا بان لا نعطي من فائضنا حسب، بل من عوزنا أيضا..

المحور الرابع: الأولويات في نوعية المعاعدات.. تنسيق العمل

• اتفق الجميع على ان الأولوية في المرحلة الراهنة هي لتوفير المواد الغذائية مع اكتشاف الحاجات الضرورية الاخرى التي قد تتطلب إعطاء مبالغ نقدية لغرض العلاج أو لشراء الملابس أو حاجة ضرورية أخرى للأسرة. كما طرحت فكرة دعوة الأطباء لتخصيص عدد من البطاقات المجانية للفقراء أو بتوجيه من الكاهن. كما طرحت فكرة منحصاص شهرية للمعوزين من قبل الجمعيات الخيرية وإعانة الطلاب المحتاجين لتكملة دراستهم.

بعض هذه الجمعيات تعمل ذلك فعلا. كما ان إيجاد عمل للعاطلين يعد أفضل إعانة للأسر المحتاجة. وفيما أكد الجميع على ان المحبة واجبة للجميع، وان الإعانة لا ينبغي ان تكون منغلقة وفتوية، اعترف الكل أيضا بان محدودية الإعانات تفرض على التوزيع قيودا أو ضوابط، وذلك بهدف إعطاء الفاعلية لعملية الإعانة. لذا من الأفضل ان تقوم كل كنيسة

بالتزام الجماعة العائدة إليها، علما بان الإعانات المنطلقة من الكنائس شملت عددا غير يسير من إخواننا المسلمين.

من هنا ينطلق التنسيق -وهو واجب- بين الكنائس والجهات الخيرية أو الخدمية التي تشرف على الإعانات. وقد أيد الجميع ان يبدأ التنسيق في المدينة الواحدة أولا، وفي المحافظة ومن ثم تطويره وتوسيعه. وعملية التنسيق هذه تتطلب حتما لقاءات بين الجمعيات الخيرية المختلفة، أو بين مسؤولي الكنائس، أو مسؤولي الإعانة.

وبعد صمت وجيز قال الأب جرجس الذي كان يدير النقاش: نحن الان أمام وضع بات الكل فيه يطلب ويمد يده حتى إذا كانت حالته الاقتصادية سليمة أحيانا؛ فما يوزع مجانا، لا سيما ان كان عينيا، يريد الجميع حصتهم منه، وتلك إشارة إلى تحولات نفسية خطيرة. انما بداية داء يطالنا باليقظة والتوعية لئلا يفقد الانسان كرامته ويرى في الإعانة، ضرورة كانت أم غير ضرورية، مكسبا وغنيمة. كما ان خطورة الوضع تأتي أيضا من الجشع الذي يستفحل ويجعل من صاحبه ذنبا مفترسا، والفريسة تكون المستهلك الأقر والأضعف، حتى صارت السوق ساحة لمهانة الانسان (بائعا ومشتريا) وللسرقة العلنية.

ولكن للوحة وجهها الايجابي أيضا، فلقد أفرزت الأزمة آفاقا مشرقة للروح، اتضحت في همة الكثيرين، فسعوا إلى إغاثة المحتاجين، وبأساليب مختلفة، لردع الفاقة والشعور بالعزلة، والوصول إلى المقاسمة التي تحترم المحتاج والواهب معا. وهكذا أيقظت هذه المرحلة العسيرة روح التضامن والتجرد والوعي في معنى العطاء المسيحي، وتغلغل كلام الرب فينا: " كنت جائعا فأطعمتموني".

وهنا قالت أديبة: ان هذا الوضع قد أزاح الشعور الطبقي، فصار الواحد يرى انه مساو للآخر أمام المحنة. وتدرج الحديث إلى المبادرات المحلية، والأسلوب الذي اتبع في إيصال المعونات والفئات التي استفادت أو ستستفيد منها. وقد كانت الكنيسة في كل الأحوال هي الملجأ الطبيعي الذي يتوجه إليه المسيحي تلقائيا لتلقي المعونة، وقد تذكرنا روح التضامن والإخوة المسيحية منذ العهد الأول للمسيحية حيث كانت الكنائس الميسورة ترسل معوناتنا، على يد بولس وبر نابا، إلى الإخوة المعوزين في اليهودية وأورشليم (أعمال ١١: ٢٧ - ٣٠).

بهذا الروح عينه أنتنا معونات من الكنائس المسيحية الشقيقة في الخارج ومن قداسة البابا، تضمنت مواد غذائية وطبية وأغطية، ولقد كانت هذه المعونات حافزا ومحركا للكثير من المبادرات التي قامت بها أو ساهمت فيها الكنائس والأبرشيات في العراق.

الاقتراحات

- ١- حملة كنيسية إعلامية في المواعظ للترجمة والتركيز على معاني العطاء والبعد المسيحي للاعانات.
- ٢- تنسيق عمل الجمعيات الخيرية والهيئات الكنيسية المضطلة بتوزيع الإعانات.

مقالات

- ٣- انشاء هيئة خيرية مركزية على صعيد كنائس القطر، على غرار منظمة "الحبة الدولية" (كاريتاس) مثلا، لتنظيم صيغ الاعانة واحتواء الحالات الطارئة، وتكون قناة، عبرها تساهم كنائس العراق في إعانة المنكوبين في الكنائس الشقيقة.
- ٤- إقامة أسواق خيرية دائمة ريعها للفقراء.
- ٥- انشاء صندوق دائم للفقراء.
- ٦- سعي الكنيسة عبر جمعياتها الخيرية لتوفير فرص عمل، عن طريق انشاء معمل انتاجي تكون اليد العاملة فيه من المحتاجين.
- ٧- قيام الخورنات بنشاطات مشتركة يخصص ريعها للمحتاجين.

المبادرات المحلية

اتخذت الأبرشيات والكنائس المختلفة في القطر مبادرات لإعانة الفقراء والمحتاجين، معطية الأولوية للمتضررين من جراء القصف وأعمال التخريب والنهب ولذوي الدخل المحدود. وتضمنت الإعانات مواد غذائية وعينية أخرى ومبالغ بحسب الإمكانيات. وقد نقل المشتركون في الطاولة صورة سريعة للمبادرات التي ساهموا فيها بانفسهم:

- الانسة الهام يلدا (كنيسة مريم العذراء الموصل): فتحت كنيسةنا باب التبرع، وخصصت واردات تبسة الأحد للمحتاجين، وقد طالعت المعونات النقدية أكثر من ٨٠ عائلة.
- ادمون يوخنا: حدثنا عن عملية توزيع الإعانات الغذائية التي جلبتها الراهبات الفرنسيكانيات من الأردن، وقد كان دير الراهبات الدومنيكانيات في الموصل الجديدة كمركز رئيسي للتوزيع، وقد عمل هو مع فريق من الراهبات والشباب في تنسيق التوزيع إلى الخورنات في الموصل والقرى بحسب القوائم المعدة. وأفاد ان مصدر هذه الإعانات كان: مجلس أساقفة اليابان، والبعثة البابوية في الأردن، والجمعيات الخيرية المسيحية الأردنية. والجدير بالذكر ان هذه الإعانات شملت المسيحيين والمسلمين.
- الانسة وسامة متي (كنيسة مار بولس - الموصل): فتح باب التبرع، وانشيء صندوق خاص، وشكلت لجنة لزيارة الأسر المحتاجة ووزعت عليهم المعونات العينية، كما تم دفع إيجارات عن بعض المعوزين.
- رمزي مقادسي (أبرشية الموصل للسريان الأرثوذكس): وزعت الأبرشية إعانات نقدية مع التركيز على المتضررين بالقصف، خاصة في كركوك، كما وزعت الإعانات الغذائية المرسله من قبل مجلس الكنائس العالمي على فقراء الأبرشية.
- نصرت سعيد (كنيسة مسكنة - الموصل): بادرت الكنيسة إلى إسكان العوائل المتضررة بيوها بالقصف في بناية معهد شمعون الصفا القديم، مع إعانة نقدية لها، كما أعانت أسر الشهداء. وشكلت لجنة لتنظيم توزيع الإعانات الغذائية.

- باسم ياكو (قرة قوش): تضمنت الاعانات مرحلتين: الأولى أثناء الحرب، اذ وفد إلى قره قوش أكثر من ٧٠٠ عائلة، لتشكل فريق من الشباب بمعاونة الراهبات وصار ديرهن مركز استعلامات لتوجيه الوافدين إلى المساكن المستقبلية.

أما الجانب الآخر فكان جمع وتوزيع المواد الغذائية عليهم، فتشكلت فرق شبابية تجوب البلدة لجمع المون وتوزيعها من الدير ببطاقات معدة، وتأمين الخبز لهم (٣٠٠٠ صمونة يوميا لمدة ٤٠ يوما) وقد تطوع الفران بالعمل بجانا. أما المرحلة الثانية فكانت ما بعد الحرب، فشملت الإعانات الغذائية القادمة من أهل البلدة انفسهم، ومنها تنظم التوزيع بالبطاقات لكرمليس وبرطلة. وهناك رصيد شاركت فيه التبرعات المحلية وكنائسنا وجمعيتنا الخيرية والأخويات لشراء المواد. كما قام شباب قره قوش بمبادرة فريدة إذ أقاموا حفلا ترفيهيا ليومين خصص ريعه للمحتاجين، عقبه حفل ثالث مشترك مع شباب كرمليس وبرطلة للغرض نفسه.

- الانسة مها وديع آلجي وفارعة سنحاريب ذكرمانجي: تحدثنا عن السوق الخيرية الذي أقيم في كنيسة مار توما في الموصل يوم ٢ أيار الماضي ووزع ريعه على المحتاجين من كل الطوائف والاديان. وقد شكل تظاهرة إيمانية اجتماعية وتميز بروحانية العطاء المسيحي.

- أمير صباغ: تحدث عن مساهمة الجمعية الخيرية للسريان الكاثوليك في الموصل في توزيع مبالغ نقدية على الأسر المحتاجة. إضافة إلى توزيع الأبرشية للمبالغ الواردة من قداسة البابا ومنظمة كاريتاس على المتضررين من القصف والنهب في الموصل وكركوك واربيل والنوي الدخيل الخلود.

(بمشاركة طلال وديع وفاصل ياقين)

جولة في لبنان

لبنان!

بعد ١٦ عاماً من الحرب الأهلية ومعارك الفرياء وأهل البيت، والتجهير والتقتيل على الهوية وإبادة القرى، وتشرد الآباء والأبناء، وغزو الطامعين واحتلال الأثقاء، وهوضى التحالفات والتحالفات المضادة... بعد كل هذا لا زال هذا الاسم، "لبنان"، يحمل نكهة السحر، وله سحر اللغز. في ذاكرة العرب لا زال منارة الانفتاح، وواحة الكلمة الحرة، وملاد اللاجئين والمستجبرين، ومنتدى الأدباء وأهل الفكر، ومنتجعا هائناً لطالبي الراحة والهواء العليل.

وفي خيال الغرب لا زال شاهداً لامتزاج الشرق بالغرب والغرب بالشرق ثقافياً وحضارياً، ومختبراً للتعايش في تعددية الأديان والملل والجماعات والجذور، وإن لم يكن هذا التعايش سهلاً دوماً.

وفي قلب المسيحيين العرب والشرق أوسطيين، لبنان هو علامة الرجاء، وعينة الانتماء الأصيل ذي الوجهين إلى عروبيتهم ومسيحييتهم، وفي وجوده يقرأون وجودهم، في إضاءاته وفي ظلاله...

إلى لبنان هذا، لبنان التناقضات والتحديات ولبنان الأمل أيضاً، حجينا بعد ١٦ عاماً من الغياب. أصدقاء قدامى غابوا، وصدقات قديمة تجددت، وأخرى جديدة عقدت وأنعمت، ومعطيات استجدت على الأرض... بعضها يحمل بصمات الحرب، بل الحروب المتعاقبة. وبعضها يدبر ظهره للحرب ويتجاوزها لتستمر الحياة، بنشاط وهممة وامتداد نحو المستقبل!

بصمات الحرب! تراها، وبعضها، كالجرح الذي لم يلتئم بعد، منذ مشارف بيروت وانت قادم من الشام؛ صوفر، بجمدون، عاليه، بعبدا، الحازمية... بنايات محطمة، عمارات منهارة، واجهات مهشمة بالقذائف والشظايا، كنائس منسوفة أو قد طارت أبراجها، وجوامع بلا مآذن... والطريق كله -كسائر طرق لبنان- مزروع بالحواجز العسكرية لتقول لك: لا زال السلام معلقاً أما وسط بيروت، ولا سيما ما يدعونه هناك بخطوط التماس، طريق الشام، المتحف، ساحة الشهداء والنجمة في القلب التجاري، الرفأ... ركام على ركام، أو هياكل عظمية بلا لون ولا ملامح لعمارات كانت... حطام غزته الأدغال وشجرة وحشية شقت الأرض وسط ما كان حماماً أو غرفة نوم. غرب بيروت: الفنادق الكبرى؟ وطن للمهجرين، لا ترى الحياة فيها إلا من خلال الشباب المفسولة المتدلية على الشرفات المحصنة بالبلوك. أثار الحرب والدمار طالبت حتى أقاصي الجبل... والكل يقولون لك بأسى: ما قصم ظهرنا هي المعركة الأخيرة بين القوات والجيش... جمجم وعون...

... "لتستمر الحياة" ١٩ - أجبل، ولتتمد نحو المستقبل بعزم وهدهد وأمل. عن هذا الوجه الدينامي الحيوي مما رأيته واختبرناه من حياة الكنيسة في لبنان، على مدى شهر (٢١ تموز - ١٨ آب ١٩٩١) سأصدي في هذه الجولة.. مقتصرًا على محطات معينة.. شهادة على أن الحرب ليست كل شيء في لبنان.. وإن ليس كل لبناني مسلحاً في ميليشيا، وشهادة على أن الروح لا زال يهب، وأن الانجيل يبقى كلمة تحرق فتحيي وتجدد وتخلق.

• هير الصليب

في هذه الخطة ابدأ

على ربوة جلّ الديب في الضاحية الشرقية لبيروت يرتفع مجمع من عدة اجنحة يعلو الاوسط منها صليب ضخم يطل بذراعيه على البحر الممتد عند أقدامه. دير الصليب.

مستشفى الصليب. منذ ١٩٥٤ نزلوه فقط من المرضى العقليين والمصابين بالاضطرابات النفسية والمعوقين، رجالا ونساء، بغض النظر عن دينهم. جناح واحد يضم ٤٠٠ مريضة. ١٣٠٠ مريض ومريضة هذا العام، بعضهم أصبح شبه مقيم وصار يتباهى، ولربما يتبارى، بأنه أقدم في البيت من الراهبات اللواتي يعتنن به! آلاف المعوقين من طرش وخرس وعميان ومشوهين منذ تأسيسه عام ١٩٢٣. "جمهورية البؤساء"، هكذا دعي! نور الصليب الكبير لم ينطفئ ليلا إلا إبان الحرب الأخيرة لئلا يستخدمه "الأشقاء المتحاربون" مؤشرا لمدى قناعتهم.

استقبلتنا الأم الرئيسة العامة، الأخت أرزة، بنت الشيخ بيير الجميل وشقيقة بشير وأمير الجميل رئيسي الجمهورية اللبنانية السابقين. قامة فارعة، وجه حنطي هادئ، ابتسامة خافرة، ونبرة دافئة عندما تتكلم. عنفوان وشباب وبساطة تستمد سحرها من صوت الروح الساكن فيها. راهباتها، راهبات الصليب، ٨٠ منهن يعملن في مستشفى الصليب مع المعوقين والمعتوهين. لقد انشأهن عام ١٩٣٠ الأب يعقوب، هذا الراهب الكبوشي اللبناني العنيد ذو اللحية الطويلة الكثة الذي ترى تمثاله البرونزي المطعون بشظايا الحرب في مدخل بلدة جل الديب. زرنا قبره وغرفته ومتحف اشياؤه الصغيرة واوسمته وكتاباته. قديس يخلو لبناته ان يكفن بتسميته "أبونا يعقوب". عددهن اليوم ٢٥٠ راهبة متواجداً في لبنان خاصة، ولهن مراكز في سوريا ومصر، وعن قريب في الأردن. رسالتهن خدمة البؤساء من عجزه ومعتوهين وعميان وأيتام ومعوقين ومتسولين.. في مستشفيات مختصة ومأوى ومصحات وميام.. مع احداث أساليب المعالجة، وخاصة مع أعمق ما في قلب الراهبة - المرأة من تفان وحنان ومحبة وإيمان. ولقد كان الكهنة العجز أول من أحاطتهم هذه الرعاية: دير يسوع الملك على الرابية المطلة على مصب نهر الكلب، وتمثاله العملاق الفاتح ذراعيه كالشراع، هو ههنا كالشاهد والداعي.

ترك دير الصليب وفي قلوبنا صدى عطاء لا يضاهي، ودفق إيمان كانت الصلاة الليتورجية التي اشتركتنا بها مع الراهبات في كنيستهن قبسا منه، وشذى فرح شيعتنا به الرئيسة وراهباتها. أو يمكن ان يكن بهذه الطيبة وهذا المرح من يواكبن مآسي البشر كل يوم!

• الكسليك.. جامعة الجنود

جامعة الجنود أو جامعة "العودة إلى النابيع". هكذا وصف صحفي فرنسي جامعة الروح القدس المارونية في الكسليك. أبنية حجرية مستطيلة تتفرع منها أروقة وساحات هي ورشات عمل لكليات جديدة، على منحدر فوق البحر، يضيغ فوق البيوت وراء جونه.

الكسليك.. إحدى منائر المعرفة والاشعاع الكبرى في لبنان، ومركز بحاث واختيار لفكر مسيحي لبناني شرقي الجنود والمراجع، مع طموح لأخذ الريادة في حركة التحدد الكنسي والليتورجي والبحث اللاهوتي، ونظر يتجاوز حدود لبنان إلى الكنائس الشرق أوسطية الأم. هذا ما تلمسه عندما تتحدث إلى آباء الكسليك، رهبان شباب أو في فخر الكهولة من الرهبانية اللبنانية المارونية النشطة، معظمهم حائز على شهادات عليا من

الجامعات العالمية. هم الذين انشأوا الجامعة ونحتوها بسواعدهم في فترة غاصرت الحرب اللبنانية بمعانياتها وإفرازاتها.

"لقد تجاوزنا مرحلة الاقتباس (من الغرب) إلى الإبداع والنهل من مناهلنا الشرقية والسريانية". سلسلة الدراسات الابائية، اللاهوت الرعائي، والمنشورات الطقسية الصادرة عن قسم الليتورجيا، والتي شقت طريقها إلى الاستعمال في الأديرة والحركات العلمانية تشهد بذلك. ولقد شهدنا نحن بانفسنا تخرج وجبة جديدة من الطلاب، فتيانا وفتيات، من هذا القسم. من الجامعة نفسها مُنح وديع الصافي دكتوراه فخرية قبل أيام.

• دير مار اشعيا

ويطل مركز الرهبانية الانطونية المارونية على المتن كالقلعة الشامخة في أعالي بلدة برمانا: بالجيب السوداء العريضة يرتل الرهبان والمبتدثون صلاة الصبح (صفرو) والمساء (رمشو) والعشاء (سوتورو) بالسريانية، وبأصوات فيها رقة الهديل ولها قوة الرعد. دير واسع تتداخل فيه الأروقة الحديثة الفسيحة مع دهاليز القرن السابع عشر المتعرجة في إحدى الأقبية التي أزيلت الطبقة الكلسية من حجارة سقفها لتظهر "العقدة" بجمال قدمها -وكمظهر من مظاهر العودة إلى الجذور يعم كافة أديرة لبنان القديمة- تستقر المكتبة الغنية بالمخطوطات والمصادر.

الأب يوحنا صادر، رئيس تحرير مجلة "حياتنا الليتورجية" يحدثنا عن أبحاثه الميدانية حول الرموز المسيحية القديمة المنحوتة على الحجارة في جبل لبنان، يدعو إلى تنسيق الأبحاث الليتورجية والطقسية في العائلة السريانية (موارنة، سريان كاثوليك، وأرثوذكس، كلدان). ثم يستفيض في الحديث عن تيار العودة إلى الجذور ودور الرهبان في حركة التجدد: دراسات العودة إلى الجذور جاءت إبان الحرب. اكتشفنا جذورنا وقيمتنا على ضوء دراستنا في أوربا وبوحي المجمع المسكوني، وبمحافز أيضا من مراكز الأبحاث المدنية (الفلسطينية، الوحدة العربية، الانماء العربي)... المراكز الفكرية المسيحية (كالجامعات ومراكز البحوث ودور النشر) هي التي تغذي النهضة الثقافية والإبداع لدى العلمانيين. ووسائل التنقيف المسيحي الجماهيري كثيرة: إذاعة، تلفزيون محاضرات، شرائط مسجلة، مواعظ، تجمعات شبابية.. نحن أمام نموذج لبناني جديد ثقافيا من نتاج الحرب. وأرباب هذا النموذج قريون جدا من الأديرة و الرهبان. للرهبان دور أساسي في تجديد لبنان، عليكم انتم في العراق ان تنحتوا شبابكم من الناحية الإيمانية والمسيحية في حلقات حول الكتاب المقدس. والبحث عن الأصالة الإيمانية، والشهادة المسيحية.

كنا نفكر بهذا حين تكلمنا عن كنيسة العراق وطاقتها أمام جمهور المبتدثين والمبتدثات والدارسين من الأديرة المحاورة والشباب في قاعة الدير.

واستلم الحديث الأب ضو، مدرس في الكلية الإسلامية ببيروت: نحن مسيحيون عرب، ونريد ان نبقي كذلك. لنا دور في "تعريب" المسيحية، دور ريادي لنعطي وجهها

عربيا أصيلا ومتأصلا لمسيحيتنا في أرضنا، أرض العرب. بهذه النبرة وبحماس أكبر سمعنا المطران جورج حخضر، مطران جبل لبنان للروم الأرثوذكس يتكلم.. ويكتب أيضا افتتاحياته الأسبوعية في جريدة النهار البيروتية. ألم يقل لنا البارحة، حين التقيناه في مركز مطرانيته في برمانا، وهو يشير إلى حركة الشبيبة الأرثوذكسية: نحن نبني لانفسنا حركة هُضوية نابعة من القاعدة العلمانية. من هذه القاعدة العلمانية الملتزمة أيضا انطلقت جامعة البلمند الفتية للروم الأرثوذكس من نواة معهد يوحنا الدمشقي في تلة البلمند المطل على طرابلس عاصمة الشمال.

• جولة في الأفاق

العودة إلى الينابيع.. التحذر. لازمة تسمعها لدى الجماعات الرهبانية والأديرة والحركات العلمانية ومراكز الإشعاع المسيحي المختلفة. والله يعلم كم هي عديدة هذه الأديرة والمراكز في لبنان. لا تخلو رابية أو واد إلا وفيه دير أو كنيسة أو مزار لهذا أو تلك من الكنائس، لهذه أو تلك من الرهينات، الرجالية أو النسائية. في الطريق بينما كنا عائدين إلى دير الشرفة مرورا بمحروبا، ومجنس، وبكفيا، والقليعات التي درمها حرب الإخوة، وعجلتون، وبزمار، وغوسطا-وفي كل منها أكثر من دير لأكثر من طائفة- ترى هل كان الأب صادر يفكر فيها عندما تحدث عن دور الأديرة في حياة لبنان؟ هل كان يفكر بإشعاع دير قنوبين مقر البطارقة الموارنة منذ ٤٠٠ سنة العالق كعش نسر في احد كهوف وادي قديشا، وادي الحبساء والقديسين؟ لا شك انه كان يفكر أيضا في دور رهبان جامعة الكسليك في حركة التحديد؛ وفي دور آباء جامعة اليسوعيين التي فيها درس وترى معظم الجيل اللبناني الحاكم والمتنفذ والمفكر وأبناؤهم، مسيحيين ومسلمين ودروزا؛ في رهبان دير المخلص وجمعية الآباء البوليسيين للروم الكاثوليك ومنشوراهم الثرية؛ في الرهبان المرسلين اللبنانيين الموارنة المعروفين بالكرم؛ في هذه الرهبانية الفتية في شبروح التي اتخذت لها اسم "رهبانية القيامة" لإحياء التراث الرهباني الشرقي في الصلاة والليتورجية والعمل والنشر. وفي هذه الجمعيات الكهنوتية والاتحادات التي تحاول الموازنة والربط بين النمط الرهباني وضرورات الرعية، كجمعية كهنة بزمار للأرمن، وكهنة البرادو الذين التقيناهم في خلوقهم السنوية في دير القيامة... مع كل المشاريع والنشاطات الرسولية والثقافية والشبابية والمدارس وفي مجالات النشر والإعلام التي تديرها أو تشطها أو تبناها هذه الرهبانيات في مختلف أنحاء لبنان.

هل من ينسى دور المطبعة الكاثوليكية اليسوعية منذ أكثر من قرن في نشر الكتاب المسيحي والكتاب المقدس في طبعته وفي ترويج الثقافة العربية؟

المركز الكاثوليكي للإعلام التابع من والتابع لمجلس البطارقة والأساقفة في لبنان: ينسق ويوثق المادة الإعلامية المسيحية في قسم الإذاعة مع برنامجها المسيحي اليومي. وقسم التلفزيون مع برنامجها الأسبوعي قناة لاستقبال الكلمة المسيحية وإيصال الرأي المسيحي.

إذاعة صوت المحبة في جونية (FM) على سواعد شباب وفتيات ملتزمين تنقل الكلمة المسيحية معظم ساعات النهار. وقد فعلت ذلك حتى أثناء الحرب عبر القراءة الانجيلية، والترتيلة، والتأمل الهادي، والخبر المسيحي، والنقل الحي، والمقابلة الإذاعية. على مدى عشرين دقيقة تحدثنا من "راديو المحبة" عن كنيسة العراق والفكر المسيحي، أذيع الحديث يومين متتاليين .

كاريتاس لبنان المحبة، منظمة انسانية خيرية اجتماعية، تأسست ابان الحرب، تعنى بمساعدة وإعانة المرضى والمكويين والمهجرين والجامعين ودعم مشاريع إسكان وتأهيل. ميزانيتها ٩،٣٢٩ مليار ل.ل. لعام ١٩٩٠، ولها في لبنان ٣٠٠ مركز و ١٦٠ موظفا دائما وألف متطوع لجمع التبرعات.

حركات الشبيبة المسيحية بفرقها الصغيرة والكبيرة، المنظمة والعفوية، لا تعد ولا تحصى في لبنان. سيقى تجمعها العام في ١٥ آب ١٩٩١ في "المون لاسال" على مشارف بيروت حدثا في تاريخها وقمة في جولتنا اللبنانية.

مليون شاب وفتاة تجمعوا حول البابا من انحاء أوروبا والعالم في اليوم نفسه في شيستوكوفا في بولونيا بمناسبة يوم الشبيبة العالمي السادس. وتضامنا مع هذا الحدث تجمع ٦٠٠ شاب وفتاة من انحاء لبنان (مع وفود من الأردن وقبرص وفرنسا)، بنداء من المجلس الرسولي العلماني، للتعلم في مقولة البابا للشبيبة المسيحية "لقد اقتبلتم روح الأبناء"، على مدى خمسة أيام، وذلك من خلال حوارات ونداءات وأعمال تطبيقية وتعبيرية وصلوات كان قمتها القديس المشترك التلفزيون - وكان راديو صوت المحبة يغطي الحدث يوما بيوم. جو عبق بحضور الروح ومرح الفتوة ودفق المحبة.. واسرح بفكري وأحلامي: في العراق أو لا نستطيع تحقيق شيء من هذا لشبيبتنا العطشى المعطاء!...

آخر محطاتنا في ضيعة بقعوطة. في بقعة معزولة على كنف الوادي أخوة أخوات يسوع الصغيرات، أخوة صلاة وخلوة وابتداء. كن في ذلك اليوم في مهرجان فرح عارم: لقاء عام لكافة الأخوات المتواجדות في الشرق الأوسط: سوريا، مصر، العراق، فلسطين، لبنان.. للصلاة والدراسة، حوالي ٥٠ أختا: كل ٣ أو ٤ في أخوة كالأسرة، يعشن رسالة الصداقة والشهادة الانجيلية والصلاة في البساطة وفي إطار حياة الناصرة: في المعمل، في المستشفى، في المشغل، مع المهجرين مع المعوقين في إعادة الأمل إلى متعاطي المخدرات وانتشال المومسات، في الاستقبال والانفتاح الدائم إلى معانيات الانسان.. في شمولية المسيح وعفوية الأطفال.

• العودة

ودعنا الأخوات الصغيرات - اللواتي لولاهن لما رأينا لبنان كما رأيناه - وقلوبنا تضطرم في داخلنا.. مما سمعنا ورأينا.

عودة إلى الذات، وعودة إلى الجذور... لعل هاتين العبارتين تلخصان الاتجاه الذي تتحرك فيه القوى الفاعلة في كنيسة لبنان ومسيحية اليوم. ولعل الحرب اللبنانية نفسها - باستطالتها وبما أفرزت وكشفت، ولربما بما عرّت - دفعت بكنيسة لبنان ومسيحيته إلى تثبيت هويتها، أي وجودها. بهذه العودة تكونان أو لا تكونان: تلك كانت القضية!

العودة إلى الذات! أية ذات؟

الذات اللبنانية والمسيحية اللبنانية المتعايشة بأخوة وشركة ضمن التعددية الكنسية والدينية، والمستظلة بظل الارزة الواحدة. إذن، تعددية معترف بها كواقع لا مفر منه وكثراء مشترك، ووحدة لا مناص منها لحياة الجذور؟

الجذور العربية والسريانية والشرق أوسطية. وكل ما سوى ذلك تبعية أو اغتراب أو عمالة. والثلاثة متاهة وضباع.

الزيارة الثانية للبابا يوحنا بولس الثاني إلى البرازيل

للمرة الثانية يعود البابا يوحنا بولس الثاني إلى البرازيل، وإلى مثلث النوردست (شمال شرق) الفقير بالذات، من ١٢-٢١ تا ١٩٩١. وتأتي هذه الزيارة عاماً قبل الاحتفالات التي ستقام في عام ١٩٩٢ بمناسبة مرور ٥٠٠ سنة على دخول المسيحية إلى أميركا اللاتينية، وعشر سنوات بعد زيارته الأولى (تموز ١٩٨٠). ولكن أشياء كثيرة تغيرت في المجتمع والكنيسة البرازيلية. فالأزمة الاقتصادية أخذت في الاستفحال حيث بلغت الديون الخارجية ١٢٢ ملياراً والتضخم في صعود مستمر. وإذا كانت البرازيل لا تزال تعد ثامن قوة عالمية، فلا زال ٦٠% من السكان يعيشون دون مستوى الفقر، ولا زالت أقلية محظوظة هي التي تسيطر على اقتصاد البلاد. ففي ساو لويس (ولاية مارانهايو)، مثلاً، ٢٠% من السكان يسيطرون على ٩٠% من الأراضي.

إذا كانت الكنيسة الكاثوليكية التي ينتمي إليها ٩٠% من السكان لا تزال تتخذ جانب الفقراء والفلاحين في خطاباتها، فالحماس الأول في هذا الالتزام قد أصابه الوهن وخيبة أمل كبيرة تعتمل في صفوف القاعدة - من كهنة وعلمايين ملتزمين ولاهوتيين - من جراء موقف السلطة الكنسية العليا المتحفظة إلى حد التشنج أحياناً، وتدخلات المركزية الرومانية التي لا تبي تحذر وتشجب وتدين المبادرات الاجتماعية الجريئة لدى فرق القاعدة وبعض الكهنة والرهبان، وتوجهات لاهوت التحرير - وكان آخر ما فعلته روما إيقاف احد أقطابه، ليوناردو بوف، عن التعليم مرة أخرى - كل ذلك بحجة الابتعاد عن تعليم الكنيسة الرسمي وقراءة الكتاب المقدس قراءة ايديولوجية والانزلاق في العمل السياسي. ولقد ترجمت روما إحكام يدها على توجهات كنيسة البرازيل في هذه السنوات الأخيرة بتعيين أساقفة تقليديين أو محافظين أو منفذين لسياستها على رأس الأبرشيات الشاغرة - كما حدث مع خلف المطران الشهير هلدو كامارا، الذي تبني قضية الفقراء والفلاحين حين احتضنه البابا في زيارته الأولى عام ١٩٨٠ امام حشود الناس وهو يدعو: "يا أخ الفقراء وأخي".

هذه العوامل كلها أثرت سلباً على حرارة الاستقبال الجماهيري للبابا. فلقد لاحظ المراقبون هبوطاً في حمات الناس إلى لقاء يوحنا بولس الثاني، وصل إلى ٥٠% اقل من المتوقع (في برازيليا العاصمة كانوا يتوقعون ٦٠٠٠٠٠٠، فجاء ٢٠٠٠٠٠٠ فقط). كذلك الاهتمام بخطابات البابا كان اقل من المتوقع، بالرغم من تطرقه إلى مواضيع ذات خطورة في المجتمع البرازيلي، مثل ظاهرة انتشار البدع التي وصفها البابا "بخطر على المسيحيين يضاهي خطر تجارة المخدرات والحملة ضد الانجاب". أليس ان ٦٠٠٠٠٠٠ مؤمن يهجرون الكنيسة سنوياً إلى هذه البدع التي تمتلك قنوات إعلامية واسعة وتمتع بجاذبية ومحفزات مادية تضاهي ما تفعله في الولايات المتحدة، إلى حد قيل ان زيارة البابا الثانية للبرازيل انما سببها التريف الذي

تحديثه هذه البدع في كنيسة البرازيل. ومن المواضيع الأخرى التي تناولتها خطابات البابا مطالبته "بإصلاح زراعي عادل" ودعوة الرئيس فرناندو كولور دي ميللو للإسراع في الإصلاحات الاجتماعية" على ضوء العدالة والأخلاق المسيحية، "وليس بدافع المصالح الخاصة". أما في غويانا فقد دعا جماعات القاعدة إلى الالتفاف حول أساقفتهم وتجميد الشركة المسيحية وانتمائهم الكنسي العميق "باتحادهم مع خليفة بطرس". وفي كامبو كراندي حث البابا على إعطاء الأولوية الراعوية للأسرة وشؤونها، وأدان من جديد الطلاق والإجهاض والدعاية الإباحية وحملة تعقيم النساء والرجال للحد من الإنجاب.

ولكن قمة هذه الزيارة تمثلت في النهار الذي قضاه يوحنا بولس الثاني مع الهنود الحمر في كويانا حيث استقبل وفودهم (حوالي ٢٢٠٠٠٠ هندي في البلاد). فبعد قراءة رسالة مفتوحة إلى يوحنا بولس الثاني تفضح المظالم التي تصيبهم وحملات الإبادة التي يتعرضون لها (١٤٠ قتيلا من قبائل يانومايس في ١٠ أعوام)، أبدت الوفود شجبتها للاحتفالات المقبلة بمرور ٥٠٠ سنة على دخول الأوربيين إلى البرازيل، ووصفوها "بخمسة قرون من الألم والحزن". فهم، قبل ان ينظروا إليها من زاوية مجيء المسيحية إليهم، ينظرون إليها من جانب المظالم والطرده من أراضيهم وحشرهم في شبه مناطق مغلقة والاضطهادات التي أصابتهم وسياسة الإبادة التي مارسها الاسبان المحتلون ضدهم.

ذلك اليوم من الزيارة البابوية لا ينسونه، حيث تحدث يوحنا بولس الثاني -وقد وضع على رأسه احد الزعماء الهنود تاج الريش الذي يعتبر رمز السلطة عندهم- وأكد التزام الكنيسة إلى جانبهم: "في أعين الله لا يوجد إلا عرق واحد، هو عرق البشر المدعويين لان يكونوا ابناء الله (...). لقد كانت الكنيسة وستبقى دوما إلى جانبكم، لتدافع عن كرامتكم الانسانية، لتدافع عن حقكم في حياة كريمة وهادئة، في احترام القيم الإيجابية التي تحملها تقاليدكم".

لاشك ان هذه التصريحات وحدها -ان بقيت مجرد تصريحات عذبة- لا تكفي لتبويض وجه خمسة قرون من الماسي والإبادة التي تعرض لها الهنود -وهم سكان البلاد الأصليون- وتعرضت لها حضارتهم وارثهم الثقافي على يد الوافدين الأوربيين.

هذه الشؤون وغيرها مما أثارته زيارة البابا والتناقضات الداخلية والخارجية العديدة التي تواجهها كنيسة البرازيل والمجتمع البرازيلي، ستكون المحك الذي ينتظر الهيئة العامة لمجموع مجالس أساقفة أميركا اللاتينية (CELAM) التي ستعقد في سان دومنغو في ١ ١٩٩٢ والتي ستشكل الإطار الكنسي الرسمي للاحتفالات اليوبيلية بمرور ٥٠٠ سنة على دخول الإنجيل إلى القارة اللاتينية.

- + جماعة المحبة والفرح/تحقيق/ ك٢- شباط
- + البابا يلقي بالاسراج الزنجي/ش.ر/آذار- نيسان
- + اللقاء الثاني لبطاركة الشرق/ش.ر/آذار- نيسان
- + راهبات القميسة كاترينة/تحقيق/ايار- تموز
- + الفكرى المثوية الخامسة لاميركا الالائنية/ملف/ايار- تموز
- + القماس شهادة إيمان وحياة/طاولة/آب- ت١
- + البيئة الثقافية لمسيحي الشرق/ كتاب/ملف/ت٢- ك١

جماعة المحبة والفرح

إزاء معاق، أيا كان عوقه، بدلا من ان نطرح السؤال: من خطئ، هو أم أبواه؟! نتساءل: المعاقون إخواننا، فكيف نشق طريقنا إليهم فنجعلهم يحظون بكل مشاعر الاحترام والحب والحنان والثقة والعناية.. وهم اناس مرهفون الإحساس ويعرفون جيدا ان يقرأوا مشاعرنا في كل حركة أو ابتسامة أو نظرة أو مبادرة...

مع الفريق الذي يمارس رسالة "جماعة المحبة والفرح" في الموصل كان للفكر المسيحي هذا اللقاء / التحقيق .

فوق التلال الوارفة التي تعانق دجلة المنساب بخيلاء وسط الجزرات الرملية المبعثرة في أطرافه، والغابات والمروج الممتدة على جوانبه، في أحاديث الهضاب المشرفة على دير مار ميخائيل الرابض على أكمته في صمت الطبيعة الخريفية الموصلية، تلقنا "جماعة المحبة والفرح" بترحاب وتحيات صاخبة، وتعالق الأصوات ناشزة متكسرة مرحة بهتاف "نحن جماعة المحبة والفرح؟"

- جماعة المحبة والفرح؟... من هم؟

- جماعة من الفتيان المعاقين بسبب نقص أو تشوه بنيوي ناتج عن أمراض واختلاطات منذ الطفولة ، أو عن عوامل تكوينية منذ الولادة، كالمنغولية ورخاوة الأعصاب وصعوبة

النطق وغيرها... عددهم حاليا لا يتجاوز العشرين... يحتضنهم فريق من الشباب والفتيات المتطوعين بدافع من إيمانهم لإدخال الفرح إلى حياتهم وبعث الدفء الانساني إلى قلوبهم المحرومة وإشعارهم بأنهم خليونون بالمحبة والاحترام بالرغم من عوقهم. ليس فيهم ما يغري سوى انهم ابناء الآب وإخوة في المسيح، حق لهم ما يحق لغيرهم بل أكثر، بسبب عوقهم، من المحبة والعناية. ويهتم الفريق الشبابي العامل معهم بمرافقة تنشئتهم الاجتماعية والمسيحية وتأهيلهم، وذلك بتهيئة برامج ترفيهية وعملية لهم توظف قابلياتهم ومهاراتهم وتستحث قدراتهم الذهنية والعضوية.

أما الأسلوب المتبع، فيوجز في كلمتين معرّتين "المحبة والحركة". ذلك ان في هذه الأجساد الواهنة المنتقصة قلوبا شديدة الحساسية ومرهفة لكل عاطفة حب وانتباه؛ والحركة والتنقل يعوضان لديها محدودية قابلياتها الفكرية والذهنية. وهكذا، إلى جانب الحب والفرح المعدني اللذين يحيط بهما إخوانهم المعاقين، يهتم فريق الشباب النشطين بتنظيم الزيارات الميدانية لهم إلى الأديرة والكنائس وبعض المناطق السياحية والترفيهية، وتدريبهم على الإبداع اليدوي والفني، وتلقيهم الصلاة والتعبير والنشيد مع الحركة التمثيلية. وفي كل ذلك انما يبتغون إدخال البهجة والسعادة إلى نفوس هؤلاء الأعضاء المتألمين من جسد المسيح السري وإعطائهم الشعور بذاتهم.

الانطلاقة

"جماعة المحبة والفرح" انطلقت من فكرة بسيطة نمت في قلب شاب ملتزم وهو شارد في أفكاره في ارض المعركة -وفي الفاو بالذات عام ١٩٨٦- لعمل شيء ما من اجل المهملين والهامشيين، وبالتحديد من اجل المتخلفين عقليا. أما الدافع الأساس فهو رفع هذا الانسان المهمل والمحقر من قبل المجتمع، وحتى من أسرته أحيانا، إلى المستوى الانساني اللائق به.

• وكيف كانت البدايات؟

بينما كان "المعاقون" يتحركون في حلقة غير منتظمة وهم ينتقلون من انشودة إلى أخرى بحماس تقطعه هتافات قصيرة من حنجرة هذا أو ذاك كصلاة تلقائية تعلمها، وجهت هذا السؤال إلى الأخ عماد حسيب مسؤول "الجماعة" ومؤسسها وقلبها النابض.

افترشنا الأرض ووجهنا نحو النهر المتعرج ، واخذ عماد يستذكر بدايات وعيه وتحسسه، منذ المرحلة المتوسطة، الناس المرذولين والمهملين وغير المقبولة هيئتهم، وكيف كان يعاشر الطلاب الفقراء ويساعدهم ماديا ومعنويا، ولاسيما في دروسهم وحتى في مشاكلهم أو إيجاد عمل لهم. وقد قاده هذا الاهتمام المبكر بالهامشيين إلى تخصيص عطلته الأسبوعية للأيتام في احد الأديرة، على مدى ١١ سنة، ينام معهم وينظم ألعاهم ويعطي لهم دروسا في التعليم المسيحي.

أما مشروع "المعاقون عقليا".. فبعد "وحي الفاو" ظلت الفكرة تراوده.. وفي أول إجازة له فاتح كاهن رعيته وصديقه الأب فرج رحو وشرح له ما يدور في نفسه، فلقى منه

كل تشجيع ودعم لتحقيق الفكرة. كما زار مسؤولي الطوائف المسيحية في الموصل لنيل تشجيعهم والاطلاع على العائلات التي لها معاقون.. "وهكذا انطلقت الفكرة إلى الواقع وبدأت مع الأعمام نشوان وصفاء ووليد في قاعة كنيسة مار بولس، وفي كل إجازة كنت اقضي معهم عدة ساعات واستصحبهم إلى الكنائس والأديار وبعض الأسر. وأخذت الجماعة الصغيرة تشغلني.. حتى بلغ العدد حاليا ١٦ فتى".

النشاطات

• ما هي النشاطات والفعاليات التي تقومون بها ، وهل هناك موعد دوري للقاءاتكم؟

- اننا نلتقي بإخواننا المعاقين مرتين في الشهر، يوم الجمعة، وأحيانا أكثر، في العطل والمناسبات الرسمية. ويسبق اللقاء معهم اجتماع خاص للفريق العامل للتخطيط وإعداد الفعاليات. أما النشاطات فتلخص بما يلي:

* زيارة الأديرة حيث يقضي إخواننا المعاقون عدة ساعات يمارسون في رحابها هواياتهم المفضلة من رسم وتلوين ولعب. أو تعد لهم برامج ترفيهية وتربوية وتعرض لهم بعض الأفلام والسلايدات.

* القيام وإيائهم بصلوات تلقائية يعبرون فيها عن انفسهم وعن الرغبات العزيزة عليهم في صيغة أدعية قصيرة وبسيطة جدا، مستوحاة من الظرف الراهن كإيقاف الحرب، والسلام، ورفع الحصار. كما نشترك معهم في قداس خاص يقام بطريقة تلائم مداركهم.

* التعليم المسيحي من خلال أحداث وامثلة الانجيل، تقدم لهم على شكل قصص، نقوم بتمثيلها أمامهم لتقريب المعنى إلى أذهانهم.. فيعودون يمثلونها هم بدورهم * تعليمهم التراث الروحية التي يحبونها كثيرا ويتعلمونها بسرعة ويرغبون في انشادها في المناسبات المختلفة.

* تنظيم برامج ترفيهية خاصة لهم في المناسبات، مثل عيد رأس السنة، وقد اعتدنا الاحتفال بعيد ميلاد كل منهم، وكم نلاحظ فرحتهم وشوقهم لمثل هذه الحفلات.

* القيام بسفريات إلى مناطق خارج الموصل، فلقد زرنا اينشكي والقوش، وقره قوش، ومار ميخائيل وغيرها... انهم يشتاقون كثيرا لمثل هذه السفريات ويتهاون لها... فعلى سبيل المثال والنكتة "نقع" احدهم الرز "للبرياني" لإحدى السفريات قبل موعدها بيومين لشدة فرحه. ويتابع عماد مشيرا إلى المردود الايجابي العميق الذي تخلقه هذه النشاطات لدى الفتیان، فهم ينتظروننا بفارغ صبر، إذ يعبرون فيها عن مشاعرهم بعفوية، ويخففون بما عن الكبت الذي تفرضه عليهم حالتهم؛ كما تتيح لهم التمتع بما ينعم به الناس الآخرون.

اللغة المحفومة

• ولكن، ليس صعبا التعامل مع معاقين جسميا وعقليا؟

كنت أظن ذلك، يجيب عماد، ولكني، في الواقع، وجدته أسهل، فكل ما يحتاجه هؤلاء "الإخوة الصغار" هو المحبة الصادقة وبسط الفرح في قلوبهم المحرومة. انهم بعيدون عن

لغة الغش والمراوغة والخداع التي قد يلجأ إليها الآخرون. فإذا كان التعامل مع الشخص الطبيعي يحتاج إلى أكثر من لغة، ولربما إلى دهاء، فهؤلاء المعاقون لا يعرفون ولا يفهمون سوى لغة المحبة والبهجة، ولا يؤثر فيهم سوى هذا القرب الانساني والخدمة الفعلية المقدمة لهم بفرح ومحبة. هذه هي اللغة الوحيدة التي نتعامل بها معهم، لذا أطلقنا عليهم وعلينا نحن العاملين معهم اسم "جماعة المحبة والفرح" لاننا نعتبر انفسنا جزءا منهم، وأضاف: كنت في البداية اعتقد اني سأعلمهم المحبة، ولكنني اكتشفت انهم هم الذين علموني دروسا في المحبة والصبر والبساطة، وفي كل لقاء معهم اعتبر نفسي معاقا مثلهم، وبهذا استطع فهمهم ومساعدتهم.

والأهل؟

ولكن مشروع "المحبة والفرح" ليس مستشفى ولا معهدا تأهليا مستقلا، انما هو بادرة انسانية تربية. والمعوقون لا ينقطعون عن جذورهم العائلية، بل يستمرون يعيشون ضمن أسرهم، لذا كان التلاحم والتعاون بين الفريق العامل وأسرة المعوق أمرا ضروريا وأساسيا؛ ولذا يرى الشباب أيضا ان رسالتهم تتعدى المعاقين لتشمل ذويهم، بدءا من محاولة انقاذهم من اليأس والضيق اللذين يعانون منهما بسبب عوق أبنائهم، وصولا إلى تعاونهم الفعلي بتبني أسلوب المحبة والاحترام والصبر في التعامل اليومي معهم في البيت حيث الجو العائلي الطبيعي. من هنا دعوة الشباب لذوي المعاقين إلى مرافقتهم في بعض النشاطات ليروا ويتدربوا على طريقة التعامل الانسانية والصبورة مع أولادهم. فنداء عماد إلى الأهل هو ان يكونوا معهم يدا بيد لبناء هذا الانسان "الخاص" وألا تعامل العائلة ابنها المعاق بالقسوة، أو تململه وكأنه أثاث لا فائدة منه في المنزل، بل تعمل على ان تشعره بمكانته في الأسرة البيئية، ومن ثم في الأسرة البشرية.

من يتبنى المشروع

- * أول من احتضن المشروع كنيسة مار بولس (حي الثقافة - بالوصل) وراعياها الأب فرج رحو الذي يوليه اهتمامه الفعلي معنويا وميدانيا. وقد خصص له صندوقا في الكنيسة.
- * اسر تساهم في النفقات، وبعضها يستقبل "المعاقين" في داره، لا سيما في مناسبات الأعياد ورأس السنة.
- * الآباء الدومنيكان قدموا للمشروع غرفتين وفناء في دير القديس عبد الأحد (الساعة) ليكونا مركزا خاصا وثابتا للقاءات والنشاطات.
- * مسؤول المشروع ومنشطه الأول وصاحب المبادرة هو الأخ عماد حسيب، متزوج وله طفلان. يعاونه فريق من الشباب والفتيات المتطوعين. بعضهم ثابت ودائم (راهبة دومنيكية وإحدى أخوات يسوع الصغيرات)، وبعضهم بحسب ما تتيح له التزاماته الأخرى (من بينهم: مهندس، باحثة اجتماعية خريجة علم النفس، موظفة، خريجة معهد سياحة، جندي، طلاب جامعيون وثانويون، وطفلة (عشر سنوات) تهم بمعاقلة صغيرة عمرها ثماني سنوات).

مشاريع الممتقبل

توقفنا قليلا عن الدردشة ثم التفتنا نحو الأولاد وهم في هرجهم، وقد أمسك احدهم بالمسجل عاليا بقرب اذنان اقرانه ليسمعوا أغنية جميلة كانوا يرقصون عليها في حلقة متفككة الأوصال:

• ما هي طموحاتكم وخططكم المستقبلية ؟

- لدينا خطة قيد الدرس تهدف إلى تعليمهم بعض المهن البسيطة التي تناسب وقدراتهم الجسمية تمتص فراغ حياتهم وتشغلهم من فكرة اهم عالة على ذويهم. وقد وجدنا لدى البعض منهم مهارات حقيقية واستعدادا للعمل.
- نطمح إلى توسيع المشروع لاستقبال "معاقين" من خارج مركز مدينة الموصل. كما نود شمول الفتيات المعاقات أيضا.
- بعد الحصول على مركز ثابت نود هئيتهم للتناول الأول ومتابعة تنشئتهم المسيحية بصورة أفضل.
- ونأمل ان يكون للمشروع واسطة نقل خاصة تسهل علينا التنقل والحركة والاتصال، ولمختلف الخدمات اللازمة.

كنت استمع بلذة إلى حديث عماد وكانه يسرد تاريخ حياته.. وقصة حبه. في الحقيقة، ان المرء يقف صامتا أمام هولاء الشباب الذين اكتشفوا المعنى الرائع للإخوة والعطاء، شهادة نبوية رائجة لمعاني الالتزام. لبساطة الأمور العظيمة، في هذا الفريق المعطاء حيث اتخذت الخدمة معناها السامي، وفيهم لمست تحقيق عبارة يوحنا الرسول القائل: "لا تكن محبتكم بالكلام أو باللسان، بل بالعمل والحق" (١ يوحنا ٣ : ١٨).

(بمشاركة الأخت سانت اتين)

البابا يلتقي بالاسلام الزنجي (الرحلة البابوية رقم ٥٤)

١٩ - ٢٦ شباط ١٩٩٢

كوناكري (غينيا)، زنفوشور (غامبيا)، داكار (السنغال)، عواصم افريقية ثلاث كانت محطات لرحلة البابا الثامنة للقارة السوداء والتي تميزت بكونها لقاء مع الحضارة الافريقية من جهة، ومع الاسلام الافريقي من جهة اخرى؛ لقاء اتسم بالانفتاح والشفافية والحوار... فضي هذه البلدان التي يشكل فيها المسيحيون اقلية ضئيلة، وان فاعلة، شدد يوحنا بولس الثاني على الحوار الحضاري والديني بين الفئات المختلفة التي تؤلف هذه المجتمعات، سعيا الى بناء قارة يسودها الاخاء والرهي والتقدم.. وتستتب فيها العدالة والحرية والسلام...



البابا يحب افريقيا، ويرى فيها أرضا عذراء لا زالت تمتلك قيما أصيلة خاصة بوسعها ان تحملها إلى العالم، اليوم، منها: "رؤية العالم تتمحور حول قدسيته، وعي عميق للعلاقة التي تربط بين الخالق والطبيعة، احترام كبير لكل أوجه الحياة، مكانة الأسرة والجماعة". هذه القيم ذاتها هي صدى لما تحتويه خطابات يوحنا بولس الثاني في كل رحلاته العالمية. أضف إليها ما لديه من طاقة الانفتاح والتحاور.

تحت هذا الشعار يعود البابا الرحالة إلى افريقيا للمرة الثامنة ليزور ٣ أقطار سوداء غالبيتها العظمى على الإسلام، هي السنغال وغامبيا وغينيا فني السنغال (٧,٣ مليون) يشكل المسلمون ٩٥% والكاثوليك ٥%؛ وفي غامبيا (حوالي مليون) يشكل المسلمون ٨٥% والمسيحيون ٣% معظمهم انكليكان؛ وفي غينيا (٦,٧ مليون) يشكل المسلمون ٧٠% والمسيحيون ٧%). أما النسبة الباقية، فهم على الأديان التقليدية. ومع هذه الأكرية الساحقة فالعلاقة بين المسلمين والمسيحيين ممتازة عموما، وتخلو من التوترات المعتادة في أماكن أخرى. والحوار الذي دعا إليه البابا مسيحي ومسلمي هذه الأقطار كان أساقفة السنغال قد اعدوا له بنداء نشره قبل بضعة أشهر باسم "إيماننا بالمسيح... حتى ان لم نلق التجاوب دائما". وكانوا قد حددوا لهذا الحوار أربعة أبعاد: حياتيا، وتعاونيا، وروحيا، وعقائديا. وإذا كان البعد الأخير أصعب الكل، فالأبعاد الثلاثة الأولى انما تنطلق من الواقع المعاش في هذه الأقطار وتعكس التداخل الحياتي اليومي القائم بين الأقلية المسيحية والأكرية الإسلامية، في جو يتسم عادة بالاحترام المتبادل وبكثير من الديمقراطية. فالرئيس الحالي عبدو ضيوف -وقد خلف الكاثوليكي المتزعم جدا، الشاعر والمفكر ليوبولد سنغور- مسلم، متزوج من مسيحية ملتزمة، وابنته الكبرى كاثوليكية أيضا، ويعلم انه يستمع إلى القداس المذاع بالراديو كل يوم احد! أليس لرئيس أساقفة داكار، الكاردينال ثيانوم، أخ إمام! مثل هذه

"التشكيلات" واردة في الأقطار التي استقبلت البابا من ١٩ - ٢٦ شباط ١٩٩٢. وإذا ما تمتعت الكنيسة بسمعة جيدة وبتأثير كبير في هذه الأقطار التي استقبلت البابا من ١٩-٢٦ شباط ١٩٩٢. وإذا تمتعت الكنيسة بسمعة جيدة في هذه الأقطار، فيعود ذلك إلى الدور الثقافي والحضاري الواسع الذي تلعبه مؤسساتها، بالإضافة إلى الوجه الإفريقي الذي تتخذه المسيحية أكثر فأكثر، في تركيبها البنيوية (الكوادرات والأساقفة)، والانجيلية - الروحية (الروحانية والتجذر الفكري والتعبيري). وهذا بالذات هو الموضوع المحوري الذي يدور حوله السينودس الإفريقي العام المنوي عقده قريبا في موعد لم يحدد بعد (لربما في غضون سنة أو سنتين) لتحريك طاقات كنيسة افريقيا نحو المستقبل.

لاشك ان المرحلة الرئيسية من رحلة البابا كانت مرحلة السنغال، ليس فقط للأهمية التي يمثلها هذا القطر باتساعه الجغرافي والسكاني نسبة إلى جيرانه، وإنما خاصة للنموذج الديمقراطي الذي يمثل في افريقيا في التعايش الآمن والمتناغم بين الديانات وأسلوب المشاركة في ممارسة الحكم، إضافة إلى الموقع المرموق الذي تحتله الكنيسة فيه، بالرغم من ضالة نسبة عدد أبنائها.

كان الرئيس عبدو ضيوف بقامته العملاقة (١٩٨، ١٠٤م) الفارعة كمنخلة استوائية على رأس المستقبلين في مطار داكار. وبما ان الأفارقة يكون ويضحكون على إيقاع الرقص، فلقد كانت الرقصات الشعبية وإيقاع الدفوف والجوقات على الموعد، إلى جانب جماهير مؤلفة من المسيحيين والمسلمين. فلمن كان مترددا من هؤلاء الأخيرين في المشاركة واستقبال البابا، كان الرئيس ضيوف والهيئات الدينية الإسلامية قد أعلنوا: "إذا ما خاف احد من فقدان إيمانه بمصافحة البابا، فليمتنع. أما نحن فنسذهب لمصافحته".

ومنذ خطابه الأول نعت البابا السنغال "بالبوابة المحيطة بافريقيا"، ووصفه "برائد الديمقراطية الأفريقية"، وأشاد بجهوده في انه "يستند في بناء تطوره قبل كل شيء على الشراء البشري لسكانه". وهكذا ربط يوحنا بولس الثاني في خطاباته السنغالية العامة بين "الديمقراطية والتطور والحوار بين الديانات". ففي اتجاه المسؤولين الدينيين المسلمين قال البابا لدى استقباله إياهم بعد القداس الذي أقامه في ملعب الصداقة بدكار العاصمة: "ان إلهنا هو اله سلام، اله قدوس، اله الحوار... وأمام قضايا الفقر والحرب، على المسيحيين والمسلمين ان يبحثوا، في الحوار، عن حلول تجعل المجتمع أكثر عدلا، أكثر انسانية، أكثر احتراما للحرية ولحقوق وكرامة كل فرد". أما باتجاه الكنيسة، فقد قدّم البابا نفسه كزائر مؤمن آت باسم الرب ليستحث الشركة في الحب ويثبت إخوته في الإيمان. وللتعبير عن تأصل الانجيل في ارض افريقيا وتجذره في تراثها الحضاري، استخدم صورة "الشجرة التي لا ترتفع إلا إذا عمقت جذورها في الأرض التي تغذيها". حينذاك سيكون بوسع الكنيسة ان تقدم ثمارها في ميادين التعليم، والصحة والرقي الانساني.. وان تحمل البشرية المسيحية في بيتها الأفريقية.

إلى هذه الفكرة الأخيرة عاد البابا في أحاديثه مع الأساقفة، وفي مزار بوبونغوين المريعي الوطني، قال: "هذا الانجيل الذي استقبلتموه، عليكم اليوم ان توصلوا جذوره". فعلى افريقيا، اليوم، ان تبشر افريقيا.

ولعل الحدث الأكثر مدلولية وتميزا في المرحلة السنغالية، بل الرحلة البابوية كلها، هو زيارة البابا "ليبنت العبيد" في جزيرة غورية، قبالة داكار، حيث كان البرتغاليون في القرن ١٥ يكذبون الأفارقة قبل ترحيلهم كعبيد إلى القارة الأميركية. فلقد أعرب يوحنا بولس الثاني عن إدائته وأسفه لتلك الأعمال البربرية التي كان أصحابها يتشدقون بالاسم المسيحي: "ان ممارسة تجارة الرقيق الأسود هي مأساة ارتكبتها حضارة كانت تدعي انها مسيحية.. لقد جئت إلى هنا لأكرم كل تلك الضحايا المجهولة، التي لا نعرف اسمها ولا عددها...". وفي معبد البلدة التي تعود جذورها إلى عام ١٤٨٢ أعلن البابا: "من هذا المعبد المخصص للألم الزنجي، نستمطر عفو السماء".

وكان البابا منذ مقدمه، قد ربط بين هذه الرحلة ورحلته القريبة إلى سان دومنغو في أميركا اللاتينية للاحتفال بالذكرى المئوية الخامسة (١٤٩٢ - ١٩٩٢) لدخول المسيحية إلى القارة اللاتينية، وذلك "بروح التوبة تجاه هذه الشعوب الأفريقية العظيمة التي كانت ضحية محرقة لا زالت مجهولة".

أما في غامبيا حيث لا تشكل الكنيسة إلا جماعة صغيرة (١٧٠٠٠) مؤمن مع أسقف واحد و٥ كهنة أبرشيين و ١٧ راهبا كاهنا و٤٧ راهبة -معظمهم من الأجنبيات-. فقد تمت زيارة البابا تحت شعار السلام والعدالة. وفي العاصمة زنجويشور أشاد البابا بالألفة القائمة بين المسيحيين والمسلمين حيث تتقاسم الجماعتان مقبرة مشتركة، وبذلك "تعايش الجماعتان حتى ما وراء الحياة الأرضية" كما قال الإمام عليون عايدازا. كما أشاد البابا بدور العلمانيين وجماعات القاعدة في حياة الكنيسة الغامبية، ووصفهم "بمنبع النشاط الراعوي والحياة. انهم حقل تنشئة لوعي المسؤولية الرسولية والتجذر الثقافي للرسالة الانجيلية".

وفي كوناكري عاصمة غينيا دعا البابا الأقطار الأفريقية إلى الاستجابة إلى حاجات مواطنيها المادية و "رعاية حقوق الانسان والعدالة الديمقراطية". وكان بذلك يجيب إلى إحدى اللاتفات التي رفعها الشباب أمامه: "لا سلام من دون عدالة"، ووراء كل ذلك كان شبح دكتاتورية سيكوتوري التي كبتت الحريات باسم "الهوية الوطنية" من ١٩٥٨ وحتى ١٩٨٤، ماثلا في الأذهان. كما وجه نداء إلى الانظمة القائمة في افريقيا لتدع جانبا منافساتها الداخلية والقبلية وتبني السبل الكفيلة لخلق مناخ النمو والبناء الذاتي.



اللقاء الثاني بطاركة الشرق الكاثوليك

١٨-٢٢ شباط ١٩٩٢

... واتسع باب "شؤون راهنة" للقاء بطاركة الكاثوليك الشرقيين الثاني في القاهرة حول موضوع حيوي وراهن تناول "حضور المسيحيين في الشرق الأوسط وشهادتهم". فلقد انكب البطاركة الكاثوليك السبعة على إبراز الدور الريادي الذي كان ولا يزال لكنائسنا المسيحية في حياة وحضارة بلداننا الشرق اوسطية، مشددين على التحديات التي تواجهها منطقتنا الساخنة والتي تفرض على المسيحيين والمسلمين ان يتكاتفوا في عمل مشترك ببناء من اجل مستقبل افضل لبلدان ان لها ان تنعم بالسلام والاستقرار والرخاء...



عقد البطاركة الكاثوليك الشرقيون السبعة لقاءهم القمة الثاني في المعادي في ضاحية القاهرة من ١٨-٢٢ شباط ١٩٩٢ حول موضوع "حضور المسيحيين في الشرق الأوسط وشهادتهم". ويأتي هذا اللقاء في نطاق الإرادة التي عبر عنها رؤساء الكنائس الشرقية الكاثوليكية في لقاء القمة الأول الذي عقده في لبنان في الصيف المنصرم، والذي كانوا قد كللوه بلقاء قمة أيضا مع بطاركة الكنائس الشرقية الأرثوذكسية في لبنان (ف. م. آب - ت ١ ١٩٩١)، لوضع جهودهم سوية لتنسيق عمل كنائسهم في معالجة القضايا المشتركة للمسيحيين في منطقة الشرق الأوسط، وتنشيط حضورهم الفاعل والخير ودورهم الايجابي في حياة بلادهم، والتزام بنائها وريقها، وبعث الحيوية في شهادتهم المسيحية وطرائق عيش إيمانهم في المعترك الحياتي في هذه البقعة. ولقد بات مثل هذا العمل المشترك والتنسيق ضروريا وحتميا لدى الكنائس المسيحية الشرقية في هذه الحقبة بالذات لعدة أسباب:

أولها: التحديات الخطيرة والمصرية التي تواجه خارطتنا العربية وقدد سلامها وأمنها ووحدها، من الخارج ومن الداخل؛

ثانيها: التحولات الفكرية والايديولوجيات الدينية المتطرفة، هنا وهناك، والتي تشكل في الأصالة الوطنية والقومية للمسيحيين العرب، أو تحاول، على الأقل، إعادتهم إلى عصور الذمة والوصاية؛

ثالثها: ارتباط مصيرنا وتاريخنا، الماضي والراهن والمستقبل، حياتيا وحضاريا وقوميا واقتصاديا، والتحام اللحمة باللحمة بالسدى، مع إخوتنا ومواطنينا المسلمين، الذين معهم بنينا هذه الأوطان، وما كنا غائبين أبدا عن النهضة القومية المعاصرة، بل من روادها كنا، ولا كنا من الغائبين عن الدفاع عنها بدمائنا. وليس لأحد الحق في التنازل اليوم عن دوره التاريخي، أو ان يزايد على غيره. فلا الأقلية العددية تسمح بالانسحاب، ولا الأكثرية تبيح بتجاهل الآخر أو نخفته في ما هو حق له؛

رابعها: البعثة والضياع اللذان يشعر بهما بعض المسيحيين، ولا سيما الشباب، بسبب الحروب الطويلة والقاسية -الخارجية والاهلية- سواء كان في لبنان، أم العراق، أم السودان، أم فلسطين، أم في تصادم الأشقاء المرير في حرب الخليج.. كل ذلك مضافا إلى "رعب" التيار الإسلامي الأصولي الخميني الرزعة، مما دفع بالعرض إلى البحث عن أوطان بديلة عن طريق الهجرة؛

خامسها: كون جميع المسيحيين في المنطقة العربية، مهما اختلفت طوائفهم وكنائسهم وتسمياتهم (كاثوليك وارتوذكس..) يسبحون في مناخ ثقافي وتاريخي وروحي واحد، ويواجهون التحديات ذاتها، والمشاكل ذاتها، وان اختلفت في بعض التفاصيل المحلية؛ وتحركهم الطموحات والأمانى نفسها، ويشعرون بانهم أعضاء أسرة مسيحية شرقية واحدة، وينظر إليهم من الخارج ككتلة واحدة. وكل تجسيم للخصوصيات بيننا ومنا لا يهدف إلى أصالة الشهادة المسيحية والإيمان المتواضع والشركة، هو معول للفرقة والتجزئة، ونتيجة الاثنين التشرذم والضعف ومضاغفة الخوف...

هكذا إذن يندرج لقاء القاهرة لرؤساء الكنائس الشرقية في باب "العمل الجماعي" وممارسة "الجماعية الكنسية" (Collegialité) لخدمة رعاياهم في الشورى والمداولة، وفي باب تعميق أي التزام مسيحي في الشرق العربي. فإذا كان السؤال المطروح عليهم من الخارج هو: هل وجود المسيحيين مهدد؟ فالسؤال الذي تدارسوه هم سوية هو: ما هو دور المسيحيين وتأثيرهم في بيئتهم؟ كيف يتعايشون بأخوة وانسجام وتعاون مصيري مع إخوتهم المسلمين الذين يتقاسمون وإياهم الوطن الواحد؟ لذا لم يشمل البيان الختامي أي إعلان عاصف، وانما كان نداء هادئا وعطاء شهادة مسيحية ملتزمة في المحبة والألفة والاحترام المتبادل.

أربعة أيام من الحوار والمداولة والصلاة واللقاءات لا تكفي للإحاطة بمثل هذا البرنامج الواسع، ولكنها، في كل مرة، محطة للاستماع والانفتاح والفهم المتبادل الأفضل.. ومن هذا الفهم الأفضل تأتي المعالجة الأفضل. لقد استمع البطاركة اسطفانوس الثاني غطاس (مصر: أقباط). نصر الله بطرس صفير (لبنان: موارنة). مكسيموس الخامس حكيم (لبنان- سوريا: روم). اغناطيوس انطون الثاني حايك (لبنان: سريان). روفائيل الأول بيداويد (العراق: كلدان)، جان بطرس الثامن عشر كسباريان (لبنان: ارمن). ميشيل صباح (القدس: لاتين). استمعوا إلى الصورة التي نقلها كل من كنيسته وبلده، ثم استمعوا أيضا باهتمام إلى أبحاث في الحوار والتعاون والتلاحم قدمها علمانيون، مسيحيون ومسلمون. وكان من بين المتكلمين الوزير السابق ولیم سيفين (مسيحي) والجنرال احمد وتيدي "جمعية إخاء الدين" المصرية التي تضم مسيحيين ومسلمين بهدف إشاعة الإخاء والتعاون والانسجام بين أتباع الديانتين. فتكلم الواحد عن ضرورة وضع استراتيجية كفيلة بوضع حد للإرهاب الذي يفرضه التيار الديني المتطرف؛ وأبان الآخر دور التيار الصوفي في التقريب بين المسيحيين والمسلمين. أما اللبناني المسيحي نصيف نصار، فقد ركز على أهمية الربط الحيوي بين الوجود المسيحي والثقافة العربية.

هذا الجو "المسكوني - الوجدوي" ظهر بصورة أجلي في مناسبتين كبيرين آخرين عن هذا المؤتمر، الأول في لقاء البطاركة السبعة مع الرئيس حسني مبارك، والثانية في الزيارة التي قام بها البابا شنودة الثالث، بطريرك الأقباط الأرثوذكس، للبطاركة الكاثوليك في مقر اجتماعاتهم بدير المعادي للأقباط الكاثوليك. ولقد تعدت هذه الزيارة المحاملات البروتوكولية لتصبح نافذة يطل منها البطاركة الكاثوليك على أوضاع الكنيسة القبطية الشقيقة (٨ ملايين في مصر). وكما في اجتماع لبنان (١٩-٢٤ آب ١٩٩١) سيصدر البطاركة الكاثوليك الشرقيون رسالة راعوية مشتركة، من المؤمل ان تنشر في عيد الفصح المقبل، ستضمن توجيهاتهم، صدى لاجتماع القاهرة، في تجسيد الالتزام المسيحي الأفضل في شرقنا العربي، من ناحية التأصل الإيماني الأعمق وتقوية الربط الأخوية والمبادرات المشتركة بين الكنائس الشقيقة وإعطاء زخم جديد للتفاهم المسيحي-الإسلامي.

راهبات القديسة كاترينة الدومنيكيات

المعروفات "بالدومنيكيات" أو "الكاترينيات"

قلعة من الحجر الموصلية الأبيض الصلد المنقور، ذات ثلاثة صفوف أفقية من النوافذ الواسعة المنفتحة إلى الشرق. يتوسطها، بين جناحين غير متناظرين حجماً، برج فارغ نصف دائري، يقطع خشونة حجارته زوجان رشيقان من النوافذ العمودية النحيفة، تحمل ضياء النهار ودفء الشمس إلى الداخل. وتعلو البرج مجرسة إسمنتية مضافة بغير انسجام، يتوجها صليب كبير من الاسمنت أيضاً، ومنها ينطلق الرنين الداعي كل يوم أحد إلى قداس الصباح.

هذا هو الدير الأم لراهبات القديسة كاترينة، المعروفات "بالدومنيكيات"، في منطقة الموصل الجديدة. صمم المبنى الأب حنا هيبي الدومنيكي في نهاية الأربعينات ليكون ميمناً، ثم سرعان ما انتقلت إليه الراهبات في بداية الخمسينات كدير مركزي لهن، لضيق ديرهن القديم في منطقة الساعة بالموصل (العتيقة).

كانت المنطقة، يومذاك، مبعثرة البيوت، معزولة، وهي اليوم منطقة شعبية زاخرة بالحركة وسوها ينمو يوماً بعد يوم.. والدير واحة واسعة يكاد يختفي وسط تشكيلة غنية من أشجار الصنوبر والزيتون واليوكالبتس والحمضيات المتنوعة والدوالي المعلقة. شيء واحد يجذب نظرك وفضولك.. سياج الدير العالي مترامي الأطراف وقد استحال، في الأونة الأخيرة، على طول وجهه المحاذي للشارع العام، جدارية زاهية الألوان من لوحات الإعلانات المترصفة للمحلات التجارية..



• أقدم رهبانية نسوية عراقية

جمعية راهبات القديسة كاترينة الدومنيكيات⁽¹⁾ تعتبر أقدم رهبانية نسوية في كنيسة العراق في العصر الحديث، إذ ان البذرة الأولى وضعت عام ١٨٧٧. ولهذه الرهبنة الوطنية، تأسيساً وتكويناً وتوجهاً، دور متميز، ليس في إرساء تقليد رهباني نسوي في كنيستنا العراقية المعاصرة حسب، بل لدورها الكبير أيضاً في المجال التنقيفي والتربوي والاجتماعي في العراق، ولا سيما في المنطقة الشمالية، قبل امتدادها إلى بغداد في نهاية الخمسينات. وكذلك لانها شاهد فعلي وعامل حي للوحدة المسيحية، حيث ان الرهبنة لا تنتمي إلى طائفة معينة بالذات، بل هي من وكنيسة العراق، تقدم خدماتها حيث الحاجة وإمكانات التبليغ، دون اعتبار للانتماء الطائفي. وإذ تأتي الراهبات من مختلف الكنائس، يعيشن في وحدة الأسرة الواحدة، من دون أي ارتباط فقوي أو طائفي، ويختبرن بالمقابل تراث الطقوس الكنسية المتنوعة، ويتناوبن في صلاتهن، لاسيما في إقامة القداس الديرية، الطقوس الرئيسية الثلاثة: الطقس اللاتيني (طقس الآباء الدومنيكان المشرفين وبوصفه طقساً محايداً) والطقسين الكلداني والسرياني (طقس الأخوات)، وتحسن الراهبات الانشاد فيهما. أما في مراكز العمل، أي في الأديرة المحلية، فتتبع الراهبات طقس الأبرشية، وترى صورة مطرانها في صدر غرفة الاستقبال.

في نطاق التحقيقات التي بدأها "الفكر المسيحي" حول الرهبنة العراقية^(٧)، توجهنا هذه المرة، إلى الأخت فيلومين، الرئيسة العامة لراهبات القديسة كاترينة الدومنيكيات، لتتعرف على الرهبنة ورسالتها وحقوق عملها.

انفتح الباب الرئيسي الحديدي بكبسة زر من الداخل، فكنا أمام تمثال كبير لعذراء لورد واقفة بمدوء في كهف كست جذرانه نباتات متسلقة وزينت قاعدته المسيحة انواع الورود والزنبق. وقادتنا أخت إلى الأم الرئيسة في القاعة الكبرى.

• الروحانية والرهالة

ما هي الروحانية المميزة للرهبنة. وما هي رسالتها؟

*الأخت فيلومين: بما ان الرهبنة جزء من الأسرة الدومنيكية، فالأركان الأربعة لروحانيتها هي أركان الدعوة الدومنيكية عموماً، أي: حياة الصلاة، والتأمل، الدرس، الرسالة، (أما الرسالة والحياة المشتركة فتعانق كل نشاط يصب في خدمة وانهاش حيوية كنيسة العراق - أو البلد الذي تعمل فيه- وقد اتخذ ذلك فعلياً منذ نشأة الرهبنة وتعمق خلال مسيرتها وخبرتها في ثلاثة اتجاهات هي: الاتجاه الثقيفي-التربوي، والاجتماعي- الانساني، والشهادة ضمن الوظيفة.

لا شك ان قطاع التربية والتعليم قد نال القسط الأوفر من جهد الراهبات، بل كان الحقل الأول الذي حرثته منذ البدايات الأولى، لا سيما في القرى والأرياف، فقد كن يملكن ويدرن، قبل قرار تأميم المدارس في العراق عام ١٩٧٤، حضانتين، و ١٢ روضة، و ١٠ مدارس ابتدائية للبنات أو مختلطة، ومتوسطة - إعدادية واحدة: في كل من بغداد والموصل وقره قوش وتلكيف والقوش وتللسقف وسنجار وغيرها. وكانت تضم هذه المدارس ٤٨٥٠ طالبة وطالبا، وقد خرجت الراهبات أجيالا لا تزال تلهج لمن ثناء، من مسيحيين ومسلمين. وطالما تميزت هذه المدارس بمستوياتها الدراسية وتكرمت من قبل المسؤولين. ولقد استمرت الراهبات بعد التأميم في تدريس كافة المواد العلمية والأدبية كالسابق -ومن ضمنها الدين- ولا زالت الإدارة بيد بعضهن حتى الان في حضانة واحدة، وروضة واحدة، وابتدائية واحدة، وإعدادية واحدة، إضافة إلى التدريس في مدارس رسمية أخرى، داخل المدن وفي القرى.

ولا شك أيضا ان تأميم المدارس فتح الفرصة أمام الأخوات ليتوجهن إلى وضع خبرتهن وطاقتهن بصورة مباشرة، بل بالتفرغ أحيانا، لخدمة الكنائس في الثقيف الديني، سواء في نطاق النشاطات التقليدية كالتناول الأول، وإرشاد الفتيات الاحديات، وأخويات النساء؛ أو في النشاطات الشبابية والراعية والحركات الرسولية ودورات التعليم المسيحي المكثفة مع العلمانيين، ومع العاملات والموظفات والمرضات. وهناك أيضا "بيت الصلاة"

في مبنى عش الرهبنة في الموصل القديمة، حيث تزاوّل بضع أخوات العمل والصلاة، ويستقبلن "كروبوات" من الشباب والفتيات لرياضات روحية أو لقاءات صلاة. ومن المراكز الأخرى التي تعمل فيها أخوات: مكتبة الناصرة للآباء الدومنيكان في بغداد ومركزهم السمعي البصري الديني في الموصل.

أما في الجانب الاجتماعي، فتقوم الأخوات بزيارة المرضى والأسر الفقيرة -وقد كان لمن دور في الأزمة الحالية في إيصال المعونات إلى عائلات المعوزين- وليس ببعيد اليوم الذي كانت فيه الدومنيكات، قبل التأميم أيضاً، يدرن ميثم القديس يوسف في الموصل. أما اليوم فقد تحوّلن إلى دار الدولة لرعاية الأحداث في الموصل ويهتمن بالفتيات في ديرهن بالزعفرانية وبالعمل مع المعوقين في مؤسسة رسمية في العاصمة ومع "جماعة المحبة والفرح" للمعوقين في الموصل^(٣). وهناك من اشتغلن سنوات ممرضات في المستشفيات، وهن الآن يتهيان لفتح مستشفى خاص بمن للولادة في بغداد.

وفي الوظيفة، هناك عدد من الراهبات موظفات في الدوائر الرسمية، حيث تقدّمن، من خلال عملهن وعلاقتهن، شهادة حية للالتزام والمحبة المسيحية التي اتخذتها درساً لحياتهن وقناة للاتصال بمختلف شرائح المجتمع.

• الثقافة والتنشئة الرهبانية

بينما كانت الرهبنة تكتفي في السابق بالشهادات الدراسية البسيطة -ولربما كان في البدايات من لا تحسن القراءة والكتابة- قررت منذ ١٩٥٧، كما أكدت الأم الرئيسة، ان لا تقبل الفتيات اللواتي لم ينلن، على الأقل، قسطاً من الدراسة الابتدائية. ثم عمدت، وفق مناهج مناسبة، إلى تزويد راهباتها بالمستوى الثقافي اللائق، بحسب القابليات والرغبة، ليكن أهلاً لتغذية حياتهن الروحية والفكرية ولتثقيف غيرهن. وفي سبيل ذلك صارت معظم الأخوات يكملن دراستهن الإعدادية والجامعية أو في المعاهد المتخصصة. فنال معظمهن شهادات دراسية رسمية وعالية في مختلف الفروع، من داخل القطر أو خارجه، وتعلمن لغات أجنبية تتيح لهن الإجابة إلى متطلبات العصر...

وكانت قد انضمت إلى الحديث أخوات أخريات...

أما التثقيف الديني، بفروعه اللاهوتية والكتابية والكنسية، فقد ركزت وأكدت عليه الرهبنة في السنوات الأخيرة، أكثر من ذي قبل، وذلك عبر قنوات ثلاث: التثقيف الذاتي بالمطالعة والمتابعة الشخصية؛ الدورات اللاهوتية والحلقات الدراسية الخارجية، والمحاضرات التي تلقى في الدير الأم -لاسيما لمرحلة التنشئة- وفق منهج يدعى إليه محاضرون من الآباء، أو على يد الأخوات المتخصصة. وهناك فعلاً عدد من الأخوات قضين فترات إيفاد دراسي في فرنسا وإيطاليا ولبنان، في مؤسسات كنسية ورهبانية وجامعية.

أين توجه هومنديات القديسة صلاترينا

* عدد الرافعات الناذرات: ١٣٤ / المهدئات: ٢ / الطالبات: ٧

* الأخوات المعلمات والمدرسات: ٣٣ / الموظفات: ١٧

* عند الأقدوس في العراق: ١٦ (الموصل. بغداد. قره قوش. تكليف. برطلة. القوش. تكلسف. بالولا. باطبا. بعشقة. دهوك. عينكاو).

في الخارج: ٤ (روما. لبنان. القاهرة. بيت لحم).

مراحل التصفين

١٨٧٧: الوفاء الأولى من ٣ فتيات مساعدات معلمات، بعشن حياة مشتركة في الموصل.

١٨٨٤: الأب فوميني يقرر تأسيس رهبنة هومنيكية وطنية مستقلة، بالتعاون مع راهبات الطقعة الفرنسية.

١٨٩٩: أول مدرسة يادارتقن في سعرت.

١٩٠٩: انضم الجمعية إلى الأسرة الدومنيكية.

١٩١٤-١٩١٨: فترة الحرب. توقف. استشهد ٧ أخوات.

١٩٢٧: رئيس عام الدومنيكان يقبل الجمعية في رهبنته رسمياً.

١٩٢٨: افتتاح دار الابتداء بالموصل.

١٩٢٩: الظهور الوطنية، لأول مرة.

١٩٣٦: ٢٢ راهبة يقدمن، لأول مرة، لنورهن المؤبدة.

أما مراحل التنشئة الرهبانية من حيث التدرج فهي ثلاث:

- ١ - فترة الطلب (سنة واحدة) وتستمر فيها الفتاة الطالبة على متابعة دراستها الرسمية الخارجية، ويكون الحد الأدنى للقبول ١٧ سنة؛
- ٢ - فترة الابتداء (سنتان) وهي سنوات تفرغ للتنشئة الروحية والرهبانية المكثفة. ويشمل المنهاج التثقيفي محاضرات ودراسات في اللاهوت والكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة، إضافة إلى تاريخ الرهبنة الدومنيكية ومشترعاها وروحانيتها؛
- ٣ - فترة الحدائة (٣ سنوات) وتلي الابتداء مباشرة بإعلان النذور الأولى لمدة سنة واحدة، تجدد كل عام على مدى ٦ سنوات، ثم تعقبها النذور المؤبدة لدى الحياة. وتوقفت الأم الرئيسة قليلاً. ثم أردفت بحسرة معرة عن قلقها من قلة الدعوات الرهبانية. ثم أضافت موضحة ان الأخوات يبذلن جهودا لاكتشاف دعوات جديدة أو

ابقاظها، منها دعوة الفتيات الراغبات إلى مشاركة الأخوات في الصلاة واقتسام الخبز، وفي تنظيم لقاءات أسبوعية أو شهرية لمراجعة الذات واكتشاف القابليات وتمييز صوت الرب.

• مشاريع الممتقبل

ومشاريع المستقبل؟

* الأخت فيلومين: لنا مشروعان اجتماعيان مهمان:

١ - مشروع "مستشفى الحياة للولادة" في بغداد، الذي هو في طور التكوين ليستوعب في مرحلته الأولى نحو ١٥ سريرا، بإدارة راهباتنا وملكية الراهبة، بالتعاون مع أطباء وطبيبات اختصاص.

٢ - مشروع مهني - تثقيفي واسع لفتح مشاغل خياطة للفتيات، هدفه تأهيل وتوفير عمل لهن، إضافة إلى التوجيه الاجتماعي والمسيحي، وقد بدأت المرحلة التدريبية في كل من قره قوش وتلكيف وتللسقف وبرطلة وباطنايا. وفي النية فتح مشاغل مماثلة في الموصل والقوش.

بمشاركة نجيب قاقو

(١) انظر ف. م. ت ١ ت ١٩٨٦ ص ٣٨١. وكذلك كتاب الاب خليل قوجحصارلي: القديس عبد الاحد مؤسس الراهبة الدومنيكية، روما ١٩٩٠ ص ١٣١.

(٢) الراهبة الكلدانية الهرمزدية (نيسان ١٩٨٣)؛ راهبات التقدمة (ايار ١٩٨٨)؛ الالاء الكرمليون (ك ٢١٩٨٩)؛ الالاء الدومنيكيون (ايار- تموز ١٩٩١).

(٣) انظر ف. م. ك ٢ - شباط ١٩٩٢.

الذكرى المئوية الخامسة لأميركا اللاتينية

نظرة إلى الوراء، وعزم إلى الأمام

١٤٩٢ - ١٩٩٢

قارة عمرها خمسة قرون! اعني منذ ان حطت قدما كريستوف كولومب على ارض سان دومنغو عام ١٤٩٢، وحطت معها قدما المسيحية القادمة من البرتغال واسبانيا...

أمريكا اللاتينية - وسبق للفكر المسيحي ان تناولتها في ملفاتها العديدة إجمالا وتفصيلا (شيلي، البرازيل، الأرجنتين، المكسيك، الاكوادور، نيكاراغوا، فنزويلا، بيرو...) - تاريخ مثقل بصنوف الاستلابات التي أخضعت لها شعوب ذات حضارات عريقة تناضل اليوم من اجل استقلالها السياسي والاقتصادي والثقافي والديني... وتدعمها كنيسة أدركت أخيرا انها حاملة انجيل الحب والتحرر والذي يعطي الأولوية للفقراء والمظلومين والمضطهدين... فأصبحت رائدة لاهوت يدعو إلى التحرير والاستقلال والنمو، وعلى أكثر من صعيد. عن بعض أوجه هذه الكنيسة الاميركية اللاتينية، يحدثنا هذا الملف.

العب اولمبية (برشلونة)؛ معارض دولية (اشبيلية - الاندلس)؛ مؤتمرات أسقفية لاتينية -أميركية (سان دومنغو)؛ منشورات مختلفة وبلغات مختلفة؛ برامج تلفزيونية وأفلام سينمائية وثائقية ومتخصصة؛ البابا من جديد في القارة اللاتينية... عام ١٩٩٢ مليء بتظاهرات ثقافية واحتفالية وفنية واسعة، كنسية ومدنية، في اسبانيا وفي أميركا الوسطى والجنوبية، بمناسبة "الذكرى المئوية الخامسة" لاكتشاف أميركا اللاتينية.

• ذكرى.. ولكن

ولكن مع "الذكرى"، هناك كثير من الالتباس والتساؤلات والمرارة!

بماذا يحتفل في الواقع؟ أبوصول الرحالة الايطالي المنشأ والاسباني الانتماء كريستوف كولومب إلى ما عرف بعده "بالعالم الجديد"؟ لا شك ان اكتشاف كولومب للقارة الأميركية الجنوبية يشكل إحدى الحلقات الرئيسية في تاريخ البشرية. ذلك ان هذا الاكتشاف زج بقارة كاملة مغلقة على ذاتها منذ آلاف السنين في شبكة التبادل العالمي، وجعل من الأرض كتلة مكشوفة واحدة وحقلا استثماريا واحدا. ولكن اكتشاف كولومب يعني أيضا تدمير شعوب بأكملها وتحطيم حضارات لامعة، لا زالت شواهد بعضها شاخصة في حجارة أهرامات المكسيك. انه يعني حملات صيد حقيقية للبشر في سواحل افريقيا الغربية وسوقهم عبدا تحت سياط الأوربيين للعمل في استثمارهم في "عالمهم الجديد". انه يعني هجمات إبادة جماعية، وقومية وعرقية، بكل معنى الكلمة للسكان الأصليين ودفع

المتبقين منهم إلى حياة العبودية والمذلة وحشرهم في حوافي التاريخ كحطام شعوب ليس إلا.. في ذلك ما يدعو إلى الاعتزاز والبهجة؟ سيما وان أوروبا خلفت وراءها، لدى الاستقلال، انظمة قمع واستغلال لصالحها، وهيمنة قلة حاكمة ومستحكمة، سياسيا واقتصاديا، على أكتاف جماهير الفقراء والفلاحين والبائسين، في صيغ تكاد لا تختلف بشيء عن عهد الاستعمار المباشر.

أبحث، إذن، بدخول المسيحية إلى عوالم جديدة كانت تتخبط في دياجير الوثنية والأديان البدائية؟ لا شك ان أميركا اللاتينية تضم اليوم نصف كاثوليك العالم، حيث ان ٩٥% من سكانها الذين يربو عددهم على ٣٩٥ مليوناً هم كاثوليك. وقد تزامن دخول المسيحية إلى هذه الأرض البكر مع اجتياح الأسبان والبرتغاليين لها منذ البدايات، ولم يكن التوافق صدفة. والسؤال هو: كيف تمت دعوة السكان الأصليين إلى اعتناق دين الفاتحين؟ هل حمل الإنجيل إليهم دوماً كبشرى تحرر واخوة وكعامل للرقى الانساني، أم سخر مرارا لتبرير نظريات التفوق واللامساواة؟ أليس ان باسم الحضارة المسيحية والإيمان القويم أخطأ الوافدون، مبشرين ومستعمرين، عن قصد أو عن جهل، في تحطيم تاريخ الشعوب الهندية الأصلية وإدانة تراثها الروحي والأسطوري الشعبي إدانة قاطعة، وكأنه رجس من الشيطان؟

هكذا، إذن، ووجهت فكرة "الاحتفالات" بالانتقادات والريبة، وأيقظت، في كل الأحوال، مشاعر مريرة في أميركا نفسها، ولاسيما لدى الأقوام الهندية الأصلية التي تشكل، بالرغم من كل ما أصابها، نصف سكان القارة، إذا ما أضفنا إليهم أولئك المنحدرين من أصل افريقي. هؤلاء لم يكونوا هنا عام ١٤٩٢، حين استوصل أجدادهم عبيداً في افريقيا، ومع ذلك فهم يشكلون اليوم ٤٠% من سكان البرازيل، ترى اي وزن سيكون لهؤلاء وأولئك على مسرح الاحتفالات وفي آفاق المستقبل -وهم لا يحتلون سوى أسفل السلم الاجتماعي في القارة، وفي الكنيسة نفسها لا زالوا دون ما يستحقون في حمل المسؤولية والمشاركة في الإدارة والقرار؟

• مراجعة حياة

بسبب هذا كله اتخذ إحياء الذكرى -في افريقيا وأميركا معا- مساراً يجعل منه عملية مراجعة شاملة لتقييم ما حملته هذه القرون الخمسة من العالم القدم إلى العالم الجديد من سلبيات وإيجابيات على حد سواء. مراجعة من اجل نبذ علائق التسلط والهيمنة والتجاهل وإعادة اكتشاف الذات، في جذورها الطيبة وفي أخطائها أيضاً وخصوصاً.

وكانت كنيسة أميركا اللاتينية نفسها أول من بدأت فعلاً بفحص ضميرها. الم يلتصق اسمها طويلاً بانظمة قمعية دكتاتورية؟ ها هي كنيسة الرجاء في "قارة الرجاء" كما دعاها يوحنا بولس الثاني. أليس من بين صفوفها سبق ان انطلق صوت الإنجيل مجدداً، منذ الجمع، كبشرى تحرر ونهوض ذاتي للجماهير المحرومة، وتمرد على الفقر والاستغلال؟ لربما كانت كنيسة أميركا اللاتينية أكثر كنائس العالم تجاوباً وتفاعلاً مع روح وتوجيهات الجمع

الفاثيكاني الثاني، في مبادرات تطبيقية، راعوية وفكرية ولاهوتية: فكانت ميدلين ٦٨ وبويلا؛ وكانت فرق القاعدة، ولاهوت التحرير^(١)؛ وكان هلدن كامارا وروميرو واوباند وبرافو... وغيرهم؛ وكانت كل هذه الحركة الشعبية التحدية التي انطلقت من التحام القاعدة العلمانية والرهبانيات والكهنة لاكتشاف دينامية الانجيل في الحياة والعمل والشهادة. مسيرة محفوفة، في الواقع، بالمعاناة والدموع وحتى بالدماء، كي تأخذ الكنيسة موقعها الطبيعي والواعي والنبوي إلى جانب الفقراء ومن اجل الإيمان الحي الملتزم في بلدان، إذا كانت تحتوي أكبر نسبة من كاثوليك العالم، فهي تحوي أيضا أكبر نسبة من فقراء العالم!

• مان هينغو: أية إهتراتيجية؟

ولكن هذا الاتجاه، مع ما يحمل من أمل وحيوية للشهادة المسيحية، لا يلاقي الإجماع في صفوف الإدارة الكنسية، في ما يخص المفردات والوسائل. وسيكون، لا محالة، محور نقاشات حادة في المؤتمر العام الرابع لأساقفة عموم أميركا اللاتينية الذي سيعقد في سان دومنغو عاصمة جمهورية الدومنيكان، في الخريف القادم. وسيكون هذا المؤتمر الذي سيفتتحه البابا يوحنا بولس الثاني شخصيا منبر الاحتفالات الكنسية الرسمية بمرور ٥٠٠ سنة على تبشير أميركا بالانجيل.

لا شك ان المهاجمة بين السلطة والكنيسة وتيار الالتزام "بأولوية الفقراء" لا تمس الجانب الراعوي المبدئي لهذا الالتزام -وقد اقره مؤتمر الأساقفة العام في ميدلين ٦٨ من صلب رسالة الكنيسة... ولكن الخضات التي أحدثها هذا الالتزام لدى الكثير من الكهنة والرهبان والراهبات، أفرادا وجماعات، لم تكن من دون ان تخلق بال عدد من الأساقفة والرؤساء الكنسيين. كما ان تلك المهاجمة كفت، منذ مدة، ان تكون صراعا مكشوفاً بين روما ولاهوتيي التحرير، بالرغم من أزمة الثقة التي انعكست على العلاقات بين القمة والقاعدة. ولكن انزلاقاً جديداً دخل إلى المعادلة: فمحور الجدل لم يعد لاهوت التحرير من حيث هو بحث لاهوتي يربط ما بين النظرية والتطبيق الفعلي لالتزام نضال الفقراء، وإنما الكيفية التي يُقرأ فيها الكتاب المقدس في الأوساط الشعبية -والمقصود تحديداً في نطاق ما يعرف هناك بجماعات القاعدة- وخطر قيام ما سمي "بالكنيسة الشعبية" كندٍ للكنيسة الرسمية التي يرئسها الأساقفة. حجتهم في هذا بسيطة وقاطعة: "للسلطة الكنسية، وحدها، وليس "للشعب" ان تفسّر الكتاب المقدس وتوجه الجماعات المسيحية في قراءته، ولها وحدها ان تقرر صيغ التعبير العقائدي واللاهوتي في الكنيسة. هدف النبال في هذه المرة ليست بضعة لاهوتيين منفردين، وإنما طبيعة العمل الراعوي نفسه الذي يمارسه عشرات من الكهنة والراهبات الملتزمين ميدانياً في أوساط الفلاحين ومع الهنود وسكان الأحياء الجائبة للمدن، في نطاق الجماعات الكنسية القاعدية^(٢)، وكل هؤلاء الذين، معهم، منذ ربع قرن، اخذوا على محمل الجد توجيهات ميدلين واكتشفوا ان للكتاب المقدس طاقة هائلة للوعى الذاتي والالتزام المسيحي عند صفار الناس الذين رأوا فيه صورة حياتهم ومنه يستقون الأمل والرجاء لوجودهم اليومي بكل معانياته وقساوته.

لاس كازاس (١٤٧٤ - ١٥٦٦)

"حرروا الهنود"

امتدحه يوحنا بولس الثاني، بالاسم، بعبارات قوية وواضحة في رسالته حول "العنصرية" (١٩٨٨ - رقم ٣). كوبا تقيم له نصبا تذكاريًا في ترينيداد وهو يحتضن هنديين. برتوليو دي لاس كازاس الراهب الدومنيكي الذي أصبح مطرانًا، أكبر مدافع عن الشعب الهندي الأمريكي. هو ووالده كان من رفاق كولومب. في هاييتي كانت صدمته الأولى إزاء جشع المستوطنين القادمين ووحشية معاملتهم للسكان الأصليين. فانبرى بمواعظه وخطاباته، وبكتابات ودفاعاته في المستعمرات الاسبانية نفسها وأمام محافل اللاهوتيين، وحتى في البلاط الملكي في اسبانيا، يدافع عن حق الهنود في الحياة والحرية والكرامة، ويطالب بتحريرهم من العبودية، واحترام تراثهم وتاريخهم، ومساواتهم بالقادمين الأوربيين.

** في ١٥٣١ أمام مجلس أقاليم الهند (الأقاليم الشمالية والغربية للقارة الأمريكية اللاتينية):

"منذ ست سنوات وأنا اذكر حضراتكم، يا أصحاب السيادة، باليؤس الواسع الذي تعاني منه هذه الشعوب (الهنود). ان الإيمان مهان في العالم الجديد، بينما كان بالإمكان ان يكون الله معروفًا على شكل أفضل من أي مكان آخر. والحال ان الله أبا المرحم يريد ان نخرج إلى عون الفقراء والمثالمين. ان صراخ هذا الدم البشري يصعد إلى عنان السماء وابن الله يضع بين أيديكم سلطة ملء الحاضرة السماوية. لا تقبلوا، من بعد، ان تستمر المساوي بحق الهنود، في أجسادهم وفي نفوسهم...".

** في ١٥٤٤ أمام العاهل الاسباني في اشبيلية:

منذ وجودي في دير سان باولو، لا يكف هؤلاء المساكين عن اللجوء إلي، خوفا من ملاحقتهم وإخضاعهم للجلد والسلاسل، لو شهدت جلالكم قماقت كل هؤلاء تجار التوابل الذين ذهبوا إلى هناك لمقايضة منتوجاتهم بالذهب والعييد، لترددتم بين الضحك والاستهجان. فلتلعن جلالكم من جديد ان هؤلاء الناس "الهنود" هم أحرارًا قانونًا: انهم كذلك كما اني انا نفسي تمامًا.

"... كل يوم، نحن الاسبان، نصادر هذا الشيء الثمين، ألا وهو الحرية، وإذا كان العاهل يجهل واجبه، فعلى الاسقف (ويعني لاس كازاس نفسه) ان يذكره بأنه ملزم بتأمين الخير لرعاياه".

(ع مجلة N.H. Nov. 1991)

أية استراتيجية، إذن، لعمل الكنيسة الكاثوليكية في أميركا اللاتينية وهي على أعتاب الإلف الثالث؟ هل ستجدد اختيارها، بإصرار ووعي، كما فعلت في مليون ٦٨، لجانب البشري الانجيلية المعاشة في معمعة الحياة اليومية، بإعطاء الأولوية في سياستها الراعية واللاهوتية للفقراء والمحرومين، مع ما في ذلك من احتمالات المواجهة مع الانظمة وتعرض طمانيتها كمؤسسة؛ أم سترجح جانب المؤسسة وتحكم قبضة السلطة الكنسية باسم وحدة القطيع والفاعلية الاجتماعية والسياسية الأكبر؟ بكلمة أخرى، ما الحيز الذي سيعطى - بعد سان دومنغو ٩٢- للفاتيكان الثاني في التأثير الواقعي على دينامية العمل

الراعي والبحث اللاهوتي والتجدد الكنسي؟ سيما وقد رجحت كفة التقليديين والمؤسسة، بتأثير من روما، على المجالس الأسقفية الوطنية، وفي مؤتمر أساقفة أميركا اللاتينية (CELAM) نفسه!

الكنيمة وحركات الاستقلال في القرن ١٩

كان القرن ١٩ مسرحا لحركات الاستقلال في أقطار أميركا اللاتينية عن التاج الإسباني. ويعتبر سيمون بوليفار (١٧٨٣ - ١٨٣٠) من المع إبطال الاستقلال في عموم القارة. وكان للكنيسة موقع مركزي في هذه الحركات، تارة بمشاركتها المباشرة، وطورا كضحية.

من أشهر أسماء رجال الكنيسة الذين شاركوا مباشرة في حركات الاستقلال، الكهنة: ميكيل هيدالكو، بطل تحرير المكسيك في ١٨١٠، وحلفه، خوزيه مارييا مورلوس (١٧٦٥ - ١٨١٥)، والسلفادوري خوزيه ماتياس دلغادو رئيس المجلس التأسيسي لاتحاد أميركا الوسطى في ١٨٢٣، والثائر الجمهوري البرازيلي جواكين كانيكيا ورفاقه عام ١٨٢٤. وبين موقعي وثائق الاستقلال في الأقطار المختلفة عدد من رجال الكنيسة. ففي أول مجلس وطني برازيلي هناك ٢٣ كنسيا من مجموع ١٠٠، وفي المؤتمر التأسيس لبيرو ٢٦ من أصل ٥٧، وهناك تجربة اليسوعيين التاريخية الفريدة في باراغواي في القرن ١٨، بإقامة "جمهوريات مصغرة" للهنود تحت نظام حكم ذاتي سياسي - ديني.

ولكن بقاء الكنيسة كمؤسسة مرتبطة بمصالح التاج الإسباني وعرضة للمساومات البابوية مع الطبقات الأوربية الحاكمة، سرعان ما حرك الانظمة الجديدة على دفعها إلى حافة الانشقاق عن جنورها الأوربية - الرومانية أحيانا بالاضطهاد، أو الاصطفااف وراعها.

الجيل الميحي الأول كيف اعتنق الانجيل؟

عندما قدم الأسبان والبرتغاليون إلى أميركا لم تكن الأرض غاوية خالية، بل كانت تسكنها أقوام هندية أصيلة ذات حضارات لا زالت تبهر بآثارها الشاخصة حتى اليوم في بيرو والمكسيك. ولم تدخل المسيحية إليهم دوما بالإفناع والعرض، بل استخدمت الترهيب أيضا لتقصير الطريق إلى توحيد الأقوام تحت حكم إسبانيا. فأعطي العماذ بالجملة من دون تظيف سابق، وهذا ما يفسر بقاء عادات وثنية كثيرة في عبادات أميركا اللاتينية ورواج التقوى الشعبية. عن تبشير الجيل الأول جاء في كتاب "٢٠٠٠ سنة من المسيحية" - ج ٦ ص ٢٠٤: "كان برفقة الفاتحين -ضباطا وقادة عسكريين- دوما كهنة لخدمتهم الروحية. وكان هؤلاء، إما قسسا، وما إخوة من "رهبان الشكر" (Mercedarios). وكان هؤلاء مسؤولين بصورة خاصة عن نقل الإيمان إلى غير المؤمنين. وكانت رسالتهم تقتصر في الواقع على نصب الصليب بين الاقوام أو على مشارف القرى التي يتواجدون فيها، ولم يكن ذلك ليذهب ابعد. وعند حدوث مجاهمة عسكرية، كان الفاتحون يقرأون انذارا يرغم الهنود على الاعتراف بملك قشتالة (إسبانيا) سلطانا عليهم، وباله المسيحيين الها أوحدهم. لقد كان هذا مهزلة تعكس الذهنية القانونية السائدة انذاك في إسبانيا وأوربا. وهكذا يوقفون بين ولائهم للملك وضميرهم المسيحي في ان واحد. فلقد كان الملك قد تلقى من البابا الكسندر السادس رسائل توكل إليه مهمة تبشير أميركا. ولقاء هذه "الخدمة المسيحية" فقط، كان يوسعه ان يجبر الهنود على خدمته وان يسط

ملكه على العالم الجديد. فلقد كان التبشير منذ البداية، جزءا من عملية الاستعمار، وبمناخ الضمان والقاعدة الروحية والقانونية لها" (عن F.S, Av 1979).

وجوه نبوية من كنيهة اليوم كنيسة اليوم إلى جانب تحرير الفقراء

* أساقفة أميركا اللاتينية في ميديلين ٦٨ وبويلا ٧٩:

- "اننا نجد اختيارنا التفضيلي الواضح والبنوي للفقراء، كما فعلنا في ميديلين، واننا نتضامن معهم بالرغم من الانحرافات والتاويلات التي أضرت بروح ميديلين" (رقم ١١٣٤).
- "اننا نتحقق من ان الهيئات الأسقفية الوطنية، وعددا كبيرا من قطاعات العلمانيين والكهنة والرهبان قد عمقوا التزامهم مع الفقراء وجعلوه عمليا، وأنهم قد اخذوا، بتشجيع من الكنيسة، بتنظيم ذواتهم كي يعيشوا إيمانهم ويطالبوا بحقوقهم" (رقم ١١٣٦ - ١١٣٧).
- "ان الشجب النبوي الذي مارسته الكنيسة والتزامها على ارض الواقع مع الفقراء، قد أثارت الاضطهاد ضدها.." (رقم ١١٣٨ - ١١٣٩).

*لاهوت التحرير:

- "ان لاهوت التحرير هو محاولة لفهم الإيمان انطلاقا من الممارسة التاريخية، والمحرة، والقصمية التي يخضع لها فقراء هذا العالم، كطبقات مستغلة، وأعراف مُدلة، وثقافات مهمشة. انه يولد من أمل قلق بالتحرر، ومن الصراعات والإخفاقات والمكاسب التي تمس المسحوقين انفسهم، من وعي ذاتي باننا ابنا وبنات الآب إزاء إحوة عميقة وملزمة" (ص ١٢).
- "ان قراءة الانجيل على ضوء التضامن مع الفقراء والمسحوقين تتيح لنا ان نفصح استغلال ذوي القوة للانجيل، خدمة لمصالحهم، ولكننا لن نحقق ذلك تماما، إذا لم نع الجانب النقدي الدائم والخلق لدعوة الانجيل المحررة.. ان كلمة الرب تتحدى كل انجاز تاريخي، وتضعه في نطاق مشروع المسيح الأوسع في التحرير الكامل والجنري للانسان، بوصفه، أي المسيح، سيد التاريخ" (ص ٥٩).

(١) عن "لاهوت التحرير" انظر ف . م . ت ١٩٨٧

(٢) عن "جماعات القاعدة في الكنيسة" انظر ف . م . حزيران ١٩٧٧



القداس .. شهادة إيمان وحياء

في عدد خاص عن الاوخرستيا كان لا بد من استمزاج رأي المؤمنين حول "القداس وشؤونه" وما هو من أمر التواصل بين القداس وحياء المؤمن عبر تغيير ظروف الحياة. كان لا بد من ان يرد هذا "الرأي" من شرائح مختلفة من المؤمنين، عمرا، وجنسا، وموقفا اجتماعيا ومهنيا، فكانت طاولة مستديرة ضمت عددا من المؤمنين ينتمون إلى كنائس مختلفة في الموصل: حكمت كريم (طالب في كلية الطب)؛ د. عزيز البنا (رئيس قسم في كلية الزراعة)؛ سعاد مرهس (ربة بيت)؛ الشماس صباح سليمان (اشغال حرة)؛ يمان نوئيل (مهندسة)؛ كفاء يوسف (خريجة تجارة)؛ سحر سالم (معيدة بايولوجي)؛ غصون جرجيس (طالبة في كلية الطب)؛ لندا جوزيف رسام (طالبة في كلية العلوم)، الشماس حكمت فتالة (محل تجاري) ماجدة جميل (ربة بيت / معلمة)؛ يوسف مطلوب (مدير مصرف).

اهتمام حياتي - تطبيقي

• كان سؤالنا الاول حول مفهوم القداس لدى المؤمنين، كيف ينظرون إليه، وما هو الانطباع الذي يحملونه عنه؟

بادر د. عزيز ألينا متحفزا منذ البداية بقوله: لكي افهم القداس جيدا، انظر إليه بدءا من زاوية تزامن عشاء الرب الأخير والفصح القديم. فبينما كان الفصح القديم احتفالا بذكرى العبور (من ارض العبودية إلى الحرية) والانتصار، جاء الفصح الجديد الذي احتفل به الرب في العشاء الأخير الذي نعيد ذكره في القداس، عبورا روحيا من الموت إلى الحياة. من هذا المنطق يرى د. عزيز ان المسيحية بدأت منذ العشاء الأخير.

في هذا القول أبعاد لاهوتية عميقة تربط ما بين عشاء الرب الأخير وموته وقيامته، بين فصحه والجذور الكتابية التي ينحدر منها.. هذه الاحداث الزمنية التي تشكل حدثا إيمانيا واحدا متماسكا، هو "العهد الجديد" بدم المسيح المهرق وجسده المبلول من اجل حياة البشر، حياتنا.. ذلك كله نعيشه، نحن، بالإيمان أيضا، في القداس.

ولكن المتحاورين ليسوا لاهوتيين أو منظرين، فالذي يهمهم هو الجانب العملي -الحياتي- التطبيقي للقداس، لذا تناول الشماس صباح سليمان الحديث بقوله: انا كشماس انظر إلى القداس كالتحام مع الله، مع المسيح من جهة، ومع الناس من جهة أخرى، لذا يوسفني جهل الكثيرين ممن ليس القداس لهم سوى واجب ديني روتيني أسبوعي، وفي تقديرهم اهم بتسيمه قد أكملوا الشريعة، وان يتناولهم يحصل تحول سحري لديهم. في السياق ذاته هب يوسف مطلوب يدعو إلى ان تلغى كلمة "الروتين" من قاموس المؤمن، وخاصة فيما يخص القداس. ولا يتصور المؤمن ان مهمته قد انتهت بانتهاء القداس. يجب ان يكون ثمة تواصل بين رموز القداس، أي بين ما يدعو إليه من خلال

الرموز والحركات والأدعية، وبين الحياة الواقعية التطبيقية. إلى هذا المعنى ذاته كانت تشير إيمان نوثيل تقول: حين اشارت إلى وجهي القديس: مع الرب ومع الإخوة، فوصفت القديس بأرقى انواع اللقاءات البشرية، وقالت انه حالة متجددة، ولعل تغيير المكان والصيغة الاحتفالية، بين الحين والحين، يثري هذا التجدد ويكسر الروتين. أليس كذلك؟ - حتى تناول القربان تحول إلى ممارسة لا عمق فيها ولا هدف سوى مجاملة الآخرين والاصطفاف معهم، تقول سعاد مرقس، فغاب ان تناول اتحاد بالرب وعهد بالتعمق الروحي والالتزام المسيحي. فكيف بالتناول إذا ما أسرع حال خروجه من الكنيسة - ولربما بينما لا يزال في داخلها - يشهر بفلان أو فلانة، ويتكلم بالسوء على غيره؟ أليست تلك حالة معاكسة لما يفترضه تناول؟

الاوخارستيا: ارتباط بصميم بحياة الإيمان

• تعليق الأخت سعاد قادنا إلى المحور الثاني الذي تناول حضور القديس، هل يعد فريضة واجبة، أم عادة درجنا عليها، أم حاجة روحية لها ارتباط بصميم واقع المؤمن؟

قال حكمت كريم: احضر القديس لأتشرف بلقاء الرب وسط احتفال الهي مهيب، فتغمري السعادة واشعر بانتمائي إلى هذه العائلة المسيحية الكبيرة. وشبه الشمس صباح سليمان ترقبه موعد القديس بترقب الحبيب موعد لقاءاته، وركز يوسف مطلوب على تفرغه لقديس الأحد هو وعائلته مهما كانت الظروف والمناخ والأشغال، فكل شيء يهون أمام ما يمنحني هذا الاحتفال المقدس. وعززت ماجدة جميل بمثل عائلة فتية يتناوب فيها الزوجان، أسبوعاً بأسبوع، على الاهتمام بالطفل، ليتمكن الآخر من المشاركة في الاوخارستيا.

من هذه القناعة المبدئية بقديسة اوخارستيا الأحد، انزلق الحديث إلى ما يعترني التنفيذ أحياناً، فأشارت كفاء يوسف إلى الرتبة التي تتم فيها كثير من القداديس. غصون جرجيس لم تنكر وجود الرتبة أحياناً، ولكنها ترفض ان تكون عاملاً في عدم الالتزام. سعاد مرقس لم تكن بتخطي الرتبة، بل قدمت حلولاً لتجاوزها، ووضعتها بيدي الكاهن النشط ليستقطب المؤمنين بمساعدة كادر اللجان الطقسية أو لجان الخدمة لخلق أجواء الصلاة والمشاركة. وكوجه من أوجه كسر الرتبة سلطت سحر سالم الضوء على نوع من اللقاءات الروحية والقداديس الخاصة التي تتم في بعض المناسبات كالرياضات الروحية أو السفرات ولجموعات صغيرة من الشباب والأخويات حيث يكون التجانس من حيث العمر وطرائق التفكير والمرونة في استخدام الأطر التقليدية.

وهنا أدلى د. عزيز ألبنا بملاحظة كظمها حتى هذه اللحظة وهي ان الحديث يأخذ منحى الكم في الحضور، فلا يمكن إهمال النوعية في الحضور، وهذا هو الأهم. وإذا كان هذا الأهم نصب أعيننا، فالسؤال الذي نطرحه على انفسنا سيكون: ما هي ثمرة حضوري القديس، وكم أثرت مشاركتي في حياتي؟ وابدى تأله للحضور الشكلي عند قسم كبير منا، أو حضور التباهي والتظاهر.

وحيث هممنا بالانتقال إلى المحور الثالث، أحمل الشمس صباح دوافع حضور القداس بقوله: أرى من كل ما قيل ان هذه الدوافع -إضافة إلى الدافع الإيماني والعقائدي- تعود إلى العوامل التالية: العامل الثقافي، ويتمثل في قابليات الكاهن لتوجيه الموعظة؛ العامل الطقسي، ويتمثل في الأجواء الروحية وقدرة الانجذاب التي تخلقها الليتورجيا؛ العامل الاجتماعي، ويتمثل في لقاء الأصدقاء والمعارف؛ العامل النفسي، ويتمثل في ما تملكه بعض الكنائس من أجواء إيمانية وهيبية خشوعية هندستها ونظامها؛ العامل الفني، ويتمثل في جمال الأداء والأصوات وإتقان الجوقات.

يجب ان تكسر القوالب

• المشاركة في القداس ما رأيكم فيها؟ ما هي الصيغ التي تفضلونها أو تقترحونها؟
- المحور الثالث.

أثار السؤال هوما في الأعماق، وعبر الجميع عن الآثار السلبية التي يتركها الجمود والسكون وبقاء القداس، في كثير من الأحيان، حضورا جامدا يؤدي فيه أشخاص معدودون الأدوار الرئيسية بعيدا عن المؤمنين، بينما يبقى هؤلاء على مقاعدتهم في دور المشاهدين. لذا كان من المفيد جدا التمييز الواضح بين فكرة حضور القداس، ومفهوم "المشاركة في القداس". فانبرى د. عزيز ألينا الذي نشعر ان مداخلته تعكس دائما حرصا ومعاناة؛ ودعا إلى تحريك القوالب الجامدة التي تسير عليها بعض مفردات الطقوس، لاسيما تلك التي تجاوزها الزمن؛ ففي كل زمن يجب خلق ما هو ضروري وملئم لواقع الحياة. وأضاف: لقد بنى إياؤنا الكنسيون في السابق الطقوس لتكون تطبيقا للإيمان وفي اتصال مع الحياة. لماذا نبتز قداسنا اليوم عن الحياة؟ سعاد مرقس تقول: اجل، يجب ان تكسر القوالب، يجب الموازنة بين المظهر والجوهرة، يجب ربط الصلة ما بين الليتورجيا والحياة اليومية، تضيف ماجدة جميل.

ولكن لهذا "الربط" وجهين: وجه شخصي يتمثل في جعل القداس غذاء إيمانيا للبناء الروحي الذاتي، ووجه خارجي يتمثل في طاقة العطاء الانجيلي التي يضعها فينا القداس. عن الوجه الأول تكلم الشمس صباح سليمان عندما ميز بين "حضور الأخذ" و "حضور العطاء". في الحالة الأولى ينتظر المؤمن من دون جهد من عنده، وفي الثانية يتفاعل في أعماقه ويفتح لنعمة الرب كي يتحول من الموت إلى الحياة ويعمل لحصول التغيير في حياته. أما عن الوجه الانجيلي، فتكلم حكمت كرم: لحضور القداس بعد تبشيري أيضا، حيث نشعر بشمولية مسيحيتنا، ومنه نحمل قيم المسيحية إلى العالم. على منواله نسج يوسف مطلوب بقوله: ما آخذ من القداس احمله في تعاملتي، أثبه في العالم: وأضافت إيمان نوثيل: إذا أخذنا كثيرا، نعطي كثيرا.

وعندما جئنا إلى صيغ المشاركة الفعلية، برزت بعض الأفكار العملية، مع بقائها فقيرة في مجالها. قال د. عزيز: المشاركة محصورة بين جماعة معينة ثابتة تقاسم الأدوار.

حبذا لو يشارك احدهم -من غير هذه المجموعات- بالقراءات، مثلا، بالتناوب. وتوقف الحديث ردحا عن اللجان الطقسية في بعض الكنائس أو لجان الخدمة التي تنتدب حول كاهن الرعية لإعداد المفردات المتحركة في القداس واختيار القراءات وتنظيم الاحتفالات وتنسيق مشاركة المؤمنين الضرورية والشمامسة والجوقات. ولم يخف احد ما لكاهن الرعية نفسه من دور رئيسي وأساسي في تنشيط المشاركة وإحياء الاحتفال الاوخرستي أو تجميده؛ ولكن إلى جانب ذلك، على المؤمنين، والشباب منهم بخاصة، ان يعوا مسؤولياتهم في عضد الكاهن في انعاش الاحتفالات، وفي مده باقتراحاتهم وتشجيعه على الحركة، ومطالبته بتنوير المؤمنين حول مضامين الاوخرستيا وقيم القداس ودوافع التحديدات.

أخيرا ورد اقتراح على لسان الشماس صباح سليمان: حبذا لو يصار إلى اخذ عينات من صيغ الاحتفال والمشاركة في كنائس القطر وعكسها على صفحات المجلة، للاطلاع والاستيحاء.

ضعف في الإيمان.. واغتراب..

• آخر محور: أزمة القداس لدى غير الممارسين. ما هي الأسباب التي تمنع أو تعيق عن القداس؟

قالت سعاد مرقس: هناك من يقول: انا مؤمن واصلي في البيت، فلا داعي لحضوري إلى الكنيسة. وأردف د. عزيز: منهم من يحضر مرة أو مرتين، فيرى من لا تسره رؤيتهم، فيحجم عن العودة. وقال حكمت عزيز: منهم من تمنعه أوقات القداديس عن الحضور لانشغاله في التزامات أخرى. ونقل الشماس حكمت فتالة ان من الناس من يكتفي بسماع قداديس مسجلة في منزله. وقالت إيمان نوثيل: هناك من يلقي التبعة على سلبيات الكاهن ونفورهم الشخصي منه. فقطع يوسف مطلوب مصرا على ان السبب العميق المباشر لعدم الاشتراك في القداس هو ضعف الإيمان. فهنا يجب ان تتم المعالجة. فتوضح غصون جرجيس ان الإيمان نفسه يتعمق بهذه المشاركة الفعلية في القداس. وكاني بها تقول: "أفضل دواء لمعالجة أزمة القداس هو القداس نفسه، فليأت هؤلاء الإخوة وليشاركوا إخوانهم في الصلاة والإيمان وليعيشوا معهم هذه الساعة الإيمانية، وسينالون نعمة الإيمان وينوقون طعم الرب".

وهنا أثار كفاء يوسف مسألة الشعور بالغيرة، فذكرت ان ثمة من لا يملك شجاعة الحضور والمشاركة لانه يرى نفسه غريبا عن الجماعة، لا سيما عندما لا يهتم به احد. فعلق احدهم ان هذا الاحساس اكتشفه عند مرتادي الكنيسة بصورة متباعدة، فيراهم يتروون وحدهم كالغرباء في فناء الكنيسة، وكم تراهم يتبدل وجوههم عندما تبادرهم انت أو الكاهن بالتحية.

وفيما أشارت لندا جوزيف انما لا تشعر بهذه الغربة، فتندفع وتشارك في النشاطات كالجوقة ولقاءات الصلاة مثلا، ثم أضافت عن أسباب التغيب: هناك من يدعي قلة الوقت. فتلتها ماجدة عزيز بوجوب تنظيم الوقت، وتطرقت إلى موضوع الضيوف، فقالت: لتكن

لنا شجاعة الاعتذار، إذا اقتضى الأمر، عن قبول زيارات -أو التزامات- في وقت القداس، وإذا تفاجانا بزيارة، فأحاول استصحابهم معي إلى القداس.

أم ماهر: بقي معنا في هذا السر

أم ماهر: زينة بيت سبعمية تقدر عليها الانضمام إلى الطائفة لطرفها الصعبة، فحركنا
أجرها في ذمها التواضع حيث تعيش وحدها بين أرواح وحملها وتقبل أحقادها الصغار من
وقت لأخر، الضحك يروء من زلفها ومن غير زلفها:

أم ماهر: القداس بالنسبة إليك؟ لماذا تحضرين القداس باستمرار؟

القداس هو الليحة. الطريقة التي قدمها لنا المسيح ليأتي معنا في هذا السر العظيم. وأنا
احضر القداس بدافع الهبة ذاتها التي أحينا بما يسوع.

أم ماهر: إلا تزعمك المسليات في الكنيسة، أو بعض الحاضرين؟

اللازمية عن القداس كما هو، لا التفت لشيء أو التحدث عن أحد فلا أعطد.

أم ماهر: يا قلبي، يتعبك بالأكبر في القداس؟

الوقوف، وراها مهمة جدا، لكنني من المسيح. لا أظن عنها.

أم ماهر: لماذا يذهب البعض عن القداس، يا أم ماهر؟

أو هموا لجمته!..

أم ماهر: وأنت بالخرافات؟

أسلوب رائع ومهم، وأنتي إن ترواني التوسل كل الترائيل. الرسالة المروثة أفضلها على
الطروعة، أفضل القداس الصاخي على المسالي.

ساعتان من اللقاء. أسرار إيمانية غنية. طقوس روحية سامية.. ومؤمنون غالبا ما
يجهلون ثراء إيمانهم. منهم متعطش للمعرفة، ومنهم أبعدته هموم الحياة عن مجرد الالتفات.
فأين الخلل؟ لا شك أننا جميعا معنيون، كهنة وعلمانيين، آباء وأبناء، جيلا أثر جيل.. إذن
الدواء في التوعية، وفي الانفتاح.. بالسماع.. بالاطلاع.. بالقراءة.. بالخروج من العزلة
الإيمانية إلى لقاء الإخوة.

(مع مشاركة حنان حداد وعبد الأحد يوحنا)

البيئة الثقافية لمسيحي الشرق

كتاب يستكشف البيئة الثقافية والاجتماعية التي تطورت فيها المسيحية المشرقية ذات التقليد السرياني - البيزنطي - العربي. ما تبقى من تلك "المسيحية" العريقة هو ما يشكل كنائسنا الشرق أوسطية اليوم... والعودة إلى هذا "الإرث" بالنسبة إلى المؤلف، ليس مجرد غوص تاريخي في السيرة الذاتية لكنائسنا، وإنما له هدفان رئيسيان آخران: أولهما إلقاء الضوء على شراء هذا الإرث وإيقاظ البحث والاعتزاز لدينا بجزورنا الإيمانية والكنسية والجغرافية، ومن ثم استلهام أمانة الآباء وأصالة إيمانهم، مع الواقعية التي بها تفاعلوا مع حلقات التاريخ المتتالية في هذه المنطقة، وذلك لاستنباط العبر والحيوية لمسيحيتنا الشرقية اليوم.



في صلب هذه الثقافة العربية التي سرعان ما استوعبها، بل ساهموا مساهمة فعالة في تكوينها واغتنانها منذ القدم، فعرّبوا واستعربوا، دون التحلي عن هويتهم.. كان المسيحيون دوما كالروح في الجسد، في الأمس وكذلك اليوم. أينكر احد ما كان للمسيحيين العرب من دور ريادي في بعث الروح القومية وإحياء التراث اللغوي في تاريخنا العربي المعاصر.

كل هؤلاء الشعراء والفلاسفة المسيحيين، والمفكرين واللاهوتيين، والوزراء والأساقفة العظام.. الذين نحتوا اسمهم في تاريخ بلادنا، كل هؤلاء المسيحيين الصامتين الذين لم يكفوا عن الترتيل والصلاة، والتفكير والكتابة، والحراثة والبناء.. وحتى التألم إلى اليوم، على هذه الأرض المشرقية.. انرضى ان تكتب صفحاتهم الأخيرة على يدنا؟! أم نبقى، كما كانوا، منفتحين للتاريخ وتفاعلاته، شهودا أحياء وحيويين، للمسيح وكنيسة ترقى جذورها إلى الرسل، في الفجر الأول للمسيحية. فهي إذن عنصر منفرد كالصخر الصلب في قلب هذه الأرض، أو كالسنديانة يتوازي عمق جذورها مع اتساع أغصانها وصلابة جذعها.. فلا تهرها الرياح، الرياح تمر، وهي الصامدة. لنؤمن بهذا..

في هذا الكتاب الصادر بالفرنسية يبرز المؤلف -وهو مسيحي شرقي حلي- وجهين علميين يمثلان التقليديين الرئيسيين في الشرق، السرياني والبيزنطي، وهما افرام السرياني، ويوحنا الدمشقي. ومنطلق هذا الاختيار ما يمثلانه في التراث الأدبي والفني والفكر اللاهوتي والليتورجيات التي تكونت انطلاقا من انطاكيا في سوريا وبلاد ما بين النهرين، ولا زالت كنائسنا الشرقية، الكاثوليكية والأرثوذكسية، على مختلف طقوسها، تتغذى منه حتى اليوم.

كلاهما عاشا في عهود أزمات وتحولات، على الأصعدة الفكرية والسياسية والدينية، وكلاهما لعبا دورا بارزا في الدفاع عن أصالة الإيمان ضد الانحرافات. كلاهما كانا لاهوتيين وشاعرين استخدمتا القصيدة المرتلة والإيقاع لجعل العقيدة حياة في متناول عامة الشعب.

فافرام (٣٠٦ - ٣٧٣) هو ابن هذه الجماعات المسيحية النهرية التي عاشت في خضم صراع حضاري سياسي بين امبراطوريتي الرومان والفرس والتي، أكثر من سواها، أرست إيمانها على تقاليد الجماعات المسيحية الفلسطينية الأولى، في ذهنية شرقية آرامية صرف. فتلت ارث افرام، لا كنيسته السريانية، بشقيها الشرقي والغربي، وحدها، بل الكنائس الارمنية والقبطية واليونانية الشقيقة أيضا.

ويوحنا بن سرجون الدمشقي (٦٦٥ - ٧٥٣) هو ابن هذا الجيل المسيحي المشرقي الذي عاصر الإسلام دينا وقوة عسكرية، ونسج أول تجربة للتعايش والحوار في دولة إسلامية، فهو الذي كان لاهوتيا لامعا، وتدين له الليتورجيا البيزنطية بمجموعة كبيرة من القصائد والصلوات الموسيقية، كان أيضا وزيرا لخليفة المسلمين في البلاط الأموي. من فصول كتاب رنيه خوام العشرة، نستل فقرات مهمة من الفصل الأول بعنوان:

"زمارو الله" أو "شعراء الله الغنائون"

(...) هناك شاعران كلاهما من ملائمة الكنيسة الجامعة، يحتلان الصدارة بين سائر أقرانها، يطيب لنا ان نطلق عليهما اسم "زماري الله" (أو شعراء الله الغنائين)، لانهما كلاهما غزيا الصلاة الطقسية بشعرهما إبان أزمة مشاهمة، وقادا مجتمعيهما في عملية تغيير ضرورية للتأقلم: مار افرام السرياني ومار يوحنا الدمشقي. كتب الأول بالسريانية (آرامية يسوع المنتصرة) والثاني باليونانية، وعاش الأول في القرن الرابع، والثاني في الثامن، افرام اضطر إلى هجر وطنه بسبب احتلال الفرس للأرض الرومية التي كان يقطنها، فبات عليه ان يبني حياته من جديد على أسس جديدة وفي ظروف صعبة. غير ان صيغة جديدة للمسيحية لا زالت قائمة حتى اليوم، خرجت من تلك المحنة. أما يوحنا الدمشقي فقد شهد سقوط الإمبراطورية البيزنطية النازفة سقوطا مأسويا، ليحل محلها فاتحون جدد ودين توسعي. وبذلك احى ماض وتلاشى تماما لتفتح صفحة جديدة في بناء مسيحية على أسس ثورية: أسس الشهادة والإشعاع والحوار الأخوي مع أقوام غير مسيحية، وتبدلت حتى قواعد القصيدة الشعرية...

وجرّ هذان الشعيران، كل في زمانه، مسيحيي بيزنطية ورائهما. ففي زمن التدهور الكامل للبنى الاجتماعية والسياسية طرق هذان الأبوان الكنسيان أسلوبا جديدا في الشعر، بحثا عن لغة جمالية شمولية تستمد قوتها من الفكر الديني. وهكذا يعود لحن الانسان الطافح بالبهجة وسط المضاعب التي تواجهه على خطى المسيح، يعود لينضم من جديد إلى تيار الزمامير، ويفتتح عهدا ملوكيا سيبسط نفوذه من ضفاف الفرات وحتى أقاصي الأرض الروسية وسيبيريا، وفي جزر متفرقة في شواصع الصين (...).

لقد كان تأثير افرام ويوحنا الدمشقي قويا جدا على الاتجاهات الفكرية لمسيحي المشرق، وكلاهما تحركا بالرغبة العميقة ذاتها لتجسيد الدعوة المسيحية في عصرهما،

وتوجهها في عملهما إلى الطبقات الشعبية المسيحية، خارجا عن أي منصب كنسي (كان افرام شماسا انجيليا في الرها) ويوحنا علمانيا بسيطا في القدس، ولكن تحت توجيه السلطة الدينية. ولئن سلك الاثنان مسلك التقشف، فلقد كانا كلاهما قبل كل شيء وفي جوهر تكوينهما النفسي "شاعرين غنائيين لله" مدفوعين بقوة الروح القدس التي توحد ولا تفرق (...).

من شعر مار افرام

* قبيل الولادة:	* في بيت لحم:
كالسفينة المحملة بالخيرات	بيت لحم اليهودية اجتزتْ
حملت البتول مريم	وسمعتْ صوت مناغيات عذبة
شبل الاسد	فأخذني الدهول
ذلك الذي كتب عنه يعقوب.	صوت مريم تناغي وليدها:
واذ كانا في الطريق الى بيت لحم	ارتضيتْ بي وصرتْ امك يا ربي
قالت البتول ليوسف:	مَنْ ابوك؟
ها قد حان الزمان	امك لا تدري
ليولد الحمل	مُرّ السرافيم
فصلى الصديق واجهش قائلا:	فتنشر اجنحتها
ايها الاله الذي خلق الاعالي واعماق	صفوفا ومراتب
الارض والبحار وما فيها	ولتهتف بالتهليل والتقدس.
تحنن على امتك	مُرّ والدتك
في يوم ميلادك	فتجتو وتسجد لك
لا سرير لا فراش لا بيت لها تستتر.	وتعطي الحليب
مبارك الذي ترك المركبة في الاعالي	لتلك النار التي رآها موسى
واختار مذوداً له في مغارة	على جبل سيناء.
ليمنحنا الحياة بتواضعه.	مبارك الذي ترك المركبة في الاعالي
	واختار مذوداً له في مغارة
	التمجيد لتواضعه.

في مسقط رأسه نصيبين - هذه المدينة التي ستنقل إلى الفرس - رأى افرام بأم عينه محاصرة قلعتها على يد عدو الإمبراطورية الرومانية، شابور الثاني، إذ كان الرعب قد استولى

على الجماعة المسيحية من وشوك الوقوع في يد عاهل وثنى. فانبرى افرام يهدئ روع إخوته في العماذ بوضع قصائد موزونة تدعى "ميمري" في خط التقليد السامي. وتتميز هذه القصائد بتقنية شعرية عالية جدا، مما يحدونا على القول بانها لم تكن التجربة الأولى لصاحبها. فالصور الكتابية تتنادى فيها، والقوافي والأوزان التي تربط الجمل تسهل عملية الاستظهار، والأفكار تتداعى في تيار شعري باطني ما هو إلا حصيلة نأمل طويل. هكذا تتأين الرسالة المسيحية من دون ان تنكر شيئا من ماضيها، بينما يصبح الحاضر لها نبع تراء روعي للذين يحيون من كلمة الله.

وسياتي يوم يرتل فيه "السرياني" العقيدة المسيحية في الرها في قصائد موزعة إلى مقاطع يفصلها هتاف أو ردة هي مؤشر إلى مشاركة الشعب. وهذه القصائد هي ما ندعوه آل "مدروشي"، أما "سوغيثو" فهي قصيدة إذا قرأت الحروف الأولى من صدر أبياتها حصلت على اسم أو على عنوانها، فتأتي قراءة جميع أجزاءها لازمة. وتتضمن هذه القصائد كل معانيات الحياة، وتصلح لان تلى، أو ترتل في جوقين متناوبين، أو تغنى، أو يتناولها فريقان في حوار يضاعف التأثير الذي تطبعه في خيال الشعب. في هذه القصيدة تتكلم الكائنات الجامدة، وتتفجر الطبيعة في التعبير عن ذاتها، ويتحلى انبياء الكتاب وشخصه الغابرون لينقلوا لنا عبر مصائرهم الأرضية (...).

وعلى الأرجح ترجم مار افرام إلى اللغة اليونانية أو ولقت قصائده. فمار غريغوريوس النيصي (+ نحو ٣٩٥) شقيق مار باسيليوس اسقف قيصرية وكان هو نفسه شاعرا - نجد في شعره مجانسات مع أسلوب مار افرام، وتبدو مشاعر "السرياني" وصوره البيانية وكأها تتقافز عفويا من قلم "النيصي" كلما استسلم لانفعال قوي (...).

(وهنا يستعرض المؤلف أسماء بارزة أخرى في الشعر الكنسي اليوناني استوتحت عبقرية مار افرام، ويثني على عملية الاقتباس والتقليد بين بلاد ما بين النهرين وسوريا واسيا الصغرى، هذه العملية التي أثرت البلاغة المسيحية ونقلت إشعاعها، عبر بيزنطية، من الشرق إلى كافة كتانس الغرب اللاتينية والسلافية. أليس ان الاقتباس والتقليد علامة شركة وتواصل ضمن الأسرة).

مار افرام نفسه يؤكد انه سلك مسلك مؤلف غنوصي هو برديسان، ويأبى تواضعه العميق ان يقول بانه اغنى تقنيات اسلافه وإيماءاتهم الشعرية. مار افراماط كان معاصرا له (كتب بين ٣٣٧ - ٣٤٥)، وكذلك مار يعقوب أسقف نصيبين، ومار شمعون برصباعي (الذي عاش في عهد شابور الثاني بين ٣١٠ - ٣٧٩)، ولربما ميلس أسقف سوس في العهد ذاته؛ وهؤلاء الأربعة كلهم كانوا من بلاد ما بين النهرين أصلا وثقافة (...).

نرسي، معلم مدرسة نصيبين الجديدة النسطورية، الذي أطلق عليه لقب "قيثارة الروح القدس"، تناول فن "سوغيثو" وأضاف إليه، فترك لنا زهاء ٣٦٠ قصيدة عبرت بعضها إلى الكنيسة السريانية (الغربية) تحت اسم مار افرام. ولهذا الكنيسة أيضا مار يعقوب السروجي (+ ٥٢١) الذي دعي "مزار الروح القدس وكنارة الكنيسة الارثوذكسية"، وقد وضع زهاء ٧٠٠ ميمر زاخر بالبديع والبيان. كما ان قسما كبيرا من الإرث الشعري

السيراني هو من تأليف شاعر شعبي يدعى شمعون كان شماسا خزافا (قوقويو)، وهو معاصر ليعقوب السروجي.

إلى هذه الجوقة انضم عنصر جديد خارجي في الربع الأول من القرن السادس في شخص البطريرك المونوفيزي سويريوس الانطاكي (+ ٥٣٨). كتب هذا باليونانية ونشر مجموعة قصائد على إلحاح الشعب بعد تردد، لقناعات نسكية شخصية. هذه المجموعات نقلها إلى السريانية بولس الرهاوي نحو سنة ٦١٩، محافظا بدقة على عدد المقاطع الاصلية لكل بيت. وقد استوحى سويريوس الانطاكي الاناشيد اليونانية القادمة من الإسكندرية، والتي أغناها على الأرجح مار قورلس الأورشليمي (+ ٣٨٦). ولقد انجذب هذا التزاوج الجديد بين العبقرية الشعرية اليونانية والسريانية بعض المنوعات الأدبية ذات الأهمية الثانوية مثل أل "سدرو" والـ "عونيشو"، وخضعت الكتابات المترجمة لتوزيع جديد، تحت تأثير كتاب الصلوات البيزنطي المدعو "اوكتويكوس"، أي "السلام النغمية الثمانية" وهي من ارث مار يوحنا الدمشقي (...)

ومرت الأيام...

شهدت دمشق بين جذرائها انبعثا لثقافة يونانية جديدة. وبعد تأسيس الإمبراطورية العربية، حدث تمازج جريء للغاية بين الثقافة البيزنطية التقليدية والثقافتين العربية والآرامية. وليس من باب الصدفة ان يكون الشعراء الغنائيون الثلاثة الأكثر شهرة في ذلك العصر، ألا وهم مار سوفرونوس بطريرك القدس^(١) ومار اندراوس أسقف كريت^(٢)، ومار يوحنا الدمشقي، من مواليد دمشق (...).

من كتابات مار يوحنا الدمشقي

* الاوخرستيا:

انا ندعو جسد المسيح ودمه "تبادلا" لاننا بهما نأخذ بالمبادلة لاهوت يسوع المسيح. انا ندعوها "شركة"، لاننا بهما نشترك في يسوع المسيح، لاننا بهما ننضم مشتركين بجسده ولاهوته، لاننا بالاوخرستيا نعقد الصلة مع المؤمنين الآخرين ونتحدهم. اذ انا بالفعل، عندما نتناول من هذا الخبز، ندخل جميعا في جسد ودم المسيح، ونصبح اعضاء لبعضنا البعض، ونشكل جسدا واحدا مع المسيح. (ص ١٤٥)

* من مواعظه:

المسيح على الصليب: فلنأت اليه، لنشترك في آلامه، كي نشاركه مجده ايضا. المسيح بين الاموات: فلنمت عن الخطيئة كي نعيش للبرارة. المسيح ملفوف وموضوع في اكفان نقية: فلنتجرد من رُبط الخطيئة، ونتشح بالضياء الالهي. المسيح موضوع في قبر جديد: فلنتطهر من الخمر العتيق، ولنصبح عجنة جديدة كي نغدو موضوع راحة المسيح.

(ص ١٨٤)

(وهنا يورد المؤلف أسماء شعراء كسبيين عديدين آخرين كان لهم دور في الدفاع عن العقيدة القويمة بقصائلهم وتعاليمهم ومواعظهم، منهم رومانس المرثم ومار قوزما المرثم (+ ٧٦٠) اخو مار يوحنا الدمشقي البتني، ومعلمهما قوزما الكبير، ليخلص إلى الحديث عن الجو الأدبي والفني السائد انذاك في دمشق)

حيث كان الشعر والموسيقى فرصة لتجارب عبقرية ولوضع تأليف متميزة في جو من الحرية، وحيث كان خلفاء السلالة الأموية الأوائل يتبنون ويرعون طروحات فنية وأدبية، وفي الفكر الفلسفي والسياسي، فكان هناك شعراء مسيحيون في اللغات العربية واليونانية والسريانية، وكثيرا ما كان بلاط الخليفة المسلم يستضيف مناظرات شعرية متنوعة، وكان شاعر السلالة الأموية الرسمي، الأخطل، مسيحيا سريانيا مونوفيزيا (...).

من قصص رومانس المرثم

على طريق الجملجة:

هني كلمة منك	- مررم كالتعجة
يا ايها الكلمة	تفرس بحملها وليدما
لا تغادري هكذا	الذي يساق الى الذبح
صامتاً	بعضرها الألم وهي تبعه
يا من حفظني طاهرة	برفقة نسوة اخريات
يا ابني والهي	وتخاطبه منتحبة:
- بطرس.. توما.. وكل الاخرين..	الى اين تذهب يا ولدي
لا احد من هؤلاء كلهم	من أجل من
وحدك انت من اجل خلاص الكل	تهي جرمك السريع؟
تموت يا ابني	هل هناك اعراض اخرى جديدة في قانا؟
وحدك	أين أجل تحويل الماء خمرًا من جديد
مع انك، جميعا وقتهم من المخاطر	تسرع الخطي؟
مع انك جميعا فديتهم	أذهب معك يا ابني
يا ابني والهي.. (ص ٣١)	ام انتظر حودتك؟

ويذكر المؤرخ المسلم أبو الفرج الاصبهاني في القرن العاشر في "كتاب الاغاني" ان جليسي يزيد بن معاوية كانا... شاعره المفضل المسيحي المونوفيزي الأخطل، ووزير ماله المسيحي الملكي سرجون أبو يوحنا الدمشقي.

(وتتوالى فصول الكتاب لتستعرض مفردات هذه البيئة الثقافية والفكرية التي تفاعلت فيها الكنيسة المشرقية تحت ظل انظمة عربية إسلامية، في دمشق وبغداد خاصة.. وفي مختلف العصور اللاحقة).

* مناغاة هريز لابنها السافل:

- بالغام رقيقة
فاضت عواطف مريم وناغته:
من انعم على المعذمة؟
بان تحبل وتلد وحيدا غزيرا
صغيرا كبيرا.
كله لدي
ولدى كل احد كله.
- واعجباها!
لطفل شيخ
مضطجع امامي
عيناه في السماء تحدقان
وشفتاه لا تكفان تخلجان
أتراه مع الله يتحدث

في صمته؟
- كيف التح ينوع الحليب
لك ايها النع؟
كيف اغذيك
يا مغذي البرايا؟
كيف الفك في القمط
يا متشحا بالنور؟
- لن اغادر يا ابني
كنت معي أم مع الجميع!
كن اها لمن يدعونك
وربا لمن يخدمونك
وكن اخا لمن يحبونك
لتربح الكل

(فتحيث الميلاد)

(١) سوفرونوس هنا (+٦٣٨) هو الذي سلم مفاتيح القدس للعرب تحت شروط مشرفة بعد اندحار الجيوش البيزنطية.

(٢) (+٧٤٠)



- مع المطران انطون اودهو/مقابلة/نيسان- حزيران
 + الاناجيل الازائية في مؤتمر الرابطة الكتابية/ ش.ر/نيسان- حزيران
 + كاني ماسي/بين الماضي والحاضر/نيسان- حزيران
 + بهاء الحقيقة (رسالة بابوية عامة)/ش.ر/ ت ٢- ١ك



حول موضوع "الاناجيل الازائية" أي متى ومرقس ولوقا، عقد إقليم الشرق الأوسط لرابطة الكتاب المقدس مؤتمره الدراسي الإقليمي الثالث في دير سيدة البير - جبل الذهب بلبنان من مساء الأحد ٢١ ك ٢ وحتى السبت ٦ شباط ١٩٩٣. وشارك فيه زهاء ٦٠ متخصصا في الدراسات الكتابية في خمسة أقطار عربية عديدة هي لبنان وسوريا والعراق (١) ومصر وفلسطين. وكان معظم المشاركين من الأساقفة والكهنة. وكان عنصر العلمانيين ضعيفا.

وقد حضر جلسة الافتتاح عدد من رؤساء الطوائف المسيحية وممثلو الرهبانيات في لبنان. كما حضر جانبا كبيرا من الجلسات سكرتير الرابطة العالمية الأب نودجر فلداكامير وهو الماني الجنسية. وترأس المؤتمر ونظمه الأب بولس الفغالي منسق إقليم الشرق الأوسط.



أهداف المؤتمر

كان المؤتمر في أساسه مؤتمرا دراسيا، هدفه الأول تنشيط الدراسات الكتابية في أقطار الشرق الأوسط في منظور منفتح إلى الدراسات والاكتشافات الحديثة في علم الكتاب المقدس. أما هذه الدراسات، فبالإضافة إلى طابعها العلمي البحثي، فهي ترمي إلى تعميق محتوى "الرسالة" التي تتضمنها الكتب المقدسة، وتجاوز القراءة السطحية أو التفسيرية الحرفية لربطها بالحياة الإيمانية ونضال الإنسان اليوم. فيكون هذا النص "بشرى" تنقل إلى المؤمنين عبر الأجيال.

وكان للمؤتمر أهداف عملية وراعوية أيضا، أولها إفساح الفرصة أمام هذه النخبة من منسوبي الدراسات الكتابية لتبادل الخبرات والانفتاح إلى حيوية الكنائس الشقيقة. ولقد عمل منظمو المؤتمر لبلوغ ذلك عبر عدة قنوات:

١ - محاضرات ومساهمات راعوية إعلامية، لعرض النشاطات الكتابية وشهادة الكنائس المشاركة، والتعريف بالمعاهد والمراكز المتخصصة بدراسات الكتاب المقدس في الأقطار المشاركة.

٢ - الاوخراستيا اليومية التي كان يشرق بها كل نهار بحسب أحد طقوسنا الشرقية (الماروني/ السرياني/ البيزنطي/ الكلداني/ القبطي/ الارمني). وكذلك كانت تبتدئ الجلسات في كل صباح بصلاة يعدها احد الوفود المشاركة بحسب تراثه الليتورجي المتميز.

٣- معرض للبيع المباشر لطبعات الكتاب المقدس والإصدارات الجديدة، من كتب ومجلات، حول الدراسات الكتابية في اللغة العربية.

الأبحاث والمحاضرات

كانت أبحاث المؤتمر ذات طابعين: منها الدراسات العلمية، ومنها المشاركات ذات الطابع الراعوي. وقد القى عشرون بحثا متفاوت الأهمية والمضمون:

٦ - في إنجيل متى (مضمون "الكنيسة" جماعة متى. الخطب في متى. "يسوع المسيح" لدى متى. الأمثال في متى. متى، كيف يقرأ العهد القديم).

- ثلاثة بحوث عن إنجيل لوقا ("يسوع المسيح" لدى لوقا. التوجه إلى الفقراء في لوقا. "الأمثال" في لوقا).

- بحث واحد عن إنجيل مرقس (الالام عند مرقس).

- خمسة بحوث عن الازائيين والازائية (يوحنا والازائيون. مسائل راعوية حول الأناجيل الازائية. البعد الكنسي في الأناجيل الازائية. اللاهوت الأخلاقي في الأناجيل الازائية. طاولة مستديرة حول المشكلة الازائية).

وخمسة بحوث متفرقة: ١- إنجيل الطفولة (الأب افرام سقط - العراق)؛ ٢ - إنجيل برنابا؛ ٣- الإنجيل والقران؛ ٤- صلاة "أبانا" عند ثيودور المصيصي؛ ٥- التفسير واللاهوت).

وضمن توجهات المؤتمر العملية، خصصت جلسات، بعد الظهر، للعمل في مجموعات تطبيقية للتدريب على قراءة وتحليل نصوص مختارة من الكتاب المقدس في إطارها الكتابي والتاريخي والروائي والتفسيري والراعوي.

أهمية الحدث

انطلق المؤتمر من قول تلميذي عماوس "كان قلبنا يضطرم وهو يفسر لنا الكتب". فكما قلب حدث القيامة وقراءته على ضوء "الكتب"، كذلك أراد المؤتمر أن تكون "دراساته" إصغاء إلى "تفسير" يسوع للبشرى التي يحملها "الكتاب" لحياة كنائسنا.

ففيها نعتبر المؤتمر علامة صحة في هذه الكنائس، وفي كنيسة لبنان المستضيفة خاصة، نراه صدى وامتداد للمبادرات المتنوعة والاهتمام المتزايد في كنائسنا، في السنوات الأخيرة، للدراسات الكتابية، إضافة إلى ما زود به المؤتمرين من خبرات جديدة وعمل جديد.

أما في الجانب الإعلامي، فلقد أولت وسائل الإعلام اللبنانية حدث المؤتمر أهمية متميزة، فنقلت إذاعة صوت المحبة - وهي إذاعة مسيحية أهلية FM - محاضرات المؤتمر على الهواء مباشرة، أو تسجيلاً. كما نقلت شبكة LBC وهي كبرى القنوات التلفزيونية اللبنانية - وقائع اليوم الثاني نقلاً حياً من التاسعة صباحاً وحتى الواحدة بعد الظهر. مما جعل المشاهدين في صلة مباشرة مع قاعة المؤتمر - وقد اتصل أكثر من واحد بسكرتارية المؤتمر مستفسراً أو معقباً - وكان الأب جوزيف مونس مسؤول التلفزيون في المركز الكاثوليكي للإعلام، بين محاضرة وأخرى، يقدم للمشاهدين نبذاً إعلامية عن "الرابطة الكتابية"، وعن المنشورات والدوريات التي تعنى بدراسات الكتاب المقدس في لبنان، عن بعض المجالات المسيحية العربية المتمثلة في المؤتمر، ومنها "الفكر المسيحي" التي حظيت بالتقديم مرتين كما كان المؤتمر يزود الصحف اللبنانية يوميا بتقرير عن جلسات وأبحاث المؤتمر. وتستصدر هذه الأبحاث في كتاب مستقل.

هذا وسينعقد المؤتمر القادم في لبنان أيضاً عام ١٩٩٥، وسيكون موضوعه "كتاب أعمال الرسل".

(بالاشتراك مع الأخت سانت اتين)

الرابطة الكتابية الكاثوليكية المالية FBC

مؤسسة كاثوليكية علمية تتألف من منظمات إقليمية ومحلية تعنى برسالة الكتاب المقدس، تأسست عام ١٩٦٩، وقدف:

- نشر ودعم وطبع ترجمات الكتاب المقدس بالمشاركة مع سائر الكنائس ليصبح الكتاب المقدس في متناول الجميع.
- تشجيع دراسات الكتاب المقدس، اعتماداً على الأصول العلمية والتاريخية من أجل إيلاخ الكلمة الإلهية في عصرنا.
- تشييط تبادل الخبرات المتعلقة بالدراسات والتفسير والتطبيق، بحيث يخدم البحث العلمي النشاط الراعي.
- تشجيع المجموعات القاعدية الصغيرة لدرس الكتاب المقدس وربطه بالحياة.
- تشجيع الحوار بين الكنائس والأديان، انطلاقاً من الكتاب المقدس الواحد الذي من وحيه تين.

ش. ر./ نيسان - حزيران ١٩٩٣

(١) تألف وفد العراق من: المطران يوسف توماس مطران البصرة للكلدان، الاب أفرام سقط الدومنيكي منسق الرابطة في العراق، الاب جاك اسحق، الاب جرجس القس موسى، الأخت سانت اتين الدومنيكية.

كاني ماسي... بين الماضي والحاضر

هي القرية المركزية في منطقة بروالي بالا الخصبة ببساتين التفاح وأنواع الفاكهة والعيون العذبة الرهافة الغزيرة. تقع وسط سلاسل وعرة من الجبال الخضراء، فتحضنها سلسلة بروجا شمالا وسلسلة طلانا غربا، وتبعد عن الحدود التركية حوالي ٢ كم. يربطها طريق جبلي قديم بمنطقة العمادية، وآخر حديث ينطلق من زاخو إلى الشمال الشرقي فيصلها بعد نحو ٧٠ كم. للمزيد من التفاصيل توجهنا إلى الشماس درياوش ابراهيم في منزله بالحلي العربي في الموصل. وهو من مواليد كاني ماسي بالذات (١٩١٦) وفيها قضى طفولته قبل أن ينتقل إلى الموصل لدراسته المتوسطة والثانوية، وقبل أن ينزل إلى معترك الحياة إذ عمل في شركات عالمية في البصرة وفي أماكن عراقية أخرى:

كاني ماسي، واسمها يعني بالكردي "عين السمك"، ويحلو لأبنائها أن يدعوا بالسورث "اينا دنوي". وكانت ناحية عامرة تابعة لقضاء العمادية، يسكنها أثوريون أشداء يحبون العمل بقدر ما يحبون الحياة، لم يبق منهم اليوم سوى حوالي ٢٠ أسرة من أصل ١٠٠ عائلة أصابهم الترحيل عام ١٩٨٧، بعد أن كانت قد رحلت القرى الأخرى المجاورة. وكانت ترحيلات سابقة وهجرات متلاحقة بسبب أحداث الشمال قد أفرغت حوالي ٣٠ قرية مسيحية أثورية تحيط بكاني ماسي، لها شان في التاريخ الحديث للكنيسة الشرقية.

أما موارد المنطقة، فهي الزراعة بأنواعها وخاصة الأرز والكروم وأجود أنواع الفواكه (١٣٠٠٠٠ شجرة تفاح) والخضار. وكان الأهالي منذ ٣٠٠ سنة يستخرجون الحديد من الصخر لصنع بعض العدد الزراعية والبيئية. أما علاقات هذه القرى مع أكراد المنطقة، فكان يسودها التعايش السلمي عادة.

ويسترسل أبو وليم في ذكرياته عن مسقط رأسه الذي يتمنى لو عاد ليقضي غروب حياته فيه. ويتكلم كالجداول السلسيل، مثل الذي يجري عند أسفل قرينته ويسقي بساتينها الوارفة، بسورث مطعم بالانكليزية التي يتقنها.

كاني ماسي، "عين السمك"، عينان في الحقيقة تقع الواحدة شرقا ومياهها باردة ٦ أشهر في السنة، والأخرى غربا ومياهها دافئة ٦ أشهر. ومار ساوا هو شفيح المنطقة الكبير. وله كنيسة قديمة جدا في مدخل القرية مبنية من حجارة ضخمة ولها باب واطي. وفيها "حوذرا" (كتاب الصلوات الطقسية) مخطوطة بالكلدانية تعود إلى العصور الغابرة وتعيد تاريخ كاني ماسي إلى ما قبل القرن العاشر. للمنطقة عيدان: شيرا مار ساوا ويقع في ١٣ أيلول، وشيرا مار كيوركيس ويقع في ٢٤ نيسان، ويحفل بهما في كاني ماسي أو دوري

المجاورة - التي كانت مركزاً أسقفياً لحقبة طويلة - بتجمعات دينية شعبية وفولكلورية واسعة، تعيد إلى المنطقة أبنائها المشتتين الآن في بغداد والموصل وكركوك ودهوك والبصرة وغيرها. واستوطن قسم آخر منهم كندا وأستراليا والسويد وألمانيا وأميركا. ولقد أعطت بروالي بالا للكنيسة أساقفة وكهنة كثيرين، وبرز من أبنائها في مختلف الميادين العلمية والعملية.

أسماء القرى والكثبان في بروالي بالا الواقعة بين الزاب الكبر شرقاً والخابور غرباً

اسم القرية	اسم كنيستها	اسم القرية	اسم كنيستها
١ - القرية	مريم العذراء	١٧ - ماني	مار قرياقوس
٢ - حراسارك	مريم العذراء	١٨ - هيس	ربان بشو
٣ - ماخا	بيت حنينا	١٩ - مر كاسيا	ربان بشو
٤ - سيانوك	مريم العذراء	٢٠ - موسكا	مار يوسف
٥ - سرهشتي	مار يوحنا	٢١ - توشي شماني	مار يوسف
٦ - خالو	مار يونا	٢٢ - كاني بالاف	مريم العذراء
٧ - حورا	مار يونا	٢٣ - كاني مزن	مريم العذراء
٨ - سموسكي	مار يونا	٢٤ - بالندا	مار اوراها
٩ - عريبي	مار يونا	٢٥ - باس	مار اوراها
١٠ - شمالي	بني شموني	٢٦ - تاشيش	مار قرياقوس
١١ - يوتفوري	بني شموني	٢٧ - جيهيدي	بني شموني
١٢ - حوري	مار كور كيس	٢٨ - يفتوني	بني شموني
١٣ - بايان	مار كور كيس	٢٩ - جلك اعلي	مار موشي
١٤ - كلي	مار قيوما	٣٠ - جلك اسفل	مار موشي
١٥ - كاني ماسي	مار ساوا	٣١ - جقلا اعلي	مار موشي
١٦ - ديرشمكي	مار ساوا	٣٢ - جقلا اسفل	مار موشي

"بهاء الحقيقة" رسالة بابوية عامة

صدرت أخيراً الرسالة البابوية العامة المرتقبة "بهاء الحقيقة" (VERITATIS SPLENDOR) حول الأسس اللاهوتية لتعليم الكنيسة الأخلاقي. فلقد كان البابا يوحنا بولس الثاني قد وعد بهذه الوثيقة منذ الأول من آب من عام ١٩٨٧. ومن أجل إعدادها نظم الكرسي الرسولي عدة حلقات في الفاتيكان، خرجت بلا اقل من عشرة نصوص. وفي صيف ١٩٩١ تدخل البابا شخصياً، ولكنه لم يرتح للنص المقدم له. فتناول الموضوع بنفسه، أخذاً بعين الاعتبار ما وضع أمامه من اقتراحات أو تعديلات.

ويذكر ان من التعديلات المهمة التي طرأت على النص النهائي الرسمي المنشور حذف الفقرات التي كانت تشير إلى "العصمة البابوية" وقد ذكر اللاهوتي الألماني الشهير هانس كونك في تعليق له على الرسالة (انظر "الشهادة المسيحية" عدده ١٩٩٣)، إن هذا "الحذف" جاء على طلب عدد من الكرادلة والأساقفة واللاهوتيين. وقال كونك إن مثل هذا "يحدث لأول مرة في تاريخ الكنيسة".

مهما يكن، فهذه الرسالة تعد من أكثر الوقائع البابوية أمانة لصاحبها في موضوع اللاهوت الأخلاقي، معالجة وإنشاء. وإذ لم تذكر بأسمائها كل القضايا "الأخلاقية" التي يتطرق لها يوحنا بولس الثاني في خطاباته عادة، فلان الهدف لم يكن الدخول في المفردات التفصيلية، بقدر ما هو وضع "قواعد" لاهوتية ونظريات لتوجيه "الكنيسة المعلمة" فيما يخص سلوكية المؤمنين، الخاصة والعامة؛ وفي العلاقات الاجتماعية، وربط ممارسات السياسة والاقتصاد بالقيم الأخلاقية والروحية.

تتكون الرسالة من ثلاثة فصول كثيفة الفكر والعبارة تغطي ١٩٠ صفحة من القطع المتوسط. الفصل الأول هو عبارة عن تأمل موسع حول حفظ الوصايا من خلال قصة الشاب الفني في الإنجيل. الفصل الثاني وهو القسم الأساسي، يتوجه إلى اللاهوتيين وقادة الفكر المعاصرين، ويعالج المحاور الفكرية التي ينطلق منها التعليم الأخلاقي البابوي في الرسالة: - الحرية والشريعة - الضمير والحقيقة - الاختيارات الأساسية والسلوكية الواقعية - الفعل الأخلاقي... الخ. أما الفصل الثالث فهو تطبيقات راعوية.

في ما يلي نقدم الرسالة في خطوطها الرئيسية، وسنعمد نص الترجمة الفرنسية المنشورة في صحيفة "الشهادة المسيحية" (T.C) (عدد ٩ تا ١٩٩٣).

لماذا هذه الرسالة؟

"باسم المسيح وبسلطته حرض الأحرار الاعظمون منذ القدم، وشجبوا وشرحوا.. وبيقون من سند روح الحق لهم ساهموا في إعطاء فهم أفضل للالتزامات الأخلاقية في حقول الجنس، والأسرة، والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية".

هكذا يبدأ يوحنا بولس الثاني "مناظرة" طويلة لوضع المنطلقات الايدولوجية (الكتاب المقدس، لاهوت الكنيسة، التقليد) لتدخل السلطة الكنسية في التوجيه الأخلاقي والسلوكي للمؤمنين، إزاء النزعة التحريرية المعاصرة وإزاء اجتهادات بعض اللاهوتيين، سيما

وان هذه "الاجتهادات" وتلك "الترعة" صارت، على ما جاء في الرسالة، تحرك "في الجماعة المسيحية نفسها التشكيك والاعتراضات العديدة على الأصدقاء الإنسانية والنفسية والاجتماعية والثقافية والدينية وحتى اللاهوت الصرف، ضد تعاليم الكنيسة الأخلاقية، بحيث تعدى الأمر أن يكون مجرد معارضا محدودة ومتقطعة، ليصبح حاججة شاملة ونظامية للإرث الاخلاقي.. بل يعلنون بكل بساطة إن بعض التعاليم الأخلاقية للكنيسة باتت مرفوضة، ويرون أن السلطة الكنسية نفسها لا يمكن أن تتدخل في الشأن الأخلاقي إلا "لتحريض الضمائر" و "العرض القيم" تاركة لكل واحد أن يستلهمها بصورة ذاتية في قراراته واختياراته الحياتية".

إزاء هذه "الأزمة الحقيقية"، كما يصفها البابا نفسه، نضج في داخلي قرار كتابة (هذه) الرسالة العامة". إذ بات "من الضروري إعادة القراءة لمجمل التعليم الأخلاقي للكنيسة بهدف التذكير ببعض الحقائق الأساسية للعقيدة الكاثوليكية". ويوضح البابا أن رسالته هذه "تأتي تعمدا بعد صدور كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية" (ف. م. ٢ ك - آذار ١٩٩٣)، لأنه "المرجع الأكيد والأصيل لتعليم العقيدة الكاثوليكية"؛ فهذه الرسالة تتواصل وتكتمل بذلك الكتاب.

"في مرحلة ما بعد الجمع، انتشرت بعض تفاسير للأخلاقية المسيحية لا تتسجم مع "العقيدة المقدسة".. وان من واجب السلطة الكنسية أن تعلن عدم انسجام بعض توجيهات الفكر اللاهوتي، أو هذه أو تلك من التأكيدات الفلسفية، مع الحقيقة المهمة".

الخطيئة المميّنة والخطيئة العرضية

ومن تلك الأخطاء "إخضاع بعض اللاهوتيين لمراجعة عميقة التمييز التقليدي نفسه بين الخطايا المميّنة والخطايا العرضية".

البابا يدحض هذا الاتجاه وجود خطايا مميّنة وأخرى عرضية والتمييز بينهما "واقع ثابت بحسب تقليد الكنيسة". ويستند البابا في دحضه على إثباتات الجمع التريدينيني (١٥٤٥) والوثائق البابوية الصادرة حديثا. ففيها يقول أولئك بعدم إمكانية ارتكاب خطيئة مميّنة ألا برفض حر قاطع وواع لله". وهو يقول "بصعوبة وقوع ذلك نفسيا على الأقل". كما انه "يصعب على الإنسان أن يحطم صلة الشركة مع الله ببرهة زمنية قصيرة ثم يعود تائبا، تدخل الرسالة البابوية في تفاصيل "مدرسية" لتحديد طبيعة الخطيئة المميّنة: أولا: "لا يمكن بناء قواعد لاهوتية من اعتبارات سيكولوجية نفسية"؛ ثانيا: "مع كل التقليد الكنسي ندعو خطيئة مميّنة الفعل الذي يرفض به الإنسان، بحرية ووعي، الله وشريعته وعهد الحب الذي يعرضه عليه الله، مفضلا التوجه إلى ذاته، أو إلى أي وضع مخلوق وزائل، أو أي شيء مناف لإرادة الله. ويحدث ذلك بصورة مباشرة وواضحة، كما في حالة خطايا عبادة الأوثان والجحود، والإلحاد؛ أو بصورة مماثلة كما في كافة حالات نبذ وصايا الله في مادة خطورة".

ولكن السؤال يبقى: ترى من الذي يحدد خطورة المادة؟ - ومن هنا تبدأ من جديد الحلقة المفرغة بين "السلطة الكنسية" و "الفرد"، بين "الالتزام الحر بالفعل" و "مادة الفعل"، أيهما "يحدد" الخطورة؟

الفصل الأخلاقي والفصل الواعي

من يقرأ هذا القسم من الرسالة يرى نفسه أمام أستاذ في لاهوت الأخلاقيات يبني أطروحته على أسس نظرية توماوية (نسبة إلى توما الاكوييني اللاهوتي الذي يسرد البابا اسمه عدة مرات أو يورد نصوصاً منه) ويسترسل في استدلالاته "لتحديد أخلاقية الأفعال استناداً إلى مدى علاقة حرية الإنسان بالخير الحقيقي". "فالفاعل (البشري) جيد أخلاقياً، عندما تتطابق الاختيارات الحرة فيه مع الخير الحقيقي للإنسان".

أما الخير الحقيقي للإنسان فهو ما يقوده نحو "هدفه الأسمى، وهذا الهدف هو الله نفسه". "فالنية الحسنة وحدها" لا تكفي، بحسب فكر البابا لتحديد أخلاقية الفعل، وإن أي تحديد فلسفي أو أخلاقي "القيمة الفعل البشري" لا ينطبق مع "وصايا الشريعة الإلهية والشريعة الطبيعية"، تحديد ينافي "عقيدة الكنيسة" - حتى وإن انطلق من رغبة "التحرر من ضغوط أخلاقية توسم بالإجبار والفرص والاعتباط، وتبدو لا إنسانية"، أو أملته "متطلبات الحوار والتعاون من غير الكاثوليك وغير المؤمنين".

قد تكون هذه المحاولات مفهومة، ولكن خلاصة الأمر، يقول يوحنا بولس الثاني هي: "يلزم المؤمنون أن يعترفوا ويحترموا الأحكام الأخلاقية الخاصة التي تعلمها وتعلمها الكنيسة باسم الله، الخالق والسيد".

الأخلاقية وتجديد الحياة الاجتماعية والميامية

لعل التطبيقات الاجتماعية والسياسية هي أكثر ما في هذه الرسالة تميزاً وصلة بالواقع البشري، بصفته مجموعة من العلاقات والمصالح. ففي هذا الباب وحده صلة محكمة مع ما يمكن تسميته "بالفكر السياسي" للبابا يوحنا بولس الثاني الذي يعبر عنه في خطاباته الكبرى إبان زيارته العالمية، وقد عبر عنه بوضوح أكبر في رسالته العامة "السنة المئة" التي أصدرها بمناسبة مرور مئة عام على رسالة لاون ١٣ الشهيرة حول القضايا الاجتماعية (انظر ف.م. ايار - تموز ١٩٩١).

ينطلق البابا من مجتمعات سوية لا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا قامت على الإيمان بالله. "على هذه الحقيقة وحدها يمكن بناء مجتمع جديد وحل مشاكله".

في مقدمة هذه المشاكل يضع البابا "مختلف أشكال الاستبدادي التي لا بد من تجاوزها لفتح الطريق أمام حرية حقيقية للشخص". أما "جنود الحكم الاستبدادي المعاصر فيجدها في نكران الكرامة السامية للشخص البشري، هذه الصورة المنظورة لله اللامنتور". "من أجل ذلك بالذات يكون الشخص البشري بطبيعته موضوع حقوق لا يجوز أن يستبيحها أي احد، فرداً كان أم جماعة، طبقة، أم أمة، أم دولة".

وفيما يعطي البابا صوته لضحايا "المظالم الاجتماعية والاقتصادية والفساد السياسي، من شعوب وأمم بكاملها، حيث يرتفع الاحتجاج المرير من أناس كثيرين أهيئوا وأذلوا في

حقوقهم الإنسانية الأساسية، يسترسل قائلا: "في المجال السياسي، ينبغي أن نلاحظ بان حقيقة العلاقات بين المحكومين والحكام؛ والشفافية في الحياة العامة؛ والزاهة في الخدمات العامة؛ واحترام حقوق الخصوم السياسيين؛ وضمان حقوق المتهمين إزاء حكم أو إدانة سريعة؛ واستخدام الأموال العامة استخداما عادلا ونزيها؛ ورفض الوسائل الغامضة أو غير المشروعة للاستيلاء على الحكم أو الاحتفاظ به أو توسيعه بأي ثمن، كل هذه الأمور تجدر تقييمها في ميزان القيمة السامية للشخص وفي المتطلبات الأخلاقية الموضوعية لإدارة الدول".

ولكن البابا يبقى يقضا إزاء الاستبداد الجديد في الحكم بعد زوال الأنظمة السلطوية السابقة - ومنها الماركسية-:

"في بلاد عديدة.. هناك تهديد لا يقل خطورة اليوم بسبب نكران الحقوق الأساسية للشخص البشري، وبسبب ابتلاع السياسة للطموحات الدينية التي تسكن قلب كل إنسان: انه خطر التحالف بين الديمقراطية والنسبية الأخلاقية التي تحجب عن التعايش المدني كل مراجعة الأخلاقية الثابتة وتحرمه جذريا من الانفتاح للحقيقة".

أما "الحقيقة" التي يتكلم عنها يوحنا بولس الثاني فهي الحقيقة الآتية من الله والتي وحدها تحيي الإنسان.

من اجل ذلك يربط البابا بين القيم الأخلاقية الصحيحة وبناء المجتمع الفاضل: "في جميع ميادين الحياة الشخصية والعائلية والاجتماعية والسياسية، تقدم الأخلاق خدمة متميزة - حين تقوم على الحقيقة، وفي الحقيقة تفتح على الحرية الحقّة - لتقدم الشخص في مسيرته نحو الخير، وكذلك للمجتمع في نموه السوي".



- + البابا نحث الرقابة / كتاب / نيسان - حزيران
 + بطاركة الشرق في العراق: زيارة نضامن / ش.ر. / نيسان - حزيران
 + الفكر المسيحي مصرسة فكرية في كنيسة العراق / عمه خاص / تموز - ت ١
 * الكنيسة ونحميكت العالم المعاصر / ملف / عمه خاص / تموز - ت ١ (الملحق/٤٣٧)
 **عالم الرهبان والراهبات / ملف / ت ٢ - ١ ك (ملفات الفكر المسيحي / ص ٤٦٢)

البابا نحث الرقابة

في حزيران ١٩٩١، أي أربعة أشهر بعد "حرب الخليج" صدر في باريس كتاب للصحفي الفرنسي المعروف جان تولا (*) حول موقف البابا يوحنا بولس الثاني من هذه الحرب، قبل وبعد اندلاعها. يقع الكتاب في ١٤٧ صفحة موزعة على مقدمة وعشرة فصول (١)، وملحق ببعض الوثائق المتعلقة بالأزمة (٢). وإذا كان العنوان الأول للكتاب ("البابا ضد حرب الخليج")، دلالة على موقف رئيس الكنيسة الكاثوليكية المشرف ضد واقع الحرب، فالعنوان الثاني، ("يوحنا بولس الثاني تحت الرقابة")، إنما يشير بعبارة مثيرة إلى شبه الحظر والتعتيم اللذين فرضهما الإعلام الغربي عامة والأمريكي خاصة على أقوال ونداءات ورسائل يوحنا بولس الثاني المناوئة لفكرة الحرب على العراق والداعية إلى معالجة الأزمة سلمياً.

يبدأ الكتاب بسؤال يلقيه الصحفي الفرنسي المعروف جان - بيير الكباش في قناة أوروبا "١" على الكردينال اتشيغراي رئيس لجنة العدل والسلام البابوية: "لماذا لم يتكلم البابا أثناء حرب الخليج؟". فيجيبه الكردينال محتجاً: "كلا، هذا غير صحيح. فلقد تدخل لا اقل من ٥٥ مرة بين ٢ آب ١٩٩٠ و ٣١ آذار ١٩٩١!

ولكن موقف البابا كان يتلخص بأنه مع السلام..لا يتمنى الحرب، لان "الحرب مغامرة لا رجعة فيها"؛ لان الحرب تعني "تصعيد الأحران والماسي"؛ لان الحرب "طريق لا يليق بالإنسانية"؛ لان الحرب "وسيلة بدائية لحل الخلافات"؛ لان الحرب "حل غير واقعي،

فهو لا يحل المشاكل، بل يخلق مشاكل جديدة". أما الطريق الأمثل الخليق بالحضارة والأكثر فاعلية، فهو طريق المفاوضات والحوار الشجاع. وفي الأزمة الراهنة، فالعدل والسلام منوطان بقضيتي فلسطين ولبنان.

هذا كان موقف الفاتيكان.

وهذا ما لم يرق للولايات المتحدة. بل اعتبر صوت البابا نشازا يفكك تلاحم المتحالفين، واعتبر صاحبه داعية استسلام و "خائنا لمصالح الغرب". فلا غرو أن تحاول الأصوات التي تدق طبول الحرب، على حد تعبير صحيفة الاوسرفاتورى رومانو الفاتيكانية، خنق الكلمة التي نزعج"، وتعني بها كلمة البابا. فكان التعميم الإعلامي على مواقف البابا، بل لقي ضغوطا وتهديدات، وقيل أن قنبلة وجدت في حينها في مكاتب راديو الفاتيكان. ومع ذلك كله بقي يوحنا بولس الثاني حتى الدقيقة الأخيرة من الهجوم على بغداد يدعو إلى السلام والمفاوضات وربط قضايا الشرق الأوسط مع بعضها لتبحث معا في مؤتمر دولي تحت إشراف الأمم المتحدة (٢٠ آب ١٩٩٠). وبذلك التقى مع خطة الرئيس صدام حسين للسلام الشامل في ١٢ آب ١٩٩٠.

في الفصل الثالث يستعرض المؤلف المداخلات الكبرى التي قام بها البابا، منها:

٢٠ آب ١٩٩٠: تصريحه "ان أزمة الخليج لا يمكن حلها بالوسائل العسكرية، وإنما عن طريق الدبلوماسية الدولية والأمم المتحدة".

٢١ آب ١٩٩٠: استقباله سفيره في العراق والكويت، ماريان اوليش، وتصريح هذا الأخير بأنه "مستعد للخدمات الإنسانية" مما ترجم في حينه باستعداد الفاتيكان لمبادرة وساطة، علما بان السفير البابوي في العراق لم يغادر بغداد طوال الحرب.

٢٦ آب ١٩٩٠: أول تصريح شخصي بصوت البابا يربط قضايا الشرق الأوسط: الخليج، فلسطين، لبنان، مع بعضها، هذا الربط الذي رفضه بعناد البيت الأبيض وحلفاؤه. ليلة عيد الميلاد ١٩٩٠: أمام شبكات التلفزيون العالمية: "ليقتنع مسؤولو العالم كافة بان الحرب مغامرة لا رجعة فيها. فبالعودة إلى التعقل، والصبر، والحوار، وفي احترام الحقوق الثابتة للشعوب والناس، يمكن اكتشاف وسلوك طريق التفاهم والسلام".

١٢ ك ١٩٩١: أمام السلك الدبلوماسي المعتمد لدى الكرسي الرسولي (١٢٤ دولة): "هناك بعض الحالات تتطلب قرارات سياسية سريعة. أولهما قضية الشعب الفلسطيني الذي... يعامل بظلم"، ولبنان "البلد المفكك الذي احتضر سنوات طويلة أمام أعين العالم"، وقضية الخليج التي يأبى قداسته أن تحل عن طريق الحرب "لان الحرب لو وقعت، لأصابت الكارثة البشرية كلها".

١٥ ك ١٩٩١، أي يومين قبل الكارثة: الورقة الأخيرة يلقيها البابا بتوجيه رسالتين شخصيتين منفصلتين إلى الرئيس صدام حسين وجورج بوش، لعمل كل ما يوسعهما من اجل السلام التفاوضي.

ويذكر المؤلف ان بوش؛ بينما أحاب البابا في اليوم التالي مطمئنا إياه "بأنه يتبنى نداءه". كان قد اخبر جميع سفرائه بسرية بأنه سيضرب في ليلة ١٧ ك٢، واخفي قراره عن الفاتيكان وحده!

وبعد الضربة، استمر يوحنا بولس الثاني يصارع القدر لإيقاف الحرب وصد الهجوم البري والعودة إلى التعقل وحماية المدنيين...

ليس في نيتنا تلخيص فصول الكتاب، وإنما عكس بعض الأفكار الرئيسية التي يضمها. فبالإضافة إلى ما يتعلق مباشرة بمواقف البابا، يكشف الكتاب النقاب عن جملة حقائق تسترت وراءها عملية "عاصفة الصحراء" برمتها، فبانت مكيدة حيكت لتسوية حسابات، وفرض هيمنة أمريكية بغطاء دولي، والذريعة إخراج العراق من الكويت. من هذه الحقائق نقتطف ثلاثاً فقط.

١ - إصرار بوش شخصياً على رفض أي حل تفاوضي. فلقد كشف الصحفي الأمريكي الشهير بيير شالنجر، في كتابه "حرب الخليج، الملف السري"، إن بوش قرر الصدام المسلح مع العراق أمام معاونيه في كامب ديفيد منذ مساء ٣ آب ١٩٩٠، وهو الذي افشل مشروع مؤتمر جدة في ٤ آب لبحث المسألة عربياً. كما كشف بوب ووبراوت، الصحفي الذي كشف فضيحة ووترغيت، في كتابه "القادة"، ان بوش قرر الهجوم الفعلي في ١٧ ك٢ ١٩٩١ في الساعة الثالثة فجراً، ووقع عليه منذ ٢٩ ك١ ١٩٩٠، أي ١٢ يوماً قبل لقاء بيكر - طارق عزيز في جنيف، وما خلا ذلك كله، كانت سلسلة من المناورات الأمريكية والتضليل الإعلامي، وشحن بطاريات الرأي العام العالمي ضد العراق في حرب عالمية ثالثة من دون الاسم.

الحرب لم تكن قدرا محتوما إذن: هنا ما اكده بريماكوف مبعوث الرئيس السوفييتي نفسه في كتابه "حرب كان بالإمكان تلافيها" - وقد ترجم إلى الفرنسية بعنوان مغلوط تعمداً (مهمة في بغداد)

٢- أما لماذا هذا الإصرار على ضرب العراق، فيجيب جان تولا، من وجهة نظر أميركا:

- خوفاً من أن يتزعم العراق العالم العربي - وله كل المقومات السياسية والعلمية والتقنية والبشرية.

- خوفاً من القوة العسكرية العراقية وتحكمها بقسم كبير من السوق النفطية العالمية.

- مساندة للمصالح الإسرائيلية والناخبين اليهود الأميركيين.

أما الدافع الأساسي لكل ذلك، فيشخصه الصحفي الفرنسي بول- ماري لاغورس مدير مجلة "الدفاع الوطني"، بتصميم أميركا فرض نظامها الدولي الجديد لحماية مصالحها وترسيخ قدمها في هذه المنطقة من العالم، لما تحويه من طاقة استراتيجية، في ظروف دولية مؤاتية تماماً لها (انهيار الاتحاد السوفييتي؛ رغبة الصين في الخروج من عزلتها؛ تعاطف حكومات أوروبا مع السياسة الأميركية لمصالحها ونيل حصتها؛ انقسامات الدول العربية). فرات أميركا في "ذريعة الكويت" فرصة تاريخية، من الحماسة أن تتركها. فقد خطط بوش

وشوارسكوف لهذه الضربة منذ ٢ ١٩٨٨، كما كشف كتاب "عاصفة الصحراء" اسرار البيت الأبيض للصحفي العالمي اريك لورانت ("٧ أسرار جورج بوش" في الكتاب الذي تقدمه/ ص ١٣٥).

٣ - سياسة الميزانين والمكيالين استخدمتها أميركا والغرب بشكل فاضح مع العراق. يتساءل المؤلف: إذا كان العراق قد خرق القانون، فهل لخصومه أن يلقنوه دروسا هم أنفسهم بحاجة إليها؟ فيقول فيما يقول:

- "منذ أربعين سنة والشعب الفلسطيني اقتلع من أرضه وشرد. في الكويت ذاتها كان ثمة ٤٥٠٠٠٠ فلسطيني كيد عاملة تخدم مصالح بضعة اسر. ودخل أرضهم المحتلة يفجر الجيش الإسرائيلي بالديناميت أو البلدوزر مئات البيوت الفلسطينية ويقتلع أشجارهم ويقتل آلاف الأشخاص". هؤلاء يقال: "اصبروا قليلا أيضا"، بينما يقوم نفير عام دولي لإعادة أمير متخوم إلى عرشه، لا يعرف حتى معنى كلمة الديمقراطية!!!

- اللبنانيون، أليس وطنهم رهينة بيد السوريين منذ ١٩٧٥؟

- مجلس الأمن اتخذ ١٩٧ قرارا بخصوص القضية الفلسطينية، كم منها طبقت إسرائيل حتى اليوم؟

- من ادخل حراس الثورة الإيرانية إلى البقاع اللبناني وشجع زراعة الأفيون فيه؛ من قتل ٣٠٠٠٠ من مواطنيه في حماة؟

- من الذي احتل ٣٧% من جزيرة قبرص عام ١٩٧٤، وأعلنها جمهورية تركية قبرصية، بالرغم من ٣٤ قرارا دوليا لم يطبق منها ولا واحدا؟

هل طلبت الولايات المتحدة إذنا من مجلس الأمن عندما ذهبت قواتها لغزو بنما، أو غرنادا، أو سان دومنغو، أو عندما ألغمت موانئ نيكاراغوا؟ بأي حق يعطون الحق لأنفسهم، هم الذين يصفعون الحق الدولي؟

هذه وغيرها وغيرها من النماذج يسردها المؤلف - وهو كاهن له ٢٨ كتابا في القضايا الإنسانية...-، ويختتمها متسائلا: هل طبق الحصار على هؤلاء كلهم كما طبق على العراق؟ هل هوجموا هم أيضا ب ١٨٠٠٠ طن من القنابل لإعادة "الحق" إلى نصابه؟!

(*)Jean Toulat, Le pape contre la guerre du golfe (Jean - Paul II censuré, Oeil, Paris 1991)

(١) ١- نبي مزروع السلاح ٢- "المدياقراطية" (أي نظام حكم وسائل الاعلام) ٣- ساهر الفاتيكان ٤- القوة تحققر الحق ٥- المباحثات غير المكتملة ٦- المنجزرة ٧- اين غلبتلك يا حرب؟ ٨- اساقفة العالم وحرب الخليج ٩- الاساقفة الفرنسيون ١٠- اعمدة السلام الثلاثة.

(٢) رسائل البابا الى رئيسي الولايات المتحدة والعراق- نداء الام تيريزا الى الرئيسين - خطابات البابا في ١٧ ك ٢ ١٩٩١ وفي عيد الفصح - سبعة اسرار بوش - تقرير بعثة تقصي الحقيقة عن الحرب في العراق.

كتاب/نيسان- حزيران ١٩٩٤



بطاركة الشرق الكاثوليك في العراق

زيارة تضامن في المحنة من ٢٨ شباط - ٦ آذار ١٩٩٤

بدعوة من غبطة البطريرك مار روفائيل الأول بيداويد ووزارة الأوقاف العراقية، وبالتنسيق معها، وفي أول بادرة من نوعها في تاريخ قطرنا وكنيستنا، زار العراق، من ٢٨ شباط وحتى ٦ آذار ١٩٩٤ بطاركة الشرق الكاثوليك. وقد ضم الوفد الذي نزل ضيفاً على الحكومة العراقية، كلا من أصحاب القبضة اسطيافانس الثاني غطاس، بطريرك الإسكندرية للكنيسة القبطية الكاثوليكية من مصر، وجان بطرس الثامن عشر كسباريان بطريرك الأرمن الكاثوليك من لبنان، وميشيل صباح بطريرك القدس اللاتيني من فلسطين/الأردن، وقد مثل المطران بولس إميل سعادة النائب البطريركي العام غبطة البطريرك الماروني مار نصر الله بطرس صفير (لبنان)، والمطران جورج المر مطران عمان مثل غبطة البطريرك مكسيموس الخامس حكيم بطريرك الروم الكاثوليك (دمشق/ لبنان)، أما غبطة بطريرك السريان الكاثوليك مار اغناطيوس أنطوان الثاني حابك (لبنان) فقد مثله المطران ميخائيل جميل النائب البطريركي العام.

ورافق الوفد البطريركي المونسييور لويس الديبراني المدير البطريركي للكلدان في لبنان، والأب الياس خليفة رئيس جامعة الروح القدس في الكسليك - لبنان، وعدد من أمناء سر البطاركة وممثلي هيئات كنيسة عليا في لبنان، مع وفد إعلامي كبير ضم ١٧ صحفياً ومندوباً عن المؤسسات الإعلامية المسيحية المرئية والمسموعة، في لبنان، ووكالات الأنباء الوطنية وجريدة النهار البيروتية - وقد انضم إليهم في العراق مندوبون عن وسائل الإعلام والتلفزة العراقية، حيث غطيت نشاطات الوفد تغطية واسعة في الصحافة والراديو والقناة الأولى طيلة أيام الزيارة.

وفي ختام الزيارة اصدر وفد البطاركة بياناً أعربوا فيه عن تضامنهم مع شعب العراق، مسلمين ومسيحيين، في معاناته، وأعلنوا أن استمرار الحصار خرق لحقوق الإنسان. وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده في فندق الرشيد في بغداد قبل مغادرتهم القطر صباح الأحد ٦/٣، ناشدوا البابا يوحنا بولس الثاني، ومجالس الأساقفة وكنائس العالم وهيئة الأمم المتحدة وحكومات الدول للعمل على رفع الحصار الجائر المفروض على العراق...

محنة الحصار

"لقد جئنا إليكم ونحن نعلم أن العراق الشقيق، والكنيسة العراقية في محنة. جئنا لكي نحمل الصليب معكم... وقد آلينا على أنفسنا أن نأتيكم عديدين لنحمل إليكم محبة جميع الكنائس.. جئنا لكي نعبر لكم عن تضامننا ومحبتنا..."

بهذه العبارات أعطى البطريرك غطاس اتجاه الزيارة وجوهاً الراعوي والتضامني منذ الأمسية الأولى (الثلاثاء ١ آذار) في كلمة ألقاها في حفلة استقبال كلية بابل الكنسية للفلسفة واللاهوت والمعهد البطريركي الكهنوتي الكلداني باسم اقارانه الذين "ارادوا كوزير مفوض عنهم" على حد تعبيره.

فلقد حملت كافة الكلمات التي ألقاها أصحاب الغبطة والسيادة اعضاء الوفد، اثناء تجوالهم ولقاءهم الرسمية والشعبية في بغداد والموصل وقراها، هذا الاهتمام في التعبير بقوة ووضوح ووحدة صوت، عن وقوفهم مع شعب العراق في محنته من جراء الحصار الظالم المفروض عليه، والمناداة بوجوب رفع هذا الحصار الجائر الذي هو "حرق أكيد لحقوق الإنسان" كما صرح البطريك كسباريان لمدوب "الفكر المسيحي": "سنرفع نداء إلى قداسة البابا والى سكرتير عام الأمم المتحدة بهذا الشأن. ولدى تواجدها في البلاد الأوربية أو الأميركية، سوف نتكلم عن هذا الموضوع ونحرك الكنيسة الكاثوليكية، وخاصة المطارنة، لكي يأتوا فيكونوا شهود عيان لآلام شعب العراق".

آلام شعب العراق، شهد الوفد صورة منها مروعة ومباشرة لدى زيارته ملجأ العامرية وإحدى المستشفيات الشعبية. أما غبطة البطريك بيداويد، فلم يغيب عنه ان ما يعاينه العراق، إنما هو إحدى الصور البشعة لهذا "النظام الدولي الجديد" المزعوم. فقد جاء في كلمة الترحيب التي ألقاها باسم كنيسة العراق في القديس المشترك الذي احتفل به البطاركة في كنيسة مار يوسف الكلدانية في الخربندة في بغداد، يوم الخميس ١٩٩٤/٣/٣: "لقد تلمستم آثار الحصار على حياة أبنائنا وإخواننا إلى درجة الحرمان.. أمور لا يقرها أي دين.. فان دلت على شيء، فإنما تدل على همجية ما يسمى بالنظام الدولي الجديد".

وجاء نداء البطريك صباح في القديس المشترك إلى "المحافظة على الكرامة الذاتية في كل الظروف مهما اشتدت"، والى التكاتف بين المؤمنين والمواطنين جميعا، من كافة الأديان والمذاهب والأعراق، لتجاوز المحنة: "كل واحد منا قوي في محبته لأخيه" وضعيف إذا ما خذل أحاه". واستطرد: "الفرج هو من الله ومن أنفسكم، لا نستجديه من غريب أو من متكبر يعطي ليقبي الفقير فقيرا".

هذه المواقف كلها حملها البطاركة وعبروا عنها بشعور عال من المسؤولية والتضامن العميق أمام المسؤولين، من اعلى المستويات، الذين قابلوهم. فلقد استقبل الوفد، قبيل عودته، السيد نائب رئيس الجمهورية الأستاذ طه ياسين رمضان، ناقلا إلى الوفد تحيات الرئيس القائد صدام حسين وتقدير سيادته لزيارة الوفد في ظل ظروف الحصار، مما يكسيها في نظر سيادة الرئيس القائد أهمية وقيمة متميزين. وقد عبر وفد البطاركة عن مشاعر تقديرهم البالغ وأشادوا بجهود القيادة الحثيثة، والسيد الرئيس صدام حسين شخصيا، في إرساء دعائم الوحدة الوطنية واحترام القيم الإيمانية والأديان وبناء ما هدمه الظالمون بإصرار وصبر.

هذه المحاور دارت حولها أيضا لقاءات وفد البطاركة مع الأستاذ طارق عزيز نائب رئيس الوزراء الذي استقبل الوفد يوم الأربعاء ٣/٢؛ والدكتور عبد المنعم احمد صالح وزير الأوقاف والشؤون الدينية الذي وضع إمكانات الوزارة في خدمة الوفد؛ والسيدان محمد سعيد الصحاف وزير الخارجية، وحامد يوسف حمادي وزير الثقافة والإعلام اللذين استقبلا

الوفد يوم ٣/١، والسيد رئيس المجلس الوطني. كما كان الوفد قد التقى أيضا بالرفيق عبد الحميد الرفاعي أمين سر قيادة قطر لبنان.

"تخدموا في الإيمان والرجاء"

هدف آخر لا يقل أهمية أراد وفد بطاركة الشرق أن يؤكدوا عليه وهو "تثبيت إيمان" أبنائهم في كنيسة العراق: "رسالتنا إليكم هي رسالة سلام ومحبة -قال البطريك صباح في كنيسة مار يوسف في بغداد- ودعوة إلى تشديد إيمانكم وتقويته، فتزدادوا معرفة بمن آمنتم به.. لكي يكون لكم النور والقيامة". و "القيامة" تعني الرجاء والحياة والبناء ومواصلة المسيرة بأمل، وطنيا وكنسيا وروحيا، بالرغم من كل شيء!

هذه البشرية حملها البطاركة وأساقفة الوفد إلى الموصل وقراها يوم الجمعة والسبت ٤ وه آذار في كلمات تميزت بالحماس والحرارة والنشوة العارمة لدى استقبالهم من قبل جماهير كالأموج تهمر وتزغرد وتهتف في الموصل وقرة قوش وكرمليس وبرطلة وتلكيف وتللسقف والقوش. زيارة جاءت تحت شعار حملته اللافتات في كل مكان: "ما أجل أقدام المبشرين بالسلام.. بالخير.. بالخلاص" (اشعيا): "جئنا إليكم لكي نسמעكم كلمة اخوة ومحبة ورجاء.. ونحشكم على مواصلة المسيرة بعزم وصمود" هتف البطريك غطاس في أول كلمة للوفد أمام جماهير الموصل من اعلى شرفة كنيسة أم المعونة. فلقد وصل الوفد ظهر الجمعة ٣/٤ وكان في استقباله في مفرق حمام العليل رهط كبير من الكهنة والراهبات والمؤمنين يتقدمهم السادة أساقفة الموصل الكاثوليك والأرثوذكس الذين رافقوا موكب البطاركة إلى دير مار بهنام الشهيد حيث تناولت الوفود طعام الغداء على مائدة الدير العارمة. ومن بعد الغداء كانت المحطة الأولى قره قوش، ثم كرمليس ثم برطلة، فالموصل حيث قابل الوفد السيد محافظ نينوى مساء. "انتم مدينة الشهداء.. قلوبنا وقلوب المؤمنين جميعا في البلاد العربية والكنائس الشرقية" بل في كل كنيسة في الشرق والغرب هي معكم.. ليضع المسيح في قلوبكم قوة القيامة" قال البطريك صباح أمام حشود قره قوش التي كانت تجري كالسيل الذي لا ينتهي وسط الأهازيج والتصفيق وقرع النواقيس. كما هتف في اليوم التالي في كنيسة تلكيف التي غصت بأبنائها في لحظة عين: "إننا نفرح بإيمانكم، ونصلي لكي يبقى فيكم عامرا. تشددوا في الرب، في الأمل، في المسيح القائم من بين الأموات".

القيامة.. الحياة.. الصمود... كانت أيضا محاور كلمات المطران ميخائيل جميل ممثل بطريك السريان الكاثوليك: "نحن بني شعب العراق قاومنا الطوفان ولم نغرق، ولن نغرق. جئنا لنشهد أن الشعب العراقي لا يموت"، قالها ونادي بها ثلاثا أمام شعب كرمليس المحتشد في كنيسة مار أدي مبشر المشرق، وهو نفسه هتف في اليوم التالي بحماس ابن الأرض العراقية أمام جماهير تللسقف التي اختلطت ألوان الربيع فيها بألوان صباياها في ساحة الاستقبال: "من أعماق جذور أرضنا، لنا تراث في القيامة ومن أساطير تموز وكلكامش، هذه الأساطير التي تعطي القيمة للإنسان العراقي في الخلق والديمومة". وكان الصبيان يلوحون بأغصان الزيتون، على تراتيل الجوقة التي احتلت الاسطحة المشرفة على منصة

التحية. وتحت أقدام جبل القوش نادى المطران بولس سعادة، ممثل البطريرك الماروني، بلدة البطاركة والرهبان: "اعطيتم ضريبة الدم، ليكن هذا الدم منارة تحيي المستقبل، تشددوا في الإيمان، حافظوا على الرجاء. انتم ابناء القديسين".

.. وتمسكوا في الأرض مع إخوانكم

الإيمان لا يكون حيا إلا إذا تجسد في ارض وشهد فيها.. يوم تزهر ويوم تمطر، يوم تعطي القمح حزما ويوم تجذب، يوم أعراسها ويوم ندها.. موضوع التجذر والتمسك في الأرض موضوع آخر احتفل به وفد البطاركة لدى لقائهم بهذه الجماهير التي لم يكونوا يتخيلونها بهذا العنفوان، أليست جذورها الإيمانية ترقى الى عهد الرسل؟ أليس من هنا انطلق مبشرو الهند والصين الأوائل؟

"انتم ابناء القديسين. حافظوا على وجودكم في هذه الأرض العراقية، ابقوا هنا سدودا وجبابرة مع إخوانكم المسلمين، متعايشين متحابين في العراق الواحد..". قال المطران سعادة منتخبا أهالي القوش في كلمته النارية، مذكرا اياهم براية المسيح التي يحملونها عاليي الجبين، وكانوا قد احتشدوا في اعلى القصبه تحت الرايات ومعالم الزينة.

وكان البطريرك الفلسطيني ميشيل صباح قد سبق أن دعا في كنيسة مار يوسف الكلدانية في بغداد إلى التمسك بأرض الحدود بشدة، والى وقفة مراجعة حياة مسؤولة أمام ظاهرة الهجرة: "ان الله يريدنا مسيحيين في أوطاننا حيث منحنا نعمة الحياة والإيمان، وليس في مهاجر العالم. إن نعمة الإيمان هي دعوة ورسالة تؤديها لكنيستنا لوطننا"... اليوم كما في البارحة: "عندما رأينا هذه الجماهير عدنا بالفكر إلى أوائل الكنيسة إلى عهد الرسل.. نحن اليوم وكأننا في احد الشعانين..!" هكذا صدح صوت المطران جورج المر ممثل بطريرك الروم الكاثوليك في مهرجان برطلة حيث استقبل البطاركة ومثلوهم بأكاليل الورود وضعتها فتيات برطلة حول أعناقهم على الطريقة الهندية. كما هتف في اليوم التالي بجموع باطنايا من على المنصة التي نصبت في الهواء الطلق وفي يده غصن زيتون من التي استقبل بها الصبيان موكب البطاركة: "نحن معكم لنرى ونسمع ونبشر بما رأيناه".

وكان موكب البطاركة قد توجه منذ الصباح الباكر، يوم السبت ٣/٥ إلى تلكيف فباطنايا فتلسقف فالقوش، فدير السيدة حافظة الزروع لاستراحة قصيرة، بعدها عاد الوفد إلى الموصل لتناول الغداء في دير مار كوركيس، فالعودة إلى بغداد.

مهرجان فرح عارم على مدى أسبوع. تظاهرات إيمانية، تقوي الرجاء، تسند الأمل.. شحنة تشعرنا بأننا جزء من كل اكبر.

(بالاشتراك مع الأب يوسف توما)



علم المسند - دراسة فكرية في كنيسة العراق

(في الذكرى الثلاثين)

مما لا شك فيه ان "الفكر المسيحي"، في مسيرتها على مدى ربع قرن، قد ساهمت من موقعها في خدمة كنيسة العراق وتجديدها. فلقد أدخلت فيها، ومن دون أي شك، تيارا فكريا يتسم بالشباب والحيوية، وتمطا من الانتماء إلى الكنيسة يتسم بالوعي والفاعلية والنضوج^(١)، ولقد ظهر ذلك عبر معالجاتها المختلفة. فالخط الفكري المنفتح والمتحرك، غير الراكد في المياه التقليدية أو المتجمد في القوالب الموروثة لمجرد كونها موروثة - مع الأخذ بعين الاعتبار حاجات القراء وانتظاراتهم وطاقة استيعابهم مع موازنات أخرى - هذا الخط تلمسه في ما تحمله المجلة من آراء ومحاولات ووجهات نظر وتحليلات ومتابعات، سواء جاءت بأفلام أصحاب المجلة أو محرريها الرئيسيين. فبين الافتتاحية والخبر وكيفية انتقاله وتقديمه؛ بين الملف الدراسي أو الإعلامي والمعالجة اللاهوتية أو الراعية وحتى أسئلة المسابقة أو المناقشة؛ بين السؤال والجواب والتحقيق والمشكلة أو الهمسة.. بين هذه كلها خيط جامع موحد يظهر في النمط الفكري والنفس الأدبي وفي مواصفات اختيار الموضوع وأسلوب طرحه. كما يظهر هذا الخط في ما تصدي له المجلة من التيارات الفكرية المستجدة في الكنيسة الجامعة في ميادين البحث اللاهوتي أو الكتابي، والخبرات المسكونية، وفي نماذج الشهادة التي تعيشها الكنائس المحلية في البلدان المختلفة في إطار واقعها التاريخي والثقافي والاجتماعي الخاص. ولا أغالي إذا ما قلت أن الإعداد الخاصة (١٩ من ١٩٧٤ - ١٩٩٤) تشكلت قما في هذا الجهد الفكري حتى غلقت "الفكر المسيحي" بحق "مدرسة فكرية" لجيئين من القراء ينتمون إلى كل الكنائس المسيحية في العراق، وحتى من غير المسيحيين؛ جيل الستينات المتفائل بالتغيرات النوعية الكبرى، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي بدلت وجه العراق الجديد، وجيل الثمانينات والتسعينات المجروح الباحث عن أمه المفقود.

في هذه المحاولة سأركز على ثلاثة محاور يتجلى فيها هذا النمط الفكري المنفتح المتحدد الذي حملته "الفكر المسيحي" والذي يربط جدليا وحياتيا بين الأصالة - أي الأمانة للحقيقة-، والجانب التطبيقي لها - أي الأمانة لواقع الإنسان، والمسيحي خاصة.

١ - درامات الكتاب المقدس

لعل الكتاب المقدس هو من الأبواب الأطول عمرا في المجلة. فلقد خصصت له بايين متميزين، الأول ثابت منذ ١٩٧٨ بعنوان "من وحي الإنجيل" وقوامه نص إنجيلي وشرحه وتطبيقه على الحياة (١١٥ موضوعا)؛ والثاني متحرك ثم شبه ثابت للدراسات الكتابية المعقدة بأسلوب علمي وأفلام متخصصة. فإذا استثنينا فذلكات مبسطة، تعاقبت على هذه الدراسات أسماء تعتبر مراجع خيرة في علم الكتاب المقدس في العراق، أمثال الأب منصور المخلصي الذي قدم الأناجيل تقديما علميا وتحليليا ومقارنا بين أيلول ١٩٧٣ وشباط ١٩٧٦ (١٢ موضوعا). ثم استلم الباب الأب افرام سقط بكلا كفيه، ومثابرة خلقت تقليد

الدراسات الكتابية المسلسلة المعمقة في "الفكر المسيحي"، وجعلت القراء في ترقب دائم (٢٢موضوعاً من أيار ١٩٨٢ - أيار ١٩٨٩). وفي هذا الخط المحمل بأحدث ما وصلت إليه الدراسات الكتابية المعاصرة وبمصيلة ما وضعه علماء بارزون في دراسة العهدين الجديد والقدم، أمثال اسطفان شربنتيه والكاردينال دانييلو والأب كوب المخلصي البغدادي وآخرون، كتب الأب بيوس عفاص، بين نيسان ١٩٩٠ وك ١٩٩٣ عدة دراسات جادة وجريئة بطروحاتها ومفاهيمها الجديدة حول القيامة، وأنجيل الطفولة، وروايات الآلام، والايوحارستيا، والصلاة الربية (٦ مواضيع فضلاً عن افتتاحيات عديدة). ناهيك عن عدد خاص حول "الكتاب المقدس" في ت ١ - ت ٢ ١٩٨٢ (٩٦ص)، وقد حمل ١٣ بحثاً مختلفاً من كل هذه الأبحاث، وقد تجاوزت المئة والخمسين بين دراسة وإجابة إلى سؤال، نخرج بمصليتين:

الأولى أن دراسات الكتاب المقدس بلغت شوطاً من التطور والانتساع والمنهجية أصبحت فيه علماً قائماً في ذاته وحدثت انقلاباً حقيقياً، في العقود الأخيرة، في المفاهيم وفي ربط النصوص الكتابية ببعضها وبيئاتها التاريخية والفكرية والحضارية؛ وان هناك وحدة وتواصلًا جوهريين بين العهدين القديم والجديد، ولا يمكن الأخذ بالثاني أو فهمه من دون العودة إلى الأول لأنه امتداد له، وكلاهما من الوحي ذاته.

أما الحصيلة الثانية، فهي وجوب تطبيق المثل القائل "أعط القوس باربها" كل مرة كنا أمام "مفسرين" مكتفين بعلمهم، لا تستند اجتهاداتهم إلى دراسات كتابية رصينة!

٢ - البحث اللاهوتي

ربما لم تُحدث الدراسات الكتابية التي نشرتها "الفكر المسيحي" الجدل نفسه الذي أحدثته الأبحاث والمحاولات اللاهوتية التي قدمتها المجلة لقراءها، لا سيما في السنوات الأخيرة، وهذا شأن ليس خاصاً بـ"الفكر المسيحي"، إذ أن الشيء ذاته واقع تجاه الطروحات اللاهوتية الجديدة أو الأنماط الجديدة للفكر اللاهوتي في الكنيسة الجامعة. "فعلقات" مجمع عقيدة الإيمان برئاسة الكردينال راتزينغر مع اللاهوتيين المعاصرين في أوروبا وأميركا اللاتينية معروفة، وقد أصدرت لها المجلة بين الحين والآخر. وللسائل لماذا؟ نجيب بكلمة وهي أن هذه "الطروحات الجديدة" أو "الأنماط الجديدة" تخرج عن أسلوب الطرح التقليدي الرسمي المؤلف، ولربما تدعو إلى إعادة النظر في مفاهيم طالما استكانت لها السلطة الكنسية وبنيت عليها سلوكياتها.

إن الفكر اللاهوتي الذي اختارته "الفكر المسيحي" - وهي في الأساس ليست مجلة اختصاص في البحث اللاهوتي - تناولت بصورة رئيسة الكريستولوجيا (لاهوت المسيح)، ومفهوم الكنيسة، ومفهوم الخلاص والتحرر. وهو على ثلاثة أنواع:

١ - ما هو مبعثر في ثنايا مقالاتها وروح كتابها، وبين اسطر معالجاتها وحتى أخبارها وتقاريرها من زبد الطروحات اللاهوتية المعاصرة والمتسمة بالانفتاح، وحلحلة العقيدانية الجامدة، وربط الجهد اللاهوتي النظري بحركية الحياة الإنسانية وحاجتها التطبيقية.

٢ - أبحاث منشورة أو تقلد نماذج من الفكر اللاهوتي المعاصر لأسماء بارزة في "دنيا اللاهوت" مثل لاهوت التحرير، ولاهوت العلمانيين، ولاهوت الكنيسة الخ..

٣ - أبحاث ومحاولات لاهوتية بقلم كتاب المجلة أنفسهم.

ومن عاجلوا الشأن اللاهوتي بنتاج أغزر في المجلة، ولكل منهم خصائصه:

* الأب عبد السلام حلوة: اتصفت كتاباته منذ ١٩٧٣ وحتى وفاته عام ١٩٨٤ (٢٥)

ببحثا) بالبحث عن نهج خاص في الفكر اللاهوتي أكثر التصاقا بواقعنا العربي المسيحي ومعانيات الإنسان. ويتفرع هذا النهج على محورين: محور اسمه "فضال الإنسان" - وهو محور اتجه إليه في السبعينات يلامس أو يعتلن في أجواء لاهوت التحرير، وعلاقة الإنجيل بالسياسة والحضارات، ومن هنا نداؤه إلى "لاهوت عربي" (ت ١ ١٩٧٧ وشباط ١٩٧٨). أما في الثمانينات، فقد عالج محورا ثانيا يخص لاهوت الاسرار في رؤيا انتروبولوجية تكشف عن "موقع الإنسان" فيها. وكان آخر بحث له نشر في العدد التالي لرحيله وهو في فجر نضوجه الفكري يعالج "مفهوم الإنسان على ضوء سر الاوخرستيا" (ك ٢ ١٩٨٤).

* الأب لوسيان جميل: هو الآخر يبحث عن منهج جديد في الطرح اللاهوتي،

يتميز بخاصيتين: ١ - نبذ الأسلوب والطروحات التقليدية باعتبارها غيبية ونازلة من فوق، أي غير نابعة من حاجات وطبيعة الإنسان في بيئته التاريخية ضمن الزمن؛ ٢ - الانطلاق بالتفكير اللاهوتي من تحت، أي من واقع الإنسان الانتروبولوجي الذي، من داخله ومن بيئته الحضارية، يصوغ فكرته عن الله والكون والمصير. بالنسبة إلى الأب لوسيان ليس ثمة موضوعا لا يخضع للمعالجة اللاهوتية، ولطالما طرح مواضيع شائكة أثارت جدلا تناولت حياة الكنيسة، والسلطة، والخطيئة، والطبقية في الفكر الكنسي، والنبوة، وموقع العلمانيين، والوحدة المسيحية الخ.. (٢٢ بحثا من ١٩٧١ - ١٩٧٢).

* الأب لويس ساكو: قلبت معالجته اللاهوتية موازين قديمة في لاهوت الكنيسة

والاسرار والحركة المسكونية (١٤ بحثا و٩ عن الآباء من ١٩٨٤ - ١٩٩٤). فلقد بدا الأب لويس الكتابة في الشأن اللاهوتي في شباط ١٩٨٤ بملف بعنوان "المشاركة، هراطقة أم مستقيم الإيمان؟". ثم أعقبه بأبحاث ترد الاعتبار إلى اللاهوت الشرقي وتكشف النقاب عن الوحدة الإيمانية اللاهوتية الأصيلة القائمة فعلا بين الكتلثة والأرثوذكسية في ما يخص الأسس المشتركة: لاهوت شخصية المسيح (الكريستولوجيا)، ومفهوم الكنيسة، والاسرار، والخدم.. ومما يقوي حجة الأب لويس استناده في فكره على آباء الكنيسة، لا سيما الشرقيين، قبل وبعد الانفصالات.

* الأب يوحنا عيسى: تدرج مقالاته في اتجاه اللاهوت الراعوي مع خلفية كتابية

ينطلق منها أو يستند إليها. فمنذ بحثه "نظرة في شمولية الخلاص من خلال الأنبياء" (ت ١ - ت ٢ ١٩٨٢) وحتى ك ٢ ١٩٩٤، كتب ٣٤ مقالا متنوعا تناول فيها شخصية المسيح في أوجهها المتعددة بصورة رئيسة، الكنيسة، الخلاص، الإنسان، الكهنوت، الأديان، الخ.. ،

وتنطلق كلها من هم راعوي-إيماني يتلخص في الإجابة إلى سؤالين: ما هو المفهوم اللاهوتي والكتابي الصحيح للقضية المطروحة؟ ما هو دور المؤمنين اليوم تجاهها؟

٣ - حركة الشهادة والحياة في الكنيسة:

المدرسة ليست فقط موضع توفير العلم والمعرفة، ولكنها موضع توفير الخبرات التطبيقية أيضا وإيقاظ الالتزام لدى تلامذتها في واقع الحياة العملية. هذا ما فعلته "الفكر المسيحي" أيضا بنقلها حركة الحياة والخبرات المعاشة في كنائس العالم وفي كنيسة العراق، ليس بمجرد نقل إعلامي محض، ولا لوضع احد تحت الأضواء ليس إلا، وإنما لبث الوعي والتوجه نحو الممارسة الفعلية والالتزام الحي. ونشير هنا إلى أن "حركة الحياة والخبرات" هذه لا تقتصر على نقل الاحداث حسب، وإنما تعانق حركة الأفكار وتطورها أيضا. وهذا ما تابعتة المجلة بشغف منذ البداية. ولقد قامت "الفكر المسيحي" بهذه المهمة من خلال أبواب متعددة مثل "شؤون راهنة" حول إحدث ووقائع هامة من حياة الكنيسة داخل القطر وخارجه؛ "الملفات" الإعلامية حول كنيسة محلية في بيئتها التاريخية والاجتماعية، كيف تحيا رسالتها وكيف تجاهد؛ الصفحة "الوسطية" حيث عرّفت المجلة منذ ١٩٨٦ وحتى اليوم، شهرا بعد شهر، بعشرات المزارات والمراكز المسيحية في العراق؛ "الأنباء" التي تنقل القارئ إلى حركة الحياة في ارجاء الكنيسة الجامعة المنتشرة في القارات الخمس بمختلف طوائفها وأوضاعها ولغاتها وخبراتها وهيئاتها؛ "الأخبار المحلية" و"التحقيقات" التي تعكس أهم نشاطات كنيسة العراق، قمة وقاعدة، ذات الطابع الشمولي؛ باب "الأدباء النصارى" ثم مؤخرا "الاعلام"، وقد قدما نخبة من رجالات الأدب والفكر والدين المسيحيين العراقيين..

وكما تعددت الأبواب، فكذلك الأساليب التي عكست حركة الحياة والفكر في الكنيسة، مثل: أسلوب التقرير الصحفي؛ نقل الخبر أو الوثيقة بنصها أو بروحها؛ المقابلة أو اللقاء الشخصيين؛ التعليق الصحفي أو الهمسة الخفيفة؛ الافتتاحية؛ الدراسة الجادة الخ.. ولا ننس الدور المعبر للصورة التي ترافق الخبر أو الحدث.

خاتمة

"الفكر المسيحي"، أكثر من أية مجلة مسيحية عراقية أخرى -مما ظهر حتى الآن- اتسمت بالنضوج الفكري، والإخراج الصحفي المتطور، والمنهج الشمولي المنفتح، والاستقلالية. ولعل كونه صادرة عن القاعدة ولها، وليس عن المؤسسة الكنسية الرسمية، أو جهازا إعلاميا رسميا ناطقا باسمها، أتاح للمجلة هذه الاستقلالية الفكرية. ولكن الاستقلالية لم تفهمها "الفكر المسيحي" أبدا من دون شعور عال بالمسؤولية وبالالتزام تجاه حياة الكنيسة، وكنيستنا في العراق بالذات، حاضرا ومستقبلا، وتجاه بناء وشموخ ووحدة العراق الوطن.

(١) انظر العدد الخاص الصادر بمناسبةيوبيل المجلة الفضي (١ت ٢ت ٨٩ ص ٣٠٩)

ملفات الكتاب المقدس

مجلة ببليية متخصصة مصورة، مصرية عن الفرنسية *Les Dossiers de la Bible* تصدر منذ عام ٢٠٠٠

من دار ببلييا للنشر بوتيرة اربعة ملفات في السنة.

السنة التاسعة ٢٠٠٧

- ٢٧- اشعيا الثاني وتلاميذه/كانون الثاني
- ٢٨- أوجه يسوع/نيسان
- ٢٩- الآلام بحسب يوحنا/تموز
- ٣٠- سفر الخروج/تشرين الأول

السنة العاشرة ٢٠٠٨

- ٣١- لا فقراء بعد اليوم/كانون الثاني
- ٣٢- الآلام بحسب انجيل لوقا/نيسان
- ٣٣- روح العنصرة/تموز
- ٣٤- العهد: من سيناء الى يسوع/تشرين الأول

السنة العاشرة ٢٠٠٩

- ٣٥- العماذ في ك.م. عدد خاص/كانون الثاني
- ٣٦- بولس وفورنتس/نيسان
- ٣٧- حين يتكلم الله/تموز
- ٣٨- مريم، ام يسوع/تشرين الأول

السنة الحادية عشرة ٢٠١٠

- ٣٩- اورشليم مدينة السلام/كانون الثاني
- ٤٠- كما في الكتب/نيسان
- ٤١- واعطاها اسما (الحيوانات في ك.م.)/نيسان
- ٤٢- روايات الكتاب المقدس/تشرين الاول

السنة الثانية عشرة ٢٠١١

- ٤٣- الجليل في الكتاب المقدس/كانون الثاني
- ٤٤- الحرب والسلام/نيسان
- ٤٥- ابراهيم خليل الله/تموز
- ٤٦- طرق لتفسير الكتاب المقدس/تشرين الال

السنة الثالثة عشرة ٢٠١٢

- ٤٧- ملائكة الميلاد/كانون الثاني
- ٤٨- يسوع من الناصرة/نيسان
- ٤٩-
- ٥٠-

(يظهر عدد خاص بمناسبة اليوبيل الفضي لـ م.د.ك)

السنة الاولى: ٢٠٠٠

- ١- الحديث عن القيامة/أيلول
- ٢- الافخارستيا/كانون الأول

السنة الثانية ٢٠٠١

- ٣- ايليا واليشاع/كانون الثاني
- ٤- امثال يسوع/نيسان
- ٥- ما وراء الموت/تموز
- ٦- عجائب يسوع/تشرين الأول

السنة الثالثة ٢٠٠٢

- ٧- قراءة في انجيل متى/كانون الثاني
- ٨- اعمال الرسل/نيسان
- ٩- قراءة في مؤلف لوقا/تموز
- ١٠- حزقيال النبي/تشرين الأول

السنة الرابعة ٢٠٠٣

- ١١- اناجيل الطفولة/كانون الثاني
- ١٢- القديس بولس/نيسان
- ١٣- سفر يوحنا/تموز
- ١٤- كنيسة البدايات/تشرين الأول

السنة الخامسة ٢٠٠٤

- ١٥- القديس مرقس/كانون الثاني
- ١٦- سفر الزمير/نيسان
- ١٧- النبي عاموس/تموز
- ١٨- صلاة الابانا/تشرين الأول

السنة السادسة ٢٠٠٥

- ١٩- انجيل يوحنا/كانون الثاني
- ٢٠- الروح القدس/نيسان
- ٢١- الاناجيل المنحولة/تموز
- ٢٢- اشعيا النبي/تشرين الأول

السنة السابعة ٢٠٠٦

- ٢٣- سفر ايوب/كانون الثاني
- ٢٤- ارميا النبي/نيسان
- ٢٥- سفر الرؤيا/تموز
- ٢٦- الففران في ك.م. /تشرين الأول

تتوفر مجموعات من الملفات باسماء مختلفة

٢٣٠٠٠ د.	الملفات ٢٣ - ٤٦	مجموعة ٦ اعوام (٢٠٠٦ - ٢٠١١)
١٨٠٠٠ د.	الملفات ٢٣ - ٤٢	مجموعة ٥ اعوام (٢٠٠٦ - ٢٠١٠)
٥٠٠٠ د.	الملفات ٢٣ - ٣٠	مجموعة عامين (٢٠٠٦ - ٢٠٠٧)
١٠٠٠٠ د.	الملفات ٣١ - ٣٨	مجموعة عامين (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩)
١٠٠٠٠ د.	الملفات ٣٩ - ٤٦	مجموعة عامين (٢٠١٠ - ٢٠١١)
١٢٠٠٠ د.	الملفات ٣٥ - ٤٦	مجموعة ٣ اعوام (٢٠٠٩ - ٢٠١١)

سلسلة ابحاث كتابية

وبضمنها سلسلة تفاسير

١. قراءة مجددة للعهد الجديد
٢. يسوع الذي من الناصرة، بقلم مرقس الانجيلي
٣. قراءة في العهد القديم/ج١: قبل الجلاء
٤. قراءة في العهد القديم/ج٢: من الجلاء الى يسوع
٥. قراءة في العهد الجديد/ج١: الاناجيل الاربعة
٦. قراءة في العهد الجديد/ج٢: اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا
- وتؤلف الاجزاء الاربعة الاخيرة من تعريب الأب بيوس عفاص [وتضمها عليه خاصة] مدخلا متكاملًا الى الكتاب المقدس بسعر ٨,٠٠٠ دينار
- (سعر خاص للجزئين من "قراءة في العهد الجديد": ٣٠٠٠ د. فقط)
٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل
٨. لوقا - الامعالم/ وعد التاريخ
- ٩-١٠. روايات الآلام والقيامة/ بحسب الانجيليين الاربعة
١١. يسوع الذي هو المسيح
١٢. من اجل ايمان جاد/ الايمان بحسب القديس يوحنا
١٣. الانجيل بحسب القديس ميخايل/ سلسلة تفاسير ١
١٤. مذكرات مريم، فتاة الناصرة
١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا / سلسلة تفاسير ٤
١٦. رسائل القديس بولس/ج١: ٢ او ٢١ قورنثس/ سلسلة تفاسير ٦
١٧. رسائل القديس بولس/ج٢: (روما وغلاطية) / سلسلة تفاسير ٧
١٨. رسائل القديس بولس / ج٣: (الرسائل التسع الاخرى)/ سلسلة تفاسير ٨
١٩. الرسائل الاخيرة/ سلسلة تفاسير ٩
(عب، يع، ٢١ بط، ١-٣ يو، يه)
٢٠. الانجيل بحسب القديس مرقس - سلسلة تفاسير ٢
- تأليف: أ. بيوس عفاص
- تعريب: أ. بيوس عفاص
- ٢٤٠ص/١٩٩٩ (٤٠٠٠ د)
- ٢٣٤ص/٢٠٠٢ (١٠٠٠ د)
- ٢٤٠ص/٢٠٠٣ (١٥٠٠ د)
- ٢٧٢ص/٢٠٠٤ (٢٠٠٠ د)
- ٢٥٦ص/٢٠٠٤ (٢٠٠٠ د)
- ٢٥٦ص/٢٠٠٤ (٢٠٠٠ د)
- تأليف: أ. ريموند براون
- ت: م. جرجس القس موسى
- ٢٠٨ص/٢٠٠٥ (٢٠٠٠ د)
- تأليف: دونالد يوتيل
- تعريب: أ. البير ابونا
- ٢٠٠ص/٢٠٠٦ (٢٠٠٠ د)
- تأليف: أ. البير بنوا
- تعريب: أ. بيوس عفاص
- ٣٣٦ص/٢٠٠٦ (٣٥٠٠ د)
- تأليف: أ. برنار راي
- ت: م. جرجس القس موسى
- ١٣٦ص/٢٠٠٧ (٢٠٠٠ د)
- تأليف: ك. كارلو مارتيني
- تعريب: أ. البير ابونا
- ١٧٦ص/٢٠٠٨ (٢٠٠٠ د)
- تأليف: كلود تاسان
- تعريب: أ. بيوس عفاص
- ٢٨٨ص/٢٠٠٨ (٣٠٠٠ د)
- تأليف: جاكلين هوري
- ت: م. جرجس القس موسى
- ٢٨٨ص/٢٠٠٩ (٣٠٠٠ د)
- تأليف: آلان مرشدر
- تعريب: أ. بيوس عفاص
- ٢٨٠ص/٢٠٠٩ (٣٠٠٠ د)
- تأليف: بول دي سرجي
- موريس كاريس
- ت: م. جرجس القس موسى
- ٢٣٢ص/٢٠١٠ (٣٠٠٠ د)
- تأليف: جان-بيير ليمونون
- تعريب: الاخت باسمه الحوري
- ٢١٦ص/٢٠١٠ (٣٠٠٠ د)
- تأليف: شانثال رينيه
- ميشيل تريماي
- تعريب: أ. البير ابونا
- ٣٤٠ص/٢٠١١ (٣٠٠٠ د)
- (وتؤلف الاجزاء الثلاثة الاخيرة "ثلاثية" تغطي رسائل بولس الثلاث عشرة تباع بسعر خاص : ٧٠٠٠ د. فقط)
- تأليف: ادوار كوتيه
- ٩
- ميشيل موركن، البير فانوا
- ٢٤٨ص/٢٠١١ (٣٠٠٠ د)
- تعريب: أ. فادي مسلم
- تأليف: جاك هيرفيو
- ٢٤٠ص/٢٠١٢ (٣٠٠٠ د)
- تعريب: الاب بولس الفغالي

سيظهر تباعا

٢١. الانجيل بحسب القديس لوقا- سلسلة تفاسير ٣
٢٢. سفر أعمال الرسل- سلسلة تفاسير ٥
٢٣. سفر الرؤيا- سلسلة تفاسير ١٠
- يظهر في خريف ٢٠١٢
- يظهر في اوائل ٢٠١٣
- يظهر في خريف ٢٠١٣

سلسلة تفاسير

(Commentaires)

عشرة اجزاء تغطي اسفار العهد الجديد، صدرت عن الخدمة البيبليية "انجيل وحياء" (Evangile et Vie) بقلم اختصاصيين في العلوم البيبليية. تنشرها دار بيبلييا على مدى ٥ أعوام.
ظهر منها:

- ١ كلود تاسان
تعريب الاب بيوس عفاص
٢٨٨/٢٠٠٨ ص - ٣٠٠٠ د.
- ٢ آلان مرشدور
تعريب الاب بيوس عفاص
٢٨٠/٢٠٠٩ ص - ٣٠٠٠ د.
- ٣ جان بير ليمونون
تعريب الاخت باسمة الخوري
١٦٦/٢٠١٠ ص - ٣٠٠٠ د.
- ٤ شانتال رينيه وميشيل تريماي
تعريب الاب بير ابونا
٤٠/٢٠١١ ص - ٣٠٠٠ د.
- ٥ بول دي سيرجي وموريس كاريز
تعريب م. جرجس القس موسى
٣٣٢/٢٠١٠ ص - ٣٠٠٠ د.
- ٦ ادوار كوتيه
ميشيل موركن
البيير فانوا
تعريب الاب فادي مسلم
٢٤٨/٢٠١١ ص - ٣٠٠٠ د.
- ٧
٨
٩
١٠
- وتؤلف هذه الاجزاء الثلاثة "ثلاثية" برسائل بولس الثلات عشرة
(تباع بسعر خاص: ٧٠٠٠ د. فقط)

ترقبوا ظهور الاجزاء الثلاثة الباقية لتكتمل السلسلة

- ١١ سفر اعمال الرسل
تعريب الاب ايوب شهوان
١٣ ص - ٢٠١٣ د.
- ١٢ سفر الرؤيا
تعريب المطران جرجس القس موسى
١٣ ص - ٢٠١٣ د.
- ١٣ الاانجيل بحسب القديس لوقا
تعريب الاب بيوس عفاص
١٢ ص - ٢٠١٢ د.

مختارات الفكر المسيحي

سلسلة توثق ما نشرته مجلة الفكر المسيحي بين الاعوام ١٩٧١-١٩٩٤، لا سيما في ابوابها الثابتة

صدر منها سابقا:

(-) تاريخ الكنيسة الشرقية (الموصل ١٩٧٢)، همسات ابو فادي / ج (بغداد ١٩٨٥)، ايت هذه مشكلتي (بغداد ٢٠٠٤) ومنذ عام ٢٠٠٦ عمدت دار بيبليا للنشر إلى مواصلة إصدار كتب هي بحق "مختارات الفكر المسيحي".

يظهر منها



٢٨٤/ص ٢٠٠٨ (٢٠٠٠).د.



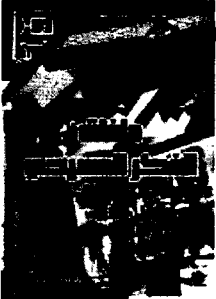
١٨٠/ص ٢٠٠٧ (٢٠٠٠).د.



٥٠٠/ص ٢٠٠٧ (٢٠٠٠).د.



٢٩٠/ص ٢٠٠٦ (٢٠٠٠).د.



٤٨٠/ص ٢٠١١ (٢٠٠٠).د.



٢٩٢/ص ٢٠٠٩ (٢٠٠٠).د.



٥٠٨/ص ٢٠١٠ (٢٠٠٠).د.



٢١٠/ص ٢٠٠٩ (٢٠٠٠).د.

الكتب الاربعة الاخيرة معا (١٠-٧) : ١٠٠٠٠. فقط

صدر الكتابان اللذان وثقا مقالات المطران جرجس القس موسى والاب بيوس عفاص زفلهما إليهما دار بيبليا للنشر بمناسبة بوبيلهما الكهنوتي الذهبي/ حزيران ٢٠١٢

اعلان: تتوفر اعداد من مجلة الفكر المسيحي للسنوات ١٩٧١-١٩٩٤ في شكل مجموعات:

- المجموعة الكاملة (بكمية محدودة) ٢٤ عاماً ٥٠٠٠٠.د.
- المجموعة الكاملة (عدا ١٩٧٥-١٩٧٧) ٢١ عاماً ١٠٠٠٠.د.
- مجموعة اعداد ١٩٨١-١٩٩٤ ١٤ عاماً ٥٠٠٠.د.
- الاعداد الخاصة للاعوام ١٩٧٨-١٩٩٤ (١٦ عدداً) ٧٠٠٠.د.

تطلب من مكتبة بيبليا/ كنيسة مار توما-الموصل، ومن مكتبات الكنائس

كتب المؤلف

الكتب

١. ايدل كوين (الموصل ١٩٦٣)
٢. شارل دي فوكو رسول الأخوة الشاملة (بيروت ط ١٩٦٨، ط ٢ ١٩٩٢)
٣. رسالة الأخ شارل الى بني جيلنا (بغداد - حلب ١٩٧٨)
٤. المسألة الدينية في المجتمع العربي - أطروحة ماجستير بالفرنسية (لوفان - بلجيكا ١٩٧٩)
٥. همسات ابو فادي ج ١ - بغداد ١٩٨٥
٦. حياتي هي المسيح - رسالة راعوية (الموصل ٢٠٠٠)
٧. الأسرة المسيحية - رسالة راعوية (الموصل ٢٠٠٢)
٨. التفاحيات الفكر المسيحي (مشترك) / مختارات الفكر المسيحي / ٤ بييليا للنشر، الموصل ٢٠٠٧
٩. همسات ابو فادي ج ٢ / مختارات الفكر المسيحي / ٥ بييليا للنشر، الموصل ٢٠٠٧
١٠. من البيدر المتيق / مختارات الفكر المسيحي / ١١ بييليا للنشر، الموصل ٢٠١٢

التصريب

١. نداء الأبطال (بيروت ١٩٦٧)
٢. اخوتي جميع البشر (ط ١/بيروت ١٩٧١، ط ٢/١٩٩٢، ط ٣/١٩٩٦)
٣. طريق الصلاة مع الأخ شارل (ط ١/لبنان ١٩٨٤، ط ٢/١٩٩٨)
٤. بحث ووجدت (بغداد ١٩٨٦)
٥. روح الطفولة طريق الملكوت (لبنان ١٩٨٦)
٦. على دروب الناصرة (بيروت ١٩٩٧)
٧. لماذا يا رب؟ لغز الألم (بغداد ٢٠٠٣)
٨. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل (ابحاث كتابية ٧/بييليا للنشر، الموصل ٢٠٠٥)
٩. يسوع الذي هو المسيح ((ابحاث كتابية ١١/بييليا للنشر، الموصل ٢٠٠٧)
١٠. مذكرات مريم فناة الناصرة (ابحاث كتابية ١٤/بييليا للنشر، الموصل ٢٠٠٩)
١١. رسائل بولس الرسول / ج ١: الرسائلان الى القورنثيين (ابحاث كتابية ١٦/بييليا للنشر، الموصل ٢٠١٠)
١٢. الرسالة الى الرومانيين (تعريب من السريانية قشيطو: ينايع سريانية: العهد الجديد السرياني / مركز الدراسات والابحاث الشرقية: جامعة مونستر المانيا والجامعة الانطونية لبنان - ٢٠١٠)

في ملفات الكتاب المقدس / دار بييليا للنشر - الموصل

١. ايليا واليشاع (ملف ٣/ كانون الثاني ٢٠٠١)
٢. حزقيال النبي (ملف ١٠/ تشرين الأول ٢٠٠٢)
٣. اشعيا النبي (ملف ٢٢/ تشرين الأول ٢٠٠٥)
٤. اشعيا الثاني وتلاميذه (ملف ٢٧/ كانون الثاني ٢٠٠٧)
٥. العماد في الكتاب المقدس (ملف ٣٥/ كانون الثاني ٢٠٠٩)

امداد وتقديم

١. كتاب يوبيل دير مار يمان الشهيد (بغداد ١٩٨٤)
٢. دليل ابرشية الموصل للسريان الكاثوليك (الموصل ٢٠٠٢)
٣. القديس السرياني (بغداد ٢٠٠٣)
٤. دليل الابرشية (ط ٢ موسعة/بغداد ٢٠٠٨)

يظهر قريبا

١. الخطوات الاولى للمسيحية في الشرق
٢. هلي املى الله التوراة؟ في "ملفات الكتاب المقدس"
٣. احاديث ENTRETIENS بالفرنسية (مع صحيفين فرنسيين)

عهد الازماد

١. ان اسلم ذاتي
٢. كلمتك مصباح خطاي



أنجزت مطبعة الديوان

طبع الجزء الحادي عشر من 'مختارات الفكر المسيحي'

زفله دار بيبليا

الى المطران جرجس القس موسى

بمناسبة البويعل الكهنولي الذهبي

الأول من حزيران ٢٠١٢